إهداء تقدير واحترام لمكتبة الدراسات العليا
بكلية التربية بالمملكة المغربية، بجامعة الملك عبد العزيز
أصحاب السمو الشيخ الله بن عبد السلام والمسلمين
أعضاء الوفد المرافق محمد محمد لقمة
الأساتذة بدار الحرم الشريف - بمصر

٢

الدكتور محمد لقمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجوانب الأدبية والبلاغية في القصة القرآنية

رسالة دكتوراه

تأليف

محمد محمد لقمة

محمد محمد لقمة

يقدمها لكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

(قسم الأدب والبلاغة)

٠٠٦١١٦

لينال بها الشهادة العالمية "الدكتوراه" في الأدب

١٣٨٨ هـ

١٩٦٨ م

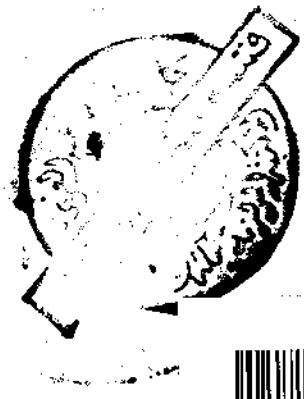

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الدكتور محمد محمد أبو موسى

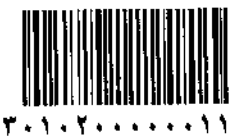
٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١١٥

الدكتور محمد محمد أبو موسى

الجوانب الأدبية والبلاغية
في
القصة القرآنية

■ ■ ■

رسالة دكتوراه
تأليف الدكتور محمد محمد أبو موسى
محمد محمد محمد أبو

■ ■ ■

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
المكتبة المركزية
قسم الدوريات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

الدكتور محمد محمد أبو موسى

يقدمها لكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر
(قسم الأدب والبلاغة)
لنيل بها الشهادة العالمية " الدكتوراه " في الأدب

١١٥

١٣٨٨
١٩٦٨

شكر وتقدير

لله الحمد وأجزله ، ولكل من شجع وأيد ، ولو بالكلمة الطيبة ، والدعاء الخالص ، أقدم شكري له ، وتقديري به ، والى مؤسسة الفنون التي قامت بالتنفيذ الصادق ، والوعد الحر ، أقدم تحياتي ، ودعواتي .

المؤلف

محمد محمد محمد لقمة

الدكتور محمد محمد لقمة

مقدمة وتمهيد

الدكتور محمد محمد الغماز

المدخل الى القصص القرآني

(دليل الباحثين في القصص القرآني)

■ ■ ■

الدكتور محمد محمد القماحي

الأستاذ محمد محمد حسين

أنواع القصص القرآني

مدخل وتعريف

للقصة القرآنية ستون نوعا ، أو أكثر وكل نوع من هذه الأنواع الستين يشغل بحثا مستقلا ، يصلح موضوعا لرسالة من الرسائل .

وهانذا أقدم هذه الموضوعات ، بأقسامها العديدة ، التي استنبطتها بفضل جهدي وبحثي ، ودراستي ، وابتكاري — لدراساتي القرآنية ، ولمن يدرس القصة القرآنية ، في مستوى جامعي أو في الدراسات العليا ، بأقسامها " الماجستير " وأقسام " الدكتوراه " ، في مختلف الجامعات في العالم كله : شرقية وغربية . تأدية للأمانة ، ورعاية للعلم ، وصونا للقرآن وعرضا لكنوزه ، في أطر جديدة ، وقيمة بحيوية ! .. وتيسيرا للدارسين ، وتسهيلا للباحثين !

وهذه الأنواع الستون ، التي تصلح ستين بحثا ورسالة ، أقدمها لهم في أمان واطمئنان ، ليقرأوها على مهل ، ويدرسوها بتمعن ، وقلب متفتح ، وعقل منصف ، وثقافات متعددة ، متكئة ، موصلة ، لها جذور في العلم والدين ، ولها بذور في الفن والأدب ، ولها أصول في شتى المعارف والفلسفات ... !

ثم عليهم أن يستلهموا الله الصواب ، ويسترشدوه الرشاد ، ليمنحهم تأييده ، ويلهمهم توفيقه .

ولهم الحرية في أن يحققوا بمختلف الوسائل ، ويطبقوا بشتى المناهج ، على شرط ألا يغفلوا قداسة القرآن ، ولغته ، وبلاغته ، ودقته وإتقانه في العرض وخصائصه في البيان حتى يبلغوا المأمول ، ويطمئنوا إلى سلامة الوصول .

وهذه هي الأنواع :—

* ١ *

أنواع القصص القرآني
بالنظر الى البناء والتقسيم أو بالنظر الى الكم والحجم

* * *

(١) الأقاصيص القرآنية
(٢) القصص القصيرة في القرآن .
(٣) القصص الطويلة في القرآن .
(٤) الروايات في القصص القرآني .
(٥) المجموعات في القصص القرآني .
(٦) الوحدات في القصص القرآني .
(٧) الحكايات في القصص القرآني .
(٨) الأنماط في القصص القرآني .
(٩) الرحلات في القصص القرآني .
(١٠) الملحمات في القصص القرآني .
(١١) الأمثال في القصص القرآني .
(١٢) الوصايا في القصص القرآني .
(١٣) المواقف في القصص القرآني .
(١٤) الملاحم في القصص القرآني .
(١٥) الفصول في القصص القرآني .

(١٦) المناظر في القصص القرآني .
(١٧) المشاهد في القصص القرآني .
(١٨) المعارض في القصص القرآني .
(١٩) المراسم في القصص القرآني .
(٢٠) الألواح " اللوحات " في القصص القرآني .

* * * *

* ٢ *

أنواع القصص القرآني
بالنظر إلى العنصر السائد فيه

(٢١) قصص الحوادث في القرآن .
(٢٢) قصص الشخصيات في القرآن .
(٢٣) قصص البيئات في القرآن .
(٢٤) قصص الصراع في القرآن .
(٢٥) قصص الحوار في القرآن .
(٢٦) قصص الأفكار في القرآن .
(٢٧) قصص الحركة في القرآن .
(٢٨) قصص الألوان في القرآن .

* * * *

* ٣ *

أنواع القصص القرآني
بالنظر إلى الفكرة والمغزى والاسلوب

(٢٩) القصص التاريخي في القرآن .
(٣٠) القصص الواقعي في القرآن .
(٣١) القصص الواقعي الغيبي في القرآن .
(٣٢) القصص المثالي في القرآن .
(٣٣) القصص العقدي في القرآن .
(٣٤) القصص التشريعي في القرآن .
(٣٥) القصص العلمي في القرآن .
(٣٦) القصص النبوي في القرآن .
(٣٧) القصص التهذيبي في القرآن .
(٣٨) القصص التوجيهي في القرآن .
(٣٩) القصص التأملي في القرآن .
(٤٠) القصص النفسي في القرآن .
(٤١) القصص الجنسي " التناسلي " في القرآن .
(٤٢) القصص الإخباري في القرآن .
(٤٣) القصص الوصفي في القرآن .
(٤٤) القصص اللغوي في القرآن .
(٤٥) القصص الموسيقي في القرآن .
(٤٦) القصص الجمالي في القرآن .
(٤٧) القصص العلمي في القرآن .
(٤٨) القصص الخطابي في القرآن .

(٤٩) القصص الحفلى فى القرآن .
(٥٠) القصص الفلسفى فى القرآن .
(٥١) القصص المذهبى فى القرآن .
(٥٢) القصص التقنينى فى القرآن .
(٥٣) القصص التلقينى فى القرآن .
(٥٤) القصص التبشيرى فى القرآن .
(٥٥) القصص التهديدى فى القرآن .
(٥٦) القصص الاجتماعى فى القرآن .
(٥٧) القصص الاقتصادى فى القرآن .
(٥٨) القصص السياسى فى القرآن .
(٥٩) القصص التمهيدى فى القرآن .
(٦٠) القصص التعقيبى فى القرآن .

* * * *

* ٤ *

أنواع الأساليب القصصية فى القصة القرآنية

(١) الأسلوب البلاغى فى القصة القرآنية .
(٢) الأسلوب التصويرى فى القصة القرآنية .
(٣) الأسلوب التقريرى فى القصة القرآنية .
(٤) الأسلوب الاخبارى فى القصة القرآنية .
(٥) الأسلوب السردى فى القصة القرآنية .
(٦) الأسلوب الحوارى فى القصة القرآنية .
(٧) الأسلوب الجدلى فى القصة القرآنية .
(٨) الاسلوب الحجاجى فى القصة القرآنية .
(٩) الأسلوب الخطابى فى القصة القرآنية .
(١٠) الاسلوب الفلسفى فى القصة القرآنية .
(١١) الاسلوب النفسى فى القصة القرآنية .
(١٢) الاسلوب الموسيقى فى القصة القرآنية .
(١٣) الاسلوب التحليلى فى القصة القرآنية .
(١٤) الاسلوب التفصيلى فى القصة القرآنية .
(١٥) الاسلوب التفريعى فى القصة القرآنية .
(١٦) الاسلوب التنويعى فى القصة القرآنية .
(١٧) الاسلوب التوزيعى فى القصة القرآنية .
(١٨) الاسلوب التعليلى فى القصة القرآنية .
(١٩) الاسلوب التمهيدى فى القصة القرآنية .
(٢٠) الاسلوب التبشيرى فى القصة القرآنية .
(٢١) الاسلوب الوعظى فى القصة القرآنية .
(٢٢) الاسلوب الإقناعى فى القصة القرآنية .
(٢٣) الاسلوب الإمتاعى فى القصة القرآنية .
(٢٤) الاسلوب التشويقى فى القصة القرآنية .
(٢٥) الاسلوب التحقيقى فى القصة القرآنية .

(٢٦) الاسلوب التاريخي في القصة القرآنية.
(٢٧) الاسلوب التعليمي في القصة القرآنية.
(٢٨) الاسلوب التربوي في القصة القرآنية.
(٢٩) الاسلوب التهذيبي في القصة القرآنية.
(٣٠) الاسلوب التوجيهي في القصة القرآنية.
(٣١) الاسلوب التأملي في القصة القرآنية.
(٣٢) الاسلوب الارشادي في القصة القرآنية.
(٣٣) الاسلوب الفجائي في القصة القرآنية.
(٣٤) الاسلوب التمهيدي في القصة القرآنية.
(٣٥) الاسلوب التعليقي في القصة القرآنية.
(٣٦) الاسلوب الايجازي في القصة القرآنية.
(٣٧) الاسلوب الاطنابي في القصة القرآنية.
(٣٨) الاسلوب الساوي في القصة القرآنية.
(٣٩) أسلوب البحوث في القصة القرآنية.
(٤٠) أسلوب الأمثال في القصة القرآنية.

* * * *

فهذه بحوث ماتع - منها ستون بحثا يستبين نوعا من أنواع القصص القرآني.
ومنها أربعون بحثا حول أسلوب القصص القرآني.
ويمكن عد هذه الأربعين ضمن الأنواع، تصبح الأنواع مائة.
ولن كانت الدقة تقتضي دراسة الأنواع الستين دراسة مستقلة. كما تقتضي دراسة الأساليب الأربعين دراسة مستقلة أيضا.

* * *

فالأنواع تدرس عناصرها، كالفكرة، والحادثة، والشخصية، والبيئة، والبناء، والحبكة، وما إلى ذلك..
أما الأساليب فتدرس من حيث البلاغة، والصياغة، وفق البيان المؤثر، والمعنى المطابق، والبديع المحسن، والموسيقا الصاعدة، وما إلى ذلك أيضا.

* * *

وقد استنبطت هذه البحوث الماتعة، من القرآن الحكيم، والكريم، والعظيم والمبين!

وعلى قد سجلت في هذا الكتاب لكل نوع من تلك الأنواع الستين - مثالا قصصيا أو مثلا قصصيا من القرآن، وفنا أدبيا، وفنيا، وعلميا، من كتاب الله، المعجز، الخالد!

وذلك لدراسة هذه النصوص، وتلك المثل، دراسة أدبية، وفنية، وعلمية متخصصة، متعمقة، متأصلة!

* * *

وسأبادر بتدوين ما سجلته، واستنبطته، مستعينا بالله رب العالمين.
ولن أتقيد بقيود التبويب والترتيب، لأن كثيرا من النصوص التي استنبطتها لكل نوع من أنواع القصص القرآني - يتداخل بعضه في بعض، مما جعلني أنبه على ذلك في كثير من هذه المواضع.

وليس معنى ذلك أنني سألجنح إلى الفوضى ، أو الاضطراب ... [illegible] .. كـــلا .. لقد رأيت الدقة ، والنظام ما أمكن .. والله المستعان ،

::::::::::::::::::::::::::

القســـم الاول

الباب الاول

الفصـــل الاول

(١)

من أقاصيص القـــرآن

لغة " الأديان الثلاثة "

الإســـلام (الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم)

اليهودية التي ولدت ، يهودية (المغضوب عليهم)

النصرانية التي حرفت ، نصرانية (الضالين)

* * *

الآيتان رقم ٦ ، ٧ ـــ من سورة الفاتحة .

* *

ـــ ٢ ـــ

أقصوصة (الذي ينهى عبدا إذا صلى) من آية (٨) ـــ (١٩) من ســـورة العلق وهي أيضا ، من قبيل " النفحات القصصية " أو من قبيل " التلميحات بالاشخـــاص المعاصرين للدعوة "

* * *

ثم في سورة العلق ، هذه " لمحة الإنسان الطاغي " الآيتان من ٦ ـــ ٨ ـــ ويقابلها " الطغيان بسبب الاستغناء "

* *

ـــ ٣ ـــ

أنماط شهيرة ، أو نماذج خيّرة

أو قصة " الوليد بن المغيرة "

أو قصة غيره ، ممن كان في عصره ، أو يوجد بعده .

وهـــي أنماط :

(١) كل حـــلاف	(٢) مهـــين	(٣) همـــاز
(٤) مشاء بنميم	(٥) مناع للخير	(٦) معتـــد
(٧) أثيم	(٨) عتـــل	(٩) بعد ذلك زنيم

(١٠) يدعي أن القرآن " أساطير الأولين "

* * * *

الآيات من رقم ١٠ ـــ ١٦ ـــ من سورة القلم

وتلي هذه الأنماط القصيرة ، قصة " أصحاب الجنة " من آية (١٧) الى آية (٣٣) في سورة القلم .

• • • •

فهذه القصة ، اشتراكية المضمون ، وظيفية الهدف ، وهي درس على لعذاب الدنيا ، الواقع على الموسرين ، الحاوين ، المحرومين ، بسبب ظلمهم الفقراء والمساكين ولهذه القصة اتصال بنمط " متاع للخير " .

• • •

ثم في سورة القلم ، تلميح بشخصية كريمة ، شخصية نبي ، هو يونس عليه السلام وهذا التلميح يمكن جعله قصة ، بعنوان : " قصة صاحب الحوت " من آية (٤٨) الى (٥٠) من سورة القلم .

• • •

وفي هذا التلميح حث للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، على الصبر ، والثبات وتبشيره بالاجتباء ، والاختيار !

• • •

كما أن في هذا التلميح — تعريضا خفيا ، لقلق يونس ، وتوجسه من أعباء الدعوة ، وأثقال الرسالة .
ثم فيه مع هذا ، وذلك — رحمة الله ، ونعمته التي تشمل الإنسان في ظلمات الكروب وتحيط الرسلين بأعظم رعاية ، وأتم توفيق .

= =

— ٤ —

وفي سورة " المزمل " التلميح " بالمكذبين أولي النعمة " الآيات من ١١ — ١٤ سورة المزمل .

• • •

ثم قصة مصرع فرعون العاصي " الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة المزمل — ثم التعقيب على قصة فرعون " بالآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من سورة المزمل .

** **

— ٥ —

وفي سورة " المدثر "
(١) القصة " من خلق وحيدا " من آية (١١) إلى آية (١٧) سورة المدثر

• • •

(٢) القصة " من فكر وقدر " من آية (١٨) إلى آية (٢٦) سورة المدثر .

** **

— ٦ —

ثم في سورة " المسد "
القصة " أبي لهب وامرأته " وهي تشير إلى بعض العقبات الإيجابية ، التي صادفت الدعوة الاسلامية — وهي تشمل السورة كلها .

— ٧ —

وفى سورة " الأعلى " — لمحة " الصحف الأولى : صحف إبراهيم وموسى " — وهى تومئ إلى أن بعض تعاليم الأديان واحدة ، من (٩) الى (١٣) الأعلى ومن (١٤) الى (١٧) التعاليم موجودة فى الأديان ثم من (١٨) الى (١٩) لمحة الصحف الاولى .

• • •

— ٨ —

فى سورة " الليل "
أقسمت الهداة ، والعصاة — وهما أقسمتان فى قصة ، تعتمدان على المقابلة " السورة كلها . " وهى تدرس فى خصائص الأسلوب ، كما تدرس فى الأسلوب التوزيعى والأسلوب الجمالى .

• • •

— ٩ —

وفى سورة " الفجر "
أقسمت ، أو لمحة " الطغاة الثلاثة "
(١) عاد (٢) ثمود (٣) فرعون
الآيات من رقم (٦) إلى رقم (١٤)
وهى من قبيل التلميحات التاريخية .

• • •

— ١٠ —

وفى سورة " الضحى "
أقسمت " الدعوة الاسلامية "
(١) مستقبلها (٢) ما فيها (٣) أعباؤها
" السورة كلها "
وهى ثلاثية التوزيع — تدرس فى الاسلوب التوزيعى ، كما تدرس فى القصص الجمالى

• • •

= ١١ =

وفى سورة " الشرح "
أقسمت " تكريم الله ورسوله "
السورة كلها

• • •

= ١٢ =

فى سورة " العصر "
أقسمت " الإنسان بين الخسر والخسر "
السورة كلها
تدرس فى " الأسلوب الوعظى "

• • •

= ١٣ =

فى سورة " العاديات "
لمحات " الإغارات " فى القسم ، ثم لمحة " الإنسان الكنود "
وهذه ، وتلك تشغلان السورة كلها ، ثم فى لمحة القسم ، تنتهى " لمحة الخيل "
وتدرس فى قصص الحركة "

(٨)

ـ ١٤ ـ

في سورة " الكوثر "
القصة تبشيرية • تكريمية • تكوينية • هجائية ـ فهي تحمل بشرى للرسول •
وفي هذه البشرى تكريم له • ثم فيها ربط الجزاء بالمسئولية
أو وصل التكليف بالتشريف كما أن في ختامها هجاء لمبغض الرسول •
السورة كلها •
تدرس في القصص التبشيري • وفي القصص التكويني • وفي القصص التهديدي •

• • •

ـ ١٥ ـ

في سورة " التكاثر " القصة من البيئة الجاهلية فيها ملامح العصبية "
وهي تهدف الى إقلاع المعاندات • كما أنها وعظية المغزى • اذ تذكر بالممات •
السورة كلها •
تدرس في القصص الاجتماعي • وفي قصص البيئات وفي الاسلوب الوعظي والاسلوب التقريري

• • •

ـ ١٦ ـ

في سورة " الماعون "
القصة " تكريم اليتيم " من آية (١) الى (٣) سورة الماعون ـ وهي من القصص الاجتماعي والاجتماعي • والنقدي

• • •

ـ ١٧ ـ

في سورة " الكافرون "
القصة " المغايرة الدينية "
وهي مظهر للتسامي بالمغايرات الجاهلية • والمفاخرات فيها ـ السورة كلها •
تدرس في الثانية والثالثة في القصص القرآنية •

• • •

ـ ١٨ ـ

وفي سورة " الفيل "
قصة تقريرية • تاريخية • إرهاصية ملحمية تمهد لظهور الرسول • وتسجل حدثا هاما عاما وهي تندد بالغزو الظالم • كما تهدد الغزاة الظالمين •
السورة كلها
تدرس في القصص التقريري • والتاريخي • والإرهاصي • والملحمي • والاجتماعي •

• • •

ـ ١٩ ـ

وفي سورة " الفلق " ـ لمحة تكوينية • هي وقاية من الشرور • والآفات • ومن دلائل الحسد • السورة كلها
تدرس في القصص التكويني • وفي قصص الوصايا •

• • •

ـ ٢٠ ـ

في سورة " الناس " ـ لمحة تكوينية ـ وهي وقاية من شرور الناس • ومن وساوس الخناس بل من الجنة والناس ـ السورة كلها ـ
تدرس في الاسلوب التكويني • وفي قصص الوصايا •

— ٢١ —

سورة " الإخلاص "
هي من القسم العقائدي • العقدي • التوحيدي • التأملي • الفلسفي •
السورة كلها •
وهي تحتوي على جوهر العقيدة الإسلامية التي نادى بها كل الرسل • واعتنقها كل الأنبياء • ودعا إليها كل العباد • ثم اتضحت في الدين الإسلامي •

• • •

— ٢٢ —

في سورة " النجم "
قصة " المعراج " من آية (١) إلى آية (١٨) •
وهي من القسم الإخباري • المثالي • الواقعي • المعاصر • والواقع الغيبي
ومن القسم الموسيقي • تدرس في تلك الأنواع الخمسة السابقة •

• • •

— ٢٣ —

في سورة " عبس " — لمحة " عتاب " أو لمحة تقدير " أصحاب المهادي "
وهي من القسم النفسي • التهذيبي • المثالي • الفلسفي • التأملي • الإخباري
من آية (١) إلى آية (١٠) سورة عبس •

• • •

— ٢٤ —

سورة القدر
قصة " تاريخ نزول القرآن "
وهي من القسم الديني • التاريخي • التشريعي • التعليمي • السورة كلها •

• • •

— ٢٥ —

في سورة " البروج "
قصة " ثمود " وظلمها — من آية (١١) إلى آية (١٥) وفيها قصص طريف •
ومثالي وكونس من طريق الأيمان التمهيدية •
تدرس السورة في الأسلوب المثالي كما تدرس القصة في الأسلوب التمهيدي •

• • •

— ٢٦ —

في سورة " البروج "
قصة " أصحاب الأخدود "
وهي نموذج للاضطهاد الديني • وتلويه مقاومة إيجابية • كتمهيد للجهاد في الإسلام • والاستشهاد في سبيل الله — من آية (٤) إلى آية (١٦) البروج •
ثم تعقيب للقصة • أو ختمها — إلى آخر السورة •

• • •

وفي هذا التعقيب لمحة لرمزين • وثمود — وهي تدور حول تهديد المكذبين وتثبيت المؤمنين تدرس في القسم الديني والاجتماعي والسياسي والموسيقي والتصويري والجمالي والتمهيدي • كما يدرس القسم كمدخل لقصة الغلام • والتضحية قصة " أصحاب الأخدود " •

— ٢٧ —

في سورة " التين " — أقصوصة ، أو لمحة " مواطن بعض الأنبياء " من آية (١) الى آية (٣) ثم لمحة " الانسان بين التقويم والانتكاس " من آية (٤) الى آخر السورة . وهي من القصص الوطني ، والتحليلي ، والتمثيلي والواقعي والعلمي

• • •

— ٢٨ —

في سورة " قريش "
أقصوصة اقتصادية ، جغرافية ، تاريخية ، اجتماعية من أقاصيص البيئات ولها صلة كبرى بقصة الفيل .
تدرس القصة في تلك الأقاصيص السابقة كما تدرس في القصص التحليلي ، والإخباري

• • •

— ٢٩ —

في سورة " القيامة " — أقصوصة " القيامة وهي تعتمد على التصوير ، والتلوين والحركة . تدرس في الاساليب : التصويرية ، والتلوينية ، والحركية .

• • •

— ٣٠ —

في سورة القيامة " أقصوصة " البعث والجزاء " وهي من القصص الواقعي الغيبي والتقني والعلمي ، والتعليمي ، والموسيقي ، والجمالي ، والتوجيهي .

• • •

— ٣١ —

في سورة " الهمزة " — نادي قريش ، وإعادة بكرامة الانسان ، وسمعته وهي من القصص التوجيهي ، والتهديدي ، والمثالي . السورة كلها .

• • •

— ٣٢ —

وفي سورة المرسلات — أقصوصة اليوم الآخر .
وهي من القصص التوجيهي ، والتوجيهي ، والتقريري ، والتصويري ، والتوجيهي والتصويري ، والتقريري ، والاخباري ، والتمثيلي ، والتحليلي ، والتعليلي تدرس السورة كلها .
كما يدرس اليوم الآخر فيها .

• • •

— ٣٣ —

سورة ق — هي قصة " يوم المعاد "
هي من القصص العلمي ، والدرامي ، والتوجيهي ، والتوجيهي ، والتقريري ، والتهديدي ، والتقريري .. الخ
السورة كلها .

• • •

في سورة البلد :
قصة الانسان بين الواقع والمثال ـ السورة كلها : موسيقية الإيقاع ، ملحمية التوقيع هندسية البناء والتصميم .
وهي تمثل الفواصل الملتزمة ، ذات الطول الواضح .

* * *

في سورة " الطارق "
أقسومة " خلق الانسان " ـ وهي من القصص العلمي ، التوجيهي ، الوظيفي ، التأملي ، التحليلي ، التوجيهي ، التهذيبي ، التوجيهي ، التوجيهي ، التوجيهي ، الاستطرادي . ـ تصدر السورة كلها .

هذه هي الفصات ، والاقاصيص ، والقصص القصار الذي نزل في القرآن ، على الرسول صلى الله عليه وسلم في فترة الرسالة الأولى ، قبيل بدء الدعوة ، وبعدها بقليل .

وهذه الأقاصيص ـ كما نسميها لأول وهلة ، وبأقل نظرة ـ تعتمد على اللمسة الجاذبة ، واللون الأسرع والحركة السريعة ، والفكرة الواحدة ، أو التعددة أو المتجددة .

وهي نماذج بيانية ، ومعارض تصويرية ، وأنماط بلاغية ، للقصة القرآنية في أولى مراحلها .

* * *

نجد رأينا أنها تأتي مستقلة في سورة ، وتأتي الفكرة فيها تابعة لفكرة أخرى في سورة .

ثم تأتي بين ثناياها فكرة ، تقويها ، وتدعمها ، وتقررها ، وتحتمها .

وهذا من تصريف القصص القرآني .

* * *

على أن المقاييس لهذه الأنواع السابقة ، في هذه السور الخمس والثلاثين يرى أنه لا تكرار بينها ، ولا تكرار في القرآن ، ولا في قصصه ! إنما هي معارض بيانية ، ونماذج قصصية ، وقصص بلاغية ، تعتمد على التجديد لا الترديد .
وعلى التصميم المتعدد ، المتجدد ، وعلى البناء الحر والقوي ، الذي لا يرحب بتكرار ، ولا يتحرى منحى الإخلال والابتسار ، أو يذهب مذهب الحشو والاهتراء !

بل ان كل لمسة في آية ، وكل أقصوصة في آيتين ، أو آيات ... وكل قصة في فواصل متعددة ، وكل نمط يخلقه ، أو نجيا ، وكل نموذج يحمي فكرة ، وكل مثال يجسم حادثة ـ له بناؤه الخاص به ، وأسلوبه الفني معه ، وصوره المجسمة له ، وموسيقاه المتسقة وإياه ، وأفكاره المندمجة فيه ، وأسراره المندمجة بينه ، وأهدافه المتوخاة في تصويره ، وفي تقويمه ، وفيما بين التصوير والتقويم .

كل أولئك وفق نظام السورة التي اشتملت على هذه المثل والنماذج ، والأنماط واللوحات ، ووفق نظام السور التي احتوت تلك الاقاصيص ، وهذه القصص والألوان .

وفي مزيد تحليل • وتمثيل • وتمثل • وتدليل وتحقيق • وتطبيق • في كتبي ورسائلي التي أشرت اليها •

فمن أراد المزيد فعليه أن يرجع الى هذه الرسائل وتلك الكتب • فسيرى صدق ما أشرت • وطبق ما أعدت • ووفق ما قررت • بل فوق ما ينتظر ويتصور !

■ ■ ■

وفي رسالتي الكبرى ذات الاجزاء الأربعة :

" علم النفس القرآني " هذا • وهذا • وتحليل نفسي • وتحليل فلسفي • فيه ما يزجيه الأمل • ويشتهيه الدارس والباحث • بل فوق ما يشتهيه ويزجيه !

■ ■ ■

على أنني في رسالتي هذه • وصلت بين كل فكرة في آية • وبين فكرة في آية أخرى مثلثة في لمحة أو في قصة • أو في نمط • أو في مشهد • أو في لوحة • أو في موقف — وصلا لا انفكاك فيه • ولا انفصام !

فصلت جميع الوحدات الأدبية • والعلمية • والفنية • والنفسية — بصورها المتعددة • بين عناصر كل قصة • وأفكار وأهداف السورة التي تضمنها • وتحتويها •

■ ■ ■

ثم تلك الرسالة " علم النفس القرآني " — على سعتها واستفاضتها — لم تتجاوز خمس سور نزلت في أولى مراحل الدعوة الاسلامية • وهذه السور الخمس • هي :

العلق • والمدثر • والقلم • والمزمل • والمدثر •

وهي — كما عرفنا — تمثل الفترة الممتدة بين بعثة الرسول • وبين اصطدامه العملي • بكفار مكة وقريش • ووقفت عند سورة المدثر • التي تمثل الصدام العملي • والعذاب الشديد • الذي نالت به قريش • مجدها في لهذاء أبي لهب • وامرأته حالة الحطب ..!

■■ ■■

ويجدر بنا في هذا التعليق السريع على أقاصيص القرآن التي جئت بها وعرضتها عرضا فنيا • وأدبيا • وأسميتها أسماءها الجديرة بها ...

يجدر بنا أن نمر على هذه الأقاصيص • لنصل ما بينها من وحدات • في فكرة واحدة • أو موحدة وفي تسلسل منطقي محكم • لا عوج فيه • ولا انحراف !

■■ ■■

على أنني في رسالتي الأخرى " نظام المجموعات في القصص القرآني " التي بلغت ستة أجزاء • قد أخذت فيها الفاتحة فيها شمول وإحاطة • أو فيها ما يشبه الشمول والاحاطة • من التحليل • والتمثيل • والتعليل • وبين التطبيق الموازن الفريد !

ولعلنا نلتقي مع بعض النقاط هناك ثم لعلنا ننفرد ببعض الأفكار • والأهداف هنا ..!

■ ■ ■

ـ ١ ـ

في سورة " أبي لهب " بيان العقبة ، وسببها ! فأبو لهب تبت يداه ، وتب !
وليه من كونه نسيب ، ونسيب !
انه يصلى نارا ذات لهب ... !

■ ■ ■

ثم هاك هي قرابته ، وحالة !
هذه القرابة التي كان من الممكن أن تصبح سببا لايمانه ، وهدايته ـ كانت سببا لكفره ، وعقابه !
فلعله كان يتطلع الى النبوة ، أو الرسالة ، لنفسه ، أو لاحد بنيه ، بدلا من ابن أخيه ، ذلك اليتيم !
وامرأته هذت من القاعدة ، فصلت حطب التعس ، وأهواك الهلاك ، وحبال الأذى !
ومن هنا سيحاط عنقها بحبل من مسد
وكأنها ستخنق يوم القيامة !

■ ■ ■

اذن فهذه الأقنومة التي احتوت عليها السورة تومئ الى بعض العقبات التي صادفت الدعوة الاسلامية ، في أول سيرها ، كما اصطدمت بصاحب الدعوة ، في بداية تعليمه لها .
ثم هي عملة من الاقانيم التهديدية ، والتجسيدية والموسيقية ، والتنسيقية ، والرمزية .
وقد استخدم فيها الرمز ، بالنار ، وبالحطب ، وبالحبل من المسد ، الذي يطوق جيد امرأة أبي لهب !

■ ■ ■

وكما رأينا في قصص ، وأقانيم الفترة التمهيدية التي سبقت هذه المرحلة الاولى من مراحل تاريخ الدعوة الاسلامية ـ نجد أن العقبات مستمرة ، والعقبات من أجلها ـ مستمرة !

■ ■ ■

في لمحة (الذي ينهى عبدا اذا صلى) في سورة العلق :
(لئن لم ينته لنسفعا بالناصية
ناصية ، كاذبة ، خاطئة)

■ ■ ■

وهو ـ وان دعا ناديه ، فالله ـ سيدعو الزبانية
فالعقبة ـ هنا ـ تناسب النهي عن الصلاة ، ومن عبادة الله .

■ ■ ■

والوليد : سنسمه على الخرطوم ـ سنصلون سقر كما رأينا في سورتي : القلم ، والمدثر

■ ■ ■

وأبو لهب : (سيصلى نارا ذات لهب !)
وامرأته : (في جيدها حبل من مسد !)
وقوة أبي لهب ـ كما قلت ـ لها من كيده نصيب !
كما أن عقيدة امرأته ، تناسب تكوينها الانثوي فبدل أن تضع في عنقها عقدا من ذهب ! ستلتف حولها حبل من مسد !

* * *

يدور هذا في باب تناسق الاسلوب ، وفي الاسلوب النفسي ، والحسي ، والتصوري !

ـ ب ـ

واذا عدنا قصة الدعوة الاسلامية ، أقصوصة ذات مراحل ثلاثة ، اذ هي تمثل مستقبل الدعوة ، وماضيها ، وتكاليفها
مستقبلها (ما ودعك ربك ، وما قلى !
وللآخرة خير لك من الاولى !
ولسوف يعطيك ربك ، فترضى .. !)

* * *

ماضيها (ألم يجدك يتيما ، فآوى !
ووجدك ضالا ، فهدى !
ووجدك عائلا ، فأغنى !)

* * *

تكاليفها (فأما اليتيم فلا تقهر !
وأما السائل فلا تنهر !
وأما بنعمة ربك ، فحدث !

* * *

وهي ـ كما قلت ـ ثلاثية التوزيع ، ما عدا القسم المهد له ، فانه ثنائي ـ للتفرقة بين التمهيد ، وبين المقصد له !
تدور في القصص التوزيعي ، والواقعي : المعاصر ، والغيبي ، وفي القصص الجمالي ، والموسيقي !

* * *

وهي كما ترى ـ قصة ، قبل أن تكون أقصوصة ! وقد ذكرتها ـ هنا ـ مراعاة لتسلسل الفكرة المنطقية ، والتاريخية ، للدعوة الاسلامية ـ وكان الاولى ان تذكر في الباب الثاني ؟
" من القصص القصير في القرآن "
وهي قصة تعتمد على موجات متعددة ! وكل موجة لها مضمونها ، وحقيقتها ! ولها ابعادها ، ومستواها ! ثم لها بناؤها ، ومغزاها !

* * *

وهي قصة فكرة ، لانها قصة الدعوة !
ثم هي قصة شخصية ، لانها قصة صاحب الدعـــوة !
ثم هي قصة سياسية ، لانها قصة توزعيـــة !
ثم هي قصة جمالية ، لتضافر كل عناصر الجمال البياني ، والمعنـــوي ، والهندسي ، والنظمي فيها : من وضوح ، وقوة ، وايحاء ، ومن تنويـع ، وتفريع ، وتوقيع .
ومن نظم لمراحل الزمان ، في المستقبل القريب والبعيد ، وفي الماضـــي المنيف ، الرغيد ، ثم في الحاضر ، الزهر السعيد .

* * *

— ج —

وكأن سورة " الشرح " التي نزلت بعد سورة الضحى وضعت في المصحـــف بعدها — مكملة لتلك النعم التي ذكرت من قبل ممتنة لها بنعم ثلاثة :
شرح الصدر ، ووضع الوزر ، ورفع الذكـــر
فهي كما أشرت — تقرير لتكريم الله رسوله .
ثم هي تثبيت لقلب الرسول عليه السلام .
(فان مع العسر يسرا — ان مع العسر يســـرا)

* * *

وفيها تكليف بالتعب في العبادة .
والرغبة فيما عند الله سبحانـــه .

* * *

— د —

ثم في سورة " العاديات " نجد نوعا من الاقاصيص في صور قصـــة الخيل فالتي تغير ! أو أقصوصة الاغارات بالخيل .
والاولى قصة شخصية : قصة الخيل المغيرة !
والثانية قصة حادثة — قصة اغارة الخيـــل !
(والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا ، فأثـــرن به نقعا فوسطن به جمعا)

* * *

وهي من الاقسام الاقصوصة — ثم هي من الاقاصيص الحركية ، والصوتيـــة ، والموسيقية .

* * *

فالاقصوصة تصور للخيل ، حينما تعدو ، وهي تضبح ضبحا ، وحينمـــا تقدح الارض بحوافرها قدحا ، ثم عندما تغير بفرسانها على البلاد والعبـاد — صبحا — وحينئذ تثير نقعا ، وتتوسط في الحرب جمعا .
فهي — بهذا التصوير — من القصص الملحمي ، الحربي ، العنيف !

* * *

— هـ —

وإلى جانب هذه الأصوة البلاغية : أصوة انسانية ، نفسية ، تحليلية ـ هي أصوة : " الانسان الكنود ، الحب للمال "
وبهذه الأصوة بطلها المستقل ، وموقفها الخاص ، وبمزاجها المتفرد وأسلوبها المختلف ، عن أسلوب أصوة " الفيل " في أول السورة .
وهي ـ لهذا ـ تدرس في الأقاصيص النفسية ، التحليلية الفنية ، المعقدة كما تدرس في الأساليب الموسيقية ، والرقمية .

* * *

— و —

وسورة العصر ـ امتداد لتكريم الله رسوله ، اذ أعطاه الكوثر ، وأمره أن يصلي وينحر ، وطمأنه أن مبغضه هو المقطوع الأبتر !
ومما ينبغي تسجيله أن كثيراً من السور التي تتضمن التكريم تتضمن الجزاء ، والمسئولية ، معاً .
كما رأينا في سورة الضحى ، وسورة الشرح ثم في سورة العصر .
اذ أن كل حق يقابله واجب
وهذه السور ـ بهذا المعنى ـ من القصص التشريعي .

* * *

— ز —

ومن الأقاصيص ما يكون في شوط حكاية تساق فقط لما يجيء بعدها من قضية أو وجهة .
كما نرى في سورة التكاثر :
(ألهاكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر !)
فهذه أصوة ، أو حكاية ، في آيتين اثنتين قصيرتين ـ تبين خلقة جاهلية وهي تدعو الى السمو بالعاطفة ، والى اعلاء القيم .

* * *

— ح —

وفي سورة الماعون
أصوة تكريم اليتيم ـ أو أصوة (الذي يكذب بالدين) .

* * *

فهذا لمسة اجتماعية ، لاحترام الايتام والحض على اطعام المساكين من آية ـ ١ : ٣ ـ من سورة الماعون .

* * *

مما يجدر التنبيه اليه ، أن الأقاصيص اخذت لها سمتاً اجتماعياً ، وطابعاً انسانياً ، واشتراكياً ، وملمحاً من البيئة العربية ، وشواهد للأدب العربي .

* * *

وذلك كالحديث حول التفاخر ، والتكاثر مما يذكرنا بالمنافرات ، والمفاخرات والمحاورات التي تنسب للأدب الجاهلي .
وكالحديث حول الصدقة والانفاق ، والماعون وما اليه .

* * *

وليس هذا في سورة الضحى ، والماعون فحسب بل نجده في السور التي سبقت سورة الضحى — والتي تركنا ذكرها لعدم وجود أقاصيص ، اذ هي غالبا من قبيل التلميحات القصصية .

فهذه السور نجد لها طابعا ، اجتماعيا ، وانسانيا ، يدور حول حقوق الانسان ، وحول معاني الاحسان .

■ ■ ■

ففي سورة الاعلى :

(بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى)

آيتا ١٦ ، ١٧ من سورة الاعلى

■ ■ ■

وفي سورة الليل ، مقارنة أو موازنة ، بين الكرام والبخلاء ، ثم بين الاتقياء والاشقياء :

(فأما من أعطى ، واتقى ، وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ..

وأما من بخل ، واستغنى ، وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)

■ ■ ■

(فأنذرتكم نارا تلظى .. لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى ، وسيجنبها الاتقى ، الذي يؤتي ماله يتزكى)

■ ■ ■

وفي سورة الفجر ، التي نزلت بعد الليل :

(فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه ، فأكرمه ونعمه فيقول : ربي اكرمون .

وأما اذا ما ابتلاه ، فقدر عليه رزقه فيقول : ربي ، أهانين)

(كلا .. بل لا تكرمون اليتيم

ولا تحاضون على طعام المسكين

وتأكلون التراث أكلا لما

وتحبون المال حبا جما)

الآيات من رقم (١٥) الى (٢٠) من سورة الفجر .

■ ■ ■

وفي سورة الضحى ، رأينا هذه التكاليف :

(فأما اليتيم فلا تقهر

وأما السائل فلا تنهر

وأما بنعمة ربك فحدث)

■ ■ ■

وفي سورة العصر ، التي تلت الشرح ، حض على التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر .

■ ■ ■

وفي سورة الماعون — كما رأينا — تنديد بالذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين .

■ ■ ■

من ثم قررت أن الاقاصيص القرآنية ، قد اتخذت لها سمتا اجتماعيا ، وطابعا انسانيا ، وملمحا من البيئة العربية ، ثم معالم من الخلائق الاسلامية .

■ ■ ■

ثم اذا نظرنا في بعض السور التي أشرت اليها في هذا الباب ، من أقاصيص القرآن نجد أن آياتٍ منها قلائل ، هي التي عهدنا في هذا الباب :
فمثلا : أقصوصة الذبح ، أو الملائكة ، في أول سورة المرسلات ، قد اتخذت هيئة قسم ، في سبع آيات ، من آية (١) الى (٧) من سورة المرسلات

■ ■ ■

ونجد ما بين آية ١٢ ، ١٤ من سورة ق ، من أقاصيص التلميحات ـ فهي أقصوصة التكذيب ، وجزاءه .

■ ■ ■

ثم في " سورة الاسراء " نرى الآية الأولى منها " أقصوصة الإسراء " ـ وهي أقصوصة قبل أن تكون قصة ـ وهي من أقاصيص الرحلات .

■ ■ ■

ثم تأتي سورة البقرة ، لنرى فيها : أقصوصة إمامة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقع في آية رقم (١٢٤) من سورة البقرة ، وهي :
(وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ، فأتمهن
قال : اني جاعلك للناس إماما
قال : ومن ذريتي ؟
قال : لا ينال عهدي الظالمين)

■ ■ ■

وهي ـ كما ترى ـ من الاقاصيص الطوال ، وان وقعت في آية ، اذ أن احداثها تأخذ صورا شتى ، ومواقف متعددة ، تفيد هذا (فأتمهن) أي الكلمات ـ ثم هي أقصوصة ، حوارية ، فكرية ، تشريعية ، تكوينية ـ ومغزاها في ختامها ؟
(لا ينال عهدي الظالمين)

■ ■ ■

تتمة الاقاصيص ، ولمحاتها

لمحة " أصحاب الايكة " في آيتي ٧٨ ، ٧٩ سورة الحجر
ثم قصة " أصحاب الحجر " من آية ٨٠ ـ ٨٤ الحجر

■ ■ ■

" خلق الانسان والجان " آيتا ٢٦ ، ٢٧ ـ الحجر
وهما مدخل لقصة ابليس ، في القصص الطويل

■ ■ ■

لمحات " الانبياء والمرسلين " في سورة الانعام من آية ٨٤ ـ ٩٠ سورة الانعام

■ ■ ■

وهي تلمح بشخصيات الانبياء ، والمرسلين ، وبعد ذكر ابراهيم عليه السلام في قصة مستقلة من آية ٧٤ ـ ٨٣ ـ الانعام .

■ ■ ■

١٩

وهؤلاء الانبياء والمرسلون فى هذه التلميحات بالاشخاص :
اسحق ، ويعقوب ، ونوح ، وداود ، وسليمان ، وأيوب ، ويوسف ، وموسى ، وهارون وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، والياس ، واسماعيل ، واليسع ، ويونس ولوط ـ عليهم السلام .
وهؤلاء هم الذين مسح بأسمائهم ، ثم أشير عن طريق التلميح الى من تناسلوا من آبائهم ، وذرياتهم ، واخوانهم .
وهؤلاء أولئك آتاهم الله الكتاب ، والحكم ، والنبوة
وهم (أولئك الذين هدى الله)
وهم لذلك محل قدوة (فبهداهم اقتده)

* * *

تدرس هذه اللمحات فى قصص الانبياء والمرسلين وفى القصص التاريخى .

* * *

قصة داود ـ فى سورة سبأ

قصة ابراهيم ـ فى سورة الزخرف

فى سورة الذاريات : أقاصيص الذاريات :
قصة موسى ـ ٣٨ ـ ٤٠ ـ سورة الذاريات
قصة عاد ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ " "
قصة ثمود ـ ٤٣ ، ٤٥ ـ " "

قصة " الشيطان " آية (٢٢) ابراهيم

* * *

وهى من أقاصيص النماذج ـ يوازن بينها وبين قصة الشيطان ـ فى سورة الاعراف كما يفرق بينها بالموازنة ، وبين قصص ابليس ، فى مختلف السور .

قصة موسى مع بنى اسرائيل من آية ٢٣ ـ ٢٥ سورة السجدة .

قصة الزلزلة ـ وتعد قصة من آية ١٧ الى آية ٢٨ = سورة الطور

* * *

لمحة او قصة " ثمود ، وعاد "
بسورة الحاقة
قصة او قصة " العذاب الواقع "
بسورة المعارج
قصة يوم الفصل ـ بسورة النبأ ـ من القصص الطويل ـ من آية ١٧ ـ ٤٠ آخر السورة
قصة نوح ، وابراهيم ، وموسى ، عليهم السلام رقم ٢٦ ، ٢٧ من سورة الحديد
وهى من قبيل التلميحات .
قصة " انزال الحديد " آية (٢٥) سورة الحديد

* * *

الفصل الخامس

(٢)

من القصص القصير في القرآن

على أن كثيرا من القصص ، واللمحات السابقة ، في الفصل الأول من هذا الباب ، مما نظنه في سلك " الاقاصيص " يعد من قبيل القصص القصير

وبحسبنا هذا على أن نرجع الى تلك الاقاصيص لننظر فيها نظرة أعمل ، وان لم تكن النظرة النهائية أو الدقيقة بالمعنى العلمي ، أو الدراسي القويم .

فالكتاب يشير - كما قلت - كثيرا من الموضوعات ، التي تشغل عشرات البحوث والرسائل ، ويفتح للباحثين ، والدارسين ابوابا عديدة من المناهج والدراسات في أنواع القصة القرآنية ، من جميع جهاتها ، أو من أهم مناحيها .

أما رسائل الاخرى ، التي ألفتها حول القصص القرآني خاصة ، وحول الدراسات القرآنية بصورة عامة ، فهي تتسم بالتحليل والتعليل ، وتتصف بالشرح والتمثيل ، وتكتمل بالتبويب والترتيب ، ويوصل الفكرة بالفكرة ، وينظم الرأي بالرأي ، ويربط القصة بالقصة ، بل السورة بالسورة ، مما أشرت اليه ، وأشدت به !

* * *

فهذا الفصل " من القصص القصير في القرآن " متمم للفصل السابق " من أقاصيص القرآن " ، ومن هنا جاء تكملة له ، أو تفصيلا مسرحا له ، أو تحقيقا - الى حد - لما يحتويه ذلك الفصل من تعميم ، ومن إسراع ، في سرد الأنواع .

* * *

وسنأخذ من تلك الأقاصيص ما يمكن جعله من القصص القصير في القرآن .

وهذا الفصل " من القصص القصير " يدرس في ((القصص الجمالي في القرآن)) ، وفي ((القصص التصويري)) كما يدرس في كل من ((القصص الجدلي في القرآن)) والقصص الموسيقي فيه .

* * *

وسأبدأ بقصة المعراج في سورة النجم ، ثم بقصة العتاب ، في سورة عبس ، فقصة تاريخ نزول القرآن ، في سورة القدر ، فقصة تكذيب ثمود ، واعتدائها ، وعقوبتها في سورة الشمس . ثم بقصة الظاهرة الدينية في سورة « الكافرون » والمعوذتين ، والاخلاص ، ثم بقصة " اصحاب الاخدود " في سورة « البروج » ، ثم بقصة " القارعة " في سورة « القارعة » ، وتوعد الهمزة ، والحطمة ، في سورة « الهمزة » وقصة " احزان الانسان " في سورة « البلد » وقصة خلق الانسان " في سورة « الطارق » ثم لمحة " بني اسرائيل " في سورة « الاسراء »

* * *

ومن هذا نتم بقصص قصير جديد ، لم نره من قبل في سور الفصل الاول ، التي مضت .
من ذلك : قصة ابليس ، في سورة « الاسراء » وقصة نبأ نوح في سورة « يونس » وهكذا

* * *

على أنني — في هذه النظرة الثانية — بعد تلك النظرة الاولى — حاولت وصل القصص القصير بعضه ببعض ، في وحدات منطقية ، وتصنيفية ، لا بأس بها ، مما يجعل — من الافضل تدوينها في هذا الكتاب الذي أعددته للدارسين المحققين والباحثين الدقيقين !

فقد عمدت الا أقول فيه الكلمة الفاصلة ، كما قلتها في كتبي الاولى ، ورسائلي الكبرى ، التي توجت بها ، لادع الحرية لكل باحث ودارس ، ولعلا أقرهم قرا ، على رأي لعل غيره أفضل منه !

ثم لعلا أقربهم بطريق مباشر ، أو غير مباشر ! .. فالرأي اذا تسرب الى العقل ، والوجدان ، تكيف به ، وتحكم فيه ! وعسيات أن يزيلك ، أو يبهم عنه ! حتى ولو كان هذا الرأي فكرة فجة ، ووجهة نظر غير سوية !

ولعلي في رسالتي التي تناقش هذا الكتاب ، وتحلله ، وتطبقه — آتي بالرأي الاصيل والفكرة الحرة ، والنظرة الصادقة ، والنظرية الصائبة المبتكرة !

* * *

بعد هذه المقدمة يجدر بي أن آتي بما عزمت به ، من قصص قصير في القرآن .
يكون فصلا ثانيا ، متمما للفصل الاول ، من أقاصيص القرآن .
ويكون هذا الفصل ، وذاك — بمثابة الدليل للباحثين في القصص القرآني ..
وكذلك سائر فصول هذا الكتاب .

* * *

( )

من القصص القصير في القرآن

(١)

قصة المعراج — من قصص الرحلات

* * * * * *

هذه القصة التي تقع بين آية (١) وآية (١٨) من سورة النجم — دليل على قدرة الله سبحانه وعلى أن القرآن من عند الله ، وعلى أن محمدا رسول الله .

ثم هي تحتوي على توطيد الصلة بين محمد ، وبين ربه .
وفيها توثيق لما يجيء به الرسول .
وبأن ما يجيء به ما هو الا وحي يوحى من عند الله
ثم فيها كشف لخبايا الكون :
« لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

* * *

وفيها دليل حاسم ، أو وجه حاسم ، على قدرة الله التي تجعل النجم يهوي في غمضة عين . كما جعلت الرسول يعرج الى السماء ، ويترقى فيها الى سدرة المنتهى ، حيث

يوحى اليه ما يوحى ، ثم ينزل من السماء إلى الأرض ، في الليلة نفسها ، ليحمل للناس هذا النبأ العجيب .

وهذه الرحلة السابعة ، التي لم تؤلف من قبل .

وهنا سر القسم بالنجم اذا هوى ، يسر للربط بينه وبين معراج الرسول في السماء وهو نجم الهداية .

■ ■ ■

ولعل هذه الرحلة كانت سببا في فكرة غزو الفضاء في قرننا الرابع عشر الهجري أو في قرننا العشرين الميلادي .

■ ■ ■

وهي — بهذه المعاني — من القصص العلمي ، الكشفي ، الغيبي ، الواقعي ، التأملي ، الوصفي ، التصويري ، الموسيقي .

■ ■ ■

ثم هذه المعاني تذكر — كذلك — في أهداف القصص القرآني ، التي هي — في الحقيقة — فلسفة القصص القرآني .

■ ■ ■

(٢)

قصة من عبس وتولى — من القصص النفسي

■ ■ ■ ■ ×■ ■ ■ ■

وقصة من عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، فعبس في وجهه ، وتولى عنه ، وأقبل على أصحاب النفوس الخيرة ، الحساسة ، الرقيقة ، الخفيفة !

ثم عاتبه ربه — كما أحس — على ترك خطاب الرسول ، وترك مواجهته !

فهو خطاب على رءوس الأشهاد ، وأمام كل العباد !.. ثم العلة في العبوسة ، والتولي ، وهو مجرد الأعمى — فيها قسوة على النفس الحساسة ، الخيرة ، المؤمنة ، المسئولة ، عن كل تصرف من تصرفاتها ، أو كل انفعال من انفعالاتها !

وتبدو فلسفة العتاب في سائر القصة ؟

(وما يدريك لعله يزكى
أو يذكر ، فتنفعه الذكرى ؟ !)

وتختم العتاب بهذه النظرة وبهذه الموازنة :

(أما من استغنى ، فأنت له تصدى
وما عليك ألا يزكى ..
(وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى
فأنت عنه تلهى !)

ثم يظهر المنزي ، وفلسفة القصة :

(كلا .. ! إنها تذكرة !)

من آية (١) إلى آية (١١) سورة عبس .

■ ■ ■

فيها — كما قلت في موضع آخر — تقدير لصاحب البدأ ، وطالب العلم ، وتنبيه بشأن أصحاب البادئ الجليلة ، والمقاصد السامية ، أيا كانوا :

عربا أم غير عرب ، فقراء أم أغنياء .

* * *

فالمهم هو همة النية ، من جاء يسعى وهو يخشى (والمهم هو حسن الاستعداد :

(وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر ، فتنفعه الذكرى ؟)

* * *

ثم نبه قضاء على الطبيعة ، ولفت نظر الى الاهتمام بالجوهر ، دون المظهر .

وكل هذه الافكار والفلسفات ، تذكر وتسجل في أهداف القصص القرآني وفي فلسفاته .

* * *

(٣)

قصة تاريخ نزول القرآن في سورة القدر

* * *

في سورة القدر قصة تاريخ نزول القرآن ، وفيها سر النزول الى السماء الاولى دفعة واحدة ، كما انها تتضمن نزول القرآن بعد ذلك منجما ، في دفعات مختلفات في الارض ، وفق منهاج الفكرة الاسلامية ، وطبق نشأة الدعوة الاسلامية ، وسيرها ، وصيرورتها ، في ثلاثة وعشرين عاما ، أو الى آخر هذا الزمان .

وفي نزول القرآن دفعة واحدة الى السماء في ليلة القدر — اعجاز الهي ، غيبي ، وبيان بأن القرآن — من عند الله — بيان قديم وان كانت آياته تنزل حسب الحادثات وطبق الوقائع .

ثم في هذه السورة — الى جانب ذلك — تنويه الناس لليلة القدر ، وتنويه القرآن بليلة القرآن ، التي هي خير من ألف شهر .

(تنزل الملائكة ، والروح فيها ، باذن ربهم من كل امر ، سلام هي ، حتى مطلع الفجر) .

* * *

فهي قصة " تاريخ نزول القرآن " ثم هي قصة " ليلة القدر "

* * *

تدرس في أبواب القصص التاريخي ، والتشريعي ، والتأملي ، والاخباري ، والمثالي والتصويري ، والغيبي ، والواقعي .

* * *

على أن هذه الدراس — كلها — تدرس وتوضع في " أهداف القصص القرآني وفي فلسفاته "

* * *

(٤)

قصة ثمود ، وناقة صالح

* * *

تدرس هذه القصة ، في :

قصص الأحداث ، الأشخاص ، وفي القصص الحواري ، والتصويري .

وهي من آية (١١) إلى آية (١٥) من سورة الشمس

* * *

(٥)

سورة " الكافرون " قصة الظاهرة الدينية الرائعة

* * * *

وهي من أدب الظاهرات ، ومن القصص التلقيني ، الجدلي ، المنطقي ، الفلسفي ، الحكيم .

وليس فيها تكرار كما يتوهم ، انما كل كلمة فيها لها فيها مفيد !

وما هو جدير بالذكر أن الله يطمئن رسوله بشتى الوسائل ، حتى يمضي فيما هو فيه ، قوي الايمان ، ثابت الوجه ان ، يطمئنه تارة بتلقينه تلك الظاهرة أو المناظرة الدينية ، الصادقة ، الرائعة ، التي تدل على الاسرار القوى ، الفهم ، وعلى الثبات على دين الاسلام ، وصراطه المستقيم :

(لكم دينكم ولي ديـــن)

* * *

(٦)

ثم هو يطمئنه بأن الله قوي ، قادر ، يحمي دينه فكما حمى نبيه من أصحاب الفيل .

فلا مجال للخوف ، ولا داعي إلى وجهة

وهذا في سورة الفيل

* * *

ـ ٧ ، ٨ ـ

ثم يحوطه بمعوذتين تحفظانه من السحر ، والحسد ، وشرور الجنة والناس ، ووساوس الشياطين وهي في المعوذتين .

* * *

ـ ٩ ـ

ثم يلقنه بداية التوحيد ، الخالص ، وأسس العقيدة السليمة ، في سورة الاخلاص .

حتى اذا هيأ نفسه للترقي الروحي ، صعد به في رحلة علوية ، وفي بعثة علوية الى السموات العلى ، حيث أوحى الله اليه ما أوحى ، وحيث رأى من آيات ربه الكبرى ـ كل هذا مورد سورة النجم .

* * **

ثم يهبط الى الارض ، ليندمج في الناس ، ويأتي اليه أعمى ، فلا يلتفت اليه ، مشغولا عنه بدعوة قومه ، ليعاتبه الله ، ويبين له أسرار العتاب ، في سورة عبس .

* * *

ثم يبين له وللقوم : أن القرآن قديم ، وأنه قد نزل دفعة الى السماء الاولى ثم هو ينزل منجما وفق الظروف والاحوال .

وهذا أكبر دليل على أنه من عند الله ، الخبير ، البصير ، علام الغيوب ، الذي يقدر كل ما كان ، وما هو كائن ، وما يكون ، وذلك في سورة القدر .

وأني لم أعط هذه السور الثلاثة : النجم ، وعبس ، والقدر ـ أرقاما ـ لانها ذكرت من قبل .

وقد ذكرتها في هذا العرض ، وصلا للفكرة ، وتتمة لها .. !

وبعد ذلك ! .. لنمض فيما نحن فيه ، من عرض وسرد .

* * *

(١٠)

بعد أن تعنت الكفار يشتد ، ويحتد ، وإيذاءهم يقوى ، ويمتد — فيذكرهم الله بنعمه عليهم ، ويبصرهم بأكوان المحيطة بهم ، ويبين لهم هذه النعم ، في هذه الأكوان ، بطريق غير مباشر ، إذ يقسم لهم : بالشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها يذكرهم بهذه الحياة ، وما فيها من مباهج ، وعلمهم جديرة بأن تحب ، ويحافظ عليها .

فيسوق لهم عاقبة التكذيب ، وواجبهم على ضوء ، بأن عقبة الاستقبال والإيمان ، — إذا حلت بهم — فإن ينجو من شرها أحد .

ومن هنا كان هذا النظم البديع ، في قصة ثمود ، بسورة الشمس :

(فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ، فسواها
ولا يخاف عقباها)

■ ■ ■

وإذا سيقت قصة تكذيب " ثمود " لكفار مكة ، كي يتزجروا ، ويعودوا إلى صوابهم ويقلعوا عن غيهم .

فإن القرآن يسوق — بعد هذا — قصة أخرى للمؤمنين تبين لهم نمطا للاضطهاد الديني ، ومقاومته مقاومة إيجابية ! .. حتى يصبروا ، ويحتسبوا ، ويعرفوا أن ما أصابهم من استشهاد ، ليس بدعة ، وليس فريدا

وهذه القصة — هي :

(١١)

قصة أصحاب الأخدود

من آية (٤) إلى آية (١١) سورة البروج
والتعقيب عليها من آية (١٢) إلى (١٦) — البروج
أي أن السورة كلها تدور .

■ ■ ■

قصة أصحاب الأخدود — في سورة البروج — قصة صراع بين الإيمان والكفر ، وبين التمسك بمبادئ الحق والتوحيد ، وبين الاضطهاد بالعنف المتسلط !

ثم هي تصور لمقاومة المؤمنين قديما ، لهذا الاضطهاد مقاومة إيجابية ، فدائية ، بطولية !

وهذا الاضطهاد — تمهيد للجهاد ، والاستشهاد في سبيل الله .

وهذه الأفكار ، وتلك الأسرار ، مما تضمنتها قصة " أصحاب الأخدود " تدخل في باب :

" الأهداف القصصية ، في القصة القرآنية "

■ ■ ■

وتدرس القصة في قصص الصراع ، والدعوات ، والبيئات ، والأحداث ، والفلسفات والأفكار — وهي أدب من آداب المقاومة ولون من ألوان الصراع .

■ ■ ■

(١٢)

ثم تأتي ـ بعد ذلك ـ لمحات بين القصص والاقاصيص وإشارات تذكر اليوم الآخر وما فيه من أهوال وأوجال ، وما فيه من عدالة لا اختلال فيها ولا اختلال هي لمحة « القارعة » في سورة القارعة .

وهي من اللمحات القصصية التي تعتمد ـ كما أسلفت ـ على الصور القوي والتوقيع العنيف ، وعلى المركبين : البطيئة والسريعة ، وعلى التجسيم والتجسيد .

تدرس في باب خصائص الأسلوب التوقيعي ، والتوقيعي ، والتنهيمي ، والتفريعي .

* * *

(١٣)

أما الهمزة اللمزة ، الذي جمع مالا وعدده فيحسب أن ماله أخلده !

فهو نموذج لانسان معقد ، أعطي مالا كثيرا ، وجاها ريفيا وحضريا ، ثم أعطي معه حرصا جبليا وطبيعة فقيرا ـ وهو ـ مع غناه عن الناس ، ومع حاجة الناس اليه ـ يكرههم ، ويلمزهم ، ويعيبهم ، ويأكل أعراضهم ـ فلا هم انتصفوا منه ولا هم سلموا من لسانه !

وهذه الشخصية المعقدة ، جديرة بأن تحلل على ضوء علم النفس التحليلي وعلى أضواء من علم الاجتماع ، وعلم الاقتصاد ، وعلى تجارب الواقع المعاصر .. !

بشخصية ـ كهذه ـ تجمعت فيها غرائز الجمع ، والعد ، وحب الخلود ـ كما تمثلت فيها نزعات الاغترار والايذاء ، وشهوات التشفي والانتقام !

* * *

(١٤)

وإلى جانب نموذج هذا الهمزة ، اللمزة ، الذي جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده .

تأتي قصة الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ؟

(نار الله الموقدة ، التي تطلع على الافئدة
انها عليهم مؤصدة ، في عمد ممدة)

* * *

فهي قصة نارية ، منتقمة لهؤلاء المعذبين ، المفتونين ، المحرومين ! ـ وهي نار محللة للنفوس ، مطلعة على خفايا القلوب ـ ثم هي لهؤلاء الجبارين اللاهين ، ـ الجاهين ، العابدين ، المفترين ، سجن لهم ، يكتم أنفاسهم ، ويحبس وثائبهم يسمعون فيه ما يكرهون ، وهم مصفدون في عمدها الممدة !..

والقصتان تلتقيان ، في تأثيم النفوس في الأولى ، وفي تعقيد العذاب في الأخرى !

تدرس قصة الحطمة ، في القصص التهديدي ، والنفسي والحسي ، والتصويري والتفريري ، والفجائي ، والاهابي ، والموسيقي .

* * *

(١٥)

وفي سورة البلد ـ قصة « الانسان في كبد » ـ أو قصة الانسان بين الواقع والمثال أو قصة مسئولية الانسانية ـ وفي السورة تنهيد بالقسم ، وتسجيل لاحزان الانسان ، وضرره ، وادعائه ، وافتخاراته ، وعلاج أزماته ، وتهايته !

وهي تصور صراع الانسان مع أخيه والشيطان !
وهي ـ لهذا ـ تتصل بقصة الذي جمع مالا وعدده ، في سورة الهمزة !
وقد عرفنا أن هذه القصة ـ تدور على الواقع النفسي للانسان في كل زمان وعلى الواقع الاجتماعي والاقتراني ، والانساني .

وهي ـ مع كونها قصة الانسان المسئول المهيم ـ قصة الانسان في صراعه بين الواقع والمثال .

* * *

ـ ١٦ ـ

أما قصة " خلق الانسان " في سورة الطارق ، فهي كما حللتها في رسالتي ـ علم النفس القرآني ـ قصة من القصص العلمي ، الطبي ، التشريحي .
وهي متصلة بأول السورة ، وآخرها ـ وهي ـ لذلك من القصص العلمي ، والتشريحي ، والتوجيهي .

.....

وإذا فرغنا من هذه القصص التي تتصل بالفصل الأول من أخاصيص القرآن ، والتي تضمنها في هذا الفصل الثاني ، من القصص القصير ـ في القرآن .
يجدر بي أن أتمم ـ بإيجاز واختصار ـ ما بقي من قصص قصار !

* * *

ـ ٤٧ ـ

في سورة الإسراء " قصة بني إسرائيل " ، وهي من آية (٢) الى آية (٨) ـ مع التمهيد بآيتي (٢ ، ٣) سورة الاسراء . وهي أي قصة بني إسرائيل قصة تأريخية ، فهي تحتاج الى تحقيق تأريخي ، وتحليل صادق أكيد .

* * *

وفي سورة الاسراء ـ كذلك : " قصة إبليس " ـ وهي من آية (٦١) الى آية (٦٥) وهي في قصص الشخصيات ، والنفسيات ، والأجناس .

* * *

ـ ١٩ ـ

ثم في سورة الاسراء ، مع هذا ، وقبل هذا " قصة الإسراء "
وهي في الآية الأولى من سورة الاسراء وهي من قصص الهيئات ، والرحلات ، والاحداث ومن قبيل المكانيات . وهذه القصة تتصل بقصة المعراج ، وتمهد لها ولكنها تستقل من قصة المعراج ، في " البناء " والتصميم !
كما أن قصة المعراج ، تشارك فيها في التصوير ، والتنغيم !
وسياق السورتين لها دخل في ذلك كله !

وهذه القصص مجال للموازنة بينها في كل النواحي

وفي سورة "يونس" قصة نبأ نوح – من آية (٧١) الى آية (٧٣) سورة يونس تدرس في باب الاسلوب الحواري – وهي من قصص الدعوات • ترتبط بقضايا الدعوة الاسلامية •

* * *

وفي سورة "يونس" فوق ما ذكرنا :–

أ – نبأ نوح ب – بعثة موسى وهارون حـ – قوم يونس

ونبأ نوح يقع بين آية (٧١) وآية (٧٣) سورة يونس – بينما نجد "بعثة موسى وهارون" تقع بين آية (٧٥) وآية (٩٢) من سورة يونس •

وهي – لذلك – من القصص الطويل • أقرب – به أمثل • منها الى القصص القصير فهي قصة طويلة • بالنظر الى الكم • والكيف • أو بالنظر الى العقل والمضمون • ثم تاتي آيات التعقيب الاربعة • من آية (٩٤) الى آية (٩٧) سورة يونس •

* * *

واذا كانت بعثة موسى وهارون "قصة طويلة • أو رواية متوسطة الطول ..." فان "قوم يونس" لمحة قصصية • نموذجية أو سورة • تتصل بآيات التعقيب الاربعة قبلها • كما تتصل بآيات التعليق القصة • بعدها •

– – – – –

واذن نبأ نوح • قصة قصيرة • وبعثة موسى وهارون قصة طويلة • أو رواية متوسطة الطول ثم قوم يونس – لمحة قصصية نموذجية •

* * *

– ٢١ –

وفي سورة البقرة : قصة بناء البيت" من آية (١٢٥) الى آية (١٢٩) سورة البقرة والتعليق من (١٣٠) الى (١٣٨) من سورة البقرة •

* * *

وهي من القصص الحواري – ومن قصص المناجاة • والدعاء – ثم هي من القصص العقيدي – التوحيدي •

واذن في سورة الاسراء – كما رأينا – أ – قصة بني اسرائيل

ب – قصة الاسراء – وتسلمها القصيرة • جـ – قصة ابليس – وتسلمها نموذج •

* * *

– ٢٢ –

وفي سورة الحجر : "أ" قصة ابليس من آية (٢٨) الى آية (٤٤)

وهي من القصص الحواري • الذي يصلح أن يكون مسرحية ثم هي من القصص الموسيقي • والقصة جديرة بأن تقارن بقصة ابليس • في سورة ص • وبقصة ابليس في سورة الاعراف • ثم بقصة ابليس هنا في الحجر • وهناك في الذاريات •

وذلك لتسجيل الفروق الدقيقة ، بين كل قصة في سورة ، ثم لبيان مدى موافقة كل قصة لسورتها التي اقتضت لها . وقد درس هذه القصص الأربعة ، على ضوء علوم البلاغة ، وصنعة معاجم اللغة ، وفق اللغة . ثم بالاستعانة بأسس النقد الأدبي ، القديم والحديث ، وخاصة في فن القصة ، والسرحية .

" ب " قصة خليل إبراهيم من آية (٥١) الى آية (٧٧)
من سورة الحجر

وهي من القصص الطويل ، بحكم : بنائها ، وحجمها ، وفصولها .

وفي سورة الأنعام : " قصة إبراهيم "
من آية (٧٤) الى آية (٨٣) من سورة الأنعام

وهي من القصص التأملي ، الاستنباطي ، وفيه قدوة : " للطريقة السقراطية وسبق عليها . يحقق هذا تاريخيا وفلسفيا ، ومنطقيا ، لمعرفة شخصية ابراهيم وشخصية سقراط ، ومدى الصلة بينهما ، وطريقة محاكمتهما — ثم طريقة فهمهما : هذا بالفعل ، وذلك بالقرار حد ..!

ومن حيث الفلسفة تعرف جوهر الجدل في كل حوار ومن حيث المنطق تبين أهمية الكلية لدى كل .

* * *

على أن في هذه القصة : قصة ابراهيم ، في سورة الأنعام — لمحات الفلك المعرفة والتفكيك للوصول الى الحق والحقيقة . وهي أن القصة — من قصص البينات ، والجدل والجدال ... ! .. وفيها استدلال بمظاهر الكون ، وعناصر الطبيعة ، في الوصول الى الله . وهي درس حي ، حوى ، عجيب ، وعظيم ، يساق للمتأرجحين وعامة الملاحدة ، والزنادقة ، والطبيعيين ، والوجوديين الكافرين .

وفيها درس للعالمين ، ومن العلوم من علم النجوم وهي حجج كونية ، وقرائن للمؤمنين على الكافرين ، منذ كانت الدنيا الى يوم الدين .

وهنا مجال للموازنة بين قصة ابراهيم ، في سورة الانعام وبين قصة ابراهيم — في سائر سور القرآن ، مع مراعاة هذه المعاني الفنية ، في المصطلح الحديث الذي يعني الأقصوصة ، ومعنى القصة : اذ الأقصوصة — كما قيل [1] — " تبنى على موجة واحدة الايقاع ، وبينما تعتمد القصة على سلسلة من الموجات المرتفعة ، تتوالى في مدها وجزرها ، ولكنها جميعا تنتظم في وحدة كبيرة كاملة . "

من الأقاصيص الطويلة

— ٢٤ —

في سورة الكهف : (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم ؟) آية (٧٠) وهي تلمح بالاحداث

---

(١) من كتاب : فن القصة — للدكتور محمد يوسف نجم .

(ب)

(وما كان استغفار ابراهيم لأبيه ، الا عن موعدة وعدها اياه) آية (١١٤) من سورة التوبة . وهي من التلميح بالاشخاص ـ وهذا التلميح موجود في فصل " من التلميحات القصصية " .

من قصص العذاب الواقع " بالعاص " .

* * *

" قصة خلق الانسان " من آية (١٢) الى آية (١٦) سورة المؤمنون .

وهي من القصص العلمي ، المركز ، يتصل بما قبله من آيات السورة ـ وقد درس هذه القصة في : " باب الأسلوب السردي ، والتقرير العلمي "

* * *

قصة نوح عليه السلام

من آية (٢٣) الى آية (٣٠) سورة المؤمنون

وهي من قصص النماذج وبطل الملأ في هذه القصة ـ هم الأبطال والملأ هم السادة والرؤساء ـ فهي ـ على هذا الأساس من قصص النماذج والانواع .

من قصص الأمثال

في سورة النحل

المثل الأول ـ آية (٧٥) المثل الثاني ـ آية (٧٦)

المثل الثالث ـ آية (١١٢)

قصة " موسى وقومه " في سورة ابراهيم ـ من آية (٥) الى آية (١٤) سورة ابراهيم ـ وهي من قصص الدعوة ، وقصص الأنبياء ومن القصص النفسي ، للتثبيت .

قصة " أخا عاد " في سورة الاحقاف وهي من قصص النماذج ، لانطباق الاسم ثم هي دليل على رابطة الأخوة ، وفلسفة الدعوة ، وهي في الأحقاف .

قصة " قوم فرعون " بسورة الدخان ـ من قصص النماذج ، ومن قصص " النكرات "

قصة " سليمان عليه السلام " في سورة سبأ .

ـ أقصوصة " أو قصة " داود عليه السلام " في سورة سبأ

*** ***

من قصص النماذج

(الذين قيل لهم : كفوا أيديكم) آية (٧٧) سورة النساء

" قصة الشيطان " من آية (١١٧) الى (١٢١) سورة النساء .

تدرس ضمن قصص النماذج ، وفي قصص الشخصيات .

قصة " أهل الكتاب " في سورة النساء . من قصص النماذج أيضا ـ وهي من آية

(١٥٣) الى آيـة (١٦٢) مـن سورة النسـاء

من قصص الأمثـــال

" مثل الجنة " في سـورة محمد عليه السلام آية رقم (١٥)

" مثل الجنة " آيـة (٣٥) سـورة الرعـد . وهنا مجال للموازنـة بـين المثلين ، لمعرفة الفروق الدقيقة في كل ، من حيث :

أ ـ اللغـة ب ـ المضمون جـ ـ البنـاء

د ـ الجو النفسي هـ ـ التصـوير

مع مناقشـة المضمون القصصي ، والمحتوى المثلي ، والتمثيليات !

من قصص النمـاذج

" الحواريون والمائدة " في سـورة المائدة آيـة (١١١) مدخل ، وتعريـف بالشخصيات . القصة من آية (١١٢) الى آيـة (١٥٥) سورة المائدة .

::: ::: :::

الفصل الثالث

من التلميحات القصصية في القـرآن

من سورة المجادلة : أقصوصة (الذين نهوا عن النجوى) آية (٨) والتعليـق : أيضا ٩ ، ١٠ ـ من سورة المجادلة .

قصة أو أقصوصة : (الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) من آية (١٤) الى آيـة (١٩) من سورة المجادلة . وهي من القصص النوجيهي ، النفسي ، التحريضي والتعليق من آية (٢٠) الى آخر السورة .

قصة أو أقصوصة : (الذين قيل لهم : كفوا أيديكم) من آية (٧٧) الى آيـة (٨٥) سورة النساء وتمهيدها من آية (٧١) الى آية (٧٦) سورة النساء .

قصة " الشيطان المريـد " من آية (١١٧) الى (١٢٢) من سورة النساء .

قصة " أهل الكتاب " بسورة النساء من آية (١٥٣) الى آية (١٦٢) .

وهي ـ كما عرضنا ـ من قصص النماذج .

ـ قصة ، أو حكايـة : (يسألك أهل الكتاب) بسورة النساء من آية (١٥٣) الى آية (١٦٢) . وهي هي ـ إلا أنها بتصدير الفعل تصلح أن تكون حكاية .

:: :: ::

مجموعة أقاصيص بني إسرائيل

في سورة البقـرة

وهي من أثرى المجموعات .. تحتاج إلى دراسة تفصيلية مستقلة ، لتبين خصائص كل قصة ، أو أقصوصة أو تلميح ، فيها ... !

على أن فيها حكايات صدرت بـ " لقد " — وهي تدرس أيضا في نظام المجموعات ؛ كما أنها وثائق تاريخية مهمة ! ... ووثائق بلاغية في غاية الروعة ! وهي نماذج للايجاز البليغ ! والاسطراد القوي ... !

مجموعة قصص آل عمران في سورة آل عمران

وهي من آية (٣٣) الى آية (٦٣) سورة آل عمران وهذه السورة ، وسورة البقرة من السور المدنية . فهاتان المجموعتان : مجموعة أقاصيص بني اسرائيل في سورة البقرة ، ومجموعة قصص آل عمران يمثلان خصائص القرآن المدني وسمات القصص المدني .

تدرس هذه الخصائص من خلال هاتين المجموعتين ويوازن بين منهج القرآن في المجموعة الأولى ، وبين منهجه في المجموعة الثانية . ثم تسجل الفروق بين القصص المدني وبين القصص المكي .

من سورة الصف

الأنصار الحواريون . آية (١٤) سورة الصف . وهي من أقاصيص الدعوة الاسلامية . ومن التلميحات القصصية آيات التكذيب في آيات ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ سورة الحج . وهي بمثابة التلميح بالاحداث . وتدرس هذه الظاهرة كما تدرس ظاهرة التلميح بالاشخاص — ويوازن بينهما موازنة تامة مع بيان صلة الثانية بقصص الشخصيات والاشخاص .

ذكرى بني اسرائيل في سورة الجاثية

أقصوصة أو لمحة : صلفة عاد ، وثمود . من أقاصيص التلميحات :

(١) آية (٧٠) من سورة التوبة : (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم ؟)

(٢) آية (١١٤) من سورة التوبة : (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه)

وهاتان قد سبق أن ذكرتهما من قبل ثم يدرسان ، كما تدرس الفروق الفنية بين التلميحات القصصية ، وبين أقاصيص التلميحات .

" قوم نوح " آية (٤٦) في سورة الذاريات ولعلهم يصلحون من قبيل النماذج !

مجموعة سورة الحشر من قصص النماذج

مثل :

(١) " إخراج الذين كفروا من ديارهم " آية (٢) سورة الحشر .

(٢) (والذين تبوؤا الدار ، والإيمان) آية (٩) من سورة الحشر .

(٣) (ألم تر الى الذين نافقوا) من آية (١١) الى آية (١٥) سورة الحشر .

من قصص التشريع

سورة الممتحنة : من آية (٤) الى نهاية (٧) سورة الممتحنة أى من قوله سبحانه : (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم) إلى قوله تعالى : (والله غفور رحيم) بالتعليق.

سورة الطلاق ـ يغلب عليها اللون التشريعى وفيها تلميح بالقرى العاتية من آية (٨) الى (١٠) من سورة الطلاق .

فى سورة المجادلة : قصة المجادلة وهى فى الآية الأولى من السورة

ولعلها من قبيل الحكايات . أما التعقيب فهو من آية (٢) الى (٤) تتفرع عنها ، ويتصل بحكم الظهار ، المستمد من حادثتها . وهذا من القصص التشريعى والتمهيدى ، والتعليق .

من قصص النساء

فى سورة المجادلة

قصة (الذين نهوا عن النجوى) آية (٨) . قصة (الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) من آية (١٤) الى آية (١٩) سورة المجادلة .

أى من قوله سبحانه : (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) من آية (١٤) الى آية (١٩) سورة المجادلة .

أى من قوله سبحانه : (ألم تر الى الذين تولوا قوما) آية (١٤) الى قوله سبحانه : (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) آية (١٩) .

والتعليق من آية : (ان الذين يحادون الله) آية (٢٠) إلى آخر السورة

بيد أن صلة ما بين السورتين المتتاليتين فى النزول ، وهما : المجادلة والمنافقون تدرس هذه الصلة ... ودراسة علمية ، وفنية ، لمعالجة العبارات التى تدور حول " الحزب " مثل " الطائفة " و" الفريق " و " الفئة " وبقية ذلك كله مما ورد ذكره فى مواطن متعددة ، من القرآن . وهل هذا من قبيل التمائم أو الاشخاص؟ أو ليس من هذا ، ولا ذاك ؟!

فى سورة الحج : قصة البيت العتيق من آية (٢٦) الى آية (٣٧)

أى من قوله سبحانه : (وإذ بوأنا لابراهيم) الى قوله عز وجل : (وبشر المحسنين) تعتقد موازنة بين هذه القصة فى سورة الحج ، وبين البيت ، فى سورتى البقرة وآل عمران . ـ تهبط القصة فى سورة الحج ـ بالتعليق كله (ذلك) و (من) آيات التكذيب رقم ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ من سورة الحج بعناية التلميح بالاحداث ـ تدرس ظاهرة " التلميحات القصصية " تلميحات الاحداث ـ تلميحات الاشخاص .

النماذج من قصص القرآن

(١)

قصة " قوم نوح " في سورة الدخان وتحليلها من أدب الرثاء ، الباكي ، الحزين ، ومن أدب الواعظ ، المؤثر ، الرباني .

(٢)

" قصة " بني اسرائيل " بسورة الجاثية يوازن بينها وبين قصة بني اسرائيل ، وحكايتهم في سورتي : الاسراء ، والبقرة ، لمعرفة نمط العرض في القصص القرآني ، والاشارة الى سر من اسرار الاعجاز ، ودليل من دلائله !

(٣)

قصة ضيف ابراهيم — من آية (٥١) الى آية (٦٠) سورة الحجر ، يوازن بينها وبين قصتهم في سورة الذاريات ، وفي سورة هود — لمعرفة دليل من دلائل الاعجاز القرآني وسر من أسراره .

(٤)

قصة " مؤمن آل فرعون " بسورة المؤمن أو غافر تدرس هذه القصة ، في باب القصص التحليلي ، والتفسيري ، والتمهيدي ، والتعليقي ، والنموذجي ، والجدلي ، والحجاجي ، والوعظي ، والحواري ، لمعرفة خصائص هذه الانواع ، من خلال هذا النموذج القصصي .

(٥)

" قصة ملأ نوح " بسورة المؤمنون من آية (٢٣) الى آية (٣١) سورة المؤمنون . تدرس تفسيات السادة ، وتدرس خصائص الأدب " الأستقراطي " وسمات الطبقية في أدب الصراع من خلال قصص الملأ في القرآن ، مع الموازنة بين كل نموذج ورد في القرآن ، يحمل هذا الطابع ويحتوي هذا المضمون !

وهذه النماذج تمثل أدب الثورات ، وثورات الأدب .

(٦)

نموذج " الانسان الكامل " في سورة المعارج من آية (٢٢) الى آية (٣٥) سورة المعارج يوازن بين هذا الانسان الكامل ، كما تراه سورة المعارج ، وكما تراه سورة الفرقان ، في نماذج " عباد الرحمن " — وكما تراه سورة الشورى مع التحليل الدقيق ، لهذه الانماط الراقية العالية .

* * *

ولعل هذا خصائص الأدب العالي ، أو الأدب الراقي — ولعل هذا أدبنا قرآنيا ، أدبنا العالي الراقي أو الراقي العالي . يدرس الفرق بين التسمتين ، فالعالي الراقي — هو الأدب السامي ، الأهداف ، والمضمون ، والأهداف والمرتكز على معالم من الواقع — فهو تسمو العالية بالواقعية ، وتشبثها بها .

أما الأدب الواقعي المثالي ـ فهو الأدب النابع من الواقع ، والصادر من الأرض وما يجري عليها من صراع ، ونزاع ، وجرائم ، وآثام .

والسامي الى سماء المثل ، والكمال ، والجمال لاعلاء الغرائز ، والعواطف والانفعالات والسمو بالنفوس ، والفكرة ، والهدف ، والاشخاص .

وما يتعلق بها من أحداث ، وتتطلع به من صراع سموا بالحق ، والخير ، والجمال والحرية ، والعدالة ، والمساواة ، وسائر المعاني الخيرة ، التي هي حلم الشعراء ، وأمل الفلاسفة والحكماء .

(٢)

نموذج (نبأ الذين كفروا من قبل) ـ في سورة التغابن ـ يتا ٥ ، ٦ ـ في التغابن وهو من القصص التاريخي ، والعقيدي ، والتعليمي بالأشخاص ، أو بالأحداث !

بالأحداث بالنظر الى النبأ

بالأشخاص بالنظر الى الذين كفروا

ثم هي من القصص التعليمي بالتاريخ ـ وذلك مستفاد من التعبير بكلمة (من قبل)

* * *

تعريف هذه الظاهرة : ظاهرة الانباء

هل هي من قبيل الحكايات ؟ أو من قبيل القصص مع الموازنة بين كل حكاية فيها لفظة نبأ ـ

يستعان في الموازنات بمعجم الفاظ القرآن الكريم وذلك لاحصاء النصوص القرآنية احصاء تاما ، واستقرائها استقراءا عاما :

لتنظر الظاهرة نظرة فاحصة ، وشاملة ، ولتسهل الموازنات على الباحثين والدارسين .

وغير خفي أن هذه أسرار الصنعة أو السهلة أكشف عنها ولا أضن بها !

ثم هي أهم مفاتيح التفسير ، وأجل وسائل التيسير ، أبسطها النظم وأسعفها الباحثين والدارسين ، تأدية للأمانة ، وتسهيلا للدراسة ، وعونا للمخلصين من المحققين والمفسرين !

* * *

ولعل كتابا لغوية وبلاغية ، قديمة ، تسهم في فقه اللغة القرآنية ، مثل " مفردات " الراغب الاصبهاني " ومثل " الاساس " للزمخشري ـ ومثل " الكشاف " للزمخشري ومثل ، " معاجم اللغة " و " فقه اللغة " كل هذه مفاتيح الدراسات المتخصصة أخرجها أئمة باحثين ، كراما كاتبين ، يشرفون بخدمة كتاب الله ، معجزته الخالدة ، الباقية على مدى الاجيال والازمان .

* * *

(٨)

قصة النصر في سورة النصر

وهي من القصص الغيبي «الحق» أو الواقعي الغيبي «التبشيري» «الذي يحمل البشارات» ـ لا الذي يحمل معنى «التبشير الديني» «أو الاستعماري» ـ كما يتوهم بعض الواهمين !

ثم هو من القصص البطولي «فيه معنى الفتوحات»

وهو من القصص التصويري «والتوجيهي»

وهو يحمل سمات القصص المدني .

* * *

الباب الثاني

من القصص الطويل في القرآن

الفصل الأول

القصة الطويلة

من قصص الزمان

(١)

قصة : «يوم الخلود» في سورة ق

وهي تصور اللحظات الرهيبة «وتصور الحساب الذي يرتقب كل كافر» فيه !

وتصور الجزاء الذي ينتظر كل آواب «حفيظ» !

وقد حللتها تحليلا رائعا ـ فيما أرى ـ في رسالتي : «علم النفس القرآني» بنحو ثمانين صفحة من صفحات تلك الرسالة .

وكذلك ـ كذلك ـ في أدب الموازنات «ضمن نظام السجعات ـ وذلك في رسالتي الكبرى : «ظاهرة النظم في القصص القرآني» أو «نظام السجعات في القصص القرآني»

* * *

أما فى كتابى هذا المركز " دليل الباحثين فى القصص القرآنى " ـ فقد ذكرتها هنا ، فى باب :

" من القصص الطويل فى القرآن " وفى فصل :

" القصة الطويلة " وفى فرع " من قصص الزمان "

لتدرس فى الأسلوب التوجيهى ، والأسلوب التوقيعى ، والتمهيدى ، والتصويرى والايجازى ، والحوارى .

كما درستها فى التحليل النفسى ، والتحليل الفلسفى ، فى : " علم النفس القرآنى " وكما نظمتها فى إطار المجموعات ، لتبين خصائص الموازنات فى نظام الوحدات والمجموعات ، ولتقرير الاعجاز النظمى بين الوحدات .

* * *

(٢)

قصة " يوم القيامة " فى سورة القيامة

وهذه القصة ، فى هذه السورة قد سبق أن حللتها وظللنا مازلنا نذكر أن هذه السورة ، أو هذه القصة تحكى عن يوم القيامة ، وفيما فيها من نعيم للمؤمنين وهول للكافرين !

ثم فيها تصوير رهيب ، لاحتضار الإنسان وموته ، ثم فيها تجسيد بعيد ، لسوقه الى ساحة القضاء ، فى ساعة الجزاء ، ولمحاكمة الإنسان ، أمام الديان .

* * *

وهذه القصة يمكن جعلها من القصص القصير ، كما يمكن عدها من القصص الطويل وهى من قصص المشاهد ، والمواقف ، والفصول

كما أنها من قصص الخواطر والخلجات !

ثم هى ـ مع ذلك كله ـ من القصص الوصفى ، والنفسى ، والتحليلى ، والموسيقى ، والجمالى ...

وقد أشرت فى التعريف الى هذه الانواع كلها ، التى يلمسها الناس ـ كما أشرت الى خصائص أساليب هذه الانواع ، التى يلمسها الباحثون .

وما على الباحثين الا أن يرجعوا كل قصة ، وكل خاطرة ، وكل حكاية ، ورواية ، وكل لمحة ومشهد ، وكل فصل ، وموقف ، وكل أقصوصة ومجموعة ، فى نوعها الخاص بها ، وفى أصلها الذى عليها .

* * *

(٣)

قصة " الويل للمكذبين " فى سورة المرسلات كلها

وهذه السورة قسمتها ـ فى نظام المجموعات ـ الى أثنتى عشرة ! وذكرتها ـ هنا ـ

على أنها من القصص الطويل ، الملحمى ، الموسيقى ، الدرامى " التراجيدى " العنيف .

وهى — كذلك — تتصل بنظام المجموعات ، وتدخل فى أدب الموازنـــات ، وتحقق ظاهرة النظم فيما بينها من وحدات ، وفيها مناقشة لأهم قضايا الخلـــق والاحياء ، والحساب ، والثواب ، والتهديد ، والوعد ... الخ

■ ■ ■

ثم فيها ألوان التصوير ، والتفكير ، والتوضيح الصوتى ، والترديد الموسيقى ؛ وفيها — كما عرفنا — مقومات الوحدة الفكرية ، والأسلوبية ، ومعالم الحبكة الروائية وأسس الملحمة الأدبية ، وركائز " السيمفونية " الموسيقية .

وفى كل إشارة من هذه — بحث كامن فيها ، وموضوع نابع منها ، وفكرة قائمة بذاتها .. تطلع الى تحقق وتحقيق ، كما تتطلع الى تمثل وتطبيق وهذه الأسس أرجعها مجملة للباحثين ، والدارسين ؛

■ ■ ■

— ب —

من القصـــص القرآنـــى

(٤)

بعثة موسى وهارون — من آية ٧٥ الى ٩٣ — من سورة يونس

++++++++++++++++++++++++

وهذه من القصص الطوال يحكم شكلها ، وحجمها ، ويحكم تكرينها ، ومضمونها ويحكم بنائها وتصميمها .

■ ■ ■

وأرى أن ندرس هنا فى باب القصص الطويل ، لنتعرف خصائص أسلوبها من سرد ، وحوار .

كما يدرس بناؤها : فصلا فصلا ، لنظهر حبكتها الفنية ونستخرج مضمونها ـــــ من خلالها ، كما نستخرج هدفها من مضمونها ، ومن التمهيد لها ، والتعقيب عليها . مع تحليل ملامح الحوار فيها ، لانه العنصر السائد فيها وأخيرا نربط هذه القصـــة بقضايا الدعوة الاسلامية

■ ■ ■

(٥)

غزوة الاحزاب ـ في سورة الاحزاب

وهي قصة طويلة ، وتصلح أن تكون رواية ، وان عبرت بأسلوب القصاء ، وسيقت للتذكير !

ثم هي ملحمة من الملاحم التاريخية ، بحكم مضمونها وملحمة من الملاحم الأدبية ، بحكم أسلوبها وخصائصها .

ثم فيها سمات القصص الديني .

وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب ، تشغل جزءا من آية (٩) الى آية (٢٧) ـ وهي من القصص النفسي والتحليلي ، المؤثر .

* * *

(٦)

ـ ج ـ

من قصص المواقف البطولية

قصة : " مؤمن آل فرعون " ـ في سورة المؤمن

وهي ـ كما عرفنا ـ من القصص الطوال ومن القصص الخطابي ، الجدلي ، الحواري التمهيدي ، التعليقي ، الوصفي ، المركز ، القائم ، المعتمد على التلميحات ، والإشارات ، والهادف الى الإقناع العقلي ، قبل الاقناع النفسي ، والقائم على روح التفكير ، أكثر من روح الشعور . وهو يمثل القصص الخطابي والأدب الوعظي

* * *

وهو ـ كما نبهنا في هذه القصة الطويلة وأوفى هذا الموقف البطولي ـ من قائم على الكلام الذي يلقى ، وعلى اللغة المنطوقة التي تعتمد على النفس الطويل ، والأداء الجهير ، والصوت المدوي ، والحجة القارعة ، والدليل المفحم ، واللمحة التاريخية ، والاثارة العقلية ، والمفارقة الصريحة ، والبراعة الجدلية ، والعجاجة القلبية ، والجرأة الفكرية ـ وما الى ذلك !

ومن ثم سميت السورة ، باسم المؤمن ، مؤمن آل فرعون ، الذي سلطت عليه الأضواء في هذه السورة ـ بحيث طغت شخصيته على كل شخصية ، وارتفع صوته على كل صوت . وهي ـ بهذا المعنى ، وبهذه السورة ـ من قصص النماذج والأشخاص كما انها من قصص الصراع ، ومن أدب المقاومة !

* * *

(٧)

قصة : موسى عليه السلام — في سورة القصص

وهي من أروع القصص وأطولها — وهي تشغل حيزا كبيرا في سورة القصص — ثم فيها فن القصص — موجود ومقصود .. كما أنها — بحكم طولها البنائي — والزمني تصلح أن تكون رواية طويلة !

تشغلها من آية (١) إلى آية (٦) من سورة القصص .

والقصص من قوله سبحانه :

(وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) آية (٧) إلى آية (٤٣) إلى قوله جل جلاله (لعلهم يتذكرون)

وهي قصة طويلة — ذات فصول خمسة

كما أنها رواية — ذات خمسة فصول

ومن هذه الفصول الخمسة — أقوم به في فصل " الروايات " من هذا الباب !

على أن هذه القصة الطويلة — فيها ملامح البيئة — وفيها مراحل موسى عليه السلام — وفيها جنبات نفسية — من حياته !

وهي تحتاج إلى تحليل مستقل — يملأ عشرات الصفحات إن لم تكن مئات !

(٨)

قصة : نوح عليه السلام — في سورة نوح

والقصة — أو الحكاية — أو الرواية — تملأ هذه السورة كلها من أولها إلى آخرها وهي تعتمد على ما يمكن تسميته بالحوار الذاتي — الفردي — ثم هي من قصص الدعوة الإسلامية .

ولأنها كذلك — تتسم بسمات البيئة العربية .

فما أشبه بيئة نوح ببيئة العرب في الجاهلية !

ثم ما أشبه الحياة قبل الطوفان — بالحياة قبل الإسلام !

ونجد الفكرة في هذه القصة — خطابية !

وهي — مع ذلك — تتسم بالموسيقية — وتلتزم النغمة الموحية — مما أضفى عليها روح الملحمة — بل روح السيمفونية !

ثم لأنها تدور في فلك الفكرة الإسلامية — تحمل سمات الربانية — والعالمية !

من هذا الفرع : فرع القصص التاريخي ـ نجد أننى قد أثبت فيه :

أ ـ بعثة موسى وهارون ـ فى سورة يونس .
ب ـ غزوة الأحزاب ـ فى سورة الأحزاب .
جـ ـ موقف مؤمن آل فرعون ـ فى سورة المؤمن .
د ـ قصة موسى عليه السلام ـ فى سورة القصص .
هـ ـ قصة نوح عليه السلام ـ فى سورة نوح .

ويمكن عد " قصص الزمان " فى " القصص التاريخي " كما يمكن عد هذا القصص التاريخي ، فى قصص الزمان .

* * *

(٩)

قصة : الفاسق الذى جاء بنبأ ـ فى سورة الحجرات

++++++++++++++++++++++

وهذه ـ أيضا ـ قصة وقصة ، كما قال المفسرون ، والمؤرخون ، والأعلام القرآن كما أنها قصة يمكن أن تقع فى أى زمن من الأزمان . فهى ـ بذلك المعنى ـ يصح أن تعد من وادى القصص التاريخي ، وقصص الأشخاص والأعلام ، وإن اختلفت هؤلاء الأعلام ، قدرا ، وقيمة ، ودورا ، ووظيفة ، وغاية ، ووسيلة !

ثم هى ـ بالمعنى الثانى ـ من قصص الزمان .

والتاريخ متصل بالزمن ، كما أن الزمن متصل بالتاريخ .

والأحداث متصلة بالأشخاص ، كما أن الأشخاص تتصل بالأحداث .

ثم هذه الأحداث تشغل بيئة مكانية تقع فيها ، كما تشغل بيئة زمانية تتم فيها ، وتمتد !

* * *

ومعنى هذا أن القصة التاريخية ، قصة زمانية ، حديثة ، كما أنها قصة بيئة زمانية ، أو مكانية .

بيد أننا نؤثر تسمية القصة باسم من هذه الأسماء على ما عداه من أسماء .

أو نؤثر وصفها بصفة من تلك الصفات ، على ما سواها من صفات ـ لتسليط الأضواء فى البناء على هذه الصفة ، دون تلك !.. أو على هذا الاسم ، دون ذاك !

وهذا ـ كذلك ـ سر من أسرار الصنعة فى النقد القصصى ، أقدمه للسادة الباحثين والدارسين ، والنقاد من الأدباء والقراء .

وسواء أكانت قصة الفاسق الذى جاء بنبأ ـ قد وقعت قديما فى أيام الرسول عليه السلام ـ كما قال المؤرخون من المفسرين ، والمفسرون المؤرخون .

أم لم تقع !.. ويمكن أن تحدث ، فى أية بيئة من البيئات وفى أى وقت من الأوقات من أية شخصية من الشخصيات ، وسط جماعة من الجماعات .

فان هذه الآية الواحدة التي تصور هذه الشخصية ، أو تحتوى على تلك الفكرة : فكرة التبين والاستيثاق ، والحذر من الانخداع والإسراع .

هذه الآية الواحدة قصة كاملة آهلة جيل هي تخطيط لرواية تامة ، أو مسرحية ناجحة وهذه هي الآية من سورة الحجرات :

(يأيها الذين آمنوا ، إن جاءكم فاسق بنبأ ،
فتبينوا ، أن تصيبوا قوما بجهالة
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)

* * *

وهذه هي فصول القصة الطويلة التي تحتوى عليها هذه الآية :

١) (يأيها الذين آمنوا) — فصل أول
٢) (إن جاءكم فاسق بنبأ) — فصل ثان
٣) (فتبينوا) — فصل ثالث
٤) (أن تصيبوا قوما بجهالة) — فصل رابع
٥) (فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) — فصل خامس

* * *

وما يعنيني ذكره أنني قارنت بين عناصر هذه الرواية ، في هذه الآية ، وفصولها الخمسة ، وفكرتها الواضحة ، وبين عناصر مسرحية " لوليم شكسبير " وفصولها الخمسة ، وفكرتها التي تتفق مع الآية القرآنية الخالدة : عناصر ، وفصولا ، ومغزى .

ومن الطريف أن هذه الآية التي لا تبلغ سطرين من المصحف الكريم — هي أجمع وأوفى ، بما تلخص به تلك المسرحية التي تبلغ مائتي صفحة تقريبا .

لكل سطر من الآية لخص مائة صفحة من المسرحة .

وتلك المثل الأعلى .. !

أقول هذا لا للتفكهة ، ولا للتسلية ، ولا للعبث ، ولا لإظهار سعة الاطلاع ، ولا للترويج للأدب القرآني ، أو الدعاية للأدب الشكسبيري ، بمقارنة بنص قرآني قصير التسليم بعالمية القرآن ، وأدبية نصوصه —

لا أقول هذا الكلام وأنني من هذه الأسباب إنما أقوله هنا للدارسين ، دراسة مقارنة ، بين آية بآية ، وأدب بأدب آخر ، وبين لغة قوم ، ولغة أقوام آخرين .

لتبين عظمة القرآن ، وإنسانيته ، وعالميته ، وفنه ، وإيمانا به ، وخضوعا لروعته ودقته وتسليما بإيجازه وإعجازه ، وإشارة إلى إعجازه ، وسموه !

وما على الدارسين دراسة مقارنة ، إلا أن يعمدوا في جزئية القرآن ، ويتوسعوا في آداب اللغات الأخرى ، التي تأثرت بآداب العربية ، وأدب القرآن ، بالسفارة أو التجارة ، أو الحضارة ، أو الحوار ، أو الجوار ، أو الترجمة ، أو الحروب أو المعاهرة أو ما إلى ذلك كله ، مما يحقق قوله سبحانه : (وما هو إلا ذكر للعالمين) .

* * *

وعلى هذا فلا سرقة ! .. ولا اتهام بسرقة !

إنما هي تيارات كثيرة ، أسميها بتيار التيارات وهو : القرآنية ، والتأثيمية !

ثم لا اتهام بسرقة ! .. لأن القرآن كتاب الله رب العالمين ومفخرة هؤلاء العالمين !

لقد نحن العرب المسلمين - تصرفنا عباقرة ، لأنه بلساننا جاء ، وبلغتنا التي ورثناها أو نقلناها نعبر ، ونقرر ، ونصور ، ونفس ، ونحكي ، ونروي ، ونشرع ، ونسهب ، ونعقب ونختصر ، ونحذر ، ونصف ، ونعرف ..

لذا عرفنا بلاغته ، وبراعته ، وبيانه ، وأحسسنا أسرار إعجازه ، وأسباب تفرده وامتيازه .

ومن ثم وجب علينا أن نبين من أسراره ، وأن نشير إلى آثاره ، أداء لأمانة العلم وتأديتنا لوظيفة الأدب ، وقيامنا بواجب الإنسان ، في أي مكان ، على أخيه الإنسان العربي ، الذي عرف بالقرآن !

ولا يفهم من هذا أنها دعوة تبشيرية ، أو حملة إسلامية ، إنما هي دعوة أدبية عالمية إنسانية - يستفيد منها العربي قبل الغربي ، وينتفع بها الأجنبي قبل العربي ، وصحح وضع المسيحي ، أو اليهودي ، أو الوثني ، كما صحح وضع الإنسان العربي الجاهلي ، منذ أربعة عشر قرنا ، من الزمان ، أي منذ أن عرفت الإنسانية هذا القرآن .

ونتصل بهذه القصة : قصة الناشئ الذي جاء ينبأ قصة تمت إليها بصلة وهي :

(١٠)

قصة الإفك - في سورة النور

وهي تقع من آية (١١) إلى آية (٢٣) - بل إلى آية (٢٦) من سورة النور - أي بقوله سبحانه :

(إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) آية (١١) إلى قوله عز وجل :

(والله غفور رحيم) (ولهم مغفرة ، ورزق كريم)

* * *

ومن أعجب المصادفات ، أن تعيد سورة مطيل تشبيه في ظروف الإفك والكذب والتهمة التي وقعت بها عائشة رضي الله عنها !

يا أيها عطيلا الغيور ، الإنهي ، أو عطاء الله ، العربي عالسلم ـ في مسرحية شكسبير .. !

يا أيها الزوج والغيور ، الذي تأثر بما سمع من أحب نسائه إليه ، وأرقهن !

يا أيها ثورة عطيل ، في البندقية ، حينما فرحت ديدمونة بعفية الرسول وجوزته ، حينما خطب على المنبر ، بيت إليه أحزانه ، وشكوهم ما يتقول به متقولوهم على عائشة !

يا أيها وقوع الأحداث في البندقية مغترب عطيل وديدمونة ـ بوقوع الأحداث في المدينة مهاجر محمد وعائشة .

ثم ما أشبه الظروف العربية في المسرحية ، بالظروف العربية الصاحبة لقية الإفك !

وكما خوفت الله ـ سبحانه ـ من قبل ـ بأن له المثل الأعلى ، يرتفع قدر محمد ، الرسول ، على بطل القائد .

كما يرتفع شأن عائشة أم المؤمنين ، على ألف ديدمونة من نبات أفكار شكسبير .. !

* * *

أسجل هذا الذي يحسن لي ، كما يرد على خاطري ، وذاكرتي ، وظني ! ... للدراسات المقارنة ، بين القصص القرآني ، وبين القصص العربي ، أو الفني ! ثم بين آداب اللغة العربية ، وآداب سائر اللغات ! .

ولعلي ، قبل أن أفرغ من هذه الفقرة ، أشير بأن قصة الإفك من القصص القديمي تعالج الغيرة ، والاحتجاب ، والاستئذان ، والاختلاط ، وكرامة الأعراض وحد القذف ، وكانت أم من أمهات المسلمين ..

وهي ـ مع كونها قصة طويلة ـ حكاية صدرت بأن الغيبة ، لها صفة التقرير أكثر من صفة التصوير بما يدخلها في الحكاية ، أو في الرواية .

إذ هي ـ بطولها القصيري ، والسردي ، والعرضي ، وبطولها الوصفي " الفني " ـ تصح أن تكون من رواد الروايات ، مع صحة كونها من قبيل القصص والحكايات ! .... وهذا مجال للدارسين ، في أن يعدوا هذه القصة : قصة ، أو حكاية ، أو رواية ، أو في أن يتردوا في إطلاق اسم من هذه الأسماء عليها ويجعلها مجرد خبر من الأخبار ـ سبق قبل التشويق ، لتشبيه أحكام التشبيهة ، بعد سوق بعض الأنباء ، أو بعض الأخبار .

ثم هنا مجال أيضا ـ لدراسة القصص الديني ، ولموازنته بالقصص الفني ، كما أشرت إلى ذلك من قبل .

ولعل لي تحقيقا في هذا الجانب ، بعد هذا التحقيق وتطبيقا أتم ، وأوفى من هذا التطبيق !

٤٥

وما يتصل بفكرة التبين ، التي تسود القصتين السابقتين ، قصة الفاسق الذي جاء بنبأ ، وقصة الإفك ـ قصة أخرى جاءت في سورة الحجر ، وإن كانت بطولتها ممتدة إلى جماعة ، لا إلى شخص واحد ، وإن كانت هذه الجماعة متصلة بشخص فرد ثم متصلة بأشخاص آخرين . هذه القصة هي :

(١١)

قصة ضيف إبراهيم

من آية (٥١) إلى آية (٧٧) من سورة الحجر

وقصة ضيف إبراهيم ـ من القصص الطوال الذي يعتمد على الحوار ... وهي ذات فصول متعددة ، أو هي ذات حلقات قصيرة متتابعة ، تجمعها شخصيات ضيف إبراهيم . فمن آية (٥١) إلى آية (٥٦) ـ خاص بتبشير الضيف إبراهيم عليه السلام . وهذا فصل مستقل ، أو حلقة مستقلة ، أو قصة مستقلة ! من قوله تعالى : (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) إلى قوله سبحانه (قال : ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) . ويتضح أن الفكرة في هذه الفقرة قد اتضحت !

الفصل الثاني ، من آية ٥٧) إلى آية (٦٠) وهو خاص بإخبارهم إياه سر مجيئهم ومبارحتهم له وأنه أهلاك قوم مجرمين !

ويتضح ـ كذلك ـ أن أضاف أولئك القوم بالإجرام هو السبب في إهلاكهم .. ! وهنا يمكن ـ أيضا ـ التغزي !

والفصل الثالث ، من آية (٦١) إلى آية (٦٦) ـ وهو تحذير لوط ، وهو شخصية تتصل بقرابة نسب ، ونبوة ، ورسالة ، وهدف ، من شخصية إبراهيم . الذي أضيف إليه هؤلاء الضيف ، وعرفوا به !

ويجلى أن التحذير أيضا يكون هدفا مستقلا ! فما بالك بما يترتب عليه من عقوبات .

والفصل الرابع ـ من آية (٦٧) إلى آية (٧١) ـ وهو خاص بأهل المدينة الساميين لوطا في ضيفه !

وهذا لون من إجرامهم الخلقي ، والعقلي ، مهد له الفصل الثاني ! .. الذي أشار إلى مهلكهم ، وعرف بإجرامهم ! وفي هذا وصل للفصول بعضها ببعض !

والفصل الخامس الأخير ، من آية (٧٢) إلى آية (٧٧) وهو خاص بانتقام الله من المدينة ، ومن أهلها المجرمين يتصل بجزئية التحذير ! .. مما يربط بين أطوار القصة بعضها ببعض .

يضاف إلى هذا أن آية (٧٥) إلى آية (٧٧) تعليق على القصة الطويلة ذات الفصول الخمسة ـ مما يصل فصولها بعضها ببعض ، دون اتصال أو انفصال !

والذين ضيف إبراهيم ، هم ضيف لوط ـ وهم محور الصراع والنزاع ـ وهم المبشرون في الفصل الأول ـ والمتآمرون من شخصياتهم في الفصل الثاني . والمحذرون في

في الفصل الثالث • وهم موضع النزاع بين لوط • وقومه • في الفصل الرابع • ثم هم المعنيون للانتقام من المدينة وأهلها المجرمين • في الفصل الخامس الأخير ••
لأن هؤلاء الضيف • هم القائمون بالأحداث والحوار • والصراع — كانوا هم الأبطال في القصة • ومن هنا سميت : قصة ضيف إبراهيم •

وهي — كما رأينا قصة طويلة • مكونة من خمسة فصول وهي من قصص الصراع • والحوار • والإيجاز • ثم هي من قصص البيئات • ومن القصص الموسيقي !
وفي ذكر الموسيقا • نجد أن سورا كاملة من أولها إلى آخرها — تغلب عليها النغمة الموسيقية • وكأنها " سيمفونية " تأسر اللب • وتعطف القلب • وتملأ الوجدان بالانغام قبل أن يملأ الآذان الكلام •
بيد أن لكل سورة جوها الموسيقي • الخاص • الذي يتكيف وفقا للمعنى • والبناء والمغزى • والسياق • والسياق • وجو الشعور • وجو التعبير أو التدبير • وإلى ذلك كله • وإذا أحببنا أن نقرر بحث طريف يتصل بالموسيقا • فيأتي بسور كاملة • تصلح : " للوحدات الموسيقية " وهذه السور التي تسودها النغمة في الكلمة كثيرة نذكر منها هذه السور :

(١) سورة القمر (٢) سورة الرحمن
(٣) سورة الانسان (٤) سورة المرسلات

يضاف إلى هذا أن هذه السور — إذا نظرنا فيها • بعد استماعنا إليها — وجدناها معارض بيانية • ولوحات تصويرية إلى جانب كونها " سيمفونيات " موسيقية فيها تنويع • وتوقيع • وترجيع !
— وما أغنى سورة الرحمن • في هذا المعنى • بصورتي : القمر والمرسلات !
وهذا يذكرنا بقصة " المتقين في جنات النعيم " بسورة الطور :

(١٢)

قصة المتقين في جنات النعيم

من آية (١٧) إلى آية (٢٨) سورة الطور

فهي من قصص الألوان " اللوحات " • والمراسم • والمعارض البيانية وهي — قصص البيئات — وهي كذلك — من قصص العناصر السائدة : فيها عنصر الحركة بحسبها • وعنصر التعدد • والتجدد — يبعث هذه الحركة العضوية ثم فيها عنصر الحوار • يبعث هذه الحركة الذهنية • والحركتان : الجسدية • والذهنية يحسان القصة والمسرحية • ويجعلان للمشاهدة • والسمع : لذة الإمتاع والمؤانسة : الإقناع ! والأدب الكامل هو الذي يحقق هاتين الوظيفتين :
وظيفة المتعة أو اللذة • ووظيفة المنفعة أو الفائدة •

على أن سورة الطور تبها بعد ذلك ـ أساليب ذهنية جدلية ، وحجاجية ، تشبهها في ذلك سورة الملك مما يضمن جنبات التنويع بين الأساليب ، لتستولي على كل جزئيين من جزئيات الانسان ، وتؤثر في كل جارحة وجانحة ، من جوارحه وجوانحه !

وإذا كنا قد بدأنا هذا الفصل بقصص الجنان ، فذكرنا قصة " يوم الخلود " في سورة ق ، وقصة " الويل للمكذبين " في سورة المرسلات ، وقصة " يوم القيامة " في سورة القيامة .

فجدير بنا أن نختتم هذا الفصل ، بفصل " القصة الطويلة " بقصة تتصل بقصص الجنان ، لنتم وحدة التأليف ولنستدرك ما يتم دراستنا ـ

هذه القصة ـ هي :

(١٣)

قصة : " يوم الفصل " ـ في سورة النبأ

وهي من آية (١٧) الى آية (٤٠) آخر السورة

وهذه القصة ـ من القصص الطوال ـ الذي يعتمد على الحركة السريعة ـ ثم هي من القصص البديعي ، التنويعي ، التنويعي إنه التي تطرب الآذان ، والوجدان والجنان . ثم هي من القصص التصويري ، الذي يشبع حاسة البصر ، ويشبع جانب الجمال في النظر .

وهذه من أهم ميزات القصة القرآنية ، تجدها حافلة آهلة ، بفنون الجمال والكمال .

اذا نظرت في القصة القرآنية بفكرك ، أفدت منها فكرة رشيدة ، وعظة مفيدة وفلسفة عميقة ، ونظرة دقيقة ، ومغزى واعيا .. !

وإذا نظرت اليها بعينك شاهدت فيها مجالي البهجة ، ومعالم الروعة ، ومغاني النعيم ، ان عرضت للنعيم ، أو مجاهل الجحيم ، ان سيقت للجحيم .

والفيت فيها صورا عديدات ، مؤتلفات ومختلفات ، إلا أن وحدة أو وحدات ، تؤلف بين شتاتها ، وتنظم بين جزئياتها ، في مساق واتساق ، وفي غير ما تباعد ولا افتراق .. !

ثم تحقق للأذن التي تسمع وترى ، وللعين التي تنظر وتفكر وللعقل الذي يعي وتأمل ، وللطبع الذي يعجب ويطرب .. أغراضا متعددات ، وأغانا متجددات تستمتع بالجمال مجسما ، وتلتذ باللحن منغما ، وتعيش في عوالم من الابداع والامتاع ، والانتفاع ، لاتستطيع أن تصفه ، ولا تقدر أن تحده أو تعرفه .

كل هذا تحسه لاول وهلة ، وتدركه بأقل نظرة ، فاذا أعدت قراءة الآية أو الآيات ، ونظرت ثانية في الرواية أو الروايات ، وجدت جديدا ، وأخذت مهدا ، واذا طبلته باحثا ، ونظرته دارسا ، كشفت لك آفاق من المعاني ، والأفكار وكشفت تدانيك أنحاء من الأهداف والاسرار ، واستبانت لك معالم حسن ، ومظاهر جمال .

وحسب القرآن الحكيم عظمة ، وسيادة ، وخلودا ، واعجازا أنك لا تمل قراءته ولا تزهد تلاوته ، وأنك إذا قرأته المرة ، أبان لك كل مرة ، عن شئ جديد وحسن بديع ، يفضل الترجيح والترديد !

أما ما سواه من الآداب ، والعلوم ، والفنون ، ولو كان هو من تأليفك أو تصنيفك أو ابتكارك — فان أعدت عشر مرات ، أسأمك منه الفتور ، وقد يملحك منه النفور !... كما أنك قد تسأم ولو كان من ثمار عقلك ، وقد تزهد فيه ولو كان نتيجة تفكيرك أو تصويرك أو تصويرك .. !

واذا مل الانسان رؤية الشمس والقمر ، أو استغنى عن الماء ، والهواء والضياء ، والغذاء فلن يمل قراءة القرآن ، ولن يستغني أبدا عما يحتوي من معان وبيان ، ويشتمل عليه من كنوز ، وآداب وعرفان .

■ ■ ■

الفصل الثاني

من الروايات في القرآن

— ١ —

رواية يوسف عليه السلام — في سورة يوسف

من آية رقم (١) إلى آية (١٠١) من سورة يوسف
ومن آية (١٠٢) إلى آخر السورة
تعليق ، وتعقيب ، واستنباط للهدف العام من السورة ، ومن القصة .

قصة يوسف عليه السلام — أحسن القصص ، كما ورد في القرآن . ولعل أحسنيتها ترجع إلى أن هذه القصة الطويلة المستقلة — رواية كاملة البناء والتصميم ذات " الحبكة " والتركيب ، فيها كل عناصر القصة الناجحة ، فيها الفكرة الواضحة ، والدقيقة .

وفيها الشخصية القوية ، و " المتطورة " وفيها الأحداث المنطقية ، والمتوقعة والمدهشة — وفيها تفاعل الشخصيات بعضهم ببعض ، كما أن فيها تجاوب الأشخاص ، والأحداث .

ثم فيها البناء الطبيعي ، والفن ، للقصة في غير انحلال دون اطناب ممل أو اختصار مخل ، ودون تفريط يشتت الفكرة ، وشح المغزى ودون حد لعين الخيال حتى لا يختنق ، أو يضل ! ثم فيها الشخصيات الرئيسية ، والثانوية ، والكاريكاتيرية المتعددة ، المتجددة ، المتماسكة ، المتشابكة ، التي تلتحم على الأحداث ، والأغراض ، والمواطن ، والصراع ، والعقائد .

كما تتمثل في الآراء ، والنزعات ، والنزوات ، والهدايات ، وفي البداية ، والتوسط والنهاية ! ثم فيها المغزى الهادف الذي يسير تلك الأغراض ، وما يتصل بها من أحداث ، وما تقع فيه من أزمنة ، وأمكنة ، وأميا ، وأحيا !

فهي - إذن - أحسن القصص ، لهذه الأمياء ، ولأكثر من هذه الأمياء .

ولأن القرآن سماها أحسن القصص ، أطلقت عليها اسم الرواية ، وجعلتها في قبل " الروايات " . على اعتبار أن الرواية - بالمصطلح الحديث - هي أحسن الألوان القصصية .

لأن كل جزئية منها قصة ، أو أقصوصة ، أو ملحمة ، أو موقف ، أو فلسفة ، أو انجماله أو فصل ، أو منظر ، أو مشهد ، أو جزء من صراع ، يفضي إلى جزء آخر من الصراع فيؤلف بين أكثر من عنصر يسند إليه أكثر من حدث ، ويقع في أكثر من ظرف ويحتوي على أكثر من مقدمة ، ونتيجة ، وهدف ، ويؤدي أكثر من وظيفة ..

فكأن الرواية مائة حكاية ، أو عشر قصص طوال ، أو عشرات من القصص القصار ، أو الأقاصيص ، والفصات .

فهي تضحك ضحكة فنية ، وفائدة علمية ، وتعبيرات فنها ، إلى أن تأتي على مافيها ثم تعيش هي بك . وفيك ، ومعك ، بفكرتها ومضمونها ، وبنائها وتصميمها ، وتقسيمها وأطوارها ، وتصويرها وتقريرها ، ثم بجمالها وموسيقتها ، وأخيرا بمغزاها وأهدافها ...

تتأثر في سلوكك ، وفي عقيدتك ، وفي مشاعرك وخواطرك ، وآرائك !

وإذا قرأت منها فصلا ، وجدت محطا لتقعيده ، وألفيت نهاية تستريح فيها !

ثم تستجم لتستأنف السير من جديد ، لتصير دائما على ما يلذ ، ويفيد .. !

وإذن فرواية يوسف أحسن القصص والقرآن - هنا - لم يفرق بين قصة ورواية ! فهذه التسميات من مبتكرات النقد الحديث ، أو القديم ونحن نستعين بها ، أو نستأنس ، للتقريب والتيسير ، في التحليل والتفسير .. !

هي أحسن القصص - لأنها قصة ، أو رواية كاملة الفصول ، والحلقات ، والمشاهد والمناظر ، والمواقف ، إذ تناولت بالالفة والاحاطة - حياة يوسف من طفولته ، وصباه ، إلى أن شاء الله أن يتوفاه !

ثم نهيا الحبكة الروائية ، التي تتمثل في الرؤيا بين قصّ اياها على أبيه في أول القصة ، وبين تحققها في ختام الرواية . ونهيا التمهيد للأحداث بالرؤيا وتفسيرها . ونهيا تعريف الشخصيات بآية رقم (٦) ثم نهيا المؤامرة بين الإخوة ! ونهيا الحوار الذي يصور نفسياتهم ، ويجسم حالاتهم ، ويبين طبائعهم !

ونهيا لمحات من مساويء التجار ..!

ونهيا تصوير للجانب ، الجنسي ،

ثم نهيا تصوير للبيئة الخارجية

ثم نهيا العقد والأزمات !.. التي تبدو في تأزم اخوتهم ، أو تعقدهم ، بسبب استئثار يوسف بمحبة أبيه ، ووجهه !

كما تبدو في مكائدهم ، وفي القائهم يوسف في الجب ، ثم في مراودة التي هو في بيتها عن نفسه — ثم في تآمرها مع نسوة المدينة عليه ! ثم في ايثاره السجن ، على تعرضه للفواية !

ثم في تأزم الحالة الاقتصادية في البلاد ، وتهديدها بالمجاعات ، مما يظهر عبقرية يوسف ، وذكاءه ، ومما يفجو بسببه يوسف من سجنه ، ومما يسير أحداث الرواية العامة ، حتى خازن مصر والخاصة بيوسف ، إذ يكون على خزائن مصر ، أو خزائن الأرض ..! .. الخ

ثم في هذه الرواية سيادة أحداث الرؤيا ، والخروج من نطاق المراقبين له ، الى رؤيا الملك التي عكست الحالة الاقتصادية في مصر ، والمجاعة المنتظرة فيها .

ثم نهيا براءة يوسف عليه السلام ، ونزاهته ، ووجه ، وتمكينه في الارض !

ثم صدى المجاعة في البلاد المجاورة ، مما دفع اخوته الى الرحيل من بلادهم الى مصر ، حيث يعيش يوسف !

ثم نهيا المداعبات ، والمعاكسات ، والاطناب ، المطلوب المحبوب والتفرع في المشكلة الرئيسية ، لاظهار شخصية يوسف ، وتحليل نفسيته وعقليته ، من خلال معالجته للأمور ، ومن خلال سلوكه وتعامله .

ثم نهيا تصوير للحالة النفسية ، التي تخالج الأب ! ونهيا عنصر التشويق ، وعنصر المفاجأة — على التسليم بأنهما عنصران ، وان كانا — على وجه التحقيق — ظاهرتين محققتين لتكامل القصة ، ولمتاعها النفسي ، والشعوري ، والعقلي .

ثم نهيا سمات الأسلوب القصصي ، فن أسلوب سردي ، ووصفي ، وتمهيدي ، — وتحليلي ، وتعليقي !

وأخيرا نهيا الختام الرائع ، القوي والنهاية السارة ، الضاحكة !

ثم فيها التعقيب الذى يجعل الرواية واضحة الهدف الدينى ، وفيها التعليق الأخير ، المنصب على فكرة القصة كلها ، من بدايتها إلى نهايتها ، مما يطبها بمنطق الدعوة الإسلامية ، ويصلها بتيار الحياة ، المعاصرة ! وذلك كتثبيت الرسول ، وتبشير ذوى المبادئ الإصلاحية ! الأمر الذى يجعل الرواية — بأهدافها وتجاربها الحية — مستمرة ، مستقرة ، لها سمات البقاء والخلود — إلى جانب ما فيها من لمحات الجمال والكمال ، والجلال .

(٢)

رواية موسى عليه السلام — فى سورة القصص

وهى — كما عرفنا — فى فصل " القصة الطويلة " من آية (٧) إلى آية (٤٣) من سورة القصص .

وكما تصلح قصة طويلة ، من خمسة فصول

تصلح رواية مؤلفة من فصول خمسة .

وللقصة تمهيد من آية (١) فى السورة إلى آية (٦) من السورة نفسها .

أما فصول هذه الرواية ، الخمسة ، فهى على هذا النحو :

١) الفصل الاول :

" جانب ولادة موسى " يقع من آية (٧) إلى آية (١٣) من سورة القصص .

٢) الفصل الثانى :

" جانب بلوغه واستواءه ، وقتله المعتدى " من آية (١٤) إلى (٢١) سورة القصص

٣) الفصل الثالث :

" جانب تحذيره من ملأ فرعون ، وخروجه من المدينة ، وتوجهه إلى مدين ووصوله إليها ، وزواجه بها " يقع بين آية (٢٢) إلى (٢٨) سورة القصص

٤) الفصل الرابع :

" جانب سيره بأهله فى الطور ، وتكليفه بالرسالة ، وطلبه من الله أن يشد عضده بأخيه هارون ، واستجابة الله طلبه " وذلك من آية (٢٩) إلى آية (٣٥) سورة القصص .

٥) الفصل الخامس :

" جانب مجيئه إلى فرعون ، وملئه ، واتهامهم " من آية (٣٦) إلى آية (٤٢) من سورة القصص .

وهذه الرواية الماثلة فى هذه الفصول الخمسة — تنتظم أهم مراحل موسى — منذ ولادته إلى وقت انتصاره على فرعون وملئه . وهى — أى الرواية — تعتمد على التفصيل ، والتحليل ، والتعليل ، والتدليل — إلى جانب اعتمادها على الايجاز والتركيز .

ثم هي قصة تستند على التصميم السردي ، الوصفي ـ الى جانب استنادها على الأسلوب القولي ، أو الحواري ، أو التعليقي ، أو التعقيبي .

****

(٣)

غزوة الاحزاب ـ في سورة الاحزاب

وتقع من آية (٩) الى آية (٢٧) سورة الاحزاب

وهي ـ الى جانب انها قصة طويلة ـ ملحمة تاريخية ، وحومة نفسية ، كبيرة لها ابعادها الحربية ، والنفسية ، والذهنية ، والفلسفية .

وقد بدئت بنداء المؤمنين ، ليتذكروا نعمة الله عليهم حينما جاءتهم جنود فأرسل الله عليهم ريحا ، وجنودا لم يروها .. !

وهنا جانب غيبي ـ يستأثر الله بعلمه ، ويكشف لهم عنه .. ! .. لان الله بما يعملون بصير .. !

ثم يظهر الجانب الوصفي للملحمة ، وهو تجسيم الهول المطبق عليهم من فوق ، ومن أسفل . ثم يأتي لهم بمظاهر هذا الهول ـ اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر .. !

وهذا دليل مادي !.. ثم يأتي لهم بدليل نفسي : (وتظنون بالله الظنونا) .

ثم يسجل بعد ذلك همسات التخاذل والتشكيك من أفواه المنافقين ، ومن صدور من في قلوبهم مرض : (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) .

كما يفضح من يستأذن من الرسول ـ وهم لا يريدون الا الفرار من عرف الجهاد !

ثم يأتي التلقين الالهي للرسول ، حتى يصدم أولئك الفارين عن المنافقين بهذه الحقيقة : (قل : لن ينفعكم الفرار ان فررتم ـ من الموت ، أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا) (قل : من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا ، أو أراد بكم رحمة ؟ ، ولا يجدون من دون الله وليا ، ولا نصيرا)

وهكذا يملك عليهم كل المسالك ، ويجسم لهم كل معاني المهالك ! ... بالاسلوب الذي لا يحتاج الى جواب ! وبالنفي الذي لا فكاك لهم منه ، ولا مآب !

ثم يسجل القرآن هذه المفارقة : (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت !) (فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد ، أشحة على الخير) .

ثم يكشف عن سر هذه المفارقة : (أولئك لم يؤمنوا ، فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا)

واذن فى هذه الغزوة ، أبعاد نفسية ، تحتاج الى تحليل وتصرفات غريبة تفتقر الى تعليل ، وفيها مظاهر عصبية تدخل فى باب التمثيل .

وروح الملحمة الادبية واضح فى هذه الملحمة التاريخية وفى هذه الغزوة الملحمية . فالمحافظة على آواخر الفواصل ، ورد وس الاى ـ موجودة .. ! .. وان كانت متنوعة تنوع المشاعر ، والحكم ، والتعصبات ! .. حتى تمد النون فى الظنون على غرار القافية فى الشعر .

ذلك أن التنويع الملحمى والموسيقى ، موجود ومقصود ، أو موجود لانه مقصود . ولهذا ركن مهم فى نظام الملاحم !

مما يلفت الانظار ، ويبهر الابصـــار .. !

× × × × × × × × × × × × ×

الفصل الثالث

من قصص الجموعات فى القرآن

نظام المجموعات القصصية فى القصة القرآنيـــة

ونظام المجموعات القصصية فى منتهى الدقة ، شأن كل القصص القرآنى وشأن كل آيات القرآن الحكيم .

ودقة المجموعات القصصية ، فى القصة القرآنية خفية منظمة ، جلية ، وخفية ! ولعلها تكون من توافر شروط التوزيع ، والتنويع ، والتوقيع ، وسمات الاسلوب القصصى البليغ ، ونظام البناء ، والتصميم ، وملامح الابداع ، والتنظيم .

مما وضحته فى رسالتى الكبرى :

((نظام المجموعات فى القصص القرآنى)) أو ((ظاهرة النظم فى قصص القرآن))

والقصص القرآنى يتضح تماما ، بتصويره وتنغيمه ، وتصويره وتصويره ، وتوزيعه وتنويعه ، وتماسكه وتفاعله .. !

وكل هذا ، وأكثر من هذا ، يتجلى فى نظام المجموعات القصصية فى القصة القرآنيـــة .

وأن سورا كثيرة من القرآن تنتظم هذه المجموعات ، من قصص القرآن ـ ومن أهم هذه الســـور :

القمر ، وحجر ، والاعراف ، ويوسف ، وطه ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، وهود والكهف ، والذاريات ، والعنكبوت ، والمؤمنون ، والانبياء ، والصافات ، والحجر وسبأ ، والمؤمن ، والزخرف ، ويونس ، ثم البقرة ، وآل عمران .

وتتصل هذه المجموعات القصصية ، مجموعة الحكايات ، في سورة التوبة ، على نحو ما سنرى في فصل الحكايات الذي يلي هذا الفصل الثالث .

وقد تناولت بالدراسة والتحليل معظم تلك المجموعات ، التي تحتويها تلك السور التي أربت على العشرين ، مما شغل أكثر من ألف وخمسمائة صفحة في كتابي : " نظام المجموعات في القصص القرآني " .

أما هنا - في هذا الفصل المعتمد على الإشارة الموجزة - فيجدر بي أن أذكر مجموعة أقاصيص ، وقصص بني إسرائيل ، في سورة البقرة ، التي أشرت إليها من قبل ، في هذا الكتاب .

فهذه المجموعة من أقاصيص ، وقصص بني إسرائيل : تقع بين آية (٤٠) إلى آية (١٢٣) من سورة البقرة .

فتصحق للدارسين أن يدرسوا التمهيدات الموطئة ، للمجموعات والوحدات وأن يدرسوا هذه المجموعات ، ثم يدرسوا ما يتصل بها ، من تعقيبات وتعليقات وتفريعات ، تفريعية ، وتقفية ؛

لتبين نظام المجموعات ، ووحداتها الأسلوبية ، واللغوية والسردية ، والموسيقة والتوزيعية ، ثم الفكرية ، والفلسفية ، والفقهية التشريعية .

وما ينبغي الالتفات إليه هنا أن هذه المجموعة الأقصوصة والقصصية في سورة البقرة تربطها وحدة التذكير بنعم الله ، وإمهاله لبني إسرائيل .

وفي السورة هدف مهم ، وهو تقرير وحدة الأديان ، ووحدة الإيمان - يظهر هذا في آية : (قولوا آمنا بالله) رقم (١٣٦) من البقرة التي تتصل بآية : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون) رقم (٢٨٥) من سورة البقرة

ومثل هذا مجموعة قصص " آل عمران " في سورة آل عمران وهي تقع بين آية (٣٣) وآية (٦٣)

وسورة آل عمران ، تلتقي مع هدف سورة البقرة ، بالدعوة إلى التوحيد - كلمة سواء - من آية (٦٤) : (قل : يا أهل الكتاب : تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) - إلى قوله سبحانه : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) آية (٨٥) سورة آل عمران .

xxxxxxxxxxxxxxx

تفصيل مجموعة الأقاصيص في سورة البقرة

التمهيد من آية (٤٠) الى آية (٤٨) البقرة

ومجموعة الاقاصيص ، والقصص القصار ، في سورة البقرة ـ هذه المجموعة الخاصة ببني إسرائيل ـ تبدأ من آية (٤٩) ـ وهي : (وإذ نجيناكم من آل فرعون) إلى قوله سبحانه : (إن كنتم مؤمنين) آية (٩٣) ومن آية (٩٤) الى آية (١٢٢) (ولا هم ينصرون) .

تكون مجموعة الاقاصيص ، هذه ـ محصورة بين آيتين متشابهتين ، أو آيات متشابهات ، في التمهيد والتعقيب .

فهاتان آيتا التمهيد ، للمجموعة : (يا بني إسرائيل : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأني فضلتكم على العالمين) (٤٧) (واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها شفاعة ، ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) (٤٨) سورة البقرة .

ثم تبدأ المجموعة بعد هذا التمهيد ، بهاتين الآيتين ، وذلك من آية (٤٩) إلى آية (١٢١) . وبعد انتهاء هذه المجموعة الطويلة الكبيرة يأتي التعقيب المتفق مع التمهيد ـ وهو متمثل في هاتين الآيتين المتشابهتين بآيتي التمهيد ـ وهما رقم (١٢٢ ، ١٢٣) من سورة البقرة :

(يا بني اسرائيل : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأني فضلتكم على العالمين (١٢٢) واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ، ولا تنفعها شفاعة ، ولا هم ينصرون (١٢٣) .

وواضح أن الآية الأولى من التعقيب ، هي الآية الأولى من التمهيد . وكذلك الآية الثانية في كليهما متشابهان مع فارق يسير !

وهذه المجموعة القصصية تتخللها تعليقات ، مثل : (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ؟) آية (٧٥) إلى قوله سبحانه : (أولئك أصحاب الجنة ، هم فيها خالدون) آية (٨٢) من سورة البقرة .

ومثل : (قل : إن كانت لكم الدار الاخرة ـ عند الله ـ خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) ـ آية (٩٤) سورة البقرة .

ثم هذه المجموعة الأقصوصية ، أو القصصية ـ تدرس في : قصص البطولات و وفي قصص المجموعات ، وفي قصص الأحداث ، ثم في القصص العقدي ، والتشويقي والحواري " الحجاجي " والسردي ، كما يدرس تعقيب وتعليق ، ويربط بين مجموعة الاقاصيص والقصص : بعضها والبعض الآخر .

من القصص المدنـــــى

قصص سورة البقرة ، وأغاضيصها ، ومناذجها ، وأمثالها ، وحكايتها .
جو السورة : التذكير بنعم الله .

— ١ —

قصة : خلافـــــة آدم
من اية (٣٠) الى آية (٣٩) سورة البقرة

— ٢ —

مجموعات أغاضيص بنى اسرائيـــــل

أ) التمهيد إلى المجموعة القصصية — من آية (٤٠) : (يابنى اسرائيل : اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) إلى قوله سبحانه : (ولا هم ينصرون) آية (٤٨)

أما مجموعة الأغاضيص ، الخاصة ، ببنى اسرائيل فهى — كما عرفنا — من آية (٤٩) : (وإذ نجيناكم من آل فرعون) — إلى قوله سبحانه : (وإن كنتم مؤمنين) آية (٩٣) ، ثم من آية (٩٤) إلى آية (١٢٣) ولا هم ينصرون وهنا مجال لتبين التمهيـــــد والتحليل للمجموعة ، ودراسة التعقيب ، والتعليق ، ومعرفة الفروق الدقيقة بيـــن التقديم والتأخير : فى : (ولا يقبل منها شفاعة ، ولا يؤخذ منها عدل) آية (٤٨) من التمهيد . — وفى : (ولا يقبل منها عدل ، ولا تنفعها شفاعة) آية (١٢٣) من التعقيب . وذلك عن طريق فقه اللغة ، وبلاغة الكلام ، ومراعاة مقتضيات الاحوال .

— ٣ —

أغاضيص : إمامة إبراهـــــيم
وهى آية واحدة (١٢٤) ســـــورة البقـــــرة

— ٤ —

أغاضيص البيت — آية واحدة (١٢٥) البقـــــرة

— ٥ —

أغاضيص أهل البيـــت — آية واحدة (١٢٦) سورة البقرة

— ٦ —

قصة بناء البيت — من آية (١٢٧) إلى آية (١٣٢) ســـــورة البقـــــرة .

ويظهر من هذه الأغاضيص الخاصة بإبراهيم عليه السلام أنها تدور حول نقطتين رئيسيتين ، أو موضوعين أساسيين ، وهما :

١) إمامة ابراهيم . ٢) اتخاذ مقام إبراهيم مصلى

وقصة إبراهيم عليه السلام — تعد تمهيدا ، وتوطئة ، للتشريع ، وفى العقيدة هذه العقيدة التى تنحصر فى الايمان ، بجميع الانبياء والرسل عليهم السلام ، وفى جعل الاسلام — دين الأديان ، ودين الانبياء والرسل جميعا .

وكذلك في التفريع في القبلة ، وفي بيان مكانة البيت الحرام — يتجلى ذلك كلـــــه في التعقيب ، وعلى أقاصيص ابراهيم عليه السلام . ومن قوله سبحانه :

(من يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) آية رقم (١٣٠) سورة البقرة .

الى قوله تعالى : (ان الله مع الصابرين) رقم (١٥٣) سورة البقرة .

وما هو جدير بالذكر ، والتنبيه اليه أن مجموعة أقاصيص بني اسرائيـــل ومجموعة أقاصيص ابراهيم عليه السلام ، وما أعقب هاتين المجموعتين ، من تعليـــق ، وتعقيب ، وتفريع ، محصورين بين قوسين مبطنين ، من حيث الفكرة ، والموضوع ، والاسلوب ، والوحدة اللغوية ، والبناء القصصي .

فالمجموعة الاولى محصورة بين توضيح نعم الله على بني اسرائيل . والمجموعـــة الثانية ، محصورة بين بيان نعم الله سبحانه ، على المسلمين ، وعلى سائر الانسان بإعلان الوحدة الدينية ، والعقدية ، المتمثلة في أقاصيص أبي الانبياء عليه السلام . وقد وصله السورة بعضها ببعض ، وحدة الأديان ، ووحدة الإيمان — آية (١٣٦) (قولوا : آمنا بالله) — بآية : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه) آية (٢٨٥) من سورة البقرة ، وكذلك الموضوع ، والاسلوب ، حول هاتين الفكرتين : الاستعانة بالصبر ، والصلاة . يتجلى ذلك في قوله سبحانه : (واستعينوا بالصبر والصلاة) آية رقم (٤٥) — الى قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا : استعينوا بالصبر والصلاة) آية رقم (١٥٣) .

— ٢ —

من أقاصيص التفريع — مجموعة (يسألونـــك)

— أ —

(يسألونك : ماذا ينفقون ؟ !) آية (٢١٥) من سورة البقرة .

— ب —

(يسألونك عن الشهر الحرام) آية (٢١٧) سورة البقرة .

— جـ —

(يسألونك عن الخمر ، والميسر) آية (٢١٩) البقرة .

— د —

(يسألونك عن اليتامى) آية (٢٢٠) سورة البقرة .

— هـ —

(ويسألونك عن المحيض) آية (٢٢٢) البقرة .

— و —

(ثم في سورة الكهف : " يسألونك عن ذي القرنين "

ويمكن جعل مجموعة " يسألونك) هذه من قبيل الحكايات .

— ٨ —

مجموعة (ألم تر) أخبرنى فى سورة البقرة

(أ)

(ألم تر إلى الذين خرجوا وهم ألوف ؟)
من آية (٢٤٣) الى (٢٤٥) سورة البقرة .

(ب)

(ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل ؟)
من آية (٢٤٦) إلى آية (٢٥٢) سورة البقرة

من قصص العقيدة والبعث

(جـ)

(ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه)
من آية (٢٥٨) الى آية (٢٦٠) سورة البقرة

(د)

(أو كالذى مر على قرية) آية (٢٥٩) سورة البقرة

(هـ)

قصة إبراهيم ، المجرب ، المثبت
(وإذ قال إبراهيم : رب أرنى كيف تحيى الموتى ؟)
آية (٢٦٠) سورة البقرة

من قصص الأمثال فى سورة البقرة

(مثل الذين ينفقون أموالهم) آية (٢٦١) البقرة
فمثله كمثل صفوان عليه تراب) آية (٢٦٤) البقرة
(ومثل الذين ينفقون أموالهم) آيتا (٢٦٥ ، ٢٦٦) من سورة البقرة
من التعقيب على الامثال :
(يأيها الذين آمنوا أنفقوا) من آية (٢٦٧) الى (٢٧٤) من سورة البقرة

هنا مجال للدراسة البلاغية ، وأدب الموازنات ، لمعرفة خصائص أساليب القرآن ، فى القصص الدنى ، بعد معرفة خصائصها فى القصص المكى .

ثم الالمام بأساليب القرآن ، العلمية ، كآيتى التداين ، التشريعية فى المعاملات (رقم ٢٨٢ ، ٢٨٣) البقرة

وسورة البقرة ـ كما رأينا ـ متصلة المعاني والأهداف، والذي قوى الوحدات اللغوية ، والفكرية ، والهدفية ، والتصميمية ـ وحدة الايمان ووحدة الاديان . وقد حققت هاتين الوحدتين آية (١٣٦) البقرة (قولوا : آمنا بالله) ـ وآية (٢٨٥) سورة البقرة : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله، وملائكته وكتبه ، ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا ، واليك المصير) .

من القصص اللدني

مجموعة قصص "آل عمران" في سورة آل عمران

قصص آل عمران
من قوله تعالى : (اذ قالت امرأة عمران) آية (٣٥) سورة آل عمران
إلى قوله سبحانه : (فان الله عليم بالمفسدين) آية (٦٣) آل عمران
وهذا هو تفصيل ذلك مجملا :

(١)

قصة امرأة عمران ، ومريم
من آية (٣٥) الى (٣٧) سورة آل عمران .

(٢)

قصة زكريا ، ويحيى ـ عليهما السلام
من آية (٣٨) الى آية (٤١) سورة آل عمران

(٣)

قصة نشأة مريم ، وإعدادها
آيتا ٤٢ ، ٤٣ ـ من سورة آل عمران

(٤)

قصة ولادة عيسى ـ عليه السلام
من آية (٤٥) الى آية (٦٣) أو (٥٨) ثم التعقيب
واذا كان هذا هو التعقيب ، فان تمهيد هذه المجموعة القصصية
آيتا ٣٣ ، ٣٤ ـ سورة آل عمران .
وفي سورة آل عمران ـ يظهر المغزى من غزوة بدر ، في آية (١٣) من السورة ودروس من غزوة أحد ، في سورة آل عمران ـ من أول قوله سبحانه (٢١) : (واذ غدوت من أهلك) الى آية (١٨٩) من سورة آل عمران .

من القصص المكي

مجموعة سورة الكهف

قصص: ١) أصحاب الكهف ٢) مثل الرجلين
٣) موسى والعبد الصالح ٤) قصة ذي القرنين ، وحكايته

وهذه المجموعة تعد من قصار السور ، والرحلات المكانية ، والزمانية ومن قصار الصور ، بين الفتنة والعذاب ، وبين الثقات على العقيدة وبين الايمان والكفر ، ثم بين الشريعة والحقيقة ، واخيراً بين العدالة والظلم .

مجموعة سورة الحشر

في سورة الحشر ، مجموعة نصلح أن تدرس في قصص النماذج :

١) إخراج الذين كفروا من أهل الكتاب ، من ديارهم ، لاول الحشر آية رقم (٢)

٢) (والذين تبوؤا الدار ، والايمان) آية رقم (٩)

٣) (والذين جاءوا من بعدهم) آية رقم (١٠)

٤) (ألم تر الى الذين نافقوا ، يقولون لإخوانهم) من آية (١١) الى آية (١٥) سورة الحشر .

وهذه المجموعة من القصص النموذجي ، المعتمد على مجموعات تمثل البطولات . كما أن القصص المصدر بالاستفهام التقريري ـ يعد من القصص التقريري ـ كما في القصة الرابعة ، من مجموعة الحشر ، وكما في مجموعة (ألم تر) في سورة البقرة . ثم هي أي قصر هذه المجموعة ـ تحمل معنى التلميح بالاشخاص

****

الفصل الرابع

من الحكايات في قصص القرآن

مجموعة الحكايات في سورة التوبة

(أ)

من القصص العقدي ، والجدلي :

١) حكاية قول اليهود ، والنصارى ، في عزير ، والمسيح من آية (٣٠) الى (٣٣) سورة التوبة ـ بالتعقيب والتعليق ، وابراز المغزى

٢) حكاية (من يقول : ائذن لى ، ولا تفتنى) من آية (٤٩) الى (٥٢) من سورة التوبة .

(ب)

من القصص النفسى ، وغيره :

٣) حكاية (من يلمزك الرسول فى الصدقات) من آية (٥٨) الى (٦٠) سورة التوبة .

٤) حكاية (الذين يؤذون النبى ، ويقولون : هو أذن) من آية (٦١) الى (٦٢) سورة التوبة .

٥) حكاية (من حاد الله) من آية (٦٣) الى (٦٨) سورة التوبة .

٦) حكاية (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) (٨١) — (٨٢) ثم (٨٨) ، (٨٩) الملحق من سورة التوبة .

٧) حكاية (وجاء المعذرون من الأعراب) من آية (٩٠) الى (٩٦) سورة التوبة .

٨) حكاية (من يتخذ ما ينفق مغرما) آية (٩٨) من سورة التوبة .

٩) حكاية (من يؤ من بالله ، واليوم الاخر) (٩٩) ، (١٠٠) التوبة .

١٠) حكاية (من مردوا على النفاق) آية (١٠١) سورة التوبة .

١١) حكاية من (خلطوا عملا صالحا ، وآخر سيئا) من آية (١٠٢) الى (١٠٥) سورة التوبة .

١٢) حكاية (من هم مرجون لأمر الله) آية (١٠٦) سورة التوبة .

١٣) حكاية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ماعنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤف رحيم) آيتا (١٢٨) ، (١٢٩) آخر سورة التوبة .

هذا يمكن وضع مجموعة (يسألونك) الموجودة فى سورة البقرة ، وفى سورة الكهف — من قبيل الحكايات وهى موجودة فى الفصل الثالث من قصص المجموعات فى القرآن — وهى باختصار :

١٤) (يسألونك : ماذا ينفقون ؟) آية (٢١٥) البقرة .

١٥) (يسألونك عن الشهر الحرام) آية (٢١٧) سورة البقرة .

١٦) (يسألونك عن الخمر والميسر) آية (٢١٩) سورة البقرة .

١٧) (يسألونك عن اليتامى) آية (٢٢٠) سورة البقرة .

١٨) (ويسألونك عن المحيض) آية (٢٢٢) سورة البقرة .

١٩) (ويسألونك عن ذى القرنين) سورة الكهف .

على أن فى سورة التوبة مجموعة أخرى ، تدخل فى قصص الاحداث ، كما تدخل هنا فى مجموعة الحكايات وهى هذه :

٢٠) قصة الهجرة) ـ آيتا ٤٠ ، ٤١ ـ سورة التوبة .

٢١) (قصة الذين يلمزون المطوعين) آيتا (٧٩ ، ٨٠) سورة التوبة

٢٢) (قصة الذين اتخذوا مسجدا ضرارا) من آية (١٠٧) الى (١١٠) سورة التوبة .

٢٣) (قصة توبة الله على النبي ، والمهاجرين ، والأنصار) اية (١١٧) سورة التوبة .

٢٤) (قصة الثلاثة الذين خلفوا) آية (١١٨) سورة التوبة .

وجدير بالباحثين والدارسين أن يرجعوا إلى تفسير هذه القصص وتلك الحكايات ، في كتب الحديث مثل "صحيح البخاري" ـ وفي كتب التفسير .

××××××××××××××××××××

مجموعة الحكايات في سور :

الحجرات ، والفتح ، والمائدة ، والمجادلة

٢٥) حكاية (دعوى الأعراب ، أوادعائهم) من آية (١٨) سورة الحجرات وهي من القصص العقيدي ، والجدلي ، والتاريخي .

٢٦) (قصة المجادلة) في الآية الاولى ، من سورة المجادلة ثم من آية (٢) إلى (٤) بيان حكم الظهار ، المنتزع من القصة ـ وهي من القصص التعبدي ، والتشريعي ، والتأديبي .

××××××××××××××××××××

مجموعة الحكايات في سورة الفتح

٢٧) حكاية (قول المخلفين من الأعراب) من آية (١١) إلى آية (١٤) سورة الفتح ـ حكاية لم تقع ، وستقع .

٢٨) حكاية (قول المخلفين من أجل الغنائم) من آية (١٥) إلى آية (١٧) من سورة الفتح .

٢٩) قصة (المبايعة تحت الشجرة) ـ وحكايتها من آية (١٨) إلى (٢٣) سورة الفتح .

٣٠) حكاية ، أو قصة : (صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) آية (٢٧) سورة الفتح .

ومن سورة المائدة :

٣١) حكاية (قول اليهود ، يد الله مغلولة) آيات ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ سورة المائدة .

××××××××××××××××××××

من الحكايات في سورة الذاريات

٣٢) (حديث ضيف إبراهيم المكرمين) في سورة الذاريات ـ من (٢٤ ـ ٣٧) الذاريات .

وهنا مجال لتحقيق الأحاديث ، وتبيين صلتها بالحكايات ومجال للموازنة بين حديث ضيف ابراهيم المكرمين ، في سورة الذاريات ، وبين قصة ضيف ابراهيم ، في سورة الحجر وبين قصة ضيف ابراهيم في سورة هود

وحديث الذاريات يتسم بسمة الحوار ، والموسيقية وقد وصف الضيف بالمكرمين ثم نظم الحديث ضمن نظام المجموعات . أما قصة ابراهيم في الحجر فهو من القصص الطويل ، ذى الفصول الخمسة .

ومن الحكايات في سورة الغاشيـــــــة

٢٣) (حديث الغاشية) ويشغل السورة كلها ، وقد درس في الاسلـــــوب التصويرى ، والتوقيعى ، والتوزيعى .

ومن الحكايات في سورة النازعات

٢٤) (حديث موسى) — من آية (١٥) الى (٢٦) سورة النازعات

وهذا الحديث ، من القصص المركز السريع ، المؤثر — وهنا مجال للموازنات بين قصص موسى ، في مختلف السور .. وخاصة بين حديث موسى في النازعات ، وحديث موسى ، في سورة طه .

××××××××××××××××××××

وفي الصفحـــة التاليـــــة

بيـــــان

بآيات مجموعة الحكايات في سورة النجم

رقم الآيات	— بداية الحكايـــة	— نهايتهـــا
	٣٠	٣٢
	٤٩	٥٢
	٥٨	٦٠
	٦١	٦٢
	٧٥	٧٨
التعليق (٨٨ ، ٨٩) —	٨١	٨٧
	٩٠	٩٦
	٩٨	
	٩٩	١٠٠
	١٠١	
	١٠٢	١٠٥
	١٠٦	
	١٢٨	
	٤٠	
	٧٩	٨٠
	١٠٢	١١٠
	١١٧	
	١١٨	

وتدرس هذه الحكايات ، والقصص ، ضمن نظام الوحدات ، لتعرف الوحدات الفكرية ، والنفسية ، والجدلية ، والطقسية ، والتصويرية ، والتهذيبية ، والتوجيهية ، ثم اللغوية ، والاسلوبية ، والبيانية .

وسورة التوبة تستحق الدراسة المستقلة ، على نحو من علم النفس التحليلي فيها كشف لخفايا النفس ، ومواطنها ، وإذاعة لأسرار الأعداء ، متمثلين المنافقين والكافرين .

ثم هي ملحمة حربية ، ونفسية ، لها أكبر أثر في فتح أساليب الأعداء في كل زمان ومكان . وأنصح أن تدرس هذه السورة في الكليات الحربية والعسكرية كما تدرس في سورة الانفال ، من الوجهة الحربية ، في الكليات الحربية .

ثم تدرس الغزوات ، والملاحم ، التي وردت في القرآن دراسة نفسية ، وتحليلية ، وحربية ، ودينية ، واجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية وفلسفية مع القاء الاضواء عليها ، من كتب السير ، والمغازي ، ومن كتب التاريخ والآثار — وأن تصور هذه المعارك تصويرا صادقا ، في مواطنها التي وقعت فيها . وأن تخلد بفنان الفنون ، والآداب ، كالأدب المسرحي ، والقصص "السينمائي" ، والتمثيل الإذاعي ، والملاحم الشعرية ، والقصص الطويلة ، والمحاضرات . وتعد هذه الآيات الصورة للمعارك والغزوات ، من أدب البطولات ، ومن أدب المقاومة .

وسورة التوبة — الى جانب ذلك ، بما فيها من حكايات أحصيتها في جدول الآيات — توحي للباحثين بعشرات البحوث ، وتمدهم بعديد الموضوعات .

— وقد دللتهم عليها في ذيل هذا ، لعلهم يوفقون فيسهموا ببحوثهم ودراساتهم ، اسهاما علميا ، وفنيا ، وأدبيا ، بدافع الوطنية ، والقومية بدافع بث الروح الحية ، في النفوس العربية ، وفي صدور المسلمين وقلوب المؤمنين . تأهبا لمعارك البطولات ، والانتصارات ، وتحقيقا لقوله سبحانه :

(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

٦٥

الفصل الخامس

من قصص الملاحم والغزوات في القرآن

(١)

قصة موسى ، ومحاربة الجبابرين

من آية (٢٠) الى آية (٢٦) سورة المائدة

(وإذ قال موسى لقومه : يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) .

(٢)

قصة يوم حنين

من آية (٢٥) إلى (٢٧) ـ سورة التوبة .

(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ...) إلى قوله سبحانه : (والله غفور رحيم)

بيئة القصة : يوم حنين ، وهي البيئة الزمانية ـ بيئة القصة المكانية ـ العامة : مواطن كثيرة . والقصة ذات فصلين وكل فصل من أربعة مناظر وهي هكذا :

الفصل الاول :

١) الاعجاب بالكثرة ـ ٢) عدم نفعها لهم .
٣) ضيق الارض بهم ـ ٤) فرارهم مدبرين .

الفصل الثاني :

١) انزال الله سكينته على رسوله ـ ٢) وعلى المؤمنين
٣) انزاله جنودا لم يروها ـ ٤) تعذيب الذين كفروا .

المغزى والثمار : وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم .

(٣)

قصة ذي القرنين

وهي نموذج للفتوحات العادلة ، التي تهدف الى اقرار الحق ، ونشر العدالة والقضاء على الباطل ، ومحو المظالم . ولعله اروع قصة متكاملة للفتوحات الاسلامية والغزوات المحمدية . وهي تقع بين آيتي ٨٣ ، ٩٨ من سورة الكهف .

من قصص الملاحم ـ في سورة البقرة

(٤)

قصة (الذين خرجوا من ديارهم)

آيات ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ـ بالتعليق من سورة البقرة .

(٥)

قصة البلاء من بني اسرائيل

وهي من القصص الطوال ـ من آية ٢٤٦ = ٢٥٢ من سورة البقرة .

من قصص المعارك ، والغزوات والرحلات في سورة الانفال

(٦)

"غزوة بدر" من آية (٥) الى (١٩) الانفال

(٧)

من قصص الطائفة ـ آية (٢٦) سورة الانفال
(واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون)

(٨)

قصة الهجرة ـ آية (٣٠) سورة الانفال
(واذ يمكر بك الذين كفروا)

(٩)

متفرقات من الغزوات والحروب من آية (٤٢) الى (٥١) سورة الانفال

في سورة آل عمران

(١٠)

الغزوة من غزوة بدر ـ آية (١٢)

(١١)

دروس من غزوة أحد من قوله سبحانه : (واذ غدوت من أهلك) آية (١٢١) الى قوله تعالى (والله على كل شيء قدير) (١٨٩) سورة آل عمران .

(١٢)

غزوة الأحزاب في سورة الاحزاب

من قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا : اذكروا نعمة الله عليكم) آية رقم (٩) الى قوله عز وجل : (وكان الله على كل شيء قديرا) آية (٢٧) سورة الاحزاب وهي من القصص النفسي ، والبلاغي ، الحربي ، ومن القصص الحواري ، والعقدي

(١٣)

من سورة النساء :

" قصة الذين قيل لهم : كفوا أيديكم " من آية ٧٧ ـ ٨٥ من سورة النساء والتمهيد من ٧١ ـ ٧٦ سورة النساء .

(١٤)

قصة : " صدق الله رسوله الرؤيا بالحق " آية (٢٧) الفتح وهي من قصص الملاحم ، والغزوات ، الفتوحات .

(١٥)

قصة يوم حنين ـ من آية (٢٥) الى (٢٧) التوبة ـ من : (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) ـ الى : (والله غفور رحيم) .

(١٦)

قصة النصر ، فى سورة النصر

وهى هكذا :

١) مجئ نصر الله ٢) الفتح

٣) دخول الناس فى دين الله ٤) دخولهم فيه أفواجا

مقابلة هذه البشارات تكاليف بالشكر وللشكر :

١) التسبيح ٢) تحميد الله ٣) الاستغفار ٤) التوبة

تدرس هذه السورة دراسة وافية تبين سر روعتها ، من حيث مقابلة التكاليف للبشارات ، ومن حيث صلة هذه بتلك !

ومن حيث نظمها ، وتداخلها ، وربط الجواب (فسبح) بالشرط ، (إذا جاء)

ولعل هذا أساس متين ، من أس الوحدة العضوية قبل أن تعرف فى النقد ، هذه الوحدة .

كما تدرس غزوة بدر ، على أنها من قصص الملاحم والحروب ، وكذلك سورة الأنفال ثم سورة التوبة جد يرة بتحليلها على ضوء علم النفس التحليلى — ففيها كشوف لنفوس المنافقين ، والكفار ومن اليهم

ثم يوازن بين قصة الهجرة ، فى سورة التوبة ، وبين قصة الهجرة ، فى سورة الأنفال — يبين فيه مدى صلة كل قصة ، بسورتها ومدى صلتها بالثانية .

ثم فئة المقابلة ، بين حال المسلمين ، فى آيات المقابلة ، فى سورة الانفال : (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون) .

تدرس حالة المسلمين ، الحربية ، والاجتماعية ، والنفسية ، ويوازن بين حالتهم هذه ، وحالة أعدائهم من الكافرين ، على ضوء علم النفس الحربى والاجتماعى .

تدرس روعة سورة الانفال ، الملحمية ، وتلقى الأضواء على جوها الممهد له أول السورة : بطاعة الله ورسوله .

مع ربط نظام الطلقة ، فى أنحاء السورة ، وما بها من معارك ، وملاحم ، ونظم ومعانى .

××××××××××××××××××××××

الباب الثالث

(متنوعات)

الفصل الأول

من قصص العنصر السائد فى القرآن

قصة " سليمان عليه السلام " — بسورة سبأ

وهى ذات توقيع خاص .

من

أقصوصة موسى وفرعون ـ من سورة الزخرف

تغلب عليها السخرية ، والتعريض ، والتهكم .

قصة نوح عليه السلام ـ في سورة نوح

تتسم بتيار الوعي ، الداخلي = وهي من القصص الخطابي ، الموسيقي الملحمي = وهي تأخذ من الفكرة الاسلامية ، وتعطيها ـ تتسم بتيار التأثرية ، والتأثيرية .

مجموعة أقاصيص سورة الصافات

مجموعة سورة الكهف

وقد عرفنا مفردات القصص الأربعة ، التي تحتويها وهي ـ كما نذكر ـ :

١) قصة أصحاب الكهف ٢) قصة ذي مثل ، أو مثل في قصة

٣) قصة موسى والخضر ٤) قصة ذي القرنين

العنصر السائد هو البيئة المكانية ، والزمانية ـ وهو الحوار ، والتراع أو الصراع ، بين :

١) الايمان والوثنية ـ كما في " أصحاب الكهف "

٢) الايمان والكفر ـ وبين العقل والغرور ـ كما في المثل

٣) بين الشريعة والحقيقة ـ كما في موسى والخضر .

٤) بين العدالة والظلم ، أو بين الأمم الغالبة ، والامم المغلوبة ـ كما في " ذي القرنين " .

قصة ابراهيم في سورة الانبياء

تدرس في باب الحوار ، الصراع ، البطولات ، وفي الواقعية .

مجموعات سورة الانبياء

أقاصيص : لوط ، نوح ، داود ، سليمان ، أيوب ، اسماعيل وادريس وذي الكفل ، ذي النون ، زكريا ، ثم التي أحصنت فرجها . تغلب على هذه الاقاصيص سمة التصميم ، والتنغيم ، والفكرة الموحدة .

من قصص الوصايا

تغلب عليها الفكرة ـ كما في سورة « لقمان » ولهذه الوصايا صلة بالفكرة الاسلامية ، والتشريع الاسلامي .

وكذلك (الوصايا) في سورة الاحقاف .

٦٩

الفصل الخامس

من قصص الرحلات ، والبيئات في القرآن

قصص سورة الكهف

وهذه قد مرت علينا ، ومررنا عليها أكثر من مرة ولكنها تتصل بهذا الباب * قصص الرحلات والبيئات * — وهي — كما تعلم — أربع قصص أو أربع رحلات :

١) قصة أصحاب الكهف — وهذه تمثل الرحلة الزمنية .

٢) مثل المؤمن ، والكافر — وهو يمثل البيئتين : البيئة المترفة والقصيرة العظيمة ، والقانعة .

٣) قصة موسى ، والعبد الصالح — وهي تمثل الرحلة العلمية .

٤) قصة ذي القرنين — وهي تمثل الفتوحات والغزوات .

قصة الاسراء — في سورة الإسراء

وهي تمثل تحدي المكان ، والزمان ، في آن . وهي صورة من صور الاعجاز لخص الله به رسوله .

قصة المعراج — في سورة النجم

وهي أقوى من تلك ! فهذه رحلة في السماء ، من السماء ، وإلى السماء أما قصة الاسراء ، فهي رحلة أرضية .

الفصل السادس الرابع

من قصص الاحاديث في القرآن

حديث موسى — في سورة الناز عات

وحديث ضيف إبراهيم — في الذاريات

ثم حديث الغاشية ، في سورة الغاشية

من معارض القيامة في القرآن : أوائل سور — الانفطار ، الانشقاق

وما ينبغي تذكره :

أن معظم القصص القرآني مكي ، وأن خصائص القصص المكي ، كثيرة — من أهمها — تناول أهم القضايا الاسلامية وعلاجها — في هذه القصص المكية ، مقاومة الكفار والرد على شبهاتهم ، ودحض مفترياتهم — وتثبيت عقيدة التوحيد والتمهيد لأحكام التشريع .

وقد اتسم القصص القرآني المكي ، بأسلوب تصويري ، تهديدي ، وترغيبي ترهيبي ، تأثيري — وبأهداف تربوية ، أو أهداف ضمنية .

الفصل الخامس

من قصص الوصايا ـ في القرآن

قصص الوصايا
قصة " لقمان " مع ابنه في سورة لقمان
قصة توصية الانسان بوالديه إحسانا ـ من آية ١٥ إلى ١٩ سورة الأحقاف
قصة توصية الانسان بوالديه إحسانا آيتا ٨ ، ٩ ـ سورة العنكبوت
قصة ميثاق بني اسرائيل ـ آيتا ١١ ، ١٢ من المائدة أو قصة النقباء والميثاق
فهذه القصة من قصص التشريع ، وهي تدرس على نحو من تاريخ الانسان ،
أو تاريخ التشريع .
يدرس في الوصايا ، والمواثيق والعهود من قصص المواثيق ـ من آية ١٤ ـ ١٦
من سورة المائدة .

الفصل السادس

من قصص الأمثال ـ في القرآن

من قصص الامثال :
أمثال سورة النحل :
١) آية (٧٥) ٢) آية (٧٦) ٣) آية (١١٢)
٤) مثل سورة الكهف (المؤمن والكافر) من آية ٣٢ = ٤٩ سورة الكهف
٥) مثل الحياة الدنيا ـ آية (٤٥) ـ الكهف
٦) مثل سورة الروم
٧) مثل سورة العنكبوت (٤١) ـ العنكبوت
٨) مثل الحياة الدنيا ـ آية (٢٠) سورة الحديد
أمثال سورة البقرة :
آيات الانفاق ، وأمثالها ـ من آية (٢٦١ ـ ٢٦٦) سورة البقرة
والتعقيب على الأمثال من ٢٦٧ ـ ٢٧٤
من قصص الأمثال :
مثل الجنة ـ آية (١٥) سورة محمد (ص)
مثل الجنة ـ آية (٣٥) سورة الرعد
مما ينبغي التنبيه إليه ـ أن مجموعة الامثال قد توالى نزولها في سور متجاورة ، تدرس هذه الظاهرة ، لمعرفة سببها ، وكيفيتها وجدواها .
من قصص الشيطان ـ مثل الشيطان آيتا ١٦ ، ١٧ سورة الحشر

من قصص الامثال

مثل نور الله — آية (٣٥) سورة النور — المثل قائم على العلم ، أو أو على نور الحقيقة ، الساطع .

مثلا الذباب — آية (٧٣) سورة الحج .

أمثال قصصية في سورة التحريم

مثلا : امرأة نوح — امرأة لوط مثلا للذين كفروا .. !
وهما في خمسة فصول :

١) امرأة نوح ، وامرأة لوط
٢) كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
٣) فخانتاهما !
٤) فلم يغنيا عنهما من الله شيئا
٥) وقيل : ادخلا النار مع الداخلين

فهذه خمسة فصول :

الاول — تقديم الشخصيات الثاني — التعريف بالصفات للشخصيات
الثالث — بدء الازمة الرابع — تأزم الازمة ، بداية نهايتها
الخامس — ختام القصة ، بنهاية الازمة

مثل امرأة فرعون — من قصص النجاة ، والثبات على العقيدة .

مثل مريم ابنة عمران — آية (١٢) . وهذه فصول المثل الخمسة :

١) مريم ٢) أحصنت فرجها
٣) فنفخنا فيه من روحنا ٤) وصدقت بكلمات ربها ، وكتبه
٥) وكانت من القانتين .

فهذه خمسة فصول ، في هذا المثل أيضا .

١) تقديم الشخصية ٢) الدخول في الحادثة
٣) تطويرها ٤) نموها واطرادها
٥) كلمة التعقيب ، والختام .

من قصص الامثال

مثل الذين حملوا التوراة — آية (٥) سورة الجمعة

جزئياته ، وفصوله :

١) حملوا التوراة ٢) ثم لم يحملوها
٣) كمثل الحمار ٤) يحمل اسفارا

النتيجة : بئس مثلهم !

الامثال القصصية ، أو قصص الامثال

سورة الفتح آية (٢٩)

قصة الاسلام

١) محمد رسول الله ٢) والذين معه

أ) اشداء على الكفار ب) رحماء بينهم
ج) تراهم ركعا ، سجدا د) يبتغون فضلا من الله ، ورضوانا
هـ) سيماهم في وجوههم من آثر السجود

ذلك مثلهم في التوراة

قصة مستقبل الاســـلام

ومظهم في الانجيـــــل :

١) كزرع ، بمحمد صلى الله عليه وسلم .
٢) أخرج شطأه ، بأبي بكر ـ رضى الله عنه .
٣) فـــآزره ، بعمر رضى الله عنه .
٤) فاستغلظ ، بعثمان (رضى الله عنه)
٥) فاستوى على سوقه (بعلى رضى الله عنه) .

الاثر الديني : يعجب الزراع ، ليغيظ بهم الكفار

البـــــرهان : « وعد الله الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات منهـــــم مغفرة ، وأجرا عظيمـــا »

سورة الصف ـ موسى وقومـــه

الموضوعة في آية رقم (٥) ـ « وإذ قال موسى لقومه : يا قـــوم لم تؤذونـــي »

وهي من قصص التوحيد ، والدعوات ؟

الموضوعة "عيسى وبني اسرائيل" :

وصل الدعوات بعضها ببعض ـ آيـة (٦)

الموضوعة "الانصار" "الحواريين" آية (١٤)

(يأيها الذين آمنوا : كونوا أنصار اللـــه)

يلحظ أن شخصية الرسول عليه السلام ـ كافة ورغم كل شخصية ! كموسى المعجب ! .. وشخصيـــة عيسى المبشـــر ! ومن هنا كانت هذه المجموعة من أقاصيص الدعوة .

مهمة الرسول كما صورتها سورة الجمعة

آيات ٢ ، ٣ ، ٤ من سورة الجمعـــة

١) اختياره رسولا منهم ٢) يتلو عليهم آياتـــه
٣) يزكيهم ٤) يعلمهم الكتاب
٥) والحكمـــة

تعقد موازنة بين الآيات المتماثلة ، الخاصة بمهمة الرسول ، ووظيفتـــه ، ورسالته ـ كما وردت في سور : آل عمران ، والصف ، والجمعة ، والتغابن

سورة التغابن ـ آيتا ٥ ، ٦ سورة التغابن

نموذج من قصص النماذج : (نبأ الذين كفروا من قبل)

يدرس في قصص التضحيات ، وفي القصص الاختبـــاري .

من الحكايات :

قصة ، أو حكاية من قصص وحكايات العقيـــدة :

١) زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا
٢) قل : بلى وربي ، لتبعثن
٣) ثم لتنبؤن بما عملتـــم .

وذلك علـــى الله يســـير .

من سورة الفتح :

قصة من القصص الجدلي ـ حكاية ظنية من ١١ ـ ١٤ سورة الفتح حكاية قول المخلفين من الاعراب .

قصة البايعة تحت الشجرة ـ من آية ١٨ ـ ٢٢ سورة الفتح

قصة الفاسق الذي جاء بنبأ ـ من سورة الحجرات

حكاية ادعاء الاعراب الايمان ـ من ١٨ ـ الى آخر سورة الحجرات

قصة اسرار الحديث ، وافشائه ـ من آية ٢ ـ ٥ من سورة التحريم .

الفصل السابع

من القصص الجدلي في القرآن

حكاية هذه الاية :

(لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم) (قل : فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم ، وامه ، ومن في الارض جميعا ؟ ( ) ـ آية (١٧) سورة المائدة .

حكاية آية :

(وقالت اليهود ، والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه) ـ آية رقم (١٨) سورة المائدة .

حكاية آية :

(لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة) من آية (٧٣) الى (٧٧) سورة المائدة .

وتدور حكول بطلان ـ التثليث ـ

والحكاية الاولى تدور حول بطلان تأليه المسيح .

والحكاية الثانية تدور حول القضاء على عقدة الرفعة ، والاختيار .

من قصص عيسى يوم القيامة ـ تذكيره بنعم الله (١٠٩) (١١٠) من سورة المائدة (يوم يجمع الله الرسل) .

موقف عيسى مع الله :

قصة حوارية عقيدية ـ هي حسن الطلقيات عن عيسى عليه السلام .

وهي موقف عيسى بين يديه من آية (١١٦) الى (١١٩) سورة المائدة وآية (١٢٠) التعليق من الله عز وجل .

قصة الحواريين والمائدة ـ آية (١١١) تعريف بالشخصيات القصة من (١١٢) الى (١١٥) سورة المائدة .

حكاية : أخذ الميثاق من النصارى . آية (١٤) سورة المائدة وتفصيل بآيتي ١٥ ، ١٦ سورة المائدة .

حكاية : "أخذ ميثاق بنى اسرائيل" ـ آية (٧٠ـ ٢١) سورة المائدة
نبأ ابنى آدم ـ من آية (٢٧ـ ٣١) سورة المائدة . والتعليق من ٣٢ـ ٣٤ سورة المائدة .

وهى قصة تعالج فكرة الحسد ، وضاره ، تدرس فى باب الحوار الجدلى الدال على النفسيات ، والشخصيات ، وفى تصوير الاحداث ، ثم هى قصة الكبر ، والتمرد ، والغرور

الفصل الثامن

من القصص الواقعى فى القرآن

مجموعة أقاصيص ، وقصص بنى اسرائيل فى سورة البقرة ـ من آية (٤٠) الى آية (١٢٢) سورة البقرة .

قصص الانبياء ، والمرسلين ـ قصص واقعى ، فى أحداثه ، وتصاويره كما أنه قصص مثالى ، فى أهدافه ، ومراميه .

مجموعة قصص سورة الكهف :

١) قصة الكهف ٢) مثل الرجلين ٣) مثل الحياة الدنيا
٤) موسى والعبد الصالح ٥) قصة أو حكاية ذى القرنين .

واذا نظرنا فى أهداف هذه القصص ، ومرامى هذين النمطين ـ نجد لنا هذه المجموعة من القصص المثالى ـ فقد جمع القصص فيها :

بين المثال الواقعى ـ وبين الواقع المثالى

الفصل التاسع

من القصص المثالى فى القرآن

قصة "امامة ابراهيم عليه السلام" آية (١٢٤) سورة البقرة .
قصة ـ بناء البيت ـ من آية (١٢٥ـ ١٢٨) سورة البقرة .
والمثالية تتحقق فى الامامة وفى دعاء ابراهيم عليه السلام .

مجموعة سورة الكهف
وهى من القصص الواقعى المثالى ـ معا

والمثالية تتحقق فى :
الاسلوب القصصى البليغ ، الذى تتوافر فيه صفات :

أ) الوضوح ب) القوة ج) الجمال
وهذه هى شروط الاساليب الادبية بوجه عام .

كما تتحقق المثالية فى : الاهداف ، التى تهدف اليها وجماعها ثلاثة :
١) الحق ٢) الخير ٣) الجمال
ويمكن جعل القصص القرآنى كله ، مثاليا فى أهدافه ، ومراميه .
كما أنه بليغ معجز فى ألفاظه ، ومعانيه .

الدكتور محمد محمد حماد

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

محتوى هذا الكتاب

الموضوع	الصفحة
من بحوث القصة القرآنية ، تمهيد ، وتقديم	١
أنواع القصص القرآني ، مدخل وتعريف	١
أنواع القصص القرآني بالنظر الى التعميم	١
أنواع القصص القرآني ، بالنظر الى العنصر السائد فيه	٢
أنواع القصص القرآني بالنظر الى الفكرة ، والمغزى ، والأسلوب	٢
أنواع الأساليب القصصية في القصة القرآنية ،	٣
القسم الأول	٥
الباب الأول	٥
الفصل الأول	٥
من أساسيات القرآن	٥ ـ ١٩
الفصل الثاني	٢٠
من القصص القصير في القرآن	٢٠ ـ ٣١
الفصل الثالث	٣١ ـ ٣٦
من التلميحات القصصية في القرآن	٣١ ـ ٣٦
الباب الثاني	٣٦
من القصص الطويل في القرآن	٣٦
الفصل الأول	٣٦
القصة البدوية	٣٦ ـ ٤٨
الفصل الثاني	٤٨
من الروايات في القرآن	٤٨ ـ ٥٣
الفصل الثالث	٥٣
من قصص المجموعات في القرآن	٥٣ ـ ٦٠

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع	٦٠
من الحكايات في قصص القرآن	٦٠ - ٦٥
الفصل الخامس	٦٥
من قصص الملاحم والغزوات	٦٥ - ٦٧
الباب الثالث	٦٧
متفرقات	٦٧
الفصل الأول	٦٧
من قصص العنصر السائد في القرآن	٦٧ - ٦١
الفصل الثاني	٦١
من قصص الرحلات والبعثات في القرآن	٦١
الفصل الثالث	
من قصص المواقف في القرآن	٦٩
الفصل الرابع	٦٩
من قصص الأحاديث في القرآن	٦٩
الفصل الخامس	٧٠
من قصص الوصايا في القرآن	٧٠
الفصل السادس	٧٠
من قصص الأمثال في القرآن	٧٠ - ٧٣
الفصل السابع	٧٣
من القصص الحواري في القرآن	٧٣ - ٧٤
الفصل الثامن	٧٤
من القصص الرائع في القرآن	٧٤
الفصل التاسع	٧٤
من القصص الشائق في القرآن	٧٤

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

الجانب النفسي
في قصص القرآن

الأستاذ محمد محمد بقاعة

الدكتور محمد محمد أبو الفضل

قصص سورة الحجر

آيتا (٢٦) و(٢٧) لمحة خلق الإنسان والجان ، وهذه اللمحة تمهيد ، وتوطئة للقصة الآتية : من آية (٢٨) إلى آية (٤٤) ـ قصة إبليس .

* * *

آيتا (٤٩) و(٥٠) ـ لمحة المغفرة والعذاب ، وهذه اللمحة تمهيد وتوطئة للقصة الآتية : من آية (٥١) الى آية (٦٠) ـ قصة ضيف ابراهيم .

* * *

ومن آية (٦١) الى آية (٧٢) ـ قصة ضيف لوط ، وهي متصلة بقصة ضيف ابراهيم . فهاتان قصتان من خلال قصة واحدة ، هي " الضيف " وهؤلاء الضيف هم أبطال القصتين على وجه التحقيق . وهما اللذان ربطا قصتي ابراهيم ولوط ، وجعلاهما قصة واحدة ، هي " قصة الضيف المرسلين " .

* * *

وفي كل من قصة إبليس ، وقصة ضيف ابراهيم ، وقصة ضيف لوط ، يبدو الحوار عنصرا بارزا ، مهما ، بينما نجد الرد مختفيا ، أو يكاد .

* * *

وفي آيات (المتقين) الذين هم في جنات وعيون التي تقع بين آية (٤٥) الى آية (٤٨) من سورة الحجر اتصال بلمحة جهنم ، المتصلة لقصة ابليس ، وأتباعه . كما أن الآيات الثلاثة رقم (٧٥) ، (٧٦) ، (٧٧) ـ تعد تعقيبا ، وتعليقا لقصة ضيف لوط ـ يظهر فيها ـ أي الآيات ـ مغزى هذه القصة ، وهدفها .

* * *

ثم تأتي بعد هذا : لمحة أصحاب الأيكة الظالمين " وتقع في آيتي (٧٨) ، (٧٩) من سورة الحجر .

* * *

ثم : " لمحة تكذيب أصحاب الحجر المرسلين " من آية (٨٠) الى آية (٨٤) سورة الحجر .

* * *

وتدرج هذه اللمحات ، وتلك القصص ، التي في سورة الحجر ، وهي : ١ ـ قصة ابليس ٢ ـ قصة ضيف ابراهيم ـ ٣ ـ قصة ضيف لوط ـ ٤ ـ لمحة أصحاب الأيكة الظالمين ـ ٥ ـ لمحة تكذيب أصحاب الحجر المرسلين .

* * *

تدرج على هدى من جو السورة العام ، وهدفها ، وسياقها ، وظروف الدعوة فيها ، كما نرى في أول السورة ، وفي آخرها .

* * *

نطالع القرآن العام ، وفي سورة الحجر ، نصوره هذه الآية الأولى ، من السورة : " الر ، تلك آيات الكتاب ، وقرآن مبين " . وهو ـ لهذا ـ ذكر خالد ، يحفظه الله من عبث العابثين : " إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون " ٩/ الحجر وهو قرآن عظيم ، أنساه

الله رسوله صاحب الخلق العظيم: " ولقد آتيناك سبعا من المثاني ، والقرآن العظيم " آية ٨٧/ الحجر — وجو الرسول ، النفسي ، تصوره آية (٩٧) من السورة : " ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) .

* * *

ثم حالة الكفار مع الرسول : تعبّر عنها هذه الآيات : " وقالوا: يأيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق ، وما كانوا اذا منظرين " . من آية (٧) الى آية (٩) من سورة الحجر .

* * *

على أن ظاهرة الاستهزاء من الرسل ظاهرة عامة ، حدثت في أمم الأولين فالرسل أجمعين : " ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ، وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون " .

* * *

وهذه السخرية قد وجدت في لمحة المقتسمين ، الذين جعلوا القرآن عضين .

وهم الذين اقتسموا طرق مكة . ووقفوا على عقابها حيث تحالفوا ، وأقسموا على عدة الرسول ، بحيث كانوا يجلسون في الموضع الذي يمر به عليهم أهل الموسم فاذا سألوهم عن محمد ، فقال بعضهم: هو كاهن ! وبعضهم : هو ساحر ، وبعضهم : هو شاعر ! ، وبعضهم : هو مجنون ! فمضوا ، فأهلكهم الله !

* * *

وكما قالوا عن القرآن الذي فرقوه فرقا ، أو فرقوا القول فيه ، فقالوا: شعر ! .. وقالوا: سحر ! وقالوا : كهانة ! .. وقالوا : أساطير الأولين (١) .

* * *

على أن انتقام الله من شيع الأولين الساخرين ، والظالمين ، والكاذبين ، ومن المفرقين المقاسمين لدعوة الرسول — تشير اليه هاتان الآيتان : " وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ، ما تسبق من أمة أجلها ، وما يستأخرون ! " آيتا ٤ ، ٥ من سورة الحجر .

* * *

ثم من ثمار لمحة الانتقام من أصحاب الأيكة الظالمين ، ومن أصحاب الحجر الكاذبين ، ومن قوم لوط المجرمين ، ومن المقتسمين الذين يجعلون القرآن عضين — يصدر هذا النداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا النداء الذي يعد بداية الدعوة الجهرية ، ونهاية المرحلة السرية : " فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين " .

* * *

وهذه البشارة : " انا كفيناك المستهزئين ، الذين يجعلون مع الله الها آخر ، فسوف يعلمون " آيتا (٩٥) ، (٩٦) من سورة الحجر .

* * *

ثم هذا العلاج الروحي ، لنفسية الرسول ، الذي يضيق صدره بما يقولون : " فسبح بحمد ربك ، وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين " . آيتا (٩٨) ، (٩٩) الحجر .

---

١ — انظر غريب القرآن للسجستاني — بتصرف ، وفيه : السحر يسمونه الكهانة — وقال : عضوه: آمنوا بما أحبوا منه ، وكفروا بالباقي . فأحبط كفرهم إيمانهم .

مجموعة قصص الصافات

وهي من آية (٧٥) الى آية (١٤٨) من سورة الصافات ، وهي :

١ ـ قصة نوح عليه السلام ، من آية (٧٥) الى آية (٨٢) من سورة الصافات .

٢ ـ رواية ابراهيم عليه السلام ، من آية (٨٣) الى آية (١١٣) من سورة الصافات .

٣ ـ القصة موسى وهارون عليهما السلام ، من آية (١١٤) الى آية (١٢٢) من سورة الصافات .

٤ ـ القصة الياس عليه السلام ، من آية (١٢٣) الى آية (١٣٢) من سورة الصافات .

٥ ـ القصة لوط ـ عليه السلام ، من آية (١٣٣) الى آية (١٣٨) من سورة الصافات .

٦ ـ قصة يونس عليه السلام ، من آية (١٣٩) الى آية (١٤٨) من سورة الصافات .

* * *

وهذه من قصص النبيين التي تسوقها تذكرة واحدة ، وموعظة واحدة ، أو حديث واحد ، أو إيقاع واحد ، أو هذه الأمور كلها مجتمعة ، أو جلها مجتمعة .

وجو هذه النبيين القصة التي تتألف من ثلاثة أقاليم ، وتعين ، ورواية ـ على نحو ما رأينا ـ جوها الإيمان بالمرسلين ، وإكرامهم ، في مثل : " وجعلناه وأهله " آية ٧٧ ، " إنا كذلك نجزي المحسنين " آية (٨٠) الصافات " وفديناه بذبح عظيم " آية (١٠٧) من سورة الصافات " ونصرناه فكانوا هم الغالبين " (١١٦) ، " وآتيناهما الكتاب المستبين " وهديناهما " ، " ونصرناهم " الخ .. الخ .

وهذا العنصر الثالث هو الذي ألفت بما بين هذه النبيين الأخيرة التي يغلب عليها الجانب الأسطوري ، وإلى جانبها القصص الروائية ، على غرار ما رأيت ، وسبق .

ـ ١ ـ

قصة نوح عليه السلام

من آية (٧٥) إلى آية (٨٢) من سورة الصافات

* * *

والجو الغالب هنا هو النجاة ، والمجازاة : " إنا كذلك نجزي المحسنين "

والقصة ـ هنا ـ تأخذ خطا واحدا ، أو موجة واحدة ، وإن اتخذت سورا متعددة ، فالقصة في نقطة واحدة ... تبدأ بنادي الله ، والله نعم المجيب ، وفداه ، ونجاته ، وأهله من الكرب العظيم ، وجعل ذريته هم الباقين ، وتركه عليه في الآخرين : " سلام على نوح في العالمين " ، وبماذا كان له هذا ؟ " إنا كذلك نجزي المحسنين " ، " إنه من عبادنا المؤمنين " ، وإذا كانت هذه نجاته ، فما حال الآخرين ؟ " ثم أغرقنا الآخرين " .

* * *

وهذه قصة قصيرة في بنائها ، قصيرة في عناصرها ، وفي إيقاعها . ومن ثم توحدت في الأسلوب الذي هو الأدب من طبيعتها ، وطبيعتها .

ولذلك فهذه السورة بدأت بقصة وانتهت بقصة وتخللتها رواية ، وثلاثة أناسي . وهذا هو سر الحبكة القصصية بين نظائر هذه السورة .

* * *

على أن السورة كلها ، الواحدة من آية (٧٥) الى آية (١٩٨) تكون ملحمة قصصية واحدة ، موحدة . وتكون سورة واحدة ، أو سورة تضمها فكرة واحدة ، وتجمعها فكرة واحدة ، وتضمها عناصر وتجمعها ، وتحتفظ بمقاتل وتحدد ، وتوزع حسن ترتيب ، ومن ثم نرى جديرا بالدراسة المستقلة لكل قصة فيها ، ولكل قصة ورواية بها . كما أنها جديرا بالدراسة المتواترة لتطورها عناصرها هنا ، وهي جديرة بموازنتها ، بسورات أخرى ، مماثلة ، أو مغايرة في سور أخرى .

— ٢ —

رواية ابراهيم عليه السلام

هي رواية عرضية ، وهي ما يسميها " استعراضية " ، وهي ذات مشاهد ، متعددة ، وذات مواقف متعاقبة . من ذلك : ١ — مجيئه ربه بقلب سليم ، ٢ — وموقفه من أبيه وقومه ، وقوله لهم ، " ماذا تعبدون ؟ أئفكا آلهة دون الله تريدون ؟ فما ظنكم برب العالمين ؟ ! " وهذه حركة ذهنية .

" فنظر نظرة في النجوم " — وهذه حركة عضوية ، فقال : إني سقيم ! — وهذه حركة نفسية ، فتولوا عنه مدبرين ! — وهذه حركة عضوية .

* * *

٣ — ثم توجه من البيوت : " فراغ إلى آلهتهم ، فقال : ألا تأكلون ؟ مالكم لا تنطقون ؟ " — وهاتان حركتان : عضلية ، وذهنية . " فراغ عليهم ضربا باليمين " وهذه حركة عضلية !

* * *

٤ — ثم توجهوا منه : " فأقبلوا إليه يزفون " — حركة عضوية ، " قال : أتعبدون ما تنحتون ؟ والله خلقكم وما تعملون ؟ " — حركة ذهنية ، وعقلية — " قالوا : ابنوا له بنيانا ، فألقوه في الجحيم ، فأرادوا به كيدا ، فجعلناهم الأسفلين " — وهذه عقلية نفسية عاطفية .

* * *

٥ — ذهابه إلى ربه ليهبه له : " وقال : إني ذاهب إلى ربي سيهدين ، رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام عليم " .

وهذه — وحدها — قصة مستقلة ، وإن كانت هذا فصلا من رواية إبراهيم ، وتتلوها ما بعدها .

٦ — إبراهيم وابنه إسماعيل : " فلما بلغ معه السعي ، قال : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني — إن شاء الله — من الصابرين ، فلما أسلما ، وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك — نجزي المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم " .

في التعليق الذي يصل هذه الرواية ، أو القصة الطويلة بسائر قصص المجموعات ، يتجلى في هذه الآيات : " وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم ، كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين " .

* * *

ثم ترد الناصيص : موسى وهارون وإلياس ولوط ، ثم تأتي أخيرا : قصة يونس عليه السلام لتقابل في البناء والتصميم ، أول قصة في هذه المجموعة وهي قصة نوح عليهم السلام .

وما ينبغي الاشارة اليه ، والإشادة به ، أن الوحدات المعنوية ، واللفظية ، والبديعية والموسيقية ، تصل ما بين هذه المجموعة بمعناها ومبناها - كجزئية السلام ، والثناء ، والمجازاة بمثل : " سلام على نوح في العالمين ، إنا كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين .

سلام على إبراهيم ، كذلك نجزي المحسنين ، انه من عبادنا المؤمنين .

سلام على موسى وهارون ، إنا كذلك نجزي المحسنين ، إنهما من عبادنا المؤمنين .

سلام على آل ياسين إنا كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين . "

* * *

كل أولئك حقق لهذه المجموعة - وحداتها الفكرية ، والأسلوبية ، والتصويرية غالبا ، والموسيقية الشعرية دائما ، والتنصيص على الدوام ، مع الاحتفاظ بالجو الشعوري العام في الفكر القصصي العام في نوع يحقق الاتباع ، وفي قوة تجلب الانتفاع ، ثم في تفاعل وحيوية يحققان جانب البناء كما يضمان سبب الإبداع .

والنقطة التي التقت عندها هذه المجموعة القصصية هي الاشادة بنجاة عباد الله المخلصين الذين نجوا من سوء الجحيم ، ومن شجرة الزقوم ، ومن عاقبة المنذرين ، كما تصوره مشاهد يوم الفصل الذي كانوا به يكذبون ، وهم هؤلاء الظالمون المنذرون .

ويوم الفصل - هذا - ملحمة مستقلة تشغل من آية (٢١) الى آية (٧٤) من سورة الصافات ، ولسنا بصدد تحليلها بالتحليل في كتابي " خصائص القصص القرآني " وقد ذكرت هناك للحصر والاحصاء .

* * *

واذا كان هذا هو منطلق المجموعة القصصية ، التي ذكر فيها صفوة عباد الله المخلصين فان عباد الله المخلصين يذكرون - بعد - هذه المجموعة من سورة الصافات ، فهؤلاء المخلصين لا يعتقدون اعتقادا فاسدا ، كمن جعلوا بين الله وبين الجنة نسبا ، وهم أئمة المشركين ، على أن في السورة هدفا تلتقي عنده أهداف هذه المجموعة القصصية توضحه الآيات : " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون " .

* * *

ثم تختم سورة الصافات بهذين التأمين على المرسلين ، وعلى الله رب العالمين :

" سلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين " .

* * *

قصة لقمان

في

سورة لقمان

الأستاذ محمد محمد جاد

* * *

جو السورة الأدبي : " تلك آيات الكتاب الحكيم " ٢ / لقمان

* * *

غاية فلسفتها ، وحكمتها : " هدى ، ورحمة للمحسنين ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم بالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون " ج ٣ / ٥ / لقمان .

* * *

حكمة القصص الهادف ، وذم القصص الهائف أو الضارف : " ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ، أولئك لهم عذاب مهين " آية ٦ / لقمان

والقرآن يقصد الهادف ، ويصيانه الخالدات ، وحكمه الهاديات يمشي على هديه الثالثون ويهتدي الناس في سبيل الله فيسلم وجد ، ومع جو السورة الأدبي يتلخص فلسفة التصوير في السورة ولسر القصص القرآني ومراميه ـ على :

قصة لقمان الحكيم

وهي من آية (١٢) الى آية (١٩) من سورة لقمان ، والآية الأولى منها تعريف بشخصية لقمان الحكيم والآية الثانية فيها بدء قصة لقمان ولابنه ، ثم سائر آيات القصة هي وصايا لقمان في كل مكان ، وزمان ، وما يمثلها بصيغة العموم والشمول ، والخلود ، والاستمرار .

وتعد من أدب الموائط ، وقص الوصايا ، وهي ـ لذلك ـ تدخل في أدب الحكمة ، وفي حكمة الأدب ، وهي ـ بما فيها من أعداد ، من الأدب الهادف الجاد ، وكل أولئك يتفق مع جو السورة الأدبي ، وفلسفة ما فيها من تشريع ، وما لها من أدب وتربية ، لا عبث به ، والتعليل فيه ، ولا هزء معه ولا جهالة وراءه !

* * *

والآية الأولى بداية المدخل لقصة لقمان مع ابنه ، وقد اتخذت سمت الحكاية الموجزة بقسم أما نقطة بداية القصة ، فهي الآية الثانية ؟ ثم تأخذ القصة ـ بعد ذلك ـ سمت التصوير والموعظة وحيلة النصائح والإرشاد ، ومن ثم تعتمد على التصوير والتعليل ، والتعليم والتوجيه ، وفن التقرير ، والتعليل ، في سورة أوجز حينا ، وفي سورة نراه حينا أكثر .

* * *

وهذه هي : قصة لقمان الحكيم

أو

قصة لقمان مع ابنه

" ولقد آتينا لقمان الحكمة : أي أنكر الله من يشكر نفسه ومن كفر فإن الله غني حميد "

" وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم " (١٣)

" ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين : أن اشكر لي ولوالديك ، إلي المصير " (١٤)

" وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلي ، ثم إلي مرجعكم ، فأنبئكم بما كنتم تعملون " (١٥)

" يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة ، أو في السموات ، أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير " (١٦)

" يا بني : أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور " (١٧)

" ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحا ، إن الله لا يحب كل مختال فخور " (١٨)

" واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير " (١٩)

من سورة لقمان

وهذه النصائح التي تنشق الخلق الإسلامي ، والتشريع الإسلامي ، والعقيدة الإسلامية وأيضا في الآية الخامسة عشر ، تصدر عن الله - عز وجل - ما يدخلها في الآية - في باب التعليق ، وإبداء الرأي ، بالتعبير الأدبي ، أو القصصي . وما يلزمنا بالتباعها ، والانتفاع بها . فهي تشريع ، وتوجيه لا جدل عنه ، إلى جانب إسناد التوصية إلى الله في الآية التي قبلها وما ذلك كله إلا من كلمات الله التي لا تنفد ، كما تصورها الآية السابعة والعشرون ، من سورة لقمان : " ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، إن الله عزيز حكيم "

* * *

وإذا كانت تلك وصايا لقمان لابنه ، ووصايا الله للإنسان - فإنما هذه ، وتلك من تنزيل العلم الحكيم ، والحكمة العليمة ، وهذه ، وتلك ، من كلمات الله التي لا تنفد !

* * *

ثم تظهر الحكمة الهادية ، والعلم الخبير ، في هذه الوصايا الموجهة إلى الناس ، والمبنية بعض علم الله الذي خفي على الناس :

" يأيها الناس : اتقوا ربكم ، واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا "

" إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور " (٣٣)

" إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس : ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس : بأي أرض تموت ؟ إن الله عليم خبير " (٣٤)

آخر سورة لقمان .

* * *

د. محمد محمد الغماز

سورة سبأ

وما يليها من قصص

* *

الجو العام للسورة ، هو الحمد ، والشكر ، والعلم ، والحكمة ، والخبرة ، والرحمة والمغفرة : " الحمد لله الذي له ما في السموات ، وما في الأرض ، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير " (١)

" يعلم ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور " . (٢)

* * *

" عالم الغيب ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ، ولا أكبر إلا في كتاب مبين " (٣) من سورة سبأ

والعلم ـ هنا ـ طريق الوصول إلى الحق ، وإلى صراط العزيز الحميد :

" ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد " ٦/ سبأ

وفي أثناء هذا الجو العام تقع قصة داود وقصة سليمان ، وقصة سبأ ، التي وردت من آية (١٠) إلى آية (٢١) من سورة سبأ ـ وهي على هذا النحو :

ـ ١ ـ

قصة داود عليه السلام

آية (١٠) ، (١١) من سورة سبأ

" ولقد آتينا داود منا فضلا ، يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد : أن اعمل سابغات ، وقدر في السرد واعملوا صالحا ، إني بما تعملون بصير " .

ـ ٢ ـ

قصة سليمان ـ عليه السلام

" ولسليمان الريح غدوها شهر ، ورواحها شهر ، وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب ، وتماثيل ، وجفان كالجواب ، وقدور راسيات ، اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادي الشكور ، فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين " .

من آية (١٢) إلى آية (١٤) من سورة سبأ

ـ ٣ ـ

قصة سبأ

" لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم ، واشكروا له بلدة طيبة ، ورب غفور " (١٥) فأعرضوا ، فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم

جنتين ذواتي أكل خمط وأثل ، وشيء من سدر قليل (١٦) ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور (١٧) وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير : سيروا فيها ليالي وأياما آمنين (١٨) فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (١٩) فريصدق عليه قصة هاتان الآيتان : " ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين (٢٠) ، وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ، وربك على كل شيء حفيظ (٢١) "

من سورة سبأ

* * *

وحصر الفضل ، والإنعام ، وجزية الشكر والصبر — تصل هذه القصة بما يسبقها في أسرة داود : " ولقد آتينا داود منا فضلا " .

هذا الفضل الذي آتاه الله داود ، يتخذ صورا كثيرة منها :

١ — تأويب الطير معه ، وسيرها السير كله ٢ — إلانة الحديد

٣ — عمله الدروع الواسعة ، الطوال . ٤ — تقديره في نسج حلق الدروع ، بحيث لا يجعل مسمار الدرع دقيقا فيفلق ، ولا غليظا فيثلم الحلق . كما قيل

٥ — توفيقه للعمل الصالح .

كل أولئك يندرج تحت فضل الله ، وهذا الفضل يستدعي الشكر عليه ، وهذا الشكر هو عمله العمل الصالح .

* * *

وفي قصة سليمان : " أسلنا له عين القطر ، وألنا له الحديد ، أن اعمل سابغات وقدر في السرد ، واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور " .

* * *

ثم يصل بجزية العلم بالغيب — الموجود في أول السورة — هذه الآية : " فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته " ، فلما سقط في يده علمت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ، ما لبثوا في العذاب المهين . وهذا نفي للملائكة والناس معا أن يكون الجن من علم الغيب كما ورد في قصة سليمان بسورة النمل ، وبذلك من غيب الجن ، الذي عنده علم من الكتاب ، وكما ورد هذا أيضا في سورة الجن وكما سمعناه من الرسول ، في آخر سورة الأعراف : " ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسني السوء " .

وهنا في قصة سليمان بسورة سبأ — لا يعلمون موت سليمان — عليه السلام ، والذي دلهم على موته دابة الأرض تأكل من عصاه . فلما مات أدركهم ، وتبينوا موته — تبينت الجن ، أي

لو كانوا يعلمون الغيب ، ما لبثوا في العذاب المهين .

ولعلنا ما زلنا نذكر الأسرار العلمية ، الغيبية ، التي استأثر الله بالإحاطة بها ـ كما رأينا في آخر سورة لقمان .

* * *

وإذن فموضوعة العلم بالغيب ـ سلب العلم من الجن واختصاص الله نفسه به ـ كما رأينا في أول سورة سبأ : " عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين " (٣) سبأ

ثم قيل الله في قصة سليمان : " اعملوا ـ آل داود ـ شكرا " عندما أتمت داود ، وقصة سليمان ، وهو ـ لذلك ـ يعلمها بعضها بعض ، ثم " وقليل من عبادي الشكور " يومئ إلى قصة سبأ ، التي خرجت عن حكم هذه القلة الشاكرة ، إلى الكثرة الكافرة . ومن هنا جاءت قصة سبأ ، عقب قصتي : داود ، وسليمان ، عليهما السلام .

ثم ما لبثت قصة سبأ ، في ثناياها عن أمر يشكر الله يتصل بخبر أتمته داود ، وقصة سليمان ، كما يتصل بموضوعة الغيب ، التي فاجأت الجن ، موت سليمان ، كما فاجأت سبأ بحمل العرم ، الذي جعلهم أحاديث ، ومزقهم كل ممزق .

* * *

على أن لقصة سبأ ـ بناءها المستقل ، وتبعيتها القصصية عما يجيء وأن أتيه بهما .

"لقد كان لسبأ في مسكنهم آية " . أية آية يا ترى ؟ أهي آية إعجاز ؟ ! ... أم آية تعذيب وانتقام ؟ ومن هذه الاحتمالات ـ يأتي التشويق المثير ، الذي يشد ذهن القارئ ، وينشط خيال السامع .

"جنتان عن يمين وشمال " . وبهذه الكلمة ذهبت الآية ، لتنشأ جنتان عن يمين وشمال ، وكأنهما معجزة من المعجزات . ثم هاتان الجنتان تنطقان بلسان الحال ، أو بلسان المقال : " كلوا من رزق ربكم واشكروا له " لبلدة طيبة ، وربكم رب غفور . ومن هنا اتصلت قصة سبأ ، بقصتي سليمان ، وداود ، بسبب النعماء ، وسبب الأمر بالشكر عليها . لكن آل داود من القلة الشاكرة ، أما سبأ فمن الكثرة ، المعرضة عن الهداية : " فأعرضوا " ، وهذه هي الجريمة التي استحقوا بها العقاب ، " فأرسلنا عليهم سيل العرم " ، وهذا هو العقاب ! " وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط ، وأثل وشيء من سدر قليل "(١) . وهذه هي النتيجة العقلية ، " ذلك جزيناهم بما كفروا " وهذا هو سر العقوبة ! " وهل نجازي إلا الكفور ؟ " ، وهل نجازي هذه المجازاة العنيفة البشعة ، إلا الكفور ، الجحود ، الكفيد !

* * *

---

(١) خمط : الخمط : كل شجر ذي شوك ، أثل : شجر شبيه بالطرفاء إلا أنه أعظم منه . غريب القرآن ـ للسجستاني ـ بتصرف .

وذلك هو الجانب الأول ، من قصة سبأ يليه هذا الجانب الثاني :

" وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة ، وقدرنا فيها السير " .

والمقام هنا مقام أمان ، يقول : " سيروا فيها ليالي ، وأياما ، آمنين " وهنا تلمح إشارات الحضارة ، والاستقرار ، كما أن في الجانب الأول ، من قصة " سبأ " ملامح البيئة الطبيعية ، الجافة ، القفرة ، ثم ملامح البيئة المزهرة ، الخصبة ، والعقبة أمام هذا يدخل القصة في قصص البيئات ، إلى جانب صلاحيتها لأن تسلك في قصص الأفكار . وقد شاق هؤلاء المفسرون ، الأغبياء ، بأن يسيروا فيها ليالي ، وأياما ، آمنين ؟

" فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا " ، وظلموا أنفسهم بهذا الطلب ، كما ظلموا أنفسهم من قبل ، بهذا الإعراض ! ، وكما أن الله أرسل عليهم سيل العرم ، وبدلهم بجنتيهم جنتين ، ذواتي أكل خمط ، وأثل ، وشيء من سدر قليل ... جعلهم أحاديث ومزقهم ، يقول بعض المفسرين ، ومزقهم كل ممزق : " فجعلناهم أحاديث ، ومزقناهم كل ممزق " ، " إن في ذلك لآيات لكل صبار ، شكور " وهنا تكمن العبرة ، ويظهر المتعظون بها ، وهم كل صبار كثير الصبر ، شكور : عظيم الشكر .

* * *

وهنا تنتهي قصة سبأ ، ويأتي التعقيب بالآيتين رقم (٢٠) ، (٢١) بعدهما مباشرة : " ولقد صدق عليهم إبليس ظنه " ، وقد عرفنا ظن إبليس بأمثال هؤلاء الكافرين والجاحدين في قوله في قصة سورة الإسراء : " لأحتنكن ذريته إلا قليلا " .

* * *

وفي قوله ، في قصة سورة الحجر : " لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين " وفي قوله ، في قصة سورة الأعراف : " لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين " .

* * *

وقوله سبأ ، قد بين الشيطان أعمالها في الأرض ، وأغواهم أجمعين ، ولم تجد أكثرهم شاكرين ، بل كانوا جميعا الكافرة الكافرة ، الجاحدة .

* * *

وإذن " صدق عليهم إبليس ظنه " ، " فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين " .

وهذه هي الفرقة المؤمنة من عباد الله المخلصين وهي من عباد الله الذين ليس لإبليس عليهم سلطان ، " وما كان لإبليس عليهم من سلطان ، إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ، ممن هو منها في شك " ، " وربك على كل شيء حفيظ " ، " إن كل نفس لما عليها حافظ " .

* * *

وفي الثلاثين قصة سورة سبأ ، من أولها إلى آخرها : تبدأ الآية الثالثة من السورة : " وقال الذين كفروا : لا تأتينا الساعة ! قل : بلى ، وربي لتأتينكم " .

وفي نهاية قصة سليمان ، يقول الله : " اعملوا آل داود شكرا "

ثم لم تقل سبأ ، ما يشبه هذا ، وذلك : "كلوا من رزق ربكم واشكروا له" ، "سورة سبأ بلدة طيبة وأرض" .

ثم بعد هذه القصص الثلاثة يبطل الظالمين صراحة بقول : "قل : ادعوا الذين زعمتم من دون الله" آية ٢٢ / سبأ .

"قل : من يرزقكم من السموات والأرض ؟" ، "قل : الله !" آية (٢٤) سبأ

"قل : لا تسألون عما أجرمنا ، ولا نسأل عما تعملون" ، "قل : يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم" ، "قل أروني الذين ألحقتم به شركاء" ، كلا ، بل هو الله العزيز الحكيم" آيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ / سبأ

"ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين" ، "قل : لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ، ولا تستقدمون" آيات ٢٩ ، ٣٠ / سبأ .

* * *

وبعد هذا يأتي الأبطال بمثل "لقصة الظالمين" في يوم البعث .. التي تقع من آية (٣١) إلى (٤٢) سبأ ، وفيها فلسفتها الظنية ، وظنيتها الفلسفي .

ثم تأتي آية ظنية بعد (نظرية العقل الجمعي) ، وهي : "قل : إنما أعظكم بواحدة : أن تقوموا لله مثنى ، وفرادى ، ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد" آية (٤٦) من سورة سبأ .

* * *

وبعد هذه الآية ، أو هذه النظرية ـ آيات أخر ظنية فيها مغالطة ظنية ، وبحاول الظالمون تعتمد ان على الإتباع ، والإمتاع : "قل : ما سألتكم من أجر ، فهو لكم إن أجري إلا على الله ، وهو ـ على كل شيء" ـ شهيد" ، "قل : جاء الحق ، وما يبدئ الباطل وما يعيد" ، "قل : إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب" . الآيات من (٤٧) إلى (٥٠) من سورة سبأ .

* * *

وإذن فمن الظنين ، التصريح بعد السورة كلها وأولها . ومن الظنين الضمني بعد قصص السورة ، الثلاثة : أ ـ أصحاب الجنة ب ـ قصة سليمان جـ ـ قصة سبأ

* * *

أما في قصة "الظالمين في يوم القيامة" نعتمد أولا على سرد أقوال هؤلاء الظالمين ، وحوارهم في النار .

ثم نعود ، لتحليلهم من خلال أقوالهم في الدنيا وأعمالهم الكفرية فيها ، ثم من خلال تلقين الله ورسوله عليهم الصلاة والسلام . وهي ـ أي قصة الظالمين ـ تبدأ من آية (٢١) إلى (٣٢) ثم تنتهي الآيات الدالة على أقوال الكفار في الدنيا ، وتأتي الإجابة عنها من آية (٣٣) إلى آية (٣٩) .

* * *

ثم يعقب هذا ـ تأتي آيات ثلاثة من (٣٠) الى (٣٢) تفصل " قصة الظالمين في يوم القيامة " كما تنتهي . مما جعلني أعد هذه القصة الحوارية ، الجدلية والسياقية الفكرية من آية (٣١) الى آية (٣٧) من سورة سبأ ، وها هي ذي ـ كما جاءت في القرآن .

ـ ٤ ـ

قصة الظالمين في يوم القيامة

(... ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لكنا مؤمنين .)

(قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم؟ بل كنتم مجرمين !) . (قال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ، ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا : هل يجزون الا ما كانوا يعملون ؟ !)

من آية (٣١) الى (٣٣) سبأ

* * *

وهي ـ كما نرى ـ مرتبطة بهذا السياق ، بقصة سبأ وأيتها الدالة على طريقها ، وهي : " فكلا جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازي الا الكفور " آية (١٧) سبأ

* * *

ثم نأتي بعد هذا الجزء من قصة الظالمين المختصين قصة داخلية معي :

قصة المترفين في القرى

وهي تمثل القصة الأصلية قصة الظالمين المختصين ، وقصة المترفين ـ نذكرها هذه الآيات : " وما أرسلنا في قرية من نذير ، الا قال مترفوها : إنا بما أرسلتم به ـ كافرون ، وقالوا : نحن أكثر أموالا وأولادا ، وما نحن بمعذبين ، قل : ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن ، وعمل صالحا ، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم في الغرفات ـ آمنون ، والذين يسعون في آياتنا معاجزين ، أولئك ـ في العذاب ـ محضرون ، قل : إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين " من آية (٣٤) الى (٣٩) سبأ .

* * *

وهي ـ كما نرى ـ تعتمد على الطابعين العقلي والعاطفي ، والتهديدي والترغيبي ، ثم هي ـ وان كانت قصة المترفين والمصالحين ـ تدخل في قصة الظالمين المختصين ، وبين هذه الآيات الأخيرة نلتقي بقولهم ـ كما أخبرنا سبحانه في هذه : " يوم يحشرهم جميعا ، ثم يقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ (٤٠) " قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم ! بل كانوا يعبدون الجن ! أكثرهم بهم مؤمنون "(٤١)" فاليوم لا يملك

يمنعكم نصركم ولا ضرا ، وقيل للذين ظلموا : ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون "
(٤٧) من سورة سبأ

* * *

وأخيراً نختمها في آخر السورة بختم بها هذه الآيات :

" ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ، وقالوا : آمنا به ، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ؟ ، وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل - إنهم كانوا في شك مريب "
من آية (٥١) الى آية (٥٤) من سورة سبأ

* * *

وكل أولئك في حاجة إلى دراسة تحليلية ، وبالتالي نستبين فيها خصائص القصة القرآنية بأجلى مظهرها ، ونكشف جوهرها ، ونرى أن مجال هذه الدراسة هنا هو كتابي " خصائص القصص القرآني " .

* * *

الدكتور محمد الغمراوي

(٤٧)

الدكتور محمد محمد بدري

سورة فصلت
ولمحاتها الانذارية والتبشيرية

سورة فصلت

جو السورة الأدبي :

تنزيل من الرحمن الرحيم (٢) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون (٣) وانه لكتاب عزيز (٤١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٤٢) من سورة فصلت .

جو السورة اللغوي :

ولو جعلناه قرآنا أعجميا ، لقالوا : لولا فصلت آياته ، أعجمي ، وعربي ؟ ( ) (٤٤) سورة فصلت .

أثر القرآن :

(قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ، وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) بقية آية (٤٤) فصلت سمات المعرضين عن القرآن .

فأعرض أكثرهم ، فهم لا يسمعون (٤) (وقالوا : قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ، وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل انا عاملون) (٥)

إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم (٤٠ إنه بما تعملون بصير (١٠) فصلت .

مهمة الرسول كما ترسمها السورة :

(قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ، أنما إلهكم إله واحد ، فاستقيموا إليه ، واستغفروه ويل للمشركين (٦)

الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون (٧) إن الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون (٨) من سورة فصلت .

وظيفة القرآن كما ترسمها السورة :

(كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون (٣) بشيرا ونذيرا) جزء من آية (٤) من سورة فصلت .

من لمحات الانذار :

" لمحة صاعقة عاد وثمود "

(فان أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد ، وثمود (١٣) (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم : ألا تعبدوا إلا الله ، قالوا : لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ، فإنا بما أرسلتم به كافرون (١٤) (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا : من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ؟ وكانوا بآياتنا يجحدون (١٥) فأرسلنا عليهم ريحا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى ، وهم لا ينصرون (١٦) (وأما ثمود فهديناهم ، فاستحبوا العمى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب

البهون ، بما كانوا يكسبون (١٧) ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (١٨) من سورة فصلت .

ومن لمحات البشير :

" لمحة " الذين قالوا : ربنا الله ، ثم استقاموا "

(إن الذين قالوا : ربنا الله ، ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة : ألا تخافوا ، ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (٣١) نزلا من غفور رحيم (٣٢) ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله ، وعمل صالحا وقال : إنني من المسلمين ؟ (٣٣)

ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤) ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)٣٥

من سورة فصلت

الدكتور محمد غلاب

سورة الشورى
ومناجيها الخمسة

للأستاذ محمد محمود عتمان

سورة الشورى

سمات الشورى الوحي :

(وكذلك يوحى اليك ، والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم (٣) له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم (٤) من سورة الشورى +

فالوحي إلى الرسول والى الذين من قبله هو الله العزيز الحكيم وهو العلي العظيم والوحي به هو القرآن العربي الذي أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، لينذر به مكة ومن حولها (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة ، وفريق في السعير (٧)) .

وطرق الوحي شتى وسبل الاتصال بين الله ورسله متنوعة : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم (٥١) .

ووحي الرسول محمد ، أو الوحي الذي نزل على محمد روح من أمر الله ، ونور يهدي به : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري : ما الكتاب ؟ ولا الإيمان ؟ ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم (٥٢) .

صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا الى الله تصير الأمور (٥٣) من سورة الشورى .

ثم هذا الوحي له جذور تتصل بوصايا الرسل قبل الرسول محمد مثل نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام ، وجوهر الشرائع واحد ، وكلها من عند الله :

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم ، وموسى ، وعيسى : أن أقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (١٣) (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم . وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه ، مريب (١٤))

ومن هنا ظهرت دعوة الرسول ، وثبتت تكاليفه وهذه التكاليف تتمثل بها هذه التشريعات :

(فلذلك فادع ، واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم .

وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) (١٥) من سورة الشورى .

على أن التوصل فيما نختلف به هو حكم الله : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب) (١٠) ومن ثم فحجة الذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة باطلة وعليهم من الله غضب ولهم عذاب شديد .

(والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) (١٦) من سورة الشورى فالله أنزل الكتاب بالحق والميزان .

ولعل أثر المتضمين بالقرآن الكريم ، يتجلى في أخلاق هؤلاء الصفوة من المؤمنين كما تقرره هذه النماذج العشرة الخيرة :

النماذج العشرة الخيرة

(وما عند الله خير وأبقى :

١) للذين آمنوا
٢) وعلى ربهم يتوكلون (٣٦)
٣) والذين يجتنبون كبائر الإثم
٤) والفواحش[٤]
٥) وإذا ما غضبوا هم يغفرون (٣٧)
٦) والذين استجابوا لربهم
٧) وأقاموا الصلاة
٨) وأمرهم شورى بينهم
٩) ومما رزقناهم ينفقون (٣٨)
١٠) والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (٣٩)
(من سورة الشورى)

---

(٤) والفواحش أي والذين يجتنبون الفواحش

" خلق المؤمن بين الواقع والمثال "

(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين (٤٠) ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (٤١) إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٤٢) ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (٤٣) .

ولعله نموذج " للإنسان " المؤمن " الكامل الذي أسهمت كل المراجع من لدن عهد السلام ، إلى سيدنا محمد عليه السلام " في تكوينه وتهيئته وإعداده " . وهو إنسان اجتمعت فيه الخلائق الإسلامية الفاضلة على الواقعية المثالية " والمثالية الواقعية " .

الدكتور محمد محمد حسين

الدكتور محمد محمد حسين

قصص سورة الزخرف

الدكتور محمد محمد بيومي

سورة الزخـــرف

جو السورة الأدبي ، والتلقيني :

(والكتاب المبين (٢) إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (٣) وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم (٤)) (فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم) (٤٣) من سورة الزخرف) .

جو القصص القرآني :

(أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ؟) (٥) وكم أرسلنا من نبي في الأولين (٦) وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون (٧) فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين (٨) (من سورة الزخرف) (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون (٤٤) من سورة الزخرف .

وإذا كان الاستهزاء من الرسل والأنبياء هو طابع الأولين من الأقوام الهالكة ، فإن من التقليد في الدنيا عليهم ، والمعاصرة لروح السخرية والاستهزاء :

(بل قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) (٢٢) .

(وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) (٢٣) . (قال : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون (٢٤) (فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) (٢٥)

من سورة الزخرف

وبعد هذا تمهيد ، ندخل " للقصة إبراهيم مع أبيه وقومه " الواقعة بين آية (٢٦) وآية (٢٨) عقب هذه التمهيدية .

قصة إبراهيم مع أبيه وقومه :-

(وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه : إنني براء مما تعبدون (٢٦) إلا الذي فطرني فإنه سيهدين (٢٧) وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون (٢٨) من سورة الزخرف .

وعقب هذه القصة آيات تبين السر في عبادة قوم إبراهيم ، وأبيه للأصنام وهي :

(بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين (٢٩) ولما جاءهم الحق ، قالوا : هذا سحر (٣٠) من سورة الزخرف .

وهذا التعقيب هو بيت من بيان مرارة الكفر والسخرية للترف والمترفين والتمتع والتمتعين هو تمهيد لقصة " فرعون وقومه " التي تقوم على روح السخرية والضحك والاستهزاء من موسى وآياته وهذه هي الأصيلة .

(٧٤)

القصة قرآن وملك
من آية (٤٦) الى آية (٥٦)
من سورة الزخرف

الدكتور محمد محمد بدر

(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال : إني رسول رب العالمين (٤٦) (فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون (٤٧) (وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون (٤٨) (وقالوا : يأيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ، إننا لمهتدون (٤٩) (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون (٥٠) من سورة الزخرف .

(ونادى فرعون في قومه قال : ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ؟ أفلا تبصرون ؟ (٥١) . (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ؟) (٥٢) (فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين (٥٣) . (فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين (٥٤) (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين (٥٥) (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) آية (٥٦) من سورة الزخرف .

والعنصر الفائد ـ هنا ـ في هذه القصة ؟ هو روح السخرية ، والسخرية والاستخفاف وما إليه كما يبدو في هذه الكلمات : (إذا هم منها يضحكون يأيها الساحر ادع لنا ربك إذا هم ينكثون . (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ؟ (فاستخف قومه فأطاعوه) .

وهذا هو العنصر السائد في سورة الزخرف والمشار إليه في الآية السابقة من السورة : (وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون) .

وهذه القصة ذات السمت الواحد ، أو الوجهة الواحدة ، أو الفكرة الواحدة ، تدخل في إطلاق " قصص العنصر السائد " أو " قصص الأفكار " أو " قصص الشخصيات " أو " قصص البيئات " .

فالفكرة ـ هنا ـ سائدة ، والشخصية ـ هنا ـ واضحة ، والبيئة ـ هنا ـ مؤثرة على كل من الفكرة والشخصية ، والعنصر السائد نسمي باسم ما من هذه الأسماء وفق نظرتنا إلى أية أحد عناصر هذه القصة .

والذي يصل هذه القصة بتلك الآيات الممهدات في أول السورة هو أن هذه القصة

موضحة للآية السابقة عليها وهي :
(فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ، ومثلا للآخرين) فالقصة قرآن وملك هي مثل الآخرين الذي جعله الله سلفا للآخرين .

والمثل ـ هنا ـ هو القصة العجيبة المثل ، وهو عطف على القصة " قرآن وملك " كما أنه عطف على مثل " لعيسى " الذي ورد عقب تلك القصة " من آية (٥٧) إلى آية (٦٦) من سورة الزخرف .

٢٢

" مثل عيسى عليه السلام "

(ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون (٥٧) (وقالوا : أآلهتنا خير أم هو؟ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون (٥٨) (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل (٥٩) (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون (٦٠) (وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم (٦١) (ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين (٦٢) .

(ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون (٦٣) (إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (٦٤) .

(فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم (٦٥) (هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) (٦٦) من سورة الزخرف .

وإذا كان أولئك الأقوام ساخرين مستهزئين ضاحكين فإن أقوام مثل ابن مريم خصمون مجادلون . وروح الجدل تشيع في بعض آيات السورة ، مثل : (وقالوا : لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (أهم يقسمون رحمة ربك ؟ (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) .

ومثل (أفأنت تسمع الصم ، أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ؟ فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون) .

ومن ذلك أيضا :

(لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون (أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون . (قل : إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) .

وهكذا نجد مثل " ابن مريم " أو مثل " عيسى "الذي جاء البينات ، والحكمة يتفق وروح الجدل في سورة الزخرف . كما يتفق مضمون هذا المثل ومضمون قصة عيسى عليه السلام في سورة مريم - وخلاصته : " فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) .

وهذا الصراط المستقيم هو دين الإسلام الخالد والذي عرفناه وعرفه في لحمة (الصراط المستقيم) في سورة الفاتحة (١) مما يجعل الفكرة الإسلامية وحيدة التوحيد من بدئها الى منتهاها .

وهذه الفكرة تمتد إلى آخر الدنيا بل تمتد حتى تتخطى حياة الآخرة فالمسلمون هم عباد الله الذين لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون وهم يدخلون الجنة هم وأزواجهم يحبرون وقد صورت هذه المعاني وغيرها هذه الآيات عقب مثل " ابن مريم " وتسميها " لحمة المتقين " ويسلمها هذه الحقيقة : (الأخلاء - يومئذ - بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) آية (٦٧) من سورة الزخرف ثم تصور لحمة المتقين في الجنة في صورة ندية وكريمة .

وهاهي ذي:

" لمحة المتقين في الجنة "

(يا عباد لا خوف عليكم اليوم ، ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ، وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون).

الآيات من رقم (٦٨) إلى رقم (٧٣) من سورة الزخرف

وهذه اللمحة متصلة ببيئة السورة المترفة والسخرة التي أشارت إليها الآية الخامسة : (أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ؟) .

كما تشير إليها آية المترفين ، المقلدين : (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) كما تومئ إليها آيات القسم للمعايش في الحياة الدنيا ، ورفع بعضنا فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) .

ولعل لهذا اتصالا بمدخل " النماذج العشرة الخيرة في سورة الشورى ، وهو متمثل في هذه الآية الكريمة من سورة الزخرف : (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) . كما أنه متصل بفلسفة رزق الله عباده في سورة الشورى كما تصورها هذه الآية : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير) ثم كل الرسل يهدي إلى صراط مستقيم ، ففي سورة الشورى يخاطب الله رسوله محمدا عليه السلام : (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) ، وفي سورة الزخرف نجد عيسى عليه السلام يبين هذا الصراط المستقيم بأنه الاعتراف بألوهية الله وربوبيته والإقرار بطاعته وعبادته وذلك حين يقول : (وإن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) .

ومهمة الرسول محمد - في سورة الشورى - هي التبليغ ، (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ) .

ثم هو خالص النية مخلص الوجهة في تبليغ رسالته لا يبتغي من ورائها جزاء من أرسل إليهم من مال أو جاه أو منصب : (قل : لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)

بينما نجد ، ينذر المعرضين بصاعقة مثل صاعقة عاد ، وثمود : (فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد ، وثمود) .

ثم هو في آخر آية من سورة الزخرف يأمر النبي عنهم ، والسلام عليكم بوجه العموم التهديد الشديد :

(فاصفح عنهم وقل : سلام فسوف يعلمون) .

الدكتور محمد محمد رفعت

قصة قوم تبع

في

سورة الدخان

سورة الدخان

هو السورة الأدبي والتاريخي والهدفي :

(والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) من آية (٢) إلى آية (٦) من سورة الدخان .

شعار المؤمنين في السورة : (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) .

قصة قوم تبع

من آية (١٧) الى آية (٣٣) من سورة الدخان

- ١ -

(ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون) .

- ٢ -

(فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون) .

(فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون) .

- ٣ -

(كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) .

(ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) .

وإذا كانت السورة فرعون وملئه في سورة الزخرف السورة السخرية وضحك واستهزاء واستخفاف فإن " قصة قوم فرعون " في سورة الدخان : قصة فتنة ومحنة وابتلاء وبلاء (نهاية وبداية) وهلاك . وذلك كانت السورة بينما هذه قصة . وقد تسبقها خمسة فصول أو مراحل من حياة البشرية القصص والقصص القصير واسم الرسول - في القصة - لا يتقدم ولا يتأخر من هنا أقل وأهمل ٠٠ (والقرآن يذكر " رسول كريم " . وهاتان الكلمتان لهما وظيفتان في القصة وسيأتي ما يدل عليهما السورة نرسله أو رسوله تقتضي منه أن يقول لقوم فرعون : (أن أدوا إلي عباد الله) فيقول لهم : (وأن لا تعلوا على الله) كما يقتضي بالله عليهم إذا أنكروا أن لهذا الله ورسوله : (وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون) .

ثم كرره بتنويع في كل أقواله قلت كما يتضح في كشفه عن شخصيته : (إني لكم رسول أمين (إني أتيكم بسلطان مبين) ثم في مواد عنهم : (وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون) .

وهذا هو الفصل الأول من القصة وقد قام به الحوار الصادر عن الرسول الكريم كما دل على شخصيات قومه من خلال الحوار وعلى أحداث القصة من تناولها هذه النداءات أو الرغبات . فيطلب اسرائيل بنداءة الدين أو الرهن المحبوس في أيدي قوم فرعون . وهؤلاء مطالبون بتأدية ذلك الدين ثم قوم فرعون يتعالون على الله .

والرسول الكريم ينهاهم عن التعالي على الله .

ثم هو جاءهم بسلطان مبين . لكنهم - للأسف - يتوعدون بالرجم مما جعله يفزع الى الله كي يعيذه منهم وينقذه من شرورهم .. (كما يطلب منهم - أن يؤمنوا له به - أن يعتزلوه ويتركوه .. (وهذا الفصل - على قصره - وصغره - فصل كبير بمهمة للأمة ضروري لعقد القصة ويترك الفرصة لسائر الفصول تمضي سراعا وتباعا بنظام وإحكام حتى تشرف على الغاية وتبلغ نهاية النهاية .

ثم يأتي الفصل الثاني :

وهو فصل الوحي الى الله والكشف عن أسرار الرسول الكريم والبوح بخفاياه وخباياه بهؤلاء القوم المجرمين الذين بيده لهم الخير ولكنهم يهددونه بالعذاب المنكر .

ومن ثم : دعا ربه : أن هؤلاء قوم مجرمون (وتحت هذه الوصفة أوضح السمات التي جاءت عبر مئات الآيات وعشرات الفقر والشورات . مما يجعل هذا الدعاء في هذه الآية تمثلا ثانيا مستقلا وقع عقب الفصل الأول وترتب عليه ترتب شطق وتفرع وترتب ذكر ووجود .

على أنه يمكن أن يضم اليه الفصل الثالث الذي جعلته فصلا مستقلا لقصيرا مما يهذا الامكان فصلا ثانيا . بله اني جعلتهما فصلين مراعاة لجانب تنفيذ إرشادات الله في هذا الفصل الثالث وهي : (فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون) .

فهذه الارشادات وإن أعقبت ذلك الدعاء - لها جانب تحقيق وتنفيذ . فكأن - هنا - فصلا يتلقى امتثال الرسول الكريم «الأمين لإرشادات ربه وكأنه يقول : فأسرى الرسول الكريم بعباد الله ليلا «لأنه وقومه متبعون ثم ترك البحر ساكنا مفرجا ليشرق فيه جند فرعون فقد كتب عليهم انهم مغرقون . وهذا الفصل المحذوف أو المقدر أو المضمر أو المفهوم من الكلام - فصل مستقل لكنه اندمج في هذا الفصل الثالث مما جعلته في هذا الفصل الثالث هذه الارشادات وجعلتها بعيدة عن جانب التنفيذ أو التحقيق .

ثم يأتي الفصل الرابع : فصل الرخاء أو الاستراحة ! وهو خارج من غرق قوم فرعون . وتابع من الموقف ولذا اتخذ سمة الوصف حينا وسمة الربط حينا آخر : (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين وكما أنقل اسم ذلك الرسول الكريم أهمل اسم القوم الظالمين الذين وقفوا تركة قوم فرعون .

وأخيرا يأتي الفصل الخامس الأخير

وهو مستقل بالذكر والوصف والتصوير والتوجيه وإن كان متفرعا من الفصل الثالث : فصل الاغراق . إذ النجاة لبني اسرائيل سبقت الغراق قوم فرعون مما يجعلهما في فصل واحد لهما الوجوه والوقوع . لكن القرآن قد استعاض عن ذكر الاغراق والانجاء - بذكر ماترتب على الأول من رثاء وما أعقب الثاني : من ثناء .

وقد عرضنا جانب الرثاء فلنستمع الى جانب الثناء لبني اسرائيل المتضمن هجاء فرعون الذي كان عاليا من المسرفين .

(ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين) .

وهذا هو هجاء فرعون وذمه !

ثم يأتي الثناء على بني اسرائيل :

(ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين) وبهذا الفصل الخامس تنتهي قصة قوم فرعون وبني اسرائيل .

وقد بدأ القرآن بهذه القصة وما قبلها في سورة يونس .

قد بدأ :

بلسان بني اسرائيل . إيذانا بمواجهتهم في القصص الذي نزل في القرآن والمدني .

الأستاذ محمد محمد المقدم

الدكتور محمد المقدم

الدكتور محمد محمد شحاته

الدكتور محمد عبد الله

سورة الجاثية
وما بها من لحسات

سورة الجاثية

جو السورة الأدبي :

(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه . إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

صدى القرآن في نفوس الكفار :

(ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها . فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا : ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) .

ثم خوفهم الرد من القرآن تحل بالكفار الهازئين في يوم القيامة . (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا . فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون) .

يحمد هذه التمهيدات التي عرفنا منها :

أ - جو السورة الأدبي . ب - جو الآيات الكونية .

جـ - صدى القرآن في نفوس الكفار .

يحمد هذه التمهيدات تأتي :

" لمحة بني اسرائيل والكتاب "

(ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .

" لمحة شريعة الاسلام والقرآن "

(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين هذا بصائر للناس وهدى

ورحمة لقوم يوقنون) .

وهنا يبدأ القرآن بعهد ذكر بني اسرائيل . بأنهم أولئك الذين آتاهم الله الكتاب والحكمة والنبوة ورزقهم من الطيبات وفضلهم على العالمين وآتاهم بينات من الأمر .

وفي هذه اللمحة إشارة بهم ثم إشارة إلى وقوع الخلف بينهم وشيوع الاختلاف فيهم وبعد هذه اللمحة التي تخص بني اسرائيل تأتي لمحة (رسول الإسلام محمد عليه السلام " ولمحة :

رسول الاسلام محمد عليه السلام

فيها إشارة بالقرآن وبالإسلام وبالشريعة الاسلامية وأن هذه الأمور : بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون .

ثم فيها مع هذا وقبل هذا ـ تلقينات للرسول . ولمن اتبعه من المتقين تتجلى في هذه الإرشادات والأوامر والنواهي والتحذيرات والبشائر . والحقائق :

(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين .

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون)

فهي في الشريعة الإسلامية تبصرة للناس وهداية للمهتدي بها . ورحمة لمن آمن بالله وبلغ درجة اليقين .

---

(٤١)

الدكتور محمد محمد عنانه

سورة الأحقاف
وما بها من توصيات ونصائح

سورة الأحقاف

جو السورة الأدبي :

(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) .

توثيق القرآن :

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم : هذا سحر مبين . أم يقولون : افتراه ؟ قل : إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم . (قل : ما كنت بدعا من الرسل وما أدري : ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين . (قل : أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) .

المدخل إلى الوصية :

(إن الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) .

والوصية القادمة تعد نموذجين أو مثلين ضخمين أولهما يمثل بر الابن بوالديه وحبه لذريته وثانيهما يمثل حب الوالدين لولدهما .

والمثلان يقعان من آية (١٥) إلى آية (١٩) من سورة الأحقاف .

وصية الانسان بوالديه احسانا

(ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا (حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال : رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي . إني تبت إليك وإني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) .

فهذه قصة في سورة وصية أو وصية تنتظم قصة خلق الإنسان حين حملته أمه كرها ، ووضعته كرها وحين شغل حمله وفطامه ثلاثين شهرا . ثم تمثله حين يبلغ أشده ، ويبلغ أربعين سنة فيتوجه إلى الله بالدعاء الشاكر : (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين) .

فهو يدعو ربه أن يلهمه شكره على ما أنعم عليه وعلى والديه . وأن يلهمه العمل الصالح الذي يرضاه وأن يصلح له في ذريته ثم يعلن توبته إليه وإسلامه وامتثاله من المسلمين . مثل هذا العبد من الناس يتقبل الله عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب

٤٤

الجنة وعد هم الله وعد الصدق الذى كانوا يوعدون ﴾

ثم هناك صنف ثان وهو يمثل غريزة الحب عند الوالدين حبهما لابنهما وشفقتهما عليه من أجل هذا الحب يمثل هذا الصنف هذا النموذج فى هاتين الآيتين :

(والذى قال لوالديه : أف لكما .. ﴿ أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك ﴿ .. آمن ﴿ إن وعد الله حق ﴿ فيقول : ماهذا إلا أساطير الأولين أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين) .

وهذان المثلان أو النموذجان متقابلان ومتماثلان : فالأول يصور عاطفة الحب الابنى لوالديه أو معنى البر بالوالدين وغريزة الأبوة الحانية .

والثانى يمثل البنوة الضالة والأبوة الخائفة الموجهة .

ثم بين الوصيتين أو النصين من التقابل فى الجزاء والعقاب مايحقق لهما وحدة الاضداد ثم تأتى آية الختام هذه تفصل مابين النصين أو الوصيتين وهى هذه :

(ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) .

الدكتور محمد محمد بقاعة

٤٢

- ٣ -

قصة قوم عاد
من آية (٢١) الى آية (٢٦)
من سورة الأحقاف

(واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . (قالوا : أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) (قال : إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون) .

وهذا هو الفصل الأول .

(فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا : هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم)

وهذا هو الفصل الثاني .

ثم يأتي التعليق القرآني للقصة وعليها : (كذلك نجزي القوم المجرمين (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء . إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) .

وهذا هو التعليق المقارن بين تمكين الله قوم عاد ، وبين تمكينه كفار مكة .

على أن القصة الماضية تعد ثلاثة فصول إذا جعلنا جملة : (تدمر كل شيء بأمر ربها) نهاية الفصل الثاني من القصة .

وجعلنا جملة (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) فصلا قائما مستقلا . وبقية الآيات تعليق قرآني مقارن وموازن كما وضحت وكما ترى . على أن القصة تنصب على تسجيل إعراض قوم عاد وجحودهم واستهزائهم وانتقام الله منهم . وذلك مطابق لروح السورة العام المعتبر عنه بهذا الجانب من الآية الثالثة من السورة : (والذين كفروا عما أنذروا - معرضون) على أن بقية السورة - بعد قصة قوم عاد - تدور حول إهلاك القرى وتدور حول إنذار الجن قومهم على نحو ما نرى في هذه الآيات .

- ٤ -

لمحة " إهلاك القرى "

(ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة . بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) .

والمناسبة بين هذه اللمحة وبين قصة نوح عليه واضحة ؛
تصنعر الإهلاك هنا وهناك .

وتصريف الآيات والنذر رجاء رجوعهم — موجود بصورة ما في لمحة الإهلاك في قصة نوح عليه
وعجز الآلهة التي يعبدونها من دون الله عن نصرتهم — ملحوظ هناك وملحوظ هنا .

— ٥ —

قصة استماع الجن للقرآن

(وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : أنصتوا فلما قضي
ولوا إلى قومهم منذرين (قالوا : ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين
يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

(ياقومنا : أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم .

(ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال
مبين) من آية (٢٩) إلى آية (٣٢) من سورة الأحقاف .

والجن — هنا — يقومون بمهمة الإنذار وقد أشاروا بالقرآن الذي أنزل من بعد موسى
مصدقا لما بين يديه . يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم وقد عرفنا معا أن الإسلام
هو الطريق المستقيم .

ثم دور الجن — هنا — يشبه دور الرسل الثلاثة الذين أيدوا رسولهم عيسى عليه السلام ،
والذين أيد هم الرجل الشهيد السعيد في مثل سورة يس فهو ٦٠ الجن يؤيدون دعوة الله
ورسوله ويطلبون من قومهم أن يجيبوه وأن يؤمنوا به ليغفر لهم من ذنوبهم ويجيرهم من عذاب
أليم .

والذي لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض كما رأينا في قصة نوح عليه .
(وليس له من دونه أولياء) .
كما أبصرنا في لمحة إهلاك القرى — أن : (أولئك في ضلال مبين) .
ثم بعد أن سجلت جو السورة الأدبي وثوق القرآن وتمجيد الموصوفين أو الموعودين
وبعد أن عرضت :

١ — توصية الله للإنسان بوالديه إحسانا .
٢ — وتوصية الوالدين لأبنائهم الإيمان بالله .
٣ — ثم قصة نوح عليه .
٤ — ولمحة إهلاك القرى .
٥ — وقصة استماع الجن للقرآن .

EP

ثانى آخر آية فى سورة الأحقاف وهى خاتمة السورة :

(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) .

الدكتور محمد محمد غمام

(٥٠)

سورة الغاشية
وجوهها الموسيقية

الدكتور محمد محمد أبو موسى

سورة الغاشية

حديث الغاشية
وجوهها التعبيرية والتصويرية

(هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع .

(وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة .

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت .

(فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر .

إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم .

حديث الغاشية

قصة الغاشية فى سورة الغاشية - هى قصة القيامة مصورة فى صورة رائعة وموقعة وسمعة صورة جمالية لا تملها الأعين ولا الأنفس ولا القلوب ولا العقول . بل تزداد تعلقا بها وطلبا لها وتزداد إليها وهى من القصص التصويرى والتوقيعى والتوزيعى والتلوينى .

والقصة يبدأ بنغمة متحدة فى خمس آيات من الآية الاولى إلى الآية الخامسة .

ثم تفصل بينها وبين النغمة التى بعدها - بآيتين مختلفتى الايقاع وهما : الآية السادسة والسابعة .

ثم جاءت بعد هذا الفاصل - ثلاث وحدات مؤلفات من ثلاث نغمات مختلفات . وكل وحدة مكونة من أربع آيات على وجه التقريب إذ الأولى منها خمس آيات وهذه الوحدات الثلاثة من الآية الثامنة إلى الآية الرابعة والعشرين . ثم تجىء النغمة الفاصلة والأخيرة وهى آيتا ٢٥ ، ٢٦

وفى كتابتى لحديث الغاشية - بهذه الصورة - تيسير للدارسين والباحثين - فى أن يعرفوا ما فى السورة من تنويع وتوزيع وتفريع وتوقيع وما لها من جمال أخاذ وتصوير رائع بديع .

وبما أظهر سماتها الأدبية والبلاغية والجمالية والموسيقية - تترابط الفكرة وتتماسك الوحدات وتقصر الاسجاع وتلاحق الأنواع وتتوافر المحسنات البديعية بغير إكراه ولا إقحام وبدون تعمل أو تقصد ثم يظهر خروج على جوهر فى سبيل المظهر أو المظهر فى سبيل الجوهر بسبب تجميل الفكرة بما يجعلها ذات تأثير معين كما يجعلها ذات إيحاء خاص .

الأستاذ محمد محمد القماح

الجانب التطبيقي
في قصص القرآن

الأستاذ محمد محمد القماح

القصة في سورة الأعراف

١ ـ فقرة : الكتاب المنزل من آية (١) الى آية (٣) .

وفي هذه الآيات :

١ ـ الاشارة الى حروف القرآن . ٢ ـ ان روح السورة العام : التذكر ، والتدبر ، والفكر

٣ ـ أن المغزى العام : اتباع القرآن ، وعدم اتباع الشيطان والأوثان .

فالقرآن كتاب أنزل الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، لينذر به وليكون ذكرى للمؤمنين ولتثبيت الرسول ، وتسريته .

ثم هو كتاب أنزل الى العالمين من مؤمنين وغير مؤمنين . ليتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم ولئلا يتبعوا من دونه أولياء ، وهم ـ قليلا ما يتذكرون .

وهذا بمثابة الفكرة الأساسية ، والمغزى العام من سورة الأعراف بوجه عام ، ومن قصصها بصفة خاصة . ثم من هذه الفكرة ينبثق الهدف الكبير ، الذي ينتظم فقر سورة الأعراف ، هذه ، وجزئية التذكر ، تربط ما بين وحدات السورة ، بأوثق العرى ، وأتم الصلات .

٢ ـ لمحة :

" اهلاك القرى " وفلسفته ـ من آية (٤) الى آية (٩) .

ففي آية (٤) ـ بيان أن اهلاك القرى يجيء في البيات ، أو في القيلولة ، وهما وقت الراحة والمنام ، لا وقت البأس والانتقام وفي هذا تخويف من عذاب ، مفاجيء ، مخيف ! .

وفي آية (٥) ـ بيان اعتراف الهالكين ، بأنهم كانوا ظالمين ، وهنا وصف صادق ، لنفسية الشعوب والجماعات ، في أوقات المحن والأزمات .

ثم في آية (٦) ـ بيان لمسئولية الذين أرسل اليهم ومسئولية المرسلين ، وتوكيد لوقوع هاتين المسئوليتين ، وعمومهما ، وتحديدهما .

ثم آية (٧) (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) .

تسمية لقصص القرآن في سورة الأعراف ، هذه ، وتوطئة لصدقها العلمي والاخباري والأدبي فالقصص مرتبط بالمسئولية ـ فهو قصص هادف ، والقصص يوقظ الوعي ـ فهو قصص مهم ، والقصص مسوق لهم ، والهم ، وعليهم ، فله دور حيوي وديني ، وعقدي ، واجتماعي ، وتوجيهي .

والقصص مرتبط بالعلم ، فهو قصص علمي قطعي ، لا ظني ، ولا تخميني ـ فهو قصص حق ، وصدق ، وهو قصص واقعي ، وتاريخي ، ومثالي . وفي هذا توثيق له ، وتحقيق . وما كنا غائبين فهو ذو وصف دقيق ينبيء من تجربة معيشة ! ... اذا صح التعبير وهو وصف عليم ، خبير ، بصير .

ثم في الآيتين الثامنة (٨) ، والتاسعة (٩) ، توضيح الجزاء العدل ، في يوم القيامة . (فمن ثقلت موازينه ، فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه ، فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) .

* * *

٣ ـ " حكاية تمكين بني آدم في الأرض " ، تصورها آية (١٠) ، وهي تمهيد " لحكاية الخلق" وإشارة الى سر الوجود .

٤ ـ قصة " هبوط ابليس " من آية (١١) الى آية (١٨) ، وهي قصة حوارية ، تصلح مسرحية قصيرة ، فهي اذا حذفت لفظ " قال " .

والآية الأولى الحادية عشر ـ تمهيد ، وتصوير ، وحكاية مروية ، لا حوارية : " ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ، لم يكن من الساجدين) .

فهنا بدء خلق الخلق ، وهنا تنفيذ لهذا الخلق أردنا خلقكم فخلقناكم اذ صورناكم ثم أردنا تكريمكم ، فقلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا ... ! ، وكان في الامكان أن تقف الحكاية عند هذا الحد لكن هذه الحكاية مهداية لقصة أخرى ، هي قصة " ابليس " ، ومن هنا كان بدؤها ، باستثناء من الملائكة الساجدين (فسجدوا الا ابليس !) (لم يكن من الساجدين) .

في هذا التعبير ، تصوير لنفسية ابليس ، الداخلية وبيان لطبيعته المتمردة ، المتكبرة ، فالقصة الحائدة ، واشارة الى عقد الرفعة فيه ، والغلبة ، والاستعلاء .

وفي هذا تعريف بالشخصية ، التي تبنى عليها القصة ، أو تقوم عليها المسرحية .

ثم يدور الحوار هكذا بين الله ، وبين ابليس :

ـ (ما منعك الا تسجد اذ أمرتك ؟) ـ (أنا خير منه ! خلقتني من نار ، وخلقته من طين)

ـ (فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فاخرج انك من الصاغرين)

ـ (انظرني الى يوم يبعثون) ـ (انك من المنظرين)

ـ (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن ايمانهم ، وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين) .

ـ (اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين)

فهنا ـ في هذه القصة الحوارية التي تصلح أن تكون مسرحية اذ الحوار صميمها ، وسر حيويتها ، وقوتها ، وفتنتها ...

في هذه القصة تحليل لنفسية ابليس ، وتحليل لسلوك الناس ، وشذوذه من روح الجماعة .

ـ ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك ؟

ـ أنا خير منه .

فهذه شبهته ، أو عقدته ، كما أسميتها : عقدة الشعور بالعظمة ، أو عقدة حب السيطرة والاستعلاء ، ثم هنا سجال لسؤال يوجه من الله الى ابليس كان يسأل من وجه هذه الغيبة ، أو كيفية هذه الأفضلية : وكيف كنت خيرا منه ؟ فيجيب : (خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار أفضل من الطين ، فأنا خير منه لذلك .

ولعل هذه هي بذرة العنصرية ، أو الجنسية ، التي تولدت منها ـ فيما بعد ـ نزعات العنصرية والعصبية !

ثم لعل هذا الموقف نواة للنقد ، وأساس للشكل الأول في علم المنطق ! .

— فاهبط منها • ولماذا ؟

— ما يكون لك أن تتكبر فيها • فهو يحاول التكبر • ويتظاهر بالعظمة والاستعلاء • ولكنه من الأذلاء الصاغرين • — فاخرج انك من الصاغرين •

فالهبوط الأول من الجنة البهيجة من المقام والوجود في الوجدان • والخروج منها لأنه من الصاغرين • وهي موطن العظماء الحقيقيين • ممن اتمروا بأوامر الله وانتهوا بنواهيه •

— أنظرني الى يوم يبعثون

وفي هذا الرجاء تظهر غريزة حب البقاء ونزعة الخلود كما تدل هذه الفقرة على حقيقة النفس وحقيقته •• وأن ابليس — على عتوه • وتكبره • وأصالته في الشر والكفر — مؤمن باليوم الآخر مسلم به •

— انك من المنظرين —

هنا تحقيق لرجاء في البقاء والخلود • وفي هذا امتحان آخر لنفسية ابليس • وكشف عن شخصيته وفضح سريرته • وطويته •

وفي رد ابليس • وتعقيبه على اجابة طلبه تتضح هذه الشخصية وتتفضح تلك النفسية •

— فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم • وهنا تظهر طبيعته الحاقدة • والحاسدة وخلقه الجبان • والمتمرد !

ثم هنا تحديد دوره • وتعيين مهمته وهو قعوده على كل صراط مستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم • من المؤمنين والمسلمين والمحسنين •

— ثم لآتينهم من بين أيديهم • ومن خلفهم • وعن أيمانهم • وعن شمائلهم !

وإذن فهي عداوة متأصلة بين الشيطان • وبين الانسان •

وفي تبيين هذه السمة وتفصيلها • وتحليلها — وصف لخطورة ابليس • وتحذير من الخطر المهدد ابني آدم • ثم فيه تحذير ضمني • وكشف عن مكائد ابليس وأساليبه •

— ولا تجد أكثرهم شاكرين • وهذه هي نتيجة تلبيس ابليس • وغاية أمله الذميم ألا تشكر نعم الله — نعم الله • وتحت هذا يندرج الكفر • والشرك • والجحود • والتمرد والمعصية والبطر والأشر ! وما إلى ذلك كله من رسائل الرذائل •

ثم يقول الله : (اخرج منها مذءوما مدحورا) • فخروجه طرد وصغار ومأساة ذم واندحار فقد نفي طريد نفسه بنفسه •

— لمن تبعك منهم • لأملأن جهنم منكم أجمعين — وهذا التهديد موجه إلى ابليس • وإلى أتباع ابليس ممن تبعوه • وآثروا به وتمردوا مثله وخرجوا عن طاعة الله إلى طاعة الشيطان وممن كانوا من الكافرين • ولم يكونوا من الشاكرين !

وابليس نفسه قد فهم سر طرد الله له • ولعنته إياه • وهو أنه من المتكبرين • ومن الصاغرين ومن المفسدين المضلين • ثم من الكافرين غير الشاكرين •

■ ■ ■

ومن هنا ارتبطت هذه القصة بجزئية الشكر في لمحة خلق الخلق ـ قبل قصة "إبليس ..." هذه .

في ختام آية الخلق (قليلا ما تشكرون) . وفي ختام كلام إبليس (ولا تجد أكثرهم شاكرين) بين الشكر القليل . في (قليلا ما تشكرون) بين التذكر القليل . في (قليلا ما تذكرون) ارتباط وثيق . بين القلة الحالي . في حالي التذكر والشكر . وفي هذا الارتباط وحدة نفسية وأسلوبية . وبنائية . وانسجام موسيقي وفني . ثم بين الكثرة التي لا تشكر . وبين القلة التي تشكر تقابل . وتضاد منشأ هذا ما يسمى : " بوحدة التضاد " أو " اتحاد الأضداد " . وإذا رجعنا في أن نوازن بين تصوير القرآن لهذا في قصة إبليس . في سورة الأعراف . وبين تصويره لقصة إبليس في سورة ص . التي نزلت قبل هذه فانه ينبغي لنا أن نكتب القصة في صورة حوارية تلقي ضوءا على الإعجاز القرآني . في تعدد معارض القصة القرآنية . مع الإشارة السريعة إلى وجوه الاتفاق والافتراق . بين القصة هنا . والقصة هناك ـ وهذه هي قصة ص :

(إذ قال ربك للملائكة . إني خالق بشرا من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) . وهذه هي قصة خلق الله الإنسان ـ صورته في سورة ص . عن طريق القول والإخبار . بينما صورت في الأعراف . عن طريق الحكاية والتقرير .

ثم قصة الخلق في ص . فيها تفصيل وتحليل . فالله خالق . وخالق بشرا من طين . وهذا هو التعبير هنا في الأعراف بجملة (ولقد خلقناكم) . وهذا البشر من طين . له مراحل يمر بها فيها تكريم . للإنسان وتشريف . ثم فيها إعداد لإمكانات . وتعظيم .

(فإذا سويته . ونفخت فيه من روحي) . فيها إذن كمال الخلق . وهنا إذن سر تفضيل الإنسان على إبليس أو سر تفضيل الطين على النار . فالمادة لا تهم . إنما المهم ما في المادة . وهنا نفخ الله من روحه في الإنسان السوي الكامل . وهذا تفصيل لجملة (ثم صورناكم) . (فقعوا له ساجدين) تلخيص وافي . وفي . لجملة (ثم قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم) .

فالحكاية ـ حكاية الخلق مفصلة في سورة ص . بينما هي ملخصة في سورة سبحة . في الأعراف والقصد هذه السرعة تعم الخلق على التصوير . ما جعلنا نقدر : أردنا خلقكم فصورناكم . وذلك ليتسق الوجود الواقعي . والوجود المطلق . وتصدق النصوص : الوجودية والكلامية .

ثم في سورة ص ـ تقديم قول الرب للملائكة على الخلق . وهنا تأخير القول على الخلق والتصوير ففي قصة ص ـ فرصة للجدال . والحوار . والاختصام تدل على ذلك هذه الآية الموجهة لسان القصة : (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) . وهذه الآية علاقة مع آية العلم والمعاهدة . التي تميز القص في الأعراف : (فلنقصن عليهم بعلم . وما كنا غائبين) ولأجل روح الاختصام . ثم تعتمد القصة في ص . على هذه المفاجأة . بل مهد لها بـ :

(إذ قال ربك للملائكة . إني خالق بشرا من طين ـ فإذا سويته . ونفخت فيه من روحي . فقعوا له ساجدين) . وفي هذا التمهيد والتفصيل إعداد للإنسان وخلق الإنسان .

أما في سورة الأعراف فتتصدر القصة على المفاجأة والسرعة ، كما يتضح في لمحة :

" إهلاك القرية "

(وكم من قرية أهلكناها ، فجاءها بأسنا بياتا ، أو هم قائلون)

فهي قرى كثيرة ، وليست قرية واحدة تدل على هذا ـ كما في العبرية ، المفيدة معنى التكثير كما يتوهم في ذلك تكثير قرية : وأهلكناها : أردنا إهلاكها ـ تدل على السرعة ، وتحقق الوقوع ! فجاءها بأسنا بياتا ، أو هم قائلون ! تدل على المفاجأة لكل من الهالكين لحلول العذاب بهم وهم آمنون ، ولكل من المشاهدين صارخين في القرية ، والقائلين تصنعا هذه ثم دعواهم ـ أيضا ـ مفاجأة ، لأن فيها سرعة اعتراف ، من ثم لم يعهد فيهم صدق أو تصديق ! (فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا ، إلا أن قالوا : إنا كنا ظالمين) .

وترتب السؤال على هذه الدعوى مفاجأة ! كما أن ترتب القص بالعلم على هذا السؤال مفاجأة أيضا .. !

وإذن فلا مجال للتفصيل ، أو التحليل ، في لمحة الخلق في الأعراف ، مثل ما نرى من فسحة التحليل والتفصيل ، في قصة الخلق ، بسورة ص . وفي هذا فلا تكرار ... فالمقام غير المقام ! والجو غير الجو ، والسورة تختلف عن السورة ! ثم المغزى غير المغزى ! .. والمعنى يفترق ـ عند التأمل ـ عن المعنى ! .. والبناء القصصي ، في قصة الخلق الحوارية ، غير البناء القصصي في لمحة الخلق السردية . وفي هذه إعجاز ما بعده إعجاز !

ثم تنتهي جزئية السجود ، في سورة ص : (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ، استكبر ، وكان من الكافرين) .

وفي الأعراف : (فسجدوا إلا إبليس ، لم يكن من الساجدين !)

العلة هي العلة ، والسبب غير السبب ! فمقام ص ، غير الأعراف .

ففي ص ـ فرصة للتطويل ، والتفصيل ، والتحليل والتعليل . ـ وفيها ذكر للملائكة ـ لأن الخطاب موجه إليهم ، ومن هذا ظهروا في التصريح بهم أو من هنا صرح بهم ـ (فسجد الملائكة ، ولوجود الفرصة ، أكدوا مرتين بكلهم أجمعون وذلك لإبراز طبيعة إبليس المستكبر الكافر ، في حين اكتفى بالإخبار عنهم في الأعراف ومن ثم لم يصرح باسمهم ، واكتفى بفعل (فسجدوا) ثم (إلا إبليس ، استكبر ، وكان من الكافرين) فيها من تخلف عن السجود ، وفيها سر هذا التخلف الاستكبار ، وكونه من الكافرين .

فهنا علتان إيجابيتان بينما (لم يكن من الساجدين) علة سلبية ، تتفق مع العلتين الإيجابيتين .

ثم يأتي دور المحاكمة ، فكما أن الملائكة قد صرح بهم في امتثال السجود أبرز اسم إبليس في صدر محاكمة الله له . (قال : يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ؟) وهنا تكريم آخر للإنسان ، بأنه خلق بيدي الله بالقدرة مع العلم ، وفي هذا التكريم تفصيل للتفضيل ، وإشارة إلى حكمة السجود للإنسان .

في هذا ، وذاك تقرير لمسيرة إبليس ، وكشف لطبيعته ، كل هذا سنعود إليه فرصة التفصيل والتحليل المتاحة في سورة ص .

بين هنا أتبع هذا السؤال ، بسؤالين تابعين منه ، أو تابعين له :
(استكبرت ؟ أم كنت من العالين ؟ !) بينما في الأعراف تأخذ السؤال شكلا آخر : (ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ؟ !) فهنا الغضب منصب على مخالفة إبليس أمر الله . وهناك التساؤل موجه إليه لامتناعه عن السجود لما خلق بيديه سبحانه .

ومن ثم أتبع بتساؤل ثان ، وكأنه : أستكبرت ؟ أم كنت من العالين ؟

ولأن الغضب في الأعراف منصب على مخالفة إبليس أمر الله عيّن دوافع هذه المخالفة وهي التكبر وكونه من العالين ! فلو كان عظيما لما خالف أمر الله . ولو لم يكن من العالين فلا تتطلع إلى أن يكون من العالين .

وإذن تعتاب ص ، غير غضب الأعراف والسياق الأدبي والبلاغي هنا غير السياق البلاغي ، والأدبي ، هناك . وكلا السياقين في الذروة العليا من البلاغة ووحدة السياق ووحّد إبليس — في السورتين — واحد . غير أنه ذكر في آية مستقلة في الأعراف — بينما ذكر ضمن آية في ص ، إذ جاء إجابة للسؤال الموجه إليه من الله .

ولعل السر في ذلك هو اختلاف البناءين في القصتين ، وتفاوت الأسلوبين فيهما تبعا لاختلاف النوعين النفسيين أو تبعا للتقسيم الموسيقي ! فالتفاصيل مبثوثة في سورة الأعراف ، أطنب من التفاصيل في سورة ص . يضاف إلى هذا وذاك ، الفرصة المتاحة في ص ، والتفاوت الشاسع بين الآيتين ، في الأعراف —

وهذا الرد الواحد : (قال : أنا خير منه ! خلقتني من نار ، وخلقته من طين)

وخلق الإنسان من طين عقد عهد إليه ، وأشير إليه في قصة الخلق بص : (إني خالق بشرا من طين) ، ومن هنا انبنى عليها هذا الحوار بالتالي بالتطور ، مستغلا فيها مبنيا عليها . على أن لمحة الخلق في الأعراف ، قد اعتمدت كثيرا على ما في قصة الخلق بص واكتفت به .

(قال : فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) .

وهذه جزئية الإخراج — فهو مخرج منها ، ليرجم وهو رجيم ، لأنه مخرج من الجنة ، ولأنه قد استكبر وكان من الكافرين حلت عليه لعنة الله إلى يوم الدين . وفي ذكر يوم الدين هنا — تذكير بيوم البعث ، وتقرير لهذا اليوم موسيقي له على أنه بدهية ، لا يختلف فيها حتى رئيس الشياطين ! . وهذه لفتة قصصية رائعة ! وطرد الله لإبليس في ص أتبع آيتين متوسطتين ، أو قصيرتين ، بينما هو في الأعراف ، اتخذ آية لوازي ثلاثين آية . (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين) . وهذه الآية تجمع بين هبوط إبليس ، وتكبره ، وبين إخراجه لسفاهة موقفه . أما الآيتان في ص ، فتبقيان الخروج لأنه رجيم ، وتبقيان اللعنة إلى يوم الدين .

ثم يأتي رد إبليس ، ويؤكد من الطرد (قال : ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون ، قال: فإنك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم) .

فهنا تصوير دقيق لخوف إبليس الرجيم ، اللعين ! وهنا إقرار له بالربوبية ، إذ (قال: ربّ) ، وفيها تذلل ودعاء ، وخوف ورجاء . فإذا صح النداء بربّ ، فأسهل إلى يوم يبعثون ، قال : فإذا صح منك هذا الرجاء ، وذاك النداء ، فإنك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم . ولذكر الرب في النداء ، جاء اللقاء ، في رجاء الانظار ، وفي تحقق الرجاء . بينما نجد هذا ، وذاك - خاليين من هذه اللقاء ! (قال : أنظرني إلى يوم يبعثون ، قال : إنك من المنظرين) ، وهنا إجمال لما في هذا الإجمال ، عن طريق الاختصار وعن طريق إتيان الجواب على قدر السؤال . وبينما في ص - يقيد الانظار بيوم الوقت المعلوم نرى الإنظار مطلقا من كل قيد .

ومن هنا اختلف موقف إبليس تبعا لاختلاف نفسيته ، وشخصيته ، في موقف الاطلاق والتقييد

ففي سورة الأعراف ، وفي موقف الإطلاق نجده من كل قيد : نرى إبليس يتحدى ، ويتعهد ويتوعد ، ويبين سبل غوايته ، وخطة التمويه ، أو الافساد ، أو نوعة التخويف والتحطيم : ويرد هذا كله بإسناد الاغواء إلى الله . (قال : فبما أغويتني ، لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) نشخصه - وقت اطلاقه وانطلاقه - تقرؤ وتظهر ! ونفسيته الحاقدة الباغية تستبين وتتضح وشدة حنقه ، وغيظه - يحذف الجار في " على الصراط المستقيم " . شخذا من هذا الصراط المستقيم مقعدا له ومكانا ليتصيد حياله ومحاذه ، في طريق السالكين والمؤمنين والمحسنين ، محاولا افسادهم وابعادهم عن طريق الشاكرين ! ثم هو يوسع من سطوه ، وسلطانه ، حيث يأتي هؤلاء المستقيمين السائرين على الصراط المستقيم من بين أيديهم عليه فصهم إلى الإثم ، ويصدهم عن الخير ومن خلفهم ليوسوس لهم ، ويفسد نواياهم ومقاصدهم ويقعد بهم عن التقدم نحو المعالي ، أو الدفع إلى الأمام .

كما يأتيهم عن أيمانهم فيصدهم عن أهل اليمن والبيمنة ، وعن شمائلهم فيصدهم إلى أصحاب الشمال ، والشأمة : فأيه من هذا كله ، إشاعة الكفر والجحود وترك الشكر والطاعة والسجود .

أما وقد في سورة ص ، فهو : (قال : فبعزتك ، لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) ، وشخصية إبليس - هنا - تختفي ، وكما خاطب الله بالرب ، أنتم - هنا - يخبره : (لأغوينهم أجمعين) ، وهنا اتساق مع أسلوب القصة - في بدايتها (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) ، وهذا : (لأغوينهم أجمعين) ، وأنه يعلم أن للجنة أصحابها ، استثنى من الاغواء (عباد الله المخلصين) ، وهذا يتفق مع القلة الشاكرة المستفادة من قوله في الأعراف : (ولا تجد أكثرهم شاكرين)

* * *

ويأتي بعد ذلك في ص – تعقيب القرآن على وعد إبليس ، وتهديده ، وأن إغواءه سيعم الخلق أجمعين ، إلا عباد الله المخلصين – يأتي تعقيب القرآن :
(قال : فالحق) فهذا هو الذي سيكون من أتباع الله عباده المخلصين ، إذ ليس لإبليس على عباد الله ، من سلطان – على أن أولئك الغاوين ، الذين يتبعون إبليس سيملأ جهنم منهم أجمعين ، ومنهم إبليسهم اللعين . (قال : فالحق والحق أقول : لأملأن جهنم منك ، ومن تبعك منهم أجمعين) .

وهنا هدوء في تعقيب اللمسة ، ورده على إبليس يعتمد على الجدل الهادىء – كما رأينا – كما يستند إلى الوجه الشديد ، والتهديد الأكيد .. وفي هذا الهدوء الرهيب لما يكون ، على توالي الأجيال ، وتعاقب القرون . كما أن لمسة الغضب وتهديد – من قبل – إلى إبليس ، وتهديد على رأسه : (وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) كما وتهديد بعد – في ذلك الوجه ، وفي هذا التهديد – إلى إبليس ومن تبعه من الخلق . وقد تعلمت هاتان الشفتان : اللعنة العاجلة على إبليس ! واللعنة الآجلة عليه ، وعلى أتباعه ! قد تعلمتا ، في آية واحدة ، أتيح لها في سورة الأعراف ، وهي : (قال : اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) .

فإبليس – في سورة ص – مستكبر ، وكان من الكافرين ومجادل عنيد ، فهو هو رجيم ولعين وهو مذءوم ومدحور ، وإلى يوم يبعثون ! . وإبليس – في الأعراف – لم يكن من الساجدين وإن يكون من الساجدين ، وهو يتمرد على أمر الله ، يتمثل بجدله وعناده مفكر وذليل ، ثم عليه غطاؤه ، ليعمل على إغواء الآخرين وإضلال المستقيمين ، ويثير مخاوف الإغواء والإضلال مما جعله يطرد من الرحمة والجنة مذءوما مدحورا .

وبعد هذه الوقفة الموازنة بين قصة إبليس في سورة ص ، وفي سورة الأعراف.. يجدر بنا أن نشرع في عرض القصص والقصة التي تضمنتها سورة الأعراف بكاملها بعنصر القصص في آياتها – وبذكر الآيات التي تحصر القصص حتى نلم بهذا العرض الشامل لقصص القرآن . ثم نختار من بعض القصص للدراسة والتحليل ، والموازنة بين بعض القصص ، والبعض الآخر .

(٥) قصة آدم والشيطان

من آية (١٩) الى آية (٢٥)

سورة الاعراف

وقد بدئت هذه القصة بالنداء موجها إلى آدم (يا آدم اسكن أنت وزوجتك الجنة فكلا من حيث شئتما .. ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) .

وهذه فترة التكريم والتعميم ثم هي تمثل الحرية المطلقة (فكلا من حيث شئتما) تكتنفها الحرية المقيدة (ولا تقربا هذه الشجرة) .. وهذا هو الفصل الأول . ثم (فتكونا من الظالمين) .. إرهاصة ، وتراب ، ولبنة ، واستباق ، وتمهيد للفصل الثاني .

(ليبدي لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما . وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة ، إلا أن تكونا ملكين ، أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين) .

وهذا دور الاغراء والإغواء وصل الصراع بين الإنسان والشيطان وان لم يظهر إلا دور الشيطان وكأنه إ .. فالصراع كامن ، خفي ، يتجلى في تطوره وتأزمه وحدته وعنفه . ثم هذا الصراع له جذور عميقة ، وقد تلاقى مأساة سبق أن عرضه في قصة "إبليس" ثم عرفه الداعي إليها هنا ، أو الغاية بذاتها ، فهي : (ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما) ثم هو صراع متعدد الجبهات ، يتخذ صورا شتى ، كوسوسة ، ومخادعة ، ثم له نهاية يلتقي عندها (فدلاهما بغرور) الفاعل في بلية إ .. وبهذه النتيجة السيئة ـ ينتهي الفصل الثاني ليبدأ الفصل الثالث .

(فلما ذاقا الشجرة ، بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ؟ وأقل لكما : إن الشيطان لكما عدو مبين ؟ إ . قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا ، وترحمنا ، لنكونن من الخاسرين) . وهذا هو الفصل الثالث . وهو ابتداء للفصل الثاني ، وتأليب عليه . وفي بدايته أي الثالث ـ يظهر عنصر الندم ، والحسرة ، والمفاجأة إ

(فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما) وهذه مفاجأة مطلقة ، ثم (فدلاهما بغرور) ثم هذه نتيجة مرتقبة ، لأن قد سبق لها ، بتضليل وسوسة الشيطان ، وإغوائه : (ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما) .

وهذه النتيجة التي حققت في الفصل الثالث بمثابة لمعرفة المصير لهذا السؤال الذي ألقاه إليه . (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) وجعلا " يلصقان ورق التين وهو يغطيهما بعيد يلصقان الورق بعضه على بعض (١) .

---

(١) غريب القرآن ـ الجستاني ـ بتصرف .

وهذا تسلل

وهذا تسلل لنظرية الأحداث . وبهذا تم النظر الأول ، من الفصل الثالث ، في صور من طرق السرد ، والأسلوب القرآني . ويأتي النظر الثاني ، من هذا الفصل الثالث : (وناداهما ربهما : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ؟ وأقل لكما؟ إن الشيطان لكما عدو مبين ؟ !) . وهذا دور العتاب الذي أخذ حيزه الاستفهام القرآني - ثم يكمن في هذا العتاب ، فلسفة القصة ، التي تمثل الصراع بين الإنسان والشيطان . والتي تسجل عداوة الشيطان للإنسان :

(إن الشيطان لكما عدو مبين) . وهما أي آدم وحواء ، أصل الإنسانية ، وأساس البشرية . فعداوة إبليس لهما عداوة للإنسان ، في كل زمان ومكان . وقد صور هذا الجانب من طريق الاستفهام القرآني ولهذا الجانب تتمة ، تتمثل في ندامة آدم وحواء ، وتوجههما إلى ربهما ، واعترافهما بظلمها أنفسهما ، وطلبهما مغفرة الله ورحمته . (قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا .. وإن لم تغفر لنا ، وترحمنا ، لنكونن من الخاسرين) ويأتي - بعد ذلك - الفصل الرابع : أصل الهبوط ويتجلى في هذه الآية : (قال : اهبطوا بعضكم لبعض عدو .. ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) فهو فصل رابع ، وأصل خاص بالهبوط ، وحقيقته : وهذا الهبوط هبوط مادي من السماء إلى الأرض ، وهذا هو الأنسب للسياق . أو هو هبوط أدبي من فترة التعليم ، إلى مرحلة الصراع ، والنزاع ، والحرب في سبيل الحياة ، ثم هو هبوط مصحوب بعداوة ، وصراع : (بعضكم لبعض عدو) وهو هبوط مادي ، أرضي ، مستقر ثم هو وجود مؤقت إلى حين : (ومتاع إلى حين) ثم يأتي الفصل الخامس : أصل الأرض والتمكين والمعايشة . والأرض - هنا - هي البيئة المادية المتحركة ، التي فيها الحياة ، وفيها الموت ومنها البعث والإخراج : (قال : فيها تحيون .. وفيها تموتون .. ومنها تخرجون !) والأرض في هذا الفصل الأخير ، قد أنهت هذه القصة : "قصة آدم والشيطان" . كما أنها وضحت آية التمكين في الأرض ، التي مهدت لقصة إبليس ، ثم لقصة آدم والشيطان ، وهذه هي الآية : (ولقد مكناكم في الأرض ، وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) .

وبهذا ارتبطت حالتان للإنسان بلحمة التمكين السابقة كما اصطلح الإنسان : قصة إبليس ، وقصة آدم وحواء والشيطان - وذلك بذكر إبليس في القصة الأولى بذكره شيطانا في القصة الثانية - ولعلها قصة واحدة خاصة بإبليس لتبين نشأته وتصويره ، وسلوكه أو لعلها قصة الإنسان ، في نشأته ، وسلوكه وتصوره . إذ يذكر آدم في التمكين معا . وهذا يعني [illegible] للتمكين أول الملائكة ، والذي الرجحناه جعل التمكين بلحمة التمكين في الأرض . فالأرض قد مهد لها بآية رقم (١٠) - والأرض قد صورت أطوارها الثلاثة ، في أنها بيئة للحياة وبيئة للموت وبيئة للبعث وذلك في آية رقم (٢٥) .

٦) حصاد القصص السابقين

من آية (٢٦) الى (٣٦)

الدكتور محمد محمد سيد

أي من قوله تعالى :

(يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا . ولباس التقوى ذلك خير .. ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون (٢٦) . يابني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ، ليريهما سوآتهما .. انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون (٢٧) إلى قوله عز ذكره : (والذين كذبوا بآياتنا ، واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون) . آية (٣٦) سورة الأعراف .

وبدو أن معاني القصة الثانية قد ظهرت في الآيتين الأولين ، من هذا التعقيب كما أن الفكرة الأساسية في القصة الأولى ، قد ظهرت في الآية الأخيرة من هذا التعقيب على أن التعليق كله يتخذ وجهة العظة ، والتوجيه الباشر والإرشاد الواضح ، ولعل توجيهه إلى بني آدم عامة ، قد جعله يتخذ هذه الصفة الباشرة ليفيد كل الناس من جميع الأجناس . ذلك أن القصص السابقين : قصة الشر المتمثلة في قصة ابليس " وقصة الصراع بين الإنسان والشيطان ، المتمثلة في " قصة آدم وحواء والشيطان " ـ تهمان بني آدم كلهم إ وهما ـ بهذا المعنى ، ولهذا التوجيه من القصص العالمي . على أن التعليق يطوي الأحداث ، ينتقل بها إلى الأرض ويطلها بميدان الحياة . بل يجعل منها مثلاً يتكئ عليه ينفذ من كونها ، إلى معنى أسمى ، وهدف أهم . فجزئية مواراة السوآة ـ تستغلها الآية الأولى ، استغلالاً نظريا ، يبين ملامح الصناعة والحضارة ، في هذا الامتنان :

(قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا) .. وهذه نقلة تاريخية وبيئية ، واجتماعية ، وصناعية ، في الحضارة الانسانية . وفي التعبير بالإنزال ـ إلى جانب ما فيه من مراعاة النظائر ، والأمثال ـ إشارة بأن الحضارة الإنسانية من الهام الله ، وتوفيق منه . على أن هذه الجزئية ، جزئية الصناعة قد نفذ منها القرآن وما بها سوا روحها ، وهدفها (ولباس التقوى ذلك خير) . فجانب اللباس الحسي البدني ، لباس التقوى المعنوي ، الروحي . ثم (ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون) وجاء التذكر في الآية السادسة والعشرين ـ مرتبطا بالقصة بقية التذكر ، في الآية الثالثة من السورة (قليلا ما تذكرون) . ثم يبسط التعليق بمضمون القصة الثانية ، الذي يدور حول الفتنة والإغواء والمحنة والإخراج من الجنة ، وكشف السوءة ، وما إلى ذلك كله . فيه إيضاح للعبرة ، وبيان لسوء النفس التي بها غواية ، أو تجربة ، يحبه تظهر في إطار نظيف ، سليم ، وبريء ، أنيق ، وبهي . فان آدم أبو الإنسانية ـ قد عانى قبله هذه ، وأرسلها إلى نفسه في كل مكان وزمان ، لينتصروا بتجربته ، ويبتعدوا عنها ، ويبعدوا عن

أشعارها وشعارها . والقصة - بهذا المعنى - من أدب الجاهلية والصحراء وكل حواء أم الإنسانية - بوصفها حسراء . مكملة لآدم . وشاعرا بالصراع والانفصال - تؤدي تجربتها . لبنات حواء . في كل جيل وجيل لتظل بقين في القصة أو يستمع إلى نواح الشياطين . وإن المستمعين . والمستمعات . من تجربة قصة الإنسان الثانية - كثيرون . وعديدات . يختلفون . ويتفاوتون . في الذكاء . والنباهة . وفي الطيبة والشر . وفي الفهم الجاد السريع . والفهم الخاص البطيء . جاءت لذلك كله - العظة مباشرة . في آية الصافات . الثانية . (يابني آدم : لا يفتننكم الشيطان . كما أخرج أبويكم من الجنة . ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) . ثم هذا الشيطان الذي كان شاهدا من أيمان . يجيء تراه في القصة الأولى إبليسا مكبرا صاغرا . مدحورا . مختفيا في الأعراف . مخرجا من الجنة . مذءوما . مدحورا . ويجيء نسمعه في القصة الثانية " موسوسا " لآدم وحواء . مختفيا في مخابئ الضمائر البشرية . ومتسللا ليظهر الفواحش في ثوب الصحة! هذا الشيطان موجود مع الإنسان . ومع بني آدم إلى آخر الزمان . وهو قد خلقه ترى . ولا ترى . (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) ولكنه نفسه . وكم أضلهم . ويجيء صار له قبيل في كل جيل . وإذن صار الشيطان الواحد شياطين وحواء الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون . والآيات القرآنية لبيان حيل الشياطين على مر العصور وتسجل أساليبهم وخاويهم الباطلة . المضللة . في كل زمان . وواد . فالتقليد الأعمى . شيطانية بغيضة (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . والله أمرنا بها) . والتقليد المتمثل في الإفراط والتفريط . وفي الابتداع والتقليد - شيطانية مكروهة نهى عنها القرآن : (قل أمر ربي بالقسط) .

والإباحية من كل قيد . والتحلل من كل عهد : شيطانية أكيدة . حاربها القرآن بأمره : (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) ثم القطع في السلوك والعادات . وفي الظاهر والجوهر شيطانية رجيمة حاربها القرآن بالنهي المعروف . وبالقصد والانتفاع بالطيبات :

(خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا . واشربوا . ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده . والطيبات من الرزق ؟!) .

والفجور الظاهر والباطن . بصوره . ومظاهره . وأشكاله . وأنواعه - شيطانية خلقية . وسلوكية وعقيدية : (قل: إنما حرم ربي الفواحش: ما ظهر منها . وما بطن والإثم والبغي بغير الحق . وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) . ثم يأتي الذي العلم . وهو القصص : وهو الإنباء :

فالرسل يقصون على بني آدم آيات الله كما سترى . في قصص الرسل في هذه السورة: (يابني آدم : إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي - فمن اتقى . وأصلح .

فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا ، واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون) والفريق الأول ، الناس والصالح ، في عبادة أولياء الله . والفريق الثاني ، الكذب ، والاستكبار في عبادة أولياء الشيطان ! والذي نسرع سورة الأعراف : القص العلم ، والقص الحكم . القص من الله (فلنقصن عليهم بعلم ، وما كنا غائبين) . والقص من الرسل (ألم يأتكم رسل منكم ، يقصون عليكم آياتي) الآية .

والقص الأول العلم الذي يتفرد به الله بعلم الذات ـ وهو ما ـ بأحداث كون عديد نهاره ، وغائبه ، وشاهده ، وبعيده ، وقريبه ، وجهره ، وسره ، وبدئه ، وعوده ـ كما رأينا وسمعنا في قص هذه السورة :

١) قصة التكوين : (ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش) .

٢) قصة الخلق : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا) .

٣) قصة إبليس ـ الذي يقول الله فيها ، مخاطبا إبليس :

(ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ـ .. قال : فاهبط منها ـ فاخرج ـ .. قال : أنك من المنظرين .. قال : اخرج منها ـ مذءوما) .

ثم قصة تكريم آدم ، وإغوائه : (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ، ولا تقربا ـ هذه الشجرة ـ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ، وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين ، أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) .

فالأمر بالسكن في قصة التكريم والنداء بالتحذير والعتاب ، في قصة العتاب والأمر بالهبوط ، في قصة الهبوط .. ثم تبين سيرة الأرض .. وهكذا .. قد صدر من الله سبحانه العليم الحكيم . ويمثل هذا القص : قصة القرى التي أهلكها الله (وكم من قرية أهلكناها) من الآية الرابعة ، وقصة القرى ، هذه ـ بعضه ، حتى : (القرية التي كانت حاضرة البحر ـ في آية (١٦٣) وما بعدها من سورة الأعراف ، هذه . كل هذا من قص العليم الحكيم . كما أن قصص الرسل ، هؤلاء الذين يقصون على بني آدم آيات الله ، وعهوده ومواثيقه ، وشرائعه ، في كل مرحلة وإنسان ، وفي كل جيل وجيل . وكما يعد إلى القص من طريق الأمثال : (مثل الذين كذبوا بآيات الله) عقب هذا المثل الأمر بالقص للتذكر والتأمل : (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) آية (١٧٦) سورة الأعراف فهذه مائة وستون آية أو أكثر ـ قبل قص السورة ، يتنوب قصها ، ويتناسب عليها . مما يجعل طابع سورة الأعراف ، هو الطابع القصصي . وبما رجعنا في هذا العرض الموجز ، تذكر آيات كل قصة ، بطريق العد ، لا بطريق الإحصاء أو التحليل ـ لهذا يحتاج إلى كتاب مستقل . على أن قص هذه السورة ـ وحدها ـ رسالة كاملة .

- ٢ -

(قصة حوار أهل النار وأهل الجنة)

من آية (٣٢) الى آية (٥٣)

- وهى القصة الحوارى ، والتمثيلى ، أو المسرحى فان قصص هذه السورة بوجه عام هذا القصص الذى يقوم الحوار فيه بأهم الأدوار ، ويحتل أهم العناصر فيه ما يمكن تمثيله - فى غير القرآن - صلا مسرحيا ، ناجحا ، دون مجهود كبير يذكر لتحويره أو تغييره .

المنظر الأول وفيه وساطة الكافرين ، والحوار يدور فيه بين رسل الله وبين المكذبين

(١)

- رسل الله : (أين ما كنتم تدعون من دون الله ؟) :

المكذبون : (ضلوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين !) .

(٢)

عداء الله : (ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس فى النار) (يدخلون ، ويتلاقون بشتائم غير مفهومة يدركون ، ويحسون فيها)

(٣) "النار - الأمم الأخرى ، وقد التقت مع الأمم الأولى فتتلاقون بشتائم غير مفهومة ! الأمم الأخرى " متجهة نحو النداء الإلهى الذى لا يحدد له مكان وكأنها تطلب سبب كل الجحيم - ثم تشير إلى الأمم الأولى " (ربنا - هؤلاء " أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار) .

النداء الإلهى : (لكل ضعف ، ولكن لا تعلمون) .

الأمم الأولى " للأخرى تتصل من العذاب والإشواء " (فما كان لكم علينا من فضل ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) .

النداء الإلهى : (إن الذين كذبوا بآياتنا ، واستكبروا عنها ، لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط - وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ، ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين . والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون .

(٤)

" المنظر الرابع فى الجنة - بين أهل الجنة ، وقد نزع الله ما فى صدورهم من غل فلا يتشاحنون ولا يتحاسدون ، ولا حسد ولا كراهية - يعدو عليهم لمرأى النعمة والسعادة والأمل المسرور والرضا . تجرى الأنهار من تحتهم الجنة " .

أصحاب الجنة : (الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) بعد أصحاب الجنة : (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) " يسمع النداء الإلهى " النداء الإلهى (أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) " يلج أصحاب الجنة

أصحاب النار • ليناديهم " أصحاب الجنة لأصحاب النار : (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا – فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟!) أصحاب النار : (نعم) •
" يسمع مؤذن يؤذن بينهم " • صوت المؤذن (أن لعنة الله على الظالمين)
أصحاب النار " ينظرون إليهم كالمستوضحين " • صوت المؤذن " منا " (الذين يصدون عن سبيل الله " ويبغونها عوجا • وهم بالآخرة كافرون) •

(٥)

" على الأعراف " سور بين الجنة والنار • مرتفع – رجال يعرفون كلا بسيماهم والتعبير" رجال الأعراف " ينادون أصحاب الجنة " (أن سلام عليكم) " لم يدخلوها " وهم يطمعون أن يدخلوها " فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار • وجاءهم فتوجهوا بالدعاء في خيف وخشوع : (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) " ينادي أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم " (ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون) " ثم يشيرون إلى أصحاب الجنة • وهم يحيون بالتحية والترحيب " • (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ؟)
" فإذا صوت يحيي أهل الجنة " • الصوت : (أدخلوها " الجنة " – لا خوف عليكم • ولا أنتم تحزنون) • " في النار وفي الجنة • نداء بين أصحاب النار • وأصحاب الجنة •
أصحاب النار " لأصحاب الجنة • في استغاثة وذلة " (أن أفيضوا علينا من الماء • أو مما رزقكم الله) •
أصحاب الجنة : (إن الله حرمهما على الكافرين) النداء الإلهي (لا يمسه إلا المطهرون) : (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا • فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) • ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم • هدى • ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله ؟!) •
الذين نسوا الكتاب • وهم يخشون من العذاب • في النار : (قد جاءت رسل ربنا بالحق •• فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ؟ أو نرد • فنعمل غير الذي كنا نعمل ؟!)
النداء الإلهي : (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) •
فهذا الفصل بهذا الحوار • وهذا الحوار – الذي جاوز • يوحي للنبي • في تتابع الكلمة الحوارية تدور آونة بين رسل الله الذين يؤمنون وبين الكافرين الذين يؤذون على سبيل الله • كما يتمثل ثانية في نداء الله وهو يأتي بهم في المشاهد ويستمع إليها من الجن والإنس • مما يدل على عموم الدعوة الإسلامية • وشمولها الجن والإنس معا • وفي قدرة الله وسلطانه الذي يخضع له وبه الجن والإنس جميعا •
كما يدور الحوار بين الأمم الأخرى الواحدة • وبين الأمم الأولى السابقة • وكما يتمثل في جسم الله • فهذا الفصل المتضخم • بين أصحاب النار : بعضهم مع بعض •

وكما يسمع من أصحاب الجنة إلى النار • ومن تكريم الله لهم وبها وأبيها •• ثم مايدور بين أصحاب الجنة • وأصحاب النار وما يسمع من صوت المؤذن بينهم • الذي حسم مايدور وكذلك يأتي الحوار في الفصل السادس على رجال الأعراف • وهم أولو الأعراف • وفي الفصل السادس الأخير يدور الحوار بين أصحاب النار • وأصحاب الجنة • وكما يتمثل في النداء الإلهي • ثم في أعراف الذين نسوا الكتاب • وهم يطالبون الشفاعة • ويتمنون العودة إلى الحياة من جديد ليعملوا غير الذي كانوا يعملون • لكن النداء الإلهي يخيب آمالهم • ويحل تعاستهم على أعمالهم • بكلامهم أرسل الله وحسبهم بأنفسهم : (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) مما يحقق الوحدة البنائية • والأدبية • والفنية • والبنائية • بين أول القصة • وآخرها • وأيسر أي التعليق بقصد هذه القصة • أو يكون من تأخيرها — كما أراه يمثل حيزا كبيرا • وكما طويلا — مما يستدعي الترجمة لإتمام هذا العرض العام •

وقد يرجئه بعضهم الكلمة الحوارية لبدء القصة المرجعة أو الحوارية من الغيب الزماني ومن الواقع الغيبي • على أن عناصر العمل السردي متوافرة في هذا الجانب القصصي من قصص سورة الأعراف • على أن الدارس البنائي يستطيع أن يدرس البنائية القصصية والفنية • والحوارية — ليعرف طبيعة الكلام لكل العمال • وليرصد وجوه الإيجاز والإطناب والمساواة • في كل كلمة من هذا الحوار • ثم ليعرف كيف استغلت الكلمة الحوارية • مع بنيتها الخاصة بها • مع وظيفتها المحددة فيها • مع مجموعة المبنيات فيها • وكيف تفعل الفن القصصي • والقصص القرآني • بأنظمة عناصره وأنظمة • في القصص القرآني عامة • وفي قصص الأعراف خاصة • والغيب • أيضا من تعليق أوله الله أول السورة • (فلنقصن عليهم بعلم • وما كنا غائبين) •

على أن أهم هذه الكلمة الحوارية — تتصل بأم السورة خاصة • وأم القصص السابقة خاصة • قبل " تحاور أصحاب النار • وأصحاب الجنة " هذا النص من أنباء الرسل أيام الله : (فمن اتقى • وأصلح • فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • والذين كذبوا بآياتنا • واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار • هم فيها خالدون) يتلو هذا النص مع عصبة أهل الجنة والترحيب بهم : (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) كما يتلو مع (لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون) •

وبين قصة أصحاب النار • وأصحاب الجنة • هذه — وبين القصتين السابقتين • قصة إبليس • وقصة آدم وحواء والشيطان • وبنائيها — أول المسألة • وأهم الوحدات في الفكرة • وفي البناء في التصميم • يدل على هذا ذلك التعيين الذي وقفنا في نهاية التعليق على قضايا تحاور أصحاب النار • وأصحاب الجنة • كما يشير إلى ذلك الربط المحكم • بين ذلك الاستفهام الذي صدرت به الآية السابعة والعشرون من سورة الأعراف • وبين تلك الخاتمة التي ختمت الحياة إلى الموت • كما ختمت الموت إلى الحياة

في لمحة خاطفة ، قد مر عنها بكلمة موجزة ، هي " حتى " وهذه الآية التي يعقب الحياة الدنيا ، بالآخرة ، هي : (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ؟ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا: أين ما كنتم تدعون من دون الله ؟! . قالوا: ضلوا عنا .. ! وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) . فلا أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أو كذب بآياته ؟! . ومن هنا استحقوا نصيبهم من الكتاب كما استحقوا نصيبهم من العذاب . وقد عرضنا هذا كله وهم على تراخي الموت وهم على أبواب النار ، ثم وهم داخل النار ثم وهم يحورون الأعراف . فاستحقاقهم نصيبهم من الكتاب بالقسمة في التقسيم وبالقسمة في التدوين والتقسيم . وقولهم على تراخي الموت : (ضلوا عنا) يطابق ما قال الله عنهم ، آخر القصة : (قد خسروا أنفسهم ، وضل عنهم ما كانوا يفترون) مما يصل ما بين قصة (حوار أصحاب النار ، وأصحاب الجنة " وملائكيا ، وكونيا ، وكونيا ، وتشريعيا ، وعقائديا - ويحقق كل الأهداف ، بين آيات هذه القصة في مراحلها الستة . واحتواء القصة على هذه الفصول الستة - يطابق مع خلق السموات والأرض في ستة أيام . كما يشير إليه تعقيب القرآن على قصة : " حوار أصحاب النار وأصحاب الجنة " من آية (٥٤) إلى آية (٥٧) . وهذا تفصيله :

- ٨ -

حصاد القصة السابقة

من آية (٥٤) الى آية (٥٧)

سورة الأعراف

(إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) وهذا مضمون عقدي ، وتوحيدي يتصل بمضمون القصص السابقة . فالرب هو الله .. والله هو الذي خلق السموات والأرض وهذا الخلق في ستة أيام . كما أن مراحل القصة ستة فصول كما أن مراحل يوم الوحيد في سورة ق ـ ستة مراحل .

وهذا الرب قد اشتكك إليه الأمم الأخرى : (ربنا هؤلاء أضلونا) . كما أن الله قد حمد أصحاب الجنة في الجنة : (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) وهو رب أصحاب الجنة ، الذي أرسل إليهم رسله : (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) . والدليل الذي على وجوده هو وجودهم أنفسهم . وخلق السموات والأرض : السماوات التي أهبط منها آدم ، وحواء ، كما أهبط منها إبليس أو الشيطان ، والأرض التي نكون الدنيا التي والتي جعل حياتهم فيها ، وموتهم ، كما جعل إخراجهم منها بعثهم . (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) والذي تعليمة التوحيد ، هذه (إن ربكم الله) واحدة واحدة ، يعقب بها الحكم

الجنة ، وأصحاب النار ولا يستطيعون لهما حولا ، ولا أولئك إ ، ثم إن السموات ، والأرض ، ومن فيهن ، هي صنع هذه الخليقة العالمة ، وبعد هذه العقيدة الراسخة عقيدة التوحيد في جنبات أخرى ، بصفة أنها ، وبنية على مقتضاها : (الله نور السموات والأرض ـ يغشى الليل النهار ، يطلبه حثيثا ، والشمس ، والقمر والنجوم مسخرات بأمره) ، فالله الذي خلق السموات والأرض ـ قد استوى على العرش استواء يليق به ، ويليق ، ويمكن ، وقد ملك الزمان ، كما ملك المكان ، فهو يدخل الليل النهار ، كما يدخل النهار الليل ، وكما يدخل الجنة أصحابها ، ثم هذا الكون الساكن بشمسه وقمره ، ونجومه ـ مسخر بأمر الله ، وليس له : (إلا له الخلق ، والأمر إ تبارك الله رب العالمين إ) .

لله الخلق كله : خلق الأرض ، وخلق الإنسان ، وخلق الملائكة ، وخلق الجن والجان ، وخلق السماء ، وخلق الليل والنهار ، يطلبه حثيثا ، وخلق ما في السماء من شمس وقمر ، ونجوم ، وسخر له الأمر على هذه المخلوقات جميعا تبارك الله رب العالمين .

وهذا اتساع في العقيدة الإلهية ، وإكمال لها ، وتتميم ، كونت قسمي السموات السابقة كما تفرع منها ، وصدر عنها .

ـ وإذا كان لله الخلق ، والأمر ـ فادعوا ربكم تضرعا وخفية ، ثم لا تفسدوا ـ لأنه لا يحب المفسدين وإذا بكلكم في الأرض ، فلا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين . وهذا ترق بدرجة الإسلام التي درجة الإيمان كما أنه ترق بدرجة الإيمان ، إلى درجة الإحسان ، ثم هذا الله لهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ـ حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت ، فأنزلنا به الماء ، فأخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى ، لعلكم تذكرون) . وهذا الدليل الحسي ، قريب واضح ، لموضوع البحث والبرهان الموثق . وهذه الآية السابعة والخمسون التي ختم بها التعقيب بعد ـ ذاتها ـ قصة قصيرة ، أو دليل بعينه . فالرياح تبعث بشرا بين يدي رحمة الله وهذا هو دورها الأول ، في تسلسلها الأول .

والرياح تحمل سحابا ثقالا .. وهذا هو دورها الثاني في تسلسلها الثاني والسحاب تسوق بأمر الله وإلى البلد الميت وهذا هو الفصل الثالث المتسلسل الفصل الثاني .. وأنزل به الماء وهذا هو الفصل الرابع الناتج من سوق السحاب الثقال .. وأخرج به من كل الثمرات . وهذا هو الفصل الخامس ، الذي هو خاتمة القصة كلها من الرياح التي ترسلها الله بشرا بين يدي رحمته . وقصة الرياح هذه ـ بأدوارها المتعاقبة ـ قصة إنتاج الثمرات بالماء النازل من السحاب التي تقلها الرياح ـ تعتبر قصة إحياء الموتى ، يعلمهم من جديد وهذه القصة التي

في بداية التنزيل ، والتحليل ، والتداول ـ يوصلها الله ، ويأتيها في كتاب تعلمه (على علم ، وعلى ، وحجة ، لقوم يؤمنون) .. (لعلكم تذكرون) أي (قليلا ما تذكرون) في رأي أمة الله الطيب ، الذي يخرج نباته بإذن ربه .. وأمة الله الخبيث ، كالذي لا تكاد ، وهذا تابع من أمة الريع ذلك ، وعرفه منها ثم هو حال المؤمن المتبع بالعظة ، والتوجيه ، والإرشاد .. ويقال للكافر المثل الذي لا يؤمن ويزجر ، ولا يتعظ ينصح ، ولا يستفيد من نصح ، أو توجيه ! .. وهذا التعدد في المعاني ، والتوصل في الأفكار والتعدد في معارض البيان ، من وادي تصريف الآيات لقوم يشكرون . أي (قليلا ما تشكرون) .

وتصريف القول إذن مراد .. وتصريف القول أهم نواحي الإعجاز القرآني . وتجلي تصريف القول القرآني ، وتنويع القصص القرآني ، في الموازنة التي تمت بها بين : قصة إبليس ، في سورة ص . وبين قصة إبليس في الأعراف . كما يتجلى تصريف القصص القرآني ، في الموازنة التي أوردها الآن ، بين : " تحاور أصحاب النار " في الأعراف . وبين " تخاصم ، أهل النار " في ص .

وقد ورد التحاور هنا ، كما ورد التخاصم هناك .

ولكي تتضح الموازنة بين القصتين ، المتشابهتين في سورتين ، متعاقبتين في النزول ـ يجدر بنا أن نكتب " تخاصم أهل النار " .. بطريقة تبين سمة القصة المرحلية ، أو الموازية ، أو المراحلية ، وهذه تتمثل في : ـ

قصة " تخاصم أهل النار " في سورة ص .

(هذا وإن للطاغين لشر مآب .. جهنم يصلونها ، فبئس المهاد ! هذا ، فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج ؟) .

وهذا هو الجانب التمهيدي ، الذي يبين مآل الطغاة ، ومآبهم . أنهم جهنم يصلونها ، ويستوطنونها فبئس المهاد مهادهم ! .. هذا حميم فليذوقوه ! .. وغساق يذوقون .. وآخر مخالف ، ومماثل ! .. وهذا الجانب يتلاقى من قريب ، أو بعيد جانب جزاء المجرمين ، في سورة الأعراف . لهؤلاء المجرمين يتمهدون الطاغين ـ (وأنهم من جهنم مهاد ، ومن فوقهم غواش) وهنا قد روى جانب التفاصيل ، والتفاوت بين المهاد الذي تمهدهم أو يمهد الغطاء الذي فوقهم ! . في سورة الأعراف وسادة مستوية لم توجد في جهنم ص : لكن جهنم ص فيه من جهنم الأعراف ، وأن فيها حميما يذوق منهم الطاغون ، وغساقا خليقا بحمل لهم الأذى والتشويه بما في الأعراف فيها الشواظ النار ، والنحاس المهلك ، مما يجعل أصحاب النار يتخاصمون أصحاب الجنة ، (أن أفيضوا علينا من الماء ، أو مما رزقكم الله) ـ ثم في جهنم ص ـ أزواج أخرى ، من العذاب لم توجد في نار الأعراف .

هذا من جانب الموازنة بين القصتين . ومن جانب الموازنة بين تحاور أصحاب

النار . في الأعراف . وبين عذاب أهل النار . في ص تكلم أولا بجانب العذاب في ص . كما كررها من قبل بجانب العذاب في الأعراف :

" يعني المكذبين بالنبيين الذين الثاني للذي الأول . في النار " .

المكذبون : (هذا فوج مقتحم معكم)

الذين الأول : (لا مرحبا بهم ! .. إنهم صالوا النار .. !) .

الذين الثاني : (بل أنتم لا مرحبا بكم .. ! .. أنتم قدمتموه لنا .. ! .. فبئس القرار .. !) .

الجميع : (ربنا : من قدم لنا هذا . فزده عذابا ضعفا في النار .. !) .

أهل النار : (ما لنا لا نرى رجالا . كنا نعدهم من الأشرار ؟ ! . اتخذناهم سخريا ؟ ! أم زاغت عنهم الأبصار ؟) ثم يأتي تعليق القرآن على هذا الحوار : (إن ذلك لحق . تخاصم أهل النار) .. فالخصام أهل النار . بالذين ج تخاصم أصحاب النار في النساء والأنعام . وفي الزمر والأشرار كما يتم ذلك بالتخاصم والحوار . تماما في سورة الأعراف : (قالت أخراهم لأولاهم : ربنا هؤلاء أضلونا . فآتهم عذابا ضعفا من النار !) . وفي سورة ص :

(قالوا : ربنا من قدم لنا هذا . فزده عذابا ضعفا في النار) . في سورة الأعراف قالت أخراهم لأولاهم ! وهذا الإضراب ليس موجودا في سورة ص . ثم في الأعراف (هؤلاء أضلونا . فآتهم عذابا ضعفا من النار !) .

وفي ص : (من قدم لنا هذا . فزده عذابا ضعفا في النار !) . فالجملة الأخيرة تقابل الأولى بالاضلال وهذا يتفق مع الدعاء الشيطان . في قصة الشيطان . كما يتفق مع (إنه يراكم هو وقبيله . من حيث لا ترونهم) . وهنا (آتهم عذابا ضعفا من النار) . وهناك في ص نجد الجمع يأتي بعضهم على بعض بالقصة . وهذا يعني الخصام .. ثم هم في جهنم . يتخاصمون أهل النار . كما يتخاصمون بالنسبة الحسية ! ما يجعل كلا يطلب لكل المزيد من العذاب الضعف في النار .. !

وفي الأعراف لجملة تصدم الجميع : (قال : لكل ضعف . ولكن لا تعلمون !) بينما هذه الجملة غير موجودة في سورة ص . إذ أن رتبة الأعراف تسبق . وتسبقها رتبة الحوار . والسؤال والجواب . والدعاء . وتعليق الدعاء . بينما رتبة ص هي البداية مركز الساحة . ومن ثم لم تقل الآية . ولم يسبقه كل تلك المقدمات كما في الأعراف . ومن ثم :

(قالت أولاهم لأخراهم : فما كان لكم علينا من فضل . فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) . على أن مضمون القول الثاني غير مذكور . وغير معروف لهم لم يسمعوه . بل لم يشر إليه ! وإنما لهم من السياق العلم في جهنم ص . وهذه طبيعة الخصام إلا رتبة النظام . ولا وقت لتوضيح إضافات صريحة أو تقديم قائل أو المخاطر لسان !

ومن ثم حذف ذكر الفوج الاول القائل : (لا مرحبا بهم) كما اكتفى بكلمة : (قالوا) ثلاث مرات في ثلاث مقولات . فالغموض في تخاصم أهل النار مقصود فهو اذن ـ وضوح لاغموض أو هو وضوح بالغموض المقصود . ومن ثم كان مطابقا لمقتضى الحال فهو ـ اذن ـ بهذا وذاك ـ بليغ بينما الوضوح في تحاور أصحاب النار مقصود ومراد وهو ـ في الاعراف ـ متحقق . فهو ـ لذلك ـ بليغ .

ثم يأتي جانب السؤال عن المؤمنين أو رؤيتهم في الجنة أو على أبوابها تبلغون التحية والسلام . ففي سورة ص ـ سؤال واستفسار من أهل النار يطرحه بعضهم على بعض : (وقالوا : مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار ؟ .. أتخذناهم سخريا ؟ (أم زاغت عنهم الابصار ؟) بينما هذا الجانب من هذا المعنى يأتي على لسان أصحاب الاعراف ـ حينما ينادون رجالا يعرفونهم بسيماهم فيقولون لهم : (ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون) .

ثم يشيرون الى من كانوا يعدونهم من الاشرار : (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ؟ ويسمعون منهم الى التحية الموجهة اليهم والى ترحيب الملائكة بهم : (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) .

فأصحاب الأعراف ـ هنا ـ يتفرسون هؤلاء ويتفرسون أولئك ويتولون السؤال عن هؤلاء كما يتولون الإجابة عن أولئك .

ـ والتحاور في الأعراف ـ مديد ـ بعيد فيه كنا عرفنا طرح السؤال ومعرفة الجواب بينما تخاصم لا يكتفي إلا بإثارة السؤال ويدع الخيال يعمل والذهن يشتغل ليتصور مايتصور وليقدر مايقدر وهو إجابة عن هذا هو مانأخذه من سورة الأعراف وهو : (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) وكذلك : (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) وأيضا : (كتاب أنزل اليك فلايكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين) وأيضا : (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون) .

على أن أفواج أهل النار كثيرون وأحوالهم متعددة فيمكن أن توصف حالة معينة لجماعة منهم في موقف خاص في سورة ما ، بينما توصف حالة خاصة لأمة منهم في وقت ما بصورة ما في سورة ما .

وقبل أن ننتقل إلى مجموعات الرسل الآتية : من سورة الاعراف .. نأتي بحصر المجموعات السابقة التي مر تفصيلها وعرضها مسرعا على طريق الذكرى لاعلى سبيل التحليل المستفيض . وهذه هي المجموعات التي سبقت مجموعات الرسل القادمة والتي شغلت ثمانية وخمسين آية :ـ

(١) فقرة " الكتاب المنزل "

من آية (١) إلى آية (٣)

٢) لمحة : " إهلاك القرى " وفلسفة الاهلاك
من آية (٤) الى آية (٨)

٣) حكاية : تمكين بنى آدم فى الأرض "
آية رقم (١٠)

٤) قصة : " هبوط إبليس "
من آية (١١) إلى آية (١٨)

٥) قصة " آدم وحواء والشيطان "
من آية (١٩) إلى آية (٢٥)

٦) حصاد القصتين السابقتين
من آية (٢٦) إلى آية (٣٦)

٦) قصة " تحاور أصحاب النار وأصحاب الجنة)
من آية (٣٧) الى آية (٥٣)

٨) حصاد القصة السابقة
من آية (٥٤) الى آية (٥٧)

أما حصر آيات القصص فى سورة الاعراف أو حصر القصص فى الايات فيتجلى فى :

٩) مجموعة " قصص المرسلين " من آية (٥٩) الى آية (٩٣)

وهى تشمل قصص :

١) إرسال " نوح " من آية (٥٩) إلى آية (٦٤)
٢) إرسال " هود " من آية (٦٥) إلى آية (٧٢)
٣) إرسال " صالح " من آية (٧٣) إلى آية (٧٩)
٤) إرسال "لوط " من آية (٨٠) إلى آية (٨٤)
٥) إرسال " شعيب " من آية (٨٥) إلى آية (٩٣)

١٠) فلسفة القصص السابقة " من آية (٩٤) إلى آية (١٠٢)

١١) رواية (فبعث موسى إلى فرعون وملئه " من آية (١٠٣) إلى آية (١٢٤)
— أى من قوله تعالى : (ثم بعثنا من بعد هم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين " — إلى قوله سبحانه : (وكذلك نفصل الآيات لعلهم يرجعون) .

١٢) " مثل الذى انسلخ من آيات الله " من آية (١٧٥) إلى آية (١٧٨)

١٣) وصف أهل جهنم آية (١٧٩)

١٤) التحذير من الملحدين (آية ١٨٠)

١٥) مهمة الهداة (١٨١)

١٦) الدعوة إلى التفكر والنظر في ملكوت السموات والأرض ـ من آية (١٨٢) إلى (١٨٦)

١٧) حكاية " يسألونك " من آية (١٨٧) إلى (١٨٨)

١٨) قصة " الزواج " وما يتبعه من آيتين (١٨٩ ، ١٩٠)

١٩) فقرة الشركاء والأوثان من آية (١٩١) إلى آية (١٩٨)

٢٠) آداب قرآنية من آية (١٩٩) إلى آية (٢٠٦) آخر السورة .

الدكتور محمد محمد

— ٩ —

مجموعة قصص المرسلين

مجموعة " قصص المرسلين " فى سورة الأعراف هذه المجموعة التى تقع مابين آية (٥٩) إلى آية (٩٣) كما أشرت من قبل — هى من القصص الحوارى المسرحى أى الذى يمكن تحويله — بحذف كلمة (قال) إلى عمل مسرحى قوى هذا فى غير القرآن .

إذ أن الحوار هو عصب هذا النوع القصصى مع التجوز بتسمية المسرحية قصة تمثيلية — أو بتسمية القصة الحوارية — مسرحية . وقد رأينا معا كيف صارت قصة إبليس وقصة آدم وحواء والشيطان — عملا مسرحيا كاملا . مع تأكيد الحفاظ على النص القرآنى بحرفيته بحيث لاتحذف منه لفظة أو حرف أو تقدم كلمة أو تؤخر أخرى وهذه بداهة نخرج منها ضرورة لامحيد عنها .

والقصة الأولى من هذه المجموعة : مجموعة قصص المرسلين هى مؤلفة من : قصة " نوح " عليه السلام وتقع ما بين آية (٥٩) الى آية (٦٤) كما سبق أن ذكرت ضمنا قليل .

على أن الحوار كما يأتى بالحوار بين الرسول وبين الملأ من قومه كما فى قصص نوح وهود وصالح وشعيب أو بينه وبين قومه كما فى قصة لوط وهذا الحوار يدور حول ارساء عقيدة التوحيد (ياقوم .. اعبدوا الله مالكم من إله غيره) قالها كل من نوح وهود وصالح وشعيب لاقوامهم فاستخفوا بهم وسخروا منهم . ويكذبونهم فينجى الله رسله ويهلك أقوامهم المكذبين الكافرين بالإغراق وبقطع دابرهم وبالرجفة وبالإمطار وبالرجفة كذلك .

ثم تنتهى قصة كل قوم من هؤلاء الأقوام بوصف السمة التى تسمهم أو بوسم الصفة التى بها يتصفون : فقوم نوح (كانوا قوما عمين) وعاد (ماكانوا مؤمنين) وثمود — (لايحبون الناصحين) ولوط (عاقبتهم عاقبة المجرمين) وشعيب (كانوا من القوم الكافرين) .

على أن قضايا الدعوة الاسلامية مبثوثة فى هذه القصص وخاصة جوهر العقيدة وعجب الكفار من مجىء ذكر من ربهم على رجل منهم لينذرهم وليتقوا وليرحموا كما فى قصة نوح وقصة هود وكما نرى عقيدة التوحيد فى هاتين القصتين قصة صالح وقصة شعيب ولكل رسول سمته العام وسمته الخاص ولكل قوم رسول يعمل على تقويم خلقهم المرذول — وتهذيب سلوكهم المعوج . ثم كل قصة من القصص الثلاثة الأولى متسلسلة فى البناء المنطقى مما يجعل من هذه المجموعة وحدة قصصية رائعة تحقق هدف السورة العام هذا الهدف هو الذى ظهر أول السورة : (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أوهم قائلون) . كما يظهر عقب هذه القصص الخمسة فى حصاد القصص المتمثل فى التعقيب الذى يبتدىء بهذه الآية : (وما أرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون) .

وهذا التسلسل القصصى يتمثل فى قول هود لقومه : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة) كما يتمثل فى قول صالح لقومه : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا) .

وهنا ملحظ دقيق . فعاد زادهم الله فى الخلق بسطة . وثمود بوأهم فى الأرض . يتخذون من سهولها قصورا وينحتون الجبال بيوتا . مما يجعل لكل قوم سماتهم وشخصياتهم وبياناتهم الخاصة بهم المميزة لهم وكذلك مدين — انهم ذوو كيل وميزان وقد كانوا قليلا فكثرهم الله .. وهكذا ..

ثم بعد هذا الحوار الذى يدور بين الرسول وقومه أو الملأ من قومه .. يأتى تصوير المصير الذى صار اليه هؤلاء الاقوام عن طريق الرد المنتهى بابراز الكلمة التاريخية التى تقال فى كل قوم بعد اهلاكهم — كما رأينا من قبل فالسرد فى أية الانتقام هو الطابع العام الذى يطبع كل ختام .

فقوم نوح : (فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين) .

وفى هود وعاد : (فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) .

وفى ثمود وصالح : (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين) (فتولى عنهم وقال : ياقوم .. لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين) .

وفى لوط : (وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) .

ثم فى مدين وشعيب : (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين . فتولى عنهم وقال : ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ؟) .

— وبين الحوار والرد الذى يتم به الختام تبدو بيئة كل قصة كما تبدو مفاسدهم ونقائصهم الاجتماعية والدينية والصناعية والخلقية . ففلك نوح ، دليل على بيئة مائية أو ساحلية .

وتمسك عاد بالقديم والرميم ولو كان وثنية دليل على تقليد أعمى وعصبية جاهلية وبيئة وثنية . ثم تبوء ثمود فى الأرض يتخذون من سهولها قصورا وينحتون من الجبال بيوتا وقد فترتهم آلاء الله ونعمه — يدل على بيئة صناعية وهندسية . وافسادهم فى الأرض — دليل على ترفهم الصارخ ثم ظهور الناقة فيهم تأكل فى أرض الله — دليل على بيئة زراعية وبيئة رعوية .

وشيوع الفاحشة فى قوم لوط واتيانهم الرجال شهوة من دون النساء — دليل على تفنن فى الشر وأمارة على انحلال خلقى ومحو للرجولية والمذكورة التى يكون الرجال بها رجالا مما أنسى لوطا — فى القصة — عقيدة التوحيد التى رددها كل الرسل وأكدها كل القصص .

فكأنه أراد بهذا أن يعالج — أولا — خلقهم الناقص وطباعهم الخلقية وما أوى عيوبهم وأدوا جراحهم حتى يمهد إليهم رجولتهم وشخصياتهم ليضمن نجاح دعوته وانتصار فكرته ودينه .

ولهذه الفاحشة التي لم يسبقهم بها من أحد من العالمين : خالف القرآن نهجه في مدخل القصة . فلم يقل (وإلى قوم لوط لوطا " كما قال : (وإلى عاد أخاهم هودا) كما قال : (وإلى ثمود أخاهم صالحا) وكما يقول : (وإلى مدين أخاهم شعيبا) .

فهذه آفة خلقية وعاهة " جنسية " جعلت السماء تمطرهم مطرا غريبا تمطرهم أحجارا ترجمهم بها وتجعلهم قوما مجرمين .

ثم طلب شعيب من مدين أن يوفوا الكيل والميزان وألا يبخسوا الناس أشياءهم ، ولا يفسدوا في الارض بعد اصلاحها .. ولا يقعدوا بكل صراط يوعدون ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا دليل على بيئتهم التجارية والاقتصادية وأربهم الدنيوية والمادية ورذائلهم المالية ثم نزعاتهم الرجعية وسلطتهم التهديدية . كل هذا طبع كل قصة من قصص هؤلاء — الأقوام وأولئك الرسل عليهم السلام . بطابع خاص معين له بيئته الملائمة لقصته وله ظروفه المحيطة بكفره . ثم له غطته المتفقة مع آفته وإن اتسم الكل بسمة عامة هي الدعوة الى جوهر العقيدة — وهي التوحيد . وهذه العقيدة هي عين عقيدة الاسلام ، التي كان من أجلها القرآن وجاء بها الرسل والتي جاهدوا في سبيلها ، وأصابهم ما أصابهم بسببها .

ثم هذه التلقينات والتوجيهات والمبادىء الخلقية الرفيعة — يوجب بها الخلق الاسلامي والتعامل الاسلامي بل يدعو اليها ويحث عليها مما يخدم الفكرة الاسلامية ويرسي دعائمها ويعزز أخلاقها .

واذن فمضمون هذه القصص مضمون يتفق وجوهر الاسلام واذن فهذا القصص — بهذا المضمون — قصص ديني وقصص تاريخي واقعي فهو من القصص التاريخي الواقعي أو من القصص الواقعي التاريخي . ثم هو قصص حي وقوي وباق وخالد لا يبلى أثره ولا يضيع مغزاه .

واذن فهذه خمس قصص في مجموعة واحدة توظف بينها فكرة دينية واحدة تتمثل في : عقيدة التوحيد وهدم الوثنية والأمر ان بإرسال الرسل واحترام أوامرهم وذكر آلاء الله بشكره عليها والتخلي عن النقائص والتحلي بالكمالات .. ثم بمراعاة آداب البيع والشراء في إيفاء الكيل والميزان وفي ترك الإفساد وترك الصد عن سبيل الله ثم ابتغاء النهج السوي السليم .

وهذه الفكرة الواحدة الباقية الخالدة جعلت من هذه ٦ القصص مجموعة واحدة وإن — كانت قصصها متعددة . كما جعلتها قصصا حيويا نظيفا هادفا يرتل في المحاريب ويردد في المساجد والصلوات ويتقرب به إلى الله . ثم بين هذه القصص الخمسة " قصة جنسية " خلقية سلوكية هي قصة لوط مع قومه أو قصة قوم لوط معه . فقد تناولها القصص القرآني بأسلوب مباشر يكاد جرىء صريح لا هوادة فيه ولا مجاملة معه . ثم بطريقة تقريرية تأثيرية تطهيرية وبطريقة — بعد ذلك — اخبارية مما جعل قومه لا يستطيعون مواجهة لوط ولا مجابهته

بل لا يزيد ون على أن قالوا : (أخرجوهم من قريتكم إنهم اناس يتطهرون) .

وهذه المجموعة القصصية : مجموعة قصص المرسلين من القصص التاريخي الواقعي المثالي الديني ومن القصص العقيدي التوحيدي والبيئي والخلقي والوعظي كذلك .

ثم هو قصص قصير في شكله وحجمه طويل في زمنه وضمونه وفكره سرحي في حواره وصراعه وبنائه توجيهي في عقدته ومغزاه فلسفي في حصاره وتعقيبه .

الدكتور محمد محمد حماد

سورة ق

ملخصة الوجيز

الدكتور محمد محمود غلاب

سورة ق

" قصة الوجيز "

وهي ـ كذلك ـ مكونة من مجموعات :

(١)

مجموعة الفكرة الاساسية

من آية رقم (١) ـ إلى آية رقم (٥)

في هذه الآيات تعرض المشكلة الاساسية والعقبة الكبرى التي صادفت الدعوة الاسلامية وتتجلى في عجبهم من مجيء منذر منهم وفي عجبهم واستبعادهم ليعثهم بعد أن يموتوا ويصيروا ترابا . يمهد هذا قسم في الآية الاولى تتلوها آيتان تحملان هذا العجب وذلك الاستبعاد : (ق . والقرآن المجيد) ـ وهذا هو القسم الذي هو عجيب ، يشبه عجيبهم وتعليقهم ، وهو ق ـ وقاف حرف كسائر حروف الهجاء ـ في أوائل السور أو ق : جبل من زبرجد أخضر محيط بالأرض (١) ثم يتلو هذا القسم الغريب العجيب ، قسم آخر مجيد ، بالقرآن المجيد . فالقرآن يقسم على شيء مجهول ، يقدره السامع أو القارئ وفق فهمه ، وحسب وجهة وهذا الشيء المجهول ـ تدل عليه كلمة (بل) التي صدرت بها الآية الثانية . وهذه الآيتان الثانية وما بعدها ـ تتكفلان بتقديم المشكلة الرئيسية ، والآية الاساسية للسورة كلها وهما على هذا القرار : (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ، فقال الكافرون : هذا شيء عجيب) .

وهذه هي العقبة الأولى . (أإذا كنا ترابا ، ذلك رجع بعيد ؟) وهذه هي العقبة الثانية من عقبات العودة والسياق ـ هنا ـ سريع ولماح يشير بأداة الشرط إذا ويحذف الشرط عنا وكنا ويحذف الجواب وهو نرجع أو نبعث مكتفيا بالتعليق وهو : (ذلك رجع بعيد) . وذلك اسم الاشارة ـ كذلك ـ محذوف . كما أن جواب ـ الاستفهام ـ في الآية ـ محذوف أيضا (كما أن جواب القسم في الآية الاولى ـ محذوف مثلها ثم مثيل (بل) فهو ـ موجود حتى يعطف عليه عجبوا .. (فاذن هنا جو غامض غائم وان كان مفهوما من السياق والسياق) .

ولعل هذا الغموض يعكس واقع أولئك الكافرين المتعجبين المتكبرين المكذبين الى كفرهم وعجبهم وتكبرهم وتكذيبهم . ولعل الآية الخاتمة تكشف هذا الغموض) .

أما الآية الرابعة فتشير الى انفراج الأزمة وحل المشكلة وهي علم الله ما تنقص الأرض منهم من جثثهم ـ (وعندنا كتاب حفيظ) لا يضيع فيه شيء (.

فبواسطة هذا الكتاب ، وذلك العلم ، يسهل إعادة الحياة لهم من جديد وهذه هي الآية : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) (وعندنا كتاب حفيظ) .

---

(١) غريب القرآن ـ للسيوطي .

والآية الخامسة من هذه المجموعة التمهيدية تبين أنهم (كذبوا بالحق لما جاءهم) دون تريث أو تفكر ودون عقل أو منطق ـ وهذه هي الآية : (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) فهم ـ من أجل تكذيبهم ـ في أمر مريج مختلط لا يميزون خطأ من صواب ولا يفرقون بين حق وباطل .

وهذه المجموعة تمهيدية للسورة كلها فتقدم المشكلة الاساسية وتبين دوافعها ، وتربط مابين جزئياتها بأسلوب معين ، مثل كلمة (بل) هنا التي ذكرت مرتين ، وفي أول الآية الثانية (بل عجبوا) وفي اول الآية الخامسة : (بل كذبوا) .

واذن فهذا التكذيب للبعث ولبعثة الرسل هو أزمة الازمات وعقبة العقبات في سير دعوة الاسلام وفي طريق رسولها عليه السلام .

وهي في سورة ق ـ هذه ـ عقدة تمهيدية تعرض المشكلة الرئيسية وتومئ الى علاجها بعد أن تكشف عن أسرارها ودوافعها . كل هذا يصح اذا نظرنا في القرآن من الوجهة القصصية خاصة ومن الوجهة النظمية عامة . ولسنا ـ بهذا ـ بصدد القرآن كله قصصا . كلا انما أريد بهذا العرض العام حصر القصص التي في القرآن (١) ـ واحصاء مايمت اليها من بعيد أو قريب ثم أختار من هذا وذاك بعض القصص المنشودة للدراسة والتحليل والتطبيق .

(٢)

" مجموعة الحياة والاحياء "

من آية (٦) الى آية رقم (١١)

وفي هذه المجموعة الدعوة الى النظر في كتاب الطبيعة والكون فهو الكتاب الحق ، السهل الذي يقرأه من يعرف القراءة ومن لا يعرف (حتى يروا السماء فوقهم كيف بنيناها الله وزيناها دون فتوق وشقوق . يروا الأرض كيف مدها الله وألقى فيها رواسي وأنبت فيها من كل زوج بهيج وذلك للبصيرة والذكرى لكل عبد منيب) ثم يروا كيف نزل الله من السماء ماء مباركا فأنبت به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيا به بلدة ميتا كذلك الخروج وبهذا فالكل ثم تبسيط عملية البعث واعادة الحياة للموتى من جديد . فهذه ظل من الكون الكبير من سمائه الجميلة وأرضه الفسيحة وجباله الرواسي وبناته المتكامل وبالماء المبارك وجناته الزاهرات وحبه الحصيد ، ونخله الباسقات وطلعه النضيد كل ذلك للبصيرة والتذكرة ولرزق العباد واحياء البلاد . وهذه عملية خلق للاكوان تشبهها عملية خلق الانسان .

(أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ؟ (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) .

---

(١) انظر الى كتابي : المدخل الى القصص القرآني .

وهذه المجموعة أتم ومأوى من مجموعة المرسلات كما أنها تتخللها التعليلات ، مثل : التبصرة ، والذكرى ، لكل عبد منيب ، ومثل : الرزق للعباد ، وأحيا به بلدة ميتا ، كما يعقبها الوصل بالتشبيه والتمثيل " كذلك الخروج " ، وهذه الجملة : (كذلك الخروج) أخذت من مجموعة " خلق الانسان " في المرسلات وربطت مابين خلق الاكوان ، وخلق الانسان بأوجز لفظ ، وأحكم بيان .

والجانب الموسيقي - في هذه السورة - واضح وان أخذ في هذه الآيات من المجموعة نفسا طويلا ، أو اتخذ في هذه المجموعة آيات طوالا ذيولها ، وحافظ على الاسجاع الى حد بعيد وقارب بينها بصورة واضحة ، وكذلك فعل في المجموعة الاولى ، ففي هذه المجموعة الاولى نجد الوزن الأخير للكلمة التي تختم الفاصلة على وزن فعيل مثل : ("بعيد" و"عجيب" و"بعيد" و"حفيظ" و"مريج") ، وقبل الحرف الاخير للياء الممدودة كما نرى وسجع وان اختلف هذا الحرف الاخير فهذا لا يضير (.

وفي المجموعة الثانية - نجدها تبتدئ بكلمة على وزن " فعول " وتختتم بكلمة على هذا الوزن ، ثم تتخلل هذه المجموعة أربع كلمات منتهية بها أربع فقرات أو فواصل أو آيات على وزن " فعيل " - كما نرى وسجع في المجموعة الثانية ، مما يجعل من هذه وتلك تضمن مستقلتين الا أن الاولى تقريرية أو تصويرية والثانية تأملية تصويرية .

ومما يجعل الجانب الموسيقي محققا يوضح على أن كلمة (نزوج) التي بدئت بها المجموعة الثانية وكلمة (خروج) التي ختمت بها هذه المجموعة - بينهما من التناسب الصوتي والمد بمعنى مما يقوي موسيقيتهما وما يوقف مابينهما ويصل المد " بالختام .

اذ (نزوج) - كما عرفنا - على وزن (خروج) ومن نزوج ، وخروج - حسنان ، بديعان ، وهما السجع والجناس .

وقد اطلقت على جزئيات هذه السورة (ق) والسورة التي قبلها (المرسلات) اسم " المجموعات " لأني عددت السورة كلها بمثابة الرواية الكاملة أو القصة الطويلة ذات الفصول والمناظر وكل جزئية من هذه السورة أو مجموعة من تلك تمثل من رواية أو منظر من قصة ، وان صلحت كل جزئية أن تكون قصة مستقلة بذاتها .

(٣)

لمحات البكذبين في الزمان القديم

(كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الأيكة ، وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق الأول ؟ ! بل هم في لبس من خلق جديد)

---

(١) انظر الى كتابي : المدخل الى القصص القرآني .
أدب الدراسات في القصص القرآني

الآيات من (١٢) ـ الى آية (١٥)

وهذه اللمحات القصصية من التاريخ القديم تقع في ثلاث آيات :

في الآيتين الأولتين منها تكذيب من كذبوا بالرسل ، وهو شائعة أقوام ، جمعتهم جريمة التكذيب كما جمعهم وعيد الله لهم بالتعذيب (.

وفي الآية الثالثة اثارة لشبهاتهم حول قدرة الله على الخلق الاول الذي يتبعه الخلق الثاني ، أو البعث . (أفعيينا بالخلق الاول ؟) . والفاء التي أعقبت همزة الاستفهام توحي بمحطوف عليه محذوف ليسرح الخيال كما يشاء ويسبح وليفكر الذهن كما يريد ويقدر بل هم في لبس من خلق جديد وهذا اللبس هو الأمر المريج وهذا الخلق الجديد هو المعبر عنه بالرجع البعيد .

وفي الآيتين السابقتين ـ وحدات : لغوية وصوتية وموسيقية تتضح في بدء هذه المجموعات بقوم نوح وختامها بقوم تبع ثم توسطها بأصحاب الرس الذين أتعبوا الأولين وبأصحاب الأيكة الذين اتصلوا بالآخرين . ثم بإخوان لوط الذين اتفقوا في الصوت الموسيقي بشيء (وفي هود ، وأولئك عاد وفرعون (.

وكل تعبير لفتة من هذه الفقات يثير قصة طويلة سبق لها ذكر في القرآن أو في الاذهان او في الوجدان أو سيأتي لها تفصيل بعد زمن قليل أو زمن طويل .

واذا حللنا هذه اللمحات التاريخية بظروفها المتقدمة لها وبأحداثها الصاحبة لها وبمراميها المقترنة عليها ملأنا كتابا كبيرا يقع في مئات الصفحات . ولعل جانب الترتيب التاريخي قد أسهم في ترتيب هذه اللمحات على هيئتها هذه وبنظامها ذاك والجانب الموسيقي هنا ذو نظام خاص فالآيتان الاوليان تعتمد ان على التقارب الصوتي الذي أسبغته الواو الواقعة وسط شعور والواقعة وسط لوط مع تقارب الدال والطاء في أخرها على الأذن .

أما الآيتان الأخريان ، فهما متماثلان في الحرف الاخير وفي ماقبل الحرف الاخير ، يتجلى هذا في وعيد ، وجديد ، والاكتفاء بالحركة عن الياء في الكلمة الاولى مراعى فيه جانب الذوق الموسيقي والصوتي وهما عنصران في البلاغة الادبية وفي الادب البليغ .

ثم هذه اللمحات تتصل بالمجموعة الاولى : مجموعة الفكرة الأساسية أو المجموعة العقيدية ـ اتصال معنى ، واتصال مبنى واتصال هدف . فمعنى التكذيب موجود في المجموعتين فهي الاولى (بل كذبوا) وفي الثانية (كذبت) .

ومعنى اللبس والخلط موجود فيهما معا ـ كما أشرت (فهم في أمر مريج) توضحها : (بل هم في لبس من خلق جديد) .

وعادة التكذيب ـ كما رأينا ـ في أفعال ماضية دلت على تحقق الوقوع والحدوث والوجود (كذبوا (كذبت) (كل كذب) .

والافعال كلها صالح فيها اثارة الكثرة والوفرة وبلاغة التعديد والوعيد . ثم جملة (هم في أمر مريج) ـ تتناول أولئك ، (هم في لبس من خلق جديد) .

ثم لفظة (بل) موجودة في (بل كذبوا) في المجموعة الأولى • وموجودة في (بـــل هم في لبس) في المجموعة الثانية • وهذا هو اتصال المبنى والتصوير •

أما اتصال المدى والهدف ليفتظم الفكرة والمضمون : الفكرة التي تدركها من خـــلال المجموعتين والمضمون الذي يثيره الاستفهام فيهما : ففي الاولى : (اذا متنا وكنا ترابا؟) نرجع أو نعود (وفي الثانية : (أفعيينا بالخلق الأول ؟)) حتى نعيا من الخلق الجديد ؟ ومن ثم اعتمدت هذه الاثارة الذهنية والخيالية على الاستفهام وعلى حذف الجواب في الاولى وحذف المعطوف عليه والمترتب عليه في الثانية •

وقد وصلت هذه اللمحات والمجموعتان الثانية بالمجموعة الاولى لأن هذه ـ كما قلنـــا ـ تمثل الفكرة الأساسية للسورة كلها • ولعلنا ما زلنا نذكر كيف أسهمت (كذلك الخروج) في وصل الجملتين : الثانية والاولى ـ وصل تمثيل وتفصيل وتحليل وتعليل بما يفهم من الكاف ـ ومن اسم الموصول ومن أل في الخروج كل هذه الامور شاركت مشاركة لفظية ومعنوية بين المجموعتين

(٤)

" قصة خلـــق الانســـان "

" وموتـه وحسابـــه "

أو

" قصـــة مسئوليـة الكلمـــة "

من آية (١٦) ـ الى آية (٣٠)

(ولقد خلقنا الانسان • ونعلم ما توسوس به نفسه • ونحن أقرب اليه من حبل الوريـــد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد • ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) •

وهذه قصة خلق الله الانسان • وعلم الله بنواياه وهواجسه وخفاياه ووساوسه ثم هي قصة مسئولية الكلمة أو مسئولية الانسان عن الكلمة (من آية (١٦) ـ (١٨)) •

" قصـة موت الانسان وبعثـــه
ومحاكمتـه وجزائـــه "

(وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد • ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيـــد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصـــرك اليوم حديد) •

وهذه قصص الموت والبعث وسوق الانسان للمحاكمة وصحوة الانسان من غفلته ورؤيتـــه وجه الحقيقة •

من آية (١٩) ـ الى آية (٢٢) •

٦

* قصة المحاكمة والحساب *

(وقال قرينه : هذا ما لدى عتيد ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله الها آخر . فألقياه في العذاب الشديد .

قال قرينه : ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد .

قال : لاتختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم : هلا امتلأت ؟ وتقول : هل من مزيد ؟) .

من آية (٢٣) ـ الى آية (٣٠)

وهي ـ كما نحس ونسمع ـ تعتمد على عنصر الحوار فالمركز الشمع الموحي كما تعتمد على الحركة الذهنية والحركة النفسية وعلى الاختصار الشديد . فهذه قصة داخل قصة تصور محاكمة الانسان المكذب المعذب وهو يساق الى جهنم ذلك الانسان الذي لايحترم الكلمة يلقي بها على عواهنها .. (ـ وهذا الصنف من الناس يمتثل في : كل كفار عنيد ، مناع للخير معتد مريب يجعل مع الله الها آخر ..)

وهي قصة حوارية لاعتمادها على عنصر الحوار أولا ثم هي قصة موحية لاعتمادها على عنصر الحوار أولا ثم هي قصة موسيقية لاعتمادها على السياق الصوتي والسياق الموسيقي كما يتضح ويرى وكما يحس ويسمع .

والحوار ـ هنا ـ على لسان القرين المتمثل في : سائق وشهيد . وعلى لسان الله عز وجل ـ الآمر لهما بالتعذيب وعلى لسان أو حال جهنم . ثم هنا حوار ظاهر سمعناه وقرأناه فيما نقلناه من القرآن . وحوار خفي لم نسمعه ولم نقرأه وان تهيأنا أيضا ـ من بعض التعابير في القرآن . مثل كلمة (ربنا ما أطغيته) الدالة على لوم الانسان هذا القرين .

ومثل كلمة (لاتختصموا لدي) الدالة على اختصام الانسان وقرنائه أمام الله سبحانه وهو ماتهيأنا بالحوار المركز الشمع الموحي الموجز . والحوار ـ هنا ـ يصل هذه القصة بالقصص السابقة نرى في هود الكفار ملامح أشخاص عرفناهم ورأيناهم من قبل . وفي لسان مثل (كل كفار) المعهد لهم هنا في أول السورة بكلمة (فقال الكافرون) والذي رأيناهم في قصص أخرى في سور أخرى من قبل . ومثل " عتيد " الذي يذكرنا بشخصية " الوليد " (انه كان لآياتنا عنيدا) ـ كما شاهدناه في سورة المدثر ومثل (مناع للخير معتد) الذين رأيناهم في نماذج الشر في سورة القلم . ومثل " مريب " الذي سمعنا صوته في القلم وهو يقول من القرآن : انه اساطير الاولين وسمعنا تشكيكه ـ في المدثر ـ وهو يقول عنه : (إن هذا الا سحر يؤثر) إن هذا إلا قول البشر) .

ثم (الذي جعل مع الله إلها آخر) يذكرنا بالمشركين والكافرين من عبدة " اللات "

و" العزى" و" منأة " الثالثة الاخرى ومن عبدة الكواكب السماوية كالشعرى ـ كما رأيناهم في سورة النجم .

ثم كثر حوارهم رغم تسجيل القرآن له يدل على انقطاع حجتهم وبطلان مجالبهم وشبهاتهم وخرس السنتهم وأنهم لا يتبعون الا بالبهيمة والصفة دون ابانة أو افصاح . وهنا يذكرنا بآية المرسلات : (هذا يوم لا ينطقون) ثم نهى الله لهم ولقرنائهم عن الاختصام في مثل هذا المقام ـ يذكرنا بآية المرسلات التالية لهذه الآية : (ولا يؤذن لهم فيعتذرون)

فهذه القصة الحوارية الجدلية الموسيقية ـ لها من التأثير البليغ على اختلاف أنواعه وظاهره ما يخلع قلوب الكافرين المعاندين ويطرب آذان المؤمنين المصدقين .

والموسيقى ـ هنا ـ تتجلى في اتحاد الدلالات التي تنتظم قصة المحاكمة والحساب بظلاله ـ مثل : عتيد ـ شهيد ـ وثل : شديد ـ بعيد وعيد ـ مزيد .

ثم يراعي جانب المعنى والسخرية في ايثار كلمة (مريب) التي خالفت السياق العام الذي هو على وزان " فعيل " خالفت هذا السياق في الشكل وفي الحرف الأخير ايذانا بشذوذ هؤلاء الشاكين المشككين وعنادهم العتيد وخروجهم عن النظام العام وعلى العقل الرشيد . فهؤلاء الشذاذ أفسدوا النسق الموسيقي بهذا النشاز ـ كما أفسدوا الخلق السوي بحالهم من شذوذ !

وهذه بلاغة باهرة ليس وراءها من كلام غير هذا الكلام في مقام مثل هذا المقام .

وقصة المحاكمة هذه تستقل اذا أفردناها ، فتجعل من القصص المسرحية التي يمكن أن تعد للمسرح اذ الحوار أهم مقوماتها وهو الذي يبعثها ويحييها ويبرز معانيها ويكشف عن أسرارها ، ويراسيها .

ومسرحها معد وبانيها مهيأة . فالزمان يوم القيامة ـ بعد نفخ الصور وبعث مجموع كل نفس ومعها سائق وشهيد والستار يرتفع عند هذه اللحظة وعلى هؤلاء القادمون .

والمكان ساحة العرض وأرض الحساب وجهنم تسمع وتعقل وتسأل فتجيب ثم الى جانب جهنم ـ تقع الجنة في مكان قريب . وقصة الجنة الآتية متممة لما يجري في يوم الوعيد اذ أن هذا اليوم هو المراد وهو المقصود بما فيه ومعانيه وبأهداف ومراميه فحق وعيد عبده له ـ ونفخ في الصور ـ ذلك يوم الوعيد ـ محضر " اياه (لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد) تنفيذ له وتطبيق وتحقيق له واشارة الى ذلك التقديم البعيد . كل أولئك يجعل هذه المجموعات القصصية قصة الخلق أو قصة الموت وقصة البعث فالمحاكمة فتنفيذ الوعيد ـ تتصل بمجموعة اللمحات التاريخية كما تشير كلمة (حق وعيد) مما يربط بين المجموعات كلها برباط قوي أكيد .

ثم يجانب تلك الفواصل المتسقة في مجموعات الخلق ، والموت ، والبعث ، والمحاكمة ، والتعذيب - التي تتحد فيها نهايات الفواصل كلها مثل : (وريد - قعيد - عتيد - تحيد - وعيد - شهيد - حديد - ثم - مثل : عتيد - عتيد - ثم - مثل : شديد - بعيد - وعيد - عتيد - مزيد) ثم وضع كلمة (مريب) بين جزئيات المحاكمة كل أولئك أسهم في التوقيع الموسيقي بصورة ظاهرة ومباشرة . يضاف اليه شيوع كلمات معينة وحروف خاصة في هذه المجموعات مثل (ولقد) آية (١٦) و(لقد) آية (٢٢) ومثل مادة " القول " في (مايلفظ من قول) و(قال قرينه) و(قال : لاتختصموا لدى) (ما يبدل القول لدى) (يوم نقول لجهنم) (وتقول) أي جهنم . ثم هناك (قال) مقدرة قبل أمر الله القرناء (ألقياه) كل هذا يجعل القول هو العنصر السائد في القصة وهذا القول بما وراءه هو مادة الحوار الأولى وهذا الحوار الاول هو عصب المسرحيات الاكبر مما جعلني أعدها من القصص المسرحية بالقوة أو بالفعل .

ثم تأتي كلمة أخرى تشيع في جنبات هذه المجموعات مثل (لدى) فقد وردت هنا ثلاث مرات :

(الا لديه رقيب عتيد) (هذا مالدى عتيد) (لاتختصموا لدى) (ما يبدل القول لدى) ثم (ولدينا مزيد) ..

والى جانب هذه الكلمات السائدة والشائعة حروف خاصة تشيع في المجموعات وتذيع مثل : القاف فقد وردت ثلاثا وعشرين مرة في مجموعة الخلق والموت والبعث والحساب والعذاب . ومثل حرفي الهاء والدال المقترنين آخر الفواصل فقد تلازما اربع عشرة مرة ولم يفترقا الا مرة واحدة وهي مرة الريب والارتياب .

ثم السين - والشين - والصاد - والضاد والظاء وان وردت بندرة ، فقد دلت على قدرة : قدرة تصوير وتصوير ، وقدرة تشخيص وتجسيم وقدرة تصميم وتضخيم .

(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) (وجاءت سكرة الموت) (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) ثم (عن اليمين ، وعن الشمال قعيد) (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) (في العذاب الشديد) (في ضلال بعيد) (لاتختصموا (وما أنا بظلام للعبيد) .

مما أسهم في تحقيق الوحدات الصوتية والموسيقية والاسلوبية واللغوية والنفسية والشعورية بعد تحقق الوحدات الفكرية والهدفية والجمالية وربما يخيل "عن العظمة القرآنية والقدرة الربانية التي تدل على شخصية الاسلوب والاسلوب الشخصية تلك الاساليب التي قرأناها ورأيناها . هي هذه الاساليب الصادرة من الله للقوي القهار (ولقد خلقنا) (ونعلم)

(ونحن أقرب اليه) (وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) (فكشفنا عنك غطاءك) (ألقيا في جهنم) (فألقياه في العذاب الشديد) لأنه جعل مع الله الها آخر . (ربنا ما أطغيته) اذا كان القرين هو الشيطان أو النفس التي توسوس للانسان (لاتختصموا لدي) (وما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) .

وجزئية خلق الانسان تختلف عن جزئيات خلق الإنسان في السورة السابقة ـ كما هو واضح ـ والعلم بنفس الإنسان وتحليل هذه النفس ـ هو الذي يناط به الحديث هنا في هذا المقام . فالخلق يحتاج إلى قدرة . والعلم بخلق الإنسان قدرة . والعلم بنفسية الإنسان قدرة أية قدرة ثم الإشارة إلى حبل الوريد قدرة علمية وتشريحية واضحة وعلم مادي قادر ومن مظاهر القدرة ـ ذلك النظام العجيب المالك نفس الانسان وجسم الانسان ولسان الانسان ومراحل هذا الانسان في منشئه ومماته وفي بعثه وحسابه وفي عقابه وثوابه .

قدرة علمية وعلم تدبير وقوة خالقة وخلق بصير وخبير وإله يسيطر على الانسان والزمان والمكان والأكوان .

واذا كان يوم الوعيد مظهرا لهذه القدرة الالهية العادلة التي لا تظلم أحدا العبيد ـ هو الله . واذا كانت جهنم تتلقف كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب ومن يجعل مع الله إلها آخر . وإذا كانت لاتكتفي بل تطلب المزيد والمزيد .. فان الجنة قد أزلفت للمتقين غير بعيد وهو " المتقون يتخلون في : " كل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب " . وإذا كان أولئك الكفار يلقى بهم في النار فان هو " المتقين يلقون كل تكريم وتعظيم : (ادخلوها بسلام) .

وإذا كان يوم القيامة بالنسبة للكفار هو (يوم الوعيد) فهو بالنسبة للمتقين يوم الخلود .

وإذا كانت جهنم تطلب المزيد فهو " المتقون ما يشاءون في الجنة ولدي الله من الخيرات مزيد .

تتم هذه القصة أو ذلك الجانب من تلك المجموعات القصصية هذه الآيات التي تحتوي على :

" قصة الجنة "

من آية (٣١) ـ الى آية (٣٥)

(وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ماتوعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد) .

والمقابلة ـ هنا ـ واضحة بين الجنة والنار وبين الكفار والأشرار : بين كل كفار غليظ وبين كل أواب حفيظ بين كل مناع للخير معتد مريب ، وبين من جاء بقلب منيب ، بين من يجعل مع الله إلها آخر وبين من خشي الرحمن بالغيب .

بين من يقال لهم : (لاتختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد) ومن يقال لهم : (ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) وبين من كمنت أنواعهم فلايطلقون ولا يستأذنون وبين من أطلقت شهواتهم ورغباتهم في الجنة فيطلبون فيها مايشتهون ويجدون فيها كل مايتخيلون ويتصورون .

فهؤلاء الكافرون محبوسون الرقبات في جهنم ويوم القيامة دائما لهم ـ هو يوم الوعيد أما المتقون فهم أحرار طلقاء لهم مايشاءون فيها ويوم القيامة لهم دائما هو (يوم الخلود) .

وفي هذا تحقيق لرغائب الانسان وغرائزه كغريزة حب البقاء والخلود وغرائز الحرية والسيادة والسيطرة والاستقلال ولدى الله مزيد ومزيد من الخير العظيم والنفع العميم ومن ألوان التكريم والتعظيم . وإذن فهذه المجموعات القصصية : مجموعة الخلق ومجموعة الموت ومجموعة البعث ومجموعة المحاكمة ومجموعة العذاب ، ومجموعة الثواب .. يمكن جعلها (ملحمة الانسان الكبرى) منذ أن كان الى ماشاء الله من أوان .

وهذه القصة ذات فصول متعددة كل مجموعة من تلك المجموعات القصصية ، أو القصة تشكل فصلا فيها وترسم موقفا منها ، وتقطع مرحلة من مراحلها فهي ـ بهذا ـ قصة طويلة من ستة فصول أو هي ـ مع هذا ـ مجموعات قصصية تتفرع ست مجموعات وكل مجموعة منها تحتوي على العبرة الكاملة فيها وعلى العظة المستفادة منها .

فالمجموعة الاولى : مجموعة الخلق ـ تبين قدرة الله على الخلق وعلمه بخفايا النفس وأجزاء الجسم مما يسهل عملية البعث من جديد ويزيل لهم من الخلق الجديد . ثم هي تبين مسئولية الانسان عن الكلمة حتى لايعجب الكفار من مجيء نذير من جنس الانسان وحتى لايبادروا بتكذيب الحق وقت مجيئه لهم ، دون تروٍ أو تفكير . وهذا يسهم في حل الأزمة الحقيقية والمشكلة الاساسية للسورة ولقضايا الدعوة الاسلامية التي أشارت اليها وتمهد بها المجموعة الاولى من السورة : مجموعة الفكرة الأساسية وفي هذا وحدات قوية رائعة .

ثم مجموعة الموت التي تصورها هذه الآية : (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد) تذكرنا بقصة الضلال في سورة المرسلات اهلاك الاولين والآخرين . كما تذكرنا بقصة الموت العظيمة والرهيبة في سورة القيامة حين تبلغ الروح التراقي (وقيل من راق ؟ ـ وظن أنه الفراق ـ والتفت الساق بالساق إلى ربك ـ يومئذ ـ المساق) .

فكرة الموت وهي ـ كما قيل (١) ـ " انغلاق العقل والعدة الموت " وهذه تتفق

---

(١) غريب القرآن ـ للسجستاني

مع الهرهر ، السرح ، المختلط ، كما أن كلمة (بالحق) تتصل مع تكذيبهم بالحق في المجموعة الاولى من السورة التي معنا ، ثم مجيء السكرة صورة ضاحكة فيها تشخيص وتجسيم وفيها تكمن الفكرة الساخرة من الحياة التي تمضي في لحظة ، وفيها يختفي المغزى وهو تكريم العقل والفكر واحترام الرأي والكلمة لئلا يختلط بصاحبه أو بمعنى الحق بدل أن يؤيد الحق ويؤمن به ثم فيها تهديد الحق ، في يوم العدل والحق .

وتتغير أهل العناد فضلا عن أهل الرشاد ما يؤذي النفس والعقل ويفسد الوساوس والهواجس ويضر الخيالات والتصورات التي هي مواطن العقيدة والدين ومجمع البحوث والدراسات ، وفي هذا صلة ظاهرة بالمجموعة الاولى من هذه المجموعات : مجموعة خلق الله الانسان وعلمه بما توسوس به نفسه ، وفي هذه الصلة تحقيق الوحدة الفكرية .

ثم يجانب هذا المغزى الخفي ـ تأتي الاشارة العامة لتبين الهدف الخاص من فلسفة الموت : (ذلك ما كنت منه تحيد) .

ويرجع اسم الاشارة غير محدد أو غير مذكور ، وهو ـ لهذا يسلط على الموت الذي تجسم وجاء ـ فأشير اليه كما يشار الى الأحياء أو الأشياء كما يسلط على الحق الذي كذبوا به ـ من قبل ـ وحاولوا التنكر له والهرب منه لو أرادوا التكذيب له والتشكيك فيه .

ثم هذا الهالك كان يحيد منه ـ لأنه هالك بالقوة وهو حي ، وكان يحاول الخروج منه ، وهو داخل في الموت الأدبي والمعنوي ، وهو معاند ويجاهد ، ولعل هذا هو سر التعبير بحيد بدل منه ، ثم التعبير بتحيد ـ يدل على الحركة والتجدد والتنوع والتصعيد والاستمرار والاصرار والمراوغة والمخادعة وفيه معاني الانحراف عن الصراط السوي وهو طريق كل حي حي الى طريق كل ميت غوى وشقي وفي لفظة (تحيد) صور متجددة تدور ما تحتوي على معان متعددة .

وإذن فقصة الموت هذه ـ تحتوي على التصوير وتحتوي على التعبير :

فمن التصوير	:	مجيء الموت في سكرة .
ومن التصوير	:	مجيء السكرة المميتة .
ومن التصوير	:	مجيء سكرة الموت في موعدها المعلوم
ومن التصوير	:	تسليط الموت على الحق
ومن التصوير	:	ربط السكرة بالموت .
ومن التصوير	:	ربط الموت بالحق .
ومن التصوير	:	ربط المجيء بالحق .
ومن التصوير	:	تسليط المجيء على السكرة
ومن التصوير	:	دلالة السكرة على الغفلة
ومن التصوير	:	وجاءت سكرة الموت بالحق
فهو من التصوير	:	ذلك ما كنت منه تحيد

فهذا الانسان ذكي يكتفي بالاشارة عن العبارة ومن ثم لم يذكر صراحة ما يعود عليه اسم الاشارة .

بل هو مفهوم من السياق ـ والسورة كلها ـ كما أشرت ـ تكتفي بالاشارة عن العبارة وبالتلميح عن التصريح وبالايحاء عن الاحصاء .

ثم الصور المدرجة تحت (تحيد) تعطيها " لوحات " كثيرة كما تعطيها صراعا عنيفا أو خفيفا ـ كما تعطينا حركتين : عضوية وذهنية . وهذه الحركة وذلك الصراع وهذا الحوار القائل : (ذلك ماكنت منه تحيد) من أسس السوحية الناجحة الفنية ومن أهم دعائمها .

وهذا الحوار الفردي أو المنفرد ـ هو السائد في جزئيات هذه المجموعات وهو المهيمن والمحدد للمغزى الخاص الكامن في ثنايا كل مجموعة أو كل قصة أو كل منظر أو كل مشهد .

(ونفخ في الصور) :

وهذه قصة " البعث " يعبر عنها بهذه الجملة من هذه الآية . وهذه القصة تعتمد على الحقيقة الكلامية اعتمادها على الصدق الواقعي والفني وهي تذكرنا بنظر النائم في سورة المدثر . غير أنها ـ وهنا ـ في سورة "ق" قصة مستقلة وهناك في المدثر ـ قد جاءت من مقدمة : (فاذا نقر في الناقور ـ فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) .

ثم هذه القصص الثلاثة من هذه المجموعات : قصة خلق الانسان وقصة موته وقصة بعثه ـ هذه القصص الثلاثة التي تمثل تاريخ الانسان قد صورتها آيات أخرى ـ عرفناها ـ في سورة عبس ـ وهذه هي الآيات :

(قتل الانسان (... ما أكفره (من أي شيء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره . ثم اذا شاء أنشره) .

كما أنها تذكرنا بقصة " امارات يوم الفصل) في سورة المرسلات . من طمس النجوم وانشقاق السماء ونسف الجبال وجمع الرسل لفصلهم في يوم الفصل . وكما تذكرنا بأوائل كثير من السور القصار أو المتوسطة كسور التكوير والانفطار والانشقاق فان هذه الآيات التي ابتدأت بها هذه السور تدور حول امارات يوم الوعيد التي توحي المهاجمة (ونفخ في الصور) . ففي سورة التكوير :

(إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت ـ وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت : علمت نفس ما أحضرت) .

وفي سورة الانفطار الموجودة بجانبها :

(اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت) .

وفي سورة الانشقاق التالية للانفطار في النزول :

(اذا السماء انشقت ، وأذنت لربها وحقت واذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت) .

ولأن نفخ الصور دليل على البعث والنشور ـ جاء هذا الحوار المتكرر : (ذلك يوم الوعيد) تكملة لآية البعث ، واشارة الى هذا اليوم ، وتحديدا لأنه يوم وعيد .

وهو اليوم الذي ترتب على تكذيب تلك الأقوام الذين أهدروا وجودهم الحافلة الرشيدة حين كذبوا برسلهم كما أشارت الى ذلك مجموعة اللمحات التاريخية قبل هذه المجموعات القصصية من التاريخ الغيبي .

(كذبت قبلهم قوم نوح ، وأصحاب الرس ، وثمود وعاد ، وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) .

وحقيقة الوعيد ، هذه هي التي أقسم القرآن عليها في سورة المرسلات بقوله :

(والمرسلات عرفا ، فالعاصفات عصفا ، والناشرات نشرا ، فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا ، عذرا أو نذرا انما توعدون لواقع) .

ثم حقيقة الوعيد هذه عبرت عنها سورة التكوير : (علمت نفس ما أحضرت) .
وسورة الانفطار : (علمت نفس ما قدمت وأخرت) .
وسورة الانشقاق : (وأذنت لربها وحقت) .

ثم حقيقة الوعيد هذه توضحها تلك المشاهد المتتالية من قصة (يوم الوعيد) أو ؟ قصة الانسان في يوم الوعيد " أي فيما وراء البعث وبين يدي المحاكمة والمخاصمة والعذاب والثواب على النحو الذي رأيناه فيما قرأناه من القرآن وفيما يجيء من بيان .

(وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) والمجيء هنا معطوف على محذوف ، أو معطوف على مجيء سكرة الموت بالحق . ومجيء سكرة الموت بالحق معطوف على خلق الانسان ، أو معطوف على رحلة زمنية أو حدثية مبهمة طوتها الأيام في مخلفاتها وحلقاتها . (وكل نفس تتصل " بكل نفس " في سورتي : المدثر والقيامة :

(كل نفس بما كسبت رهينة ـ الا أصحاب اليمين)
(بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) .

وهنا في سورة "ق" يذكر الانسان من خلال يوم الوعيد كما يذكر يوم الوعيد ،

من خلال الانسان ثم تساق النفس الى الحساب ، ومعها سائق وشهيد وهنا — في المحاكمة — لا مجال للمخاصمة . وهنا — في يوم الحساب — لا فرصة لجدال أو اعتذار .. !

وذكر السائق — هنا — اشعار لهذا الانسان الذي عاند وكذب وكفر واختلط عليه الحق بالباطل واضطرب لديه الخطأ والصواب . فهو مقود وسوق لا حرية له ولا اختيار لأنه لم يستأهل تلك الحرية ولم يستحق هذا الاختيار . وذكر الشهيد الذي يأتي مصاحبا ايضاحا له في الشهادة — يذكرنا بمهمة الرسول ، كما قررتها سورة المزمل في أول قصة فرعون !

(إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم) .

وكما توضحها هذه الاية العالمية الضمون من سورة النساء :

(فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ؟ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ؟ !)

ولعل مضمون الشهادة : (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) .

وهذه الآية توضح معنى سكرة الموت بالحق فهو في غفلة لا يعلم ولا يرى ومن هنا يسوقه سائق ثم هاهو ذا ينكشف عنه الغطاء فاذا ببصره اليوم حديد !

وهذا هو الجانب المشهد للمحاكمة الذي كنا تركناه قد وضحناه بما بيناه .

واذن فالحوار الفردي الحوار الجماعي يشوك في ثنايا هذه القصة الطويلة الحوارية التشيلية الواقعية التي توزعت كما عرفنا ست مجموعات والتي تدور حول " الانسان في مشئه وفي مصيره " كما تدور حول " يوم الوعيد " من خلال قيلك الانسان الشقي ومن خلال ذلك الانسان السعيد . قلنا أن نفسها — كما قلت — ست قصص مستقلات يجمعها بطل واحد وهو الانسان كما قضيها بيقات مختلفة في الدنيا وفي يوم الموت ثم في يوم البعث وأخيرا ساعة الفصل والقضاء ثم في جهنم موضع الحساب وفي الجنة موطن التكريم والتعظيم .

على أن العظمة الالهية مسيطرة على الانسان والزمان والمكان بل وعلى الشيطان والفكر والنفس واللسان وعلى ماكان ويكون منذ بدء الوجود وقبل بدء الوجود الى يوم الوعيد وبعد يوم الخلود .

وهذه قصة المحاكمة بحوارها : وقال قرينه : هذا ما لدي عتيد ويقول الله : ألقيا في جهنم : كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد .

قال قرينه : ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد . قال : لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد . ثم يوجه الحوار لجهنم : هل امتلأت ؟ فتجيب جهنم : هل من مزيد ؟

وهذه هي بداية النهاية للتعذيب على جريمة التكذيب أو هي نهاية المحاكمة والمقاصة لبداية العقاب والعذاب ؛

ثم يأتي فصل آخر من قصة الإنسان في يوم الخلود بعد قصته في يوم الوعيد ٠

(وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) وهذه هي البيئة الجديدة بأبطالها الأخيار ويأتي الحوار الموجه إلى هؤلاء المتقين ؛

(هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) ٠

والحوار ـ هنا ـ يغلب جانب الوعيد على جانب الوعد لأنه لم يتخلص بعد من يوم الوعيد ومن لهجة التهديد ولأن جهنم مازالت تسأل : هل من مزيد ؟ ؛
ثم لأن الجنة قريب غير بعيد ثم لأن ظهورها قال ونفيس يعلمه رب النفوس والقلوب والصدور ٠ الذي خلق الانسان ويعلم ماتوسوس به نفسه والذي يعرف صفات كل أواب حفيظ يخشى الرحمن على رحمته في حالي غيبة وحضرته وفي لحظات خلوته وجلوته ٠

ومن هنا جاء بقلب منيب ولا يعرف هذا القلب الا رب القلوب ٠
ومن هنا يخاطبون خطاب تكريم وتعظيم ؛ (ادخلوها بسلام)
وبهذا خلودها سالمين آمنين ويلقون تحية السلام في سلام ـ ثم لا يتركون حائرين ٠
أو خائفين من الخروج بل يسمعون ؛ (ذلك يوم الخلود) ٠٠ ثم يباح لهم كل شيء
اذ ؛ (لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد) ٠

(لهم مايشاءون فيها) فلا تحرموهم ـ أيها الحراس وأيها الخزنة وأيها الملائكة ـ شيئا يريدونه أو يتمنونه ٠أو يشتهونه ٠ ثم لاتخشوا نفادا أو نقصا فلدينا مزيد ٠

والذي أميل اليه جعل هذه الآيات العشرين من قوله سبحانه : (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) الى قوله تعالى ؛ (لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد) جعل هذه الآيات العشرين قصة طويلة موحدة من مقدمة وفصول ؛

١) فصل خاص بالخلق ٠ ٢) وفصل خاص بالموت ٠
٣) وفصل خاص بالبعث ٠ ٤) ورابع خاص بالمحاكمة ٠
٥) وخامس خاص بالعذاب ٠ ٦) وسادس خاص بالثواب ٠

مع صحة جعل كل فصل من هذه الفصول ـ على حدة ـ قصة قصيرة ٠ أو أقصوصة مستقلة منفردة تنضوي تحت اطار المجموعات العامة الشاملة في هذه الآيات العشرين ٠

---

(١٦)

(٥)

الدكتور محمد محمد بدران

مجموعات أخرى
من آية (٣٦) ـ الى آية (٤٥)

(أ)

(وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد : هل من محيص؟ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

وبعد تسليط الأضواء على تكذيب أولئك الأقوام وتنفيذ تعذيبهم فى يوم الوعيد ، وإهلاكهم فى الدنيا بسكرة الموت التى تتناسب وقتلتهم ـ تسجل هذه الظاهرة العامة ظاهرة الاهلاك لأولى البطش والجبروت من ضربوا فى البلاد ، وبحثوا عن " أكبر " الخلود حتى ينجوا من الهلاك والموت .. [.. ولكنهم عادوا من تنقيبهم وتنقيرهم ومن بحثهم وحلاقتهم بهذه الحقيقة المرة لا محيص ولا معدل عن الموت [ولا مفر من البعث [ثم لا معدى عن الحساب والعقاب [.

وهذا التعليق المتمثل فى الآية السادسة والثلاثين هو " فلسفة قصة اللحظات " وفلسفة " قصة المجموعات " ثم هو نتيجة تجارب تاريخية وإحصاءات قرآنية تصرح لا محيص من الموت ولا معدل من البعث ولا مفر من الحساب ولا منجاة من العقاب لمن يستأهل العقاب ثم لا حرمان من الثواب من يستحق الثواب .

ومن ثم جاءت الآية التالية متصرح ، وتؤكد : بأن فى ذلك الذى رأيناه من تعذيب أهل التكذيب ومن حقية يوم الوعيد ومن مجىء الموت والبعث فالحشر فالحساب فالعقاب أو الثواب ثم من عدم الفرار من ذلك كله .. ـ فى ذلك كله ذكرى وتذكير لمن كان له قلب يحس وعقل يعى وذاكرة تتذكر وحافظة تحفظ العهود وتصونها وتوبة سريعة وتؤكدة وصادقة وخشية للرحمن فى الخلوة قبل الجلوة وفى الغيب قبل العيان وفى الرخاء قبل الشدة ـ ثم جاء القرآن فألقى السمع بقلب منيب وعقل حاضر ، ووعى مستنير ـ (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

وهذه الآية مقسمة لتلك الآية ومتصلة بكل المجموعات التى مر ذكرها .

ولاتصالها بها اتصال تعقيب أو تعليق واتصال سبق ومغزى ظهرت فيها كلمات قد سبق أن رأيناها فى هذه المجموعات مثل كلمة (قلب) فهى متصلة (بقلب منيب) وكلمة (شهيد) فهى متصلة بـ (وسبحها سائق ، وشهيد) .

والمشاهدة مطلوبة فى التأمل والتروى لزيادة التأكد والتثبت والروية الاشياء فى سير الأحياء ثم لروية ما يالاذهان من أفكار وما بالوجدان من أسرار مثلا للعيان ، مجسما فى كيان ـ وهذا يذكرنا بفن التمثيل ذى الهدف الرفيع .

وبهذه الآية تم التعليق على مجموعات السورة السابقات وهي :

١) مجموعة الفكرة الأساسية .

٢) ومجموعة الحوادث والاحياء .

٣) ومجموعة لمحات المكذبين .

٤) ثم قصة يوم الوعيد ذات الفصول الستة .

(ب)

قصة خلق الأكوان

آية رقم (٣٨)

(ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) .

وهذه لمحة خلق السموات والأرض وما بين السماوات والأرض في ستة أيام وما مسنا من لغوب . وهذه القصة التي لا تتجاوز آية واحدة قد ملأت وتملأ كتبا علمية ضخمة وتحوي بقصص كثيرة مثيرة . وقصة الأكوان هذه معطوفة على قصة : " خلق الانسان " في مجموعات " يوم الوعيد " التي تبتدئ بقوله عز وجل : (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) .

وهذه القصة تعتمد على الحقيقة العلمية دون مبالغة أو تزيد ودون غلو أو جموح . (في ستة أيام) : وهذا درس في تحري الدقة العلمية وحض على التثبت والاجادة ثم تحذير من التسرع والافراط . ثم فيه درس للعلماء كي يتواضعوا وكي يخططوا لمشروعاتهم قبل البدء في تنفيذها . والقصة - بهذه الصراحة - حقيقة هائلة لأنها صادقة ولأنها من قوة الهية كبرى ، لا قرن اليها قوة . وهي - بهذا - دليل حي وقوي على قدرة الله على احياء الخلق وبعثهم في يوم النشور .

والوحدة التي تجمع عطف " قصة الاكوان " هذه على قصة " الانسان " تلك - هي وحدة الخلق القادر ووحدة القدرة الخلاقة . وهذه وتلك تربطها بمجموعة " خلق الكون "

وبين مظاهر هذه القدرة جمع السموات وجمع الأرض قال فيها للجنس . ثم تسليط الخلق على ما بينهما أيضا وكل هذه حقائق علمية وكونية عظمى تثبت قدرة الخالق - سبحانه وتثبت حقية البعث وحقيقته . (وما مسنا من لغوب) . وما مسنا من تعب ولا عناء حتى نتركنا نتمكن وحتى نستريح في يوم كما تستريحون أو كما يدعي الوثنيون .

وفي هذه الجملة تنزيه لله عن التشبيه وتجريد لله بالتوحيد والتمجيد .

ثم فيه رد لشبهات المشبهين والملحدين وتنقية للقصص القرآني من جو الخرافات وسمو الاساطير وسمات الوثنيين .

وهنا مقابلة رائعة بين قصة " الاكوان " هذه وبين قصة " الانسان " تلك .
فهناك القيد المصاحب أو الحال المصاحبة (ونعلم ماتوسوس به نفسه) . وهنا نجد الحال المصاحبة (وما سمنا من لغوب) ولهذه موضعها هنا لاتفك عنه (ولعلك مكانتها هناك لاتفك عنها ولا تريم .

ثم (وما مسنا من لغوب) فالسر يمنى فضلا عن التعب الذى يحل ومن ـ ليست حشوا أو لغوا انما هى لزيادة النفى وتوكيده وتقويته .. (ولغوب نكرة مفرد ة منفية على سبيل الشمول والعموم .

(جـ)

(فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) .

وهنا يمض الوصايا والتوجيهات للرسول عليه السلام وهى حصاد ه من هذه السورة :
(فاصبر على مايقولون) وهذه تذكرنا ـ كما تذكر الرسول عليه السلام بالصبر الذى طلب منه التحلى به والثبات عليه ، كما جاء فى سورة المزمل :
(واصبر على مايقولون ، واهجرهم هجرا جميلا) وبآية الصبر ـ فى سورة القلم :
(فاصبر لحكم ربك)
وبآية المدثر : (ولربك فاصبر) .

(وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)
(ومن الليل فسبحه ، وأدبار السجود) .

ولعل هذه هى أوقات الصلاة الخمسة اذ أريد من التسبيح الصلاة .
. فصلاة الفجر قبل طلوع الشمس ، وصلاة الظهر وصلاة العصر قبل الغروب ، وصلاة المغرب وصلاة العشاء تقع من الليل بعد الغروب . ثم تأتى صلاة النافلة أدبار السجود (١) وأدبار النجوم .

وهذه الأوقات قد مهد لها ومن خلق الأكوان فى ستة أيام . ثم هذه التكاليف تتصل من بعيد أو قريب بتكاليف سورة المزمل وتكاليف سورة المدثر . مما يصل مابين الكثير القرآن بعضها والبعض الآخر ووحد بينها وان كانت تكاليف المزمل قاصرة على قيام الليل كله أو جله أو أقله .

---

(١) ذكر عن على ـ رضى الله عنه ـ انه قال :
أدبار السجود : الركعتان بعد المغرب
أدبار النجوم : الركعتان قبل الفجر
ـ غريب القرآن ـ للسجستانى ـ بتصرف

أما هنا فقد انتظمت كل الأوقات كما انتظم خلق الله الأكوان كلها من سماوات وأرض وما بين السموات والأرض ثم الأمر بالتسبيح بذكرنا بأول سورة الأعلى :

(سبح اسم ربك الأعلى) .

كما يذكرنا الأمر بالتسبيح عقب السجود بأمر الرسول بالسجود والاقتراب آخر سورة العلق : (واسجد ، واقترب) .

ثم (سبح بحمد ربك) تتصل بأول ثناء وشكر يصدر من المؤمنين والمسلمين وسن العالمين ورب رب العالمين كما جاء في " فاتحة الكتاب " بعد البسملة (الحمد لله رب العالمين) .

ولعل شغل الأوقات كلها بالتسبيح وبالحمد وبالصلاة بعضها يعني أوبة الأواب الذي يثوب إلى ربه كل لحظة بالحمد تارة ، وبالصلاة أخرى ، وبالتنزيه حينا ، وبالتسبيح في كل الأوقات . وبهذا يكون أوابا ويكون حفيظا ثم هو يخشى الرحمن بالغيب عالما يتأى عن كل نفس وجس وريب . ومن ثم يقبل على القرآن بقلب صاف وعقل واع وسمع رهيف ونظر شهيد كما يقبل على الله يوم الخلود بقلب منيب .

وليس هذا بكثير على جنة تقرب إليه وتقبل عليه وتدخلها بسلام وتحقق له فيها ما يشاء من مراد . ثم لعل هذا التسبيح توطئة وتمهيد لفرض الصلاة فيما بعد ليألف هذه العبادة ويعتاد تلك الطاعة . ثم لعل هذا أيضا تدرج في الشريع من دور إلى دور ومن نظام إلى نظام حتى يستقر في نهاية الأمر ويستمر .

(٥)

يوم الخـــروج

(واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج)

وهنا وصل بيوم البعث ونفخ الصور في يوم الوعيد . وهو يوم ينادي فيه المنادي من مكان قريب يوم يسمعون فيه الصيحة بالحق لصحوة البعث ونهضة الإحياء من جديد وخروج الموتى من مقابرهم سراعا مهطعين . من هنا سمي هذا اليوم : (يوم الخروج) .

وهذا اليوم يمتد في تصويره وتقريره على الصوت والترقيم . فالمنادي ينادي — وهو ينادي من مكان قريب وإذن تسمعه جميع خلق الله استجابة لدعوته مطاعة والموتى يسمعون الصيحة بالحق في مواقيتها المحددة وتشقها النبضة ويرقمها الوتر . وهي صيحة حق وإذا صدق ونهضة بعث ودعوة حياة وهم يخرجون من أجداثهم عليها مستجيبين لها وخروجهم هذا يمتد على الحركة والسرعة والخفة والنشاط ولا تعب فالله

(ذلك يوم الخـــروج) .

(ق)

(إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير) .

وهذا كيفية الخروج . حياة ثم موت ثم بعث من جديد

وهذا البعث يقع يوم تشقق الأرض عن الموتى فيخرجون منها سراعا تماما في حشد كبير وحشر على الله يسير .

وهذا في هذه الفقرة فقرة الحشر وفيما قبلها من فقرة الخروج : صلة ظاهرة بالمجموعة الثانية من سورة "ق" هذه التي معنا وهي مجموعة " الحياة والإحياء " ـ في آخرها (كذلك الخروج) وفي يوم الخروج (ذلك يوم الخروج) .

وفي فقرة الحشر هذه ـ تصوير لكيفية الخروج وهذه الفقرة تقرر ما تقرر في ثنايا هذه السورة (إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير) .

فالله هو مصدر الإحياء . والله هو مصدر الإماتة والإنشاء ثم إلى الله مصير كل الأموات وكل الأحياء .

وهذا المضمون يتصل بمجموعة السورة الأولى مجموعة " الفكرة الأساسية "

(إذا متنا وكنا ترابا ؟) نرجع أو نبعث ؟ (أو نعود من جديد ؟ (ـ ذلك رجع بعيد) .

ولأنه رجع بعيد حشد القرآن في هذه السورة كثيرا من الوسائل التي تبرهن على حقيقة البعث وقدرة الخالق وقوة المحي المميت وصدق يوم الوعيد . ويوم الخلود ويوم الخروج . ووقوع النداء من مكان قريب .. وتشقق الأرض عن الموتى سراعا كما تشقق من النبات عن كل زوج بهيج وكما تنبت بالماء جنات وحب الحصيد وكما تنبت النخل باسقات لها طلع نضيد وكما تحي بماء السماء بلدة ميتا .

ومن ثم سمي يوم البعث (يوم الخروج) كما سميت عملية الزرع والانبات (بالخروج)

وإذن فليس ذلك برجع بعيد أو عسير انما ذلك حشر ـ على الله ـ قريب ويسير .

وهذا ظاهرة رائعة ينبغي أن أسجلها في هذه السورة وهي : وصل جزئيات السورة بعضها ببعض عن طريق استخدام اسم الاشارة في التعليق على كل جزئية وتوضيحها به . فالكافرون قالوا عن البعث والرجوع : (ذلك رجع بعيد) .

والقرآن عقب على قصة الإحياء بقوله : (كذلك الخروج) وعلى قصة الموت : (ذلك ما كنت منه تحيد) وعلى قصة البعث (ذلك يوم الوعيد) ثم على جزئية الحشر وكيفيته : (ذلك حشر علينا يسير) .

وهذا وضوح قد أسهم في تحقيق الوحدات : اللغوية والفكرية والأسلوبية والتصويرية والموسيقية والجمالية والنفسية الشعورية بين مجموعات السورة وأجزائها بعضها والبعض الآخر .

(و)

(نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) .

نحن أعلم بما يقولون لأننا خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد . ولأننا سجلنا في أول هذه السورة عجبهم من مجيء منذر من البشر ، كما سجلنا قول الكافرين : (هذا شيء عجيب) وكما سجلنا قولهم عن البعث والخروج : (ذلك رجع بعيد) .

وكما سجلنا تكذيبهم بالحق لما جاءهم وأنهم في أمر مريج اذن : (نحن أعلم بما يقولون) وإذا نالك منهم شيء أو أذى (فاصبر على ما يقولون) (وسبح بحمد ربك) واستمع لمنادي المنادي من مكان قريب ، وانظر الى الأرض وهي تتشقق عنهم سراعا يوم البعث والحشر ، ثم اعلم الآن لست عليهم بمسلط (وما أنت عليهم بجبار) .

وتحين الفرص المناسبة والأشخاص المستجيبة لتذكرهم بالقرآن حتى يخافوا الوعيد ، ويوم الوعيد (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) .

لما سكبنا من هذه السورة وشاهدنا من تلك الصور : صورة ، صورة وما وعينا من هذه الفقر ، فقرة فقرة ثم ما فقهنا من تلك الافكار ، فكرة فكرة ..

ذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد . كما أنه يساق تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وكما أنه يفيد كل أواب حفيظ يخشى الرحمن بالغيب ويجيء بقلب منيب . ثم هو ذكر وذكرى لمن يخاف وعيد الله في يوم الوعيد ولمن يرجى وعد الله في يوم الخلود .

والسورة ـ بهذه الصورة ـ متماسكة البناء محكمة التصميم ظاهرة التوزيع والتقسيم وهي ـ بهذا النظم الفريد والتناسق الآخذ ـ قصة يوم الوعيد . ولعل "ق" لفاتحة السورة وأن تفرعت الى وحداتها ومجموعاتها مثل :

" مجموعة الفكرة الأساسية "

" ومجموعة الحياة والإنبات وقصص اللمحات "

" وقصة الانسان في نشأته ومصيره هذه القصة الملحمية الدرامية التي تتسع الى مواقف وفصول أو تفرعت الى قصص قصيرة أو أقاصيص كبيرة مثل : قصة خلق الانسان وقصة موت الانسان وقصة بعث الانسان وقصة محاكمة الانسان وقصة حساب الانسان ، وقصة عقاب الانسان .

ولعل هذه القصص الستة التي تمثل : " قصص الانسان " تقابل تلك الأيام الستة التي تم فيها خلق " الأكوان " ثم بعد قصص " الانسان " تأتي قصة " خلق الأكوان " . وبعدها تأتي مجموعات أخرى مثل : " تثبيت الرسول وتوجيهه " ومثل " تصوير يوم الخروج وتسجيله تسجيلا صوتيا " ومثل تقرير " الحشر الميسر " وتقريبه بالتصوير . ومثل توجيه مهمة الرسول هنا ، وأنها التذكير .. وبهذا رأينا السورة محكمة البناء والتصميم واضحة التوقيع غنية التنويع متسقة الألفاظ والصور متعددة الأجواء والمشاهد متفقة الاهداف والافكار ملتئمة التصميم والتضفير .

وهي ملحمة أدبية وملحمة تاريخية معا ، اذ فيها حقائق من عالم الواقع النفسي يذكر خواطر أولئك المعارضين ويسجل شبهاتهم وتكذيبهم - وفيها حقائق من عالم الواقع العلمي يذكر خلق الحياة والاحياء والنبات ثم خلق الانسان والاكوان ثم فيها - مع هذا وذاك - حقائق من عالم الواقع الغيبي يذكر حقائق الموت والبعث والحشر والحساب والعقاب والثواب وما يقال في هذا المجال ثم يذكر جهنم مثوى الكافرين ويذكر الجنة دار المتقين .

ومع أنها ملحمة تاريخية واقعية وحقيقية فهي ملحمة أدبية توافرت فيها صفات الأسلوب الأدبي البليغ المعجز المحكم كصفة الوضوح وصفة القوة وصفة الجمال .

ثم هي مع كونها ملحمة تاريخية وملحمة أدبية - سيمفونية موسيقية اذ تترك من الفائدة والتأثير ومن الإمتاع والتذكير .. ما يبقى على ظهر هذا الوجود الى يوم الدين ويوم الخلود .

الدكتور محمد محمد حسين

الدكتور محمد محمد بغدادي

نظم الجمل
في سورة القمر

مجموعة الفكرة الأساسية (اقتربت الساعة ، وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ، ويقولوا : سحر مستمر .. وكذبوا ، واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ، ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة ، فما تغن النذر فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعا أبصارهم ، يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ، مهطعين إلى الداع .. يقول الكافرون : هذا يوم عسر !)
الآيات من رقم (١) إلى رقم (٨) سورة القمر .

في هذه المجموعة : مجموعة الفكرة الأساسية ، نجد أن أفكار هذه الآيات القليلة تدور حول " اقتراب يوم القيامة " التعبير عنه بالساعة ، بدليل وقوع حادثة كونية فريدة ، تدل على قدرة الله سبحانه ـ هذه الحادثة هي : انشقاق القمر " .
وانشقاق القمر آية إعجازية كونية ، تلفت الأنظار ، وتصك العقول ، إلى الحقيقة الساعة ، والإيمان الكامل ، والإقرار بوقوع الشيء والقدر .. ! لكن أولئك المكذبين المكابرين .. إن يروا آية يعرضوا ، ويقولوا إنها سحر قوي شديد ، مستمر ! ذلك أنهم قد كذبوا ، واتبعوا أهواءهم ! وكذبهم هذا لا يغير الحقيقة الثابتة والناصعة الساطعة . كما أن اتباعهم أهواءهم لا يغير مواقعهم ، ولا يمنع من وقوعها من يعاندهم ويعاديهم . فكل أمر صحيح ثابت ، مستقر . على أن الله ـ سبحانه ـ لم يدع هؤلاء المكذبين عاندين ، ضالين ، فأرسل لهم من أنباء السابقين ما فيه مدكر لهم ، ومزدجر . وكلها حكمة بالغة ، وفلسفة عميقة إذ وانشق القمر . وفي هذه الحكمة البالغة (فما تغن النذر) تكمن فلسفة السورة ، وتتلخص هذه الجملة القصيرة : (فما تغن النذر) . وإذا لم تغن النذر ، فتول عنهم يوم يدع الداعي إلى شيء نكر . وحينئذ يخرجون من أجداثهم وقبورهم خشعا أبصارهم ، ذليلا ، خاشعا ، كليلا ، كأنهم جراد منتشر ، مهطعين مسرعين إلى الداعي ، ونداء المنادي .. يقول الكافرون فيهم : هذا يوم عسر ... !
وهذا الجانب الأخير يذكرنا بأواخر سورة " ق " : (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ، ذلك يوم الخروج إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير) .
فالفكرة الأساسية ، من هذه السورة ، تتلخص في هذه المقاطع : (اقتربت الساعة) (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا : سحر مستمر) (وكل أمر مستقر) (حكمة بالغة فما تغن النذر) .

وهذه المجموعة ـ بفكرتها الأساسية ـ ترشحها مجموعات القصص التالية ، قصة قصة ، في نظام بديع ، واتساق رفيع ، وفي تصميم محكم ، وإيقاع رائع رخيم ، وآيات هذه المجموعة ـ من التداخل ، والترابط ، والتماسك ـ بحيث يجعلها وحدة واحدة ، على اختلاف صورها وهيئاتها ، وحركاتها ، وحكمها .. !

فالآية الأولى ، فيها التحذير من اقتراب الساعة ويجانبه التدليل بانشقاق القمر فيها واقع مادي ، يعزز الواقع الغيبي . والآية الثانية فيها تصميم ، وفيها تصدى لوجوه كثيرة توحي بها كلمة " آية " التي لها معان عديدة ، منها : المعجزة الباهرة الآية القرآنية والكونية اذ " سميت معجزات الأنبياء آية ، لأنها علامة على صدقهم ، وعلى قدرة الله " ـ " وسميت العبرة آية ، لأنها علامة على معاني العظة والاعتبار . " وسمي البناء العالي آية ، لأنه علامة على قدرة بانيه . " وقيل لكل جملة في القرآن بين فاصلتين آية ، علامة على ماتضمنته من الحكم وآداب ونحوها " ـ " فالأصل في معنى الآية : العلامة الواضحة ، وهو معناها في كل ماتطلق عليه كلمة آية . فمن خلق الكون آية ، لأنه علامة على قدرة الله " (١) .

وانشقاق القمر آية كونية ، وعلامة على قدرة الله . كما أن الكفار مهما رأوا آية تجلي في جملة قرآنية ، أو في عظة بالغة ، أو في معجزة رسول ـ يعرضون ، ويقولون : إن ماشاهدوه ، أو قرأوه : سحر مستمر ! وإذن في هذه الآية الثانية ـ من مجتمعة عديدة تؤديها لفظة " آية " . والآية الثانية ، تحتوي على حقيقتين : تكذيبهم ، واتباعهم لأهوائهم .. ! . كما تحتوي على هذه الحقيقة المطلقة : (كل أمر مستقر) أما الآيتان : الرابعة ، والخامسة فيهما إرهاصة لمجموعات القصص القادمات ، مع الإيماء إلى أهداف هذه القصص . (فما تغني النذر) . والآيات : السادسة ، والسابعة والثامنة متداخلات ، متصلات يأخذ بعضها بحجز البعض الآخر فالله يأمر رسوله أن يتولى عن هؤلاء المعرضين جزاء إعراضهم ، وأن يتركهم يوم الساعة ، التي مهد لها من قبل ، يوم يدع الداعي هؤلاء المعرضين إلى شيء نكر ، كجمل رعاش ، فيخرجون من الأجداث خشعا أبصارهم ، كأنهم جراد منتشر ... وحينئذ يرد الكافرون في تعالم وذلة : (هذا يوم عسر !) .

وهذه الآيات الثلاث ـ ذات فكرة مستقلة ، فهي تدور حول تصوير " اليوم " وإحيائه ، وتجسيده ، بعد أن مهد له بأول الآية الأولى : (اقتربت الساعة)

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ الجزء الأول ـ وضع مجمع اللغة العربية بتصرف .
(٢) المرجع السابق نفسه .

وقد ارتبطت بالآيات الخمسة السابقة لها ، بجملة (فتول عنهم) ـ فالفاء ربطت ما بين الجملتين وجعلتهما في مجموعة واحدة ، وفي وحدة متحدة ـ كما جعلت ما بين حاضر هؤلاء الكفار ، وبين مستقبلهم في يوم تقوم الساعة . أي أنها جعلت ما بين دنياهم وأخراهم !.

وهذه الآيات الثلاثة تعتمد على التجسيم الصوتي : كدعوة الداعي وعلى الإثارة النفسية ، كخروجهم إلى شيء نكر . كما تعتمد على الهيئة المصورة : (خشعا أبصارهم) وعلى الحركة السريعة (يخرجون من الأجداث) وعلى التشبيه المجسم (كأنهم جراد منتشر) وعلى الإسراع الهادئ (مهطعين إلى الداع) وعلى التعبير الخاص (هذا يوم عسر) . والآيات الثلاثة هذه ـ وإن استقلت بإثارة الجو هذه ـ تتصل بما قبلها وبما بعدها ـ بالاقتراب الساعة ، الاستفاد من الآية الأولى : (اقتربت الساعة) . وبهذا الاتصال جعلت المجموعتين مجموعة واحدة . ثم لهذه البداية من الروعة والروح ومن الإيقاع ، ومن الحذر والخطر ومن المفاجأة ، والمباغتة ما يجعل المشهد تصغى ، والقلوب تتضارع ، والنفوس تضطرب ، والجوارح تخشع ، لاستقبال المشهد لهذا الخبر العجيب .

" قصة قوم نوح "
من آية (٩) إلى آية (١٧)

(كذبت قبلهم قوم نوح ، فكذبوا عبدنا وقالوا : مجنون ، وازدجر ... ! فدعا ربه أني مغلوب ، فانتصر .. ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر .. وفجرنا الأرض عيونا .. فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر .. تجري بأعيننا ، جزاء لمن كان كفر.

ولقد تركناها آية ، فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر .. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر ؟!) .

لهذه القصة أهداف ، تدور حول تكذيب قوم نوح نوحا ، وتهديدهم به ، واتهامهم إياه بأنه مجنون . كما تدور حول دعاء نوح : (أني مغلوب ، فانتصر) . وهذه هي النقطة تنشأ في تكذيب قوم نوح ، وفي دعاء نوح وشكواه . ثم يأتي الجانب الآخر من القصة ، وهو الانتقام ، أو الطوفان . المتمثل في فتح الله أبواب السماء بماء كثير ، يسرع الانسياب منهمر . والمتمثل في تفجير الأرض عيونا ، وفي التقاء الماء على أمر قد قدر . وهذا هو أصل الانتقام بالطوفان .

ثم يأتي الفصل الثالث والأخير ، من قصة الأخداث ، هذه ـ وهو التصوير جانب النجاة : نجاة نوح عليه السلام ، وحمله على سفينة ذات ألواح ودسر ، هي الدسر .

كهذه السفينة تجري بأعيننا الله ورعايته وبمرأى وعلى دراية وهدايته ، جزاء لمن كان كذب من قبل ، وازدجر ، وكفر .

وبعد هذا الفصل الثالث الأخير – يأتي التعقيب الموجع للسخرية القصة الخالدة ، (ولقد تركناها آية) وهذا هو أثر الحادثة : آية كونية . ثم أثر هذه القصة : آية قرآنية .

والآية القرآنية تنادي : فكيف كان عذابي ونذر ؟! والإتيان : الكونية والقرآنية قد اختلطتا ، ويسرتا ، في قصة القرآن : وهنا – لهذا ، والقرآن – بهذا – يتحدى كما يتحدان : فهل من مدكر ؟! . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟! .

وهذا هو الجانب الإعجازي للقرآن – جلية بعد ذلك : الإعجاز القصصي ، والإعجاز الكوني ، كما سولبها الآية الأولى من التعليق ! .

القصة " ثم نوح " قصة أحداث ، مؤلفة من ثلاثة فصول : كل فصل – كما رأينا – قد عمل آيتين اثنتين : فالفصل الأول من مشهدين اثنين ، ومرحلتين اثنتين : مرحلة التكذيب ، والسخرية ، والاستهتار ومرحلة الشكوى ، والنجوى ، وطلب الانتصار .

والفصل الثاني : فصل الانتقام بالطوفان والإغراق وهو مكون من مكانين ، أو يقع في مكانين : في السماء التي تفتحت أبوابها بماء منهمر . وفي الأرض التي تفجرت عيونها فالتقى الماء فيها على أمر قد قدر .. ! .

والفصل الثالث : هو الانجاء والنجاء – يقع في زمنين متعاقبين ، ومكانين : في حمل نوح أولا على سفينة ذات ألواح ودسر . وفي جري السفينة تحت أعين الله ، وبالقدر وعلى هذه النجاة الستر – يكمن سر الانجاء وقد جاء جزاء لمن كان كفر . وفي هذا التوزيع البديع ، يمثل فصل هذه القصة – تصويريا وقصصيا وتجسيم بالتصوير ، ودقيق . وفي تقسيم الفصل الأول الى مرحلتين وتقسيم الفصل الثاني الى مكانين – ثم تقسيم الفصل الثالث الى زمانين – في هذه التقسيمات إعجاز قصصي خالد ، وإحداث تصويرية ، وعبقرية محكمة .!

وإذا كانت النجاة جزاء لمن كان كفر – وإذا كان هذا الجزاء قائما لذلك الانجاء ... فإن في آيات التعقيب ، فلسفة للأحداث ، في وجودها الواقعي ، وفي وجودها الفني ، أو القصصي . فأحداث القصة من بدء التكذيب ، الى الاستسلام ، الى الانجاء – تنادي : (فكيف كان عذابي ونذر ؟) ومعجزة الطوفان ، وانجاء نوح من هذا الطوفان ، مع آية كونية ، وظاهرة تاريخية ، نادرة وفريدة – تصرخ في آذان الوجود : (فهل من مدكر ؟) . وفي روعة القصة المصورة ، لتلك الأحداث ، في مراحل التكذيب والانزواء ، والانجاء – لحياة القصص قديم ، في تصوير وتأثير وفي تشويق وتصوير ، وتجسيم للتحذير ، وسوق للتحذير . وفي تيسير القرآن لحياة القرآن وعبرة عنيفة

وتعبير : (فهل من مذكر ؟!) .

وإذن فالإنسان الأوّاب - من التعليق أو التعقيب - تحتويه على أبرار الآيتين : الكونية ، والقرآنية واستدراج العذاب فيهما .

ثم الآية الأخيرة ، هي حصاد الآيتين السابقتين : الكونية ، والقرآنية ، وهي قمة القصة كلها ، من بدئها الى ختامها ، وتعليقها . وهي - الى جانب هذا - نهاية ، وبداية : نهاية قصة عاد وتعليقها . وبداية قصة ثمود .

وهي تمثل القاعدة الرئيسية ، أو الكلمة السرية التي تنبني القصة بتعليقها انتهاء تاما ، وبدءا بفاصل الراحة ، والتوقف ، حتى تجيء القصة التالية ، وكل قصة من القصة الأخرى .

قصة عاد

من آية (١٨) الى آية (٢٢)

(كذبت عاد ، فكيف كان عذابي ونذر ؟ انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا ، في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل ، منقعر فكيف كان عذابي ونذر ؟ ولقد يسرنا القرآن للذكر : فهل من مدكر ؟!) .

وكلمة " عاد " هذه - قصة أحداثه كذلك ، وهي مختصرة ، غير مبسوطة ..! تسلمنا الأولى لمضمون هذه الجملة (كذبت عاد !) فهو يدور حول التكذيب ..! وباقي الآية يدخل بقدر تسلمنا الثاني ، وهو نفس التعليق على القصة ، وتأتي بهذا التعليق ، وبذلك المدخل : (فكيف كان عذابي ونذر ؟) - بعد أنها - في التعليق - جاءت في آية مستقلة - بينما أتت هنا جملة لآية الفصل الأول ما أدى وظيفتين هامتين في القصة وهما :

١) اختلاف نسق القصة ، بحصرها بين تمهيد بقدر الاقتضاء ، وبين تعقيب مختصرين هذا الاقتضاء وهو في التمهيد ذلك في التعقيب .

٢) ابراز الفكرة الأساسية ، التي يراد تسليط الأضواء عليها ، ثم استبعاد اليسير من هذه الفكرة ، التي ذكرت مرتين ، داخل القصة ، وفيها ، مع تواليها بمناسبة الإرهاص والتمهيد ، والتأييد ، ثم بعد الآية الأولى من قصة عاد ، تأتي الآيتان التاليتان لها وهما العاشرتان بالفصل الثاني ، والأخير من هذه القصة . بهذا الفصل يدور حول الاستسلام " وذلك بإرسال الله على عاد ريحا صرصرا ، باردة ، قارسة ، في يوم نحس ، مشئوم مستمر " وهذه الريح - هي القوة - بحيث تنزع الناس ، كأنهم أصول نخل منقلع ، وأجساد نخل منقعر) بهذا الفصل ملحق بالحركة العنيفة ، (" ريحا صرصرا ") وبالجو البارد (" صرصرا ") ، وبالفترة القصيرة التي يظهر أثرها ، إذا

(عذاب اليوم ؟) والتعجيب الذي يدل على مواجهة قصية . (كأنهم أعجاز نخل منقعر !) . ثم أحداث الانتقام - في هذا الفصل - تقع في بيئة وبيئة . بيئة (في يوم نحس مستمر) . فيوم ليس يوما عاديا . أنه هو يوم نحس وشؤم . ثم هو ليس يوما منتهيا وماضيا . حتى يتحول نحسه وشؤمه أنه هو يوم نحس مستمر . نحس متجدد . يشهده أو نحس قوي مستحكم . أو يوم طويل وطويل ..! . وأيام التعذيب طوال! وساعات التنكيل بطيئة! قال ..! إن لحظات الانتقام لأمر . أو نمر . وكأنها تستمر ! ! وإذن فالله أرسل عليهم - لا ليهم - ريحا للعذاب . صرصرا بادرة ذات صوت . لتؤذي البدن . وتؤلم الجوانح . وتبرد الجو الآن ..! . تبردها بشدة للجو . وبجوها مناسب ليوم النحس ونحسها داع إلى السرعة . والاستمرار . ثم هي تقلع أصول النخل . وتجعلهم مثل أصول نخل منقلع ..! .

في هذا الفصل تجسيم الانتقام بالريح الصرصر ..! وبهذه الريح تشبيها المطلقة وصورها المتطايرة في الانتقام والتدمير! . ولأحداث هذا الفصل بيئة الجاهلية - كما مرتنا - إذ تحدث " في يوم نحس مستمر " .

وهذا اليوم ذو النحس المستمر . يقابل ذلك العذاب الذي النفي الله على أولئك الكفار وتلك البيئة التي كانت جزاء لمن كان كفر .. ثم هذا وذاك يتناسب مع قبيل الكافرين في أيام الجاهلية : هذا يوم عسر ..! . بما يحمل ما بين كل المجموعات في السورة . وملا محكما . متقنا . لا انفصال فيه . ولا انفصام .

وإذن فقصة " عاد " هذه قصة أحداث . وهي قصة صورة . من حيث البناء والتصميم إذ تقع في مشاهد . بمظهر التكذيب وأثره . وبمظهر التعذيب وبعده ! . ثم هي - كما أشرنا - محصورة بين فكرة . وبين ! والفكرة - هنا - تتمثل في النذر . وهذا السؤال الخطير . النذير . هو تلك الفكرة . وهو هذا النذر : (فكيف كان عذابي ونذر ؟!) . لقد وردت مرتين : عقب التكذيب ضمن آية . ثم بعد التعذيب في آية مستقلة . بما أدى الوظيفتين اللتين نوهنا بهما . وأكدنا! ثم يأتي الفاصل الذي هو حصاد للقصة عاد . كما كان حصادا للقصة والأحداث . في قصة نوح . وهذا الفاصل يشابه نهاية قصة عاد . وبادية قصة ثمود ! أو هو فاصلة خاصة . تنبع من كل قصة . كما أنه ظاهرة عامة . ترتبط كل قصة بنورها ربطا فنيا . وجماليا وفنيا . وموسيقيا . بحيث تتوافر له وفيه كل سمات الجمال والكمال .. هذا الفاصل . تؤديه هذه الفاصلة : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟!)

وإلى جانب وظائف ذلك . يحدد البدء من لحوق هذه القصة . وغيرها من قصص الأحداث التي اشتملت عليها سورة القمر . ما يحقق - مع ابراز البدء - وحدات فكرية . وفنية . وبنائية . وإيقاعية . وموسيقية . وجمالية . وإيحائية . لا انحراف فيها ولا اختلال وهي ما عبرت عنها بظاهرة الاعجاز النظمي أو الوحدوي .

قصة ثمود
من آية (٢٣) الى آية (٣٢)

(كذبت ثمود بالنذر ـ فقالوا : أبشرا منا واحدا نتبعه ؟! .. انا اذا لفي ضلال وسعر .. ؟! .. ١١أألقي الذكر عليه من بيننا ؟! .. بل هو كذاب أشر .. ! . سيعلمون غدا من الكذاب الأشر ؟ ! .

انا مرسلو الناقة فتنة لهم . فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم . كل شرب محتضر ! فنادوا صاحبهم . فتعاطى . فعقر ! فكيف كان عذابي . ونذر ؟ . (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر .

ولقد يسرنا القرآن للذكر ـ فهل من مدكر ؟ !) .

هذه قصة " ثمود " وهي قصة من ثلاثة فصول . بل ان شئت جعلتها ـ على وجازتها ـ قصة طويلة .

ـ ١ ـ

فالفصل الأول هو تكذيب ثمود بالنذر . وتمثيل هذا التكذيب . وتصاويره اذ تعجبوا من اتباعهم بشرا واحدا واستبعدوا أن يكون هذا منهم . كما أنهم حسدوا هذا الرسول المرسل اليهم . على أن ألقي اليه الذكر والقرآن والنبوة وبساطة الدعاء . والرئاسة والجلال ... ! . بينما هم مأمورون باتباعه . والاقتداء به ! وقد تم طغوا على هذا الاتباع . بأنه ـ لوحده ـ يكونون في ضلال وسعر . وكذبوا على الرسول بأنه كذاب أشر . لكن الله سبحانه ـ يتوعدهم بأنهم (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر) .

وهذا ختام لهذا الفصل الكبير . وتهيئة . وتمهيد لتنزيل الغيب . والرسول . والقائلين والمستمعين . والشاهدين لانتشار هذا النبأ الذي سيعلمون أي من الكذاب الأشر ومن الشر النكير . ومن يكون في ضلال وتيه . وسعير وجنون . وعذاب وحريق !!

وهذا الفصل أو أصل التكذيب . انتبه على هذا التفصيل . وذاك التحليل والتعليل اذ وقفنا عن هذا التكذيب . وعلة ذلك التحليل والتعليل .. ! . وأنه أنفة الأنس . وعقدة الأثرة والمباهاة ! وهو الحسد .. !! . ثم ما يتبع ذلك . وينبع . من كبر . وغرور . وحسد . وتباغض !!!! .

وبا أيها هذا الفصل بفصل السورة الكبيرة ذات الفصول الثلاثة . التي تتحدث على التوالي . وعلى تقديم الفكرة أو الشخص أو الموضوع . ثم على تفصيل السراع وتأييد الأولياء في نهايته . بعد التدخل فيها في بدايته ! . ثم ما أنهى بختام هذا الفصل . بختام فصل السورة الذي يناسب الأول . وبعد البعد . وبنبي البداية . وبدأ العاقبة البعيدة . وبحل من التشويق . والارتقاب . ما يحمل المتأخرين الى متابعة متشوقين وبترصل أبطال القصة أو السورة . المتأخرين . ما يحسن . وينتظرون ! .

وبالجملة من الكافرين ، والمسلمين ، والمعاصرين ، والطالعين ، آذانا تسمع دويها تصم ، وقلوبا تعمى ، وعقولا تتكسر ، ثم أرواحا تتلبد ، وجوارح تتبع وألسنة تسرع وتحكي . ثم ما أشبه هذه الشبهات ، وتلك الدعاوى الكاذبة والدواعي الحاسدة والآراء الخاطئة والمغالطة ، بشبهات الكفار ، والمشركين ، ودعاوى المبطلين البطالين وشبهة المتحكمين الضالين ، وشاهاته الأفكرين المكابرين ، في عصر الرسول محمد عليه السلام ، وقبل عصره ، وعلى مدى الأجيال والسنين .. ! .

وشبهاتهم تتجلى في انكارهم اتباع بشر واحد ، منهم ، أو لهم .. ! . لمن يرسل إلى البشر ان لم يكن من البشر ؟ ومن يألف الناس ، ان لم يألفوا من جنسهم شكلهم من الناس ؟ ومن يتحدث الى القوم بلسانهم ، ان لم يتحدث اليهم من يكلمهم بلغتهم ولسانهم ؟ ! . وسر هذه السخطة ، ماتضمنته من مغالطة ، اذ جعلوا سبب ارسال الرسول الى قومه ، هو طلبة تكذيبهم به ، وتكفرهم له ، وشردهم عليه ، ومحاربتهم اياه ! .

وأصل هذا النمط من الجدال أو الكلام يمثل سخطات الملاحدة ، من المتفلسفين والجدليين ، في كل جيل وجيل .. ! . كما أن ذلك التعليل يتضح قياسا على وصفهم ، أنهم يتخيلون بشرا واحدا منهم — يكونون في مثال في الدنيا ، وفي عذاب في الآخرة ! !

وهذا النطق — على الدوائر ، والوجاهة ، والعراقة ، وتشريفه ، وتوجيهه — غريب عجيب ! لايكاد يصدقه عاقل ، ولايكاد يعترف به ناقد .. ! . ومن ثم جاءت الآية — القائمة لهذه الآية — توضح ، وفي تلك الدعاوى ، وتكشف السر المغيب في صدورهم ونفوسهم ، وقلوبهم ، وألبابهم ، وأنه علة العلل " الحسد " ! . وما يتبعه من آفات الحقد ، والكبر ، والغرور ، والتعصب المقيت ، والمغالطة الدنيئة ، والمنطق الأخرق ، والرأي الفج الأعمل . وبذلك الكشف عن الدواعي ، وبمعرفة أسباب الأسباب انفتحت أسرار الأسرار ، وانكشفت الآراء المغلطة ، والمغاطة ، وانعكست فيها تلك النفوس الحاسدة ، الحاقدة ، وذلك السلوك الأرعن المعوج ! . يسل انعكست فيها شبهات معاصرة ، لأناس حاسدين وأقوام ضالين ، ومتفلسفين ، وزنادقة ومكابرين ومغالطين ، وكذبين ، ومتحللين وفاسقين ! .

ثم يأتي السياق ، والاسداد ، في هذه الآية : (فقالوا : أبشرا منا واحدا نتبعه ؟).. أنتبع انسانا منا واحدا ؟ ! . هذا كثير !! — ثم هذا الذل .. ! هذا كثير على ذلك الانسان الواحد ، أن يستأثر بالذكر والفخر ، والشرف والسيادة والقدرة والكمال ! . ثم هذا الذل بالنسبة الى هذه الأكف الوافدة وتلك الفضائل المتعددة ، التي يطلب منها أن تتنازل تحت قيادة هذا الانسان الرسول ، وأن تتبعه ، وأن تتبعه ، وأن تسير على هداه أو هواه ! . انا اذا فعلنا ذلك ، واتبعناه — كنا في ضلال من أمرنا ، وفي جنون من شأننا ، ثم نصير في سعر وثمن ، وفي عذاب

وهمون ! لأننا أنبيا عصياننا ، وسعوا إرادتنا ، وسيادتنا ، لاتباع انسان مثلنا وفي ضلالنا ! ولكنه انسان ليس على شاكلتهم ، وان كان على عكسهم ! . ومن هنا اختير من بينهم ، وأرسل لهم ! ومن هنا وجب الاقتداء به ، واتباعهم أيضا ! ثم من هنا كانوا مبطلين في دعاويهم ، وان كانوا محقين في كشف دواعيهم ! وهذه الدواعي تبينها هذه الآية الدالة على الاستعباد والنفرة من الانقياد : (أألقي الذكر عليه من بيننا ؟!) . وقد كان هذا باقي منهم ، لبيان ماعندهم الا أنهم تعدوه ، وتجاوزوه ، حين اعتدوا بضلالهاتهم وضلالاتهم وأحقادهم ، الى ادعاء أن رسولهم ضالعا : (كذاب أشر ؟ ومن تكبر ! .

ولأجل هذا تدخل القرآن ، كما تدخل الديان ، لتوعد أولئك الحمقى ، السفهاء ، ولضعهم موضع الاحتقار والانتظار : (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر ؟!) . وهنا نقطة التجمع ، والتوسع ، التي تصل نهاية الفصل الأول ، ببداية الفصل الثاني ، والتي تتعدد المشاهد ، والمطالع ، والمسامع ، في لهفة وتشوف ، وفي ارتقاب وانتظار ..

— ب —

والفصل الثاني من هذه القصة الحوارية ، التي تحمل خصائص المسرحية أو سماتها التمثيلية . هذا الفصل الثاني عبارة عن قصة مستقلة ، هي قصة " الناقة " . وهذه القصة المستقلة تمثل بوضعها هذا — نواة القصة التي وقع فيها تمرد صالح وتمرد القصة التي حمله بهم من جراء طرحهم تلك الناقة ! . ثم تأتي الآية التي استوجبت حلول العذاب بهم ، والانتقام منهم : هذا الانتقام الذي يصور الفصل الثالث والأخير من هذه المأساة العنيفة ، بأبعادها الثلاثة ، أو من هذه "الدراما" التي تعتمد على الحوار ثم على التصوير ! . أو من هذه " التراجيديا" الفاجعة الموجعة ، التي تحمل عذاب أممهم ، خاصوا بضلالتهم وشقاوتهم وغيهم فاجعتهم هذه للفكر والأذكار . يصور هذا الفصل الثاني ، هذا الجانب المستقل المتمثل في هذه الناقة التي أرسلت فتنة لهم ، وبشار أعطاء وعطايا ، وموضع انقسام وتعذيب . وهذا الجانب — وحده — قصة كاملة ، ومستقلة ، غير أنه — بتمامه وكماله ، وموضع اختياره وانتقاده ، ثم بتعليق القرآن على جريمتهم بعقر الناقة ، كان له اتصال بالفصل الأول ، فصل " التكذيب " كما كان له اتصال بالفصل الثالث ، فصل " الانتقام والتعذيب ! . ومن ثم عددته أحد الفصول الثلاثة ، التي هي مضامين هذه القصة العنيفة ! . وهو أي الفصل الثاني — يشبه الفصل الأول ، فيما اعتماده على عنصر " الحوار " المفصل ، والمحلل ، والمعلل . ولذا اسم هذان الفصلان بسمات المسرحية ، أو بسمات القصة الحوارية . ثم هو — وان أشبه

الفصل الأول ـ يختلف من فصل المذاب الأخير ، الذى يعتمد على الاخبار ، والتقرير ، والتصوير ! . ومن ثم كانت هذه القصة " قصة حوارية " أولا ثم قصة تصويرية ثانيا .

على أن فصولها الثلاثة ـ من التماسك ، والترابط ـ بحيث يكون ختام الأول بشيرا للثاني ، وختام الثاني ، تمهيدا للثالث . وبحيث يكون كل فصل مستقلا ، ومتصلا ، ومعللا ، لجزئيته الخاصة به ، ولعنصره الحال فيه . فجزئية التكذيب في قصة " ثمود " هذه ـ كما رأيناها في الفصل الأول جاءت مختلفة ، ومعللة ، ومعالجة بخلاف جزئية " التكذيب " هذه ، في قصة " عاد " التي وقعت قبل هذه . فقد جاءت في كلمة واحدة ، أو جملة واحدة ، وهي (كذبت عاد) . أما تكذيب ثمود في قصة ثمود ، فقد جاءت هكذا ، كما ذكرنا وشرحنا : (كذبت ثمود بالنذر) .. فقالوا : أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر .. ألقي الذكر عليه من بيننا ؟ ! .. بل هو كذاب أشر .. !) .

ومن هنا كانت قصة ثمود ، مختلفة عن قصة عاد وان تشابهت مع قصة نوح ، في قصة نوح : (كذبت قبلهم قوم نوح .. فكذبوا عبدنا ، وقالوا : مجنون ، وازدجر !) . هي تشبيها من جهات التفصيل والتحليل ، والغرض الفائد ، ومن حيث التأويل ! . فقصة نوح من القصص التاريخي القديم . والدال على ذلك كلمة (قبلهم) التي تحمل البكارة الزمانية للقصة . ومن النقدات الغامرة التي تعترك في قصص التكذيب الشائعة في سورة القمر هذه ـ ايثار " كذبت " بتاء التأنيث ، على " كذب " الدال على التذكير ! . تاء التأنيث ، هذه سلبت أولئك الأقوام رجولتهم العتي ، وبطولتهم الصدق ، وخولتهم الحقيقة لأنهم داعبوا الدعوات ولم يقفوا موقف الرجال ! وسواء في هذا ، قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وقوم لوط ! . هذا بالنسبة للنقدات الموثقة في أوائل كل قصة ، من هذه القصص الأربعة ! .

أما من جهة المشابهة في التحليل ، والتفصيل ، بين قصة نوح الأولى وقصة ثمود الثانية . فيتجلى بعد الذي ذكرناه ـ في اسناد التكذيب اليهم بعد أن سلبوا رجولتهم ـ وفي اسناد تكذيبهم نوعا ، المعبر عنه بأنه " عبد الله " (فكذبوا عبدنا) ثم في قذف نوح بشبهة الجنون ، كما في قذف صالح بأنه كذاب أشر ، وكما في رميهم بأنهم في ضلال ، وفي جنون ، اذا اتبعوه ! . وفي هذا تجريح معنى لصالح واتباعه بالضلال ، وبالجنون ! . ثم كلمة (ازدجر) المشتقة من الزجر ، وهو الانتهار .. ! ففيها قصص طوال ، وحوادث من الاهانات عديدة ، تنم عنها ، وتدل عليها ، تقابل تلك الاتهامات والافتراءات والاختلاقات ، التي وجهت من ثمود ، على

صالح عليه السلام . هذه وجه الشبه بين القصتين : ناقة ثمود . وناقة البسوس .
غير أن ناقة ثمود ـ الى جانب تصويرها الحوادث ـ قد حملت الاشراف على نبي عليه السلام . وجعلت القبيلة قبيلة : الكذيب . قبيلة عصبية أكثر منها قبيلة دينية !
(الذين قالوا لنبيهم ثمود) نوحا . وفي قوله لم يذكر اسم صالح . وان رمز البسوس بالبعير ـ ما جعل قبيلة الكذيب . في قصة ثمود قبيلة دينية . انسانية عالمية . مستمرة . وخالدة . قبل أن تكون قبيلة عنس أو أعشاش . هذا أحد الفروق بين القصتين !
ويعزز هذا الذي قلته . تكرار الكذيب ثانية . ليضيف جديدا . وهو تسمية كاملة " نبي " لدى ربه . (فكذبوا عبدنا) . واذا كان نبي عبد الله . الجنس فان الله يحميه . ويليه . من كل مايؤذيه !. ومن هنا يبدو دعاء نبي ربه . الذي مر قبله . وحالته : (فدعا ربه أني مغلوب . فانتصر) . ولأن دعا يستجاب له أبواب السماء . يقبل الدعاء . كما تفتح على نبيه أبواب السماء بماء منهمر .
وكما أن له أودية في الأرض . تنفجر من أجله الأرض . " وتتفجر عيونا . وأبوابا وجسورا . وبراكين . وينابيعا متدفقة . تلتقي مع ماء السماء . على أمر قد قدر . ليس ليست طوفانه طبيعية . دون حكمة . وبقدر ما سبب أنانا يلتقي الماء ليبدأ على أمر قد قدر .. !. وبحرفة مايتبين " وأن هذا من اعمالك للأنام . طوفان ذكر حواء الأنام . ولأنبيه نبي الرسول ـ عليه السلام ـ . ولابرار انصار الله أيده جاءت نقرة ظهرك . مسلطة على أجساد سفينة (وسلام على نوح في العالمين) جزاء لمن كان كفر .. !) .
لاسم السفينة لا وجود له . ولايصح أن يكون اعتباطا يطلق جزافا اسم عشوائي . (وسلام) تبرها كل جسام التكريم والتعظيم . بل والتوقير والتقدير . و (ذاك أنواع وصور) تبرها مذابة بالصورة في التعبير والتصوير . لتجعل الخيال العربي . الصحراوي يتقبل كما يطلب له . ويتمثل عينا ما يجري في البحار قد اتخذ من أخشاب وسواري . وحمل كثيرا منهم الذي يعظم ضرره . وما يرى سفينة في بحر . أو يصنعه بحرا من البحار . على ابتكار القرآن جانب الكناية هنا . أيضا في التعريج باسم هذا الموصوف . وكأني بما يوحي بهذا الموصوف . للأنبياء . والمرسلين والمصورين . لهذه الآية (وسلام على نوح في العالمين) لوحة كاملة وجيهة . وأنيقة . تسير وتجري . ثم تسرع وتجري .. (تجري بأعيننا) تجري بأمين الله . بوحيه . وتأييده . وتسديده . لتتحمل العباب والأمواج . وتشق السحاب . وتبخر العذاب . وحينئذ تكون الرياح طوع مرادها وتكون الأرض رهن عدائها وسقائها .

و (تجري) تطمئن الشاهد للعادة الطغيانية ، أو البطاش للقصة القرآنية لتجعلها تجري بمثل حبها ، وتجعلها تجري بخيالها وقلبها ، وشاعرها وفؤادها ، وظلمها وأرائها ، مرتقبا عاطفي النجاة والأمان . و (تجري بأعيننا) من أجل جزاء هذا الذي كفروا وتجرأ وتجبر وتمرد وسخر ..! . وفي هذا التعليل بالأجنبية أو المصاحبة بالحالية ـ اظهار للشخصية ، شخصية نوح ، واظهار لتكاتف حوله ، الذي أجاب دعاءه وحفظ رجاءه ، وله قد انتصر !

وإذا رأينا سيادة الشخصية ، أسميناها : " قصة شخصية " وإذا حفظنا جناحها الحديثة ، أسميناها : " قصة أحداث " ـ كما أطلقت عليها من قبل . ثم إذا نظرنا الى مراميها الخاصة ، والعامة ، مثل : (" جزاء لمن كان كفر ") . ومثل : (ولقد تركناها آية ، فهل من مدكر ؟!) أسميناها : قصة فكرية ، أو عقلية .

وإذا نظرنا اليها من جهة أساليبها البيانية ، والمعنوية ، والبديعية والموسيقية أسميناها : " قصة تصويرية ، أو قصة موسيقية ، أو قصة جمالية " .

على أن هذه الأسماء ، وتلك الأوصاف صحيحة كلها ، في اختلافها وتباعدها . فهي " قصة أحداث " و " قصة شخصية " و " قصة فكرية " و " قصة جمالية : تصويرية ، وموسيقية " .

أما قصة نوح ، فهي قصة " الانسانية " وهي قصة الفكرة الدينية ، وتكرر ، وتنامى بتعدد ، حدثت في أيام الرسول عليه السلام ، على لسان نوح ومناوئيه وحاسديه ومبغضيه ، مثل : (أبشرا منا واحدا نتبعه ؟!) .. ومثل : (ألقي الذكر عليه من بيننا ؟!) . على أنها تتسم بسمة الزمان ، المحدد لأحداثها ، بهدف التتابع ومثله الانتهاء : (إنا إذاً لفي ضلال وسعر) ـ (بل هو كذاب أشر !) . فهذا تقلص كاذب ، وسخط واهية مغالطة ، تذكرنا بمغالطات اليونانيين ، في العصر القديم ، كما تذكرنا بمغالطات الوجوديين ، واللاأدريين واللا أخلاقيين ، من المستشرقين ، والمستغربين ، ومن لا يشون إلى هؤلاء ولا إلى أولئك ! .

والذي فقصة نوح ، هي قصة نوح ، وإن كانت من العموم والشمول ، بحيث تحمل السمات الانسانية ، والقضايا البشرية ، والفكرة في كل عصر ، وعصر ! وهي ـ إلى جانب موضوعها ، ودلالتها ، واستمرارها تتسم بسمة عصرها ، وناسها ، بعقولهم البشرية ، ونفوسهم الواجدة ، العاقلة . بالحفاظ لها باستمرار الأثر . وبالحفاظ لها جواب الكمال الفني ، والجمال الأدبي .

والقرآن ـ بتعقيبه على الفصل الأول ـ (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر ؟!)

لم يعد الى ديارهم ، ولم يعدل في مقاماتهم ، ولم يعد الى مستقرهم ، بل تولى أمرهم الى الزمن وأشهد الناس عليهم ، ليحكموا لهم ، أو عليهم ، ثم تبرأ هذا الحكم للفصل الثاني ، الذي يبين هذا التعلق الذي خص به ذلك الفصل الأول .

وإذا كان تكذيب قوم نوح موجها الى نوح ، وواقعا منهم عليه — فان تكذيب قوم موجها الى النذر ، أي الانذارات قبل أن يوجه الى صالح أو الأنبياء . ومن هنا جاء ذكر صالح ، ولم يجر به ثم من هناك ذكر اسم نوح ، وجر به ، وكذلك تتبع نوحا في شكواه من بلواه ، وفي دعائه ربه ورجائه ، أن ينتصر له ، كما تتبعه في حمله على ذات الواح ودسر ، وفي جريه بسفينته تحت أعين الله ورعايته ويحمل السفينة تجري ، ليبقى أثر القصة يبقى ، ولتظل الذكرى تردده : (فهل من مدكر ؟)

أما في قصة لوط ، فلم يتتبع صالحا ! .. إنما اكتفى ، في الفصل الثاني — كما سنرى — بذكر قصة الملائكة التي كانت قادمة لتبشر ، وبعدها لهم ، وبلغة لمقابلة الله إبراهيم .. !

وفي إعداد النذر التي سبقت القصة لتجسيمها ، وضرب المثل بها — في هذا وصل بالحكمة البالغة التي تقول : (فما تغني النذر) !. وهذه هي آيات الفصل الثاني ، من قصة لوط : (إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم ، واصطبر ، ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر . فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ، فكيف كان عذابي ونذر ؟!) .

لهذه الناقة أرسلها الله سبحانه ، فتنة لهؤلاء المكذبين ، واختبارا لهم ليعلم صدقهم نبي الله ، أو كذبهم معه ، ثم ليعرفه مدى غضبهم لله أو مدى تكبرهم عليه ! . وما على رسولهم صالح الا أن يرتقبهم ويصطبر ثم ما عليه الا أن ينبئهم بأن الماء قسمة بينهم : كل شرب محتضر . بيد أنهم لم ينجحوا في هذا الاختبار فنادوا صاحبهم وأمكنهم فتعاطى الناقة ، وياها لله عقرا ! وإذن حقت الفتنة وحلت اللعنة ، ونزل العقاب وجاءهم العذاب .. (فكيف كان عذابي ونذر ؟)

في هذا الاستفهام الأخير تهويل ، وتهويل ، وتدمير وجلة لهذا الفصل الثاني بالفصل الثالث والأخير . وشخصية الرسول صالح عليه السلام ، تظهر في هذا الفصل الثاني ، من خلال الأوامر الملقاة على كاهله ، ومن خلال الإرشادات والنصائح الموجهة إليه : (فارتقبهم ، واصطبر ، ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر)

وهنا يتجلى دوره في هذه القصة . وما لا شك فيه أنه — وهو الرسول — قد امتثل ، فارتقب ، واصطبر ، وأنبأ قومه بأن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ! لكنهم لم يمتثلوا ، ولم يصطبروا .. ! . وبدلا أن نادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ! وهنا نجدهم يسرعون في طلبه الشر ، وتعجيله ! فما أقرب الندامة ، والتعاطي والذبح ! (ما أعظم الدور الذي لعبه الماء .. ! .. (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر !) .

وما أليم عذاب الله منهم ، وانتقامه لجريمتهم : (فكيف كان عذابي ، ونذر ؟!) وهذه هي الآية السائدة في القصص السابقة . ففي ختام قصة نوح أو قوم لوط: (فكيف كان عذابي ، ونذر ؟!) . وفي ختام قصة هود : (فكيف كان عذابي ونذر ؟) . ثم في ختام قصة ثمود ، أو على وجه التحديد ، في ختام الفصل الثاني المعد للتعذيب ، وتأكيد التدمير : (فكيف كان عذابي ، ونذر ؟) . ثم إذا نظرنا في سائر القصص لصورة القمر ، هذه ، وجدنا هذا الاستفهام يأخذ أسلوب الأمر ، الحامل للتهويل والإخافات ، إذ في ختام قصة قوم لوط ، الرابعة : (فذوقوا عذابي ، ونذر ؟!) وقبل هذا الختام : (فذوقوا عذابي ، ونذر ؟!) . ولهذا صلة وثقى ، بتلك الحكمة البالغة : (فحاق بهم نذر) .

وإذن هذه الجملة (فكيف كان عذابي ، ونذر ؟) أدت دورا قديما ، وخصيصا وخصيصا في بناء القصة وتصميمها ، ثم في وصل قصص السورة بعضها بالبعض الآخر وهي هنا في قصة ثمود ، وبخت الفصل الثاني ، بالفصل الثالث الأخير . بعد أن مهدت له وهيأت الأذهان والوجدان إلى قبوله ، والانفعال عليه ، وتلقيه . والآية التي تصور الفصل الثالث هي : ـ

(ج)

(إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) . في هذه الآية تأثير ، وتصوير ، للعذاب الحال بثمود ، بعد أن تعاطى صاحبهم ، فعقر الناقة . وجملة التقرير بفاء في هذه الحكاية : (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) ثم هذا التصوير الجميل في هذا التشبيه : (فكانوا كهشيم المحتظر !) . على أن ذلك التقرير إلى جانب التهويل والتصوير فالصيحة لا ترسل على وجه الحقيقة . والمراد من الصيحة آثارها المترتبة عليها بدليل هذا التشبيه ، الواقع بعدها . (فكانوا كهشيم المحتظر) والمحتظر ـ الحظار ـ صاحب الحظيرة ـ كأحد صاحب الغنم الذي يجمع الحشيش في الحظيرة لغنمه ، فهم ـ بعد حلول العذاب بهم ـ صاروا كالحطب اليابس المتكسر .. ! . وتلك السنة ذات الأوراح والدمر ـ وإن لم تكن مألوفة عند العرب قديما ، لأنهم أمة بدوية ، صحراوية ـ يختلف عنها هشيم المحتظر ، إذ أنه مألوف لديهم معروف . ومن ثم لم يجز بأسهم ذلك والتي يصفانها الدالة على وصولها .. بينما هنا قد صرح بالمشبه به ، لأنه يلائمهم لديه ، وأنهم أبناء .. ! . وما أصدق تلك التشبيه ـ هنا ـ في آية العذاب ، من إرسال الصيحة عليهم ، وحلول اللعنة بهم ، وعكس الانتقام منهم .. ! . ثم ما أليم الإرسالين بعضها من بعض : إرسال الناقة فتنة لهم . وإرسال الصيحة الواحدة عليهم .. ! ثم هنا تذييل هام بمثابة الختام ، لقصص التكذيب الأربعة . عقب كل قصة تنتهي بحلول العذاب ، يأتي هذا الختام الرائع ، المتمثل في هذه الآية الكريمة :

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟!) .

فقد وردت هذه الآية الكريمة أربع مرات ، في أربع قصص : آخر قصة قوم نوح ، وآخر قصة عاد وآخر قصة ثمود ، ثم آخر قصة قوم لوط . وبهذا ، ور كبير في تختم كل قصة وفي وصل كل قصة بما قبلها ، وما بعدها . ثم في الايماء بالانتقال الزمني والفكري ، والقصصي ، من فترة الى فترة ومن فكرة الى فكرة ، ومن قصة الى قصة أخرى ، كما أن لها أثرا الأدوار ، في التوقيع الموسيقي ، بين قصص السورة كلها بحيث يجعل منها : ملحمة درامية ، أو " سيمفونية " موسيقية أو صلا متناسكا وثيقا يسري في نظام مهجري بانسياب واحكام لا انفصال بينه ، ولا انفصام .. ! .

وهذه السورة — بهذه الصورة — تشبه في بنائها الرسيقي ، والفني ، والبنائي — مجموعة سورة المرسلات . مما يجعلنا نسجل في اعجاب واجلال ، ملامح ذلك النظام وسمات هذا الجمال .. ! .

قصة قوم لوط

(كذبت قوم لوط بالنذر . إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر . ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر . ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر . ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ؟ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟ !) .

كذلك كذبت قوم لوط بالنذر — فالتكذيب مسند الى قوم لوط وواقع منهم ، وواقع على النذر . وليس بين كذبت ، وقوم لوط — فاصل — يجيز تأنيث الفعل — كما رأينا — في (كذبت قبلهم قوم نوح) مما يدل على أن رجولتهم ، ناقصة ، أو منحرفة ، أو فاسدة ، وأن تسميتهم بالقوم — تسمية خاطئة ، أو مخطئة ، اذ هم لا يستقامونها ولا يستحقونها وتكذيبهم منصب على النذر . والنذر — هنا — هي المثل الحقيقي ، في قصة .. قوم لوط — هذه . فارسال الله الحاصب عليهم ، وهو الريح العاصفة (١) (٢) التي ترمي بالحصباء ، وهي الحصا الصغار " أو أن الحاصب هو " صغار الحجارة التي دمرت مباني قريتهم تدميرا كاملا ، وأهلكت أهلها " الأول ، ارسال الله الحاصب عليهم ، ريحا ، أو حجارة ، نذير كبير ، وخطير من تلك النذر ! وانذارهم بطشة الله ، وغضبه ، وانتقامه — بعض النذر . ثم شكهم في تلك النذر وفي ذلك التحذير .. دليل على خروجهم على تلك النذر ودليل على عدم فنائه تلك النذر . ومراودتهم لوطا عن ضيفه من الملائكة ، وطمس الله أعينهم بسبب تلك المراودة الآثمة — تنفيذ لتلك النذر . ثم تصبيحهم في وقت البكر بعذاب مستقر وذوقهم عذاب الله ، ونذره تحقيق لتلك النذر . كل هذا يدل على أن النذر التي كذب بها قوم لوط ، هي الفكرة السائدة ، وهي العنصر البارز الذي تدور حوله الأحداث ، وتلتقي عنده صور التكذيب كما تبين ، آية هذه القصة .

وهذه القصة ، قصة قوم لوط ، في سورة القمر — يمكن تقسيمها عدة أقسام ، أو عدة فصول صغيرة كما يمكن جعلها قصة واحدة ، ذات مناظر متعددة ، فالآيات الثلاثة الأولى من القصة ، وهي : (كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر ، نعمة من عندنا — كذلك نجزي من شكر) .. هذه الآيات الثلاثة — وحدها — قصة مستقلة ، لها بكرة من صيحة التكذيب وأن تكذيبها بالنذر ، حصل من قوم لوط ، وهذه النذر ، لها مظاهر وصور ، كإرسال الله عليهم حاصبا من الريح ، أو من الحجارة بعدا آل لوط فقد نجاهم الله بسحر ، عندما لاذوا بالهجرة والسفر ، وهذه النجية لآل لوط — ليست إلا نعمة من عند الله وهذه النعمة من الله ، يجزي بها من شكر ، ففي هذه الآيات الثلاثة التي لم تكمل سطرين كاملين ، عناصر القصة ، فلها التمهيد : (كذبت قوم لوط بالنذر) وهذا التمهيد — في حد ذاته — هو الفكرة وهو السر في وقوع العذاب ، أي في تطور الحوادث وسير حركة القصة ، ثم من هذا التمهيد تتسلسل الحوادث وتتصل وتقع في رتابة وتظلم بجفاف ومعاناة ، وهذا التمهيد هو عنصر مهم للقصة ، ثم إرسال الله عليهم حاصبا من الريح ذات الحجارة أو من الحجارة المثارة في الريح وحلول ذلك العذاب بقوم لوط وإنجاء آل لوط منه ، هو الفصل الثاني والأخير من قصة إنجاء آل لوط أو قصة آل لوط — لهذا سلطت الأضواء على جزئية الإنجاء وقد سبق لها بما سبق أن القصة التمهيد ، ولأن فكرة الإنجاء هذه هي المقصودة من هذه الأضبوطة أو القصة القصيرة ، ذكرت بمناسبتها الربانية ، وأن تجنيبهم كانت في وقت " السحر " ، كما ذكرت أسبابها الفلسفية ، الخاصة : (نعمة من عندنا) وكما ذكرت آثارها الفلسفية والعقيدية العامة الخالدة : (كذلك نجزي من شكر) .

فإذا جعلنا هذه الآيات خاصة بآل لوط — كانت قصة مستقلة وإن لم تتجاوز سطرين ، وإن جعلنا الآيات الثلاثة هذه وما بعدها من الآيات التي سبق أن كتبتها في أول : " قصة قوم لوط " — إن جعلناها هذه الطائفة ، من الآيات ، خاصة بقوم لوط ، طبعا ... كانت هذه الطائفة كلها — تكون قصة ذات مناظر أو فصول أو ذات أطراف وحلقات ، وكانت هذه الآيات الثلاثة ، التي تدور حول فكرة الإنجاء — تمثل فصلا من فصول القصة ، ويكون جانبا منها أو منظرا فيها أو مرحلة من مراحلها ، بل هي تكون القصة مكتملة أولا ، بمفرداتها ، ثم تأتي الفصول الأخرى أو الأقسام الأخرى ، تبين هذا الإبهام ، وتوضح ذلك الإجمال ، وتفصل تلك القصة ، ففي هذه الآيات الثلاثة : رأينا التكذيب قوم لوط بالنذر — وشاهدنا إرسال الحاصب عليهم وأدركنا إهلاكهم به ، ثم لمحنا إنجاء آل لوط ، من ذلك الإهلاك ورأينا نجاتهم بالسحر ، وهذه هي قصة قوم لوط ، بكل مراحلها ومناظرها ، وفصولها وجزئياتها ثم مع استيفاء القصة هذه العناصر أو المراحل — جرى بأسلوبها الخاص منها الخاص لها (نعمة من عندنا)

كما جيء بالهدف العام ، الذي يبقى أثره على مدى الأعوام ، وهو — كما عرفنا — (كذلك نجزي من شكر) مثل ذلك النجاء أو الانجاء يجزي كل من يشكر نعم الله . فهي قصة وهدف علم ، ليست من قصة خاصة ، وهدف — كذلك — عام إ . ثم جيء الآيات التاليات بالقصة مفصلة من أولها فبدأ بالإنذار ثم لوط بخطة الله ، وردهم في ذلك الإنذار ، أو مراودتهم له .

وهذا هو الفصل الأول الموضح لتلك القصة المكملة أو هذه القصيدة الأولى ، المشاركة لتلك القصة القصيرة — مثل هذه القصيدة أو هذا الفصل ، هذه الآية :

(أ)

(ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر) .. والإنذار يدل على عطاب وكلام كما أن المراء — وهو الجدل — يأتي عن حوار وجدال وكما أن المرية — وهي الشك — تتصل بمضمون ذلك الانذار ، وما احتوى من توجيهات وأفكار ، ومن مقاصد وأسرار . فهذه القصيدة تعتمد على الحركة الصوتية أو الحوار الضمني ، فهي حوارية ، وان لم تسجل فيها حديثا أو يدخل فيها كلام .

وهذه الأقصوصة أو هذا الفصل الموضح تلك القصة يعتمد على عنصرين مهمين :

(١) عنصر خاص برسولهم لوط وهو انذارهم بطشة الله .

(٢) عنصر خاص بقوم لوط وهو شكهم أو جدلهم في ذلك الإنذار . والعنصر الأول فيه تحقيق وقوع الانذار وفي هذا التحقق تبرئة للوط عليه السلام . ثم في العنصر الثاني مبادرتهم بالشك ، ومبادرتهم بالجدل في هذه وتلك تسرهم الظالمين أو إصرارهم العنيد ! . والذي أداه العنصر الأول — بما فيه من تحقق وتبرئة — هو نظم الحكاية في أسلوب مؤكد بأكثر من مؤكد : (ولقد أنذرهم بطشتنا) . فالسورة تعطف قصة على قصة كما تعطف مذكورا على محذوف ، أو محمولا على مجهول . والكلام صادر من الله ، فلا يحتاج الى قسم . وصدوره من الله ، أقوى من كل قسم . فسم اللام جواب لقسم ، وأدوات القسم غير موجودة وان كانت مقدرة ! . وقد — تفيد التحقق والتأكيد . وهي — بهذا — تنفي الشك ، وتؤكد ، وتؤيد . ثم كلمة "البطشة" فيها معنى " الأخذة " أو " الضربة " أو " الشدة " أو ما اليها ، مما يذكرنا ببطش الله الشديد في سورة البروج : (ان بطش ربك لشديد ... انه هو يبدئ ويعيد .. وهو الغفور الودود) . فبطش الله شديد ، وقد رأينا في إرسال الحاصب عليهم ، وفي قذفهم به . أنه هو يبدئ ويعيد ، وهو نفسه في هذه السورة ، من آيات قصة قوم لوط — يبدئ ويعيد ، وهو الغفور الودود . وقد رأينا آثار ودّه ومغفرته في إنجاء آل لوط . بسحر ، وفي اختصاصهم بنعمة من عنده الله وفي مجازاة من شكر .

كما أن البطشة ـ هنا ـ ستعود الى الله وتدخل هذا الانذار «انذار» النسول : ان البطشة ـ هنا ـ ذكرنا بالسبعة الواحدة التي كانت سببا في إهلاك ثمود .
وان كانت البطشة أشد بالعذاب . وأدل على الإهلاك . (ولقد أنذرهم بطشتنا) .
وهذا الجانب من الآية ـ يريد العنصر الأول من هذه القسمة : عنصر التعليق .
وعنصر التهديد للانذار له وقع من نفوس لهم والإنذار له وقع عند كبير وتابع
وسافل ورئيس . والقرآن ـ بهذا القص في تلك الحكاية أو بهذه المقابلة
في تلك الأسوة ـ يريد ساحة لسوط وقلبه . ويعلن عجلته . وحثه . كما
يثبت للمكذبين وقوع النذر . قبل حلول العذاب . (تعاونوا بالنذر) . وفي هذا القسم
الثاني من الآية . يأتي العنصر الثاني الخاص بقسم لوط ـ وهو تسجيل عليهم أو توكيدهم
في صحة الانذار . وفي محتواه . والذي أفاد البداءة . والمفاجأة . والمباغتة في الليل .
والذي أفاد العناد . هو جمع النذر وإجتماعهم على الفتك بهما . والصياح في مساكنهما
ومراتعهما .

(ب)

وكما تمثل هذه القسمة الثانية أو هذا الفصل الثاني . من الآيتين السابعة
هذه الآية : (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم .. فذوقوا عذابي . ونذر)
في هذه القسمة تعلق للعنصر الأول منها بالتوكيد . من طريق الأقسام الدالة على
السلام . ومن وجود " قد " في صدر الكلام ثم من صدور هذا القص من الله العظيم
في هذا التعلق بالتوكيد . تنبيه لوط عليه السلام وتنبيه له عليهم السلام .
وتلبية الحكاية . التي تروي لحظة عنيفة . وعجلة وعجرفة . وعجزا لرسول يحمل توكيد
وعدوله العذاب . والعذاب . من عبيد الطيبين . من الملائكة المرسلين ؟ ! وكأنما
(راودوه) تحمل أساليب شتى . وطرقا مختلفة وحيلا متنوعة وسوءا عديدة . ومن
ثم اتحد هذا العنصر أو الجانب من الأسوة على التكرير . والتصوير . (فطمسنا أعينهم)
وإذا حذر لوط عليه السلام في هؤلاء الأقوام فان الله لا يترك عدوه . ولا يدعه يحسبه
سهلا . بل انه يأخذهم بالقطعة على وجوههم . ويجعلهم يطمس أعينهم .. تلك الأعين
التي تشرف الى وجوه أولئك الملائكة . نظر حر . وأمر خطير . فطمسها الله على
طمسا انذار لهم وتحذير . من عذاب عام . فيه استئصال لهم وتدمير وهذا هو
العنصر الثاني من هذه القسمة إزاء الأسوة الثانية بصاحبها الخاص بأولئك
الأقوام . وبهذا الاعتبار ـ تقابل الأسوة الأولى . بصاحبها الخاص : بالانذار
أولئك الأقوام . وبالتأثير من ذلك الانذار . فهذه الأسوة يتبين بها قوة الرسول
كما يتبين بها ليه المكذبون . والأسوة الثانية . يتطلع بها هؤلاء القاسيون
كما يتعلم فيها رب العالمين . وبين الأسوتين . تماثل لفوى وأمين وعالمين .

(ولقد أخذهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) فقابل (ولقد راودوه عن ضيفه) وهذه نتيجة سلبية لذلك الانذار ثم : (فكذبوا بالنذر) حتى صح : (فطمسنا أعينهم) . وهذه نتيجة حتمية لمن يقف في انذار الله . ولمن يجادل في كلماته . وآياته . وبالتالي . لم يتبع من هذا التقابل والاتفاق . بين الأمرين : الأول . والثانية . أو بين التعليلين الأول والثاني - يتبع من ذلك كله - استعداد للانذار واستعداد للعذاب والنكال (فذوقوا عذابي ونذر) والعذاب التام . المتكامل المجتمع . لم يأت بعد . ولم يقع حتى يشهد النبي الذي عليه والمطلعين على قصته . أو المتأملين كتابه . كما تعمل ذلك في ختام قصة تلو قصة . وفي ختام قصة نوح وفي نهاية كل قصة كان يرد هذا الاستفهام وذلك الاستبعاد : (فكيف كان عذابي ونذر ؟!) .

أما هنا - في الفصل الثاني - من القصة - فالعذاب المجتمع المتكامل لما يقع حتى يشهد عليه - كما قلنا . ومن ثم عدل عن ذلك الاستفهام الذي يرد ثلاث مرات - الى ذلك الأمر الحتم بتحتم العذاب والهوان . وطابع الاستقرار والاستمرار : (فذوقوا عذابي . ونذر) . حتى اذا جاء العقبة الفاصلة لأولئك الشواذ القصة . اذ يصبحهم في البكور عذاب مستقر يقال لهم - بعد ذلك وفوق ذلك كما قيل لهم قبل ذلك : (فذوقوا عذابي . ونذر) . تلقى وبعد ذلك العذاب المهين . وانحراف الرجولية عن نهجها السليم . وطريقها المستقيم . وتحكيمها الشهوات . وجلب به السيئات واتصلت به النذر والنذائر . ووعدنا مع القرآن بيوم الفزع لهم والهوان : (فذوقوا عذابي ونذر) .

وهذه العقبة المتأصلة هائلة أم أولئك الشواذ الكبار . والى تمثل الفصل الأخير والمطير . من قصة الانذار والتحذير . هذه العقبة الماثلة في الفصل الثالث - تجسمها الآيتان اللتان تلتا آية المثل السابقة - وبين الآيتين ارتباط في قصة العقبة . وفي إنهاء الأحداث . أو في تطويرها . واستمرارها والآيتان . هنا :

(ج)

(ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر) ... فالآية الأولى منهما - يصور القرآن في هذا الفصل الثالث الأخير . جانب الاتصال العام أو صورة العذاب المستقر لهم . المتمكن منهم : استقرار النذر الدائم فيهم وتمكن العلة منهم . وهو عذاب يماثل تكرهم . وتبورهم . وانقلابهم الى قلب دبارهم . وجعل عاليها سافلها كما يخبرنا به يعبرون ويحدون وأد يؤذن بأنهم على أن هذا العذاب المستقر قد جرى مدى الدهر تجاههم الذي بالنذر في الشعر ... انه استقرار مع من بقي في النذر . وفاتي ذلك النذير ... ثم هو قد صبحهم بعد ليل التم . فانتبهم وجاءهم على غرة . وفي حين غفلة بكرة . وهدوء عيلة . كما فاجأهم ليوطا وقبله ..!

.

والعذاب المستقر هو الذي صبحهم ..! . مساء صباحهم . كما ساء مساؤهم ..! .
وكما كانت عادة آل لوط في السحر - كان في الصباح الباكر - عذاب قريب . المستقر
قريبة التحول بالليل . وبالنهار . وهذا الفعل الأخير مفيد بأن الغالبية في الصباح والبكور
كما أن عذابه مفيد بقيود الاستقرار . والتدرج . والتحول . والتكثير . وكعذاب العذاب
هذا تصور الآية . بمثلها العقل مع الآيات السابقات . فيه - أيضا - التركيب .
بنسبة الكلام إلى الله . وبالأفعال الدال على الكلام وبقدر الواقعة في أول الكلام .
ثم فيه - كذلك - عنصر المفاجأة . والمباغتة . كما أشرنا - إذ صبحهم - وليس في أي
وقت من النهار - ولا في الصباح - بل "بكرة" وهم في نوم . أو هم على وشك النهوض
من النوم . والأحلام والأنعام . ثم فيه جانب الدهشة . فهو عذاب غريب عجيب
يماثل عذابهم العجيب الغريب! . وفيه جانب القهر . لأن عذاب مستقر ومقيم .
ومخلد . ومتجدد . كما تماثل من قبل - في العذاب بالريح العاصف . وفي العذاب .
بالحجارة المسومة . وفي طمس أعينهم الآنفة . التي لم تهتد إلى الطريق المستقيم!
وفي هذا العذاب المستقر العظيم جانب التعظيم والتهويل والتخويف والتعذيب!
فإنه عذاب عظيم وهائل ومخيف ورهيب - كما أنه عذاب كثير . ومتجدد . ومتعدد ومتنوع!
والعذاب قد أقحمهم بغتة . صبحا . بكرا . كما أسلفنا وأشرنا . وراودهم ومراوديهم
وفعل ذلك العذاب في قصة قوم لوط هذه - هو تلك الآثام التي تجاهروا . وتمادى
فواحش . ورجاساتهم فيما بعد بين . وبينها أثر صباح . وبكرا طلب بكر . فآثار جرائمهم
البشعة تطفح على جلودهم وتسم بشرهم وهيئاتهم وتحمل لهم البصري الذي يطمس
أعينهم . والذوب التي تماثل الحجارة المسومة المعدة . النازلة على رؤسهم ومجموعهم
تلك الذوب التي تتوجهم بالشر والصديد . والدماء والسواد . مما يلهم بعض .
ويحل لهم . إذ أنه عذاب مستقر ..! .

ومن هنا فالعذاب نازل لهم . والنذر موجهة دائما إليهم حتى بعد ذلك العذاب
المستقر : (فذوقوا عذابي . ونذر) .

وتختم هذا الفصل الثالث - الذي اختتم به هذه القصة : قصة قوم لوط القصيرة
التعليمية بعد قصة "آل لوط" الفائقة الفنية . هذا الختام الذي يختتم
بها . وفي مستقرا مثل عذابهم لم يكن مبعدا لهم . ولأشباههم .

(فذوقوا عذابي . ونذر)

على أن القصة الأولى "قصة آل لوط" قد أشرنا إليها القصة الثانية "قصة قوم لوط"
وقد أطلقنا فيها وأطلقنا بها وأطلقنا - مما يجعلنا نتكامل فيها القصتين بما في قصة
واحدة - ونعني بآية (كذبت قوم لوط بالنذر) وتنتهي بآية (فذوقوا عذابي
ونذر) . فالقصة محصورة بين التكذيب والتعذيب والإنذار وهذه العناصر الثلاثة -

تعيد قصص هذه السورة التي مرت كلمة لم تمر بقصة هود وقصة نوح في السورة. عناصر هذه القصص الثلاثة : التكذيب ، التعذيب ، الاستذكار للانتصار .

ومن هنا كانت نهاية هذه القصص بكلمة : (كذبت) وتنتهي بهذه الجملة : (كيف كان عذابي ونذر ؟!) - كما تنتهي بهذا الأمر (لقد كذبوا فذوقوا عذابي ونذر ؟) ثم بعد هذا يعلن الله على قريش ، بأنه يسر للذكر ، فهل من مذكر :

(ولقد يسرنا القرآن للذكر - فهل من مذكر ؟!) . يؤيد هذه الآية التي هي بمثابة التعقيب بكذبه والتنبيه على صدقه ، وصحته ، وصوابه . وهي بمثابة الفواصل التي تفصل بين قصة ، وقصة كما توجد بين هذه القصة ، وتلك القصة الأخرى .

أما الذي يذلك الفصل ، لطفاء الثاني ، أ الطالع أو السميع فربما وربحه للاذكار ، والاعتبار ، والقراءة والحفظ .

لقد ذكرت هذه الآية : (ولقد يسرنا القرآن للذكر .. فهل من مذكر ؟!) أربع مرات ، في خمس أربع قصص .

ولعل الاعادة بتيسير القرآن للذكر ، تسهم في تعليل هذه الآية : في أصل هذا السؤال (فهل من مذكر ؟) يحدد الهدف من كتب هذه القصص ، في هذه السورة بذلك الفصل ، وفي تلك السورة . على أن الحكمة البالغة في كتابة هذه القصص الأربعة مبالغة على حدتها وتوجيها على الرغم مما تحتوي من أصل التيسير ، وعدم الحاجة بالتذكير .. هذه الحكمة البالغة : (فما تغني النذر) .. هي التي تشيع في جنبات هذه القصص ، وهي التي تؤلف ما بين عناصرها الثلاثة من تكذيب ، وتعذيب ، وانذار . وإذا كان الأمر كذلك ، وكان نهاية المطاف ، أن لا فائدة من الانذار ولا جدوى من تذكير .. فلم عناية هذه القصص ، وتوجيها ؟ ولم يتسم ما تتضمنه من انذار ، وتحذير ؟ الجواب في (فكيف كان عذابي ونذر ؟) . لتراد الفضل ، والتفرد الاذكار ، (فهل من مذكر ؟!) . والرجوع الاعتراف بتيسير القرآن ، بينما تتضمنه أحكم بناء ، وتوثق عرى وتذرى في أبرع سياق . والجواب مع هذا وذاك - تعجب من حكمة إلهية ، تسول هذه الحكمة السامية ، وهي : (وكل أمر مستقر) أمر - بأجمالها وتفاصيلها - تهدم (فما تغني النذر) والنفس السوية - تتدين هاتين النظريتين أو النظريتين : السلبية والايجابية . السلبية المتمثلة في عدم اتباع الأقوام رسلهم ، وعدم اصغائهم بالنذر ، والايجابية المتمثلة في استقرار أمر الرسل ، واستمرار الدعوات والرسالات . وهذا يعني التجاوب بين النظريتين أو النظريتين معالجتها بما تتضمن أمر نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، بعد أن سبقت لها في السورة الأولى من السورة : (وكل أمر مستقر) (فما تغني النذر) والاعتماد عليها ، ولا عاقل ، أو العاقل فيها ، والاعتماد في أعلم الفضاء النذر عن النذر وعدم اتباع النذر بالانذار - لا يهدم رسالات الرسل ، ولا دعوات الدعاة .

الله أن كل أمر قوي وناجح ، مستقر ، ومستمر وكما أن " كل أمر مستقر " فعذاب الله لهم مستقر . فهؤلاء المكذبون المعاندون ، لا يخسرون الدعوة والرسالات - إنما أنفسهم يخسرون .

وهم - إن لم تغنهم النذر - فكل أمر اصلاحي ، وتقدمي ، على رغم ذلك - مستقر . ولاتحاد هذه القصص في أفكارها ، وأسرارها وأهدافها - اتحد نظمها ، وأسلوبها ، وموسيقيتها ! فهذه القصص الأربعة التي حللتها ، ووضحتها وبينتها والقصة الخامسة الآتية : قصة آل فرعون - هذه القصص توضح الآية الرابعة ، من هذه السورة الفاصلة : (ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر !) . ولأن هذه الآية مجملة . ولأن تلك القصص مفصلة لها ومعللة ، ومدللة عليها ومعللة .. - ساد التعبير بجملة القسم هذه : (ولقد) - وابتدأ من هذه الآية الرابعة : (ولقد جاءهم) - وابتدأ حتى هذه الآية الإحدى والخمسين : (ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر ؟!) . وقد وردت (ولقد) هذه ، في هذه السورة إحدى عشرة مرة . مما أسهم في جعل هذه القصص بهذه السورة ، وحلا محكما ، لفظيا ، وأسلوبيا وصوتيا وموسيقيا . ومما هو جدير بالذكر أن كل قصة من القصص الأربعة السابقة قد اتسمت بسمة خاصة بها ، واصطبغت بصبغة معينة لها ، وبنيت بناء مستقلا قد يتقارب مع غيره ، لكنه لا يتماثل . مما يظهر أثر ذلك في التصوير ، وفي التفكير ، وفي التأثر والتأثير . والذي يتأمل في تحليلاتي السابقة يجد صدق ما أقول ، وفوق ما أقول : -

فإذا كانت قصة " نوح " قصة عنصية .. فإن قصة عاد ، قصة امتداد وإذا كانت قصة ثمود قصة حوارية فإن قصة قوم لوط - قصة إخبارية . على أن بيئة كل قصة ، وجوها ، كانت لها ، قائمة بها .. ! . فسفينة نوح ذات الرواح والمجرى بأعيننا - جزاء لمن كان كافر) .

ريح عاد - تنزع الناس ، كأنهم أعجاز نخل منقعر ! .

وصالح يكلف من ربه ، بأن يبلغ قومه : (أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) .

وآل لوط تجاهم الله بسحر . وقوم لوط أرسل الله عليهم حاصبا ، كما طمس أعينهم ، وكما صبحهم بكرة عذاب مستقر . ومن خلال هذه البيئات المختلفة فيه و أساليب تصويرية وتعبيرية واستطرادية ، وإخبارية وموسيقية - تتفق وتجتمع كل قصة ، ثم تتسق في وحدة واحدة هي لتلك القصص المتعددة .

فمن أساليب التصوير - الكناية عن موصوف في قصة قوم نوح : (وحملناه على ذات ألواح ودسر) . وتشبيه أثر الريح الصرصر ، في الهالكين من عاد : (كأنهم أعجاز نخل منقعر) - ولذلك التشبيه في هالكي ثمود : (فكانوا كهشيم المحتظر) .

ثم تلك الاستعارات المتناثرة ، وتلك المجازات المتناسقة ، مثل : (وفجرنا الأرض عيونا) ، (فالتقى الماء) (على أمر قد قدر) (تجرى بأعيننا) (وحملناها على ذات ألواح ودسر) وتشبيهها (ريحا صرصرا) (فى يوم نحس مستمر) (تنزع الناس) (انا اذا لفى ضلال) (مرسلو الناقة فتنة لهم) وفيها تشبيه ـ (أرسلنا عليهم صيحة) (أرسلنا عليهم حاصبا) (أنذرهم بطشتنا) (تطمسنا أعينهم) . (فذوقوا عذابى ونذر) ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) .

ومن أساليب التقرير والاخبار . (ولقد يسرنا القرآن للذكر) (ولقد تركناها آية) (كذبت قوم نوح) (كذبت عاد) (كذبت ثمود) (كذبت قوم لوط) ومن أساليب السرد والقصص والحكايات : (ولقد أنذرهم) (ولقد راودوه) . (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) ثم من وادى الاستفهام على تنوع معانيه البلاغية ، أو المجازية ، أو الأدبية : (أبشرا منا واحدا نتبعه ؟!) . (أألقى الذكر عليه من بيننا ؟!) .

ومن قبيل التكاليف : (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم .. كل شرب محتضر) ثم من وادى التوجيهات والارشادات : (فارتقبهم واصطبر) . ومن وادى التعليلات والفلسفات : (فالتقى الماء على أمر قد قدر) (تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر) (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر) (انا مرسلو الناقة فتنة لهم) (أن الماء قسمة بينهم ـ كل شرب محتضر) (نجيناهم بسحر ، نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر) . واذا كان فى السورة المكية على هذه القصص ـ أساليب تصويرية ، وتعبيرية ، وتأثيرية ، على نحو ما رأينا ـ فان بينها تأثيرية ، وتأثيرية . فجموعة القصص السابقة ـ توضح هذه الآية الرابعة : (ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر) . فالقصص قد تأثرت بهذه الآية ، وهذه الآية قد أثرت فى تلك القصص . ثم محتوى القصص ، وأسرارها ، وأهدافها ، وتصويرها ، وأساليبها ـ تفسر هذه الأنباء ، وتأتى بما فيه متعظ لهم ومزدجر :

(وان يروا آية يعرضوا ، ويقولوا : سحر مستمر) تتضح هذه الحقيقة الرئيسة وتلك القولة الآثمة ، فى ثنايا القصص ، وخفاياها . واذا كانوا يقولون عن كل آية ، بأنها " سحر مستمر " فانهم يقولون عن نوح عليه السلام بأنه " مجنون ! " وعن صالح ـ عليه السلام ـ بأنه كذاب ، أشر ! .

وانهماكهم هذه ـ على اختلاف العصور والدهور ـ تعكس انهماك الكفار ، والمشركين ، والمكذبين الذين كانوا يعاصرون الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم والذين تساق هذه القصص ، لتكون لهم منها مذكر ومزدجر .. ! .

والتأثرية والتأثيرية ـ هما السمة الخاصة ، والعامة ، المحتفظة فى الأهداف القصصية بوجه خاص والمتصلة بأهداف السورة على وجه العموم . فالاضافة الى آية الاعراض الثانية من السورة تتضمنها الآية الثالثة منها وهى تعلل تكذيب المشركين من قريش ومكة واتباعهم أهواءهم (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) .

كما تحمل قصص السورة صور التكذيب الرائعة من الكفار والمشركين وأساليبهم المتواصلة على مدى القرون وفي توالي الأجيال !.

ومن هنا ترتبط هذه الموضوعات القصصية ، وأصلها بمحور السورة ، العام وهدفها الخاص - بذلك الطرف الرباني (أيها) في أولى هذه القصص من تلك الموضوعات (الكتاب أنزلناه إليك) . وكلمة (أنزلناه) هذه - وإن أدت هذه الوظيفة الفكرية والموضوعية والأسلوبية والبنائية ، والدلالية والتأثيرية - فلم يقدر حق قدرها ، وحسن استخدام التاريخ القصصي والقص التاريخي ، في استغلال السير عبر والعظة ، وفي الكشف الأسرار فيه والآثار في حمل الدعوة الإسلامية بخلفياتها من الدعوات الدينية السابقة ، مع الاحتفاظ بطابع كل دعوة ، ومع الحفاظ على المدى التاريخي والجمع بينه وبين المدلول : الأدبي والفني من جهة ، ثم بينه وبين المدى العلمي والعقلي من جهة أخرى . ثم مع سبب هذا كله ، في محيط الدعوة الإسلامية التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام . وهذا هو ، وهذا الجمع ، والأدبي المتمثل في الجانبين : الفكري والتأثيري . وتحدد سمات القصص ، وبخلفيها الدينية والتاريخية والإنسانية - يخلق كثيرا في البيئة العربية ، كما يخلق دائما في البيئة البشرية والإنسانية . ومن ثم أثرت جانب التحليل النفسي العام ، وجانب التحليل العقلي العام وجانب التحليل الأدبي ، الفني والعلمي ، مع مراعاة خصائص كل عصر ، ومع الحفاظ على سمات كل بيئة وعصر .

هذا ... إن أثرت تلك الجوانب كلها ، وأثرها وحافظت على تلك الخصائص جميعها أو بعضها - في دراستي هذه القرآنية ، التحليلية ، الأدبية ، البلاغية والفنية ، - الاجتماعية ، الاقتصادية ، التاريخية ، الواقعية ، الدينية ، وما إلى ذلك ، ليستفيد القارئ والناشر ، ويصل إلى تيسير التفسير وتحقيق هذا التوجيه أو هذا التنويه من القرآن الكريم : (ولقد يسرنا القرآن للذكر - فهل من مدكر ؟ !) .

أيضا - مثلا - نجد بعض السور ، من تشبيهات واستعارات ومجازات مكثفة - تحمل خصائص بلاغتها التي وصفناها ، كما تتسم بسمة البيئة العربية التي نزل فيها القرآن ، وسمة البيئة الإسلامية الإنسانية العالمية التي أنشأ فيها الطابع القرآني والدين الإسلامي ، بأرحب مظاهره وأبلى ظواهره ، وأعم أهدافه وغاياته .

وهذه في نوع - هذه عالمية إنسانية بأبعادها وأساسها ، وبآثارها البشرية فيها ، وبخلفياتها المؤثرة عليها .

فهي هو آدم الثاني وأب البشرية الثانية كما يقولون . وبعده من الطوفان هو أبو الإنسانية كلها ، وبناء الحياة جميعا ، على اختلاف ألوانها ، وأشكالها وفي تعدد الأجناس والأنواع وارتقائها يعتمد على ذلك الزواج وعبر ، لتجربة خاصة بها ، وبناء لها أثرها في تكوينها وتوجيه خصائصها وسماتها . وذكر السفينة العبر عليها بأنبيائها (ذرية من حملنا مع نوح) فيه - إلى جانب المدلول الإنساني العام والفكرة العالمية الخالدة -

والروح الفلسفية الخالدة ـ في محافظة على سمات البيئة الساحلية ، أو البيئة البحرية أو البيئة الصناعية ـ أو هي جميعا .

كما أن في تشبيه عاد ، البالغين : بأعجاز نخل منقعر ـ وفي تشبيه قوم السحرين : بهشيم المحتظر بخصائص البيئة العربية ، الصحراوية لنزول القرآن عند أربعة عشر قرنا . كما أنها مازالت موجودة في كثير من البيئات الريفية والزراعية والصحراوية بصورة خاصة ، وعلى وجه العموم .

ثم الحقائق المتكررة في خلال القصص ـ خصائص خاصة ببنائها عامة بفكرتها وهدفها ، وهي في نهاية الأمر ـ تعطينا مؤثرات وتأثرات بيئية وبيئة ، في قصة وأخرى ، مما يعطيها بوجه عام طبيعية ، وجوهرية وجمالية تحقق لها جواب الحياة والجمال والخلود فلقد أبواب السماء بماء منهمر ـ صورة للمطر الغزير ، الذي يراه كل انسان في كل مكان ، أو الذي يمكن أن يراه . والسماء تظل كل مخلوق ، كما أن الأرض تقل كل انسان وقد استخدما في قصة الطوفان تماما في ضمير الزمان ، وانتهاء على الجود والعصيان والبر والشر ، موجود في السماء ويمكن أن يوجد في الصحراء وفي بيئة حضرية معينة ، في جهة ما من الجهات .

ونحن نسمع كثيرا صوت الريح ، كما نحس برده وقسوته عركما نشكو وطأته ، ونتخذ من الرياح الثلاث في بيئة صالح ، وهود مثلا : البيئة الصحراوية والحياة الرعوية وبطابعها وقابل البيئة البحارية ، والساحلية في قصة نوح ، ولوط .

كما أن ناقة الله وبئر ـ سقيا الماء نفاقة صالح ـ في قصة ـ سقيا الصحراء كما أن الماء في قصة الطوفان ، يتغلى على أمر قد قدر ـ بعد أن الماء قصة بينهم ، بين قوم صالح : كل شرب محتضر . نظلة قوانين الله ، في طبيعته ، وبين عباده وإذا تفجر الله أبواب السماء بماء منهمر وفجر الأرض عيونا ، فهم الطوفان ، وطمر ، وانتهى الفيضان وانحسر وأرسل الماء بانهمار ، فان الماء في قصة نوح ـ قصة ينهمر بكل قطرة منه لها ميقات معلوم .. ولها أنه حساب ، وعقاب .

ولعظمة الذنب تتناسب مع كل سبب وتتلاقى وبيئة كل حدث ، أو حدث كل بيئة ـ كما تتلاقى وذنوب الأقوام ، في كل قصة ، ففي قصة اليهود ـ يقول القائلون : (هذا يوم عسرا) وفي قصة نوح يقول الله : (جزاء لمن كان كفر) وفي قصة عاد يقع العذاب في (يوم نحس مستمر) وفي قصة ثمود ـ يقع العذاب ، بعد أن نادوا : (صاحبهم فتعاطى ، فعقرا) . ثم في قصة آل لوط ـ يتجهم الله " بحجر " وفي قصة قوم لوط صبحهم بكرة عذاب مستقر . ثم في قصة آل فرعون ـ الآية : يأخذهم الله ، (أخذ عزيز مقتدر) . وإذن فأسباب الذنب تدور حول تكذيبهم ، وإنكارهم لمواعيد الله . ومظاهر الذنب تتعدد ، بتعدد الأقوام في بيئاتهم المكانية والزمانية كالطوفان والريح الصرصر والصيحة المدوية ، والعذاب المستقر ، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر

سبا وإنك بيانهم في التعذيب ، والانذار كما أنك بيانهم من قبل ، في التكذيب ، والانكار ، وبين لهم كانه تعقيب كل قصة بآية :

(فكيف كان عذابي ، ونذر ؟) - أو (فذوقوا عذابي ، ونذر ؟) كما تتكرر بالقصة (كذبت) .

واذا كان للقصص القرآني - هذه الروح التأثيرية وهذا التأثير العظيم والعميم - فانه يجب التنبيه اليه ، والتنويه به ، والحث على النظر فيه والانكار ، وبين هنا كيف يعقب على كل تعقيب ، بهذه الفاصلة بين كل قصة أو الباقية لكل قصة - وهي (ولقد يسرنا القرآن للذكر .. فهل من مدكر ؟) .

وهذا التيسير - هي التي أشار إليها القرآن ، وهي التي أشاد بها القرآن ، ثم هي التي جعلتها نصب عيني ، في دراساتي لقصص القرآن ، ولعلي في هذا التيسير للتفسير ، تحقيق جانب الانكار ، وبيان ما في القصص القرآني من أهداف وأفكار وأسرار .

(٦)

قصة آل فرعون

(ولقد جاء آل فرعون النذر .. كذبوا بآياتنا كلها .. فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر)

هذه القصة الوحيدة من القرآن ، التي لم تبلغ سطرا ونصف سطر ، تتكون من ثلاثة فصول ، تضم فيها ثلاثة مراحل :

١) مجيء النذر آل فرعون .

٢) تكذيب آل فرعون بها ، بالآيات كلها .

٣) أخذهم أخذ عزيز مقتدر .. أي انتقام الله منهم .

فالنذر في قصة آل فرعون - هي محور الحديث ، وهي التي مهد لها في الحلقة السابقة (لما تعدي النذر) كما مهد لها بالآية الرابعة الثالثة :

(ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر) ثم هي التي علق عليها في كل قصة :

(فكيف كان عذابي ونذر ؟) .. وهي التي وقع عليها صراحة تكذيب قصود ، إذ :

(كذبت قصود بالنذر) . وكما أنه قد جاء آل فرعون النذر .. فقد جاء كفار مكة والمدينة وغيرهما - من الأنباء ما فيه مزدجر . ومن هنا تماثلت الجماعتان والحالتان هنا وهناك : (ولقد جاء) في قصة آل فرعون ، (ولقد جاءهم) في مشركي قريش .

ولأن النذر هي محور الحديث ، أسند المجيء إليها ، فصارت هي التي تجيء وتمضي وتحل ، وتقيم ، وتضيف ، وتبيد ، وتنذر ، وتزدجر وتوالي ، وتتعدد ، ثم تعود إلى آل فرعون ، لا تفارقهم ، ولا تعدو جسم .. وهذا المجيء يأخذ صورا شتى من الإنذار كما يتمثل لأول مرة وبيئة معينة في تاريخ الدعوة ثم يصور في فصل كبير في نفس القرآن . وهنا في قصة " آل فرعون " صور هذا الفصل في هذه الآية التي لم تتجاوز نصف سطر ، من المصحف الكريم ، هذه الآية ، هي :-

(١)

ولقد جاء آل فرعون النذر

وهي - على وجازتها - وافية في هذا المقام ، رائعة في بيان هذا الكلام فيها المناسبة الأسلوبية ، بين مجيء النذر آل فرعون ، وبين مجيء الأنباء الزاجرة لكفار مكة ، أو المهددة على غرار ما وقعت .

وفي هذا مراعاة المقادير ، والأشباه والأشكال كما أن فيه التفصيل بعد الإجمال والتدليل على ما يقال وسوق الأمثلة ، للتمثيل ، والتمثيل ، والاستدلال ، فيه - مع هذا ، وذاك - تحقق الوحدات الأسلوبية والفنية والمعنوية والبيانية والتصويرية والتأثيرية ، بين المدخل على القصص وبين آخر كلمة في هذه القصص

وكما جاءت أساليب التكذيب في هذه القصة مصدرة بالتوكيد (ولقد) جاءت في صدر هذه القصة مصدرة بـ (ولقد) .

وإسناد المجيء المؤكد الى النذر وتمام النذر بصيغة المجيء - فيه امتداد بهذه النذر ، وليست اعتراف بحقيقتها ، وتحقيقها ، وقوتها ، وظرفها الذي لا يأتلف ولا يدور والذي يقصد آل فرعون - الذين يقع عليهم اللجيء فيحولهم بالمجيء بالنذر ، ويحررهم بينها . وهذا هو الذي أفاده تقديم المفعول على الفاعل ، أو تقديم المجيء اليهم على الآتي لهم ، والوجه لهم .. ثم هؤلاء آل فرعون ، الطاغية ، فهم طغاة مثله ، أو هم يساعدونه في الطغيان . وليسوا كآل لوط ، الرسول ، الذين تجاهم الله بعد يسير . فهي أذن قرابة خاصة ، وصلة خاصة ، حال بهم العذاب كما جاء . وفرعون - هنا - ليس مقصودا في قصة كهذه ، ذكرت فيها هذه الجرعات التعبوية التي اقتصرت على مصارع الأقوام على مدى الأيام والأقوام ، فهي بجرعاتها تقلب ويكاد وليست بجرعات أشراء ، أو أشخاص .

ففي قصة قوم نوح (كذبت قبلهم قوم نوح) .. وفي عبد (كذبت عبد) .. وفي قوم لوط (كذبت قوم لوط) .. وفي آل فرعون (ولقد جاء آل فرعون النذر) ..

فإسناد الانذار الى النذر - وإسناد المجيء الى النذر - اعتراف بها ، واعتداد بشأنها ، وتمثيل لها ، وتجسيد .

وفي تقديم آل فرعون - اهتمام بشأنهم وتصويح بأنهم أهم المقصود منهم وهم الذين وقع التكذيب منهم .. وحل العقاب بهم .

(ولقد جاء آل فرعون النذر) .. وهذا هو الفصل الأول . (كذبوا بآياتنا كلها) وهذا هو الفصل الثاني ، من قصة " آل فرعون " التكذيب بآيات الله كلها ، كونية كانت أم نفسية للانذار ، والازدجار ، أم للتأنيس والاعتبار ، أم للتعريف ، والانذار ، أم للتوجيه والانذار ، أم للتأمل والاعتبار .

وفي هذا الفصل جهاد عنيف ، وصراع عنيف ، وتهديد تخويف ، وحياة حافلة ، وأحداث متطورة السير ، وبقاء الآيات وألوف السنين . ثم هم كذبوا بها الواحدة تلو الأخرى بعد تكذيبهم بعدد الآيات . فعقب كل آية من آيات الله ، تكذيب لها من آل فرعون ! . وكل آية من آيات الله تكذيب واقع عليها من آل فرعون ! .

فالتكذيب يقدم حتى على التكذيب ! ثم هو تكذيب بعد ، متجاوز قدره وكثرة . وهو - وان كان قاصرا عاجزا لا يبلغ أثره ، خاسا بهم خاسرا إياهم - يجرف بعد آيات الله ويضيع بها حكمة الله ، ويجرها الى مكان سحيق بعيد عن سبيل الدعوة الاسلامية . ثم لأن التكذيب هو الصفة الدائمة لهم ، والسمة الملازمة لنفوسهم وقلوبهم وسلوكهم تعدى على الآيات كلها . مما يدل على أنهم مكذبون بحسب ، دون نظر منهم فيما كذبوا به ودون تمييز منهم ، أو تفكير ، فيما جاءهم من نذير .

والذي وراء نسف الآية ، هذا ـ (كذبوا بآياتنا كلها) مظاهر حضارية ، وظواهر تاريخية ، عديدة كثيرة . فكل تكذيب وقع على آية وكل آية وقع عليها تكذيب فتكذيبهم بآيات الله لا يكاد يتناهى . ولذلك وقع عليها من ألوان التكذيب ما لا يكاد يتناهى . ثم هي آيات لا يعرفها الناس ، لأنها فوق قدرتهم وعلومهم ، ومعارفهم ، وأحاسيسهم ، واستعدادهم ، لأنها من آيات الله . ثم هي كل الآيات لا بعضها ولا جلها .

إذا فالفصل هذا الجانب من القصة ، وهذه الرحلة من التاريخ ـ ثم هذا الفصل من القصة يحتاج إلى آماد للتأمل ، وسير للتحقيق ، وجهود للتنقيب ووسائل للبحث والاكتشاف ـ كذلك ـ تتناهى إ .

والذي يتصدى لإحراج هذه الآثار التاريخية ، والقصة وعجائبها الفكرة صورا متحركة وبناظر متعددة ، وبمشاهد متنوعة وانطباع غني وأوحاء متكاثفة ، يحس صدق ما أقول .

(ج)

(فأخذهم أخذ عزيز مقتدر)

وهذا هو الفصل الثالث ، من فصول القصة وهو مترتب على الفصل الثاني . وهو ثم اتصل به اتصال تعليل . فلأنهم كذبوا بآياتنا كلها أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر إ . فالنظام الذي عليهم مترتب على تكذيبهم بآياته ـ ولأنها آيات الله ، فحسب ـ من أجلها ـ الله . ولأنهم لم يدركوا الله ، أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر

ثم لأن جريمة تكذيبهم جريمة فريدة ـ إذ كذبوا بآيات الله كلها ولأن تكذيبهم تكذيب خاصة ، أنبياء ، أئمة ، أمناء . كانت العقوبة الحالة بهم ، والمتناسبة لهم عزيزة مقتدرة من عزيز مقتدر . ثم هو عقاب الله ، فرد ، لم يشبه أحد الله بين عباده ، كما لم يشبه أحد بالله من عباده : إذ لا طاقة لهم به ولا قبل لهم عليه إ بل أخذهم العزيز المقتدر ، أخذ عزيز مقتدر في الأخذ المباغت والمباغتة والجانب الذي لا يدع فرصة تفكير ، أو تدبير ، أو مهلة تدابير ، أو رجوع أو اعتذار ، وكلام . فهو من أجل تشبيه النفي بالنفي ، وفي هذا دلالة على أنه لا يوجد شبيه آخر ، أول ، وآخر وأحد وأظهر يلحق به الشبه ويقرب منه أو يشبه إ . ويعلم أن هذه الأخذة تتمثل في الغرق ، وهذا العصر الذي انتمى إليه آل فرعون ، في آخر قصة من هذه القصص ـ يذكرنا بذلك العصر : عصر الغرق بالطوفان الذي انتمى إليه نوح ، والذي ختمه به أول قصص هذه المجموعة . فالغرق يعتبر القاسم المشترك بينهما ، وبعد أيام ، ثم في نهايته وجزمه حاسمة بشيء ، مستغرب ، يعلم أن طوفان نوح ويعلم في الغرق آل فرعون .

والأحداث العاتية ، والمهلة — حتى أكبر هذه العمل القصصي ، الذي يواجه من الإنكار والاحتقار ، والاضطهاد ، والاضطهاد . وقد اختار القرآن — من الأنباء في سورة القمر هذه — مأساة نوح ، وما أن مذكر وما أن عاقبة وصبر ، وبشائر ونذر .

وفي نصف الآية الثانية ، يتبع الفعل الثالث : فعل الاستسلام ، وهو يعتمد على التصوير ، القائم على التشبيه . ثم هو تشبيه معنوي بمعنوي ، أضيف إلى حرف المصدر — والصورة مظاهر ، والمشاعر مصادر وظواهر ، وبين ثم التشبيه المعاني بالمحسوسات ، والتشبيه المعنوية بالمرئيات والمحسوسات . على أن المعنوي بالمعنوي ، يترك أحيانا التخييل ، والتذكر ، والتصور والتأمل ليتوارى ويتوارى ويأتي ويمتع ويعرف آخر الأمر أنه لو وجد منظر محسن ، أو صورة تشاهد ، أو حالة مجسمة ، لشبه بها ، أو للتشبيه بها والتخيلي طربا والاستبشار الذي بها العزيز المقتدر ! .

وإذن فقد أتى بما لا يعتد به ، وقد صبر ما لا صبر عليه !

وإذن فقد آل فرعون — تتبع في آيتين — لا يختلفان من سطر ، وتتألف سطر — وهي تتمثل ثلاثة أصول مثل ثلاثة مراحل :

١) مرحلة الإنذار .

٢) مرحلة التكذيب .

٣) مرحلة الانتقام .

وهي تنتظم مع المجموعات القصصية السابقة في وحدة واحدة ، وفي نظم يتراوح بين السرد وبين بناء ، وفي تصوير لفي أعماق .

كما تلتقي معها ، في الوحدات اللغوية والمعنوية والبديعية والصوتية والإيقاعية والجمالية ثم الفكرية والدلالية .

على أن هذه المراحل الثلاثة ، متمثلة في مراحل القصص السابقة ، وقد سلطت الأضواء على العذاب والنذر ، وبقدر تحققها ، أو بعضها — جانب التكذيب .

(فكيف كان عذابي ونذر ؟ !)

ذكرته أربع مرات :

١) في قصة نوح .

٢) ثم في قصة عاد — مرتين .

٣) ثم في قصة ثمود .

٤) ثم في قصة ثم لوط ذكرته مرتين آيتا : (فذوقوا عذابي ونذر)

والتكذيب يحضر ضمنا ، بين الفكر وبين العذاب ، كما مر بنا في أول كل قصة من القصص السابقة .

على أن جميع المفردات ، بتصريفاتها المختلفة ، تأتي بمعنى العذاب ، وهذه تقارب من الكلمة ، والنار والغرقة ، وزنا ومعنى ، ومعنى شديد ، الخ ، يؤيد ذلك هذا الفن من السياق ، في هذا الضرب من البيان . ثم تجمعها كلها كلمة "العذاب" ومصدر " التعذيب " .

ويعد بعد هذه المجموعات القصيرة ، كلمة قوم نوح ، وقصة عاد ، وقصة ثمود ، وقصة قوم لوط ، أو قصة آل لوط ، وقوم لوط . ثم قصة آل فرعون - وتليها هذه المجموعة ، المتصلة "اليوم العسر" - بعد الانتهاء من هذه المجموعات التي حللت وتناسب وتناسق آية المدثر والتدثير ، الى مجموعة القصص وهي الآية الرابعة : (ولقد جاءهم من الأنباء - ما فيه مزدجر) والتي حصرت هذه المجموعة بينها ، وبين مجيء النذر آل فرعون - كما عرفنا .

يجيء بعد ذلك كله جانب المناقشة الفلسفية الجدلية ، لمعاني القصص وأهدافها وصورها هذه الآيات الدالة على :

مجموعة أخرى

(١)

حصاد القصص

(أكفاركم خير من أولئكم ؟ .. أم لكم براءة في الزبر ؟ .. أم يقولون : نحن جميع منتصر .. سيهزم الجمع ، ويولون الدبر .. بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) .

في هذه الآيات الأربعة - تثار هذه المسائل وتلك القضايا التي هي نهاية حصاد القصص وثمارها . والتي تمثل التعليق العام على القصص الخمسة أو الستة السابقة .

والتي تحمل القصص بما تحلها من آياته ، فيها معاني السورة ، وأفكارها ، وفيها أهدافها وأسرارها . فهنا يطرح القرآن عليهم هذه الأسئلة الثلاثة : أكفاركم خير من أولئكم وأنتم منهم ؟ .. أولئكم الذين رأيتموهم في قصة قوم نوح ، وفي قصة عاد ، وقصة ثمود ، وفي قوم لوط ، وآل فرعون .

أكفاركم أنتم ، وأنتم من هؤلاء الذين أهلكوا بالطوفان وبالريح الصرصر ، وبالصيحة والحجارة وبالخسف والطمس والعذاب المستقر ، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ؟ ثم يسوقهم يوم يدع الداع الى شيء نكر ، خشعا أبصارهم ، يخرجون من الأجداث ، كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع .. يقول الكافرون : هذا يوم عسر .. ؟ ! .

والقرآن - بهذا التعليق - يلقي الأضواء على الأقوام الذين ذاقوا العذاب بعد أن كذبوا بالنذر !

والسورة - هنا - في الأخيرة ، فيها تهكم وسخرية . لأن هؤلاء الكفار ، وأولئك الأشرار ، لا يعرفون الا جانب الشر بأنواعه ويتطلعون به ! فهي القابل مضطربة قلقة ! .

ثم يأتي السؤال الثاني ، والاقتراض الثاني الذي يفتح لهم الجدال ، وشعب الكلام ، وأودية الخيال ، بهذا الاستفهام :

(أم لكم براءة في الزبر ؟!) .. ألديكم براءة في الكتاب القديم ـ الذي أنزل على داود عليه السلام ، حتى تأمنوا من النكرات ما تأمنون ، وحتى يغفر لكم ما تقترفون ، من جرائم وتجترحون ! .. وفي هذه الاشارة ـ حث لهم على التكشف والاطلاع وطلب الزبر من المعارف ، والعلوم ، والآداب وحث على الاطلاع ، على الكتب السماوية السابقة في الاستفهام الأول ، فتح لباب الموازنات وميدان المقارنات بين الأشخاص والقضايا ثم تشجيع على دراسات الأعلام والأقوام والجماعات ثم حفز على اكتناه القصص القرآني ودراسته وتحليله ونقده وتمثيله والاحاطة بما فيه ، من أفكاره ومعانيه ومن أسراره ومراميه .

(أم لكم براءة في الزبر ؟) .. وإذا كانت لكم براءة فأين هي : وأين كتاب داود الذي بالزبر ؟ وأين مواعظكم منه ؟ وذكركم فيه ؟ كل هذا يشغل أذهانهم ، ويوجد انهم ونفوسهم ليقفوا فقاة دينية ، وتاريخية ، ويزودوا بالمعارف ، والقصص في قديمه وحديثه . (أم يقولون : نحن جميع منتصر ؟!) . بل يقولون : نحن جميع ينتصر دائما ، ولا ننهزم أبدا .

وهذه الآية والآيتان بعدها ـ مدنية فيها ملامح الادعاء ، والاجتماع والانتشاء والاستعلاء ، وفيها تعريض بالفرقة وتنديد بالانهزام ، واعادة وانتكار بالتجمع والانتصار .. بما يظهر سمات القرآن المدني ، بما يحتفل به ويدعو اليه ! ثم في وضع آيات الاستفهام على هذا النسق من الترتيب والتبويب والنظام آية الاعجاز في الاحكام .

ولأن القصص السابق ـ قصص مكي ، وقد سبق لأقوام مكيين وقضايا مكية .. فالاستفهامان السابقان مكيان ، وهما : (أكفاركم خير من أولئكم ؟!)

(أم لكم براءة في الزبر ؟!) .

ثم : في الدكتيكة كفار آخرون من مناقضين ومن أهل كتاب يعتدون بالعصبة الاسلامية ويكيدون لها ، ويتربصون بها ، وينشرون الادعاءات والمفتريات ويقولون نحن جميع منتصر ! .

وهنا عروج بالقصص القرآني من عالم الغيب التاريخي والماضي الواقعي البعيد الى عالم الغيب والمستقبل الواقعي الأبعد .

ويمثل هذا في تكذيب هؤلاء القائلين ، المفترين : (نحن جميع منتصر)

يكذبهم القرآن بهذا الاخبار الغيبي • المؤكد • لصدوره عن عالم الغيب والشهادة • وبأمر هؤلاء المعاندين • المتكبرين الذين يحاربون الفكرة الاسلامية بالأراجيف • ويحاربون أهلها حربا نفسية • وبادية • خفية • وعلنية • يقشعر منهم • وترهم في صورة مجسمة ومجسدة ! (سيهزم الجمع ويولون الدبر) •

وفي تسجيل هزيمتهم رد قاطع وقاهر لدعاويهم وأقاويلهم • ثم في تصوير فرارهم وهزيمتهم اذ يولون الأدبار — تجسيد لعار الفرار • واتهامهم بالجبن والضعف والانكسار وفي ذكر الأدبار اهانة لهم وهزء بهم واستخفاف • (سيهزم الجمع ويولون الدبر) • كما هزمت جموع من قبل • ولقد ولت الأدبار وهذا من الاخبار الغيبي ومن الاشارات القاطعات ومن البشارات للمؤمنين • وأصحاب الدعوات • (بل الساعة موعدهم) فالساعة موعدهم • وهي قريبة اذ (اقتربت الساعة • وانشق القمر) لأنهم يخرجون من الأحداث كأنهم جراد منتشر • مهطعين الى الداع يقول الكافرون: هذا يوم عسر ..! وهم يكونون خشعا أبصارهم • فاذا تحققت هزائمهم في الدنيا تتحقق هزائمهم في الأخرى — لأن الساعة موعد انتقام الله منهم والساعة أدهى • وأمر • وفي نهاية هذا التعقيب على قصص القرآن • في مأدبة الوعيد • وفي مستهل الآية — وصل قوي بأمر الساعة • التي ذكرت في أول السورة • ففي أول السورة — كما رأينا — (اقتربت الساعة وانشق القمر) وفي ختام هذا التعقيب — كما رأينا — (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) •

(ب)

قال المجرمون

(ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم : ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح البصر ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر ؟ وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر) وهؤلاء الذين كذبوا بالنذر • ولم ينتفعوا بالمكذبات والعبر ..! وهؤلاء الذين ناهضوا الدعوات وحاربوا الرسالات وآذوا الرسل • بالسفاهات والهذاءات .. ثم هؤلاء الذين أثاروا الفتن والادعاءات حين كانوا يقولون : نحن جميع منتصر ومن الذين (الساعة موعدهم) والساعة أدهى • وأمر ! هؤلاء وأولئك في ضلال وسعر ! ... في ضلال في الدنيا • وفي سعر في الآخرة ! • وهم في سعر لأنهم كانوا في ضلال ثم هم في سعر (يوم يسحبون في النار • على وجوههم) ويقال لهم : (ذوقوا مس سقر ..!) وهذا اتهان لهم • وهوان • فلو كانوا في سعير • لكان أدنى الى عذابهم عذاب معنوي بالاتهان • ولكنهم يسحبون في النار على وجوههم • يسحبون كالبهائم • والحمير والأنعام • ثم يسحبون على وجوههم كالأنعام والبهائم والدواب والهوام • ثم يسحبون في النار على وجوههم لأنهم مجرمون لم يكتفوا بمجرد ..! وهم

يعلموها عليهم ..! ولم يحفظوا كرامتهم ..! . وإذا أصابهم شيء من الضر . أو ضر قيل لهم : (ذوقوا مس سقر!) . وقد عرفنا من قبل : ما سقر ؟! . فهم يلقون من العذاب إلى سقر ..! وسيرسلون من النار . إلى ما هو أشد ..! . وليس بأيديهم هروب أو مساومات .. قال عن : خلقه الله ـ بقدر . (أنا كل شيء خلقناه بقدر) فالله خلق كل شيء بقدر وأمره واحد . لا يحتاج منه . ولا يتكرر ..! (وما أمرنا إلا واحدة . كلمح بالبصر) . وجنود السوء والهالك والمعذبين . كلهم (الملة جوعهم) ومن ذاقوا (مس سقر) يذكرون أولئك الأشقياء المعذبين لهم بأن يتعظوا ويزدجروا . إذ لهم في عذابهم مزدجر وتذكرة!

(ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر ؟!) . وهذه لمسة أخرى تنسم النفس بنظائرها من الأمم . (ولقد أهلكنا أشياعكم) الضمير السابق عليه (ولقد) الذي ابتدأ في الآيات الرابعة من سورة القمر . وهي أول الآية :

(ولقد جاءكم من الأنباء ما فيه مزدجر) وجاءهم القرآن فصل من الأنباء ما فيه مزدجر وما أنه غير وذكر ـ ولكن لم تكن النذر ؟! ولقد أهلك الله أشياع الكفر والضلال المجرمين . أهلكهم بالطوفان وبالريح الصرصر . وبالصيحة الواحدة . وبالخسف وبالعذاب المستمر . ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر . ثم يسحبهم إلى النار على وجوههم . وذوقوا مس سقر ! . أهلكه الله أشياعهم لأنهم أشياههم وأشبههم على ضلالهم وعنادهم وأنهم مجرمون مثلهم ! وجمع أهلكهم وجديرة بتخلي الأذكار (فهل من مدكر ؟!) . (وهذا الأذكار) مطلوب في السورة أن السورة بوجه عام تلقي كل لمسة . لقد ذكرته (فهل من مدكر ؟!) عشر مرات . في نهايات فقرات " ر " و " ساد " و " نسبة " وهي أربع . ثم في نهاية أولئك أشياع المجرمين وأشباههم ـ هنا ـ جاءت هذه ذكرها في لمسة " كل زوجين " وأصل الأشياع هم آل فرعون أو هم أشباه آل فرعون . قال فرعون لقومه على الملأ والكفر . وأدعياء الألوهية ـ لمشركي مصر . وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر . وأشياع المجرمين أهلكوا كالمجرمين لأنهم شابهوهم وأشبهوهم وشاكلوهم وشابهوهم . وأشبهوهم :

(فهل من مدكر ؟!) .

على أي الذي خلق كل شيء بقدر الله جعل كل شيء في الوجود إذ كل شيء وفق بحساب ومقدار .

وإذن فهذه الطائفة من الآيات فيها من آل المجرمين . وأنهم في ضلال وسعر يسحبون في النار على وجوههم وقال لهم : ذوقوا مس سقر وأن الله خلق كل شيء بقدر . وما أمره إلا لمحة واحدة ! كلمح البصر . وجند الأكفار ومصارعهم السوء الأخيرة وأشباههم الذين ذكرته في الآيات الأولى من سورة القمر . فهناك يسير

الساعة وهي القيامة . (يوم يدع الداع الى شيء نكر خشعا أبصارهم ، يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ، مهطعين الى الداع ، يقول الكافرون : هذا يوم عسر . وهذه لغة البعث ، والنشور .

أما هذه الطائفة من الآيات فهي خاصة بعصر المجرمين في ضلال وسعر ، ثم يوصف العذاب والاهانات والسباب التي يلاقونها ويسمعونها (يوم يسحبون في النار على وجوههم : (ذوقوا مس سقر !) .

فهناك وصف اليوم من الخارج .. وهنا وصف اليوم من الداخل . ثم عندئذ فرصة للكافرين ليقولوا : هذا يوم عسر ! أما هنا فلا يجدون فرصة ، اذ يسحبون في النار على وجوههم ، وهم لا يتكلمون لأنهم لا يستطيعون حتى اذا جاءت جلودهم شيئا ، واندلعت ألسنتهم من الصدى ، والعطش ، سمعوا من يقول لهم : (ذوقوا مس سقر) واذا اقتربت الساعة ، والساعة أدهى وأمر .. فانهم فيها في ضلال ، وفي سعر ، وما أمر الله في قيام الساعة ، الا صيحة واحدة كلمح البصر .

وهنا في مجموعة التعليق على القصص والمجرمون في يوم الساعة ـ نلمح بعض النكسم الخالدات ، مثل : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) (انا كل شيء خلقناه بقدر) (وما أمرنا الا واحدة كلمح البصر) (وكل صغير وكبير مستطر !) . واذن فآخر السورة مرتبط بأولها من قريب أو بعيد واذ عرفنا مآل المجرمين في يوم الساعة ورأينا عذابهم المهين لهم ، وسمعنا صيحة الله التي تنهي الدنيا ، وتؤذن بالآخرة ، في سورة خاطفة كلمح البصر ، واذ أدركنا نظام الله في ملكه ، وأيقنا أن كل شيء خلقه ـ انما خلقه بقدر ـ ثم اذ رأينا أعمالهم أشياع المجرمين ، بعد أن سجل كل شيء فعلوه ـ في الزبر ـ اذ كل صغير وكبير مكتوب ومستطر .. ! .. وان الحكمة في كل هذا أن نتعظ ونزدجر ونتذكر اذ عرفنا كل هذا ـ وجدنا يوم البعث مازال ناتئ البلاغ والسمات وأن المجرمين في يوم البعث ، بعد قيام الساعة وانشغلوا عن الكثير لانهم قد أخذوا من السوء ، بأكثارها ، وتعددها وكبرها وضخامتها وعليائهم ـ الكثير منها والكثير ـ نجد هؤلاء المجرمين ـ وبأبشع مصير أولئك المتقين .. في يوم الساعة هذا ، والساعة أدهى وأمر .. ! واذن .. فما مصير المتقين يومئذ ؟ وما لهم من النعيم ، والتكريم ، والتعظيم في هذا اليوم العظيم ؟! .

(ب)

مآل المتقين

(ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر)

ان المتقين المصدقين بأخبار الساعة بوقوعها والذين أسلموا قلوبهم وأذهانهم في اتباع ما في القرآن وتدبر فحصه والعمل بمقتضاه بل سابقوا الرسل وآمنوا

بالرسالة ، وأيدوا الدعوة منذ (بدء) عليه السلام ، أن محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا في حزب الله ، على ذلك أدلة وبراهين الله ، جزاؤهم لهم لأن الله ، وكانوا من أنصار الله بسبب ، نعمة من عند الله كذلك يجزي الله من يشكر .. أن هؤلاء من كل من اهتدى ولم يضل ومن صدق ولم يكذب ومن آمن ولم يكفر ، ومن آثر اتباع الهدى وأبى عن سبيل الهوى ، ومن اتبع بالأنبياء والمرسلين ومن نظر في القرآن وادكر .. إ . أن هؤلاء المتقين ، ومن على أرائكهم من المؤمنين في جنات ذات نهر ، وفي مقعد صدق ، لأنهم أهل صدق ، عند مليك في الملك مقتدر ، في الدار يسعدون في جنات النعيم ، ينعمون بالله الكريم ، ويفوزون بالتكريم والتعظيم ، ويفوزون من الملك القادر العظيم .

فيهم يستقرون آمنون ، ينعمون وأنهون ، في جنات وعيون لها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وفيهم فيها من كل الثمرات .. وإذا كان هذا هو جانب النعيم الحسي ، في جنات ونهر - فجانبه النعيم الأكبر معنوي ، في مقعد صدق ، عند مليك مقتدر ، فيهم في مقعد صدق ، أعد لهم ، كما أعدوا له ، ثم هم في مقعد صدق أنهم أرباب الصدق .. فهم لا يضلون ولا يظلمون ، لأنهم لم يخلوا ولم يضللوا ولم يضلهم - ليس لغيرهم ، وهذا أمان لا قلق فيه ، ولا هوادة .

ثم هم عند مليك - وتجلي الملك يكرم كما تكرم الملوك ، أو تكريما يتناسب مع الربوبية إ . وهم عند مقتدر .. لا تعجزه قوى ، ولا تعوزه قدر إ . فكيف يضطهدون فيه ، وفيهم فيها ما يشاءون ، بإذن الله - كما مرنا في سورة ق سواء .

وسورة المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر تقابل تلك السورة سورة المجرمين وهم في ضلال وسعر ، ويسحبون في النار على وجوههم ويقال لهم : ذوقوا مس سقر إ . وتابع أولئك المتقين تقابلا وتناسقا ، بالضياء ، والظلمة ، فالمتقون يقابلون المجرمين .. ووجوههم في جنات ونهر ، يقابل وجوه أولئك في ضلال وسعر .. وهذا التكليم النعيم ، يقابل ذلك التعذيب الحسي .

ثم كون المتقين في مقعد صدق عند مليك مقتدر يقابل سحب المجرمين في النار على وجوههم وسماعهم : ذوقوا مس سقر إ .

لذلك النعيم النفسي ، والأنسي والحسي يقابل هذا العذاب النفسي والأنسي والحسي . كما أعد للمتقين من نعيم حسي ، ونفسي ، وطارق ، ويقابل ما أعد للمجرمين من عذاب حسي ، ونفسي .. إ . وبهذا التطابق ، والتقابل تكون وحدة الاتجاه ، كما تكون سورة بصورة ومنظر - كما تتجسم قصة بأحداثها وبطلها ، وأولها نذكر أن المتقين قد أشاروا في بعض السور الأخيرة - جزءا يسيرا من نعيم القرآن ، وأنهم قد جيء بهم ، ليختاروا من جملة المجرمين ، وقد أبهم في

يوم الدين . ثم ليصلوا للفاجرين والمكذبين ملامح الاستعداد الى جانب ماينتظرهم أولئك من سماته الاشرار . وان كان لهؤلاء المؤمنين - فيما بعد - ذكر كبير وقدر . من قبل القرآن - عظيم .

الى مجموعة سورة (المرسلات) . ويسجل الويل الذى أعد للمكذبين وأرهب نهايته وقد افتتحت أيضا - وبعد ذكر آية الويل . سبع مرات . بعد سبع مجموعات وهى :

(ويل يومئذ للمكذبين)

يجىء ذكر المتقين . الذاهبين فى ظلال وعيون . وفواكه مما يشتهون وتسجل معهم ما يقال لهما . وليس : (كلوا . واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون)

فهم يأكلون ويشربون مقابل ما كانوا يعملون . فى غير امتنان . ثم هذا أيضا ليس لأنهم محسنون . والله يجزى المحسنين (انا كذلك نجزى المحسنين) وهذه هى الآية من سورة المرسلات : (ان المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون .. انا كذلك نجزى المحسنين) فهم يأكلون ويشربون بسبب ما كانوا يعملون . وبفضل وصولهم الى درجة المحسنين . والله يجزى المحسنين . فى غير امتنان . وبدون اشهار أو امتنان .

وفى مجموعة سورة " ق " التى تدور حول يوم الوعيد . وبعد ذكر قصص الانسان منذ خلقه الى يوم الخلود . كاشفة خلق الانسان وقعة بعد وقعة وقعة بعقله وقعة بمكانته وقعة بذهابه الى جهنم ثم قعة نهائية فى الجنة - بعد قعة عذاب كل كافر عنيد . فى جهنم يوم الوعيد . يأتى ذكر المتقين . الذين أزلفت الجنة لهم غير بعيد . والذين يقال لهم : هذا ما توعدون لكل أواب . حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب والذين يقال لهم : (ادخلوها بسلام - ذلك يوم الخلود) والذين يقال عنهم : (لهم ما يشاءون فيها) ولدى الله المزيد .

وذكر المتقين هذه فى نهاية قصص يوم الوعيد . فى هذه الآيات الخمسة : (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب . وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام - ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) .

أما هنا فى سورة الشورى هذه . فان ذكر المتقين يأتى فى الآيتين الأخيرتين منها بعد أن تذكر مجموعاتها كلها . وهى : ١) مجموعة الفكرة الأساسية . ٢) قصة اليوم العسير . ٣) قصة قوم نوح . ٤) قصة هود . ٥) قصة ثمود . ٦) قصة آل لوط ٧) قصة قوم لوط . ٨) قصة أصحاب الأيكة ٩) التعقيب على مجموعات القصص . ١٠) قصة الجاهلين . ١١) قصة أصحاب الموبقين . ١٢) قصة لقمة المتقين . وقصة المتقين هذه تصورها حالتان الأولى (إن المتقين فى جنات ونهر . فى مقعد صدق . عند مليك مقتدر) .

الجانب التحليلي
في قصص القرآن

الدكتور محمد العماد

الدكتور محمد محمد بدر

سورة الكهف
ومجموعاتها القصصية والمثلية

سورة الكهف

١) مدح الكتاب :

(الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) (٢) من سورة الكهف .

٢) الحالة النفسية للرسول فى ظروف السورة :

— (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) آية رقم (٦) من سورة الكهف

٣) البيئة المكانية لقصص السورة :

— (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا . وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) ٧ ، ٨ / الكهف .

المدخل الى قصة أصحاب الكهف فوق ما ذكرت : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ؟) آية (٩) من سورة الكهف .

قصة فتية الكهف باختصار :

(إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا) آية (١٠) سورة الكهف .

وهذا هو الفصل الأول .

— (فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا) آية (١١) من سورة الكهف .

وهذا هو الفصل الثانى .

(ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) آية (١٢) من سورة الكهف .

وهذا هو الفصل الثالث .

— والقصة — بهذه الصورة — مشوقة لقصة أطول فيها تفصيل وتحليل وتعليل وتعليل . ومن ثم جاءت القصة الطويلة بعد هذه القصة القصيرة — موضحة لها ومبينة لفصولها . ثم معللة ومحللة وتقع بين آية (١٣) وآية (٢٦) من سورة الكهف .

— ١ —

قصة أصحاب الكهف

الفصل الأول :

من قوله تعالى : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) آية (١٣) الى قوله سبحانه : (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) آية (١٥) من سورة الكهف .

الفصل الثاني :

من قوله عز شأنه :

(وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله فأوا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) آية (١٦)

إلى قوله تبارك وتعالى :

(لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) آية (١٨) من سورة الكهف .

الفصل الثالث :

من قوله عز ذكره : (وكذلك بعثناهم . ليتساءلوا بينهم) من آية (١٩) إلى قوله جل شأنه : (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم . أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا) آية (٢٠) من سورة الكهف .

الفصل الرابع :

يقع في آية رقم (٢١) الخاصة بالاعثار عليهم . والمتعلقة بقول الذين غلبوا على أمرهم : (لنتخذن عليهم مسجدا) .

الفصل الخامس :

من آية (٢٢) : (سيقولون : ثلاثة رابعهم كلبهم) إلى آية (٢٦) : (قل : الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض . أبصر به وأسمع . مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا) .

الفصل الأول

والفصل الأول — تظهر فيه شخصيات القصة وتتضح فيه نفسيات أصحاب الكهف وصفاتهم وتتضح فيه نفسيات أصحاب الكهف ، وصفاتهم في القصة — بحكم بدايتها — تشير إلى أنها توثر جانب الإسهاب في البناء والتصميم .

وبداية قصة أصحاب الكهف تشبه بداية رواية يوسف — عليه السلام في سورة يوسف كما تشبه بداية رواية موسى — عليه السلام في سورة القصص .

ففي سورة يوسف : (نحن نقص عليك أحسن القصص) وفي سورة القصص : (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) . وهنا في سورة الكهف : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) ثم يبدأ الفصل الأول الذي يقوم بمهمة التعريف بالشخصيات بأصحاب الكهف فتية وشباب وهم مؤمنون بربهم لا يشركون ثم زادهم الله هدى على إيمانهم ولم يدعهم حيارى تائهين .

يدل على ذلك : (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) وقد ثبت الله قلوبهم وألهمهم الصبر ولقنهم التوحيد الصحيح والدعوة الرشيدة السديدة والبعد عن الجور والغلو في المقال وفي الفعال والأحوال : (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا : ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا) .

ثم هم عائدون في دورة أخرى وحجة يحتجون بها في قولهم هذا : (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة ؟ لولا يأتون عليهم بسلطان بين ؟ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ؟) .

وهذا هو الفصل الاول الذى عرف الشخصيات وبين الأحداث ، وحدد موطن الصراع وهو أزمة الخلاف (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة) هذه هى علة العلل وأزمة الأزمات . (لولا يأتون عليهم بسلطان بين ؟) . وهذا هو الاقتراح المهد لتطوير الأزمة أو تكثيف العقدة أو حد الحدث أو إنهاء القضية .

(فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) .

وهذا هو الحكم على الجانب الآخر والطرف الثانى الذى يمثل أقوى أنواع الظلم وهو الافتراء على الله كذبا واتخاذ آلهة من دونه . .

ـ ثم هذه الآية الخاتمة عبر فيها أساليب متنوعة أسلوب نقدى مرير ، واقتراح تعجيزى شديد واستفهام بروح خطير .

ـ ولجوء القرآن الى الاقتراح بـ (لولا) والاستفهام بـ(كم) ـ تشويق للقارىء وتهيئة لذهن السامع وإتاحة فرصة له لكى يشارك فى ابداء الرأى ويسهم فى إصدار الحكم .

على أن كل فكرة فى فقرة من هذه الفقرات الثلاثة ـ تتصل بما بعدها وتحتوى على الإجابة عنها فى نفسها :

(هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة) . لا يليق هذا ولا يصح بحال من الأحوال .

(لولا يأتون عليهم بسلطان بين) لن يستطيعوا أن يأتوا بحجة واحدة تسوغ اتخاذ آلهة من دون الله .

واذن فهم قد افتروا على الله كذبا (واذا كان امرهم ذلك . (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) والجواب : لا أحد (إذ اظلم الظلم وأكبر الكبائر : الشرك بالله والافتراء كذبا على الله ؟

ومن ثم كانت هذه الآية سر الأسرار فى الصراع ، والحوار والنزاع والهروب إلى الكهف والاعتزال لأولئك المشركين ، وكانت هذه الأقوال الثلاثة ـ فى هذه الآية ـ تحمل الفكرة التى تنبنى عليها القصة ، وتحتوى على المضمون وتوصل للهدف .

واذن فالفصل الأول من " قصة أصحاب الكهف أو روايتهم ـ يقع فى سورة الكهف ـ كما عرفنا ـ من آية رقم (١٣) إلى آية رقم (١٥) من سورة الكهف .

الفصل الثانى

والفصل الثانى من القصة من آية (١٦) إلى آية (١٨) هو فصل اعتزال أصحاب الكهف لقومهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة أو اعتزال قومهم لهم ، مع ترك الفتية المؤمنين ـ مع الله ، ولأن الله زادهم هدى وربط على قلوبهم ألهمهم الإيواء إلى الكهف والتجاءهم إلى الغار فى الجبل يعتصمون به ويسكنون فيه ويعبدون الله لا يشركون به شيئا ولا أحدا ويأخذون فيه من الأعادى والعوادى . ولأنهم قالوا : (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا) .

نشر الله لهم من رحمته وهيأ لهم من أمرهم مرفقا تصور هذا كله هذه الآية في بداية الفصل الثاني (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) آية (١٦) الكهف . ورحمة الله تحيل الكهف روضة وتجعل من القبر قصرا فالشمس إذا طلعت تميل عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تجاوزهم ذات الشمال . وهم في متسع من الكهف وموضع لا تصيبه الشمس ولا توقد بهم بحرها وأوارها . وهذا من هداية الله لهم بإيوائهم هذا المأوى وإيثارهم ذلك المكان . (ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) .

— ولعل الشمس — هنا — هي الزائر الذي كان يزورهم في رحلتهم الزمانية هذه وفي يقظتهم الصغيرة تلك والإنسان هو الشاهد الذي يرى هذه الشمس الزائرة على اختلاف العصور وتعاقب الدهور . (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه) ثم نجد في ثنايا الفصول بعض الأهداف والمعاني المبثوثة داخلها عن طريق مباشر تارة وعن طريق غير مباشر تارة أخرى .

ففي الفصل الأول تجري هذه التوحيد على لسان فتية الكهف إذ قاموا فقالوا :

(ربنا رب السموات والأرض ، لن ندعو من دونه إلها)

وفي الفصل الثاني يجيء هذا التعليق : (ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) . ثم تتمة الفصل الثاني تأتي في هذه الآية (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) .

وهذه لوحة كبيرة ذات جوانب متعددة ومتجددة تنظمهم أيقاظا وهم نائمون ثم تراهم يتقلبون يمينا حينا ويسارا حينا آخر بينما تبدو كلبهم يبسط ذراعيه في فناء البيت أو على عتبة الباب ، على أن أثر الزمان قد اتضح على سحناتهم وهيئاتهم وانعكس على مشاعر رائيهم وهذا وصف مشاهد يهيئ (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) .

وينتهي هذا الفصل الثاني إلى ما شاء الله حتى يبعثهم في بداية الفصل الثالث .

الفصل الثالث

وهو فصل البعث من هذا الرقاد الطويل (فقد بعثهم الله وقد تساءلوا بينهم قال قائل منهم : كم لبثتم ؟ قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه ، وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا . إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم ، أو يعيدوكم في ملتهم وإن حدث هذا فلن تفلحوا إذا أبدا .

والفصل الثالث فيه الحياة والبعث وفيه اليقظة والنشاط ثم فيه الحوار والتساؤل وفيه الأخذ والنشاط ثم فيه الحوار والتساؤل وفيه الأخذ والرد . وقد ظهرت فيه — من خلال الحوار — بعض صفات أصحاب الكهف : فهم تواقون للمعرفة (كم لبثتم ؟)

وهم يجيبون وفق المعتاد : (لبثنا يوما أو بعض يوم) وهم يجيبون طبق الحيطة والاحسان (ربكم أعلم بما لبثتم) ثم وهم يحسون بالجوع (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة) ولكنهم " يزهون " يختارون أطيب الطعام (فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه) ثم هم سياسيون حذرون : (وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا) وهم مؤمنون متمسكون بإيمانهم عقلا" بعيد و الانظار يقدرون مايحتمل من مصائر (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا) .

وهذه الصفات تضاف إلى تلك الصفات لتضيع بهذه وتلك هذه النفسيات من تلك الشخصيات. ومن ثم كانت هذه الشخصيات ناضجة متطورة . تتضح صفاتها بمضي الوقت وتتابع الأحداث وتدور الأفكار عن طريق الحوار . والآيتان : الثامنة عشر . والعشرون من سورة الكهف تقرر هذا الفصل الثالث من " قصة أصحاب الكهف " (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم : كم لبثتم ؟ قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا . إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا) .

وهذا — أيضا تشويق وفتح باب للتفكير ليتخيل القارئ" ويتصور السامع مايحن فيها من خيالات وتصورات !

الفصل الرابع

والفصل الرابع هو فصل إطلاع الله عليهم أقوامهم بعد موتهم ليعلم هؤلاء الأقوام : (أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها) وهنا يكمن المغزى من قصة البعث لأصحاب الكهف ومن قصة الموت لمن هو طويلا في الحياة وما إن يموتوا حتى يتنازع أقوامهم بينهم : فقالوا : ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا . تصور هذا الفصل الآية الإحدى والعشرون من سورة الكهف وهي : (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا : ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم) قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) آية (٢١) من سورة الكهف وكل فصل من فصول هذه القصة يتسم بعنصر سائد فيه وغالب عليه . فالفصل الأول فيه تقديم الأشخاص والتعريف بهم وفيه تصوير الأحداث والإرهاص بامتدادها ثم فيه بداية الصراع .

والفصل الثاني — يعتمد على السكون والصمت والحركة الكونية والآلية . أو " المنفية " — والانفعالية ويتسم بجو الغرابة في البيئة الغريبة أو العجيبة .

أما الفصل الثالث — فيعتمد على الحركة والحيوية والنشاط وعلى الحوار والتخاطب والتساؤل وعلى الإحساس الغريزي بمشاعر عتى منها الخوف والشعور بالجوع والفرار من الظلم أو الموت أو الكفر والاستجابة لنداء العقل والحكمة .

ثم الفصل الرابع — يعتمد على الصراع بين الذين عثروا على جثث أصحاب الكهف بين معتقد بإيمانهم بالله وبين ذاهب إلى عكس ذلك ثم بين حسبوه اعتداء بنيان عليهم أي بنيان يغطيها

أمرهم إلى ربهم الذى هو أعلم بهم . وبعد الذين غلبوا على أمرهم وقهروا وأمسوا (لنتخذن عليهم مسجدا) .

الفصل الدارس

وهو فصل التعليق والتعقيب وهو يصور صدى " قصة أصحاب الكهف " فى نفوس الناس ، وفى عقولهم وقلوبهم . والقرآن ـ هنا ـ يسجل آراء الناس وأفكارهم فى هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم وفروا بدينهم وأووا إلى الكهف سنين عديدة ثم بعثوا من جديد ثم ماتوا ودفنوا أخيرا فى مكان أقيمت للعبادة والصلاة (سيقولون : ثلاثة رابعهم كلبهم) ويقولون : خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم (قل : ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا) (٢٢) (ولا تقولن لشئ : إنى فاعل ذلك غدا ـ (٢٣) إلا أن يشاء الله . واذكر ربك إذا نسيت وقل : عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا (٢٤) (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا (٢٥) قل : الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا) (٢٦) من سورة الكهف .

وفى هذه الآيات الأخيرة ـ يظهر السخرى جليا لا لبس فيه ولا خفاء (الله أعلم بما لبثوا ـ ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل .. ولعلهم هم (من) ارتضى من رسول) كما فى سورة الجن أو (الراسخون فى العلم) كما سترى فى سورة آل عمران .

والله هو الذى يعلم عدتهم وبعدتهم على وجه التحقيق واليقين لا الحدس ولا التخمين إذ (له غيب السموات والأرض) وما أبصره (.. وما أسمعه (وإذا كان الأمر كذلك (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا) .

ثم أن التذكر والنسيان بأمر الله والفعل والترك بمشيئة الله . (ولا تقولن لشئ : إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله . واذكر ربك إذا نسيت . وقل : عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) .

وهذه التعليقات مستوحاة من ظروف القصة إذ هى إجابة لسؤال الكفار من المشركين واليهود عن أصحاب الكهف أو من ذهبوا إلى ربهم فى الزمان الأول . مما جعل الرسول يعد هذه الإجابة دون تعليق بالمشيئة . ومما ترتب عليه انقطاع الوحى فترة قد تطول من أجلها الرسول ، وحزن وضاق عليه ذلك مضطربا كاد يموت بسببها . كما تشير إليه الآية السادسة من سورة الكهف هذه : (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) ثم هذه التعليقات مستوحاة ـ كذلك ـ من مضمون القصة القصيرة السابقة . ففى هذه القصة دعاء الفتية فى الكهف (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا) وفى هذا التعليق على القصة الطويلة هذا التعليق المستوحى من ذلك الدعاء : (وقل : عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) .

على أن القرآن قد أجاب عن المدة التى مكثها هؤلاء الفتية فى كهفهم بقوله : (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) وإجابته ـ هنا ـ مهمة فى تحقيق الهدف من

القصة وهو تقريب البعث وتمكينه وجعله ممكنا • ثم تقرير الموت وجعله نهاية المطاف من الحيـــاة ولملأعمال مهما امتد عمرها طالت • ومكثهم في الكهف ثلاثمائة سنين وتسع سنوات ، يسهم فـــي تحقيق ذلك وفي تقريبه وتقريره أما إبهام عددهم وتحديده القرآن لما سيقولونه عن هذا العدد ـ خطأه وتعمده • فسياق القصة مبني على تفويض الأمر لله في فصل البعث :

(قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم)

وفي فصل الاعتقاد عليهم :

(قالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم) •

وفي فصل التعليق : (قل : ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مـــراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا) •

وإذن ففي العمل القصصي أمور يجب أن تعرف وأمور ينبغي أن تتوقف عندها وأن تفوض أمرها الى الله •

ـ وإذا كان الوضوح شرطا أساسيا في الأسلوب البليغ فالتفويض أو الاعتراض أو الإبهام ـ يكون كل منها أو تكون هي كلها شيئا مقصودا إليه أي شيئا مطابقا لمقتضيات الأحوال أي بليغا •

ومع كون القرآن قد أخبر صراحة بالعدة التي لبثها أهل الكهف في كهفهم في الآية التاسعـــة والعشرين من سورة الكهف ـ كما رأينا ـ فقد سار على منهجه الأسلوبي والفكري والهدفي فـــي القصة إذ عقب على تلك الآية بهذا التلقين الهادي للرسول ليخرج من جدل عقيم ليس من البلاغة أو الحكمة في شيء • وهذا التلقين تصوره وتقرره الآية السادسة والعشرون التي ختمت بها " قصـة أصحاب الكهف " وهي : (قل : الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به •• وأسمع •• ولا يشرك في حكمه أحدا) • ولعل هدف الأهداف من قصة أصحاب الكهف ـ قد دل عليه هـــذه الآية الأخيرة التي ذكرتها الآن •

حصاد قصة أصحاب الكهف

(واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا (٢٧)

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهـــم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا (٢٨)

(وقل : الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الآيات

ولعل قصة أصحاب الكهف تمثل مقاومة المؤمنين لمحاولات الكفار مقاومة سلبية وإيجابيـــة وإيجابية الهجرة في سبيل الله من أجل العقيدة الإسلامية • وقد رأينا هذه القصة تعرض في سورة الكهف مرتين : مرة قصة قصيرة ذات ثلاثة فصول ومرة أخرى قصة طويلة ذات خمسة فصول على أن التمهيـــد قد مهد لها بهذه الآية : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) •

وفي هذه الآية التمهيدية ـ إشارة إلى أن خبر هؤلاء الفتية قد كتب في لوح ونصب على بـــاب الكهف (١) إلا الرقيم ـ هنا ـ هو الكتاب المرقوم المكتوب (٢) أو لعل الرقيم هو اسم الـوادي الذي فيه الكهف (٣) •

---

(١) (٢) (٣) ـ تفسير القرآن ـ للبغدادي

ولعل هؤلاء القليل الذين يعلمون عدد أصحاب الكهف قد اطلعوا على ذلك اللوح الذي فيه أخبارهم هذا وفي القصة أساليب بلاغية وتعابير لغوية جديرة بالدراسة المتأنية المتمهلة مما ينبغي الإشارة إليها والإشادة بها . ففي الحالة النفسية للرسول : (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) فكأن الرسول ـ لشدة حرصه على إيمان قومه وشدة حزنه وغضبه لعدم إيمانهم بحديث القرآن يعرض نفسه للقتل والهلاك . وكأنه يرجو هذا ويأمل .. وهنا براعة بارعة في إظهار حرف الرجاء الذي يصور أماني قومه الذين يرجون له كل شر حتى يكف من حزنه وغضبه من غضبه وبدعهم في أباطيلهم إلى أن تحين فرصة يواجههم فيها بقوته بعد مما واجههم بحجته . ومن ثم جاء في أعقاب القصة ـ هذا الأمر التهديدي : (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ( ) .

ثم إيثار كلمة (الفتية) يتسق وروح السورة العام ففي هذه القصة : (إذ أوى الفتية) (إنهم فتية) وفي قصة موسى وفتاه : (وإذ قال موسى لفتاه) (فلما جاوزا قال لفتاه) فهو في قصة ذي القرنين من سورة الكهف معاني القوة والبطولة والرجولة التي تنهض بالفتوحات وتعمل على إرساء الصداقة والخير والسلام مثل (فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) (قال : ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد) (انفخوا ـ أفرغ عليه قطرا) .

ثم في مثل الرجلين معاني القوة الطاغية من الرجل الكافر . ومعاني القوة الحقيقية في الرجل المؤمن .

اذن فاستخدام لفظة " الفتية " يتسق وروح السورة العام .

ثم تشير إلى بعض الأساليب في قصة أصحاب الكهف (فضربنا على آذانهم) أي أنمناهم . أو منعناهم السمع (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) (أبصر به وأسمع) . ومن التعابير اللغوية الموحية (تزاور عن كهفهم ـ تقرضهم ـ وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ـ واذكر ربك إذا نسيت) . ومن الأساليب التأملية : (ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ـ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) (قائلوا : ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم : لنتخذن عليهم مسجدا (قل : ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ولبثوا في كهفهم) ـ وبعدها (قل : الله أعلم بما لبثوا وكل هذه الأساليب تحتاج إلى مزيد من التحليل والتعليل وبسط من الدراسة والتمحيص .

لمحة "إبليس"

في سورة الكهف

لمحة إبليس

(وإذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس (كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلا) آية رقم (٥٠) من سورة الكهف .

وسواء أكان ابليس من جنس الملائكة ـ بدليل هذا الاستثناء في هذه الآية أم كان من جنس الجن لقوله سبحانه في الآية نفسها (كان من الجن) ولقوله تعالى في آية أخرى من سورة أخرى : (خلقتني من نار) فان المغزى من هذه اللمحة هو تسجيل التكبر ومايطرأ عليه من طرد وحرمان . كما أن هنا تسجيلا لشيء آخر وهو عداوة إبليس وذريته لبني آدم .

وإذا كان إبليس وذريته أعداء فكيف تتخذهم ـ نحن بني آدم ـ أولياء من دون الله؟ (هذا لا يصح ولا يليق (وهذا لا يكون من عاقل يعي ، أو نطن يعقل (بئس للظالمين بدلا ( ) أن يكون الأعداء أولياء وأن تتخذ إبليس وذريته أصدقاء تصفيهم الود وتخلصهم الحب وتوليهم الثقة .. (فعداوة إبليس للانسان ممتدة من بدء الزمان ومتصلة إلى آخر الزمان . ومن ثم وجب الحذر منه ومن ذريته ووجبت الوقاية منه ومن وسوسته (حتى لانخدع به وحتى لانطرد من رحمة اللهبسبب إغوائه وإفساده (.

ثم أن لمحة إبليس ـ هنا في سورة الكهف ـ جاءت ضمن آيات التعقيب التي وردت بعد مثلي الرجلين والحياة الدنيا .

وعداوة إبليس وذريته لبني آدم ـ تستوجب ـ كما قلت ـ الحذر منه والبعد عنه وعدم الثقة به . ومن هنا جاءت الآيات الثلاثة بعد آية : " لمحة إبليس " ـ تحتوي على تخلي الشر عن نصرة أهله أو تتصل بشيء من هذا . وهذه الآية الأولى منها ـ ترينا أن الله نفسه لم يتخذ المضلين عضدا وليس ثمت من مثل أبلغ في هذا المعنى من هذا المثل . وفي الآية الثانية ـ نرى عدم استجابة الشركاء لمن دعوهم وعبدوهم (ثم في الآية الثالثة ـ يرى المجرمون النار فيتيقنون أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا .. ولا معدلا .. (.

وماذا لك كله إلا من قبيل التصريف في هذا القرآن للناس من كل مثل ولعلة هذا التصريف هو أن الانسان أكثر الناس جدلا .. (تشير إلى هذه المعاني المتصلة بإبليس وبتعمده قصة أصحاب الكهف ومثل الحياة الدنيا . هذه الآيات : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) (ويوم يقول : نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا) (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا)

من آية (٥١) إلى آية (٥٤) من سورة الكهف

وآية الإشهاد الأولى فيها تلميح بالإعجاز العلمي قبل خلق السماء والأرض وقبل خلق الإنسان .

أما آيتا : القيامة ، والنار ـ بعد تلك الآية فهي صورة حية نابضة بالنداء والدعاء والحركة آهلة بالحيرة والعقبات والتذكر ، والتيقن والخوف والقرى والسكون الرهيب والنتيجة المتوقعة المفزعة .

أما الآية الأخيرة ـ آية تصريف الأمثال فهي إشارة إلى تعدد المعارض البيانية في القرآن من قصص وأمثال ، ومن حوار وجدال وهذه خصائص القرآن يقتنع بها الإنسان فالتصريف للناس والتصريف فيه اقتناع ، في الحجج والبرهان وفي البلاغة والبيان . وكان الانسان أكثر شيء جدلاً والذي يقنع عقله ويمتع نفسه ، هذا الفن من تصريف الأمثال ومن تقدير أدلة القرآن بما يحتوي من معان وتجلي بالبيان .

— ٥ —

قصة موسى وفتاه والعبد الصالح
أو
قصة موسى والخضر عليهما السلام
أو
قصة الصراع :
بين الشريعة ، والحقيقة

قصة موسى والخضر عليهما السلام

هي قصة الصراع بين الشريعة المتمثلة في موسى وبين الحقيقة المتمثلة في الخضر عليهما السلام . وهي قصة من قصص " اللامعقول " بالنظر إلى أحداثها الأولى في فصولها الأولى قبل الفصل الختامي الأخير الذي حلت فيه الطلاسم وانكشفت فيه العقد والأزمات . على أنها — مع ذلك كله — من قصص الرحلات .

وللقصة مدخل إليها :

يقع بين آية (٦٠) وآية (٦٤) من سورة الكهف .

ثم تأتي القصة : قصة موسى والخضر من آية (٦٥) إلى آية (٨٢) من سورة الكهف .

وللقصة — كما عرفنا — تمهيد أو مدخل من آية ٦٠ : (وإذ قال موسى لفتاه) إلى آية (٦٤) : (قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا) وهذا المدخل التمهيدي يبين جو القصة القائم على المصادفة أو على القدر الخفي القائم على المصادفة الذي يصرف أمور الناس إذ : (نسيا حوتهما) (ثم ارتدا على آثارهما قصصا) فهذه الوطئة تبين الجو العجيب الذي سنلقاه ونعيش فيه . ثم تبدأ القصة أو الفصل الأول بعد ذلك التمهيد بقوله سبحانه وتعالى : (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) آية (٦٥) .

وفي القصة دروس تستفاد من خلال الحوار مثل : أدب التعليم : (هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ؟) (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ؟) وهذان القولان الآخذان صورة الاستفهام فيهما ملامح تربية تعليمية وفوائد نفسية واستطلاعية جديرة بالتحليل والتعليل . أما الرابطة التي تربط جزئيات القصة فهي رابطة المشيئة كمشيئة الله الغالبة المتمثلة في قوله سبحانه على لسان موسى عليه السلام : (ستجدني إن شاء الله صابرا) كما أنها نكرة الطاعة ، المعبر عنها بقوله : (ولا أعصي لك أمرا) .

وكذلك تربط القصة : قصة موسى والخضر بالمثل : مثل الرجلين — إذ أن في هذا المثل جزئية المشيئة : مشيئة الله . (ولولا إذ دخلت جنتك قلت : ما شاء الله لا قوة إلا بالله) إذن فجزئية المشيئة سارية بين مجموعة سورة الكهف القصصية وهذا يسهم لغويا في تكوينها وتكريها وهذا فيما في تحقق معنى النظم البلاغي بين السورة بوجه عام ، وبين قصصها بصفة خاصة . على أن هذا الأخير من ذاك المعنى : معنى المشيئة مشيئة الله قد اتضح أيما اتضاح في قصة أصحاب الكهف وذلك في هذا التوجيه القائل في هذا الشأن : (ولا تقولن لشيء : إني فاعل ذلك غدا إلا

أن يشاء الله) .

وما هو واضح أن القصة : قصة موسى والخضر ـ كسائر القصص القرآني ـ متماسكة مترابطة تنتظمها وحدة واحدة لا فكرة الصبر الموعود والصبر الذى لا يستطاع فى كلام الله على لسان الخضر الموجه لموسى : (قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا ؟) فى آية رقم (٧٢) وفى آية (٧٥) : (قال : ألم أقل لك : إنك لن تستطيع معى صبرا ؟) وكذلك الصبر الآخذ معنى غريزة حب الاستطلاع فى آية (٧٨) : (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) والآخذ معنى الإشباع لغريزة حب الاستطلاع فى آخر آية من القصة رقم (٨٢) : (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) .

كل أولئك قد وصل هذه الفكرة فى هذه القصة كما وصل القصة بتلك الفكرة وحقق بهذا كله معنى النظم المعجز فى قصص القرآن " وهو آية الآيات فى الاعجاز " البلاغى ، والفنى ، والأدبى واللغوى .

على أن مغزى المغازى وهدف الأهداف من قصة موسى والخضر هو أستاذ الأمر والمشيئة لله ، وإصدار الأفعال عن أوامر الله يشير إلى هذا قول الله على لسان الخضر كاشفا عن سر تصرفه وعلة مسلكه) وغرابة أحواله : (وما فعلته عن أمرى) ـ آخر القصة .

ثم جزئية الانطلاق سارية فى سرد القصة ووصل الفصول بعضها ببعض . (فانطلقا حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها) من آية (٧١) (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما ، فقتله) من آية (٧٤) (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها) من آية (٧٧) من سورة الكهف .

وإذا كانت الآيات الواقعة مابين آية (٦٠) وآية (٦٤) هى المدخل التمهيدى للقصة كلها فإن الآيات الواقعة بين آية (٦٥) وآية (٧٠) هى المقدمة التمهيدية للقصة نفسها ـ فهى اتفاق نظرى ومعاهدة علمية على رحلة تحقيقية وتطبيقية بين موسى والعبد العالم ـ وبعد هذه المقدمة التمهيدية تصول القصة الحقيقية : وهى فصل الركوب فى السفينة من آية (٧١) وهى قد إلى آية (٧٣) وفصل قتل الغلام من آية (٧٤) إلى آية (٧٦) ثم فصل إقامة الجدار من آية (٧٧) إلى آية (٧٨) .

وإذا كانت المقدمة التمهيدية للقصة نفسها الواقعة من آية (٦٥) إلى آية (٧٠) قد بينت شروط المعاهدة العلمية ، والرحلة المدنية ـ فإن الآيات المتفرعة من الفصل الثالث الأخير : فصل إقامة الجدار والواقعة من آية (٧٩) إلى آية (٨٢) بمثابة الختام الكاشف لعقد القصة والموضح أسرارها وأستارها وأفكارها والمبين حلولها وعلاجها ونهايتها .

مما جعل القصة محكمة متقنة فى البناء والتصميم وفى التوزيع والتوقيع وفى الفكرة المرتبة وفى السرد الواعى وفى المفاجأة والتشويق وفى التقديم والختام .

وهذا كله قد حقق ظاهرة الإعجاز النظمى الذى يحد ـ كما عرفنا ـ آية الآيات فى الإعجاز .

— ٦ —

قصة ذى القرنين

وهى من آية (٨٣) الى آية (٩٨) من سورة الكهف . وهى رحلة من نوع آخر تمثل الفتوحات الاسلامية التى ستنتظم المشرق والمغرب . وإذن فالمجموعة القصصية عبارة عن عدة رحلات : ١) رحلة أصحاب الكهف الى الكهف والنوم والفرار وهذه الرحلة تمهيد للهجرة فى الاسلام .

٢) رحلة موسى فى طلب الحقيقة والعلم اللدنى .

٣) ثم رحلة ذى القرنين للفتح العادل ونشر الحضارة وإشاعة الخير والرحمة ويذكر الرحمة — هنا — نجد أن رابطة الرحمة تنتظم السورة كلها .

ففى قصة أصحاب الكهف (ربنا آتنا من لدنك رحمة) آية (١٠) ثم فى تمهيد قصة موسى والخضر : (وربك الغفور ذو الرحمة) وفى القصة : (فوجدا عبدا من عبادنا ، آتيناه رحمة من عندنا) آية (٦٥) ثم (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) آية (٨٢) وفى قصة ذى القرنين : (قال : هذا رحمة من ربى) (٩٨) .

وهنا ملحوظة أخرى إلى جانب ملحوظة الرحمة التى شاعت فى جنبات المجموعة القصصية لسورة الكهف وحققت جانب الوحدة المعنوية والأسلوبية بين قصص السورة . هذه الملحوظة الأخرى هى إغفال ذكر أسماء من فى المجموعة القصصية فى سورة الكهف فأصحاب الكهف : (فتية آمنوا بربهم) وأصحاب المثل : رجلان . ورفيق موسى : فتاه . والبطل الثانى فى قصة " موسى والخضر " — ليس إلا عبدا من عباد الله آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما .

وكذلك الذى مكن الله له فى الأرض وآتاه من كل شىء سببا — عبر القرآن عنه " بذى القرنين " ذلك أن القرآن — هنا — ليس بصدد التاريخ حتى يأتى بأسماء الأبطال فى قصصه وإنما المراد سوق الخطوط العامة والخيوط الرئيسية للشخصيات وللبيئات وللأحداث وللأفكار دون تفريع أو استطراد وبغير تنصيص لأسماء أو تخصيص لصفات . على أن هذه المجموعة القصصية مسوقة لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم لأن نفسيته حزينة تتمثل فى قوله سبحانه : (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) وهذا لشدة حرصه عليه السلام — على منفعتهم ومصلحتهم فهو يعرض نفسه للهلاك والآلام (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) . ومن هنا قصص الله نبأهم بالحق . أما المثل فهو موجه (لهم) لينذر بأسا شديدا من لدنه — وهذا مثل الكافر — ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا (وهذا مثل المؤمن)

أما قصة ذى القرنين — هنا — فى سورة الكهف ، فتقع فى عدة فصول ، قبلها تمهيد عام وتمهيد خاص . فآية (٨٣) (ويسألونك عن ذى القرنين قل : سأتلو عليكم منه ذكرا) تعد تمهيدا عاما يحكى سؤال الكفار رسول الله أن يقص عليهم قصة ذى القرنين كما سألوه من قبل فى أول السورة عن أصحاب الكهف . وهذا مدخل عام يبين مناسبة ورود القصة هنا ، وورود القصة هناك . أما آيتا (٨٤) ، (٨٥) وهما : (إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا ، فأتبع سببا) فهما تمهيد خاص وتقديم للشخصية وتعريف بها وإيتاء القصة لغة خاصة بها ، وأسلوبا مميزا لها وخطا ومنهجا وخطا داخليا يصل

فصولها بعضها ببعض ـ وقد قام بهذا كله هاتان الآيتان كما ربطت الفصول آية (٨٥) : (فأتبع سببا) التي وردت في ختام الفصل الأول رقم (٨٩) : " ثم أتبع سببا " ـ كما وردت عقب الفصل الثاني آية رقم (٩٢) : (ثم اتبع سببا) .

وقد ربطت مع ذلك ، وبذلك الفصل الثاني بالأول ، والفصل الثالث بالثاني . ومع هذا نجد أول كل فصل يبتدئ بلفظة واحدة وهي : " حتى " التي جاءت في آيات : ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٣ وهي آيات الفصول الثلاثة في هذه القصة ، أو في هذه الرحلة . وهي هنا تقابل (فانطلقا) التي صدرت بها فصول القصة السابقة : قصة موسى والخضر . على أن لفظة " حتى " قد جاءت في الفصل الثالث الأخير ، من قصة ذي القرنين ، وهي تبين الحركة العضوية ، وذلك في : (حتى إذا ساوى بين الصدفين) ـ (حتى إذا جعله نارا) وهي ـ هنا ـ بهذا الوضع ، تمثل الفاء في (فانطلقا) ـ كما تفيد (حتى) التي جاءت عقب (فانطلقا) في القصة السابقة قصة موسى والخضر .

مما يؤلف بين نسق السورة كلها ، ويحقق معنى النظم في قصص هذه السورة ، وكذلك مادة القول ، المنبثة من الحوار . ففي كل قصة من قصص سورة الكهف ، هذه ـ يجري حوار ، يمثل لونا من ألوان الصراع ، وينبع من بيئة القصة : الزمانية ، والمكانية والشخصية ، فقصة أهل الكهف مليئة بهذا كله :

(وربطنا على قلوبهم ، إذ قاموا فقالوا : ربنا رب السموات ، والأرض ، لن ندعو من دونه إلها ، لقد قلنا إذا شططا) آية ١٤ / الكهف .

(وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم : قال قائل منهم : كم لبثتم ؟ ـ قالوا : لبثنا يوما ، أو بعض يوم ، قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم ، فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ، فلينظر أيها أزكى طعاما ، فليأتكم برزق منه ، وليتلطف ، ولا يشعرن بكم أحدا) ١٩ / الكهف .

على أن لأقوالهم نغمات تصور طبيعة خصومهم الكافرين ، المشركين ، الظالمين ، الفاجرين : (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) ١٥ / الكهف وهؤلاء الأقوام يهددون أصحاب الكهف ، المؤمنين (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا) آية ٢٠ / الكهف .

وتتمة القول ، والحوار الدال على النزاع والصراع ، تسجل تكملة القصة : قصة أصحاب الكهف (إذ يتنازعون بينهم أمرهم ، فقالوا : ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم : لنتخذن عليهم مسجدا) آية ٢١ / الكهف وهكذا التعليق على القصة في الآيات التالية : رقم ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ / من سورة الكهف .

ومثل الرجلين على • بالحوار الصريح • والتحاور بين الرجلين الذين ينبئ • عن عقيدة كل منهما • ونفسيته • وطبيعته • والذى ينبع من البيئة ومن الموقف :

(وكان له ثمر • فقال لصاحبه وهو يحاوره : أنا أكثر منك مالا • وأعز نفرا (٣٤) ودخل جنته وهو ظالم لنفسه • قال : ما أظن أن تبيد هذه أبدا (٣٥) . وما أظن الساعة قائمة • ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا) (٣٦)الكهف (وقال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذى خلقك من تراب • ثم من نطفة ثم سواك رجلا ؟ (٣٧) . لكنا هو الله ربى • ولا أشرك بربى أحدا (٣٨) ولولا إذ دخلت جنتك • قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله • إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا (٣٩) فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك • ويرسل عليها حسبانا من السماء • فتصبح صعيدا زلقا (٤٠) أو يصبح ماؤها غورا • فلن تستطيع له طلبا (٤١) الكهف وكذلك تغير نفسية الرجل الكافر • المغرور • أخيرا حينما قدم لات ساعة فندم :

(وأحيط بثمره • فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها • وهى خاوية على عروشها • ويقول : ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) (٤٢) من سورة الكهف .

أما قصة موسى والخضر • فهى قائمة على مادة القول والحوار • من أولها إلى آخرها ـ كما هو واضح ـ (قال لفتاه : آتنا غداءنا) ـ (قال : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) (قال : ذلك ما كنا نبغ) .

وهذا فى التمهيد العام ... وفى التمهيد الخاص :

(قال له موسى : هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا ـ قال : إنك لن تستطيع معى صبرا) .. الخ .

وفى الفصل الأول من القصة • استنكار من موسى لخرق الخضر السفينة :

(قال أخرقتها لتغرق أهلها • لقد جئت شيئا إمرا ؟! ـ قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا . قال : لاتؤاخذنى بما نسيت • ولاترهقنى من أمرى عسرا)

وفى الفصل الثانى : استنكار موسى على الخضر قتل الغلام : (قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس • لقد جئت شيئا نكرا ؟!

قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا . قال : إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) .

وفى الفصل الثالث طلب موسى من الخضر أن يتخذ أجرا على إقامة الجدار :

(قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال : هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) .

ثم بدأ يجيب عن كل سؤال • وجه إليه فى كل فصل • وفى كل تصرف :

(أما السفينة فكانت لمساكين) ـ (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين)

(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة)

أما قصة ذي القرنين نجد في الفصل الأول منها هذه الأقوال : (قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب ، واما أن تتخذ فيهم حسنا .

قال : اما من ظلم فسوف نعذبه ، ثم يرد إلى ربه ، فيعذبه عذابا نكرا .

وأما من آمن ، وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) وفي الفصل الثالث نجد فيها لايكادون يفقهون قولا : (قالوا : ياذا القرنين ، إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ؟ قال : ما مكني فيه ربي خير ، فأعينوني بقوة ، أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين ، قال : انفخوا حتى إذا جعله نارا ، قال آتوني أفرغ عليه قطرا) . قال : هذا رحمة من ربي ، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء ، وكان وعد ربي حقا) .

ونأخذ من هذا كله ، أن مجموعة الوحدات اللغوية ، والأسلوبية ، والبلاغية ، والحوارية والفنية ، والفكرية الفلسفية ، تعود مجموعة القصص والأمثال في سورة الكهف .

وأن هذه الوحدات تحقق معاني النظم المعجز ، مما يوجد بين نسق السورة من جهة ، وبين نسق القصص فيها من جهة أخرى .

٧٤

قصة نوح في سورة نوح
السورة كلها

....

هذا نمط جديد في القصص القرآني .. فالقصة تشمل السورة كلها - ولا نجد لها مقدمة ولا تمهيدا . كما لا نجد لها تعليقا ولا تعقيبا . غير أنه من السهل تحديد الآيات من رقم ١٥ إلى رقم ٢٠ من قبيل التعليق أو التعقيب . وليس من كلام نوح عليه السلام أي من قوله سبحانه : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا ؟) ..... إلى قوله تعالى : (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) .

وفي هذه القصة - من هذه السورة مراحل الدعوة الإسلامية أو الإشارة إلى مرحلتيها : السرية والعلنية : (ثم إني أعلنت لهم ، وأسررت لهم إسرارا) وفيها ملامح البيئة العربية : (يرسل السماء) - (يمددكم بأموال) - (يجعل لكم جنات) كما أن فيها جو التآمر والكيد الذي كان المشركون يكيدونه كلما أتى فيها ذكر التآمر والكيد الذي كان المشركون يكيدونه للرسول : (ومكروا مكرا كبارا) وإذن فهذه القصة - كما قيل - وكما أقول - صدى الدعوة الإسلامية ، والبيئة العربية .

على أن لها منهجا قصصيا فريدا لم يسجل حوارا يدور بين اثنين ، إنما هو كلام أو نداء أو دعاء جرى على لسان نوح عليه السلام . حتى إنه تولى الإجابة عن ربه بقوله : (قال : رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا) .

فكأن هذه القصة - بوضعها الحالي - قد نابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في التنفيس عنه ، وفي التعبير عن حالته ، ووضع دعوته . وفي هذا مايبرر من التخفيف عنه ، والترفيه له . على أن من السهل جعلها - بوضعها الراهن - من وادي "الترجمة الذاتية" ، أو طريقة تيار الوعي ، أو المونولوج الداخلي .

وإذا لمسنا وحدة تربط مابين أجزاء القصة ، أو تحدد مناظرها أو مواقعها أو فصولها فإن كلمة " قال " هي الرابطة التي تنهض بذلك :

١) (قال يا قوم إني لكم نذير مبين .. أن اعبدوا الله واتقوه ، وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ، ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون)

٢) قال : رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا - إلى قوله سبحانه : (وقد خلقكم أطوارا) .

والموقف الأول يمثل مرحلة الإنذار . والموقف الثاني يمثل إجابة نوح له وإصرارهم عليه وانحرافهم عنه ، واستكبارهم الشديد ، وموقفهم السلبي منه .

٣) (قال نوح : رب إنهم عصوني ، واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) من آية ٢١ ـ إلى آية (٢٥) (مما خطيئاتهم أغرقوا ، فأدخلوا نارا ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) . وهذا الموقف يمثل تأثر الأتباع ، وتمسك القادة وزعمائهم اليهودي من (ومكروا مكرا كبارا) (وقالوا : لا تذرن) ـ (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) ـ فهم لم يكتفوا بضلالهم هم ، وإنما أضلوا كثيرا .

٤) (وقال نوح : رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) آية (٢٦) إلى آية (٢٨) (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) . هي الفصل الأخير ، وهو دعاء نوح عليهم وتدمير هذا العصيان .

غير أنه من الممكن جعل هذا ، وما قبله رقم (٣) فصلا واحدا ، لأن الدعاء تابع لقبل الإنذار . ومن هنا وصل بالواو في آية (وقال) بخلاف سائر (القالات) الأربع . وعلى هذا فالقصة ذات ثلاثة فصول .

أما إذا فصلنا (وقال) وجعلناه فصلا رابعا ، فإنه من الممكن ثم فصل آخر أيضا ، وهو جعل الآية الأولى فصلا أول ، وهي قوله سبحانه :

(إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) .

فالخلاصة أن قصة نوح ، في سورة نوح ، هي قصة الدعوة الإسلامية ، غير أن شخصية نوح التي سوقها القصة ، فتلك شخصية الرسول محمد ، إذ الرسول لم يدع على قومه بالاستئصال كما دعا نوح على قومه ، ولم يقل مثله : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) ، بل كان يقول كما ورد ـ : (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) .

ولعل هذا إنذار للكفار من مكة ، فكأن القرآن يقول لهم في هذه القصة : إن في إمكان رسولكم محمد ، أن يدعو عليكم كما دعا نوح على قومه ، فيهلككم بمثل ما أهلك قوم نوح .

أما التعقيب ، فهو من آية (١٥) إلى آية (٢٠) ومن الممكن أن يكون هذا من كلام نوح عليه السلام فلا يكون أحد في القصة تعقيب .

ومما ينبغي تسجيله أن أسلوب القرآن ، في قصة نوح ، قريب جدا من أسلوبه في قصة الجن ، فكأنه يكون المتحدث واحدا ، إذا عددنا سورة الجن قصة ثالثة للرابطة (إن) كما ذكر في سورة الجن : (وأنه تعالى) ـ (وأنه كان) ـ (وأنا ظننا) (وأنهم ظنوا) (وأنا لمسنا) ـ (وأنا كنا) ـ (وأنا لا ندري) ... الخ .

وأكثر فالقصتان متجاورتان ، وإن كانتا متباعدتين في النزول . ولعل هذا من أسرار الإعجاز في ترتيب القرآن ، وتبويبه وإن من تأملين القصة .

(٦)

الرواية والحكاية

في

سورة طه

رواية موسى عليه السلام

وهي تقع ما بين آية (٩) إلى آية (٩٩) سورة طه

أي من قوله سبحانه : (وهل أتاك حديث موسى) (٩) إلى قوله تعالى : (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا) (٩٩) سورة طه.

وهي رواية تقع في ثلاثة فصول : الفصل الاول من آية (٩) : (وهل أتاك حديث موسى) إلى قوله عز وجل : (والسلام على من اتبع الهدى) آية (٤٧) .

الفصل الثاني : من آية (٤٨) من قوله سبحانه : (إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) (٤٨) . إلى قوله سبحانه : (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) آية (٧٦) . وهذا الفصل الثاني من ثلاثة مناظر : ١) المنظر الاول : من آية (٤٨) إلى قوله سبحانه : (قال : موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) آية (٥٩) .

٢) والمنظر الثاني في آية (٦٠) : (فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى)

٣) المنظر الثالث من آية (٦١) (قال لهم موسى : ويلكم .. (.. لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى) آية (٦١) إلى قوله سبحانه : (وذلك جزاء من تزكى) من آية (٧٦) .

الفصل الثالث

من آية (٧٧) : (ولقد أوحينا إلى موسى : أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) آية (٧٧) إلى آية (٧٩) : (وأضل فرعون قومه وما هدى) آية (٧٩) .

تفريعات : من آية (٨٠) إلى آية (٨٢) من قوله سبحانه : (يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم) من آية (٨٠) إلى قوله تعالى : (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) آية (٨٢) .

الفصل الرابع والاخير

من رواية موسى عليه السلام

من آية (٨٣) : (وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟) إلى آية (٩٨) : (وسع كل شيء علما) آية (٩٩) : (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من

ربك سبحانه إلى أنه كي تقر عينها ولا تحزن وتعلم نفسا تعبيرك من الغم وتنجيك من فرعون وقتلك نفسا فنجيناك من أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي) .

فهذه ـ وحدها ـ حكاية بل رواية لأنها تشمل حياة موسى منذ مولده إلى بعثته بيد أن القرآن قد وضعها في أول حوار يقوم عليه الفصل الأول من هذه الرواية الكبيرة التي تنتظم حياة موسى عليه السلام قبل البعثة وبعد البعثة أو تسجل أهم حياته . فهي ـ وإن كانت سردا وصفيا ـ تعد حوارا تصويرا رائعا ومتعا ممتعا .

على أن الحوار الذي يفيض بهذا الفصل الكبير أو بهذه القصة الطويلة الأولى ـ تتعدد المعاني وتجدد الإيقاع .. تختلف السمات والألوان . تدنو الله موسى أول القصة ويهيب فيه عظمة وجلالة وهيبة وسيطرة بحيث لا يتكلم فيه أو معه إلا الله فلا موسى ولا أهله يستطيع التعارف على : (يا موسى .. إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى : إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) . والذي يخرج موسى من حقيقته أو رهبته أو خشيته هو هذا السؤال للإيناس : (وما تلك بيمينك يا موسى ؟) .

فيجيب : (هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) هذا الموقف من موسى مع ربه يختلف عن موقف موسى من فرعون : (قال : فمن ربكما يا موسى ؟ قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . قال : فما بال القرون الأولى ؟ قال : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) فهنا تطغى شخصية موسى على شخصية فرعون وهنا تظهر ثقافة موسى على ثقافة فرعون فيجيب إجابة بيان وإجابة برهان ويحمل فرعون على الفرار من سبات الحوار إلى مقام الادعاء ودعوى الألوهية : (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ؟) كلمة تافهة من شخصية هي في حقيقتها ـ تافهة وإن كانت تعتصم بالعدد والطغيان وتعتز بالملك والسلطان .

ولاختلاف هذين الموقفين ظهر أدب موسى مع ربه وجلى هذا الأدب في هذا الدعاء : (قال : رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) .

فهو ـ هنا يدعو ربا يعرف سره ونجواه كما يطلعه على عقده وخفاياه .

وكما طغت شخصية موسى على شخصية فرعون طغت أيضا ـ شخصيته على شخصيات السحرة إذ : (قال لهم موسى : ويلكم .. لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) (قد خاب من افترى) جمل متلاحقة .. فكأنه يقارع بهم القلوب والطمأنينة وملائكة عصمة من الله وحرزا من العذاب كما تقارع بقوة سحرهم وسحر سحارهم .

لدينا ذكرا) .

وتضم هذه الفصول من قبيل المواقف التاريخية الحاسمة المهمة ـ وذلك مثل : موقف موسى عليه السلام مع ربه . في الفصل الأول ومثل : موقفه مع فرعون بمشهد من هارون عليه السلام . ومثل : موقف السحرة من فرعون وتهديده لهم في الفصل الثاني ومثل موقف الله مع موسى إذ عجل إليه وموقف موسى من قومه بعد أن أضلوا موقفه من أخيه هارون وعتابه له وتنبيه عليه وموقفه من السامري في الفصل الرابع الأخير .

كما أن هذه المجموعة من الفصول يمكن جعلها ذات تقسيم آخر : فمن أول آية (٩) : (وهل أتاك حديث موسى ؟) إلى آية (٧٦) : (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) . قصة طويلة من أربعة فصول ـ أي دمج الفصلين الأول والثاني بمناظره الثلاثة بعضهما في بعض وضمهما معا في قصة واحدة .

ثم من أول آية (٧٧) إلى آية (٨٢) أي من قوله سبحانه : (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) إلى قوله تعالى : (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) أي ضم الفصل الثالث إلى تفريعاته في وحدة واحدة وجعله وتفريعاته قصة مستقلة .

ثم جعل الفصل الرابع الأخير في الرواية الكبيرة رواية موسى عليه السلام أي من آية (٨٣) : (وما أعجلك عن قومك يا موسى) إلى آية (٩٨) : (إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما) جعل هذا الفصل قصة طويلة مستقلة مؤلفة من فصلين : أولهما : هو موقف موسى مع ربه الذي أخبره فيه بأن قومه من بعده قد أضلهم السامري والفصل الثاني من رجوع موسى إلى قومه غضبان آسفا إلى قوله : وسع كل شيء علما . وبهذا تتألف هذه المجموعة القصصية في سورة طه من ثلاث قصص طوال :

١) قصة ماقبل الإغراق . ٢) قصة الإغراق والإنجاء .

٣) قصة مابعد الإغراق والإنجاء .

وتضم هذه القصص الثلاثة : بعضها إلى بعض بمراحلها الثلاثة ـ تكتمل رواية طويلة هي رواية موسى عليه السلام . .

والقصة الأولى : قصة ماقبل الإغراق ـ من آية (٩) إلى آية (٧٦) ـ تعد قصة حوارية مما يجعلها تصلح مسرحية بدون تحوير في مضمون أو تغيير كبير في بناء وهي من أتم قصص القرآن الحواري . على أن فيها تعميق الشخصية وتأسيس البناء في الكلام الذي جرى على لسان الله ملخصا حياة موسى في سنيه الأولى قبل اختياره للرسالة وتكليفه الذهاب إلى فرعون . وقد أخذ هذا العنصر من الحوار صورة الحكاية الفنية المركزة المختارة المحكمة البليغة : (ولقد منا عليك مرة أخرى إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني) . (إذ تمشي أختك فتقول : هل أدلكم على

وهكذا نجد الحوار في القصة الاولى - يتخذ صفات شتى ويتسم بسمات متعددة مما كما يكشف برهبته وهو موجه من الله إلى موسى في صورة نداء وما تضمر بخلقه وهو صادر من موسى في صورة دعاء وما نرى بظاهره وبباطنه وهو يلخص مراحل موسى منذ مولده إلى بعثته وما ندرك جدله ومنطقه وإيجازه وتوجيه في إجابة موسى لفرعون . وبما نلمح أثره في إيحاءات موسى وتهديده الله للسحرة وتأثيره في تنازعهم أمرهم بينهم وإسرارهم النجوى ، وإجماعهم كيدهم وإتيانهم صفا .

والحوار - بهذا التعدد وبهذا التجدد وبذلك التأثر والتأثير - ينمي الأحداث ويحلل الأشخاص ويكشف عن النوايا ويدل على الأهداف ويجعل من القصة الحوارية صلا أقرب هو إلى المسرحية أقرب منه إلى القصة الروائية .

هذا بالنسبة إلى قصة ماقبل الإغراق .

أما قصة الإغراق - من آية (٧٧) إلى آية (٧٩) فهو من قبيل الحكاية التي تعتمد على السرد : (ولقد أوحينا) (فأتبعهم فرعون) (فغشيهم من اليم ما غشيهم فرعون قومه وما هدى) . فهي حكاية قبل أن تكون قصة أو رواية .

على أنها مع هذا السرد الوصفي أو الوصف السردي فيها ملامح النداء أو الكلام أو الإيحاء : (أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لاتخاف دركا ولاتخشى) وفيها تفصيل بالتهويل (فغشيهم من اليم ماغشيهم) .

على أن التفريعات والتعقيبات التي أعقبت القصة قصة الإغراق - والتي نجت منها ، وصدرت عنها أو التي جاءت بعد حادثة الإغراق لفرعون وجنوده وظاهرة الانجاء لموسى ومن معه . وهي مابين آية (٨٠) وإلى آية (٨٢) - تعتمد هذه التعقيبات وتلك التفريعات من قبيل نبرات التعميم وأبهة التكريم وهي حكاية لاتكاد لم تظهر لها خاتمة وإن بدت لها مقدمة . ومن هنا عدت بها تتمة لقصة الإغراق وتكملة لتعقيبها وإن صح جعلها قصة أو حكاية " مفتوحة " تدع الخيال يتخيل لها نهاية وتترك القارئ يترقب الخاتمة بلهفة واشتياق .

على أن قصة التعميم هذه لبني إسرائيل تعتمد - في بنائها اللغوي - على عنصر الوصف السردي مثل : (وقد أنجيناكم) (ورزقناكم) (وأورثنا) وكل جملة من هذه حكاية مستقلة .

فإنجاؤهم من الغرق قصة قائمة قصة الإغراق ومواعدة الله إياهم بجانب الطور الأيمن - قصة مستقلة . ثم تنزيل المن والسلوى عليهم وإباحته لهم الأكل من طيبات مارزقهم ونهيه إياهم الطغيان فيه ، وتحذيره لهم من غضبه وتبشيرهم بمغفرته - بعد قصة مستقلة .

لكنها بوضعها داخل قصة " تدمير بني اسرائيل " يحد كل منها عنصرا حديثا ، يكون الحكاية كاملة وكل القصة مجتمعة . ولعلها مع هذا وبهذه الأحداث تصلح أن تسمى التلميحات القصصية أو أناصيص الأحداث التلميحية . وهي تقابل الطبع القصصي بالأشخاص كما رأيناها في تعقيب لمحات الرسلين أو إنعام الله على النبيين . مما يضمن المقابلة التوسعية والأسلوبية بين سورتين متقاربتين نزولا ومتجاورتين وجودا . ومع اقتصار قصة تدمير بني اسرائيل أو لمحات التدمير على عنصر السرد الوصفي - كما بينت - تعتمد على عنصر الحوار التلقيني والترجيعي والتكريري والتبشيري :

(كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) .

ويضمن هذا الحوار - يتصل بإباحة الأكل والشرب والنهي عن الإسراف في سورة الأعراف (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل : من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟) فالطغيان في الطيبات هو الإسراف في تناولها والطغيان علة غضب الله . وبدأ التكليف في محنة موسى إلى فرعون . إنما هو الطغيان (اذهب إلى فرعون إنه طغى) .

كما أن آية السخرة - هنا - ملتقى من بعيد أو قريب بآية الرحمة في قصة موسى بسورة الأعراف . فهناك : (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) . وهنا في قصة بني إسرائيل بسورة طه : (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) ولعل لهذه الآية وآية الرحمة تلك اتصالا ما بصورة ما مع قول السحرة المؤمنين : (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) .

فآيتا المغفرة والرحمة بكلتا شروط الرحمة والمغفرة كما أن آية السحرة هذه قد أضافت إلى شروط الرحمة مظاهر التكريم في دار النعيم مما يوقف بين السراء والأحداث كما يحكم وشيجة وأوثق اتصال .

ثم تأتي القصة الثالثة : قصة مايعد الإغراق والإمعاء - وهي - من حيث البناء الفني - تقع في قسمين :

١) القسم الأول وهو يصور ويسجل الحوار الذي دار بين الله وبين موسى .

(وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟) (قال : هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب - لترضى . (قال : فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري) .

وهذا هو القسم الأول الذي يذكرنا بلقاء موسى - بلقائه الثاني في سورة الأعراف .

ولعل هذا الموقف في سورة طه قبل اختيار موسى من قومه سبعين رجلا لميقات الله . وهذه العجلة في اللقاء - فعجلت موسى في اختياره قومه بحيث حذفت جرف الجر " من " من التعبير إشارة قرآنية إلى هذه العجلة الموسوية . أو لعل عدة تبع قومه إلى أن يسيروا معه لميقات ربه ليسمعوه أو يبصروه - هو الذي أوقع الاختيار على قومه دون اختيار شيوخ أو حكماء لبعضهم . فحذف الجر للإشارة إلى ذلك . أو لعل لهؤلاء السبعين رجلا المختارين - هم قوم موسى أو هم صفوتهم . فكأنهم كلهم لا بعضهم وكأن بقية الأقوام من بني إسرائيل حضور بحضور هؤلاء إلى الميعاد والميقات . وإذن فهذا الموقف في سورة طه يبين هذه العجلة مما سجله القرآن في الفصل الأول من القصة الثالثة قصة : " افتتان قوم موسى " في سورة طه هذه وهؤلاء الذين نقموا من بعده هم السفهاء الذين تبرأ منهم موسى كما تبرأ من فعلتهم في اتخاذهم له العجل (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟) . والتعبير " بمنا " لا " بهما " - يدل على العجلة من موسى وعلى الغضب وعلى الخوف أيضا فهو يتعجل في الاعتذار خوفا من الرجفة التي صعق بها من قبل . ثم هو - لغضبه على السفهاء من قومه أو في قومه يهمل التعبير بأبي الذي يتطلبه المقام ويؤثر التعبير " بمنا " للذي تستدعيه الرحولية والوشيجة الحقيقتان . فهم - لسفاهتهم - لم يحضروا معهم (وهم لسفاهتهم - عبدوا العجل من بعده) ولطمأنينة الله له ولطفه به - أسند سبحانه فتنة قومه إليه ونسب إضلالهم إلى شخص غيره وغير أخيه هارون - ذلك الشخص الضال هو " السامري " .

ومن ثم استغل موسى هذا الاعتراف من ربه وأله الفعل الأعلى والكمال الأسنى فقال له في الاعتذار (إن هي إلا فتنتك) . ولم يهدأ بجر - كما يفهم - إلى شبهات عقدية وقضائية وقدرية في معنى الفتنة الاختبار على أن هذه اللحظة من اللحظات التي يمكن تسميتها باللحظات " الوجودية التي يجد الإنسان فيها نفسه وحقيقته ويواجه نهائيته أو شخصه بالحقيقة ولو كانت مرة بالواقع ولو كان ألما . وهذا الموقف - بما يحتوي على هذه اللحظة - وهذه اللحظة بما تتضمن تلك اللفظة - كل أولئك لم يستمده صدوره من شخص كموسى عليه السلام اصطفاه الله لنفسه واجتباه ووهبه خصائص وميزات ترشحه لهذه الصراحة الجرئية ولهذه الجرأة الصريحة ثم لهذه المواجهة والاصرار ولعل تسجيل القرآن لأمثال هذه الكلمات والخواطر والانفعالات - تقريب للقصص القرآني من عالم الطبائع وعالم الواقع بل تعميق له بتوثيق الموقف الجانب الذي يبرزه والذي هو مقصود من السياق وسواه من الأهداف .

ثم لعل في ذلك كله إيماء إلى فلسفة العقيدة وحرية الكلمة وعمق قضايا الإيمان كما أنه يمكن استفادة مواضع الأدب (الوجودي " الذي لا يصادم الواقع الديني على أن في أحاديث الرسول (ص) ما يعضد هذا اللون من التفكير الحر ومن الحرية المفكرة .

والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وفق علمه وحكمته لأنه عليم حكيم وكل ما يصدر عن هذه الحكمة وذلك العلم فهو حق وصدق وعدل لا باطل فيه ولا كذب معه ولا ظلم يمسه ولا طغيان .

والقصة — هنا — أو القصص هنا — تحارب الطغيان وتصور مصارع الطغاة وتحلل نفسياتهم وتستمد منها العظة والاعتبار درسا لا تمحى وعظات لا تضيع .

وإذن فالفصل الأول من هذه القصة في سورة طه — يقوم — كما رأينا — على الحوار (وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟) وكأنه سؤال يصل بأسئلة البسط والإيضاح (وما تلك بيمينك يا موسى ؟) والرد قائم هذا أو تشير إليه .

ويأتي الجواب ذا شقين : هم أولاء على أثري . وعجلت إليك رب لترضى فالمهم هو رضا الله عز وجل .

(قال : فإنا قد فتنا قومك من بعدك) ولكن .. أهم هؤلاء السبعون الذين على أثره ؟ أم أنهم هم الباقون من بني إسرائيل أو من سفاتهم الضالون ؟ .. الذين عاهم موسى بوصيته أخاه هارون بهم : (وقال موسى لأخيه هارون : اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) سورة الأعراف .

وهذا الإخبار يفتنة قوم موسى — فيه تشويق وتساؤل كذلك فيه تلهف وترقب . ثم هو يربط الفصل الأول بالفصل الثاني من القصة كما أن إسلال السامري يحمل هذه الشخصية من اللهفة والتساؤل ومن التشوق والانتظار .

فالحوار — هنا — يسهم في وصل القصة بعضها ببعض ويطور الأحداث ويبين انفعال الأشخاص كما يتضح من انفعالات وقرائن وطباع كل من موسى وقومه وهارون والسامري كما يصور الفصل الثاني من هذه القصة .

والفصل الثاني يبدأ برجوع موسى إلى قومه غضبان أسفا — وحوار مع قومه يبين حالاته النفسية وهي عليه لهم وتحذيره إياهم : (قال : يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ؟ أفطال عليكم العهد ؟ أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي ؟ (قالوا : ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري) .

ثم إذا فعلوا ذلك وانتهوا من قصة العجل الذي لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا — سجل القرآن موقف هارون من قومه قبل أن يرجع موسى من عندهم إذ قال لهم :

(يأتوا ، إنما نقتدم به ، وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري) (قالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) .

وهذا المنظر - كما رأينا - في غيبة موسى لم يعلم غضبتنا كما يبدو حتى اذا عاد غضبان آسفا اتجه باللوم على أخيه هارون وألقى عليه وعاتبه وأخذ بلحيته ورأسه :

(قال : ياهرون - ماتنعك - إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن ؟ .. أفعصيت أمري ؟!)

(قال : يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول : فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي ؟) .

ثم يدور هذا الحوار بينه وبين السامري : (قال : فما خطبك ياسامري ؟

قال : بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي .. قال : فاذهب فان لك في الحياة أن تقول : لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه ، وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما) .

فالحوار هو العنصر البارز في هذه القصة الثالثة وهو أهم مافيها . ثم انه يأخذ مواقف شتى يدور بعض موسى وبين قومه تارة كما يدور بين هارون وبين قومه تارة أخرى وكما يدور بين موسى وهارون تارة ثالثة وكما يدور أخيرا بين موسى والسامري .

ويمكن تقسيم الفصل الثاني من هذه القصة الثالثة إلى هذه المناظر الأربعة وفق هذه المواقف التي وقعت في غيبة موسى عن قومه وفي رجوعه إليهم .

الأمر الذي يجعل هذه القصة بفصليها : قصة حوارية تصلح أن تكون مسرحية .

وبهذا تنتهي هذه المجموعة القصصية التي تتألف من قصص ثلاثة أو هذه الرواية القصصية الطويلة التي تتكون من ثلاثة فصول .

وهذه المواقف الأربعة التي يضمها الفصل الثاني من القصة الثالثة - يجعل موقف هارون وقومه منظرا من المناظر الأربعة - أو هذه المناظر الثلاثة التي يضمها الفصل الثاني يجعل منظر هارون وقومه منظرا ثانيا يضم إلى المنظر الاول من الفصل الاول لوقوعهما في زمن واحد وإن تأخر في المنظر الثاني وجاء منفصلا بينه وبين منظره الأول في فصله الاول - وهذا هو الاولى في نظري ورأيي أقول : هذه المواقف الاربعة التي يضمها الفصل الثاني من القصة الثالثة - تجعل هذه القصة الثالثة مكونة من فصلين :

الفصل الاول موقف من منظرين أو موقفين : موقف موسى مع ربه ثم موقف هارون مع قومه وعلمها في فترة زمنية واحدة .

والفصل الثاني يتألف من عدة مناظر أو عدة مواقف :

الموقف الأول : موقف موسى مع قومه .

الموقف الثاني : موقف موسى مع هارون .

الموقف الثالث: موقف موسى مع السامري .

ثم الموقف الرابع أو المنظر الرابع على نحو ما بينت من قبل .

والحوار في كل موقف أو منظر من هذه المناظر وتلك المواقف ـ يتسق مع جو المناسبة له وحالة المهيمنة عليه ومع الشخص الذي يوجه إليه أو يكون منه .

فبينما يقف موسى بين يدي الله ليجيب عن سؤاله (وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟) بقوله : (هاهم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى) فيقول له الله (فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري) يقف هارون من بني إسرائيل الذين عبدوا العجل ليقول لهم : (يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري) فيجيبوا : (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) وهذا هو الفصل الأول بمنظريه .

ويرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ليدور بينهم هذا الحوار : (يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ؟ أفطال عليكم العهد ؟ أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم ؟ فأخلفتم موعدي ؟ قالوا : ما أخلفنا موعدك بملكنا ؟ ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري ( ) .

وهذا هو المنظر الأول .

وقبل عودة موسى على أخيه هارون نعرف عليه ـ كما رأينا ـ يمسك برأسه وبلحيته ويجره قائلا له : (يا هارون : ما منعك ـ إذ رأيتهم ضلوا ـ ألا تتبعن أفعصيت أمري ؟) قال : (يا بن أم . لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول : فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي ( ) .

وهذا هو المنظر الثاني .

ثم يأتي السامري الذي أضل قومه ليدور بين موسى وبينه هذا الحوار :

(فما خطبك يا سامري ؟) (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي) (فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول : لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه (وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما)

وهذا هو المنظر الثالث والأخير من الفصل الثاني من القصة الثالثة .

ثم يجيء تعليق القرآن على هذه القصة الثالثة الذي وضعته مابين آية (٩) من سورة طه (وهل أتاك حديث موسى ؟) وآية (٩٩) : (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا) .

وآخر كلام موسى عليه السلام وهو : (إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو) متصل بالتجربة التى مرت بها بنو إسرائيل أو بالفتنة التى ضلوا فيها وهووا وهى عبادة العجل الجسد الذى له خوار والذى قالوا عنه : (هذا إلهكم وإله موسى) مع أنه لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ثم هذه العقيدة الحق التى ختم بها هذا الحوار على لسان موسى عليه السلام وهى : (إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو) .

تتصل - كذلك بمن : (خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى) له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) من آية (٤) الى (٨) سورة طه .

وهذه المجموعة القصصية سماها القرآن فى الآية التاسعة من السورة " حديث موسى " نفسها فى الآية التاسعة والتسعين من السورة نفسها " نبأ ما قد سبق " .

ثم هو حديث وحوار صدر من موسى أو صدر ممن اتصل به موسى أو ممن اتصل بموسى . وهذا الحديث بمعناه الحوارى ، ثم ذاك القص بمعناه الإخبارى - يعطينا رواية تصور أو قصصا يؤطر أو حكايات تحكى أو مواقف تتعدد أو مناظر تتجدد كما رأينا تحقق كل ذلك فى هذه الآيات التسعين من سورة طه .

وقد استوفت رواية موسى بفصولها الثلاثة أو قصص موسى الثلاثة - كل شروط القصة الأدبية والبلاغية " الفنية " بل كانت هى الطريقة المثلى فى رسم البيئة الزمانية والمكانية وفى تصوير الأحداث وفى تحليل الأشخاص وفى تجاوب الشخصيات بالحوادث وفى تفاعلهم مع البيئة ثم فى تعميق جذور الشخصية ومحور الأحداث ثم تصوير الصراع الذى يجسده الحوار ثم فى شيوع الفكرة فى ثنايا الرواية والقصص فقرة جزءا جزءا ثم فى مراعاة البناء التصميمى والتوزيع الموسيقى فى كل مبنى ومعنى ومغزى وفى كل فاصلة وفى كل خاطرة . مما حقق عناصر الرواية الطويلة وعناصر القصة الطويلة بأجلى قوة وأتم اقتدار .

وحين نمعن النظر فى الآيات التى أغفلت رواية موسى أو قصص موسى عليه السلام - نجدها تقفز قفزة سريعة إلى يوم القيامة فالآية الثانية وما بعدها تقرر أن : (من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا . يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما . وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا) .

وهذه الآية الأخيرة ـ تبين أن ظهور هذه الظاهرة عقب القصص القرآني حالة عنيفة الوجود والتهديد في يوم القيامة كما رأينا في هذه الآيات من سورة طه ـ وكما جاء في نهاية سورة مريم وعقب مجموعة التلميحات القصصية فيها . وكما جاء بين مثلي سورة يس مثل أصحاب القرية ومثل الإنسان الخصيم من ذكر من يقولون : (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) بين ذكر أصحاب الجنة . وكما جاء في سورة الأعراف عقب التعقيب على قصة إبليس وقصة آدم وحواء والشيطان من تحاور أصحاب النار وأصحاب الجنة .

وكما جاء في سورة ص عقب مجموعات قصص الأنبياء مثل : داود وسليمان وأيوب ومثل لمحات إبراهيم وإسحق ويعقوب ومثل لمحات إسماعيل واليسع وذي الكفل من ذكر مآب المتقين ومآل الطاغين ثم من تخاصم أهل النار .

فهذه الآية من سورة طه ـ تبين شيوع هذه الظاهرة في القرآن وتوضح أن ذلك من تصريف الوعيد فيه ـ كما رأينا من قبل وكما سنرى توضيح ما أشرت إليه الآن بذكر الآيات كما أن هذه الآية تعلل تصريف الوعيد في القرآن وهو رجاء التقوى المستفاد من (لعلهم يتقون) ـ والذكر المفهوم من (أو يحدث لهم ذكرا) .

ففي نهاية التعقيب على مجموعات القصص واللمحات في سورة مريم ـ تأتي حكايات الخلف الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وشهد بهم من أجل ذلك . (فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) . ومن هنا كان التحول إلى : (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا ولا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) .

ثم إذا فرغ من ذكر الجنة والجنات يبين جبريل للرسول أنه ما يتنزل بالوحي إلا بأمر ربه قائلا : (وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ؟) ثم يذكر القرآن قول الإنسان الخصيم الذي عرضناه في سورة يس في المثل الآخر يذكره هنا في سورة مريم : (ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا ؟ أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ؟) وعلى ذكر إنكار البعث تأتي جهنم التي يحضرون حولها جثيا على الركب لا يستطيعون الشهيق مما هم فيه : (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) .

وهؤلاء الذين يحاولون أن يعزلوا من الموقفين المقارنة بين أهل الجنة وأهل النار يسجل القرآن قولهم هذا بعد ذكر جهنم :

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا : أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) ٠

وهذه هي الآيات التي اشتملت على الجدال وعلى الثناء على الله وعلى إنكارهم للبعث وعلى عقوبة المنكرين في جهنم وعلى لمحة إهلاك قرون كانت أحسن منصبا وهيئة ٠ أي من آية (٥٩) الى آية (٢٤) تعد تعقيبات متفرعة كالتعقيب الأول ٠ ومن هنا حافظت على التوقيع الموسيقي وعلى النظام الفواصل التي سادت قصص هذه السورة ولمحاتها ماعدا الآيات من رقم (٣٤) إلى آية رقم (٤٠) الخاصة بتوضيح المغزى من ولادة عيسى عليه السلام ٠

ولهذا وجدنا السورة : سورة مريم تلتزم الياء المشددة أو المخففة المنصوبة من الآية الثانية إلى الآية الرابعة والسبعين ماعدا آيات التوضيح التي أشرت إليها ٠

والتزام هذه الياء المشددة في نهاية الفواصل قد حقق التوقيع الموسيقي في مجموعة القصص ومجموعة اللمحات أو الأقاصيص ٠ وفيما عقب على هذا وذاك من تعقيبات وتعريفات وما يستتبع هذا من وعد بالجنة للمتقين وحشر في جهنم للظالمين المذكرين ٠

ثم بعد هذه الآيات الأربع والسبعين تأخذ الفواصل هيئة صوتية أخرى ونغمة موسيقية لها وقع أشد هولا في الآذان وأقوى أثرا في الوجدان ٠ على أن الآيتين التاليتين للمحة إهلاك القرون المترفة ـ تشير إلى الموسيقى الداخلية التي تتخلل الآية وتقسم فاصلتها ٠ وهاتان الآيتان تلقينيتان : (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) وهذه هي الآية الأولى ذات النغمين الموسيقيين : (مدا) و (جندا) ٠

(ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا)

وهذه هي الآية الثانية ذات النغمين المتقاربين : هدى مردا ٠٠

وهذه النغمة الموسيقية الداخلية خففت من طول الآية الأولى ونبهت من وتيرتها الشديد كما راعت الطاقة الصوتية في الترتيل والترديد كما أنها راعت نظام المقابلة بين الآية الأولى والآية الثانية بين من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا وبين من كان في الهداية فزاده الله هدى ثم بين من يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا وبين أصحاب الباقيات الصالحات التي هي خير عند ربك ثوابا وخير مردا ٠

وهذه الإجابة التلقينية التي وجهت إلى الرسول وصدرت بكلمة (قل) ـ تتصل بسؤال الذين كفروا للذين آمنوا : (أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟) اتصال مبنى ومعنى ومغزى وإن افترقت عنها في الواقع الصوتي والتوقيع الموسيقي وهذا الافتراق النظم المحكم بين آية (٧٣) و(٧٤) المماثلتين هذا السؤال وبين آية (٧٥) و

(١٨)

(٢٦) المتشابهين الجواب • هذا الافتراق يتسم بطابع التنويع الصوتي واللغوي كما يتميز بنغمة التنويع اليه يمي أو الموسيقي • ويبدء الآيات السادسة والسبعين هي التنويع من اللحنات القصصية أو الأغاصيص القليحة •

وإذا كانت سورة الفرقان - كما رأينا - قد ضمت بالشاليات الرائعة والخلقيات الرفيعة من آية (٦٣) إلى آية (٧٦) سورة الفرقان فإن في نهاية سورة مريم آيات تمهد به وتمهد مستقاة من لمحة " الذي كفر بآيات الله " ومن حكاية " الذين اتخذوا من دون الله آلهة " ومن " تقرير إرسال الشياطين على الكافرين " ومن " حشر المتقين إلى الرحمن وفدا " و" سوق المجرمين إلى جهنم ورد ا " لأنهم قالوا : (اتخذ الرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) وهذه هي سبب الطاقة الثورية الفورية وعلة تلك النغمة الإلهية وسر هذه النغمة الموسيقية تلك النغمة العنيفة والقوية والعتية •

وادعاؤهم أن الرحمن اتخذ ولدا - يتصل بقصة مريم وولادة عيسى •• وقد رأينا وسمعنا كلام عيسى وهو في المهد صبي يقرر عبوديته لله ويقر بأنه عبد الله : (قال : إني عبد الله) والذي يلخص في نهايته مراحل الحياة والموت والبعث : (والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) فهو يقر بأنه " عبد الله " ويعترف بأنه ولد وبأنه يموت وبأنه يبعث وهذه هي أهم قضايا سورة مريم ، بل أهم قضايا الفكرة الإسلامية •

ثم يأتي التعليق القرآني على ولادة عيسى بن مريم وعلى قوله الحق :

(ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له : كن فيكون وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) لعقيدة التوحيد الصحيح التي تقرر أن الله ربي وربكم وأنه هو المعبود بحق هي الصراط المستقيم وهي التي هدى إليها المسلمون الذين أنعم الله عليهم والتي انحرف عنها اليهود المغضوب عليهم •• وما أشارت إليه لمحات فاتحة القرآن الكريم •

ومن ثم كانت عقيدة التوحيد التي انبنى عليها الإسلام وجاء بها كل الرسل والأنبياء عليهم السلام هي " الصراط المستقيم " صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " من سورة الفاتحة •

ودعوى اتخاذ الرحمن ولدا تصادم عقيدة التوحيد السليم فقد عرفنا في سورة الإخلاص جوهر العقيدة الإسلامية الصحيحة التي لا شرك فيها ولا عجز بها ولا عيب لله فيها ولا والد له ولا ولد ولا كفء له من أحد (قل : هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) •

ومن ثم استوت هذه القضية الكبرى في جهنم (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم ورد ا لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا :

انتفى الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا) الى أن يقول : (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا) وهذه العبودية في الدنيا والعبودية في الآخرة هي لباب الفكرة الإسلامية وخلاصة رسالات الرسل في كل جيل وقبيل .

وسأنقل هذه الآيات التي تحمل مضمون القصص والتي تلتقي معها من آية (٢٨) الى آية (٩٢) سورة مريم والتي تتسم بموسيقا حادة جاءت هيئة تتناسب وشدة الوعيد والتهديد .

وسأجملها وحدات فكرية لكل وحدة منها عنوانها الخاص بها أما آخر آية في السورة وهي : (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؟) آية (٩٨) من سورة مريم .

فهي لمحة إهلاك مجتاح للقرون التي لا تحس أحدا منهم والتي لا تسمع صوتا خفيا لهم وهي تلتقي في فكرتها وموسيقاها ومغزاها لمحة إهلاك القرون المترفة الذين هم أحسن اثاثا ورئيا من آية (٧٤) .

فهذه خاصة بإهلاك المتعمين من القرون التي تحضرت وأترفت وتكبرت بما ظهر عليها على هيئاتهم وأزيائهم ومناظرهم .

أما هذه فخاصة باستئصالهم واجتياحهم والقضاء على أصواتهم وأشخاصهم بحيث لا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا ..

وما أغرب هذا الإهلاك من ذاك الإهلاك .. !

وما أغرب هذا الأسلوب من ذاك الأسلوب .. !

ففي لمحة (٧٤) (وكم أهلكنا قبلهم من قرن)

وفي لمحة (٩٨) (وكم أهلكنا قبلهم من قرن)

ثم ما أشبه البناء الموسيقي في هذه اللمحة بالبناء الموسيقي بتلك .

فتختم تلك اللمحة (رئيا) أو (ريا) أو (ريا)[1] وتختم هذه اللمحة (ركزا)[2]

رئيا — بهمزة ساكنة قبل الياء ما رأيت عليه من عمارة وهيئة وريا — بغير همز — بالمعنى الأول أو أن منظرهم مرئي من النعيم وريا — بالرأي — بمعنى هيئة ومنظرا قراءات ثلاثة — غريب القرآن

(٢) ركزا : صوتا خفيا وهنا — بهذا المعنى — اتساقا مع الفواصل السابقة .

قصة آدم - في سورة طـــه

وإذ فرغنا من رواية موسى عليه السلام ، في سورة طه وعرفنا بعض الصلات الظاهرة بين أفكار هذه السورة ، وأفكار سور أخرى سبقتها في النزول - يجدر بنا قبل ترك سورة طه ، أن نوجز إلى قصة أخرى في هذه السورة وهي :

قصة آدم عليه السلام

أما تمهيد القصة فبآية رقم (١١٤) ، وهي : «ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقل : رب زدني علما» - والقصة تبدأ من آيـــة (١١٥) : «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل ، فنسي ، ولم نجد له عزما» إلى قوله «فلا يضل ولا يشقى» من آية (١٢٣) والتعليق من آية (١٢٤) إلى آية (١٢٧) سورة طه .

والسياق يتضح في التعليق ، وهو : «ومن أعرض عن ذكري ، فإن له معيشة ضنكا» إلى قوله : «وكذلك اليوم تنسى» آية (١٢٦) .

وتعليق التعليق : «وكذلك نجزي من أسرف ، ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى» آية (١٢٧) سورة طه .

ومن حصاد القصص : قصص موسى الثلاثة ، وقصة آدم عليهما السلام - هذه الحقائق والتوجيهات التي تتضمنها هذه الآيات : «فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك ، قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها» من آية (١٣٠) إلى آخر السورة : «قل : كل متربص فتربصوا ، فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى» آية (١٣٥) سورة طه .

ومن هذا الحصاد ، التمثل في الإرشاد : «فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك» «ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ، زهرة الحياة الدنيا . وأمر أهلك بالصلاة ، واصطبر عليها» الخ ..

نجد أن شخصية الرسول محمد عليه السلام ، ونفسيته هما محور هذه القصص في سورة طه .

وهذا يوحد ما بين قصص هذه السورة ، بأوفى رباط ، وأوثق عرى . فحالة صلى الله عليه وسلم - تتمثل في قوله الله سبحانه ، مخاطبا إياه ، أول سورة طه «طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» ومن ثم سميت السورة باسمه .

وخاتمتها : «فاصبر على ما يقولون» وهاتان الآيتان - وإن كانتا - علـــى ما قيل - مدنيتين - تدوران حول المغزى .

وهذا إعجاز داخل الإعجاز ، يشير إليه هذا التعبير ، بهذا الإيجاز .

الدكتور محمد محمد بدير

الدكتور محمد محمد بسيم

نظام المجموعات القصصية
في سورة الشعراء

مجموعة القصص في سورة الشعراء سورة ـ كما أشرت إلى ذلك من قبل ـ لتسلية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . فجو السورة متمثل في هذه الآية : « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » آية (٣)

(١)

وتبدأ هذه المجموعة بقصة " موسى " الطويلة ـ من آية (١٠) إلى آية (٦٨) من سورة الشعراء . وهي خاصة بقصة موسى مع فرعون .

ثم هنا ـ كما عرفنا ـ مجال للموازنة بين هذه القصة في الشعراء ، وبين قصة موسى وفرعون ، في سورة طه ، وذلك من حيث :

أ) التصميم ب) التنغيم جـ) الأسلوب
د) التفصيل هـ) التركيز و) العنصر السائد
ز) نقطة البدء حـ) نقطة التوسط " الأزمة "
ط) نقطة الحل أو النهاية والختام .

وقصة موسى في سورة الشعراء ـ ذات مواقف :

الموقف الاول ، هو موقف موسى مع ربه ـ من آية (١٠) إلى آية (١٧) الشعراء
الموقف الثاني ، هو موقف موسى من فرعون ـ من آية (١٨) ـ إلى آية (٣٧) الشعراء ـ ثم من آية (٣٨) إلى (٤٠) فصل يصل ما بين الموقفين الثاني والرابع . ثم يأتي الموقف الرابع ـ من آية (٤١) إلى (٥١) وأخيرا يأتي الفصل الأخير ، من آية (٥٢) إلى آية (٦٨) سورة الشعراء .

وهنا فروق دقيقة ، بين قصة موسى ، في سورة طه وبين قصة موسى في الشعراء .

قصة موسى ، في سورة طه ، موجهة لفرعون وأشرافه « اذهب إلى فرعون »
وقصة موسى في الشعراء ، موجهة لقوم فرعون : « وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين : قوم فرعون : ألا يتقون ؟ » .
ولعل الهناء ، قد تأثر بذلك ، على نحو ما سأبين في نظام المجموعات . ثم نجد في سورة الشعراء جزئية القتل ، أو التلميح بها ـ بينما نراها في القصص وهي تقع بالفعل ، لا بالذكر وعلى هذه الحادثة بنى الحوار بينه وبين فرعون ؟ « وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين » وهذا الجانب لا وجود له في قصة موسى وفرعون ، في سورة طه .

ثم هذه الفروق الدقيقة ، نجدها بين قصة موسى وفرعون ، في سورة الأعراف وقصة موسى وفرعون ، في الشعراء . ففي الأعراف : « قال الملأ من قوم فرعون : إن هذا لساحر عليم ، يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ؟) آيتا (١٠٩) ، (١١٠) الأعراف .

وهنا في سورة الشعراء : « قال للملأ حوله : إن هذا لساحر عليم ، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ، فماذا تأمرون ؟) . آيتا (٣٤) و (٣٥) سورة الشعراء .

ثم في سورة طه إلقاء الأضواء على السحرة وحديث موسى معهم — وهنا في الشعراء ، إلقاء الأضواء عليهم ، مع حوارهم وحوار فرعون . ثم تعقبه موازنة بين آية (٧٢) في سورة طه : « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا ، لا تخاف دركا ، ولا تخشى » وهنا في آية (٥٢) من الشعراء : « وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون » — هنا تفصيل بالتعليل «إنكم متبعون .

وهناك سورة بالتركيز والإيجاز : « أسر بعبادي ، فاضرب » إذ الجو جو مخاوف وأخطار !

ولذا نجد في قصة موسى بسورة طه — تأمينا لهذه المخاطر ، وتلك المخاوف : « لا تخافا — إنني معكما ، أسمع وأرى » قلنا : لا تخف ، إنك أنت الأعلى » وفي إذهاب هذه المخاوف ، تهدئة للرسول ، وتسلية له : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » .

بينما نجد الأضواء مسلطة في قصة موسى وفرعون بالشعراء ، على تعنت المتجبرين ، تحقيقا لقوله سبحانه : « وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث ، إلا كانوا عنه معرضين » آية (٥) سورة الشعراء .

ومن ثم سمع نداء هؤلاء المتجبرين الحاشرين ، المرددين : « إن هؤلاء لشرذمة قليلون ، وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون » من آية (٥٤) إلى (٥٦) الشعراء .

كما سلطت الأضواء على إضاعتهم ، مما كانوا فيه : « فأخرجناهم من جنات وعيون ، وكنوز ، ومقام كريم ، كذلك وأورثناها بني إسرائيل » من آية (٥٧) إلى آية (٥٩) سورة الشعراء .

ثم يبرز الهدف العام ، الذى يمثل جو السورة العام ، والذى يحقق بين قصص هذه السورة عديد الوحدات الأدبية والبلاغية . هذا الذى يصل ما بين آيتى (٨) و (٩) من الشعراء وما بين آيتى (١٩٠) و (١٩١) من السورة نفسها . وهاتان الآيتان هما :

« إن فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين × وإن ربك لهو العزيز الرحيم »

لقد وردتا فى آيتى : ١٥٨ — قبيل قصة موسى وفرعون — ثم وردتا بعينهما فى آيتى ٦٧ ، ٦٨ سورة الشعراء .

ثم فى نهاية « الجحيم التى برزت للغاوين » فى آيتى (١٠٣) ، (١٠٤)

وكذلك فى نهاية قصة قوم نوح — فى آيتى : (١٢١) ، (١٢٢) .

وفى نهاية قصة عاد — فى آيتى (١٣٩) ، (١٤٠)

وفى نهاية قصة ثمود — فى آيتى (١٥٨) ، (١٥٩)

وفى نهاية قصة قوم لوط — فى (١٧٤) ، (١٧٥)

وفى نهاية " قصة أصحاب الأيكة " فى آيتى (١٩٠) ، (١٩١) سورة الشعراء

مما حقق الوحدات التعبيرية ، والتنغيمية ، واللغوية ، والمعنوية ، والهدفية ، بين هذه المجموعة القصصية .

(٢)

والقصة الثانية التى تلى قصة موسى وفرعون فى سورة الشعراء ، هى :

قصة نبأ ابراهيم — من آية ٦٩ إلى آية ٨٩

وهى من قصص التوحيد ، والتصوف ، والتلقين وفيها أدلة مادية قوية ، فى حوار سهل ميسر ، لا تعقيد فيه ولا غموض . .

هنا موازنة بين قصة إبراهيم عليه السلام فى سورة الشعراء — وبين قصة إبراهيم فى كل من سورة مريم ، والأنبياء ، والأنعام .

ولعلنا نذكر أن قصة إبراهيم ، فى سورة الأنعام ، استخدم فيها الطريق الاستنباطى ، وطريق الشك ، للوصول إلى اليقين ، وطريق التجاهل والتغيير للوصول إلى الحقيقة والعلم الصحيح .

بينما نجد إبراهيم فى سورة مريم : أبيا بارا عطوفا ، لطيفا ، مؤدبا ، مخلصا ، رحيما بأبيه . مما جعل القصة ذات صيغة خاصة .

ثم نراه — هنا — فى سورة الشعراء : رفيقا رقيقا ، مقنعا متعاطفا ، يحكى أباه وقومه ، ولقنهم وغيرهم مبادئ الدين واليقين ، فى هذا الثناء الحلو القوى :

* رب العالمين .. الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين *

كما نرى فى هذا الثناء رجاء خاصا بإبراهيم ، ودعاء يشعر بغريزة " حب الشهرة ونوة البقاء والخلود " : * رب هب لى حكما ، وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم *

وجزئية الوراثة ـ هنا ـ متصلة بجزئية الوراثة فى : قصة موسى وفرعون : * وكذلك أورثناها بنى اسرائيل * ـ وثمت شبه بين الموروثين : فهنا جنة النعيم وهناك جنات وعيون ، وكنوز ومقام كريم .

ومن هنا اتحد ما بينهما من تصميم ، وتنغيم على بعد المساحات ، وطول المسافات .

وجزئية الجنات والعيون ، والزروع والنخل التى طلعها هضيم والأنعام والبنين .. ـ موجودة فى قصتى : عاد ، وثمود . مما يصلها بجنات مصر ، فى قصة فرعون وجنة النعيم فى قصة ابراهيم .

والميزات ـ هنا ـ تتصل بالبيئات ـ والبيئات ـ فى هذه القصص ـ لها أثر كبير فى الأسلوب ، وفى الأفكار ، وفى الأهداف ، وفى التوقيع .

ونرى قصة ابراهيم فى سورة الأنبياء : قصة تحد ، وصراع ، وكيد ، وتآمر وتنفيذ على تحطيم الأصنام ، ومواجهة صريحة لتعذيب الكافرين ، لأبى الانبياء : ابراهيم ، ثم معجزات تخرق العادات .

مما طبع كل قصة من هذه القصص بسمة خاصة ، وميزة معينة ، وبخصيلة تستعصى هذا التجدد ، بهذا التعدد

وتقضى على شبهة التكرار ، التى لا وجود لها ، فى قصص القرآن فى مجال البحث والتحقيق ، وفى مقام الكشف والتدقيق ، وبمعيار الفحص والتطبيق .

وما يربط ما بين قصة ابراهيم فى سورة الشعراء ، وبين قصة ابراهيم فى سورة مريم ـ هذا الدعاء بالمغفرة ؟

فهنا * واغفر لأبى ، إنه كان من الضالين *

وهناك * سأستغفر لك ربى ، انه كان بى حفيا *

مما يؤيد فكرة الموازنة بين القصتين ، فى السورتين ، أو بين القصص المتعددة فى السور المتعددة .

ففى كل سورة قصة خاصة بها ، ملتئمة معها ، متسقة مع جوها وظرفها وبيئتها وهدفها ، ومعانيها ، وبدايتها ، ونهايتها .

مما يجعل لكل قصة أسلوبها ، وبناءها ، وأنغامها ، وأجواءها ، وظروفها ، وبيئاتها ، وأهدافها ، وسماتها ، وفكرتها ، وجوهرها ، ومظهرها .
ويحتاج هذا إلى مزيد تدقيق ، وتطبيق ، وتحقيق ز في نظام المجموعات بأدب الموازنات .

وإذا تركنا قصة إبراهيم ، وتناولنا قصة موسى وفرعون في سورة الشعراء ، لنتم ما في السورة من مجموعات قصصية أو أقصوصية — وجدنا أن لمحة الجنة — قد تفرعت من قصة إبراهيم ، وأن أقصوصة الجحيم قد تمت لمحة الجنة وامتدت هذه وتلك ، من آية (٩٠) إلى آية (١٠٤) من سورة الشعراء .
وهاتان : اللمحة ، والأقصوصة ، بمثابة التفريع ، والاستطراد ، لمضمون القصتين : قصة موسى وفرعون ، وقصة إبراهيم .
ثم تأتي بعد هاتين اللمحتين ، المتفرعتين ، من هاتين القصتين — مجموعة قصصية ذات بناء مستقل ، يضمها في إطار واحد ، أو موحد ، وترتيب ما ورد لا عوج فيه ، ولا اختلال .
ويمكن أن أسمي هذه المجموعة :

(٣)

مجموعة التكذيب في سورة الشعراء

وهذه المجموعة تقع بين آية (١٠٥) وآية (١٩١) سورة الشعراء . والآيتان : « إن في ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم » توحيان ان ما بين القصص الخمسة التي تنطوي تحت هذه المجموعة ، وتندمج فيها .
وإذا أحببنا أن نفرد كل قصة منها ، لنبين آياتها التي تشغلها ، وجدناها هكذا :
قصة نوح — من آية (١٠٥) إلى آية (١٢٢) الشعراء
قصة هود — من آية (١٢٣) إلى آية (١٤٠) الشعراء
قصة ثمود — من آية (١٤١) إلى آية (١٥٩) الشعراء
قصة قوم لوط — من (١٦٠) إلى آية (١٧٥) الشعراء
ثم قصة أصحاب الأيكة — من (١٧٦) إلى (١٩١) الشعراء

وعنصر التكذيب فيها ، وفي سائر قصص هذه المجموعة أو أقاصيصها — واضح متميز ، متفرد . وهو يطبعها بطابع " العنصر السائد " فيها .
كما أن عنصر التكذيب ز قد حلل في عنصر الأسلوب الحواري ، مما وا م بين عنصري الحادثة ، والشخصية الحوارية ، أو الحوار الشخصي .
فحقق التعادل بين العناصر المختلفة :
عنصر الحادثة : « كذبت قوم نوح » — « كذبت عاد المرسلين »
« كذبت ثمود المرسلين » — « كذبت قوم لوط المرسلين »
« كذب أصحاب الأيكة المرسلين »

ثم عنصر الشخصيات :

(إذ قال لهم أخوهم نوح : ألا تتقون ؟
(إذ قال لهم أخوهم هود : ألا تتقون ؟
(إذ قال لهم أخوهم صالح : ألا تتقون ؟
(إذ قال لهم أخوهم لوط : ألا تتقون ؟
(إذ قال لهم شعيب : ألا تتقون ؟

وشخصيات أقوامهم :

قوم نوح يردون : (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ؟)

وقوم هود يردون : (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ، إن هذا إلا خلق الأولين ، وما نحن بمعذبين) .

وقوم صالح يردون : (إنما أنت من المسحرين ، ما أنت إلا بشر مثلنا ، فأت بآية إن كنت من الصادقين)

وقوم لوط يردون : (لئن لم تنته يا لوط ، لتكونن من المخرجين) .

وأصحاب الأيكة يردون : (إنما أنت من المسحرين ، وما أنت إلا بشر مثلنا ، وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين)

ثم عناصر الأسلوب الحواري ـ كما رأينا الحوار بين الرسل وأقوامهم . والأسلوب الوصفي ـ كما رأينا تصويره لجزئية التكذيب وكما نراه في وصفه جزئية التعذيب وكما لمحناه في آيتي التعليق والتعقيب .

وهذه القصص الخمسة ، تعد كل منها قصة مستقلة بحكم مضمونها ، وبيئتها ، وزمان حدوثها ، ونهايتها . كما يعد كل منها أقصوصة ، بحكم بنائها ، وتصميمها ، وسيرتها ، وبوحدتها ، ووحدتها ، وشكلها ، وحجمها . ثم هذه المجموعة ذات القصص الخمس ـ تعد ملحمة قصصية تاريخية ، ذات مقاطع خمسة ، تبتدئ من آية (١٠٥) وتنتهي بآية (١٩١) من سورة الشعراء .

وهذه المجموعة ـ في بنائها القصصي ، وفي تكوينها العضوي والأدبي ، وفي كيانها البلاغي والفني ـ تشبه مجموعة سورة الأعراف ، ذات القصص الخمسة أو ملحمة الأعراف ، ذات المقاطع الخمسة ، التي تقع ما بين آية (٥٩) إلى آية (٩٣) سورة الأعراف . وهي تدور حول قصص : نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط وشعيب . كما أن مجموعة قصص الشعراء ـ تدور حول أقوام هؤلاء الرسل ، بهذا الترتيب الذي لا اختلال فيه ولا اعتلال .

وإذا كانت قصة موسى وفرعون ، أو رواياتها الطويلة قد جاءت بعد مجموعة قصص الأعراف ، فقد جاءت ـ كما رأينا ـ قبل هذه المجموعة القصصية في سورة الشعراء .

وإذا كانت هاتان المجموعتان ، مجموعات قصصية ، فإن مجموعة سورة القمر ، المؤلفة من أربع أقاصيص على نسق واحد تعد مجموعة أقاصيص ، قبل أن تعد مجموعة قصص .

ثم هي تدور كمجموعة سورة الشعراء • حول تكذيب قوم نوح وعاد • وثمود وقوم لوط — مع إغفال أصحاب مدين أو أصحاب الأيكة • والاستعاضة عنهم بآل فرعون في نهاية المجموعة • أو عقب هذه المجموعة ذات التصميم الخاص.

ومجيء آل فرعون بعد هذه المجموعة يشبه مجيء رواية موسى وفرعون • بعد مجموعة الأعراف • مع اختلاف في الأحجام • والانغام • والأقسام • والمؤثرات • والبيئات مما تظهره الموازنات الأدبية • بتفصيل دقيق • وتحليل عميق.

مما يستبين به التحقيق بالتطبيق • والتطبيق للتحقيق. ثم لكل مجموعة من المجموعة القصصية • أو القصة • في سورة : الأعراف • والشعراء • والقمر — بناؤها الداخلي بها وفواصلها الخاتمة لها وبدايتها • ونهايتها.

فمجموعة قصص الأعراف تبتدئ بإرسال الرسل إلى أقوامهم مما يجعلها قصص المرسلين أولا • ثم قصص أقوامهم ثانيا — يتجلى هذا في البداية • وفي النهاية.

فقصة نوح تبتدئ بـ (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه) وتنتهي — (فكذبوه فأنجيناه • والذين معه في الفلك • وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا • إنهم كانوا قوما عمين)

وقصة هود • تبتدئ بـ : (وإلى عاد أخاهم هودا) — ثم تنتهي بآية إنجائه وإهلاكهم • كذلك : (فأنجيناه والذين معه برحمة منا • وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا • وما كانوا مؤمنين •) وقصة صالح — بدايتها كبداية هود • مع اتحاد التقدير الإعرابي إلى (وإلى ثمود أخاهم صالحا) وتنتهي بإهلاكهم وإنجائه — ليقول الموعظة الخالدة • في ضمير الإنسان • وفي أذهان الأقوام :

(فأخذتهم الرجفة • فأصبحوا في دارهم جاثمين) وهذه هي نهايتهم !

أما الموعظة فهي : (فتولى عنهم • وقال : ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي • ونصحت لكم • ولكن لا تحبون الناصحين)

أما لوط فكان بريئا من قومه لخروجهم عن المألوف من الأخلاق والمعروف من العادات. ومن ثم لم ينسب إليهم • ولم تأت قصته معهم • كقصة أولئك مع أقوامهم • بل قيل : (ولوطا إذ قال لقومه) وقد عجل بإنجائه (فأنجيناه وأهله إلا امرأته • كانت من الغابرين) كما أخر ذكر عقوبة أقوامه • ليقترنوا بالإجرام : (وأمطرنا عليهم مطرا • فانظر كيف كان عاقبة المجرمين)

أما قصة شعيب فعلى غرار تلكم القصص : (وإلى مدين أخاهم شعيبا) — وهو — هنا أخوهم ! أما في سورة الشعراء فهم أصحاب الأيكة والبيئة في مجموعة الشعراء • لها الصدارة • في الوجود والظهور ومن ثم لم ينسب إليهم • أو يلصق بهم !

وختام قصة شعيب في سورة الأعراف : (فأخذتهم الرجفة • فأصبحوا في دارهم جاثمين) تماما كما رأينا نهاية ثمود وكما وقف صالح على أطلال ثمود وقف شعيب على أنقاض مدين : (فتولى عنهم وقال : ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم • فكيف آسى على قوم كافرين ؟ !

أما مجموعة القمر ـ كما رأينا ـ فقد كانت تبتدئ بآية التكذيب ، وتنتهي بآية الانجاء والتعذيب ، ثم تختم بآيتي التعليق والتعقيب .

ففي قصة قوم نوح : (كذبت قوم نوح المرسلين) ـ هذه هي البداية .

(فأنجيناه ، ومن معه ، في الفلك المشحون ، ثم أغرقنا بعد الباقين) وهذه هي النهاية (ان في ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وهذا هو التعليق والتعقيب .

وفي قصة عاد : (كذبت عاد المرسلين) وهذا هو البدء (فكذبوه فأهلكناهم) وهذا هو الختام (ان في ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) ثم هذا هو التعقيب . والختام والتعليق قد جاءا في آية واحدة .

وفي قصة ثمود (المرسلين)

(كذبت ثمود المرسلين) وهذا هو الفتح . ثم (فعقروها) أي الناقة . (فأصبحوا نادمين) ـ وهذا هو الإيذان بالنهاية (فأخذهم العذاب) وهذه هي النهاية (ان في ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين ، وان ربك لهو العزيز الرحيم)

وهذا هو التعليق متصلا بجزء التعذيب ومن ورائهما آية التنغيم والتعميم : (وان ربك لهو العزيز الرحيم) .

وفي قصة قوم لوط : (كذبت قوم لوط المرسلين) ـ وهذا هو المبتدأ وفي الختام (فنجيناه وأهله أجمعين ، الا عجوزا في الغابرين ، ثم دمرنا الآخرين ، وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) . ثم التعليق والتعقيب : (ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم)

ثم في قصة أصحاب الايكة : (كذبت أصحاب الايكة المرسلين) وهذا تذكير التعظيم والتقدير . (فكذبوه ، فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم) وهذه العظمة في التعذيب ، تضاهي تلك العظمة ، في التكذيب !

(ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) هي جماع ما في هذه القصة ، وفي سائر القصص من تعليق ، وتعقيب .

أما مجموعة اقاصيص سورة القمر ، فتبتدئ ـ عادة ـ بآية التكذيب وتنتهي بآية التعذيب ثم تأتي بعد نهايتها آية التعقيب .

ففي قصة قوم نوح : (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا ، وقالوا : مجنون ، وازدجر) ثم (فكيف كان عذابي ، ونذر ؟) ثم (ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر ؟)

وفي قصة عاد : (كذبت عاد فكيف كان عذابي ، ونذر ؟)

ثم يفصل العذاب ، بعد أن أدمج في التكذيب ، ثم يذكر ثانية بعد تفصيله :

(فكيف كان عذابي ، ونذر ؟) ثم : (ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر ؟)

وفي قصة ثمود : (كذبت ثمود بالنذر) ثم (فكيف كان عذابي ونذر ؟)
ثم يفصل العذاب : (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة ، فكانوا كهشيم المحتظر)
وفي التعقيب : (انا أرسلنا عليهم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟!)
ثم في قصة قوم لوط : (كذبت قوم لوط بالنذر ! ثم (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم ، فذوقوا عذابي ونذر .
ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر) ثم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟ !) أما لمحة آل فرعون بعد هذه المجموعة الأخيرة فتقع في آيتين اثنتين : (ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها ، فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) وإن لها من الأثر ، والعبر ، ما نجد مفصلا في قصة فرعون بالشعراء وفي رواية فرعون بالاعراف.
وهذه المجموعات القصصية أو القطعة ، تترك من الروعة البيانية ، والمعنوية والبديعية والأدبية ، والموسيقية والجمالية ، وما يتجدد بتجدد المعارض الإعجازية ، في سور : الأعراف ، والشعراء ، والقمر !
وفي غير هذه وتلك ، من سنن السور :
مما يظهر نظام المجموعات ، وتوضح طرق الدراسات والموازنات ، وأسس التطبيقات والتحقيقات ، ومجالات التحليلات والفلسفات !
على أن مجموعة قصص الشعراء — إلى جانب غلبة عنصر التكذيب ، بالتعذيب ، والتعقيب فيها ، وطيها نجد عنصر البيئة يسيطر على أحداثها ، وأشخاصها ، وحوارها .
ففي قصة قوم نوح ، تظهر الطبقية والعنصرية من قوم نوح :
(قالوا : أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ؟!)
وفي قصة عاد ، تجد وعادات من بيئة القصة : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون ؟ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون)
وفي قصة ثمود : (أتتركون فيما هاهنا آمنين ، في جنات وعيون ، وزروع ونخل طلعها هضيم ، وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ؟!) كما تظهر هذه البيئة بقول كمالح لهم :
(هذه ناقة ، لها شرب ، ولكم شرب يوم معلوم)
وفي قوم لوط ، تظهر رذائلهم المنكرة : (أتأتون الذكران من العالمين ؟
وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ؟ بل أنتم قوم عادون !)
وفي قصة أصحاب الأيكة ، تظهر بيئتهم التجارية : (أوفوا الكيل ، ولا تكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، واتقوا الذي خلقكم ، والجبلة الاولين)
فهذه البيئات قد لونت أحداث كل قصة وأشخاصها ، وأسلوبها الحواري ، مما طبع كل قصة بطابع مميز لها ، خاص بها ، ملائم معها وجعل لها شخصية أدبية ، وملامح وجغرافية ، وتاريخية ، واجتماعية ، واقتصادية ، ونفسية ، تتسم بها ، وتنسب

إليها ، وتعرف منها ، كما تو عد عنها . على أن عناية البدايات في القصص ، والنهايات لها والتعقيبات عليها — قد جعل من هذه القصص وحدة واحدة ومجموعة متحدة يمكن تسميتها : ملحمة قصصية تاريخية ، ملحمة قصصية جغرافية ، ثم " سيمفونية " موسيقية ، على غرار مجموعتي : الاعراف ، والقمر !

وكل أولئك قد اسهم فيه تحقق ظاهرة النظم ، وتحقق جانب الوحدات على اختلاف مظاهرها وجوهرها .

من حصاد القصص السبعة الماضية

وهي :

(١) قصة موسى وفرعون (٢) قصة ابراهيم

(٣) قصة قوم نوح (٤) قصة عاد

(٥) قصة ثمود (٦) قصة قوم لوط

(٧) قصة أصحاب الايكة

لهذه القصص السبعة ، التي وردت في سورة الشعراء ، وشملت ما بين آية (١٠) وآية (١٩١) من الشعراء والتي انحصرت بين آيتي التعقيب رقم ٨ ، ٩ وآيتي التعقيب رقم (١٩٠ ، ١٩١) من سورة الشعراء ..

لهذه القصص تمهيد يمهد لها — وهذا التمهيد من أول آية في السورة رقم (١) إلى آية رقم (١٠) — ثم لهذه القصص تعقيب يعقب عليها ، غير ما ذكر في ثنايا هذا ، وبعدها . يقع بين آية (١٩٢) وآية (٢٢٧) آخر سورة الشعراء على وجه التقريب . ومن ذلك الحصاد قوله تعالى ، عن القرآن :

(وإنه لتنزيل " من رب العالمين . نزل به الروح الأمين ، على قلبك ، لتكون من المنذرين ، بلسان عربي ، مبين)

وهنا في هذه الآيات — توثيق للقرآن ، بأنه من رب العالمين . وبيان لكيفية نزوله ، وبأنه نزل به الروح الأمين ، على قلب الرسول ، بلسان عربي مبين ، ليكون من المنذرين ، بهذا اللسان العربي المبين .

والذي نهو كتاب الله رب العالمين ، وقد عرفنا صفات الله رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ويحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين كما جاء على لسان أبي التوحيد ابراهيم عليه السلام .

ثم هو رب السموات والأرض وما بينهما ، إن كنتم موقنين ، وربكم ورب آبائكم الأولين رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون . كما جاء على لسان موسى عليه السلام .

وقد نزل به الروح الأمين ، فلم يغير فيه ولم يحور ولم يقدم فيه ولم يؤخر ، ولم يحرف فيه ولم يصحف بل نزل بلسان عربي مبين ، ليكون الرسول من المنذرين .

وهذا الكتاب لو نزله الله على بعض الأعجمين فمن فى لسانهم عجمة ، فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ، ولا له معجبين !

ومن ثم لم يستجب له كثير من العربيين ، إذ معظمهم من هؤلاء الأعجمين ! وهنا لفتات قرآنية باهرة ، ونظرات أسلوبية صادقة ، وأسلوب إعجازى متداخل ! وإذن فهذه المجموعة القصصية إعجازية الأسلوب ، إلى جانب كونها إعجازية المضمون والهدف . تشير الى إعجازيتها هذه الآيات من التعقيب بعدها وما ساعد على هذا الإعجاز كونها بلسان عربى مبين !

ومن حصاد هذه القصص : (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى ، وما كنا ظالمين)

وقد رأينا تفصيل هذه الآيات فى هذه القصص : فهذه القرى لم تهلك إلا بعد مجئ المنذرين لها ، وقد جاء وها تذكيرا لأصحابها ، وما كنا ظالمين لهم ، ولها . على أن ذكر هذا القرآن فى كتب الأولين ، وقد علم تباه علماء بنى إسرائيل - وهذا العلم كان يكفى فى أن يصدق به أولئك المكذبون .

ثم هو - كما عرفنا - من تنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين :

(وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغى لهم ، وما يستطيعون ، إنهم عن السمع لمعزولون) - كما عرفنا فى سورة الحجر . وإذا كان ذلك كله صحيحا - وهو حقا صحيح - فلا تدع مع الله إلها آخر ، فتكون من المعذبين !

ولهذه المهمة التى طلبت من الرسول : مهمة الإنذار (لتكون من المنذرين) قد عهد إلى أن يبدأ بعشيرته الأقربين ، وأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين فإن عصوه فعليه أن يتبرأ مما يعملون : (وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل : إنى برئ مما تعملون ، وتوكل على العزيز الرحيم ، الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين ، إنه هو السميع العليم) - وهنا " العزيز الرحيم " يربط هذه الفقرة ، بالفقرة التى قبلها - فهو يصل السورة أولها ، بوسطها ، بآخرها ، إذ جاء نهاية كل تعقيب من آية ٩ = ٢١٧ من الشعراء . ولعل هذا إيذان بالتعليق العام على السورة كلها .

ثم هذا التعليق العام نفى لتنزل الشياطين بالقرآن الكريم ، وفى هذه الفقرة بيان متمم لذلك : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك ، أثيم ؟ ! يلقون السمع وأكثرهم كاذبون !) .

والرسول - صلى الله عليه وسلم - صادق ، ليس أفاكا ، هاد ، مهتد ، ليس بالأثيم ! - وإذن فلا مجال للشياطين لديه ، ولا سبيل لهم إليه !

وتأتي ـ هنا ـ قضية الشعر والشعراء ، ومذهب الشعر ، والقرآن .
فكما أن القرآن ليس بشعر ؛ فالرسول ليس بشاعر !
(وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له ! إن هو إلا ذكر ، وقرآن مبين) .
والشعراء غير الأنبياء ، وغير المرسلين ؛ إذ الشعراء يتبعهم الغاوون !
والمرسلون تتبعهم المهتدون ، العاقلون ! وفرق بين هؤلاء ، وأولئك .
ثم هذا دليل ملموس ، يحسه كل راء ، ويسمعه كل سامع : (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ؟ وأنهم يقولون ما لا يفعلون ؟) .
ولكن الرسل غير هؤلاء الشعراء ؛ وهم لا يهيمون ـ مثلهم ـ في كل واد وهم لا يأمرون إلا بالرشاد ، وهم لا يقبلون على الفساد !
ثم إن الشعراء ليسوا كلهم سواء ! فهناك الى جانب أولئك ـ شعراء آمنوا بالله وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا . وهؤلاء شعراء ذوو أهداف بانية ، وأشعار خالدات ، وأبيات باقيات . فإيمانهم يعصمهم من الكفر ، ويوحي إليهم بأنبل الأهداف ! وعملهم الصالحات يملي عليهم خير المعاني والأفكار ، وذكرهم الله كثيرا يجعل أقوالهم سديدة ورشيدة ، كما يجعل أعمالهم وأحوالهم قويمة مستقيمة . ثم انتصارهم من بعد ما ظلموا ـ يلقنهم معاني العزة والكرامة ، ويلهمهم أغراض الفخار ، وشعار الانتصار .
وهذه الصفات الأربعة ليست مقصورة على الشعراء ـ وحدهم ـ إنما تنتظمهم وغيرهم ـ كما قيل ـ من الأدباء ، والعلماء ، والمفكرين ، والفنانين فمن حملة الأقلام ، ورجال التوجيه . إيمان بالله يجعل للكلمة رسالة مقدسة وغاية سامية ، وعمل صالح يساند هذا الإيمان ، ويطبق ما يردده اللسان ، أو يكتبه اليراع . وذكر الله في كل لفظة ، وخاطرة ، وفكرة ، وفلسفة ، وأسلوب ، وهدف وانتصار من إهانة تراد ، وهزيمة لذوي الأحقاد ، ممن يكيدون كيدا ، ومن يضمرون حسدا وحقدا .
وهذه الصفات الأربعة ، تعصم صاحبها من المظالم التي تقع بغيره . ومن لا يتصف بهذه الصفات فهو من الظالمين . (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .
ولعل هؤلاء الظالمين هم المجرمون ، الذين لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب الأليم ، فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ، فيقولوا : هل نحن منظرون ؟ !
ومن ثم يرد الله عليهم : (أفبعذابنا يستعجلون ؟ ، أفرأيت ـ إن متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون !)
وقد رأينا فرعون ، وقومه ، وقوم نوح ، الذين كانوا يأنفون من الأرذلين !.
كما رأينا من يبنون بكل ريع آية يعبثون ، ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون ، وقد أمدهم الله بأنعام وبنين ، وجنات وعيون ، وهؤلاء هم قوم هود .

ثم شاهدنا من كانوا آمنين ، في جناتٍ وعيون ، وزروع ، ونخل طلعها هضيم ، ينحتون من الجبال بيوتا فارهين ، من قوم صالح إ- شاهدناهم وقد منعهم الله سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون : ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وذلك أنهم كانوا يظلمون (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون !)

القصص في : سورة النمل

فيها :

الدكتور محمد محمد بدير

١) قصة موسى عليه السلام .
٢) قصة داود وسليمان -عليهما السلام .
٣) رواية سليمان عليه السلام .
٤) قصة صالح عليه السلام .
٥) قصة لوط عليه السلام .

وآيات هذه القصص كذلك في سورة النمل :

١) قصة موسى عليه السلام من آية ٧ إلى ١٤ سورة النمل .
٢) قصة داود وسليمان -عليهما السلام- آية (١٥) سورة النمل .
٣) رواية سليمان عليه السلام من آية (١٦) إلى آية (٤٤) من سورة النمل .
٤) قصة صالح عليه السلام من آية (٤٥) إلى آية ٥٣) سورة النمل .
٥) قصة لوط عليه السلام من آية (٥٤) إلى آية (٥٨) سورة النمل .

ثم فيها بعد ذلك :

٦) آيات التوحيد والتمجيد من آية (٥٩) إلى آية (٦٦) سورة النمل
٧) وشبهات الكفار في البعث ، ورد هذه الشبهات من آية (٦٧) إلى آية (٧٥) سورة النمل .
٨) أهمية القصص القرآني ، التاريخية ، والعقيدية ، والتشريعية من آية (٧٦) إلى آية (٨١) سورة النمل .
٩) آيات أخرى في البعث ، ودلائل العلم ، وعلامات القيامة ، وسمات الرحمة في الثواب ، والعدالة في العقاب ، وبعض التكاليف التي تقوم جوانب التشريف . من آية (٨٢) إلى آية (٩٣) سورة النمل .

والمدخل إلى القصص القرآني في سورة النمل - هو الآيات التسع الأولى ، من رقم (١) إلى رقم (٩) سورة النمل .

وفي هذا المدخل تمهيد نجد فيه أن هذه السورة تحتوى على آيات القرآن وأنه كتاب مبين ، وأنه هدى ، وبشرى للمؤمنين . وهذا يتفق مع أهداف القرآن وأغراض القصة في آخر السورة ما بين آية (٧٦) إلى آية (٧٩) :

(إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ، وإنه لهدى ، ورحمة للمؤمنين ، إن ربك يقضي بينهم بحكمه ، وهو العزيز العليم فتوكل على الله ، إنك على الحق المبين) .

وفي المدخل التمهيدي :

(طس ، تلك آيات القرآن وكتاب مبين ، هدى وبشرى للمؤمنين) .

وهؤلاء المؤمنون هم : (الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، وهم بالآخرة يوقنون)

وكما أن القرآن تنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلب الرسول ، فهو - هنا - يتلقاه من لدن حكيم عليم : (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) آية (٦) النمل .

وإذن بناء السورة عامة ، وقصصها خاصة ، قائم على دعائم من الحكمة والعلم وهذه الحكمة تقضي وتفصل . وهذا العلم يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون . وإذن فللقصص القرآني وظيفة تاريخية ، وعلمية ، ودينية ، وعقيدية وتشريعية ، ووظيفة تحقيقية - تصحح أوضاعا ، وتبين حقائق ، وتدرأ شبهات ، وتدفع اتهامات . ولهذا مجال فسيح في " أهداف القصص القرآني "

على أن هذه السورة قائم على الهداية ، والبشارة للمؤمنين ، وعلى العذاب والخسران للكافرين . (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم ، فهم يعمهون (٤) . أولئك الذين لهم سوء العذاب ، وهم في الآخرة هم الأخسرون (٥) سورة النمل .

والجو النفسي في السورة : (ولا تحزن عليهم ، ولا تكن في ضيق مما يمكرون) آية (٧٠) سورة النمل .

وجو العبرة من القصص القرآني ، في السورة : (قل سيروا في الأرض ، فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) آية (٦٩) سورة النمل .

وجو الرحمة والمتطلب للشكر : (وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون) آية (٧٣) سورة النمل .

وجو العلم ، والبحث ، والعبث في القصص القرآني : (وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم ، وما يعلنون ، وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) آيتا (٧٤) ، (٧٥) سورة النمل .

وغاية الغايات من القصص ، هي الحمد : (قل : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) آية (٥٩) النمل .

(وقل : الحمد لله سيريكم آياته ، فتعرفونها ، وما ربك بغافل عما تعملون) آية (٩٣) سورة النمل .

على أن في مقدمة " قصة موسى " مجالا للموازنة ، بين هذه القصة في سورة النمل ، وبينها في سورة طه ، ثم بينها في سورة القصص الاتية :

وهذا الجدول يشير الى هذه الفروق الدقيقة ، التي يمكن الاجابة منها من نقد اللغة القرآنية ، ومن وجوه الإعجاز البلاغية في القصة القرآنية .

سورة طه	سورة النمل	سورة القصص
١) لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى	سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون	لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون
٢) فلما أتاها : نودي : يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى	فلما جاءها : نودي أن بورك من في النار ومن حولها — وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم . وألق عصاك .	فلما أتاها : نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة : أن يا موسى : إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك .
فألقاها : فاذا هي حية تسعى قال : خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى	فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب : يا موسى : لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين	فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب : يا موسى : أقبل ولا تخف إنك من الآمنين . اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب ، فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه : انهم كانوا قوما فاسقين .

ولعل الانسب لتحقيق هذه الفروق الدقيقة ، هو رسالتي : الجانب التحقيقي في القصص القرآني . وإن كان مقام الموازنات في رسالتي هذه : " نظام الجمجاج في القصص القرآني " يستدعي تبيين هذه الفروق بوجازة واختصار .

فالفكرة الاولى تدور حول اتيان موسى بخبر ، أو إتيانه بشهاب قبس ، رجاء الاصطلاء غير أن الخبر قدم على القبس في سورتي النمل والقصص وأخر في سورة طه .

مع اعتراك كل من النمل ، والقصص في التقديم ، تغاير التعبير القرآني في صياغة هذه الفكرة .

فى سورة النمل ، كما ترى فى الجدول : (سآتيكم منها بخبر ، أو آتيكم بشهاب قبس ، ولعلكم تصطلون)
وفى سورة القصص : (لعلى آتيكم منها بخبر ، أو جذوة من النار لعلكم تصطلون)
وفى النمل تظهر شخصية موسى قوية ، يدليل هذا الإصرار والتأكيد : سآتيكم ، أو آتيكم . بينما شخصيته فى القصص أقل قوة منها فى النمل . يدليل هذا الرجاء ولعل السياق البلاغى ، والنفسى ، والفلسفى يطلب القوة فى سورة النمل . كما يطلب التواضع والخوف فى سورة القصص .
على أنها معارض بيانية ، فى القصة القرآنية ، تعتمد على التصريف فى القول ، والتجديد والتعديد فيه .
أما فى سورة طه ، فقد قدم القبس على الهداية بالخبر . فكأن مخاوف جملته بحس بيوده الصحراء ، والسماء ، وجملته يتلمس الدفء والضياء . بينما كان فى النمل ، والقصص ، يتطلع إلى معرفة الأخبار ، والإحاطة بالأسرار ، لغيابه فى مدين وانقطاعه عن مصر ، أو انقطاع أخبار مصر عنه ، طوال السنوات التى قضاها بمدين . على أن للنسق الفنى دخلا فى البناء الأسلوبى ، وإن خضع هذا و ذاك للبناء الفكرى والمعنوى . فنهاية الفواصل فى النمل والقصص النون . ومن هنا اختصت الآيتان فيهما بهذه الجملة : (لعلكم تصطلون)
بينما نجد الفاصلة التى تختم بها آيات سورة طه ، هى الالف المقصورة أو الياء التى تنطق ألفا ، مثل : لتشقى ـ العلى ـ استوى ـ الثرى ـ أخفى ـ الحسنى ـ موسى ـ هدى ـ الخ .
ومن ثم كان للنغم الموسيقى تأثيرا فى البناء اللغوى ، كما كان لهذا البناء اللغوى توجيهه فى النغم الموسيقى . وهو ما نعبر عنه بظاهرة النظم .
على أن القرآن ـ كما نرى من خلال هذه المعارض البلاغية ـ يفسر بعضه بعضا ، ويوضح بعضه بعضا . فجذوة النار فسرت وضحت الشهاب القبس ، والإيتان بالخبر دلنا على معنى الهداية من النار ، وعلى ضوء النار .
وكل هذا عكس البيئة المكانية ، والزمانية ، والنفسية لهذا الموقف من قصة موسى ، وروايته . وعلى هذا فلا تناقض بين قول وقول ، ولا تعارض بين حوار وحوار فيها ـ كما قلت وكما عبر القرآن ـ من تصريف القول تارة ، ومن تصريف الوجه عبارة أخرى ، ومن تفصيل الآيات تارة ثالثة ، وهكذا .. ومثل هذا المقال يجيب عن كل سؤال ، يدور فى هذا المجال .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أما الفقرة الثانية فهي تدور حول مجئ موسى النار ، ونداء الله له ، وأمره بأن يلقى عصاه ، وأن يخلع نعليه ، وأن يستمع لما يوحى إليه .

وتصوير المجئ واحد في كل من سورة القصص ، وسورة طه ـ (فلما أتاها نودى) فيهما . بينما عبر عنه بالمجئ صراحة في سورة النمل : (فلما جاءها نودى) . وهذا من سياق الاحداث ، ولعله توضيح لمعنى الإتيان ، الذي يحمل أكثر من معنى حقيقي ومجازي . كما أن تغليب التعبير بالإتيان ، للاتساق والاتفاق ، بين قوله لاهله : سآتيكم ـ أو آتيكم .

لعلي آتيكم ـ لعلي آتيكم ـ كما ترى .

ثم عند التأمل نجد أن كل فقرة في سورة ، تحمل معنى جديدا وتضيف مزيدا .

ففي سورة النمل : (أن بورك من في النار ، ومن حولها) .

وفي سورة القصص : (نودى من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) ففي النمل حمد وثناء يتفق مع غاية الغايات من قصص سورة النمل ، كما أشرت من قبل وهو دعاء بالبركة لمن في النار ، ولمن حول النار . وهذا يحمل من الطمأنينة والسكينة ما يذهب الخوف عن قلب موسى ، وما يملأه حكمة وعلما .

أما في القصص فقد حدد المكان الذي انبعث منه النداء ، وهو شاطئ الوادي الأيمن ، في البقعة المباركة من الشجرة . وهذا معنى أفادته سورة القصص ، كما أن الدعاء والثناء قد عرفناه في سورة النمل . وعلى هذا فلا تكرار !

أما في سورة طه فالقرار قصار ، ومن ثم نودي يا موسى ... دون اظهار لموضع النداء ، ودون دعاء أو ثناء . إنما هي الحقائق متلاحقة ، والأوامر متتابعة : (إني أنا ربك) وهنا نعرف مصدر النداء وهو ما لا يليق أن يكون له موضع ! (فاخلع نعليك) وهنا تنطوي حقائق كثيرة ، منها أن موسى يتنعل نعلين . وأن النعلين ملتصقان برجليه التصاق الثوب بالجسد ، وأنه ـ وإن سار في القفراء ، أو سرى في الظلماء ـ يحافظ على مظاهر الحضارة التي عاشها في مصر ، وأن البداوة لم تؤثر فيه ، وأن اعتقاله بالوحي ، لم يحمل إليه جفاف البداوة ، ولا جفاء الصحاري !

مقام

وأن المقام مقاول بين عبد وبين رب . وأن هذا المقام يستدعى الخشوع والخضوع ثم لعل موسى قد عجب لهذا التسلسل المنطقى العجيب ، ولهذا التلاحق المتتابع السريع ! (يا موسى — إنى أنا ربك — فاخلع نعليك)

ومن هنا أسعف بهذا التعليل (إنك بالواد المقدس طوى)

واذن فالى جانب ذلك المقام المهيب الرهيب ، تظهر قداسة البيئة المكانية ، وهى أنه فى الوادى المقدس .

وفى هذا إرهاص باختيار موسى نبيا ، واصطفائه رسولا . ومن ثم اتصلت هذه الجملة : (وأنا اخترتك)

بتلك الجملة : (إنى أنا ربك) اتصال مبنى ، ومعنى ، ومغزى ، وموسيقا .

ثم يأتى التكليف عقب الاختيار : (فاستمع لما يوحى)

واذن فالجو — فى سورة طه — جو سرعة وخفة وحركة .

اما فى سورة النمل ، فالقاء الاضواء مسلطة على الله — ومن هنا لفته التنزيه والتقديس ، وأبان له عن عزته وحكمته ، كما أبان له عن ربوبيته للعالمين أجمعين — وكذلك أو قريب من ذلك سورة القصص . ففى النمل : (وسبحان الله رب العالمين — يا موسى — إنه أنا الله العزيز الحكيم) .

وفى القصص : (أن يا موسى ، انى أنا الله رب العالمين) .

ثم إلى جانب هذا تخيف السورتان جديدا لم تخفه سورة طه ، وهو الأمر بإلقاء العصا وهذا يقابل الأمر بخلع النعلين فى سورة طه . غير أن سورة النمل ورد فيها الأمر دون أن (وألق عصاك)

وسورة القصص سبق الأمر أن : (وأن ألق عصاك) وسياق القصص فيه أن تسبق النداء ، كما سبقت الأمر — فيها : (أن يا موسى) (وأن ألق عصاك)

بينما سياق النمل لم تتصل أن الا الفعل المبنى للمجهول ، (أن بورك) — ومن هنا لم تتصل بالمبنى للمعلوم ، إذ فيها روح التعميم والتعظيم .

أما فى القصص ففيها روح التخصيص والتنصيص .

ومن هنا كان فيها التوضيح العلمى ، الدقيق : (من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة)

وكان فيها التخصيص : (أن يا موسى)

والتنصيص : (إنى أنا الله رب العالمين)

فهنا أي في القصص ـ يكشف الله عن المكان ، ويحدده ، كما يكشف عن ذاته وصفاته ـ إذ يقول : (إني أنا) ـ بينما تجده في النمل يقول : (إنه أنا) ومن هنا يؤثر التعميم الذي يشيع روح التعظيم : (أن بورك من في النار ومن حولها) (وسبحان الله رب العالمين) زيادة في الرهبة ، والهيبة . وفي القصص زيادة في الإيناس والاستئناس .

وبهذه الفروق الدقيقة تتضح ظاهرة النظم في قصص القرآن التي هي محور نظام المجموعات في القصص القرآني .

أما الفقرة الثالثة فتدور حول وصف مشاعر موسى لما رأى عصاه تهتز ، وحول طمأنة الله له ، وتبشيره بأنه من الآمنين ، وحول أمره له سبحانه أن يدخل يده في جيبه تخرج بيضاء من غير سوء وأن يضم إليه جناحه من الرهب .. مع زيادة هنا ، وإكتفاء هناك .

ففي سورة النمل اتفاق في التصوير مع ما في سورة القصص الجملة هي الجملة والوصف هو الوصف ، ففي كل من السورتين : (فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب !) ولكن في سورة طه (فألقاها ، فإذا هي حية تسعى !)

ففي سورة طه تعتمد القصة على المفاجأة ، والسرعة ، والحركة ـ وفي سورتي النمل والقصص : تعتمد على التمهيل ، والتخييل ، والسخرية ، مع تفريع الحركات ، وتقطيع البيئات ، فحين رآها مهتزة ، أو دائمة الاهتزاز كأنها جان مخيف ، إذ ثعبان مخيف ! ..

والخيال هنا نابع من الموقف في الصحراء والسماء ، ففي الصحراء أفاع وثعابين ! وفي السماء جن وشياطين .. !

والمسافر في مكان مجهول يلقع ، يتخيل ما يتخيل ، ويتوهم ما يتوهم ! ومن هنا ولى موسى مدبرا ، ولم يعقب ! وهذه صورة ضاحكة ، تشيع ظلالا من الإضحاك الذي يتحمله الموقف ، ويتحمله السامع أو القارئ أو المشاهد .. !

ومن هنا أيضا صدر النداء : (يا موسى : لا تخف ..) يا موسى قد عرفناك ورأيناك ، ونحن الآن نراك .. فلا تخف ولا تفزع لأنك رسول ، أمام الله رب العالمين (إني لا يخاف لدي المرسلون) . هذا في النمل .

وفي القصص : (يا موسى : أقبل ولا تخف) أقبل ولا تول مدبرا ، وأقبل إذ وليت مدبرا ، وأقبل ولا تدبر .. ثم لا تخف . وأقبل والحال أنك لا تخاف .. حيث : (إنك من الآمنين) .. وما دمت آمنا ، فأقبل ولا تخف !

وإذن ففي القصص تكليط الأضواء على طمأنة موسى وتهدئته ، وإذهاب الخوف عنه ، وإيواءه الأمن إليه .

وفي النمل توجه موسى وتصويره ، بمكانته ، وأهميته ، ووظيفته ، وحقيقته ، وأنه رسول رب العالمين ، ولا يخاف لدى الله المرسلون .

فهنا زيادات ، وهناك زيادات . وهذا جانب من الموقف تصوره قصة النمل . وذاك جانب آخر من الموقف تصوره قصة القصص والسورتان يتم كل منهما الصورة ، بما يضفي من جديد ، وبما يضيف من مزيد .

أما في سورة طه ، فتعتمد على اللمحة المركزة الشعة المتوهجة ، وعلى الفاصلة الموسيقية المموجة : (فألقاها ، فإذا هي حية تسعى)

وهنا مزيد آخر لم يذكر في السورتين السابقتين ، وهذا المزيد هو إلقاء موسى العصا . وما ساعد في تصوير السرعة ، وفي تقرير المفاجأة الفاء في (فألقاها) والفاء في (فإذا) وإذا هنا تحمل معنى المفاجأة .. ثم جعل العصا حية مفاجأة المفاجأة . ثم جعل الحية تسعى تجسيم للصورة المتخيلة ، أو الرؤية وتجسيد للحركة العضوية .. ثم في التصريح بأنها حية تسعى ، تصوير وتوضيح للجان ، الذي صوره سوطا : النمل والقصص ، وعلى هذا فقد تحقق الإيضاح ، كما تحقق التصريف في القول ، كما تحقق التصريف في القصص . وعلى هذا فلا تكرار

وإذا كانت سورة طه تعتمد على السرعة المركزة ، فإن فيها توفية للجزئية التي تتناولها ، وهذه الجزئية هي العصا . التي عرفنا حقيقتها ، ووظيفتها في حوار الاستئناس والإيناس الذي دار بين اللهوفين موسى .

والتي ألقاها موسى ، فإذا هي حية تسعى . نجد توفية لها فيما بعد ، إذ يقول الله لموسى : (خذها ، ولا تخف) فكما صورت سورة طه أنه " ألقاها " أتمت هذه الجزئية (قال : خذها ، ولا تخف) في أخذها ولا تخف منها .. لأننا (سنعيدها سيرتها الأولى) كما نعيدك لمصر رسولا ، بمعجزات كهذه ، وكضم يدك إلى جناحك ، تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى .

ولا ننس أن القصة في سورة طه ، حافظت على التوقيع الموسيقي الخفيف اللطيف السريع . كما هو واضح في الفواصل والآيات .

وكذلك الشأن في قصة سورة النمل ، وسورة القصص إذ تعتمد على الموسيقى البطيئة ، والنفس الطويل الذي ينتهي بالنون ، وبالسكون ، وكأن القارئ يقطع مع موسى مرحلة أو رحلة ثقيلة ، بطيئة ، مجهولة ، مخوفة ، وطويلة ، حتى أن يصل إلى أقرب محطة يقف عندها ، أو يمكن إليه ، حتى يقف ساكتا ساكنا يستجم من رحلته ليستأنف جهده ومسراه !

غير أن سورة النمل تحتوي على روح التعميم أكثر مما تحتوي على روح التخصيص ، ففيها إشارات إلى معجزة إخراج اليد بيضاء من غير سوء ، وهذه خاصة وفيها إشارات إلى التسع الآيات ، التي يبتلي الله بها فرعون وقومه . – وهنا يرتبط عددي بمن كان في المدينة من الرهط التسعة المفسدين ، في إحدى قصص سورة النمل بينما نجد في سورة القصص ، هذا التخصيص المفصل والمركز على معجزتين خاصتين ، تصورهما هذه الآية : (اسلك يدك في جيبك ، تخرج بيضاء من غير سوء ، واضمم إليك جناحك من الرهب ، فذانك برهانان من ربك ، إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين !) وهنا إلى فرعون وملئه ، وهناك في النمل إلى فرعون وقومه . وإن كانت السمة التي وسمهم بها واحدة ، ومتحدة وهي كونهم قوما فاسقين !

على أن هذه المعجزات المفصلة ، أو المركزة ، لم تغفلها سورة طه ، إذ عقبت بعد الآية الأخرى : (لنريك من آياتنا الكبرى)

وإذن فلكل قصة قرآنية ، في أية سورة قرآنية ، وإن اشتركت مع غيرها ، في الفكرة والمغزى ، معارضها البيانية ، والفكرية ، والهدفية ، والتصويرية ، والتقريرية ، والقصصية ، والتنغيمية ، مما يجدد مظاهر الاعجاز البلاغي والأدبي ، والفني ، والعلمي ؛ على تعدد مناحيه ، وتجدد نواحيه .

وعلى هذا فلا تكرار في قصص القرآن ! إذ لكل قصة وجهها الأسلوبي ، ونظمها البلاغي وسياقها ، ومساقها ، ومضمونها ، وأهدافها . وهذا داخل في إعجاز القرآن ، لا قادح في بلاغة القرآن .

وهذه الرسالة التي ~~كانت تبلغ الألف صفحة~~ على [illegible] صفحة تبرهن على ظاهرة النظم في قصص القرآن ، بأساليب بلاغية تطبيقية ، وأساليب علمية تحقيقية ، وأساليب أدبية موازنة ، وأساليب نفسية محللة .

على أنني – إذ فرغت من الموازنة بين هذه الفقر الثلاثة التي احتوتها هذه السور الثلاثة : طه ، والنمل ، والقصص يجدر بي أن أبين قصة موسى في هذه السورة " النمل " التي معنا ، لأشير إلى السر في سوقها بهذه الصورة في هذه السورة .

قصة موسى – في سورة النمل – هذه – سيقت لتبيين نعمة الله على أنبيائه ، ممثلة في : تأمين خوف موسى (لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون) . ثم في فتح باب الأمل : (إلا من ظلم ، ثم بدل حسنا بعد سوء ، فإني غفور رحيم) ثم في طمأنته على نفسه بعد : (وأدخل يدك في جيبك ، تخرج بيضاء من غير سوء)

هذا هو العنصر السائد ! .. فهي إذن غير القصص السابقة ! .. إذ ليست مسوقة لبيان مصارع فرعون وقومه ، أو فرعون وملئه ، ولا في تفصيل حادثة إغراقهم ! ولكن .. اكتفى بالإشارة إلى ذلك بقوله : (في تسع آيات إلى فرعون وقومه) وهذه آيات التعذيب ! ثم بالإشارة إلى مصارعهم بقوله : (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) .

فكأن تفصيل العقوبات ، وتحليل الإهلاك ، يضد جو القصة ، الفرح ، المطمئن ، جو البداية ، والبشرى للمؤمنين .

(٢)

لمحة داود وسليمان

وهي تقع في آية (١٥) من سورة النمل

(ولقد آتينا داود وسليمان علما ، وقالا : الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) .

فهنا ورد اللمحة في ثوب حكاية مؤكدة بالقسم . وهنا جو الامتنان والتفضل بإيتاء الله داود ، وسليمان علما .

وهذا يتسق مع جو السورة ، أو القرآن الذي هو : (من لدن حكيم عليم) ثم هي بشارة للمؤمنين ، وتنويه وتقدير للعلم ، وللعلماء ، مع التنويه بقدر داود وسليمان .

وهذه اللمحة قد صيغت في أسلوب سردي ، كما صيغت في أسلوب قولي : (وقالا : الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) . وهذا يلتقي مع غاية الغايات من قصص سورة النمل : (قل : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) (قل : الحمد لله .)

والحمد لله في اللمحة ، معلل بعلة ، فهو الذي فضلهما على كثير من عباده المؤمنين ، وآيات القرآن ، وكتاب الله المبين ، هدى ، وبشرى للمؤمنين .

(٣)

رواية سليمان عليه السلام

وهذه اللمحة السابقة ، تمهد لرواية سليمان ، هذه ، أو القصة الطويلة ، التي تقع بين آية (١٦) وآية (٤٤) من سورة النمل .

إذ أن عنصر العلم هو السائد في هذه السورة ، وفي هذه القصص التي تندرج تحت آياتها ، وتندمج في آياتها .

والكتاب المبين هو الذي لا تغيب عنه غائبة في السماء والارض : (وما من غائبة في السماء والارض ، إلا في كتاب مبين) .

وتنحصر العلم في قصة سليمان ، الطيلة ، أو روايته ـ يتمثل في هذه الكلمات ، المندمجة في ثنايا الايات : (علمنا منطق الطير ، وأوتينا من كل شئ ، قالت نملة ، أحطت بما لم تحط به ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون ، سننظر ، أصدقت أم كنت من الكاذبين ، أفتوني في أمري ، قال الذي عنده علم من الكتاب ، وأوتينا العلم من قبلها) .

وهذا مصداق قوله تعالى : (وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم ، وما يعلنون)

وإلى جانب فضيلة العلم ـ فضيلة الشكر والحمد ، تتجلى في أهداف القصة ومراميها . فسليمان يدعو شاكرا ربه : (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي ، وعلى والدي ، وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) كما أن سليمان عليه السلام ، يعقب على اتيان عرش ملكة سبأ عنده ، بقوله : (هذا من فضل ربي ، ليبلوني أأشكر أم أكفر ؟ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غني كريم) .

ثم فضيلة التوحيد ، وعقيدة الاسلام ، تتخلل خلال قصة سليمان وملكة سبأ أو موقف سليمان منها وموقفها منه ، فهو يعقب على وثنية سبأ ، وعبادة ملكتها وقومها للشمس من دون الله ، بقوله : (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو ؟ رب العرش العظيم) آيتا (٢٥) ، (٢٦) سورة النمل .

كما تتضح فكرة الإسلام ، في كتاب ملكة سبأ : (إنه من سليمان ، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي ، وائتوني مسلمين) ٢٩ـ ٣١ من سورة النمل

كما يظهر في اعتراف سليمان عليه السلام ، بالعلم والإسلام : (وأوتينا العلم من قبلها ، وكنا مسلمين) آية (٤٢) سورة النمل .

ثم يتجلى في إقرار ملكة سبأ بالإسلام : (قالت : رب إني ظلمت نفسي ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) آية (٤٤) من سورة النمل .

وإذا كانت قصة موسى في سورة النمل ـ قصة تحمل ملامح النبوة ، والرسالة وطلائع الاستكشاف والهداية : (إني آنست نارا) (سآتيكم منها بخبر ـ آو آتيكم بشهاب قبس ، لعلكم تصطلون) . (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها ، وسبحان الله رب العالمين . يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) فهنا ـ كما نرى ـ بيئة نبوة ، وملامح رسالة ، وجو بركة ، وآيات تسبيح وتنزيه ، ودلائل تنبيه وتوجيه ..

ـ اذا كانت قصة موسى هذه ، تتسم بذلك الجو النبوى ، فأن قصة سليمان ، تتسم بهذا الجو الملكى ـ إلى جانب اتصافها بالخلق الرسولى ، والقيادى ، والزعامى ، والحربى .. هذا الملك الطويل العريض الفسيح ، الشامل للجن والإنس ، والطير ، توضحه هذه الآية : " وحشر لسليمان جنوده من الجن ، والإنس ، والطير ، فهم يوزعون) آية (١٧) سورة النمل .

وهذا الملك يتجلى فى هذه النبرة الخطابية ، المتميزة : (يأيها الناس علمنا منطق الطير ، وأوتينا من كل شئ ، إن هذا لهو الفضل المبين) آية (١٦) . كما يتضح فى مخاوف النملة ، اذ : (قالت نملة : يأيها النمل ادخلوا مساكنكم ، لايحطمنكم سليمان وجنوده ، وهم لا يشعرون) آية (١٨) كما يتضح فى تهديد سليمان الهدهد : (لاعذبنه عذابا شديدا ، أو لأذبحنه ، أو ليأتينى بسلطان مبين) آية (٢١) كما يتضح الخلق الملوكى ، والزعامى ، والقيادى ، والحربى فى كتابه : (الا تعلوا على ، وأتونى مسلمين) آية (٣١)

ثم خلق الرسول فيه يصاحب هذه الأخلاق البطولية ، والقيادية ، والملكية ، والحربية ، من ذلك تبسمه للنملة ، ومناجاته ربه : (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على ، وعلى والدى ، وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) آية (١٩) ومن ذلك تحمله لجرأة الهدهد ، الذى قال له : (أحطت بما لم تحط به) من آية (٢٢) . ومن ذلك تنبيه لملكة سبأ وقومها : (ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض) ـ كما يجوز أن يكون هذا على لسان الهدهد ، أو من كلام الله صراحة ، غير صادر عن لسان أحد ، ومن ذلك : تعليق الفيلسوف للاحداث والانتصارات : (هذا من فضل ربى ، ليبلونى أأشكر أم أكفر ؟) آية (٤٠) وقوله : (وكنا مسلمين) ـ وكان هنا للاستمرار والاستقرار ، تمتد من الماضى ، لتعيش فى الحاضر ، وتقع فى المستقبل .

وإذا تركنا سليمان العالم ، والملك ، والرسول ، لنرى ملكة سبأ التى أوتيت من كل شئ ، ولها عرش عظيم ، كما جاء على لسان الهدهد ، والتى وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وقد زين لهم الشيطان أعمالهم ، فصدهم عن السبيل ، فهم لايهتدون . فهى ـ الى جانب كونها امرأة ـ ملكة ، وهى صائبة ، وهى حازمة ، جازمة ، صابرة ، تؤمن بمبدأ الشورى ، وتعمل بسياسة التوجيه أو " الديمقراطية " : (قالت : يأيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا ، حتى تشهدون) آية (٣٢) من سورة النمل .

وهى مجربة ، محنكة سياسية ، حكيمة . (قالت : أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) آية (٣٤) سورة النمل .

وهى من مع كونها سياسية ، دبلوماسية : (وإنى مرسلة إليهم بهدية ، فناظرة بم يرجع المرسلون) آية (٣٥) من سورة النمل . وهذه السياسة والدبلوماسية أو هذا الذكاء والدهاء من ملكة سبأ ، تصطدم بسياسة سليمان وذكائه ودهائه ، كما تصطدم بنزاهته ، وأمانته ، وخشونته ، وبطولته فيتضح هذا فى رفضه الهدية من رسولها : (فلما جاء سليمان ، قال : أتمدوننن بمال ؟ فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) . كما يتضح فى تهديده لها : (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة ، وهم صاغرون) آية (٣٧) . كما يتضح فى بادرته وبادهته ومفاجأته : (قال : يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها ، قبل أن يأتونى مسلمين ؟!)

مما يبين شخصيته الحربية ، القوية ، وخطته العسكرية ! ثم هذه الشخصية الحربية تظهر حتى فى مقام السلم والمداهنة ، وفى مقام التكهنة والتسلية : (قال : نكروا لها عرشها ، ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون ؟ قيل لها : ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة ، وكشفت عن ساقيها فقال : إنه صرح ممرد من قوارير)

ثم تتجلى هذه الروعة السلطانية ، وهذه الشخصية السليمانية ، وتنعكس على هذه الملكة ، المأخوذة ، المعجبة ، النادمة ، والمسلمة : (قالت : رب إنى ظلمت نفسى ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

وفى القصة لمحات سياسية ، وفلسفات للفتوحات الدينية ، وخلائق إسلامية مما ظهر أثره فى سير الدعوة الإسلامية ، ومما تجلى فى كتب الرسول محمد عليه السلام التى أرسلها إلى الملوك ، يدعوهم فيها إلى الدخول فى دين الاسلام .

وهذه القصة تحتوى على أهدافها البعيدة والقريبة ، وعلى مراميها وأسرارها وأفكارها المباشرة وغير المباشرة . وتطوى كل ذلك فى ثناياها وخفاياها ، دون تمهيد ظاهر ، أو تعقيب مباشر ، أو دون تمهيد أو تعقيب . مما أبعدها عن القصص الوعظى ، أو الخطابى ، أو التلقينى ، ومما يعمق تأثيرها فى التمثل ، والاحتذاء ، أو فى التأثر والإيحاء . وإذا أحببت أن أبين فصول هذه الرواية ، أمكننى أن أقسمها ثلاثة فصول :

(أ)

الفصل الاول من آية (١٦) ـ (وورث سليمان داود وقال : يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء إن هذا لهو الفضل المبين) إلى آية (٢٨) : (اذهب بكتابى هذا ، فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) .

وهذا الفصل عدة مواقف :

١) موقف سليمان من الناس .

٢) موقف سليمان من النمل :

٣) موقف سليمان من الهدهد .

(ب)

والفصل الثاني من آية (٢٩) : (قالت : يأيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم) الى آية (٣٥) : (وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة : بم يرجع المرسلون) .

(ج)

والفصل الثالث من آية (٣٦) : (فلما جاء سليمان ، قال : أتمدونن بمال ؟) إلى قوله سبحانه على لسان ملكة سبأ ، أو أسيرة سليمان في آية (٤٤) من سورة النمل : (قالت : رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

وهذا الفصل ذو مواقف :

١) موقف سليمان من رسول الملكة .

٢) موقف سليمان من رسله إليها .

٣) موقف سليمان من عرشها .

٤) موقف سليمان من ملكة سبأ .

٥) موقف ملكة سبأ من الإسلام ودخولها فيه مع سليمان .

xxxxxxxxx

— ٤ —

قصة صالح عليه السلام

من آية (٤٥) إلى آية (٥٣) من سورة النمل

وقصة صالح في سورة النمل ، تتفق مع تمهيد السورة العام ، ومع تعليماتها العامة . ففيها من وجاء الرحمة ، الدعوة إلى الاستغفار : (لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ؟) — وفيها من ملامح المغزى الخاص ، في السورة — الدعوة إلى عبادة الله (أن اعبدوا الله) فهو يتفق مع تكليف الرسول وغيره من المكلفين : (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة ، الذي حرمها وله كل شيء ، وأمرت أن أكون من المسلمين) . وفيها من مظاهر العلم — القضاء على التطير والتشاؤم بما يتصل به : (قالوا : اطيرنا بك وبمن معك ! قال : طائركم عند الله — بل أنتم قوم تفتنون !) — وفيها التحذير من المكر : (ومكروا مكرا ، ومكرنا مكرا ، وهم لا يشعرون ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين)

وهذا المكر متصل بفتنة الرهط في المدينة : (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ، ولا يصلحون) ـ كما تمتد الفتنة إلى المؤامرة : (قالوا : تقاسموا بالله ، لنبيتنه وأهله ، ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون !) وهذه المؤامرة ، تشبه مؤامرة قريش بمكة ، على الرسول قبيل هجرته إلى المدينة والمدينة هنا غير المدينة في القصة .

على أن عاقبة مكرهم تلك التي دمرت فيها ثمود أجمعين ـ تتصل بـــأول السورة : (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ، زينا لهم أعمالهم ، فهم يعمهون) فهم لا يؤمنون بالآخرة ، وليس لديهم استعداد للإيمان ، ومن هنا لم يوفقهم الله بل سلط عليهم الشيطان ، فزين لهم أعمالهم ، كما فعل مع عبدة الشمس ، في سبأ ـ فهم يعمهون في الضلالة ، ويصدون عن الرشاد والصواب ـ ثم لهم سوء العذاب ، وهم في الآخرة هم الأخسرون / (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن ذلك لآية لقوم يعلمون) ـ ومن هنا أمرنا الله بالسير في الأرض للاعتبـــار والادكار ، ولننظر كيف كان عاقبة المجرمين ! وإذا كانت هذه عاقبة الماكريـــن ، والظالمين فإن الإنجاء من الإهلاك ، هو عاقبة المتقين : (وأنجينا الذيـــن آمنوا ، وكانوا يتقون) ـ وهذا يتفق مع الهداية والبشارة التي أعدت للمؤمنين .

ثم في قصة صالح ملامح من العلم السلبي ، مثل : (وهم لا يشعرون) وفيها إرهاص للعذاب : (قال : يا قوم لم تستعجلون بالسيئة ، قبل الحسنة ؟) وفيها فتح باب الأمل ، والرحمة ـ كما عرفنا ـ : (لولا تستغفرون الله ، لعلكـــم ترحمون ؟) . وفيها جانب الاتساق العددي ـ كما أشرت ـ بين تسع آيـات إلى فرعون وقومه ، في قصة موسى ، وبين تسعة رهط ، في قصة صالح : (وكان في المدينة تسعة رهط ، يفسدون في الأرض ولا يصلحون) . وهذا الإفساد يلتقي مع إفساد الملوك ، الذين إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلهـــا أذلة ، كما جاء على لسان ملكة سبأ .

وإلى جانب هذا الاتساق العددي ـ جانب بياني وأسلوبي ، يصل أسلوب الرسولين بعضهما ببعض ، وهما صالح ، وسليمان ، عليهما السلام .

فصالح يقول لمن تشاءموا به ، ومن معه : (طائركم عند الله ! .. بل أنتم قوم تفتنون !)

وسليمان يقول لرسول ملكة سبأ : (أتمدونن بمال ؟! .. فما آتاني الله خير مما آتاكم ! بل أنتم بهديتكم تفرحون !)

مما يجعل للقصص المختلفة ، بأحداثها المتشابهة ، وبأشخاصها المتماثلة ، أو المتعددة : سمتا أسلوبيا ، ونظما بيانيا ، يحقق جانب الإعجاز النظمـــي ، والتركيب الأسلوبي ، في القصص المختلفة ، التي تتدفق في سورة واحدة .

(٥)

قصة لوط عليه السلام

من آية (٥٤) إلى آية (٥٨) من سورة النمل

وعنصر العلم ـ هنا ـ يتجلى في هذه القصة : قصة لوط ـ فهو يتخذ سمات شتى ، كالإبصار ـ هذا الإبصار الذي كان جديرا أن ينهاهم عن الفاحشة عامة ، وعن ارتكابها عادة مع الذكور ، وبينهم بنوع خاص ! ثم هذا الإبصار بجسم هذه الآفة ، وهي إتيان الرجال شهوة من دون النساء ! وهو يتحقق في ظلام الجهالة وجهالة السفاهة والسفالة !

وكما كان لعنصر العلم دخل في الجانب الأول ، من القصة ـ كان له أيضا دخل في تقدير العذاب : (فأنجيناه وأهله إلا امرأته ! قدرناها من الغابرين) الباقين في العذاب ، لأنها على شاكلتهم ! وعلى جهالتهم !

وإمطارهم مطرا معينا ، يتفق وعلم الله في طريقة تعذيبهم وإهلاكهم ! ثم تقديم إنجائه وأهله ، على إمطار قومه ، وتعذيبهم يتفق مع المنطق القصصي :

ذلك أن قومه يهددونه : (أخرجوا آل لوط من قريتكم ، إنهم أناس يتطهرون) فإنجاؤه مطلوب ، ومنتظر ، لم يمهلوا إلى العدل ، أو يصبوا إلى الصواب ! ثم تعذيبهم يأتي متمما ، ومكملا لسياق الأحداث ، وسياق القصة ! بخلاف القصة الماضية : قصة صالح وثمود ـ فقد تم إهلاكهم وتدميرهم نتيجة ظلمهم ومؤامرة مكرهم ، عظة لمن يتآمر ، ودرسا عمليا لمن يكيد ! . وجاء انجاء الذين آمنوا وكانوا يتقون ، تتمة للقصة ، وتكملة للأحداث !

ثم إن لفظة " الآل " تنتظم قصص سورة النمل :

ففي قصة موسى : (إذ قال موسى لأهله)

وفي قصة صالح : (لنبيتنه وأهله)

وفي قصة لوط : (فأنجيناه وأهله)

ثم في رواية سليمان ، ما يشير إلى حبه أهله والمتمثلين في والديه ، أقرب الناس إليه وقد رأينا هذا في دعائه الشاكر ، وفي شكره الدائم : (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي ، وعلى والدي) .

ولعل بلقيس ملكة سبأ ، تمثل أهل سليمان ، بعد أن دخلت معه في دين الإسلام ، في نهاية قصتها مع سليمان ، في سورة النمل هذه .

مما يجعل لهذه المجموعة القصصية التي تبتدئ من آية (٧) ـ وتنتهي بآية (٥٨) صبغة خاصة ، مطلبية ، إنسانية ـ إلى جانب صبغتها الفكرية ، والعلمية والتهذيبية . على موقف القرآن من المرأة ، موقف فكري كما أنه ينجيها في قصة صالح مع الذين آمنوا ، وكانوا يتقون . تراه ينجيها في العذاب ، مع من هلك من قوم لوط

ثم هو يعطيها طابعها الرقيق ، النسوى ، اللطيف ، فى قولها : (إنى ألقى إلى كتاب كريم) كما يعطيها صفات الكياسة ، والسياسة ، فى مشورتها لقومها وملئها : (يأيها الملأ أفتونى فى أمرى ، ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) كما يعطيها سلطتها الملكية وسطوتها القاهرة على لسان ملئها الأقوياء والأعداء : (قالوا : نحن أولو قوة ، وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين ؟) — ثم هو يمنحها الخبرة التى يصدق عليها القرآن : (قالت : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون !) وأخيرا يصور مخاوفها فى صرح سليمان ، ودهشتها ، وحيرتها ، التى هى مزيج من العجب والإعجاب ، لا من الروعة والارتياع مما يتفق مع طبيعتها النسوية . كما يبرز تهيبها ، وتقليدها فى عبادة الشمس : (وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين) ثم يصور سرعة استجابتها لسليمان ودينه : (قالت : رب إنى ظلمت نفسى ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

وإذا نظرنا إلى هذه المجموعة القصصية ، من زاوية البيئة وجدنا البيئة بيئة تقديس ، وتنزيه ، فى قصة موسى — ووجدناها بيئة ملك ، وفكر ، وحكمة ، ورسالة ، وقيادة ، لا تمرات ، فى رواية سليمان ، وفى قصة بلقيس ! كما وجدنا هاهنا بيئة لا تمرات ، وكائد ، فى قصة صالح ثم هى بيئة فساد ، وسفاهة فى قصة لوط . وبؤرة العلم تشع فى كل قصة ، من هذه القصص كما أن غريزة الخوف تعمل عملها فى هذه القصص الخمسة .

ففى قصة موسى ، يضطرب موسى ، حين يرى عصاه (تهتز كأنها جان ولى مدبرا ، ولم يعقب !) ويعلم الله خوفه وفزعه ، وهلعه ، فيؤمنه ، ويطمئنه : (يا موسى ، لا تخف ، إنى لا يخاف لدى المرسلون ، وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) .

وفى قصة داود ، وسليمان — تتجلى جزئية العلم ، كما تتجلى جزئية الحمد وفى قصة سليمان ، تظهر مخاوف النملة ، فتنصح النمل : (يأيها النمل ادخلوا مساكنكم — لا يحطمنكم سليمان وجنوده ، وهم لا يشعرون) . ويعلم هذا الخوف منها ، فيبتسم ضاحكا من قولها ، وكأنه يزيل مخاوفها ، أو كأنه يأخذ درس الفكر من كلامها ، كما يأخذه من الهدهد — بعدها مما يطالعه من عظمة الملكية ، أو عظمة الملوك على مدى القرون والأجيال .

ويدرك

والهدهد يخاف وعيد سليمان ، فيكف غير بعيد ويدرك سليمان خوفه ، يلاحظ اضطرابه في تقطيع كلامه ، وتتابع أنفاسه ، وفي خطفه الذي لم يقصد إليه عوضي عدم تأديبه ، أمامه ، وفي محاولة التأثير عليه بالوقع الموسيقي : (أحطت بما لم تحط به ! وجئتك من سبأ بنبأ يقين ! ، إني وجدت امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم — وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله !)

ولعل سكوت سليمان شجع الهدهد ، في الترسل ، والاستطراد ، فلم يتأدب معه ، إذ ادعى أنه قد أحاط بما لم يحط به سليمان ! ولم يكتف بهذا الادعاء بل عرض بملك سليمان إذ وازن بينه وبين امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شئ ! كما قدم هو نفسه في أول الرواية : (يأيها الناس ، علمنا منطق الطير ، وأوتينا من كل شئ) وزاد هو على ذلك : (ولها عرش عظيم) .

وهذه العناصر النافية في الملك الكبير ، تمثل أصوات الشخصيات الثانوية أو أصوات الفكرات التي لم تعرف ، ولم تظهر ، أو أصوات الضعاف من الرعايا ، التي لا تكاد تسمع ، أو صيحات النقد الموجه الجوع ، كما رأينا في تحذير النملة وفي مقارنة الهدهد !

ولعلها نداء الله ، ودروسه ، وهبو الحقيقية ، يجريها على ألسنة خلقه أيا كانوا طيورا أم هوام أناسي تعي وتعقل ، أم حيوانات لا تنطق ولا تعقل !

وهذه الدروس تتجه لها صدر سليمان ، ولم يضق بها لأنه يعلم مصدرها والموحي بها ، وهو الله الذي لا يستحي من الحق — سبحانه .

ثم أن سليمان قارن بين عرشها العظيم ، وبين العرش الإلهي العظيم ، ليبطل افتتان الهدهد ، وبالفاظه ، يقوله : (الله ، لا إله إلا هو ، رب العرش العظيم) على وضعه موضع الاختبار — وكان منه مثل القاضي العدل ممن كان موضع امتحان : (قال : سننظر أصدقت ؟ أم كنت من الكاذبين ؟) .

ثم عنصر العلم يظهر قويا ، ماديا ، أقوى من القوة الحسية ، كما بينه موقف سليمان ، الاستشاري ، من عفريت الجن ، ومن الذي عنده علم من الكتاب :

(قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وإني عليه لقوي أمين) (قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ! (فلما رآه مستقرا عنده ، قال : هذا من فضل ربي) .

فالتجربة العلمية هذه — أثبتت أن القوة العلمية أقوى من القوة الحسية ، وأن الإنسي بعلمه أقوى من الجن الفائق ، البالغ ، الرئيسي (١) .

---

(١) وهذا معنى العفريت — كما ورد في غريب القرآن للسجستاني .

ثم علم الله بمؤامرة وهط المدينة ـ في قصة صالح ـ أحبط مكائدهم وماذ مكر الله بهم مكرا ، وهم لا يشعرون .

وشهد بدمار قوم لوط ـ آل لوط ـ بإخراجهم من قريتهم وبما أشاع فيهم الخبائث وما بادر بإنجائهم من العذاب ، وإهلاك أولئك المهددين .

وإذن نمكن تحليل هذه القصص من جميع الجنبات : بالنظر إلى الشخصيات ، وبالنظر إلى الأحداث ، وبالنظر إلى البيئات ، وبالنظر إلى الصراع ، وبالنظر إلى العنصر السائد ، ثم بالنظر إلى الأفكار ، وبالنظر إلى البناء والتصميم ، وبالنظر إلى التوزيع والتنغيم ، ثم بالنظر إلى ظاهرة النظم المتمثلة في تحقيق الوحدات بينها والصلات .

وفي كل تحليل من هذه التحليلات ، لتلك الجنبات ـ تتبين وجوه متعددة ومتجددة ، من وجوه الإعجاز القرآني ، في جملته عامة ، وفي قصصه خاصة ، بأجلى مظاهر الإعجاز ، وأكمل ظواهره !

على أنني أود هذه القصص من قبيل قصص الشخصيات أولا ، وإن صلحت لتكون قصص أحداث ، وبيئات ، وصراع ، وأفكار وبناء ، وتنغيم ـ كما تصلح لأن تدرس في نظام المجموعات والوحدات على ضوء النظم القرآني ، وفق تحديدي لها وتطبيقي عليها .

يشير إلى كونها من قصص الشخصيات ، أو الأشخاص هذه الآية التي ألحقت هذه المجموعة : (قل : الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون) في هذه الآية يظهر المغزى " الحمد لله " كما تبدو الشخصيات : (وسلام على عباده الذين اصطفى) كما تتضح فكرة التوحيد والتي رأيناها في قصص سليمان وصالح ـ في هذا الاستفهام : (الله خير أم ما يشركون ؟)

ومن هذه الفكرة جاءت آيات التوحيد ، والتمجيد ، كما تلتها مجموعات أخرى في آيات أخرى ، تتصل بهذه القصص ، اتصال تفصيل ، وتحليل ، وارتباط تعليل وتعليل .

ولذا كانت صفة الله الغالبة ، في مجموعة قصص الشعراء ، أو في سورة الشعراء هي " العزيز الرحيم " التي وصلت أول السورة (٩ من رقم ٩) بآخر السورة رقم (٢١٧) فإن صفة " الحكيم العليم " و " العزيز العليم " تصل سورة النمل ، وقصصها ، من أولها آية (٦) إلى قبيل آخرها بآية (٧٨) .

كما أن صفة " الإبانة " التي اتصف بها الكتاب المبين في آية (الأولى من السورة ـ تتصل بـ " بالحق المبين " في آية رقم (٧٨) من سورة النمل ذاتها .

ثم إلى جانب هذه الظاهرة اللغوية ، أو الوصفية ظاهرة أخرى معنوية ، وفلسفية ، ولغوية أيضا تصل ما بين مضمون القصص بهذه السورة وآخرها .

فالكتاب المبين هدى ، وبشرى للمؤمنين — والمؤمنون هنا هم المسلمون ، وهم الموقنون ، أو هم (الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، وهم بالآخرة هم يوقنون) .

وداود وسليمان — يبلغان من العلم والإيمان والإيقان درجة تفضل درجات كثير من المؤمنين ومن ثم : (قالا : الحمد لله ، الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) .

وكلمة الحمد لله هذه ، هي التي أمر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بترديدها ، وتمجيد الله بها ، عقب القصص ، وفي نهاية السورة .

واعتراف سليمان بالإسلام (وكنا مسلمين) وإقرار ملكة سبأ بالإسلام ، ودخولها فيه ثم أمر صالح ثمود بأن يعبدوا الله ، تدعيم عقيدة التوحيد بآيات التوحيد والتمجيد .

كل هذا يلتقي في آيتي الإيمان والإيقان ، أول سورة النمل ، هذه كما يلتقي مع آيات الإسلام ، وتلاوة القرآن ، وحمد الله ، في آخرها .

كما يرددها الرسول ، وكما يتلوها كل تال للقرآن ، في تأكيد وطيد عوفي تلقين كريم : (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة ، الذي حرمها ، وله كل شيء ، وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل ، فقل إنما أنا من المنذرين ، وقل : الحمد لله سيريكم آياته ، فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) .

****

القصص في سورة القصص

الدكتور محمد محمد أبو شقرة

سورة القصص

جو القصة الطويلة الأولى ، أو رواية موسى عليه السلام

جوها التفصيل ، والتحليل ، والتعليل ، والتدليل .

فالسورة من آيات الكتاب المبين — والآيات تحمل معاني كثيرة ، منها التفصيل والتحليل (نتلو عليك من نبأ موسى ، وفرعون بالحق ، لقوم يؤمنون) (نتلو) فيها من القصص المتلوة ، المنطوقة ، المقروءة .

(عليك) لأنك إنسان تأنس إلى القصص — ولأنك عربي مفوه لسان مبين ولأنك رسول ، تحتاج إلى معرفة أنباء إخوتك من المرسلين

ثم لأنك لم تطلع على كتب المتقدمين .

والقرآن يقص عليك أكثر الذى هم فيه يختلفون . ولان كثيرا من الأسرار الغيبية ، فى الماضى السحيق ، أو الحاضر القريب ، أو المستقبل البعيد .

يدعيها الكهان والرهبان ، والسحرة ، والدجالون . ممن يتعاطون السحر ويستمدون الى أرواح الجن ، وتخيلات الشياطين !

أما القرآن فهو تنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك ، لتكون من المنذرين ، بلسان ، عربى ، مبين .

(من نبأ موسى وفرعون)

ليس كل أنباء موسى ، فليس القرآن مجرد سرد تاريخى ، يأتى بكل ما عز وهان ، من أخبار لها كيان فى بناء الدعوة الإسلامية ، أو من أنباء لا وزن لها ولا قيمة ، أو لها قيمة ووزن ، لكنهما غير مطلوبان فى مقام معين ، أو هدف مخصوص من مقامات العبرات ، ومن أهداف الرسالات — وهذا هو عنصر الاختيار .

(بالحق) وأنها قصص الحق ، فى الفكرة ، وفى الأسلوب ، وفى التصميم الموضى الهدف . ثم هى أنباء من الواقع ، ومن التاريخ . لا زيف فيه ، ولا هراء !

(لقوم يؤمنون) فهى مسوقة لقوم يؤمنون ، ويصدقون — لا لقوم يشكون ويكذبون ذلك أن هؤلاء المؤمنين هم الذين ينتفعون بها تمام الانتفاع ، ويحفظون أفكارها وأسرارها ، أو يعتقلون أو يستمعون !

وهذا هو المدخل العام ، لأنباء سورة القصص ! أما تمهيد رواية موسى أو نبأ موسى وفرعون ، فتلخصه هذه الآيات الثلاثة ممن رقم (٤) إلى رقم (٦) من سورة القصص .

(إن فرعون علا فى الارض ، وجعل أهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستحى نساءهم ، إنه كان من المفسدين .)

(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ، ونرى فرعون ، وهامان ، وجنودهما ، منهم ما كانوا يحذرون !)

وفى هذا التمهيد التمثل فى هذه الآيات الثلاثة ، يكمن المغزى من نبأ موسى وفرعون ، كما يكمن الهدف من قصة قارون ، أو حكايته التى وردت قبيل نهاية سورة القصص ، هذه .

ومن ثم اتصلت هذه الآيات التمهيدية من (٤) إلى (٦) بآية التعقيب على حكاية قارون ، وهى رقم (٨٣) سورة القصص نفسها ، هذه الآية هى :

(تلك الدار الآخرة ، نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين) .

ونبأ موسى وفرعون ، قد مهد له بالآيات الثلاث التي ذكرتها — كما أن الآية الأولى في هذا التمهيد وهي الآية الرابعة في السورة — قد لخصت قصة فرعون ، أو جعلت نقطة البداية أو مصدر الصراع — مصدر الصراع — هنا في هذه الآية ، هو "علو فرعون في الأرض ، وجعل أهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم ، إنه كان من المفسدين .

ثم الآيتان التاليتان ، تأتيان بالمغزى ، وتخططان للنتيجة التي يتمنى أن تكون — وهي إرادة الله ، التي لا تقهر ، ولا ترد ، في أن يمن على الذين استضعفوا في الأرض وجعلهم أئمة ، وجعلهم الوارثين ومكن لهم في الأرض .

وهذا هو جانب الانتصار الذي أعد للمؤمنين ، ثم يأتي في بقية الآية الأخيرة من التمهيد جانب الانكسار ، والانهيار لفرعون وهامان ، وجنودهما ، ليقفي أثر القصة ، خالدا مع الزمان ليسجل ملامح الانتصار للأمم المغلوبة ، المستضعفة التي تسعى جادة ، وجاهدة ، في طريق الخلاص ، وفي سبيل التحرير ، والتطهير والتطهير على أن القرآن في سورة القصص ، أو في هذه القصة الأولى من القصص — قد نهج منهجا فريدا .

لقد ذكر الهدف والنتيجة ، بعد ما ذكر الأداة والعقدة ، في آيات التمهيد ، التي قدم بها قصة موسى وفرعون ، أو نبأ موسى وفرعون ، أو رواية موسى عليه السلام .

ورواية موسى — عليه السلام — في سورة القصص تقع في خمسة فصول :

(١) الفصل الأول "جانب ولادة موسى" يقع من آية (٢) إلى آية (١٣) من سورة القصص .

(٢) الفصل الثاني : "جانب بلوغه واستوائه ، وقتله المعتدي" من آية (١٤) إلى آية (٢١) من سورة القصص .

(٣) الفصل الثالث : "جانب تحذيره من ملأ فرعون ، وخروجه من المدينة وتوجهه إلى مدين ، ووصوله إليها ، وزواجه بها" يقع ما بين آية (٢٢) إلى آية (٢٨) سورة القصص

(٤) الفصل الرابع : "جانب سيره بأهله في الطور وتكليفه بالرسالة ، وطلبه من الله أن يعد عضده بأخيه هارون ، واستجابة الله طلبه" من آية (٢٩) إلى آية (٣٥) من سورة القصص .

(٥) الفصل الخامس : "جانب مجيئه إلى فرعون وملئه ، واتصاره عليهم" من آية (٣٦) إلى آية (٤٢) من سورة القصص .

وهذه الرواية الماثلة في هذه الفصول الخمسة — تنتظم أهم مراحل موسى منذ ولادته إلى وقت انتصاره على فرعون وملئه . وهي تعتمد على التفصيل ، والتحليل والتعليل والتدليل إلى جانب اعتمادها على الإيجاز والتركيز .

ثم هي قصة تستند على التصميم الموضوعي ، الوصفي إلى جانب استنادها

على الأسلوب القولي ، أو الحواري ، أو التحليلي ، والتعقيبي .

ففي الآية الأولى ، من الفصل الأول رقم (٧) حسن توجيه ، وتنويع ، وتوضيح ، وترجيح : فنهيا - كما تعلم - أمران : أرضعيه ، فألقيه - ونهيا نهيان : لا تخافي ، ولا تحزني . ثم نبأ بشارتان : رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين .

ومن هذا التوجيه ، والتنويع ، والترجيح ، تحقق جانب التنغيم والتوقيع بتنغيم هذا في : أرضعيه ، فألقيه ، رادوه ، جاعلوه .

على أن النهي نهيا بشارتان ، وأن البشارتين بعدهما ، نهيا تعليلان - وفي هذه الآية تلخيص لحياة موسى واقتصاد . ثم في الآية الثانية : آية الالتقاط بفجاءة واختصار ، بذكر لام العاقبة ، التي حلت محل لام التعليل فقد التقطه آل فرعون ، ليكون لهم صديقا ، وسرورا ، لا ليكون لهم - كما حدث - عدوا وحزنا !!

والسرد - هنا - وإن كان تحليليا - يعتمد على اللمحة الدالة والتلخيص المقلل ، والتفصيل الملخص وهنا - في هذه الآية الثانية ، من الفصل الاول إشارة إلى نهاية الرواية ، وهزيمة فرعون ، وهامان وجنودهما :-

" إن فرعون ، وهامان ، وجنودهما كانوا خاطئين "

فالرواية بهذه البداية ، والرواية بذلك التمهيد ، لا تحفل بالمفاجأة المفتعلة أو التشويق المقصود . إنما تجمع نقطة الانطلاق ، وتركز محور النزاع ، وتعين جوهر الأهداف - ثم تضيف العبير إلى أولى مراحل السير ، وتأتي بالنهاية في أول البداية . ذلك أنها تعتمد على إبراز المضمون ، ورسم العلاقات التي تصغر من تقدير فرعون ، وتكبر هامان ، وجنودهما ، لأنهم كانوا خاطئين ، يرتكبون الخطأ عن عمد ، ويجترحون الخطيئة عن قصد . ومن هنا صغرت الأقدار منهم .

ولام التعليل الموضحة لسر التقاطهم موسى ، السبب تبينها آية امرأة فرعون : (وقالت امرأة فرعون : قرة عين لي ، ولك) فهو في نظرها - سبب لسرورهما وأفراحهما ثم بقية كلامها بين أحداثها تختفي ، وتكمن وراء هذا النهي : (لا تقتلوه) وهي رقيقة سعيدة ، بعيدة النظر في تعليل هذا النهي : (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون !) إذ اقتنعتهم بمنطق المنفعة الشخصية ، ولم تجادلهم فيما وراء ذلك ، من منطق عام ، أو من زاوية قوم موسى .

وهنا يلتقي في الحكاية ، والرواية ، إلى جانب بلاغة الحكي والسرد ، عنصر الاختيار أسهم في تحقيق ذلك . وإن كانت اللغة مختلفة في الوجود الخارجي منها في الوجود القصصي .

فهى ـ هنا ـ لم تفرح بالمولود ، ولم تشر إلى الصبى ، بل حذفته ، واكتفت بالإخبار عنه ، لما يهمها هى وفرعون فقد قالت : " قرة عين لى ولك " وفى هذا ما يفجع فرعون ـ لأنها ـ بهذا التعبير تشير إلى دموع الحزن ، الحارة التى تساقطت من عينيها ، تحرقا على إنجاب الولد ، كما تساقطت من عينه ! فهى لا ترجو إلا أن تستعيد بهذه الدموع الحارة ، التى تذرف فى مقامات الأحزان دموعا باردة تنم عن السرور والأفراح .

ولعلهم كانوا فى انشغال عنها ، ليتبينوا سماته ، ويتفرسوا فى وجهه ـ حتى إذا أيقنوا أنه من بنى إسرائيل هموا بقتله ! فهى تخاطب زوجها فرعون ! وهم مشغولون فى اكتشاف حقيقته ، وجنسه ! ولعل الفتاة منها جاءت تجس الصبى ، وتجاه جند فرعون ، وقد أوشكوا أن يقتلوه ، فصرخت فيهم : (لاتقتلوه) (عسى أن ينفعنا ، أو نتخذه ولدا)

وكأن الجملة الاعتراضية الثانية (وهم لا يشعرون) تسوغ لوالدتها هذه ، وتبرر لموقفها ذاك ، وتوضح منطقى يمنع لتمسكها بهذا الصبى البرىء الغريب !

وإذا كان هذا هو اهتمام امرأة فرعون ، بهذا الصبى الغريب ـ فما بالك بمشاعر أمه ، التى ألقته فى اليم ، واثقة بوعد الله لها ، فى رد ابنها إليها ؟!

آه الفراغ الهائل الذى تحسه فى فؤادها ! ذهب من كان يملأ قلبها ! وخلف لها الوحشة والعدم ... ! ثم هى لا تستطيع حتى الشكوى ، أو الحنين أو الأنين ! فالأفواه مكممة ! .. والرقابات هنا ، هناك ! ولولا أن ربط الله على قلبها ، لذهب أدراج الرياح ، وقد ربط الله على قلبها ، لتكون من المؤمنين

على أنها لم تقف موقفا سلبيا .. ! إنما تصرفت بدل فى وسعها ، إذ : (قالت لأخته : قصيه) وتتبعى أثره ، أرسليه فى النهر ، وتتبعى خبره ، وصيرى الذى يصير إليه ، حتى تنظرى من يأخذه !

ـ كذلك صنعت أخته ، فبصرت به عن بعد ، وهم لا يشعرون ـ هنا يأتى أثر الإلهام والإيحاء ، إذ حرمت على موسى المراضع ، دون أن يعرف حلا ما و حرمة ! فيمانع الأمناء من كل النساء ، ويمتنع عن الرضاع من كل المراضع !

وهنا تأتى الفرصة لأخت موسى ، فتقول : (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ؟ وهم له ناصحون ؟!) ولا مناص من قبول هذا بحق الله وعده ، برد موسى إلى أمه (كى تقر عينها ، ولا تحزن !) (ولتعلم أن وعد الله حق !) (ولكن أكثرهم لا يعلمون !) وهذا هو الفصل الاول .

وهذا الفصل يصلح ـ وحده ـ أن يكون قصة كاملة ، مستقلة ، يغنى النظر عن المتصل ، والمنفصل ، اللذين افتتحت بهما السورة وقدمت بهما الرواية .

وفي هـذا الفصل يظهر المستقبل ، القوى قائم مؤهلة ، تتخاذعلى وليدهـا يكلفه فرعون ، الذى يذبح الأبناء ، فتلقى به فى اليم ، وتتقلب به الاقـدار لتلتقطه فرعون ، وآله ، وهمهون يقتله لولا أن امرأة فرعون — تشفع للوليـد ، رجاء اتخاذه ولدا لها ولـه .

ثم ينتقل الطفل إلى قصر فرعون ، ويعاف الإرضاع من المراضع — على كثرتهـن — ليرده الله ثانية ، إلى أمـه ، كى تقر عينها ، ولا تحزن ، ولتعلم أن وعد الله حـق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون .

وهنا تكمن العبرة ، ويظهر الهدف ! فهى قصة كاملة ، فى قصة أم ، أو قصة طفل أو قصة قـدر ، أو لعبة المصادفة ، أو سخرية القدر أو وعد الله . أو ما إلى ذلك كله من هذه التسميات التى أسميها بها ..

ومن ثم فصل بعضها وبين القصة التى بعدها ، بفاصل كبير ، عبرت عنه بكلمة (ولما) ولكن رجوعه إلى أمه كان إلى فترة معينة ! ومن ثم ارتقب القارئ ، أو السامع استمرار الأحداث ، وتتبع أنباء الصبى ، أو الغلام . ولهذا الترقب — عدت تلـك القصة — بوضعها داخل إطار الرواية ، العام — فصلا أول متصل وفصـول على نحو ما أشرت فى أول هذا العرض السريع .

وإذا كانت هذه الأنباء رواية ، ذات فصول خمسة وكان لعنصر الاختيار فضـل فى إيثار ما يصلح وتنحية لما لا يفيـد ...!

ولذا كانت فرق زمنى بين الفصل الاول ، وبين الفصل الثانى — هذا الفرق الزمنى قد صورته كلمة (ولما) فى بدء الفصل الثانى .

(ولما بلغ أشده ، واستوى ، آتيناه حكما وعلما) وإذن فقد ذهب الصبى ، وصار يافعا ، غلاما سديدا ، أيدا ، سويا ، قويا .

وهذا هو الزمنى ، ثم هذا وصف الجسمى ! إن الله آتاه حكما وعلما ، وهـذا وصف المعنوى والداخلى ، فهو حكيم ، عليم . ولهذه علة ، تبينها بقية الآية : (وكذلك نجزى المحسنين) وهذه الآية تعتمد على السرد الوصفى ، والتعليق !

ثم يدخل موسى المدينة ، على حين غفلة من أهلها ، ليجد فيها رجلين يقتتلان : هذا من شيعته !... وهذا من عدوه !

وهنا بداية الانفجار ، المدخر فى النفس ، والجنس ، والعصبية ، والعنصريـة والقوة ، والبطش ، والسياسة ، والمجتمع ، والذى مهد له بآية التمهيد الاولى وتتحرك فى موسى الغاب ، آلام قومه ، واضطهاد فرعون لهم ! ولعلـه يمضى فى سبيله ! أو لعله يرد هذا ، عن ذلك ، فى عدوه وسلام !

لكنه يسمع استغاثة الذى من شيعته ، على الذى من عدوه !

فيكزه موسى ، فيقضى عليه ! فهو لا ينوى قتلـه !

غير أن للقدر ـ هنا ـ أيضا يدا ، وأثرا ، وحكما كما أن للصدفة أثرا في رؤية موسى هذين الرجلين اللذين يقتتلان !

بيد أنها مصادفة مرتقبة ، إذ مهد لها من قبل ، بما يجعلها منطقية الوقوع ، واقعية المنطق . وتلك هذا الذي من عدو ، يبدأ في تأثيم الأحداث وتكشفها وفي الكشف عن القضية ، وحيثياتها ! (قال : هذا من عمل الشيطان ! إنه عدو مضل ، مبين) إذ الشيطان هو الذي يزين قبائح الأعمال ، كما مر بنا في سورة النمل ، وفي قصة سليمان ، وتعليق الهدهد على صبأة ملكة سبأ ، وقومها . ثم عد بأنه هذه مقتدة من الأزل ، إلى الأبد ومعرفة موسى لعداوة الشيطان ، من أثر حكمه وعلمه .

وهذا تعليق موجز على حادثة القتل ، يدل على نزعة موسى ، الدينية ، وثقافته التاريخية ثم يأتي موقف آخر ، يناجي فيه موسى ربه :

(قال : رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، فغفر له إنه هو الغفور الرحيم)

وهنا موقف ثالث ، يمثل العهد مع ربه الذي أخذه موسى على نفسه : (قال : رب ـ بما أنعمت علي ، فلن أكون ظهيرا للمجرمين !)

ثم تمضي الحادثة ، وتنتهي فصلتها ، وعبرتها ، والندم عليها ، والاستفادة منها ! ليأتي اليوم التالي ، ليوم القتل ، أو ليلة القتل : (فأصبح في المدينة خائفا يترقب) فهو ـ وإن كان في المدينة الآهلة بالسكان وبالأمان ـ خائف ! وهو ـ وإن كان في وقت الصباح ، النبئ من السرور ، والطمأنينة والارتياح ، والانشراح خائف يترقب !

هنا تظهر عقدة الشعور بالذنب ، أو غريزة الخوف ، وتعمل عملها في نفس موسى ! وتجيء حادثة مراك ، تشبه حادثة أمس ! وهي مشاجرة لا ريب !

أو هي امتحان على تستشف به صدى القتل ، في نفسية موسى !

وهل جريمة القتل هينة ليسة ؟ وهو الذي آتاه الله حكما ، وعلما ؟ أو أنها لم تكن مقصودة ، ولم يكن لها في تفكيره وزن ، ولا إعداد !

وتدع موسى يجيب الذي استنصره بالأمس ، وطلب نصرته ، يستصرخه اليوم ، ويطلب إغاثته : (قال له موسى : إنك لغوي ، مبين !)

ولعل ذلك العدو ، تأنى من موسى الكفر ، والقصور فاعتدى على الذي من شيعته فغضب موسى ، وأراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ـ حينئذ قال له :

(يا موسى أتريد أن تقتلني ، كما قتلت نفسا بالأمس ؟ إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض ! وما تريد أن تكون من المصلحين !

ولعل هذه الكلمات حركت نزعة الإصلاح في موسى ، الحكيم ، العليم ، وسمت به عن هبوة الثأر ، الفردي ، أو الغضب الذاتي ، إلى تبني قضية قومه ، وإلى الدفاع

من كل شيء . وتلك هذه التوجيهات الثاقبة ، عقلة أخرى ، أسى وأوجع ، وأروع ! وهنا ينتهي الفصل الثاني .

وإذن فموسى مطرود ! وإذن فآل فرعون يطرونه ! ثم تبدأ تلك الشدة من عدو ، قد استطار ، واستفاض ! حتى إن الملأ ليأتمرون به ، ليقتلوه ! ولأهمية موسى ، ومكانته ، ولوجود أنصار الحق ، في كل زمان ومجيء رجل من أقصى المدينة يسعى ، ليحمل نصحا يقوم به الرجال ، فهمس لموسى ، أو يجهر له : (يا موسى .. إن الملأ يأتمرون بك ، ليقتلوك ! فاخرج ، إني لك من الناصحين) وكما أصبح في المدينة خائفا يترقب ! خرج منها خائفا يترقب ! وخوف هذا يتضح في هذا النداء : أوفى هذا الدعاء : (قال : رب نجني من القوم الظالمين)

وهذا هو نهاية الفصل الثاني أو لعله المنظر الأول ، من الفصل الثالث .

وهنا تطوى تفاصيل الرحل ، وآلام السفر ، وأوقات التنقل من مصر إلى مدين ! والذي تولى عبء هذا كله ، لفظة (ولما) (ولما توجه تلقاء مدين ، قال : عسى ربي أن يهديني سواء السبيل !)

ومناجاته ليس ، ورجاؤه فيه لا يفارقه أبدا حل ، وحيثما ارتحل ، مما تظهر به صحبه وفيه ، طبيعة موسى ، الحكيم ، العليم ، الذي يعد لتلقي عبء الرسالة ، الأكبر . ويهديه الله سواء السبيل !

ويصل إلى مدين ، ويرد ماء مدين ، ليجد على الماء جماعة من الناس يسقون ، ويجد من دونهم امرأتين تذودان ، وتكفان غنمهما وسألهما — بحكم نخوته ، ورجولته ، ومروءته : (ما خطبكما ؟) (قالتا : لا نسقي ، حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير !) وتتحرك فيه مروءته ، فيسقي لهما ، ويتركهما ! ولعل التعب قد نال منه ! فيتولى إلى الظل ، ليستريح ويناجي ربه كعادته : (رب إني لما أنزلت إلي من خير ، فقير !) وفي أثناء تعبه تجيء إحداهما تمشي على استحياء : (قالت : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)

وينتقل المنظر من ماء مدين ، أو من الظل القريب من الماء ، حيث كان يجلس موسى إلى حيث يقوم أو يجلس الشيخ الكبير .

وكلمة (فلما) تقوم بتغيير المناظر ، وشغل الفراغ المكاني ، كما شغلت من قبل الفراغ الزماني — (فلما جاءه ، وقص عليه القصص ! قال : لا تخف ! نجوت من القوم الظالمين !)

ثم تقترح إحدى الفتاتين على أبيها أن يستأجر موسى : (قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين)

ويفهم الأب ما طلبت البنت ، الكاملة وراء اقتراح ابنته ، ويترجم عن رغبتها في زواجها موسى : (قال : إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج

---

(١) تأجرني : تكون أجيرا لي — مذهب القرآن للسجستاني .

(فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك . ستجدني إن شاء الله من الصالحين ! (قال : ذلك بيني وبينك ! أيما الأجلين قضيت ، فلا عدوان علي ! والله على ما نقول — وكيل)

وهذا نهاية الفصل الثالث ، الذي امتد سنين وقد تركت التفصيلات التي لا تهم ! إذ الرواية أو القصة هنا مبنية على عنصر الاختيار (نتلو عليك من نبأ موسى)

ومن ثم شغل الفراغ الزماني ، والمكاني ، والحدثي والشخصي ، والسردي ، بكلمة أوحت بهذا الفراغ الكبير ، وهي (فلما) التي ابتدئ بها الفصل الرابع !

والفصل الرابع يبدأ بهذه الآية (٢٩) من سورة القصص وهي :

(فلما قضى موسى الأجل ، وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا) (قال لأهله : امكثوا إني آنست نارا ، لعلي آتيكم منها بخبر ، أو جذوة من النار ، لعلكم تصطلون) يمكث أهله ، ويذهب حيث آنس النار (فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن ، في البقعة المباركة من الشجرة : (أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك !) يلقي موسى عصاه . (فلما رآها تهتز ، كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ! (يا موسى : أقبل ، ولا تخف ! إنك من الآمنين ! اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين !) وهنا يبدأ تكليف موسى بالرسالة .

ثم تظهر مخاوف موسى ، إذ يتذكر فعلته تلك ، أو يتذكر ذلك القتيل : (قال : رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) وهنا تتمثل بعض النزوات ، في صدر موسى ، وغيبته : مشحونة بالذنب ، وإحساسه بالمطاردة ، ثم رغبته في الحياة ، وحبه للبقاء ! ولعل لزواجه دخلا في تعويضه بالخوف من قتلهم :

(فأخاف أن يقتلون) إذ لم يقل هذا من قبل ، ساعة علم بمؤامرة الملأ ضده وتآمرهم لقتله أو على قتله ! فقد قال آنذاك : (رب نجني من القوم الظالمين) فهم يظلمون الأنبياء ! فكيف بهم مع من قتل واحدا منهم ؟!

ثم هو يتصورون له الحبائل ، والقرائن ، والشرور ، ليستفزوه ، ويخرجوه من حكمه ، وعلمه ، وليحملوه على اجتراح الجرائم ، أو مخالفة القوانين !

فهم يظلمون بهذا ، إذ يحرفون طبعه وطبيعته وأصله ، وجنسه ، وأبخسه ، وما يرضيه ! فقد نرى فيهم ، وفاء منهم !

على أن يركزه القتيل — ظلم نفسه ، إذ خالف حكمه وعلمه ، وإن وافق طبعه وطبيعته ! ومن ثم اعترف نادما ، تائبا ، مستغفرا :

(رب إني ظلمت نفسي ، فاغفر لي) والله قد غفر له ! لكن الملأ لا يغفرون ! ومن ثم تجسد له أمواج الماضي ، ويجعله يعترف أمام الله ، بما يعرف أنه منه بريء : (قال : رب إني قتلت منهم نفسا)

فهو ليس بقاتل ! ... انما هو يسند القتل إلى نفسه من باب المجازاة ، والاختصار ومن جانب التعبير عن لسان آل فرعون ، أو الملأ القبطيين ! اذ الوكز — وهو ضرب الصدر بجمع الكف — لا يقتل في المعتاد ، أو المعروف المألوف !

ولعل هذه الحادثة أوحت إلى فقهاء الشريعة الإسلامية — فيما بعد — إلى تقسيم القتل : إلى عمد ، وفيه عمد وإلى خطأ ، وفيه خطأ ، وإلى ما يجري مجراه على أن كثيرا من الأنبياء الذين لم يقترفوا إثما ، ولا جرما ، ولا فيه إثم ، أو فيه جرم يتعرضون لشتى الاضطهادات ، والعقوبات الظالمة ، التي لا أساس لها من عدالة ، ولا ترتكز لها من وقائع . وخاصة في عصور الاضطهادات ، وفي تحكم السلطات الباطلة ، المستبدة ، التي تحارب أهل الحق ، والمبادئ القويمة ، ودعاة الاصلاح ، وقادة الفكر ، بل والأولياء ، والانبياء ، بل والرسل المعصومين من الخطايا والأخطاء .

على أن موسى قد قتل إن صح هذا التعبير — قبل الرسالة او قبل ان يصبح رسولا ، معصوما ، فقتله من سنين لا يصادم عصمة الرسل .

~~وكما سيجيء تحقيق في رسالتي « الباب المفتوح على طريق القرآن »~~ .

ولعل الشيخ الكبير حين عرض عليه أن يكون موسى أجيرا له ثماني سنين ، أو عشرة أعوام إلى جانب كونه صدقا لابنته — أراد أن يهذب من خلق موسى الذي تكون ، أو نشأ ، في قصر فرعون ، أو « بلاطه » وبين حاشيته ، وحاشيته ، وأن يهبه تربية روحية معينة ، يصقله بها ، ويحلي غرائزه البدنية ، ويسمو بصفاته المادية ، ويؤهله لتلقي الرسالة الكبرى .

ولعل هذا هو اصطناع الله موسى لنفسه . فالشيخ الكبير قد وجد موسى القوي الأمين وهو — بقوته وأمانته — أهل للزعامة ، والرئاسة أو للنبوة والرسالة .

ومن هنا اختاره لابنته الوفية ، الذكية ، زوجا لها ومن ثم اراد أن يلقنه مرارة السخرة المقنعة ، ليحس بها ، ويدرك أوصابها ، ويشعر بآلام قومه المسخرين ، المذللين ، فينهض لتحريرهم ، ويضطلع بإنقاذهم ثم هو يأنس من موسى شيئا من التبرم والضيق فيلطف من حكمه عليه بالسنوات الثمانية ، أو بالعشر السنين بقوله : (وما أريد أن أشق عليك ! ستجدني — إن شاء الله — من الصالحين) ومن هنا أجابه موسى ، في جد وصرامة : (ذلك بيني ، وبينك) كما أجابه في حزم ، وشجاعة : (أيما الاجلين قضيت ، فلا عدوان علي !) كما أشهد الله ذلك : (والله على ما نقول وكيل)

ولهذه التربية أثرها في خلق موسى ، وفي دعائه ، وتواضعه ، ورقته ، وكلامه : فهو يقول لأهله (امكثوا إني آنست نارا)

ولا يكتفي بهذه العملة ، بل " يطفئها " ويمثلها ، بما فيه سعادة أهله :
(لعلي آتيكم منها بخبر ، أو جذوة من النار ، لعلكم تصطلون !)
حتى تمثل أمر الكلمة ، يقبل وترحاب ثم تحوله غريزة الخوف فيه ، من سنين
وتمثله للرجل الصريح ، أو القتيل واستعادته لصوت الناصح ، الجريء — " كل هذا
فيه فيه حاكمة الخوف وغريزته ، وجعلها تتمكن منه ! وجعل أصابعه ترهف ،
وتعنف كما جعلها تنهار أو تضعف !
فلما رأى عصاه تهتز كأنها جان ، أي جنس من الحيات ، ولى مدبرا ، ولم يرجع
أو يلتفت ! ومن ثم طمأنه الله ، وأذهب روعه وخوفه !
(يا موسى : أقبل ولا تخف ! .. إنك من الآمنين)

وتمكن غريزة الخوف منه ، وجه أهله ، أو خوفه عليهم كل أولئك جعله يقصر
بحادثة القتل ، ويجهر بخوفه من أن يقتلوه : (قال : رب إني قتلت منهم نفسا
فأخاف أن يقتلون) ومن هنا وصل الخوف من القتل بحادثة القتل ، وهذا من
أثر التداعي النفسي ، والشعوري ، كما أنه من أثر التهيبة ، الروحية ، الجديدة ،
بعضا نراه في قصة شبابه ، وهب قتله القتيل ، يعلق على حادثة القتل ، بقوله :
(هذا من عمل الشيطان ! إنه عدو مضل ، مبين !) ولعل هذا أثر
التهيبة الفلسفية ، التي تسند الشر إلى الشيطان ، كما تسند الخير إلى الله .

على أنه قد تأثر بالنظرة الفرعونية ، إلى بني إسرائيل فأسماهم المجرمين ،
ومن هنا عاهد الله أن يتبرأ منهم ، ومن نصرتهم : (قال : رب بما أنعمت علي
فلن أكون ظهيرا للمجرمين)

فأثر التهيبتين ، والبيئتين — واضح في خلق موسى ، وفي سلوكه ، وفي
كلامه ، فما يوحى به أسلوبه الحواري ، أو أسلوب مناجاته واعترافاته !
(ومن يكلف أعباء الرسالة ، تتجسد له أهوالها ، وبخاطرها فيطلب من الله
أن يرسل معه ردءا يصدقه ، ويعينا يعينه !

وليس أفرب إليه من أخيه هارون ، الذي هو أفصح منه لسانا كما يقول :
(وأخي هارون ، هو أفصح مني لسانا ، فأرسله معي ردءا يصدقني)
ثم هو لا ينسى السوء ، لطلبه هذا ، وهو خوفه من تكذيبهم إياه ! (إني أخاف
أن يكذبون) .
وإذن فغريزة الخوف تمكنت منه ، وتغلبت عليه ، وتحركت فيه ، بتحريك الذكريات
القديمة ، وجرت على لسانه — كما رأينا — في صورة ، وتتابع !
ويستجيب الله له : (قال : سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا ، فلا
يصلون إليكما ، بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون)

وبهذه الاستجابة ، وبهذه البشارة ، التي تحمل لموسى وهارون الأمان والطمأنينة ، من بطش فرعون ، وهامان ، وجنودهما !
كما تزجى إليهما الانتصار لهما ، ولمن اتبعهما ، فهم الغالبون — بهذا كله ينتهي الفصل الرابع ، من رواية : موسى وفرعون "

ثم يأتي الفصل الخامس ، والأخير وهو يبدأ بآية موسى : (وقال موسى : ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ، ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) . وهنا تبدأ إرهاصة الختام وهنا تتجلى حكمة موسى ، وعلمه اللذان آتاهما الله إياهما !
فربه أعلم بمن جاءهم بالهداية من عنده وهذا الذي جاء بالهدى جدير بأن تكون له عاقبة الدار . وهذا منطق حكيم ، ومنطق عليم !
والحكمة والعلم — هنا — يلتقيان وكأنهما توأمان !

وهذا موقف كلامي لموسى افتتح به هذا الفصل الخامس الأخير .
وهو — كما قلت — توطئة وتمهيد للختام المرتقب الذي مهد له بأول السورة ، وعقب قصة أو حكاية قارون .

فموسى على هدى — ومن كان على هدى تكون له عاقبة الدار ، أو نتيجة الانتصار ثم فرعون ظالم وقومه ظالمون — ولا يفلح الظالمون هكذا تقول ضمائر الحوادث ، ووقائع الأيام !

ثم يأتي موقف فرعون — لتسمع سفاهته ، وألوهيته ومنطقه الفرعوني ، الأحمق وتطاوله حتى على مقام الله :
(وقال فرعون : يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري !) كلمة لم يقلها من حقير له جنوده من الجن ، والإنس والطير ... !
وجل أن يفعل ، أو يدعي شيئا من ذلك ! فهو ملك نبي ، أو هو ملك رسول ... !

ثم يترك فرعون مخاطبة ملئه ، الذين ألهوه ، أو ادعوا معه أنه إله ... !
ليخاطب هامان : (فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا)
ولماذا يا فرعون ؟ (لعلي أطلع إلى إله موسى ، وإني لأظنه من الكاذبين)
(واستكبر هو وجنوده في الأرض ، بغير الحق ، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون)
فالظلم لم يتمثل فيه وحده ! إنما امتد إلى ملئه ، وإلى جنوده ، حيث استكبروا في الأرض بغير الحق ، واعتقدوا أنهم إلى الله لا يرجعون .

وهذا يلتقي مع الآية الرابعة ، من سورة القصص التي كشفت عن شخصية فرعون ثم تأتي الخاتمة المنتظرة ، التي مهد لها بكلمة : (إنه لا يفلح الظالمون)

(فأخذناه ، وجنوده ، فنبذناهم في اليم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)

وهنا في هذه الآية الأربعين ، تصور النتيجة والختام ، كما تركز الأضواء على أسرار هذه النتيجة وعلى علل هذا الختام :

(فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)

فهي مصرع الظلم ممثلا في فرعون ، وملئه ، وجنوده ، وهي انتصار الحق والعدل ممثلا في موسى ، وقومه .

ولذلك جاء التمهيد بالآية الرابعة الخاصة بفرعون الذي (علا في الأرض ، وجعل أهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين) . كما جاءت الآية الثامنة والثلاثون ، الخاصة باستكبار فرعون وجنوده وإذن كان فرعون محور الصراع كما كان موسى بطل الصراع .

ومن ثم سميتها : قصة موسى وفرعون " أو رواية موسى وفرعون " — وجعلها القرآن قصة أحداث وأنباء خاصة بموسى وفرعون " حيث قال في أول السورة :

(نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون ، بالحق ، لقوم يؤمنون)

وعلى أنها قصة موسى التي تسجل أهم مراحل حياته منذ مولده ، إلى انتصاره على فرعون ، وملئه وجنده !

أما فرعون ، فقد ذكر في آية التمهيد ، كما ذكر في آيتي الالتقاط من الفصل الاول . ثم ذكر في الفصل الخامس ، الأخير على أن ذكره هو وملئه ، كان يتخلل سائر الفصول . ففي نهاية الفصل الأول — يختفي مع من تخاطبهم أخت موسى :

(هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ؟) كما أن نهاية تحرك هذين الرجلين ، اللذين يقتتلان ثم هو مصدر غفلة المدينة من أهلها ، لاستكباره هو وجنوده في الأرض بغير الحق . كما انه من أسباب الخوف والقلق النفسي ، الذي يهدد موسى ويحيط به موسى !

ثم هو سبب للصدام ، والنزاع بين شيعة موسى وبين آل فرعون ! هذا النزاع الذي يتصدد ، ويتجدد ، كل يوم ! ثم محاولات فرعون تظهر في تحريض المصري بموسى : (إن تريد إلا أن تكون جبارا في الارض ! وما تريد أن تكون من المصلحين ! فهو تحريض بفرعون على لسان أحد رعيته !

والذي يظلم أو الذي اعتاد الظلم ، وهان على المظالم لا يميز في علوه ، واستكباره وإفساده بين أشياعه وبين أعدائه ومن هنا يضيق به كل فرد ، حتى أقرب الناس إليه ! ثم يختفي فرعون ، أو يمتثل في الملأ الذين يأتمرون بموسى ، ليقتلوه ! وفي الظالمين الذين يفر منهم موسى ، دائما :

(رب نجني من القوم الظالمين)

والذين جاء ذكرهم على لسان الشيخ الكبير ، حين بشر موسى بنجاته منهم :
(قال لا تخف ! .. نجوت من القوم الظالمين) وفي سبب إطالة المدة ، التي
يؤديها موسى مع صهره ما بين ثماني سنين ، أو عشرة أعوام . فكأنه يشبه حادثة
القتل ، أو كأنه يلغي أثر تلك الجريمة !

ثم يأتي ذكر فرعون ، وملئه ، وقومه ، في فصل الرواية الرابع :
(فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه ! إنهم كانوا قوما فاسقين !)
كما يذكر قومه على لسان موسى : (رب إني قتلت منهم نفسا ، فأخاف أن يقتلون
إني أخاف أن يكذبون) وفي تأمين الله موسى وهارون منهم :
(فلا يصلون إليكما) ...

ثم في الآية الأولى : من الفصل الأخير ، آية (٣٦) : فلما جاءهم موسى
بآياتنا بينات . قالوا : ماهذا إلا سحر مفترى ! وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين !

كما أنوه في آية موسى ، بعدها ضمن الظالمين : (إنه لا يفلح الظالمون)
من هذا كانت هذه من نهاية موسى وفرعون ومن ثم سميتها " رواية موسى وفرعون "

ثم هذه الكلمة التي انتهت بها الآية الأربعون من سورة القصص هذه وهي :
(فانظر كيف كان عاقبة الظالمين !)
تعد ختام الرواية التي ابتدأت بالآية السابعة ، وانتهت بالآية الاربعين ، من هذه
السورة مع عد الآيات البتلاء الأولى من السورة ، آيات تمهيد ، وتعريف ،
وإبراز محتوى ، وتوضيح هدف . ثم يعد أثر هذا الختام في الآيات الثلاثة بعد
الآية الاربعين . وهو بمنزلة الاستطراد ، والإتمام .

والآيتان الأوليان من هذه الآيات الثلاث : (٤١) ، (٤٢) :
خاصتان بفرعون ، وجنوده — غير أن الآية الإحدى والاربعين ، تجعل من
فرعون وملئه ، وجنده ، أئمة يدعون الى النار كما تجعلهم يوم القيامة لا ينصرون !
(وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون)
وهذه إمامة عجيبة ، تقابل إمامة الذين استضعفوا في الأرض ، كما صورتها الآية
الخامسة من سورة القصص ، هذه : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في
الارض ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين)

وهذا اتحاد بالتضاد ، واتحاد بالاضداد ! فيه عجب هنا ، وفيه
اعجاب هناك !

وتأتي الآية الثانية والأربعون ، البتة لصدى قصة فرعون ، ونهايته :
(وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين !)

وأبئس بها من خاتمة تشيع باللعنات ... ! ومن مصير في جهنم تشوه فيه العيون والوجوه والسمات ! ثم تأتي آية التفريع الثالثة والاخيرة ، الخاصة بموسى وهي تتخذ سمتا أسلوبيا ، مغايرا هو إلى الحكاية المؤكدة ، أقرب منه إلى السرد :
(ولقد آتينا موسى الكتاب ، من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ، بصائر للناس ، وهدى ورحمة ، لعلهم يتذكرون !) آية (٤٣) سورة القصص .

فبعد الآيتين المتعلقتين بذكرى فرعون ومصيره ومصيره في الآخرة — تأتي هذه الآية الخاصة بالكتاب الذي أعطاه موسى !
فهذا الكتاب يحمل بصائر للناس يبصرون بها نور الحق هداية لهم بها يهتدون ، ثم هو رحمة ، بسببها يرحمون وقد جاءهم الكتاب على يد موسى ، لعلهم يتذكرون .
وإذا نظرنا إلى الوحدة اللغوية ، الأسلوبية التي تصل كل منظر من مناظر هذه الفصول ، أو كل فصل من فصول هذه الكارثة — نجد هذه الوحدة الأسلوبية أو اللغوية السردية ، متمثلة في لفظة (لما) مقترنة بالواو ، أو مسبوقة بالفاء ، من ذلك :

(ولما بلغ أشده ، واستوى ، آتيناه ،)
(فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ، قال)
(ولما توجه تلقاء مدين)
(ولما ورد ماء مدين)
(فلما جاءه ، وقص عليه القصص)
(فلما قضى موسى الأجل)
(فلما أتاها نودي)
(فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات ، قالوا)

هذا ما عدا ما بين الرواية في فصولها الخمسة ، من وحدات تصويرية ، وتنغيمية ومعنوية ، وبيانية وهدفية ، تحقق وحدة الوحدات الإعجازية ، في القصة القرآنية .

ومن هذه الوحدات كلها تتجلى ظاهرة النظم في قصص القرآن التي تعد سرا من الاعجاز في اعجاز القرآن وفي اعجاز قصص القرآن . ثم يأتي :

التعقيب على نبأ موسى وفرعون

وهو من أهم أهداف القصص القرآني ، ثم هو بمثابة التوثيق للقصة القرآنية التاريخية الواقعية ، ونسبتها الى الله عز وجل ، وبمثابة التحقيق لمضمونها وحقيقتها ، من جميع الوجوه ومن هذا التعقيب :

(وما كنت بجانب الغربي ، إذ قضينا إلى موسى الأمر ، وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ، ولكن رحمة من ربك ، لتنذر قوما ما أتاهم من نذير ، من قبلك ، لعلهم يتذكرون !)

وهذا التعقيب يشير إلى الاعجاز الغيبي ، في القصص القرآني . والتاريخ البعيد - هنا - غيب من الغيوب ! وخاصة في هذه المواقف التي كانت بمنزلة الوحي من الله ، والنداء من سبحانه .

ثم نهاية هذا التعقيب ، يلتقي مع نهاية الاستطراد : (لعلهم يتذكرون) في كتاب موسى عليه السلام ثم (لعلهم يتذكرون) في إنذار محمد عليه السلام

على أن حصاد القصص ، في سورة القصص يتجاوز هذا التعقيب ، وذلك الاستطراد ، إلى آيات أخرى من سورة القصص ، بعد آيات التعقيب الثلاثة ، وآيات الاستطراد الثلاثة أيضا .

فحول آيتي موسى اللتين افتتح بهما الفصل الخامس ، من رواية موسى وفرعون تدور آيات الحصاد الخمسة من رقم (٤٧) إلى رقم (٥١) سورة القصص.

وهذه آيات خاصة بالدعوة الإسلامية ! بيد أنها متصلة بالآيتين السابقتين في الفصل الأخير ، من قصص سورة القصص ، أو من : " نبأ موسى وفرعون "

وهذه هي آيات الدعوة الاسلامية ، المتصلة بالقصة القرآنية :

(ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم ، فيقولوا : ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ؟ فنتبع آياتك ، ونكون من المؤمنين)

وهذه أهمية دور الرسل ، وسر انتظار الناس لهم (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا : لولا أوتي مثل ما أوتي موسى ؟ أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا : سحران تظاهرا ... ! وقالوا : إنا بكل كافرون !)

وقد سمعناهم يقولون ، لما جاءهم موسى بآيات الله البينات :

(ما هذا إلا سحر مفترى ! وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين !) ولكن .. ما موقف القرآن التلقيني إزاء هذا التعنت القديم ، العقيم ؟!

(قل : فأتوا بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما أتبعه ، إن كنتم صادقين)

وهذا يذكرنا بقول موسى ، في الفصل الأخير : (ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار . إنه لا يفلح الظالمون)

وهؤلاء الظالمون تتسمهم آية التوجيه التالية :

(فإن لم يستجيبوا لك ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . إن الله لا يهدي القوم الظالمين)

وإذن هؤلاء الظالمون الذين لا يفلحون ، هم الذين يتبعون أهواءهم ، بغير هدى من الله !

ومن هذا الحصاد اتضحت معانى الرواية السابقة ، كما اتضح هذا الحصاد بتلك المعانى القصصية ، فى إنها موسى وفرعون !

ومن ثم اتخذ القرآن هذا الترصيل ، والتفصيل وهذا التحليل والتعليل ، وهذا التلوين والتكوين وهذا التنكيه والتوجيه — اتخذ القرآن سمتا خاصا به ونظما معينا له .

وقد أشارت إلى هذا ، هذه الآية التى تبين سر توصيل القول لهم باتباع بعض بعضا ، ليتصل عندهم القرآن وهى :

(ولقد وصلنا لهم القول ، لعلهم يتذكرون) وهذه الآية — كما أراها — مفتاح لتحليل السورة وتفصيلها ، وتبين ما بها من قصص ، وما لها من خصائص ومميزات ثم ما بينها من وحدات متصلات !

وهذا السر وهو التذكر (المتمثل فى (لعلهم يتذكرون) آية (٥١) — يتصل به (لعلهم يتذكرون) الخاصة بقوم الرسول ، و (لعلهم يتذكرون) الخاصة بقوم موسى — عليهما السلام — وذلك فى آية (٤٦) ، وآية (٤٣) بسورة القصص .

بما يصل ما بين آيات الترغيب ، والترهيب ، والأهداف ، بوحدة لغوية فنية ، وهدفية واحدة ، تؤلف ما بينهما من أفكار وأهداف ، فى غير تعارض ، وبدون أى اختلاف ..

!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

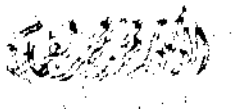

على أن لكل سورة مفتاحها الخاص بها ، الموحي بأسرارها . كما أن لكل قصة في سورة — مفتاحها الخاص بها ، الكاشف عن أستارها ، الموضح لأسرارها المساعد على اكتناه أفكارها ، والوقوف على مراميها وأهدافها .

من ذلك ما يختص بمجموعة سورة الاعراف بقوله تعالى : (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)

وما يختص بقصص سورة هود ، قوله سبحانه : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق ، وموعظة وذكرى للمؤمنين) .

وما جاء في مقدمة سورة يوسف ، أو رواية يوسف : (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، نحن نقص عليك أحسن القصص ، بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) .

وما جاء في سورة الحجر : (ولقد آتيناك سبعا من المثاني ، والقرآن العظيم)

وما ورد في سورة الإسراء : (ولقد صرفنا في هذا القرآن ، ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا) .

(ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ، فأبى أكثر الناس الا كفورا)

وما جاء في سورة الكهف : (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ، إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) .

وفي مقدمة قصة زكريا ، ويحيى ، في سورة مريم : (ذكر رحمة ربك)

وفي أول سورة طه : (طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلا ممن خلق الأرض ، والسموات العلى) .

ثم ما افتتحت به سورة الأنبياء : (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ، الا استمعوه وهم يلعبون ، لاهية قلوبهم)

وقبل مجموعة القصص ، فيها : (وهذا ذكر مبارك أنزلناه ، أفأنتم له منكرون ؟)

وقبل نهايتها : (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم ، فاعبدون)

وقرب نهايتها : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، قل : انما يوحى الي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ؟)

وفي سورة الحج : (أفلم يسيروا في الأرض ، فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الابصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ؟)

وفي سورة " المؤمنون " : (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)

(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم إلينا لا ترجعون ؟)

وفى سورة النور : (سورة أنزلناها ، وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينـــات ، لعلكم تذكرون)

(يبين الله لكم الآيات ، والله عليم حكيم)

وفى سورة الفرقان : (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق ، وأحسن تفسيرا)

وفى أول سورة الشعراء : (تلك آيات الكتاب المبين ، لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) . وفى قرب نهايتها ، وبعد نهاية مجموعة قصصها : (وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك ، لتكون من المنذرين بلســـان عربى مبين) .

وفى أول سورة النمل : (تلك آيات القرآن ، وكتاب مبين هدى ، وبشرى للمؤمنين ، وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) .

وفيها : (قل سيروا فى الأرض ، فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ؟ ــ ولا تحزن عليهم ، ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) .

ثم فيها : (إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفـــون وإنه لهدى ، ورحمة للمؤمنين) .

ثم فى سورة القصص ، هذه ، التى ما زلنا فيها : (تلك آيات الكتاب المبـــين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون ، بالحق ، لقوم يؤمنون) .

ثم فيها : (ولقد وصلنا لهم القول ، لعلهم يتذكرون)

وفيها : (وربك يخلق ما يشاء ، ويختار ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون) .

وفى نهاية قصة قارون والآخرة : (تلك الدار الآخرة ، نجعلها للذيـــن لا يريدون علوا فى الأرض ، ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين) .

وهكذا ...

ففى هذه الآيات المبثوثة فى أوائل السور ، أو فى وسطها ، أو قرب نهايتهـا يكمن جو السورة العام ، ويختفى أو يظهر هدفها وفكرتها ، وخلفيتها ، وما إليها مما يحدد منهج السورة ، وما يرسم القصص التى بها أو القصة التى فيها ، أو الامثال التى تمت الى هذه القصص بصلة من الصلات .

وهذا هو مفاتيح القرآن ، ومن أسرار القصص فى القرآن فيهم كل دارس له ، أو باحث فيه ، بل يفهم كل تال للقرآن ، أو متدبر لمعانيه : (أفلا يتدبرون القرآن ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ؟ !)

وبمراعاة هذه المفاتيح لبعض السور ، نستطيع أن نصل الى تحقيق الوحدات الادبية والعلمية والفنية بينها ، وخاصة فى نظام المجموعات . كما نستطيع أن نصل بمراعاة هذه الوحدات ، إلى تحقيق ظاهرة النظم فى القرآن ، عامة ، وفى قصص القرآن ، بصفة خاصة . وذلك ــ لعمرى ــ أهم مفاتيح الاعجاز وسر الاسرار فى كل اعجاز .

من سورة القصص

الدكتور محمد محمد بدير

قصة قارون

من آية (٧٦) إلى آية (٨٣) سورة القصص

وهي تابعة لقصص القصص ، أوهي معاصرة لقصة موسى في سورة القصص .
ذلك أن قارون (كان من قوم موسى ، فبغى عليهم) ثم هي متصلة بنبأ فرعون ، الطاغوت في رواية موسى وفرعون ، التي مرت . فرعون طاغ ، وباغ وظالم ، ومفسد ومعتد ! — وقارون طاغ بماله ، باغ على من حوله ، أشر يطغى ، بخيل حريص ، مفسد مدع ، مغرور بائس !

فتأمل فرعون ، ورمز إلى طغيان الحكم ، والسلطان ، والجاه ! — وحكاية قارون تشير إلى طغيان المال ، والرأسمالية والطبقية ، والترفع ، والبخل ، والتكبر على خلق الله .

ومن ثم تناسبت القصتان ، واشتركتا معا في هدف السورة النهائي ، الأخير : (تلك الدار الآخرة ، نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ، ولا فسادا والعاقبة للمتقين !)

وإذا نظرنا إلى حكاية قارون ، وجدناه انفصاليا ، وانعزاليا ، وانطلاقيا إذ (كان من قوم موسى ، فبغى عليهم !) ووجدناه غنيا ، ثراء فاحشا : (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) . ووجدناه أشره ، مختالا متكبرا ، يعيش بعيدا عن الآخرين ، ويحيا سعيدا ، إذ يشقى كثير من معاصريه ، ووجدناه عنيدا ، فحيحا ، فخورا ، لا يستجيب إلى نصح ، ولا يصغي إلى عظة ، يكاد لا يؤمن بالآخرة ، ويوشك أن ينقطع إلى الدنيا وجمع المال ، ويعيش ليفسد في الأرض مع المفسدين .

ثم هو مغرور بماله ، مفتون بجاهه ! لا يتأمل نذيرا ، ولا يقر لله بنعمة جاءه فيها ذلك شأن الكثير من المجرمين !

والآيات الثلاثة الأولى من رقم (٧٦) إلى رقم (٢٨) من سورة القصص ، هذه تبين ملامحه وصفاته ، وتسجل خواطره ، وأفكاره ، وفلسفاته ، وتحلل نفسيته ، وتجسم شخصيته ، على النحو الذي استخلصته منها ، في تلك السطور المعدودات وهذه هي الآيات التي تعد تعريفا بشخصية قارون : (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ! وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، إذ قال له قومه : لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين .)

(قال : إنما أوتيته على علم عندي ! أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله ، من القرون من هو أشد منه قوة ، وأكثر جمعا ؟! ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون !)

وكما كان مغرورا بماله ، مفتونا بجاهه ـ كان هو مثار فتنة بمظهره وزينته ، مما يظهر أثره على تعليق قومه : (فخرج على قومه فى زينته ! قال الذين يريدون الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ! إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم : ويلكم ..! ثواب الله خير لمن آمن ، وعمل صالحا ، ولا يلقاها إلا الصابرون !)

وهذا هو للموقف الثانى ، أو الدرس الثانى ، من مواقف ودروس حكاية قارون

ثم يأتى الموقف الأخير بمشهده : موقف الخسف والنسف ! وموقف الدرس والعبرة (فخسفنا به ، وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين) (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس ـ يقولون : وى ! ... كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ، ويقدر ! لولا أن من الله علينا ، لخسف بنا ، وى ! .. كأنه لا يفلح الكافرون !)

وهذا هو الموقف الثالث والأخير ، من قصة قارون وحكايته .

ثم يأتى تعقيب القرآن عليها ـ هذا التعقيب الذى رأيناه من قبل ، هو : (تلك الدار الآخرة ، نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ، ولا فسادا والعاقبة للمتقين) .

ونحن نراه يصل هذه القصة بأول السورة : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض ، ونرى فرعون وهامان ، وجنودهما ، منهم ما كانوا يحذرون) .

ومن هنا اتصلت القصتان : قصة قارون ، وقصة فرعون ، واشتركتا فى كثير من المحتوى ، كما التقتا فى آية الهدف ، الأخيرة .

على أن قصة قارون ، اشتراكية المضمون ، فلسفية الفكرة ، دينية المحتوى ، سياسية الهدف ، تلقينية النصح ، وعظية التوجيه ، جماعية الأشخاص ، قوية الأبطال .

فهى " قطاع " عام ، إلى جانب كونها قصة شخصية وأسلوبها متنوع ، ما بين السرد الواضح ، وما بين الحوار الموجه ـ وفيها مجال خصب لفلسفات عديدة ، مثل : (إن الله لا يحب الفرحين) (إن الله لا يحب المفسدين) ـ (إنما أوتيته على علم عندى) . (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) ـ (إنه لذو حظ عظيم) ـ (ثواب الله خير لمن آمن ، وعمل صالحا) ـ (ولا يلقاها إلا الصابرون) ـ (كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ، ويقدر) . (لا يفلح الكافرون) .

كما أن فيها توجيهات وتلقينات ، تتفق مع الاشتراكية الإسلامية ، وهي اشتراكية إنسانية ، من هذه التلقينات :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض) .

ثم فيها مقالات وعظات :

(فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين !)

وهذا يذكرنا بمثل صاحب الجنتين ، في سورة الكهف .

كما أن فيها ملامح التجربة الشخصية ، والخبرة العملية : فخبرة الذين أوتوا العلم :

(ثواب الله خير لمن آمن ، وعمل صالحا ، ولا يلقاها إلا الصابرون) .

ومن أصبر من أولي العلم ؟

ثم مشاهدة المغرورين بالمال والجاه ، تردد أخيرا : (لولا أن من الله علينا ، لخسف بنا .. ! ويا ! .. كأنه لا يفلح الكافرون !)

فالقصة — كما نرى — غنية بالأفكار ، والتجارب ، والآراء ، والخبرات ، والفلسفات ، والنظرات ، والنظريات ، والتأملات ، والدلالات النفسية ، والإيحائية ، والروح الفردي والجماعي والقومي .

وهي تلتقي مع قصة " أصحاب الجنة " في سورة القلم ، كما تتصل في مغزاها ، وفي دورها ، ومعناها ، وأمرها ، وبطرها ، واستعلائها ، وفي نهايتها ، وأسلوبها بمثل " صاحب الجنتين " في سورة الكهف .

وهذا المثل ، وهاتان القصتان ، من الأدب الاشتراكي ، الإسلامي ، الإنساني ، الذي يسمو بالواقع المادي ، ويرتفع به إلى عالم المثال والكمال .

وهي — أيضا — من قصص الصراع ، والاضطراب ، والأفكار ! وهي مبنية على توزيع منظم ، وتوقيع منغم ، في إطار رائع ، وفي حركة مضبوطة ، تقابلها حركة ذهنية .

على أن مصارع الكفاءة ، والبطلان ، في قصة قارون ، وقصة قارون من الواقع الحق ، ومن الحق الواقعي ، بل من الواقع المثالي ، بما لها من هدف ، وما يتخللها من مضمون ، وهي بهذا ، وذلك — بشرى لقوم يؤمنون .

ثم أننا لو نظرنا في نظام سورة القصص ، هذه — وقرأنا هذا الوعد والوعيد للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والذي نزل عليه وهو بالجحفة ، في أثناء الهجرة — كما يقال — هذا الوعد : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) فاننا نجده يحمل — كذلك القصص — بشرى للرسول ، وهدى لقوم يؤمنون .

ثم في نظم الآية — في هذه السورة المكية ، مع أن هذه الآية نزلت — كما مر بنا — بالجحفة — اعجاز في ترتيب القرآن ، جدير بالتنبيه إليه والتنويه به !

ثم بقية الآية ، وسائر الآيات ، يتفق والجو القصصي في (بها نوحون وموسى) الذي شغل من السورة خمسين آية ، بالتمهيد ، والتعليق ، والتعقيب .

وحسبنا أن ندون هذه الآيات ، لنتذكرها بما قد قات : (قل : ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين) . فإنه يلتقي مع قول موسى في الفصل الخامس الأخير : (وقال موسى : ربي أعلم من جاء بالهدى من عنده ، ومن تكون له عاقبة الدار) .

(وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ، فلا تكونن ظهيرا للكافرين) فهذا النهي يكفي مع وعد موسى به إذ : (قال : رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين) .

ثم تأتي تلقينات من الله لرسوله ، تثبته ، وتؤيده ، وإن لتخذت سمات نواه ، وحكم خالدات ، ختمت بها السورة :

(ولا يصدنك عن آيات الله ، بعد إذ أنزلت إليك ، وادع إلى ربك ، ولا تكونن من المشركين) (ولا تدع مع الله إلها آخر ، لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم ، وإليه ترجعون) .

ولدى التأمل نجد صلات معنوية تصل ما بين هذه التلقينات ، والتوجيهات بأمرها ، ونواهيها ، وحكمها !

وما زال حالنا بأذهاننا ، ووجداننا ، وآذاننا من وحي ديني ، في قصة سليمان ، الهادية ، في سورة النمل .

ومن تنبيه للكيد الخفي ، في رفض الهدية التي أريد بها صده عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليه .

ومن الدعوة القوية إلى الدين ، ومن توجيهه للمشركين الصالحين ، ثم من تقرير كل المرسل هذه القضايا الخالدة ، وهذه الحقائق الحق :

(لا إله إلا هو
كل شيء هالك إلا وجهه
له الحكم
وإليه ترجعون !)

xxxxxxxxxxx

الدكتور محمد محمد بدير

الدكتور محمد محمد بدر

قصص سورة يونس

(١)

• نبأ نوح •

من آية (٧١) إلى آية (٧٣) من سورة يونس

(واتل عليهم نبأ نوح ، إذ قال لقومه : يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي ، وتذكيري بآيات الله ، فعلى الله توكلت ، فأجمعوا أمركم ، وشركاءكم ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، ثم اقضوا إليّ ، ولا تنظرون .

فإن توليتم فما سألتكم من أجر ، إن أجري إلا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين .

فكذبوه ، فنجيناه ، ومن معه في الفلك ، وجعلناهم خلائف ، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ؟)

نبأ نوح — هنا — في سورة يونس ، هو من قصص المواقف ولذا اعتمد أول ما اعتمد ، وأكثر ما اعتمد ، على الجانب الإلقائي ، في النبرة الخطابية .

وهذا منهج سلكه القرآن في قصص الدعوات . ثم هو يعمد موقفا نهائيا من — مواقف التصفية .

تشير إلى ذلك بعض العبارات مثل : (إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت) .

فقد طال فيهم بقاؤه ، وضاق عليهم كلامه . ومن ثم كان جواب الشرط — إن كان — يتفق مع موقف التصفية هذا ، وهو من الأجوبة المتداخلة التي فيها معاني التوسل ، والاضطرار .

فمن أجوبة الشرط (فعلى الله توكلت)

ومن أجوبة الشرط (فأجمعوا أمركم ، وشركاءكم)

فأجمعوا كيدكم ، واجمعوا شركاءكم ، وما يتم هذا الجواب :

(ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، ثم اقضوا إلي ، ولا تنظرون)

وهاتان الجملتان متممتان للجواب الثاني كما أن هذا الجواب متولد من الجواب الأول وهذا هو مرادي من الأجوبة المتداخلة !

فكأنه يقول لقومه : إن كان شق عليكم مقامي فيكم ، وصعب عليكم تذكيري إياكم بآيات الله ، فلن يهمني ذلك ، لأني متوكل على الله ، في تبليغي رسالة ربي ، وفي تعرضي لإهانتكم ، وإعراضكم .

وإذا كنت متوكلا على الله — وحده — دون غيره فلن يهمني تهديدكم ولا آلهتكم

وإذا كان ذلك خطأ — وهو حق — فأجمعوا أمركم ، وأجمعوا شركاءكم وأصنامكم — إجماعا لا شك فيه ، ولا خلاف ، وجمعا لا تفرقة به ، ولا اختلاف حتى إذا تم لكم ذلك ، من توحيد الكلمة ، وجمع الشركاء ، فأمضوا ما في أنفسكم من مكائد ولا تؤخروني ساعة من زمان .

ومقامات التصفية تعتمد — كما نرى — على الترسل والاستطراد ، وعلى الصراحة ، والمفاجئات ثم على الصرامة ، والتهديدات .

وخاصة في مقام الدعوات ، والرسالات ، ومن رسل وثقوا بالله ، وتوكلوا على الله

وفي هذا التداخل ، تلاحم في النظم ، وتماسك في الفكرة ، وتناسق في الأسلوب — ثم فيه دقة ، ولطف ملحظ ، وفيه صدق ، وبعد نظر ، مما يحتاج إلى أناة وروية ، وإلى دراسة وتذوق .

فأن أي حلف يقام ، أو عرض يعرض ، أو اقتراح يقترح ! ومن ثم أعطاهم نوح فرصة وفسحة ، ليجمعوا أمرهم ، ويجمعوا شركاءهم ، بحيث لا يكون أمرهم عليهم غمة ، ثم يقضون ما يضمرون ! ولهذا عرض عليهم العرض الثاني والقترح الأخير : (فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) .

وهنا تظهر الساحة ، والسجاحة ، والوجاحة ، فإن أعرضوا عنه ، وأصروا آذانهم دونه فلن يسألهم تعويضا جزاء صوته الطويل ، في سبيل هدايتهم ، وتوبتهم .

فما أجره إلا على الله ، ثم هو عند إعراضهم لن يهتم إلا بنفسه ، إذ أمر أن يكون من المسلمين .

وفي هذا من التأثير ما فيه

فقد أله ارتضى لنفسه دين الإسلام ، والعاقل الواعي لا يرضى لنفسه إلا كل خير وسلام ، وإلا كل نفع وسعادة . فإذا كانوا عقلاء ، فعليهم أن يقتدوا به وعليهم أن يكونوا مثله من المسلمين .

غير أنهم كذبوه ، ولم يصدقوه !

وغير أنهم خالفوه ، ولم يتبعوه !

وغير أنهم عذبوه ، وشردوه !

فنجاه الله ، ومن معه في الفلك من أولئكم المسلمين — وصيروا الكون من جديد وجعلهم الله خلائف فيه .

أما هم فقد أغرقهم الله ، إنها تكذيبهم بآيات الله . ثم كيأس الدرس :

(فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ؟)

وفي هذه القصة ـ إلى جانب ما ذكرنا ـ تسمية القصة بالنبأ وتسمية هؤلاء المكذبين بالمنذرين .

وتستدعي هذا وصف موقف التحدي ، بالإنذار .

ثم فيه دعوة إلى النظر الذهني ، والتقلي ، والتأملي ، في كيفية عاقبة المنذرين وفي تفاصيل طبيعات المكذبين . لتعرف مقدمات تلك العاقبة ، وإكتناه علل هذه العقوبات ، درس هداية ، ودرس اعتبار ، ودرس انتفاع ، ودرس انتصار وجو الانذار الحكيم ، الذي نراه في تلايا هذا النبأ : نبأ نوح ، يلتقي مع جو السورة العام .

فآيات السورة : (آيات الكتاب الحكيم) .

وروح السورة قائم على الجدل العميق ، والتأمل الدقيق ، وعلى فلسفة قضايا الدعوة الاسلامية ، وحل مشكلاتها ، وإنذارها ، ونقض مطاعن الكفار عليها ، ورد سهامهم نحوها من أول السورة ، إلى آخر السورة .

فمن ذلك الآية الثانية من سورة يونس : (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم ، أن أنذر الناس ، وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم . قال الكافرون : إن هذا لساحر مبين) .

ومن هذا الجو الذي نجده في نهاية قوم نوح وفي خلافة من آمن معه ممن نجا في الفلك معه . هذه الحكاية التلميحة ، الملتفة مع قصتنا تلك ، وهي في آيتي (١٣) ، (١٤) من سورة يونس .

(ب)

(ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ، وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي المجرمين .

ثم جعلناكم خلائف في الأرض ، من بعدهم لننظر كيف تعملون) .

وقد رأينا في قصة نوح ، إهلاك المكذبين المنذرين ، كما رأينا خلافتهم في الأرض ، لننظر كيف كان عاقبة المنذرين . ثم لننظر كيف يعمل هؤلاء ـ الخلفاء من بعدهم ؟ .

وبقية السورة تعمل لمحات من تاريخ الإنسانية في صرها الطويل ، ممثلة في موقف الكفار والمكذبين ، من الدعوة الإسلامية ، ومن القرآن الحكيم .

والله لم يدع رسوله محمدا ، حائرا ، مثبطا ، إنما كان يمده بالتلقينات ، والحجج القاطعات (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا : ائت بقرآن غير هذا ، أو بدله . قل : ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي ـ إني أخاف ـ إن عصيت ربي ـ عذاب يوم عظيم .

(قل : لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ؟)

وما أشبه هذا الرد من محمد بكلام نوح عليهما السلام ، وتكملة هذه الإجابة : (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ، إنه لا يفلح المجرمون) .

ثم يتصل بقصة الشرك ، في قصة نوح ، قصة الشفعاء ، في قصة الدعوة الإسلامية ، التي تسود سورة يونس : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون) .

ومن جو الفلك التي نجت بنوح ومن معه ، من المسلمين ، هذه الفلك التي تجري في البحر ، والتي تحمل ضعف الإنسان في الشدة ، وبغيته في الرخاء والأمان .

(ج)

وهي — في حد ذاتها — قصة الإنسان ، من خلال : قصة الفلك — وهي قصة السهول ، وقصة الغرائز : (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة ، وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم ، دعوا الله مخلصين له الدين :

لئن أنجيتنا من هذه ، لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق) .

وفصل هذه هي التلميح بخلافة الله في الأرض ، بعد أن نجاهم من طوفان الطوفان . ثم هي قصة الغريزة الإنسانية ، والطبيعة البشرية في كل زمان ومكان .

وإذا كان ذلك قصة الإنسان في الحياة ، أو قصة الإنسان مع الله ، فإن الآية التالية ، هذه الآية ، تصور مثل الحياة الدنيا ، ومثل الناس فيها من بدايتها إلى نهايتها ، وهو مثل في قصة ، أو قصة في مثل .

(إنما مثل الحياة الدنيا ، كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام .

حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا ، فجعلناها حصيدا ، كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) آية (٢٤) من سورة يونس .

ومن قضايا الشركاء التي أثارها " نبأ نوح " هذه الحقيقة القرآنية ، التي هي من أدب المقارنات ، والعقائد ، والبراهين

(قل : من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الامر فسيقولون : الله ـ فقل : أفلا تتقون ؟

(فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ فأنى تصرفون ؟ كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون .

(قل : هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟

قل : الله يبدأ الخلق ، ثم يعيده ، فأنى تؤفكون ؟

قل : هل من شركائكم من يهدي إلى الحق ؟

قل : الله يهدي للحق

أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع

أمن لا يهدي إلا أن يهدى ، فما لكم كيف تحكمون ؟)

وإذا حاولنا الإلمامة ، والإحاطة ، لخرجنا عن نظام هذا النظام ، الخاص بالقصص القرآني ، فنكتفي بهذه الإشارة التي عرفنا بشيء جو السورة العام ، وذكرنا شيئا ما التقى في الاسلوب ، وفي المضمون ، وفي الهدف ، مع نبأ نوح ، الذي تناولته ، في أول هذه السورة .

لنعرج على القصة التالية ، وهي : " بعثة موسى وهارون "

وقبل " بعثة موسى وهارون " لمحة " الرسل " ، أو

(هـ)

لمحة بعثة الرسل

وهي تقع في آية (٧٤) من سورة يونس

(ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ، كذلك نطبع على قلوب المعتدين) .

وهذه اللمحة تمثل لنا هائلا من الأزمان المتتابعة ، والأجيال المتعاقبة والرسالات المتعددة ، التي توالت بعد رسالة نوح ، حتى رسالة موسى وهارون عليهم السلام .

وهذه الرسالات واضحات بينات ، هي رسالة الإسلام ، التي جاء بها كل الرسل عليهم السلام .

ثم كثير من الأقوام لا يستجيبون لهذه الرسالات لأنهم ليسوا أهلا للتشرف بها ولا لتلقيها من أصحابها ، ولا للسير في ركابها .

ثم كثير من الأقوام لا يستجيبون لهذه الرسالات لانهم ليسوا أهلا للتعرف بها ولا لتلقيها من أصحابها ولا للسير في ركابها .)

ثم هم — لذلك — قد طبع على قلوبهم ، لانهم معتدون ! قد تجاوزوا نداء العقل ، وتخطوا جانب الحكمة والصواب ثم هم في تكذيبهم — مقلدون لمن قبلهم من المكذبين يتبعونهم دون سبب ، ويتأثرونهم من غير دليل !

وفي سورة يونس موقف المشركين المعاصرين للدعوة الإسلامية ، في زمن محمد عليه السلام ، موقفهم من القرآن ، وبيان لسر تكذيبهم للقرآن ، وتشكيكهم فيه تشير إلى ذلك هذه الآية : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ! ولما يأتهم تأويله ! كذلك كذب الذين من قبلهم ! فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ؟)

ولكنهم ليسوا كلهم سواء في هذا التكذيب للقرآن : (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ، وربك أعلم بالمفسدين !)

ولعلمه بإفسادهم صرفهم عن كتابه ، كما صرف أولئك من دعوات الرسل .. !

ثم هؤلاء الرسل أمروا أن يكونوا من المسلمين كما رأينا ، وسمعنا من نوح في نبئه ، وموقفه من قومه ! وكما تسمع تلقين الله لرسوله محمد ، ليبرأ مما يعمل المكذبون : (وإن كذبوك ، فقل لي عملي ، ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل ، وأنا بريء مما تعملون) .

وتعقب اللمحة التي معنا " لمحة بعثة الرسل " : (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) ، يتفق مع تحليل القرآن لموقف المكذبين :

(ومنهم من يستمعون إليك ، أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون !

ومنهم من ينظر إليك ، أفأنت تهدي العمي ، ولو كانوا لا يبصرون !

إن الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون)

والذي يعاني لوصل اللمحة بهذه الآيات البينات ، لوصل القصة بما سبق من آيات : هو روح التفصيل ، والتحليل ، والتفكير ، والتأمل ، التي تسود روح سورة يونس ، كما تشير إلى ذلك هذه الفقرة ، من آية رقم (٢٤) :

(كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) .

وكما كانت لمحة بعثة الرسل ، فاصلا زمانيا ، وتاريخيا وفكريا ، واجتماعيا ، وشعوريا ، ودينيا ، كانت هذه اللمحة نفسها ، التي تصورها الآية الرابعة والعشرون ، من سورة يونس — تمهيدا ، ومدخلا للقصة الطويلة التي جاءت بعدها .

قصة

وهى قصة موسى وهارون ، أو بعثة موسى وهارون . وهذه البعثة قصة طويلة أو رواية كاملة تقع فى خمسة فصول ، وتشغل فى سورة يونس ما بين آية (٧٥) إلى آية (٩٣) . وإليك هذه البعثة بالتفصيل والتحليل :-

(و)

بعثـــة موســـى وهـــارون

وهى - كما عرفنا - قصة طويلة ، أو رواية تامة ، تقع فى خمسة فصـــول وتشغل ما بين آية (٧٥) إلى آية (٩٣) من سورة يونس .

أما تفصيل فصولها الخمسة ، فهى على هذا النحو :

١) الفصل الاول يشغل ما بين آية (٧٥) وآية (٨٢)

٢) الفصل الثانى يشغل ما بين آية (٨٣) وآية (٨٦)

٣) الفصل الثالث يشغل ما بين آية (٨٧) وآية (٨٩)

٤) الفصل الرابع يشغل ما بين آية (٩٠) وآية (٩٢)

٥) الفصل الخامس الاخير آية رقم (٩٣) من سورة يونس .

والتعليق من آية (٩٤) إلى آية (٩٧) من السورة نفسها

أما الآية الأولى ، من الفصل الاول وهى رقم (٧٥) - فتعود ببعثة موسى وهارون ، إلى فرعون ، وملئه بآيات الله ، واستكبار فرعون وملئه ، لانهم كانـوا قوما مجرمين .

وهى سردية ، تعتمد على الحكاية ، والإخبار - ثم تأتى بقية آيات الفصل الاول من رقم (٧٦) إلى رقم (٨٢) - تفصل الآية ، وتعنيها لقوم يتفكرون وهـذه هى الآية الإجمالية رقم (٧٥) : (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا ، فاستكبروا ، وكانوا قوما مجرمين)

ثم هذه هى الآيات التفصيلية ، التى تبين بالحوار ، وتجسم بالاشخـاص ، وتوضح بالافكار ، ملامح الاستكبار ، وسمات هذا التكذيب .

(فلما جاءهم الحق من عندنا - قالوا : إن هذا لسحر مبين !)

(قال موسى : أتقولون للحق لما جاءكم : أسحر هذا ؟ ولا يفلح الساحرون)

(قالوا : أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا ؟ وتكون لكما الكبرياء فـــى الارض ؟ وما نحن لكما بمؤمنين !)

(وقال فرعون : ائتونى بكل ساحر عليم . فلما جاء السحرة .. قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ، فلما ألقوا قال موسى : ما جئتم به السحر ! .. إن الله سيبطله ! إن الله لا يصلح عمل المفسدين .

ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون !)

وهذا الفصل يمثل خصومة الصراع ، المتمثلة في : فرعون ، وملئه ، وسجل حواركم المجسم لنفساتهم ، وأهوائهم ، وما يدفعهم إلى عنادهم ، من فكرة موسى وهارون ، وجحودهم لرسالتهما .

(فلما جاءهم الحق من عندنا) وهذا الحق هو الرسالة الدينية ، التحريرية وهو بعثة موسى وهارون ، بما معهما من توراة ، وما لهما من حجج وبراهين .

(قالوا : إن هذا لسحر مبين ! قال موسى : أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ؟) وفي هذا الاستفهام الإنكاري ، نبرات توبيخ ، ورنـــات تقريع ، ودلائل إعجاز ، ودعوة تبصرة !

فكيف يقولون للحق ، وهن الحق ، وفي الحق ، ساعة مجيئه لهم ، وفـــور وصوله إليهم ، دون نظر فيه ، ومن غير تأمل له .. كيف يقولون : أسحر هذا ؟ وهنا تقديم الخبر على المبتدأ ، لأنه هو المحكوم به ، وهو المراد ـ هنا ـ في كلامهم ..!

(ولا يفلح الساحرون) وهذه حكمة ساقها إليهم موسى ، أو أوحى بهـــا الموقف أو أتى بها القرآن ، توطئة لموقف السحر الآتي ، بعد هذا الموقف أو لمنظره التالي لهذا المنظر .

وهذا مشهد من منظر

ثم ينتقل الحوار إلى جو آخر ، وبعض آخر .

(قالوا : أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا ؟) مفاجأة إثر مفاجـــأة ! وبداءة بالهجوم بعد تلك البداءة !

ولعلهم سلموا له بصحة كلامه ، وبقوة تأثيره ، فانتقلوا إلى ظاهرة اجتماعيـــة واحتكروا بعدها إلى قضية سياسية ، وأطماع شخصية :

(وتكون لكما الكبرياء في الأرض ؟!) فهم ينكرون مجيء موسى الذي حاورهم أن يصرفهم بدعوته الدينية ، عما ورثوه من تعاليم دينية عن آبائهم وأجدادهم وهذا دليل على تحكم التقاليد فيهم ، وتمكن التبعية الفكرية منهم ، مـــا جعلهم يبادرون بالإنكار ، والعناد ، للحق الذي جاءهم من عند الله على لسان موسى وهارون ، من غير تبصر ولا روية ، وبدون تمهل أو انتظار !

ثم إنهم خلقوا الصراع ، وجعلوا له جذورا سياسية ، تتصل بالحكم السياسي للبلاد والعباد .

وبهذا أبرزوا دفائن صدورهم ، وخفايا أسرارهم ودخائلهم في الاستئثار بالحكم ، والانفراد بالسلطة : (وتكون لكما الكبرياء في الأرض ؟)

ولعل كل جملة من هاتين الجملتين ، جاءت على لسان بعض ملأ فرعون ، فبعضهم يمثل جانب الرجعية ، والاتباعية الشعبية ، وبعضهم يمثل جانب السلطة الرسمية ، السياسية ، ثم البعض الآخر يمثل جانب العناد ، والاستكبار والإجرام الالحادي ، أو الوثني ، إذ يقولون : (إنما نحن لكما بمؤمنين !)

ثم يفصل المعنى الأول ، وهو اتهامهم الحق ، بأنه : (سحر مبين !)

(وقال فرعون : ائتوني بكل ساحر عليم !) يأتون له بكل ساحر عليم !

وهذا الذي مر يمثل المواقف ، أو المشاهد الثلاثة بعد منظرا أول من الفصل الأول ، يليه هذا المنظر الثاني ، والذي جاء فيه السحرة :

(فلما جاء السحرة قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون !) وهنا تظهر شخصية موسى الواثقة ، القوية ، ويلقي السحرة ما هم ملقون !

(فلما ألقوا ، قال موسى : ما جئتم به السحر ! إن الذي جئتم به ما هو إلا السحر إن الله سيبطله ، إن الله لا يصلح عمل المفسدين ، ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون !) فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم !

أما الحق الذي أتاهم به من عند الله ، فإن الله يحق هذا الحق بكلماته ، وبمعجزاته ، ولو كره المجرمون ، من المفسدين ، والساحرين ، والمستكبرين ، والمكذبين . وهنا - في هذا المنظر الثاني - تتجلى شخصية موسى القوية الفتية ، ونفسيته الحية ، الجريئة ، وحجته القاطعة ، الرادعة !

وبهذه الكلمات ينتهي هذا المنظر الثاني ، للفصل الأول ، وينتهي بانتهاء الفصل الأول من قصة موسى وهارون ثم يبدأ الفصل الثاني ، من هذه القصة أو هذه الرواية .

الفصل الثاني :

وأوله : (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ، على خوف من فرعون وملئهم ، وإن فرعون لعال في الأرض ، وإنه لمن المسرفين !)

وهذه الآية السردية التي افتتح بها الفصل الثاني ، تقابل تلك الآية السردية ، التي افتتح بها الفصل الأول .

وهي مقابلة فكرة بفكرة ، وموافقة أسلوب بأسلوب على أن فرعون قد ذكر في الآيتين من الفصلين .

فهو في الآية الأولى - من الذين استكبروا ، وكانوا قوما مجرمين !

وهو في الآية الثانية ، التي ابتدئ بها الفصل الثاني عال في الأرض وإنه لمن المسرفين ! بحيث يتجاوز طغيانه وظلمه القلة التي آمنت بموسى من قومه فخافوه هو وملئه

مما يجعل القصة الحقيقية : قصة فرعون وملئه ، أكثر منها قصة موسى وهارون !
وهم يمثلون جانب الهجوم منذ أول لقاء ، إلى آخر لقاء !
(فلما جاءهم بالحق من عندنا ، قالوا ..)
(قالوا : أجئتنا لتلفتنا ؟ !)
ثم هو مصدر الخوف والقلق في نفوس الذرية ، المؤمنة من قوم موسى ، هذا الخوف والقلق الذي يسجله حوار الفصل الثاني ، بين موسى وهؤلاء المؤمنين !
(وقال موسى : يا قوم إن كنتم آمنتم بالله ، فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين !)
وهذا علاج لهم من المخاوف ، وأمان لهم من المخاطر ، والأوجال !
" التوكل على الله ، مع الإيمان بالله ، والتمكن من الإسلام "
وإذن فالإسلام — كما عرفنا — هو دين كل المؤمنين ، وهو دعوة كل المرسلين ، منذ نوح كما رأينا ، إلى موسى وهارون ، ومن آمن معهما ، وبهما إلى محمد صلى الله على أولئك المرسلين أجمعين ، ومحمد هذا هو محور الحديث ، ومواطن الحوار ، والتلقين ، والتأييد بالأدلة والبراهين .
ودين الإسلام ، هذا : دين يقين ، لا مرية فيه ، ولا فرية به — يعلن الرسول هذا كله ، في أواخر هذه السورة :
(قل : يأيها الناس إن كنتم في شك من ديني ، فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم وجهك للدين حنيفا ، ولا تكونن من المشركين) .
وإذن فدين الإسلام ، دين قديم ، وقويم . وهو — كما رأينا ، ونعرف عن الأديان . فتوح يصرح : (وأمرت أن أكون من المسلمين) وإذن قبله أناس مسلمون ، قد أسلموا على أيدي رسل سابقين ! مما يعمق الفكرة الإسلامية ، ويجعلها تمتد منذ الأزل ، إلى الأبد .
ثم هذه الذرية المؤمنة تتوكل على الله ، لأنهم مسلمون (فقالوا : على الله توكلنا ، ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين)
فموسى عليه السلام — قد طلب من هؤلاء المؤمنين ، أن يتوكلوا على الله إن كانوا مسلمين فأعلنوا أنهم على الله توكلوا ، فقد قصروا توكلهم على الله ، دون سواه ! وهذه مرتبة الموحدين ، لا المشركين !
ثم هم عرفوا أنهم — بإعلانهم هذا الدين الجديد الذي اعتنقوه حديثا — معرضون للفتنة ، والمحنة ، والإيذاء ، والتعذيب .

ومن ثم اتجهوا الى الله ، واحتموا به : (ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين .

فالظلم يتصل الفتن والمحن ، والكفر يستلزم الشدة ، والعنف ،

ولن يعصمهم من هذا ، وذاك وإلا رحمة الله ، تنجيهم مما يريدهم ، وتقيهم ما يفتنهم أو يؤذيهم ،

على أن هؤلاء الكافرين هم الظالمون ، وهؤلاء الظالمون هم المجرمون المفسدون ، المسرفون ،

وهذه الأوصاف لها صورها ، ومظاهرها ، وظواهرها ، كما أن لها إيحاءاتها وتياراتها ، ونتائجها الناجمة عنها ، الواقعة منها — ثم لاتضاد بينها ولا تعارض ،

فمن الممكن أن تلتقي في فرعون ، وملئه فالكفر بالله مصدر الإجرام ، والإفساد والظلم ، والإسراف ، والاعتداء . وهو يغري بالتكذيب ، والتضليل ، والتزييف ، كما يغري بالتعذيب ، والتفكيك ، والتعنيف ، ومن ثم التزم القرآن دائما الكافرين بالمجرمين ، أو وسمهم باسم المجرمين ،

وبهذه المناجاة التي اتجه بها المؤمنون إلى الله ، ختم بها هذا الموقف بين موسى ، ومن آمن معه ، وهو مع ذلك القص السردي ، في الايقاع قبله ، يكونان الفصل الثاني ، من رواية " موسى وهارون " أو رواية موسى وفرعون " .

ثم يأتي :

الفصل الثالث :

والفصل الثالث ، بين الله ، وبين موسى وأخيه : ر ا جعلر ا

(وأوحينا إلى موسى وأخيه : أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا ، واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين) .

وهذا هو إيحاء الله ، إلى موسى وهارون : أن يتخذا لقومهما بمصر بيوتا وأن يجعلوا بيوتهم قبلة وأن يقيموا الصلاة ، وأن يبشر موسى المؤمنين كما أمرهم من قبل ، بالتوكل على الله ، إن كانوا مسلمين .

ثم يأتي موقف موسى من ربه ، فيدعوه أخر دعاء ، ويرجوه لعنف رجاء ، ويثور على فرعون وملئه أعظم ثورة : (وقال موسى : ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ،

ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) .

فهنا ثورة نفسية ، جارفة ، من موسى الثائر الناقد ، الذى عاش فى قصر فرعون ، ورأى ما ينعم به فرعون وملؤه ، من الزينة والكماليات ، وما يخوضون فيه من الأموال ، التى تفوق الحصر والإحصاء .

وهذه تلك يتخذونها سلاحا يحاربون به رسالة الله ، ودينه ، ودعوة موسى ، وأخيه — ويقفون عقبة فى سبيل الله ، يضلون من حاول السير فيها ، عنها يحاربون من أنتمى إليها ، بهذه الأموال التى تمد لها فى السلطة والسلطان وتلك الزينة التى يغترون بها من دخل فى دين موسى ، من تلك الذريعة القليلة ! — وهذه ثورة نفسية ، تشبه تلك اللحظات " الوجودية " فى الحياة البشرية ، وفى الأعمال الروائية ، وفى المواقف المسرحية ، وفى الهزات النفسية ! وهذا الموقف الثائر يتسق مع طبيعة موسى الثورية وشخصيته القوية ، وتجاربه الحربية ، والعملية ! — كما يتفق مع مكانته لدى ربه إذ هو كليم الله ومصطفاه .

ولعل هذه الهزات تأتى فى ثورة الأزمات التى يتعرض لها كثير من الزعماء والمصلحين ، حينما يقارنون بين حقهم الضعيف ، النقير ، الخائف ، المهدد ، الأعزل الأعزل ، وبين باطل أعدائهم ، القوى ، الغنى ، الآمن ، المهدد ، المسلح .

ولعل الذى حرك هذا الخاطر فى مناجاة موسى ربه ، هو إيحاء الله له ولأخيه ، أن ينزلا قومهما بمصر منازل يلزمونها ، ويستقرون فيها ، وأن يجعلا بيوتهم قبلة — وهذه مطالب صعبة التحقق ، عسرة التحقيق ، تعرض موسى وهارون ، والذرية المؤمنة معهما ، إلى صدام عنيف ، مخيف — بينهم ، وبين فرعون ؟ بسلطانه ، وأمواله ، وجنوده ، وأتباعه ، ومعه ملؤه ، وحاشيته ، وأتباعه ، وأعوانه ! — ومن هنا جأر إلى الله أن يجعل أموالهم ، وأن يقسى قلوبهم ، حتى يحرموا عرف الإيمان ، وحتى يسلبوا راحة الأمان ، ثم يلقوا كل عقاب وهوان ، وحتى يروا العذاب الأليم : (ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم !)

(قال : قد أجيبت دعوتكما ... فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون)

يا لها من بشرى للمؤمنين ! ويا لها من حسرة على الكافرين !

إذن قد قلبت أظفار الطغيان ، وكسرت شوكة العدوان ، وأصبح الباطل مهددا بعد أن كان مهددا وأذنت ساعة خلال المؤمنين بالنجاة ، كما أذنت ساعة القصاص ، من الكافرين بالنجاة .

وقبول دعوة موسى وهارون ، واستجابة الله دعوتهما بشير للمؤمنين ، ونذير للظالمين المجرمين — وعبرة للذين يعلمون وعبرة للذين لا يعلمون !

وقبول دعاء موسى ، هو قبول رجاء هارون وسواء أدعا معه ، أم سواء انفرد بالدعاء بالعاء ، موسى ، واستقل ! فهما أخوان وسولان ، يدعوان إلى فكرة واحدة وما يجول بخاطر هارون ، يدور على لسان موسى أو ما يضيق به صدر موسى ، يترجمه لسان هارون . ومن ثم قال موسى ما قال ، وقال الله : قد أجيبت دعوتكما !

ثم أمرهما الله أمر توجيه ، وتنبيه ، وتسليح ، لخوض النهاية المرتقبة ، وتخطى العقبة التى بها حسم الأمور ، وإبادة الشرور ، وتحقيق السرور (فاستقيما) إنكما مستقيمان ، وداوما على إقامة الصلاة ، واللجوء إلى الله والمناجاة مع الله ، وتبشير المؤمنين ، ثم استقيما على سبيل الله ، وهى سبيل الذين يعلمون (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون)

وبهذا التوجيه الأمر ، وبهذا الأمر الموجه . وبهذا التنبيه الزاجر — ينتهى هذا الموقف الثانى أو المنظر الثانى ، الذى ختم به الفصل الثالث .

ثم يأتى الفصل الرابع ، الحاسم .. وفيه الختام المروع ، الذى يقضى على العدوان ، والطغيان ، والكفر ، والإفساد ، ممثلا فى فرعون وجنوده ، كما يكتب الانتصار لموسى ، ومن معه ، من بنى إسرائيل .

تصور هذا الفصل الرابع ، هذه الآيات : آيات الفصل الرابع :

(وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر ، فأتبعهم فرعون ، وجنوده ، بغيا وعدوا حتى إذا ادركه الغرق ، قال : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) .

وهذا الفصل الرابع تصويرى ، تقريرى ، يعتمد على الحركة والسرعة ، على الأسلوبين : السردى ، والقولى (وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر)

وهذا منظر يعتمد على الحركة وعلى مشاهد متعددة ، تبدأ من خروجهم من مصر وهروبهم من فرعون ، ولجوئهم إلى البحر ، كما لجأ إليه موسى من قبل : وهو صبى ، رضيع ، أو كما لجئ به إليه ! ، وهذا ومزيجسم طغيان فرعون ، وصداه فى نفوس بنى إسرائيل !

فطغيان فرعون أشد وأطغى من طغيان البحر ! ورحمة الله ، أكبر وأعظم من طغيان فرعون ! فهى تحطم الأسباب والمسببات ، وتخرق التجارب والعادات ، ومجاوزة الله ببنى اسرائيل البحر ، استجابة لدعوة الذرية ، المؤمنة من قبل : (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) ثم تحقيق لتبشير المؤمنين !

ثم هذه المشاهد المتعددة التى يوحى بها هذا التعبير : (وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر) تبدأ من هروبهم من فرعون ، وخروجهم من مصر ، ولجوئهم إلى البحر ، وانفلاق البحر لهم ، ومرورهم فيه ، وسلوكهم سبيل الله ، وطريق إنجائه ، ثم تغطيتهم كل غير فيه ، ووصولهم إلى شاطئ الأمان .

وتنتهي عند وقوف بني إسرائيل ، ينظرون إلى فرعون وجنوده الذين أتبعوهم بغيا وعدوا .

كما تصوره الجملة السرعة الثانية : (فأتبعهم فرعون ، وجنوده ، بغيا وعدوا) ففرعون يتبعهم بغيا ، وجنوده تتبعهم عدوا وجريا .

وهذه الجملة تصور في ألوف المناظر المتتابعة ، كمناظر تلك الجملة السابقة ثم لها امتداد مطلق ، (حتى إذا أدركه الغرق)

والعيون كلها مصوبة إلى فرعون الباغي : رأس الشر ، وطاغية القوم .

ثم الآذان كلها مرهفة لاستماع ما ينبس به ، وقد أدركه الغرق ، قبل أن يغرق ! فكأنه في صراع وحده ، مع الغرق ، يجهد أن ينجو منه ، وأن يسبق إلى الشاطئ — لكنه أدركه ، وأمسك به ، وأراه الحقيقة في جوف اليم فتجهر بالإيمان ، وصرح بالإسلام :

(قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل — وأنا من المسلمين)

حتى فرعون قال : أنا من المسلمين ! لكن لات حين مناص ! ولات ساعة خلاص من شر ذاك القصاص !

ويا آلاء منظرا يصل موسى بمولده ، وأن تلقيه ، وتقذفه في اليم ، فيلقيه اليم بالساحل ، ثم يأخذه هذا الفرعون ، فيربيه ليهلك على يديه !

يالها لحظة تجمع فيها كبرى العبر ! وجلى النذر ! لكن نداء فرعون وإيمانه ، فيه دخل ودخن ! من وحي الخوف والاضطرار ، لا من جهة الأمن والاختيار ! ولعله مكر تذرع به ! ولعلها خديعة اعتصم بها حتى إذا نجا من الغرق ، كفر بمن أنجاه ، وعاد إلى كفره ، وكيده ، وحربه مع موسى ، وبني ربه !

كما كان يفعل هو وآله من قبل ، حين يقع عليهم العذاب (ولما وقع عليهم الرجز قالوا : يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز ، لنؤمن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل . فلما كشفنا عنهم الرجز ، إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون . فانتقمنا منهم ، فأغرقناهم في اليم ، بأنهم كذبوا بآياتنا ، وكانوا عنها غافلين) من سورة الأعراف .

ومن هنا رفض إيمانه ، وإسلامه : (آلآن وقد عصيت قبل ، وكنت من المفسدين ؟ ! فاليوم ننجيك ببدنك ، لتكون لمن خلفك آية ، وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون !)

والله لايخدع ، ولا يمكر به !
ولا تنطلي عليه المراوغات ، وتؤتي إيماءات التزييف ، وإصلاله الأجوف وانجاله كما ابتغى ، ونصوه كما أراد لايُظن أن هذا الالتفاف ، جهول تكفيره كما كفر ! (وسخر منه كما سخر ..!

ومن ثم قيد الله كشف الرجز عنهم ، من قبل إلى أجل هم بالغوه !
ليعلم أن الله خبير بنواياهم ، بصير بطواياهم ، لا تخفى عليه خافية ، من سر أو علانية ! (وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ! وما ربك بغافل عما يعملون !)

وبهذا الفصل الرابع سجل مصرع طاغية ، وهلاك عدوان — يمكن أن تختم به رواية فرعون ! لكنها ليست رواية فرعون ، فحسب !
إنما هي رواية " موسى وهارون " أو رواية " بني إسرائيل " — ومن ثم كان لها امتداد ، نتعرف فيه مآل بني إسرائيل ، وبشارة الله للمؤمنين فيهم ، التي مهد لها في الفصل الثالث .

وهذا الامتداد — يقرره الفصل الخامس الأخير ، كما تصوره هذه الحكاية ، في هذه الآية : آية الفصل الخامس : (ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ، ورزقناهم من الطيبات ! .. فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة ، فيما كانوا فيه يختلفون)
وهذه البشرى تتصل بموقف الله مع موسى ، في أول الفصل الثالث ، وهو الفصل يتبوأ بيوت بمصر لقوم موسى وهارون . فقد حقق الله هذه البشرى : بقضه ولم نجتثه سبحانه موسى وهارون كبيرعناه ، في تنفيذ ذلك الأمل ، وتحقيق هذا الرجاء . قد بوأهم مبوأ صدق : منازل ملزومة وأماكن يقيمون بها ورزقهم من الطيبات الشيء الكثير .
وفي حذف المفعول عموم وشمول ، واستمرار واستقرار ! وكان كل هذا جديرا بأن يؤلف صفوفهم ، ويوحد كلمتهم ولكن اختلفوا . (وما كان الناس إلا أمة واحدة ، فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم ، فيما فيه يختلفون !)
(فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) والله — وإن لم يقض بينهم الآن يقضي بينهم يوم القيامة : (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة ، فيما كانوا فيه يختلفون) ثم يأتي التعقيب :
(فإن كنت في شك مما أنزلنا ، فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين . ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله ، فتكون من الخاسرين إن الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ، حتى يروا العذاب الأليم) .

وكيف يكون في شك ، وتتجه اللسنة بعد فرعون ، وإلقاؤه في بحر من الأرض زبه وارتفاع بالساحل جسما بلا روح ، ليكون لمن خلفه آية — دليل محس وملموس على صدق ما ورد في هذا القرآن وهذه القصة التي جاءت في هذه السورة ، مستفيضة ومشهورة يقرأها الذين يقرأون الكتب من قبل الرسول . وإذا كان موسى جاء فرعون بالحق من عند الله ، لقد جاءك الحق من ربك ، وهو القرآن الصادق الذي لا ريب فيه ، ولا اضطراب .

فلا تكونن من الممترين ، ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله : فتكون من الخاسرين وقد رأينا خسارة هؤلاء المكذبين الذين لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كل آية ، حتى يروا العذاب الأليم وليس هذا النهي موجها إلى الرسول فحسب بل هو موجه إلى كل مسلم ، يتلو القرآن حتى يتأثر بما ألقى حوله من شكوك وأراجيف كالهجمات التي آثيرت بها من أول السورة ، وكادعاء الكفار أن هذا القرآن مفترى ، مختلق ، ليس من عند الله تشير إلى ذلك هذه الآيات :

(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب ، لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون : افتراه ؟

قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ، إن كنتم صادقين)

ثم تأتي الآية المبينة سر تكذيبهم ، وهو جهالتهم ، وعدم إحاطتهم بعلمه ، ولما يأتهم تأويله ، أي تأويل له : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ؟ ولما يأتهم تأويله ... ؟ كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)

وإذن فسوق القرآن قصة ، كقصة نوح ، التي فيها حادثة الطوفان المشهور ، وعرضه رواية كرواية موسى وهارون ، وفيها حادثة الإغراق ، المعروف ثم فيها أثر باق ، وجثة ما زالت آية في الأفاق ومطابقة لما في الأسفار ، وموافقة لما في كتب التاريخ والآثار . وكل أولئك يحمل للقرآن أمام العالمين معاني التوثيق والتحقيق ومعالم الصدق والتصديق ، مما يمحو كل الريب ، ومما يؤيد كل نبأ بالغيب ،

فضلا عن الأحداث المشهورة ، والأغراض المنظورة ثم تسجيل إيمان فرعون ، وهو يعالج سكرات الموت ، ويصارع غمرات اليم ، وتدفعين هذه الكلمات التي خرجت منه ، قبل أن تخرج روحه من جسمه .

دليل على أن هذه الرواية من عند الله ، الخبير البصير . يضاف إلى دليل رواية " سليمان " وأخبار النمل ، والهدهد ، والعفريت من الجن ، مما لا يقضي على حقيقته إلا الله ، خالق الإنس والجن ، وخالق الطير والوحش ، الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون .

وإذن نضاف إلى إعجاز هذا القصص القرآنى ، اللغوى ، والأدبى ، والبلاغى والعلمى ، إعجاز آخر تاريخى ، وغيبى ، يكتنه أعماق النفس ، ويسجل خواطر الحس ، وأسرار النفس ، وما دون النفس .

ويحيط بكل الأكوان ، من أرض وسماء ، ومن طير ووحش ، ومن إنس وجان

على أن التعقيب والمغزى الذى يكون من رواية " موسى وهارون " أو " مصر فرعون " أو " قصة بنى إسرائيل " — يلتقى مع أهداف السورة ، ويتصل بلمحات الإنسان فيها .

كما نرى من وجوه التشابه ، بين خداع فرعون ، وهو يغرق ، وادعائه الإيمان . وبين خداع الناس ، وهم فى الفلك التى جاءهم فيها النوح من كل مكان ، وظنوا أو تيقنوا أنهم أحيط بهم ! .. حينئذ يدعون الله مخلصين له الدين : (لئن أنجيتنا من هذه ، لنكونن من الشاكرين

(فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض ، بغير الحق)

والمغزى يصور هذا النداء ، أو يكاد :

(يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم !)

كما رأينا بغى فرعون قد وقع عليه ، وعلى جنوده ! ثم حياة فرعون ، اللاهية الفانية ، المتبة ، السرقة ، المترفة ، المزكشة !

وحياة الدنيا قبل طوفان نوح .

هى قصة الحياة فى مثل ، أو هى مثل الحياة فى قصة — كما رأينا وسمعنا مثل الحياة فى الآية الرابعة والعشرين من سورة يونس ، هذه .

وعلى ذكر يونس — تأتى لمحة " قوم يونس " فى الآية التى أعقبت آيات التعقيب ، تلك . وقبل الفراغ من سورة يونس ، تأتى بلمحة " قوم يونس "

— ز —

لمحة قوم يونس

وهذه هى آية اللمحة ، فى سورة يونس :

(فلولا كانت قرية آمنت ، فنفعها إيمانها ، إلا قوم يونس

لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى ، فى الحياة الدنيا

ومتعناهم إلى حين)

وقد عرفنا من قبل مقالة بعض الملأ من فرعون لموسى عليه السلام :

(أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا ؟)

عرفنا أن التبعية ، والتقليدية ، والرجعية ـ كانت تسيطر على الجماهير ، بل على الخاصة من الناس كذلك ! وهذه ظاهرة تكاد تكون عامة كما أشرت الى ذلك من قبل .

بيد أن قوم يونس في هذه اللمحة ، التي سجلتها هذه الآية ، قد خرجوا عن هذا الخلق الرجعي المشين ، ولم يلغوا عقولهم ، بل استجابوا لرسولهم يونس عليه السلام ـ ووافقوا نداء العقل ، والحكمة ، والقياس ، وان خالفوا الكثرة الكثيرة من الناس !

ولأن لهم رأيا وجيها ، ونبيها ، وشخصية ، متميزة ، مستقلة ـ سميت هذه السورة ـ على طولها ، وتعدد آيها ـ : " سورة يونس " مع أن ذكر قوم يونس هؤلاء ، لم يشغل من السورة إلا تلك الآية الواحدة .

على أن هذه اللمحة تتصل بقصة فرعون وروايته ، إذ أن فرعون لم يستجب الله لنداءه ، أو دعاءه ، أو رجاءه ، ولم يقبل حتى إسلامه !

أما قوم يونس ، فانهم : (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين)

وإذن فالمهم سلامة النية ، وسرعة الاستجابة ، والإيمان بكتاب الله .

بهذا الكشف العذاب ، وتحقق الثواب ، كما تحقق الرغاب ، وتستجاب .

وليس معنى ذلك هو قسر الناس على الإيمان : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ !)

(وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ، ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون !)

أما الذين يعقلون فهم الذين يفصل الله لهم الآيات ، لعلهم يتفكرون !

ثم يأتي المغزى الخاص بالمؤمنين الذين جعل لهم قدم صدق عند ربهم !

وهو يتفق مع مبوأ الصدق لبني إسرائيل ! ثم يلتقي مع تنجية الرسل ، والذين آمنوا : (ثم ننجي رسلنا ، والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين)

ومعارك الدعوة الإسلامية ، وأقوال الملحدين في القرآن ، تتطلب الصبر حتى يحكم الله :

(واتبع ما يوحى اليك
واصبر حتى يحكم الله
وهو خير الحاكمين)

رواية يوسف عليه السلام — في سورة يوسف

وهو من آية (٤) إلى آية (١٠١) من سورة يوسف

تم الآيات الثلاثة الأولى مدخل وتمهيد ، لأحسن القصص ، المتمثل في قصة يوسف عليه السلام ، قصته الطويلة ذات الفصول المتعددة ، أو روايته الكبيرة ذات الفصول ، والمناظر ، والمشاهد المتنوعة .

ثم من آية (١٠٢) إلى آخر السورة تعقيب ، وتعليق وتلخيص لأهداف القصة ووصل لها بالدعوة الإسلامية .

ورواية يوسف عليه السلام — تثير كثيراً من الأسئلة لدراستها ، وللإجابة عنها ، ولتناولها تناولاً أدبياً ، وفنياً ، وبلاغياً ، وتاريخياً .

من تلك الأسئلة التي تلفح أذهان الدارسين ، وتوسع مدارك الباحثين عن العظمة القرآنية ، في القصة القرآنية ، منها :

(١) لماذا سميت قصة يوسف أحسن القصص ؟

أيرجع ذلك للبناء والتصميم الذي حصر القصة بين رؤيا ، وتحقيقها ، كما سبق أن ذكرت في القسم الأول من أقسام هذه الرسالة ؟

أم يرجع إلى السرد التفصيلي ، وتتبع مراحل يوسف منذ أن كان صبياً ، إلى أن استقر لها به ، مع الإحاطة في مراحل عمره ، ومع التفصيل في أهم جنبات حياته الخاصة ، والعامة ؟!

أم يرجع إلى تحليل النفسيات ، والشخصيات ، في الأفراد والجماعات ، مثل يوسف ، ويعقوب ، وإخوة يوسف ، والسيارة ، والذي اشتراه من مصر ، وامرأة العزيز الذي اشتراه ، ونسوة المدينة ، ومن دخل معه السجن ، والملك صاحب الرؤيا ورسوله إلى يوسف ، والمؤذن ، وخالة يوسف ، والمجتمعات —

تحليلاً فذاً ، في نظم محكم من خلال الأحداث والصراع ، والصلات ، والمداعبات والأزمات ، والمؤامرات ، والمكائد ، ومن خلال الحوار ، والتعليق ، والتعقيب والتوضيح — ومن خلال تفاعل الأشخاص بالأحداث ، وتفاعل الأحداث بالصراع وتجسيم الصراع في السرد ، والحوار ، وسوق الأحداث مسرعة حيناً ، بطيئة حيناً ، مركزة دائماً ، ومفصلة كثيراً . . ؟!

كل ذلك صحيح ، وكل ذلك ممكن أن يكون هو السمة المميزة لرواية يوسف ، ولعله السر في تسميتها " أحسن القصص " .

ولإلقاء الأضواء على رواية يوسف عليه السلام ، يجدر بي أن ألقي نظرة مسرعة على جو القصة ، ممثلاً في تمهيد السورة أولاً ، ثم في تعقيبها ثانياً ، مع الإشارة الآن بأن كثيراً من موقف القرآن من الأحداث ، والأشخاص قد اتضح واستبان في ثنايا عرض الرواية ، وسرد القصص .

فآيات التمهيد ، التي هي مدخل للرواية ،هي (آلر ـ تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) .

وهذه مقدمة تمهيدية تبين خصائص القرآن ،عامة بآيات آيات الكتاب المبين ،والقرآن هو الكتاب المبين وقد أنزله الله قرآنا عربيا .

فدراسته تكون بمقاييس عربية ، لغوية ، وبلاغية ، وفلسفية ، وتشريعية إسلامية ،وما الى ذلك .

إذ أن أسسه عربية ، وأهدافه أهداف إسلامية انسانية .

ثم إنه جاء بهذا اللسان العربي ، رجاء أن تعقل الانسانية وتصبح راشدة ، عاقلة ،صاعدة ، كاملة .

وإذن فالأسلوب عربي السمات ، والتحليل واضح ومبين ،لا التواء فيه ،ولا تعقيد .

ثم الغاية هو أن تعقل الإنسانية العربية ، أو الانسانية المتعربة ، أو الانسانية العامة ، في كل زمان ،ومكان .

وإذا كانت هاتان الآيتان ، بمثابة التعريف بالقرآن ،فان الآيات الثلاثة بعدها بمكانة الإشارة بقصة يوسف ،قائلا (نحن نقص عليك أحسن القصص ، بما أوحينا إليك هذا القرآن ، وان كنت من قبله لمن الغافلين)

ثم تأتي القصة الطويلة التي تقرب من الثلث الآية ، وبعدها تأتي الآية المعقبة عليها ، رقم (١٠٢) ،وهي : (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون)

وهذا الإعجار الغيبي ،الذي تشير اليه آية التعقيب ،هذه يشبه تعليق القرآن على قصة نوح ، في سورة هود ، كما يشبه تعليقات القرآن ، على رواية سليمان ، وملكة سبأ ،في سورة القصص .

وهذه التعقيبات كلها تفيد إعجاز القصص القرآني ، الغيبي .

ثم يتصل أول السورة المبين من غاية القرآن :(لعلكم تعقلون) ،بآخر السورة المتصل بالدعوة إلى العقل عن طريق الاعتبار ، والادكار ، ثم المتصل بتثبيت الرسول والدعاة إلى الله ، عن طريق الاستشهاد ، وتحقيق الانتصار ، بعد طول اليأس ، وكثرة الانتظار .ثم المتصل بفلسفة القصص ، وأن أولي الالباب هم الذين يعتبرون بها ويعرفون حقائق القصص ،وصدقها ، ويدركون أن هذا اللون من القصص ـ كان ومازال ، وسيظل : (تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شئ ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) .

تشير إلى ذلك كله هذه الآيات الثلاثة ،التي خصت بها سورة يوسف ،وهي من آية (١٠٩) إلى آية (١١١) سورة يوسف :

(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى ! أفلم يسيروا في الأرض ، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ ولدار الآخرة خير للذين اتقوا .. أفلا تعقلون ؟ حتى إذا استيأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا — جاءهم نصرنا ، فنجي من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين . لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء ، وهدى ، ورحمة لقوم يؤمنون)

وإذا وصلت أول السورة ، بآخرها ، وربطت تمهيدها ، بتعقيبها — يجدر بي أن أقسم رواية يوسف ، هذه وقصته الطويلة ، هذه — عدة تقسيمات ، في عدة مناظر وفصول ، وذلك من قبيل التيسير للدراسة ، والتكوين للتحليل ، والتصميم والتطبيق . وهنا يلزم يحتاج ذكره صراحة أن كل التقسيمات في هذه الرسالة وكل التصميمات والتحليلات ، والتطبيقات ، والتحقيقات في رسالتي هذه ، وفي رسالتي " علم النفس القرآني " وفي كتابي " دليل الباحثين في القصص القرآني " وكل أولئك من تأليفي وابتكاري ، وتكويني ، وتصميمي ، وتقسيمي ، وتحليلي ، وتعليلي وتطبيقي ، وتحقيقي ، ودراساتي ، وفقهي ، وتذوقي للقرآن عامة ، وللقصص خاصة . ولله أفضل الحمد ، وأجزل الثناء .

أما تصميمي وتقسيمي لمناظر قصة يوسف وروايته . فقد بلغت هذه المناظر ستة وعشرين منظرا ، كونت سبعة فصول ، وشغلت ما بين الآية الرابعة إلى الآية الأولى بعد المائة . أي من قوله سبحانه : (إذ قال يوسف لأبيه : يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) إلى قوله تعالى ، على لسان يوسف : (رب قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض ، أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) وهذه مناظر وفصول :

رواية يوسف — عليه السلام

المنظر الأول = منظر يوسف ، وأبيه ، وهو يقص عليه رؤياه ، وأبوه يبشره بإتمام نعمة الله عليه — من (٤) إلى (٦) .

المنظر الثاني = منظر إخوة يوسف ، وهم يتآمرون عليه — من آية رقم (٧) إلى آية رقم (١٠) من سورة يوسف .

المنظر الثالث = منظر الإخوة مع أبيهم ، وهم يستأذنونه في أخذ يوسف معهم — من (١١) إلى (١٤) يوسف .

المنظر الرابع = منظر تنفيذ المؤامرة — آية (١٥) يوسف .

المنظر الخامس = عودتهم إلى أبيهم عشاء يبكون — من آية رقم (١٦) إلى آية (١٨) من سورة يوسف .

وهذا هو الفصل الأول ، من قصة يوسف ، وروايته ، ويقع كما رأينا — في خمسة مناظر ، من بدء رؤياه إلى تنفيذ مؤامرة إخوته ، وإلقائهم إياه في الجب .

المنظر السادس = منظر السيارة المسافرين ، الذين التقطوا يوسف من الجب — آية (١٩) ، (٢٠) سورة يوسف .

المنظر السابع = منظر الذي اشتراه من مصر ، مع امرأته ، مع التعليق القرآني — آية (٢١) سورة يوسف .

المنظر الثامن = يشغل وقتا كبيراً ، إلى حين بلوغ يوسف أشده ، وإتيانه الحكم والعلم — آية (٢٢) سورة يوسف .

وهذا هو الفصل الثاني من رواية يوسف ، ويقع في ثلاثة مناظر ، من وقت إلقائه في الجب إلى وقت بلوغه أشده ، ووصوله إلى درجة المحسنين .

المنظر التاسع = منظر المراودة وكشفها ، وتظهر فيه التي هو في بيتها ، كما يظهر يوسف ، وسيدها ، وشاهد من أهلها — يقع من آية (٢٣) إلى (٢٩) يوسف

المنظر العاشر = حديث النسوة في المدينة ، عن امرأة العزيز التي تراود فتاها عن نفسه — آية (٣٠) سورة يوسف .

المنظر الحادي عشر = مجلس النسوة عند امرأة العزيز ، وإكبارهن وهشتهن لرؤية يوسف ، ولجوء يوسف إلى الله ، ليصرف عنه كيدهن ، واستجابة الله له — من (٣١) الى (٣٤) .

وهذا هو الفصل الثالث من قصة يوسف ، ويقع في ثلاثة مناظر .

المنظر الثاني عشر = بدء التفكير في سجن يوسف ، آية (٣٥)

المنظر الثالث عشر = دخول يوسف السجن ، ومعه فتيان وما جرى في السجن من كشف يوسف عن نفسه ، وتعبيره لرؤى الفتيين — من (٣٦) الى (٤٢) سورة يوسف

وهذا هو الفصل الرابع ، من رواية يوسف .

المنظر الرابع عشر = وهو خاص برؤيا الملك ، وحيرة الملأ فيها — من آية (٤٣) إلى آية (٤٥) — يوسف .

المنظر الخامس عشر = رسول الملك عند يوسف في السجن يستفتيه في رؤيا الملك من (٤٦) الى (٤٩)

المنظر السادس عشر = رسول الملك عند يوسف في السجن يستدعيه المجئ معه إلى الملك — آية (٥٠) يوسف .

المنظر السابع عشر = سؤال الملك نسوة المدينة عن مراودتهن يوسف ، واعتراف امرأة العزيز بمراودتها إياه عن نفسه — من آية (٥١) إلى (٥٣) يوسف .

وهذا هو الفصل الخامس من رواية يوسف عليه السلام ، ويقع في أربعة مناظر ، وينتهي بتبرئة يوسف ، وإخراجه من السجن .

المنظر الثامن عشر = يوسف عند الملك ، وقد تولى خزائن الأرض ، مع التعليق من آية (٥٤) إلى (٥٧) سورة يوسف

المنظر التاسع عشر = دخول إخوة يوسف عليه ، ومعرفته لهم وتجهيزهم بجهازهم — وطلبه أن يأتوا له بأخ من أبيهم ، وتحاورهم معه في ذلك — ثم أمر فتيانه أن يجعلوا بضاعتهم بين رحالهم ، حتى يرجعوا إليه ثانية ، من آية (٥٨) إلى (٦٢) يوسف

المنظر العشرون = إخوة يوسف وقد رجعوا إلى أبيهم ، وعودتهم إلى يوسف ثانية من آية (٦٣) إلى (٦٧) يوسف .

المنظر الواحد والعشرون = دخولهم من حيث أمرهم أبوهم ، ومعهم أخوهم ، وإيواء يوسف أخاه ، ثم تجهيزهم كجهازهم ، وجعل السقاية في رحل أخيه ، وكشف ذلك من الإفاضة والتفصيل ، وإيقاع أخ يوسف عنده عن آية (٦٨) الى (٨٢) يوسف

المنظر الثاني والعشرون = الإخوة عند أبيهم وقد قصوا عليه نبأ أخيهم ، وما بسبب إليه وتذكر أبيهم ابنه يوسف وبكاؤه عليه ، حتى ابيضت عيناه ، ثم طلبه منهم ان يذهبوا ، فتحسسوا من يوسف وأخيه عن آية (٨٣) إلى آية (٨٧) سورة يوسف

وهذا هو الفصل السادس عن رواية يوسف عليه السلام ويقع في خمسة مناظر .

المنظر الثالث والعشرون = منظر دخول الإخوة أبيهم يعقوب على أخيهم يوسف ، وتعرفهم عليه ، وعفو عنهم ، وإعطاؤهم قميصه ، ليلقوه على وجه أبيه ، ليعود بصيرا ، وطلبه منهم ان يأتوا بأبيه ، وأهلهم أجمعين من (٨٨) إلى (٩٣)

المنظر الرابع والعشرون = يعقوب يجد ريح يوسف ، وجيء البشير وإلقاؤه القميص على وجه يعقوب ، فعاد بصيرا ، واستغفار أبنائه له ، ووعدهم إياهم ، بالاستغفار لهم — من (٩٤) الى (٩٨) يوسف .

المنظر الخامس والعشرون = دخولهم جميعا على يوسف وإيواؤه إليه أبويه ، ورفع أبويه على العرش ، وسجود إخوته له ، وتحقق رؤياه من قبل ، آيتا (٩٩ ، ١٠٠)

المنظر السادس والعشرون = خلوة يوسف مع ربه ، ودعاؤه بأن يتوفاه مسلما ويلحقه بالصالحين (آية ١٠١) يوسف

وهذا هو الفصل السابع والأخير ويقع في أربعة مناظر وبه تتم رواية يوسف عليه السلام وقد وقعت هذه الرواية في ستة وعشرين منظرا فكونت سبعة فصول على نحو ما رأينا وعلى ما أشرت إليه من قبل .

وقصة يوسف في سورة يوسف تغلب عليها الدراما : الفنية المسرحية بما فيها من حوار ، والسينمائية بما فيها من وصل الحوار بعضه ببعض ، ومزج المشاهد بعضها في بعض . وعناصر الرواية الكاملة ، والقصة القوية — متوافرة في قصة يوسف بهذه الطويلة — على نحو ما بينت في القسم الأول من أقسام رسالتي هذه — ففي هذه الرواية

١) عنصر البيئة ٢) عنصر الأشخاص ٣) عنصر الأحداث
٤) عنصر الصراع ٥) عنصر الفكرة ٦) عنصر القيم
٧) عنصر الأسلوب : أ — الحوار ب) السرد القصصي

جـ ـ الوصفى د) التعليقى التحليلى هـ) التعقيبى الفلسفى
مد) المناجأة والحوار الفردى
٨) عنصر الحركة : أ ـ الحركة الذهنية ب) الحركة العضوية
٩) عنصر البناء والتصميم (الحبكة الروائية)
١٠) عنصر الواقعية المثالية ، أو المثالية الواقعية .
١١) عنصر الترقيع والتنغيم
١٢) عنصر التصوير والتلوين
١٣) عنصر النظم ـ وهو وحدة الوحدات ، المتمثل فى :
تفاعل كل العناصر بعضها ببعض ، ولعله هو المراد من هذه التسمية ،
أو هذه الوصفية : أحسن القصص .
والله الموفق للصواب .

الدكتور محمد محمد حماد

الدكتور محمد محمد بيومي

الجانب التحقيقي
في
القصص القرآني

الدكتور محمد محمد بيومي

سورة المؤمنون

(١) قصة المؤمنون — في سورة " المؤمنون "
من آية (١) الى آية (١١) المؤمنون

• • •

(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين .
فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

• • •

وهذه تعد قصة " نماذج " كبيرة * تضاف الى النماذج الكبيرة السابقة في سورة : الفرقان * والشورى والاسراء * والانعام * وماليها .
وهي — كما قلت من قبل — مادة خصبة للمؤلفات الادبية والعلمية * والفنية والتعريفية * والتصويفية .

• • •

وهذه القصة : قصة المؤمنون مبنية بناء محكما متقنا فهي محصورة بين جزئين : جزء مجمل * وهو : (قد أفلح المؤمنون) * وجزء مفصل * وهو :
(أولئك هم الوارثون ** الذين يرثون الفردوس * هم فيها خالدون)

ثم بداية الصفات * تلتقي مع نهاية الصفات فالصلاة مفتتح أوصاف هؤلاء المؤمنين والصلاة يختتمهم وليس في ذكرها مرتين — تكرارا * انما هي الدقة والحيطة والكمال والوفاء .
فأولى صفاتهم أنهم هم : الذين هم في صلاتهم خاشعون .
وأخرى صفاتهم أنهم هم : " الذين هم على صلواتهم يحافظون "
والصفة الأولى تثبت خشوعهم في الصلاة * والصفة الاخيرة تثبت محافظتهم على الصلاة .

• • •

وإذن في هذا فن نظمي محكم * وصل الصفات بعضها ببعض * كما وصل الجزاء المجمل * بالجزاء المفصل * ومن ثم كان لهذه المجموعة النموذجية وحدة واحدة ونظم بلاغي * وأدبي ومعنوي * وتصميمي * محكم دقيق .

يضاف الى ذلك كله هذا البناء الموسيقي الواضح الذي حقق النغم الصوتي الرتيب في فهرة " تفاز " بدون اختلال .

- ٢ -

قصة خلق الانسان

من آية (١٢) الى (١٦) المؤمنون

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون .)

* * *

وفي هذه القصة الحكيمة نجد مراتب الخلق السبعة ثم مرتبة الموت ، ثم مرتبة البعث ، فمراتب الخلق ، السبعة ، هي هذه :

١ ـ خلق الانسان من سلالة من طين ٢ ـ جعله نطفة في قرار مكين

٣ ـ خلقه النطفة علقة ٤ ـ خلقه العلقة مضغة .

٥ ـ خلقه المضغة عظاما ٦ ـ كسوه العظام لحما .

٧ ـ انشاؤه اللحم خلقا آخر .

* * *

ومرتبة الموت ـ تدل عليها هذه الآية :

(ثم انكم بعد ذلك لميتون)

ثم مرتبة البعث ـ تدل عليها هذه الآية :

(ثم انكم يوم القيامة تبعثون)

* * *

وهذه القصة خلق الانسان ، وموته ، وبعثه من القصص العلمي الدقيق الذي تعرف بوساطة الطب ، والتشريح .

كما تعرف قصة الموت ، بوساطة المشاهدة والتجريب ، ثم قصة البعث ، بوساطة الغيب والنقل ، وبوساطة الشرع والتوحيد .

* * *

وقد أثبتت حروف معينة في دقة القصة العلمية وفي دقة العلم ، القصصية من هذه الحروف حرف " ثم " وحرف " الفاء " .

(ثم جعلناه نطفة) (ثم خلقنا النطفة علقة)

(ثم أنشأناه خلقا آخر) (ثم انكم بعد ذلك لميتون) (ثم انكم يوم القيامة تبعثون)

* * *

هذه هي ثم — ودورها العلمي في القصة .

أما الفاء . فقد وردت هكذا : (فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما)

(تبارك الله أحسن الخالقين)

* * *

وهذا دور الحرف في بناء الكلمة . ثم هذا دور الكلمة في بناء الاسلوب . ثم هذا دور الاسلوب في بناء القصة . ثم هذا دور القصة في بناء السورة .

دورة محكمة . وكيان عظيم . وهندسة معقدة . ذات تنظيم وتصميم .

0000000000

— ٣ —

قصة خلق السماء والأرض

من آية (١٧) الى آية (٢٢)

المؤمنون

(ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق * وما كنا عن الخلق غافلين * وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض * وانا على ذهاب به لقادرون * فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة * ومنها تأكلون * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين * وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون * وعليها وعلى الفلك تحملون)

وفي قصة خلق السموات السبع تعقيب مجمل . يبرز المعنى . ويوضح المغزى . ويحلي الاسلوب .

فالله قد خلق فوقنا سبع سماوات — وما كان على الخلق غافلا .

وهذا هو التعقيب . والله أنزل من السماء ماء بقدر فأسكنه في الارض وانه على ذهابه لقادر . وهذا هو التعقيب .

والله أنشأ لنا بالماء جنات من نخيل وأعناب لنا فيها فواكه كثيرة . ومنها نأكل . وهذه هي الفائدة المجملة . والله أنشأ لنا من الجنات والاعناب شجرة تخرج من طور سيناء تنبت وصبغا للدهن وتخرج ثمرها يعصر الدهن . وتنبت الدهن أي الذي نعصره دهنا . كما تنبت الصبغ الذي يغمس فيه الخبز . ويؤكل به .

وكل هذا للآكلين . وهذه الشجرة متصلة بالجنات من النخيل . والاعناب . اتصال مشهود . وجود واتصال فائدة وانتفاع . كما ان البيئات وما يحتمل بها من اعناب واشجار تتصل بالماء الذي ينزل من السماء حتى يستقر في الارض .

وكل أولئك قد نفرع من سبع طرائق ، هي سبع سماوات . وهذه الطرائق السبع تفصل بالمراحل السبع التي مر بها خلق الانسان ، في القصة السابقة ، لقصة خلق السماء والارض . مما يوحد بين سياق هذه وسياق تلك وما يحقق ظاهرة النظم المعجز أتم تحقيق . وفي ذكر النتائج تأتي بقية المخلوقات التي يحسها ويراها الرجل العربي في بيئته ، وفي محيطه وهو الذي ينتفع بالانعام أكثر من غيره .

(وان لكم في الانعام لعبرة ، نسقيكم مما في بطونها ، ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ، وعليها وعلى الفلك تحملون)

* * *

وكما تفصل النتائج الكثيرة من الانعام بالمنافع الكثيرة التي للأشجار ، والنخيل والكروم ، والاعناب يفصل هنام آية الانعام ، بختام آية الجنات ، من النخيل والأعناب في هذه : (لكم فيها فواكه كثيرة ، ومنها تأكلون)

البناء التصويري هو البناء ، والبناء الموسيقي نفس البناء ، والهندسة الأسلوبية هي نفس الهندسة .

* * *

ثم تأتي الآية الأخيرة من هذه القصة الثالثة لتكمل الصورة ، ويتم المعنى ، وتتصل القصتان : الثالثة بالرابعة الآتية : فعلى الأنعام تحمل ، وعلى الفلك تحملون .

وهذه الآية — بهذا الاستيفاء — مدخل وتمهيد ، لقصة نوح عليه السلام وعلى الفلك فيها . وهي أي الفلك ذات دور مهم في قصة نوح ، وإذا قلنا (وعليها الفلك تحملون) قد نقلت الكلام من بيئة إلى بيئة ، ومن بيئة صحراوية تظهر فيها قيمة الانعام إلى بيئة بحرية وساحلية وبانية تظهر فيها أهمية الفلك والسفن ، من قديم الزمان ، وعلى مر السنين . وهو الماء النازل من السماء يصل قصة نوح وسفينته ، بقصة خلق السماء والارض . وهذا كله يحقق — كما قلت — الاعجاز النظمي ، والنظم المعجز ، في القرآن عامة ، وفي قصصه خاصة .

* * *

(٤) قصة نوح عليه السلام

من آية (٢٣) الى آية (٣٠) المؤمنون

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه ، فقال : ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ؟ فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ماهذا إلا بشر مثلكم ، يريد أن يتفضل عليكم ، ولو شاء الله لأنزل ملائكة ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين ، قال : رب انصرني بما كذبون)

* * *

هذا هو الفصل الأول من قصة نوح وقومه ... وهو يعتمد على حصر الحوار بين نوح والملأ من قومه . فهو يدعوهم وقومه . ويطلب منهم أن يعبدوا الله ، فالجميع من الكفرة !

ثم يعجبهم على الفور ... لكن الملأ الذين كفروا من قومه ، يشيرون شبهة مالية من أساس ، ويتهمونه باتهامات لا طائلة ولا معقولة .. ويتطرون عليه على أحد من البشر .

أما هذه الشبه الواهية ، التي يسوقونها لنفي الدعوات فهي استبعاد أن يكون الرسل بشرا . وأما الشبه الوجيهة التي عندهم ، فهي اتهامه بأنه يريد أن يتفضل عليهم ...

ثم يعودون إلى الشبه الواهية ، ويقترحون علاجا لها ، وهو انتظار ملائكة تكون رسلا لله إلى عباده .

ثم يعززون هذا القول ، ويؤيدون ذلك الاستبعاد قائلين : ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين . وإذن فنوح حين يدعي الرسالة ، ويزعم النبوة ، ليس بالعاقل ، فما هو إلا رجل به جنون ! وإذا كان الأمر كذلك — فتربصوا به حتى حين !

فلا يكون من نوح في هذه الورطة إلا أن يلجأ إلى الله سبحانه ، طالبا منه أن ينصره عليهم وأن ينتقم لهم لتكذيبهم إياه .!

وهنا نهاية الفصل الأول ، وبداية الفصل الثاني والفصل الثاني يعتمد كل التفاصيل تصدر من الله عز وجل في صورة إيحاءات وتوجيهات .

(فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ، فإذا جاء أمرنا ، وفار التنور ، فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ، فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ، فقل : الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ، وقل : رب أنزلني منزلا مباركا ، وأنت خير المنزلين)

ثم يأتي التعليق السريع للسياق : (إن في ذلك لآيات ، وإن كنا لمبتلين) .

* * *

وهنا مجال للموازنة بين قصة نوح وسفينته هنا ، وبين قصة نوح وسفينته هناك في سورة هود . وتعليق أثر ذلك في [illegible]

* * *

وبعد قصة نوح — تأتي فاصلة وبنية تقطع آلاف السنين ، وتتجلى في هذه الآية رقم (٣١) وهي : (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين)

و(ثم) فيها جنسها البعيد في نفس السورة . وبعد هذه الفاصلة الزمنية تأتي قصة أخرى تكرر ، وتعيد نفس القضايا المتعلقة بالرسالة والرسول ، وتجيب نفس الأسئلة وتعيب نفس المثالب التي سبقت قصة نوح على الإطلاق ، وبنفس .

وقصة عاد هود ، والأرجح أنها تتصل بها [illegible] والملأ منه .

وأنها قصة أخبار وقصة دعوة ، لم تعلم الرسول المرسل ، بل أكدت بتكريره ، لتبين مع ذلك أن الناس هم الناس ، وأن ما يجري على ألسنة الأولين ثم نبي ، قيل حادثة الطوفان منذ آلاف السنين يجري على ألسنة الأولين ثم غيره من الرسل ، بعد مضي الآلاف السنين . ومن ثم ألف هذا اللون القصصي من قصص الطبقات أو من الأدب القومي أو من القصص ، مع الإمكان جعلها من قصص الأخبار والدعوات .

وهذه هي القصة الخامسة في سورة " المؤمنون "

* * *

(٥) قصة إرسال الرسول

من آية (٣٢) إلى آية (٤١) سورة المؤمنون

(فأرسلنا فيهم رسولا منهم : أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره ! أفلا تتقون ؟ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ، وأترفناهم في الحياة الدنيا : ما هذا إلا بشر مثلكم ، يأكل مما تأكلون منه ، ويشرب مما تشربون ، ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون ، أيعدكم أنكم إذا متم ، وكنتم ترابا ، وعظاما أنكم مخرجون ؟ هيهات هيهات لما توعدون ، إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ، إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين ، قال : رب انصرني بما كذبون ، قال : عما قليل ليصبحن نادمين) المؤمنون .

* * *

هذا هو الفصل الأول من قصة إرسال رسول نراه يشبه شبها كبيرا بالفصل الأول من قصة نوح قبل هذه القصة في هذه السورة . فالرسول - هنا - يقول لقومه :

(اعبدوا الله مالكم من إله غيره ! أفلا تتقون ؟)

والملأ من قومه يقولون : " ما هذا إلا بشر مثلكم ، يأكل مما تأكلون منه ، ويشرب مما تشربون " منه . وكما أنهم وصفوا البشرية ، وأعطوها حقها كما نرى ونبوا الميزان الذي أقامه بشر مثلهم . مثلهم

فيها أضاع المبطلون ، وزاغوا فيها . وهنا مناسبة لجزئيتين الأكل في قصة خلق السماوات والأرض ، من هذه السورة التي تكررت أو تجددت ثلاث مرات (مما تأكلون) آية (١٩) وآية (٢١) (مما تأكلون) آية (٣٣) المؤمنون .

وفي هذا القصص - بملء القصة - ناحية ثانية مردودة ، لأن البشر يأكلون ويشربون والله قد خلق ما خلق من نبات وأعناب " تأكل منه كما أنزل الماء من السماء تشرب منه والذي ليس هذا بمستحيل في ذاته ولا بمستبعد !

فليكن عاديا في تصورهم وتصوراتهم ، إذا كانوا أنهم لن أطاعوا بشرا مثلهم لخاسرون !

واستبدالهم

واستبدالهم للبعث فيما بعد — هو الذي نتج أمراضهم وكشف أستارهم • ويضع أيدينا على كثير الداء فيهم والعلة عندهم • وأنهم كافرون • ويكذبون بلقاء الآخرة • ويكفرون • ويماكرون • ويساخرون • وهم حين كافرون للبعث • ومن ثم يستعجلون هذا البعث وينكرون تلك الآخرة • والفرق بين هؤلاء الملأ بين ملأ نوح أن ملأ نوح كانوا هم الذين كفروا من قومه !

(وأن ملأ هذا الرسول • من قومه الذين كفروا • وكذبوا بلقاء الآخرة • وأترفهم في الحياة الدنيا • والتي أثارها والحقائق التي أنكروها قد قررت في قصة الخلق والبعث • والبعث كما انتهت تلك القصة في قصة خلق السماء والأرض •

وكما أن ملأ نوح اتهم نوحا بالجنون ! فهذا الملأ اتهم هذا الرسول بأنه افترى على الله كذبا • وكما أن ملأ نوح قالوا : تربصوا به حتى حين • فملأ هذا الرسول قالوا: يسجن له بعضهم !

وكما أن نوحا دعا ربه : رب انصرني بما كذبون !

فهذا الرسول دعا قائلا : رب انصرني بما كذبون !

وكما أن الله أوحى الى نوح أن يصنع الفلك بأعيننا ! (قال عما قليل ليصبحن نادمين !)

وكما أن الطوفان قد قضى على ملأ نوح الكافرين فهؤلاء قد أخذتهم الصيحة بالحق • فجعلهم الله غثاء وهلكى • فبعدا للقوم الظالمين •

وهذا التصوير تصوير الآية الاخيرة رقم (٤١) من قصة ارسال رسول • وهذه الآية تمثل الفصل الثاني والاخير من قصة ارسال رسول — وهي :-

(فأخذتهم الصيحة بالحق • فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين)

■ ■ ■

ثم تأتي فاصلة زمنية أخرى كتلك الفاصلة الزمنية التي غطت قصة نوح • وان كانت فاصلتنا هذه أبعد مسافة وأكثر زمنا وهي : (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين)

وتأتي هذه الحقيقة الواقعة : (ما تسبق من أمة أجلها • وما يستأخرون) وهي بعد ذلك

0000000000000000

(٦) قصة الرسل

في آية رقم (٤٤) الى نهاية السورة

وهي : (ثم أرسلنا رسلنا تترى • كلما جاء أمة رسولها كذبوه • فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث • فبعدا لقوم لا يؤمنون) • وهذه القصة جاءت تتمة السورة • الخاصة بالرسل • وتعد هدفا لهذه التصحيح ذلك • والدعاء الاخير لهذه القصة هو: (فبعدا لقوم لا يؤمنون) • يشبه الدعاء الاخير لقصة ارسال رسول وهو: (فبعدا للقوم الظالمين) كما يشبه ذلك الحمد في قصة نوح : (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) • ثم تأتي بعد قصة الرسل • الفاصلة • الفاصلة أخرى مغلظة وهي :-

(٨)

(٢) قصة موسى وهارون

من آية (٤٥) الى آية (٤٩) المؤمنون

(ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين . فقالوا : أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ؟ فكذبوهما فكانوا من المهلكين)

(ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون) . هذه القصة تصور سيرة ماكسر منها حلقة والآيتان الاوليان منها تعتمدان على السرد . والتصوير والآية الثالثة فيها الحوار والاستجواب : (فقالوا : أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ؟) وهي تحيل القصة نفسها . الى اليهود في القرنين : الرابعة . والخامسة . ويضاف الى جرائم التكذيب (فكذبوهما) جريمتين الاستكبار والاستعلاء (فاستكبروا . وكانوا قوما عالين) والفصل الاول ينتهي بكلمة (فكذبوهما) أما الفصل الثاني فهو بقية الآية (فكانوا من المهلكين) . وهذه القصة مستقلة عن آية (٤٨) . أما آية (٤٩) (ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون) تعد لمحة مستقلة يمكن تسميتها لمحة الكتاب " وهدفها يتجلى في هذا الرجاء : (لعلهم يهتدون)

* * *

(٨) تكريم السيد وأمه

آية (٥٠) المؤمنون

(وجعلنا ابن مريم وأمه آية . وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين)

والآية التي جعلها الله لابن مريم . وأمه في هذه الآية هي آية تكريم . وتعظيم . وتقدير وهي آية باهرة في خلق عيسى بدون أب . وفي براءة أمه مريم من كل ما يعيب ويشين . أما الأحاديث في لمحة الرسل . نبي الاعمار . والعبر . التي يتمثل في الشر — لان تلك الأمم التي أرسل لها وإليها جاؤا الرسل . كانوا يكذبونهم . وأنتصر الله بعضهم وبعضهم أحاديث . للانحاط . والادكار .

هنا

وإذا اقتصر ابن مريم بدون عيسى — ها في سورة الزخرف وهناك في سورة الزخرف . ليسلط سبل البيان والاتهان انما على سبيل إظهار بعض المعجزة في خلق عيسى بدون أب . على خلاف المألوف . المعروف . ولعل هذا اشارة الى قدرة الله التي تجلت في خلق الانسان الاول وهو آدم عليه السلام — من سلالة من طين بدون أب . وأم . كما ورد في قصة خلق الانسان . في هذه السورة كما انه اشارة الى قدرة الله عز وجل والتي تجلت في خلق عيسى . من أم بدون أب .

ومن ثم كانت مناسبة بين قصة عيسى هنا وقصة خلق الانسان . في أول السورة . ولعل الربوة ذات القرار والمعين انما لما بالمعجزة التي تتمثل من طوى سيدنا عيسى بالمعين والينبوع الكريم . مما يوحد ما بين هذه الصورة المستمدة من أسرة وملكه

(٩)

المؤمنون

وهذا السرد يتصل بسرد المؤمنون • في أول سورة المؤمنون • من قريب • أو بعيد • كما أنه يتصل بسياق القصص السابقات الخاصة بالرسل • وأقوامهم •

ثم يجيء بين الوحدات القصصية • والتنسيق بين هذه المجموعات القصصية المتعددة التي تتضمنها سورة المؤمنون •

* * *

وإذن نلتقط من هذا كله أن في قصص أقوام الرسل بهذه السورة — مجموعة من الأفكار قد سلطت فيها الأضواء على الملأ: (فقال الملأ) آية (٢٤) (وقال الملأ) آية (٣٣) (إلى قومه فقال) آية (٤٦) المؤمنون •

أما قصة نوح عليه السلام • فقد أشيرت فيها بعض الشبهات التي اعترضت طريق الدعوة الإسلامية • في كل زمن • وبين كل قبيل — وهي شبه التعالي بين الرسالة والبشرية • وشبهة الرسل بالجنون • والافتراء على الله • (إذ قال الملأ من قومه : ما هذا إلا بشر مثلكم) (إن هو إلا رجل به جنة) فالمجيء — هنا — عقب عليهم عليه ! أما هود فلم يجادلهم كما كان منه في قصته بسورة هود حتى قالوا له حين (قالوا : يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين !)

وعلى هذا يمكن أن نجعل شخصية الملأ هي السائدة في هذه المجموعة القصصية • في سورة المؤمنون • ثم هنا فكرة عامة • وموضوعها — تدور حوله هذه المجموعة القصصية من سورة المؤمنون — وهي — كما قلت — بعض قضايا الدعوة الإسلامية على مراحلها على توالي الرسل • وتتابع الأمم • وعلى القرون • منها بالإضافة إلى تلك الشبهات حول البشرية والرسالة وحول اتهامات الرسل بالكذب والجنون — قضايا البعث التي أثيرت في قصة إرسال رسول : (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا • وعظاما أنكم مخرجون ؟! هيهات هيهات لما توعدون ! إن هي إلا حياتنا الدنيا • نموت • ونحيا • وما نحن بمبعوثين !)

وهذه القضايا المثارة في هذه المجموعة القصصية • تتصل بقصة خلق الإنسان • ونشأته • وبعثه • في أول السورة • كما تتصل شبهات الأكل • والشرب • والغرائز البشرية والسلوك الإنساني • بقصة خلق السموات • والأرض • وما يتصل بهما في هذه السورة • وكما يتصل بالآيات الباقيات — بعد هذه القصص العشر — من هذه السورة في قصة خلق الإنسان • إسناد الخلق إلى الله :

(فتبارك الله أحسن الخالقين) وفيها تقرير حقيقة الموت :

(ثم إنكم بعد ذلك لميتون) وفيها تقرير حقيقة البعث : (ثم إنكم يوم القيامة تبعثون)

أما سائر الآيات بعد هذه المجموعات • فهي تردد أقاويل الكفار من قريش • ومكة • المعاصرين للدعوة الإسلامية في زمن الرسول محمد عليه السلام — من ذلك : (أفلم يدبروا القول ؟ أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ؟ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ؟ أم يقولون به جنة • بل جاءهم بالحق • وأكثرهم للحق كارهون ؟) وغير ذلك : (بل قالوا : مثل ما قال الأولون • قالوا : أإذا متنا • وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ؟!)

ثم نجد في هذه الآيات الكريمات • مقاصد القرآن لأولئك الكفار المكذبين • على ضوء تلك البيئة القصصية • في هذه السورة • وخاصة قصة خلق السموات • والأرض وما بينهما من قصص الأمم • التي تشير كثيرا من شبهات واتهامات الكفار — وهذه هي المقاصد يوجزها • في أروع مظهر • وفي أبرع جوهر • وفي أكمل بيان • وفي أجمل تبيان : (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون : لله • قل : أفلا تذكرون ؟ (قل : من رب السموات السبع • ورب العرش العظيم سيقولون : لله • قل : أفلا تتقون ؟ (قل : من بيده ملكوت كل شيء • وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون • سيقولون : لله • قل : فأنى تسحرون ؟)

(بل أتيناهم بالحق • وإنهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد • وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض (سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة تعالى عما يشركون) الآيات من (٨٤) إلى (٩٢) المؤمنون •

***

وإذن فهنا تكرار لقصة • وخاصة تنتظم هذه السورة • بقصصها • وبمقاطعها • بربط ما بين أجزائها • وعناصرها • وآياتها • إلى جانب ذلك كما مرنا — صلات لفظية وفنية تصل هذه القصص بعضها ببعض • مثل كلمات قالها أكثر من رسول • في أكثر من قصة • ومثل فواصل وصفية دقيقة جاءت مرتين • في موضعين • يصوران مشهدين وإن كانا مختلفين • ومثل حروف معجمة سادت • وشاعت فيما يكرر من قصص كما شاعت ومثل ألفاظ معجمة تكون في البدء • كما تكون إيذانا بالختم : من ذلك :

(قال : رب انصرني بما كذبون) آية (٢٦) جاءت على لسان نوح عليه السلام •

(قال : رب انصرني بما كذبون) آية (٣٩) جاءت على لسان رسول جاء بعد قصة نوح — عليهما السلام • وكذلك : (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) آية (٣١) (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) آية (٤٢) •

***

أما بالنظر إلى الحروف المعجمة • التي سادت وشاعت السموات • والكلمة • والأسالب • فهي حرفا : الثاء ثم ••• من ذلك : (نأوحينا إليه) (فإذا جاء أمرنا) (فاسلك) (فإذا استويت أنت ومن معك) — هذا في قصة نوح • وهي القصة التي بعدها : (فأخذتهم — فجعلناهم — بعدا)

والتي بعدها : (فأتبعنا — بعدا) والتي بعدها (فاستكبروا — فكانوا — فدمرناهم فكانوا) أما ثم • فقد استغرقت كثيرا فيما ذكرت من قبل — في ربط القصص بعضها ببعض — وذلك مثل : (ثم أنشأنا (٣١) ثم أنشأنا (٤٢) — ثم أرسلنا (٤٤) ثم أرسلنا موسى (٤٥)

وأما الروابط التي تكون في البداية • وتؤدي بالنهاية معنى (لقد) — في : (ولقد أرسلنا نوحا) آية (٢٣) (ولقد آتينا موسى الكتاب) آية (٤٩)

أما لمحة " نداء الرسل " في آية رقم (٥١) — فهي تكريم عام لجميع الرسل الكرام ، على ذلك التكريم الخاص لابن مريم ، وأمه ، ثم هو تكليف لهؤلاء الرسل أجمعين بأن يعملوا عملا صالحا وهذا هو :

— ٩ —

لمحة نداء الرسل

(يأيها الرسل : كلوا من الطيبات ، واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم)

وإذن فكل شهية تتصل بغريزة البشر ، المتصلة بالطعام والشراب ، لا موضع لها أولا ، ولا مكان لها أخيرا ، فالله يبيح لهم الأكل من الحلال الطيب ، والله يعلمهم في حدود المباح المفيد ، فهي دعوة عامة لكل الرسل ، وهي دعوة عالية بهذا النداء وهي دعوة صريحة لتناول الطعام ثم هي دعوة مقصدة لأن الأكل من الطيبات ، وليس الأكل لكل الطيبات ، ويضاف إلى هذا التكريم ، والتبرئة من كل اتهام تكليف بالعمل الصالح ... مع التكريم تكليف ، وفي التكليف تشريف ، والله بما يعملون عليم ، وهذا أدعى إلى إصلاح الأعمال ، وتنقية الأحوال ، والانتفاع بالطيبات ، والاجتناب للخبيثات .

وهذه اللمحة تتجه إلى كل الرسل وفي كل القصص ، الخاصة بهم وهذا يوحد ما بينها ، ويقوي روابط الوحدات القصصية فيها ، وإذا كان الهدف الأصل من مجموعة الأقاصيص في سورة الأنبياء هو الوحدة الإنسانية ، والعالمية ، فإن اللمحة التي تتجلى في تلك الآية من سورة الأنبياء :

(إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون) " رقم ٩٢ "

فإن هذا الهدف نفسه ، وهو تحقيق الوحدة الإنسانية ، والعالمية ، والدينية هو الهدف الأصل من مجموعة القصص في سورة المؤمنون ، كما يتضح هذا في هذه الآية من سورة المؤمنون : (وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون) رقم " ٥٢ "

وإذا كانت العبادة هي الطلبة من الناس أجمعين في سورة الأنبياء ، فإن التقوى هي الطلبة منهم في سورة المؤمنون ، وهذا فرق في درجة الإيمان ، باليقين والإذعان ، والتقوى والإحسان ، وإذا كانت القصة الأولى من سورة المؤمنون ، هي قصة " المؤمنين " فإن هذه المجموعة القصصية قد خصت بنموذج المتقين في الآيات من رقم (٥٧) إلى (٦١) المؤمنون وها هو ذا :—

— ١٠ —

نموذج المتقين

(إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات ، وهم لها سابقون) .

على أن بعض التعبيرات قد تعود أيضا — كما هنا — مثل : "ماهذا — إن هو إن هي — ما هيهات — ما تعبث" وإلى ذلك من أساليب القصر . والذي — وذلك مثل : (ماهذا إلا بشر مثلكم ! — إن هو الا رجل به جنة) في تسعة من
وفي تسعة بعده : (ماهذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه . ويشرب مما تشربون)
(إن هو الا رجل افترى على الله كذبا) وكذلك : (إن هي الا حياتنا الدنيا
نموت . ونحيا ومانحن بمبعوثين) . وكذلك (ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين)
ما تعبث من أمة أجلها . وما يستأخرون)

***

وأخيرا في نهاية السورة يحدد هدفين من أهداف السورة عامة . وأهداف قصصها خاصة . وهو مسئولية الإنسان . وكرامته . تلك المسئولية التي يقررها هذا الاستفهام : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ؟ وأنكم إلينا لا ترجعون ؟!) ثم يأتي آيتان متوحدتان لله . وبقرران ألوهية الله : (تعالى الله الملك الحق . لا إله إلا هو رب العرش الكريم . ومن يدع مع الله إلها آخر . لا برهان له به . فإنما حسابه عند ربه . إنه لا يفلح الكافرون) .
وهذا التذييل بالتعليل وهو عدم إفلاح الكافرين على بعده — يقابل أول آية في هذه السورة وهي : (قد أفلح المؤمنون)
وكما تعبر في جنبات السورة تلقينات كثيرة مصدرة بـ (قل) مثل ماجاء في آيات الخاتمة التي مضت . ومثل :
(قل : رب إما تريني ما يوعدون — رب فلا تجعلني في القوم الظالمين)
(وقل : رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون)
يجيء هذا التلقين القولي آخر السورة . يطلب المغفرة . والرحمة :
— (وقل : رب اغفر وارحم . وأنت خير الراحمين) وشخصية الرسول ملحوظة الملامح في كثير من القصص وفي كثير من الآيات . تظهرها هذه التلقينات . وتلك التوجيهات .

***

00000000

الدكتور محمد محمد بدير

غـــزوة بدر وقصة الهجـــرة
في ســـورة الأنفـــال

جو سورة الأنفال :

(طاعة الله ورسوله)

وذلك في قوله سبحانه :

(فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)
آية (١) سورة الانفـال

(يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمـــعون)
آية (٢٠) الأنفال

(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن اللـــه مع الصابرين) آية (٤٦) الأنفال

ومع الأمر بطاعة الله ورسوله تأتي في السورة توجيهات وتنبيهات تتفق مع جـو المعارك وروح الغزوات وذلك كثير في سورة الأنفال هذه من ذلك :

(يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار)

(يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)

(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب)

(يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمـــون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم)

(يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم)

(قل : للذين كفروا : إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بمـــا يعملون بصير)

(يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)

(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مـــع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيـــل الله والله بما يعملون محيط)

(ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا .. إنهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتـــم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهـــم الله يعلمهم . وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) .

(يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) .

ثم تأتي فلسفة الحروب والغزوات في الإسلام وفي سبيل الله :

(ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) .

(وما النصر الا من عند الله إن الله عزيز حكيم)

(سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان وذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) .

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا)

(ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين) .

(واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون)

(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

(وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون)

(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون)

(وذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم) .

(وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)

وكما رأينا هذا في الحرب نرى هذه التوجيهات في السلام وما إليه :

(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) .

(وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم) .

غـــزوة بـــــدر

الدكتور محمد محمد لقمان

من آية رقم (٥) إلى آيـة (١٩)

مدخل الغزوة :

(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ماتبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) آيتا رقم ٥ ، ٦ الأنفال.

فهذا مدخل تمهيدي يبين خروج الرسول محمد عليه السلام من بيته للغزو والحرب في سبيل الله خروجا مصحوبا بالحق مؤيدا به مدافعا من أجله .

وبعض المؤمنين كارهون خروج الرسول خوفا عليه من المهالك في المعارك ثـــم خوفا على الدعوة الإسلامية أن تقتل بمقتله أو تضيع بموته ثم خوفا على أنفسهم وأولادهـــم ونسائهم الذين تركوهم بمكة قبل الهجرة أو الذين صحبوهم إلى المدينة بعدها .

ثم حرصا على الحياة لأنها الحياة وخوفا من الموت لأنه موت .

لكن منطق الحروب لا يرحم ولا يترك فرصة تمر أو وقتا يضيع ولا يقبل عاطفة هـــي ولا رغبة فرار .. ومن ثم يجسم حالة هذا الفريق من المؤمنين تجسيما فيه شيء مـــن التقديد وفيه شيء من الهزء بهم والاستخفاف . وفيه شيء من لوم لكثرة ماصدر منهم وشهم من حجاج وجدال وقت لا يجدي جدال ولا كلام .

(يجادلونك في الحق بعد ماتبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون)

وهذا هو المدخل الذي صور إخراج الرسول من بيته بالحق وصور كراهية فريـــق من المؤمنين لهذا الخروج وجدالهم في ذلك وإكراههم على خوض المعارك .

ثم تأتي الغزوة نفسها .. حيث يمد الله المؤمنين إحدى الطائفتين أنها لهـــم وهم يودون السلام والسلامة مع أن إرادة الله سبحانه تريد : أن يحق الحق بكلماتـــه ويقطع دابر الكافرين) .. وهذا يكون بذات الشوكة والسلاح وخوض المخاطر والمخـــاوف والكفاح . وذلك ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون .

وهذا فلسفة الحرب الإسلامية عامة وفلسفة غزوة بدر خاصة ـ إحقاق الحق وإبطـــال الباطل قطع دابر الكافرين ومحو آثارهم .

ثم تأتي صور ومشاهد من غزوة بدر :

إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكـــم بألف من الملائكة مردفين يتلو بعضهم بعضا .. وهذا الوعد يشرى لكم ولتطمئن قلوبكـــم وهو من عند الله سبحانه وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ..

ثم تأتي صورة أخرى لنظر آخر من المعركة إذ يغشيهم الله النعاس أمانا منه وينزل عليهم من السماء ماء ليطهرهم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكـــم ويثبت به الأقدام .

من الجبن والتخذيل والكفر والتشكيك وليربط على قلوبكم بالايمان واليقين وبالطهر ويثبت به الأقدام فلاتزل ولا تريم .

ولوحة أخرى تتصل بهذه اللوحة وبمعنى التثبيت :

(اذ يوحى ربك إلى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا وبعلن سبحانه انه سيلقى فى قلوب الذين كفروا فاضربوا فوق الأعناق حتى تفصلوها من أجسامهم واضربوا منهم كل الأصابع حتى لايمسكوا سيفا ، ولا يستطيعوا دفاعا ولا هجوما .. ذلك العذاب يستحقونه لانهم حاربوا الله وجانبوا دينه وحاربوا الرسول وعذبوا أتباعه والله يغار على دينه والله يحمى أنصاره والله شديد العقاب . ذلكم العذاب فذوقوه أيها الكفار واسمعوا هذه الحقيقة وتجرعوا هذا الحكم : أن للكافرين عذاب النار .

ثم تتجه التنبيهات والتوجيهات لمن آمن :

يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ولاتلوذوا بالفرار ومن يولهم يومئذ دبره ويلذ بالهرب فقد رجع بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس القرار — هذا إذا لم يكن متحرفا لقتال أو منضما إلى جماعة — وحينئذ لايعد هذا هروبا إنما هو خداع حرب ومراوغة مع الأعداء .

وإذا كنتم أيها المؤمنون قد انتصرتم فى غزوة بدر فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم . وما رميت يامحمد اذ رميت ولكن الله رمى . وهذا كله قد كان من الله ليهزم أعداء الكافرين وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا . إن الله سميع عليم . ذلكم كله حق .. والحق أن الله مضعف مكايد الكافرين ان تستفتحوا وتطلبوا الفتح فأبشروا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا أيها الكفار فهو خير لكم . وان تعودوا للشقاق والخصام والصدام نعد بجمعنا القليل وسهزم عددكم الكثير ولن تغنى فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين .

وهذه آيات القرآن فى غزوة بدر كما جاءت فى سورة الأنفال :

(واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) .

وهذه فلسفة الموقف ومنطق الغزوات ثم هذا هو هدف الأهداف من غزوة بدر الكبرى .

(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) .

وهنا إمداد المؤمنين بالمدد الروحى والمادى ثم هنا تعليل لهذا الامداد وهو البشرى للمؤمنين وطمأنة قلوبهم ثم تبيين أن النصر إنما هو من عند الله وأن الله عزيز حكيم عزته تعزز حكمته وحكمته تنظم عزته .

(اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام)

فهنا تقوية الروح المعنوية تغشيتهم النعاس للأمان والاطمئنان وتنزيل الماء عليهم من السماء ليغتسل به من به الاغتسال فيتطهر ويذهب عنهم دنس الشيطان وتلبيس إبليس اذ الجنب أو الذى على جنابة يكون عرضة للوساوس والهواجس ويكون العدو فى أيدى الأبالسة والشياطين فيجبن وقت الشجاعة ويخاف وقت الحروب فم بالتطهير والتطهير يتسلح المؤمن ويتقوى المجاهد ويستعد للقاء الله ويحس سكينة فى قلبه وطمأنينة فى نفسه وربطاً على قلبه فلا يفزع ولا يرتاع ويثبت به الاقدام حتى لا تضطرب ولا تسوخ فى الصحراء وحتى تبتل الأرض فتثبت فيها الاقدام .

(اذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار) .

وهنا إعطاء للملائكة المساعدين للمجاهدين ضمان النصر من الله حتى يعلموا أنهم - بإعانتهم المؤمنين - على حق . واذا كان الأمر كذلك فثبتوا أيها الملائكة هؤلاء المؤمنين وألهموهم أنى سألقى فى قلوب الكافرين الرعب والفزع وما عليهم إلا أن تقطعوا رقابهم وتطيروا أيديهم وأصابعهم وليكن عقابكم لهم شديدا فإن الله شديد العقاب ثم أيها الكفار ذلكم العذاب فذوقوه وتجرعوه ومضمونه : أن للكافرين عذاب النار وهنا تلوين فى الفقر والأساليب : فهذا خطاب من الله للملائكة وأمر منه لهم . وهذا وعد منه سبحانه بنصر المؤمنين وإن كان ضمنيا خفيا وهو فى الوقت نفسه - وعيد منه عز وجل - للكافرين بإلقاء الرعب فى قلوبهم .

ثم هذا أمر للملائكة والمؤمنين بأن يقطعوا أعناق الكافرين ويفصلوا أيديهم وأصابعهم ثم هذا تعليل وتبرير لهذه الحرب ولهذا الانتقام وأخيرا هذا حكم الله وعقابه وعذابه فى الدنيا وفى الآخرة يسمعه ويطبقه على الكافرين .

حركة ذهنية ونفسية وشعورية تصورها حركات زمانية ومكانية وشخصية وأساليب متعددة متجددة لها كيان وعيان وفيها حرارة وحياة .

(يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) .

فهنا إلقاء الأوامر للمؤمنين بالثبات فى اللقاء مع الكفار وقت الزحف والخوف

وحين الصدام والحسم فعليهم أن يثبتوا ولا يهربوا إلا لضرورة عسكرية أو خطة حربية وحينئذ تكون هذه مدعاة الانتصار لا داخلة في فرار .. أما من يفر من وجه الأعداء ولا يثبت في القتال وفي اللقاء .. فقد باء بغضب أي غضب إذ لجأ إلى الجبن وآثر الهرب .. وهو ـ بهذا ـ قد اكتسب عار الفرار في الدنيا ومأواه جهنم في الأخرى . وبئس المصير مصيره .. والنار مأواه ومثواه وثواه .

وهذه فلسفة الشجاعة في الإسلام : الثبات في اللقاء عند الأعداء ولو زحفوا زحفا وحملوا معهم هلكا وحتفا فالمؤمن الحق لا يخشى موتا ولا يحس خوفا والذي يعتصم بحيلة ويتذرع بوسيلة ليخدع عدوه ويضمن رواجه وفوزه ويكسب نصرا وفخرا ويحسن كسرا وفرا .. فإنه شجاع وإن تظاهر بالفرار وإنه لمؤمن بطل وإن ولى الأدبار .

أما الفرار العزيمة والسعي في طريق الهزيمة فإنه عار مجسم وشنار تتضرم وحميه غضب الله في الدنيا وعذابه في جهنم .

وإذا كنتم أيها المؤمنون قد هزمتم الأعداء في غزوة بدر وقتلتم منهم الكثير فلا تغتروا بهذا النصر ولا تنخدعوا بهذا القتل :

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم .. وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)

وما ذلك إلا ليقطع دابر الكافرين بانتصار المؤمنين (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم) وهذا الذي يقرره الله حق لا باطل معه ، صدق لا كذب فيه .. والحقيقة الثانية هي توهين الله كيد الكافرين وإحباط مساعيهم وتخذيل قواهم وتخييب مناهم ومبتغاهم .. (ذلكم .. وأن الله موهن كيد الكافرين) .

(إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح .. وإن تنتهوا فهو خير لكم .. وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت .. وأن الله مع المؤمنين) .

وهنا فصل الخطاب فإن طلبتم أيها المؤمنون فتوحات لدعوتكم الإسلامية فأبشروا فقد جاءكم الفتح بانتصاركم على أعدائكم .. أو أن تستفتحوا أيها الكافرون ، وتريدون طرد المسلمين من المدينة بعد طردهم من مكة فانظروا مصارعكم في بدر ، ومصارع سادتكم وقادتكم وحسبكم هذا الفتح الذي ابتلع كبراءكم وأمراءكم ولتتعظوا به وبهم ولا تعودوا لحرب المسلمين بعد ذلك فإن تتعظوا بمن هلك في بدر فهو أنفع لكم (وإن تنتهوا فهو خير لكم) (وإن تعودوا نعد .. ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت)

ولكم هذه الحقيقة المقابلة لحقيقة : (إن الله موهن كيد الكافرين) .

وإذن فلا أمل لكم أيها الكفار في انتصار ولا خوف عليكم أيها المؤمنون من انكسار فالله مع المؤمنين والله موهن كيد الكافرين .

هذه هي الآيات الخاصة بغزوة بدر في سورة الأنفال من آية رقم (٥) إلى آية رقم (١٩) ج

وآيتا ٥٠ ، ٦٠ ـ تعد ان مدخلا وتمهيدا لقصة الغزوة وهى من أدب الملاحم البطولية ومن قصص البطولات والغزوات والانتصارات تعتمد على اللوحة بعد اللوحة والمنظر وراء المنظر والتوجيه يتلوه التوجيه والتنبيه يتبعه التنبيه وقد نفاها القرآن مما فى الأساطير من تهويل ومبالغات وكفروثنيات وخيال شبيه خيال ويخرج عن حدود المألوف والمعروف ٠٠ وقد أغنانا عن هذا الجانب الخرافى الأسطورى بما أتى من معجزات روحية تتصل بعالم الملائكة حيث يوحى ربك إلى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ـ مما يشبع حاسة الخيال فى الإنسان على اختلاف المكان ومرور الزمان ٠ فهو أى الجانب الروحى ـ أغنى عن الجانب الخرافى الوهمى الذى يشتط فيسرف الى حد " اللامعقول " مما يحس القارىء معه بشىء من الضيق ٠٠ لأن الموقف للأسطورة قد جعل منه طفلا ينخدع بالأشباح والأرواح وأنصاف الآلهة وما فى البحار من جن وعفاريت وما فى الكهوف من أبالسة وشياطين ٠٠ إلى آخر هذه السذاجة التى يفتن بها الأبله وينخدع بها المجانين ٠٠ أما القارىء الواعى وأما المستمع الحصيف وأما الناقد البصير فلا يكاد يصدق كثيرا من هذه الأساطير ولا يكاد ينفعل بما فيها من خرافات وخيالات ويقرأها أو يراها أو يسمعها وكأنه يسمع طفلا يحكى تصورات طفولته أو يرى مجنونا يروى تهيؤلات مسه وجنونه فيصبر ليرى نهايتها أو يقف ليبحث عن واقع يعيد إليه ثقته بنفسه وبمشعوره باحترام الموقف له فيقتنع به عن ترهات الخرافات وأخرافات الأساطير ٠

ومما يلقى على قصص القرآن الطمس هذه العظمة القرآنية فى الأساليب مما تشعر معه برهبة آية رهبة وتحس معه بحبة آية محبة ٠

ولعل من أسباب تكوين هذه العظمة فى أساليب القرآن إسناد الأفعال الى الله وهيمنة الله على الأحداث والأشخاص والأفعال ٠ وذلك من أول آية فى الغزوة الى آخر آية فيها ٠

(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق)

(وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم)

(ويريد الله أن يحق الحق بكلماته)

(اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) ٠

(وما جعله الله إلا بشرى) (وما النصر إلا من عند الله) ٠

(اذ يغشيكم النعاس أمنة منه) (إذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم)

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ٠ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وهكذا ٠

ثم ذلك التنوع والتلون فى الأساليب كما بينت من قبل فى هذا التركيز المشع الوهاج الذى يعتمد على الإشارة دون العبارة والتلميح دون التصريح وذلك مثل

(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق)

(يجادلونك فى الحق بعد ماتبين)

(وما جعله الله الا بشرى) (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار) (إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) (وبئس المصير) (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) .. وهكذا ..

وإذا عدنا هذه الغزوة قصة ونظرنا فى بنائها فإننا نجدها بدئت بمدخل ـ تمهيدى شغل آيتين ـ ثم جاءت بعده القصة المصورة للغزوة وهى ذات مناظر متعددة منظر أساسى عرفنا فيه نفسية المؤمنين وميلهم إلى أخذ الغنائم دون صدام وهى غير ذات الشوكة . وعرفنا رأى الله فى فلسفة الغزوات وهو إحقاق الحق وإبطال الباطل وقطع دابر الكافرين وهذا المنظر فى آيتين . ثم جاءت بعد ذلك ثلاثة مناظر : منظر الاستغاثة من المؤمنين وإمدادهم بألف من الملائكة مردفين وفلسفة هذا الإمداد ـ وهذا المنظر فى آيتين :

ومنظر تغشيتهم النعاس أمنة منه . وتحليل ذلك وتعليله وهذا المنظر فى آية واحدة ثم منظر إيحاء ربك إلى الملائكة وإلقاء الأوامر لهم وتنويع الخطاب ـ كما وضحت مع تعليل وتبرير الحرب وهو فى ثلاث آيات .

وأول المناظر الثلاثة الأخيرة ـ بعد المنظر الأساسى ـ متصل بالمنظر الثالث الاخير اتصال فكرة وتفريع وتحليل وتعليل ـ مما يوحد بين بناء القصة بعضها ببعض .

ثم بعد ذلك تأتى توجيهات وأوامر وتواه تتعلق بالثبات واللقاء ضد الاعداء . وتبين الشريعة الحربية .

كما تأتى عظات من معركة النصر لحسم الغرور المتوقع ولإعطاء المؤمنين والمجاهدين دروسا فى الإيمان بالله وبالقوى الغيبية ثم يمتد التهديد المواجه والدرس الآخر الموجه للكافرين وتحذيرهم من العودة لقتال المسلمين وإعلان موقف الله مع المؤمنين حتى تنقطع آمالهم فى النصر كما رأينا فى درس المؤمنين وإصرار الله بتوهين كيد الكافرين حتى يستبشر بهذا السر .. وهذا فن فى التوزيع والتصميم تحقق معه النظم المحكم وتم به النظام البليغ .

ومما أسهم فى تحقيق النظم المحكم والنظام البليغ : حذف الواو من إذ ـ التى بدئ بها المشهد الرئيسى أو المنظر الأساسى الذى افتتحت به هذه القصة الحربية مما يدل على أن هذه المناظر الثلاثة متفرعة من المنظر الأصلى وموزعة منه . ولعل كثيرا من المفسرين قد تنبه إلى هذا ونبه عليه إذ أعرب إذ فى المناظر الثلاثة بدلا من (واذ) الأولى التى بدئت بها القصة .

وللأقدمين من المفسرين لفتات بلاغية بارعة هى من صميم الفن القصصى فى عصرنا الحديث .

وكذلك مما أسهم فى تحقق النظم والنظام توزيع الحصاد الفلسفى والفكرى

والشرعي والنفسي في مناظر القصة ومشاهدها توزيعا محكما متقنا ، ففي كل منظـــر من مناظر القصة الأربعة ـ رصيد عظيم يحمل أفكارا فلسفية في القصة.

ففي المنظر الأولى هذه الحقائق :

(ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) (ليحق الحـــق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) .

وفي المنظر الثاني تتجلى هذه الحقيقة :

(وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) .

وفي المنظر الثالث تظهر هذه العلل في فلسفة التعاس ليلة القتال في إمداد الجيوش بالماء في الصحراء :

(إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) .

ثم في المنظر الرابع الأخير تبرير قتل الكافرين وقطع رقابهم وبتر أيديهم :

(ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب)

وهكذا نرى هذا التوزيع الدقيق بين مناظر هذه القصة توزيعا في فلسفـــة الغزوات العامة وفي فلسفة غزوة بدر خاصة ما وحد بين مقامات النظم وحقق صـــلات النظام .

وإذا أحببنا وصل هذه القصة بجو السورة العام وهو " طاعة الله ورسولـــه " كما رأينا في أول آية في السورة ـ وجدنا أن بعد الآية الأخيرة من هذه القصة آيـــة تدور حول إطاعة الله ورسوله مما يصلها بأول آية في السورة ـ وهذه الآية رقـــم (٢٠) تنادي المؤمنين :

(يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون)

كما أن الأمر بالثبات في لقاء الأعداء يتصل بهذه الآية التي ذكرت بعد عـرض منظرين من غزوة بدر ـ إذ الغزوة متناثرة في ثنايا سورة الانفال ـ وهذه الآية :

(يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحـون) ـ وتليها آية الإطاعة والاتحاد وهي تتمشى مع روح السورة العام :

(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مـــع الصابرين) .

ثم نجد القرآن يتخذ درسا للمؤمنين يستمده من أخطاء الكافرين حتى ينتفـع به أولئك المؤمنون وذلك مثل :

(ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل اللـه والله بما يعملون محيط) .

وهذا إعلاء بالدوافع والنوايا والاتجاهات يلى ذلك الإعلاء للسلوك والتنظيمات والعبادات. وهى تربية عسكرية وروحية ونظامية وشعورية وهدفية وربانية كما تدرك كل هذه الآيات الثلاث التى مرت الآن بعد عرض ذكيك المنظرين من غزوة بدر .

أما هذان المنظران من الغزوة فهما فى هذه الآيات (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم) .

منظر فى غاية الدقة والاحكام .. فالمؤمنون فى شاطئ الوادى القريب والكافرون فى شاطئ الوادى البعيد والركب أسفل من المؤمنين . كأنهم على ميعاد ولا ميعاد بل لو تواعدوا لاختلفوا فى الميعاد .. ولكن الله نظمهم هذا التنظيم ورتبهم هذا الترتيب ليقضى أمرا كان مفعولا وليهلك من الكفار من يهلك عن بينة ودليل ويحيا من حى عن بينة ودليل وان الله لسميع عليم .

وهذه اللوحة التصويرية بتصميمها وتوزيعها هذا فهى متعددة الجوانب : فريق فى واد وآخر فى واد والركب أسفل .. والكل مترقب بصاحبه مترقب ساعة الانقضاض أو لحظة الانقضاض . ثم هى لوحة نفسية شعورية فالأنفاس محبوسة فى الصدور أو تكاد والأصوات مكتومة فى الحلوق أو تكاد والأسرار محجوبة فى النوايا والطوايا أو تكاد .. وهى من أروع اللحظات والأوقات التى تمثل السكون السابق للعاصفة وهى كسب كبير للتصوير ثم هى مادة عظيمة للتحليل .

هذا هو المنظر الاول . بتصويره وتحليله ثم هذا التذييل بتعليله وتدليله (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) (ليهلك من هلك عن بينة) (ويحيا من حى عن بينة (وان الله لسميع عليم) .

أما المنظر الثانى فهو تخييلى تحليلى نفسى :

(إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور) وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الامور) .

فهنا تهدئة أخرى نفسية وتفرقة بين مايرى بالبصر ومايرى بالبصيرة . أو مايرى على وجه التخييل وكأنه حقيقة فالكفار كثيرون فى غزوة بدر ـ والمسلمون بالنسبة لهم قليل ولو رأى هؤلاء المسلمون أولئك الكفار على حقيقتهم لخافوهم ودب فى قلوبهم الرعب وخاصة أولئك المكرهين على الحرب ولحدث مالاتحمد عقباه . فأراهم الله إياهم قليلا ـ ولو أراكهم كثيرا لفشلوا ولتنازعوا فى الامر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور هذا قبل القتال . وحين ترامى الجمعان ـ أراهم الله الكفار قليلا إذ لو أراهم إياهم كثيرا لأخذوا بالمفاجأة ولتنازعوا فى الأمر ولفشلوا بسبب هذا التنازع وبسبب تلك المفاجأة .

ثم أرى الله الكفار عدد هؤلاء المؤمنين قليلا حتى لا يأبهوا بهم ولا يستعدوا لهم وحتى لا يهتموا للقائهم وحينئذ ينهزمون ٠٠ وما ذلك إلا (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) (وإلى الله ترجع الامور) ٠

وكما سار القرآن فى عرض هذه القصة متأثرة فى هذه السورة ـ يأتى بفلسفتها العميقة أو مغزاها الكامن أو الواضح أو بتعليلها المبين كل الدوافع أو أهمها ٠٠ كما رأينا فى تلك المشاهد الأربعة أول السورة ـ فإن هذين المنظرين يحتويان ـ كذلك ـ على تعليل للدوافع والظواهر ٠ ففى آخر المنظر الاول من هذين المنظرين فى منتصف السورة تأتى هذه التعليلات :

(ليقضى أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وان الله لسميع عليم) ٠

وفى تعليل التخييل بأن الكفار قليل ـ هذا الاحتمال : (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر) ثم هذا الاستدراك الذى أنقذ الموقف :

(ولكن الله سلم ٠٠ إنه عليم بذات الصدور) ٠

وهذا فى الشق الاول من المنظر الثانى ٠٠

أما الشق الثانى من هذا المنظر الثانى ففيه هذا التعليل المتصل بتعليل المنظر الاول وهو : (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) ثم فيه هذا التذييل العام ـ الملتقى فى الفاصلة مع نهاية الآية السابقة :

ففيها : (إنه عليم بذات الصدور)

وهنا : (وإلى الله ترجع الأمور)

وهنا ظاهرة جديرة بالإشارة إليها وهى وجود " الإبهام " والتخييل فى نسق هذين المنظرين وذلك ليتلاءم هذا النسق بإبهامه وتخييله مع مضمون المنظرين المتصلين على صحة تداخلهما واتصالها إذ الثانى مبنى على الاول كما هو واضح ٠

وهذا المضمون قد عرفناه وهو تخييل عدد الكفار قليلا فى مقام المؤمنين وفى أعينهم لئلا يصيبهم الوهن أو الفشل فى أو التنازع والخلاف أما الإبهام والتخيل فى نسق الأسلوب فهو هذا الاحساس بانتهاء الآية مع أنها لم تنته ثم هذا الشعور باستيفاء الأحداث كظها من التعليل ثم مفاجأتك بتعليل للتعليل ٠

وذلك مثل :

(ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا)

فالذى أحسه ـ وأحسبك تحس مثلى ـ أن الآية قد انتهت بهذا التعليل وبهذا التذييل الذى يجرى مجرى الأمثال أو مايشبه الأمثال إلا أنى أفاجأ بتعليل آخر لايفصله عن هذا التعليل فاصل ما ـ ومن ثم عدته تعليل التعليل ـ وهو :

(ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة)

وكأن هذا بدل من الأول وهو :

(ليقضى الله أمرا كان مفعولا)

ومن ثم كان هذان التعليلان ـ بهذا الوجه وبهذا الإعراب ـ عين التعليل الأول أوجزا منه ـ إذ يحتملان أن يكونا بدل كل من كل أو بدل بعض من كل ..

وإذن جيء بتلك العلة الأولى ـ على هذه الصورة ـ ليستريح النفس بها ويقف عندها ثم يأخذ فى تبيين المجمل وفى تعيين المهمل وفى تحديد المطلق وفى المفاجأة بجديد لم يعلم وهذه المفاجأة بليغة البداية ، بليغة النهاية ، فقد بدأت بهلاك من هلك عن بينة كما ختمت بحياة من حى عن بينة .

والذى يهم المؤمنين ـ والله مع المؤمنين ـ أن يهلك الكفار ـ هذا منطق الحروب ثم أن يهلكهم عن بينة ـ وهذه فلسفة الرسالات ومن ثم قدم تسجيل هلاكهم المعلل أو تعليل هلاكهم المسجل .. لأنه هو المطلوب ـ هنا ـ وهو المرغوب .

أما حياتهم هم وهم المجاهدون الثابتون ـ وفق الأكثرية والحكم للأكثر ـ فهى أى الحياة هينة فى سبيل الله وليسوا بحرصاء عليها حتى يهمهم الاطمئنان عليها ومن ثم تأخرت .. ومن ثم ـ تبعا لذلك ـ جاءت علل المنظر الثانى مرتبطة بصالح الدعوة وسياقة الغزوة وبمستقبل الإسلام تشير إلى ذلك كله :

(ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم) .

هذه إحدى وجوه الدقة فى بلاغة التعليل وفى وضعه على هذه الصورة من التقديم والتأخير يضاف إلى هذه الدقة البليغة دقة التعبير بالضارع فى الفعل المعلل الذى يلى لام التعليل وهو يهلك أولا ويحيا ثانيا ـ ودقة التعبير بالماضى فى الفعل الذى وقع صلة للموصول وهو هلك أولا وحى ثانيا ..

فالكلام مسوق من أجل التعليل ومن ثم جاء الفعل مضارعا ليدل على الحال أو المستقبل ـ أو على المستقبل القريب أو المتوقع أو المحقق . كما جيء بمن هلك ـ عن يقين ومشاهدة أو فى حكم اليقين والمشاهدة لتحقق هلاك الكفار إذ قد رعليهم ذلك فكأن قد هلكوا حقيقة فأوثر الفعل الماضى معهم .. كما أوثر الفعل الماضى (حى) فى جانب المؤمنين لكتابة الحياة لهم ولتحققها فى الواقع المشهود وفى المشاهدة الواقعة ـ والقيد بالبينة متصل بهلاك الهالكين كما أنه متصل بحياة الأحياء .

وإذا كان عنصر الأسطورة فى القصص الملحمى ـ معترفا به لدى نقاد الأدب عامة والفن القصصى خاصة فان الأسطورة بمعناها الخرافى أو الوهمى أو الوثنى غير موجود فى القرآن عامة وفى قصص القرآن خاصة . وكما أن القرآن قد استعاض عن هذا العنصر فى المناظر الأربعة الأولى بذكر الملائكة فى المنظر الثانى وفى المنظر الرابع ـ حيث استجاب الله لاستغاثة المؤمنين فأمدهم بألف من الملائكة مردفين .

وحيث وجه هؤلاء الملائكة ليثبتوا الذين آمنوا وليضربوا مع المؤمنين فوق أعناق الكافرين وليضربوا منهم كل بنان .. كما أن القرآن قد استعاض عن ظاهرة الأسطورة في بناء هذه القصة الملحمية التاريخية الدينية ـ فكذلك جاء بصورة أخرى مقابلة ـ صورة الشيطان إذ زين للكفار أعمالهم وقال لهم لاغالب لكم اليوم من الناس ووعدهم أنه جار لهم وهذا قبل المعركة يقابل وعد الله المؤمنين بأنه ممدهم بألف من الملائكة مردفين .

فلما تراءت الفئتان : الفئة المؤمنة والفئة الكافرة رجع القهقرى وأعلن أنه بريء منهم وأنه يرى مالا يرون وزعم أنه يخاف الله لأن الله شديد العقاب .

وهذا الدرس يساق للمؤمنين للاعتبار به والاتعاظ حتى لايكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط .. ومن مظاهر إحاطة الله بما يعملون ـ هذا الدرس في هذا المنظر من مناظر تلك الغزوة في هذه القصة : (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال : لاغالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال : إني بريء منكم .. إني أرى ـ مالا ترون إني أخاف الله .. والله شديد العقاب) .

ومن ثم اشتملت هذه القصة الملحمية على الأساس الذي تعتمد عليه الملاحم في التهويل والتخييل وإن جمح بهم الخيال وجنح بهم إلى الخيال أو مايشبه الخيال إذ أن معظم تلك الملاحم اليونانية ترحب بالوثنيات وتسرف من الوهميات التي لاأساس لها من صحة ولا سناد لها من تاريخ ..

أما هنا فالقرآن قد عرض كل الأجناس : الملائكة الذين قال لهم : إني جاعل في الأرض خليفة هذا جنس . ثم الإنسان .. الذي علمه الله الأسماء كلها وأمرهم أن يسجدوا له تكريما وتعظيما فسجدوا إلا إبليس . فخرج إذن من مثل جنسنا آخر وهو الجن . ثم قال الله لآدم : اهبطوا منها جميعا ـ كما قال له : بعضكم لبعض عدو .. وعلى هذا عرض القرآن قبل هذه السورة هذه الأجناس الثلاثة :

١) الملائكة ٢) الإنسان ممثلا في آدم وحواء
٣) الجن ممثلا في إبليس أو الشيطان

وهذه الأجناس كلها حقائق وإن اختلفت أصلا ومادة وجوهرا ومظهرا .

فإذا ساقها القرآن وسجل حوارها وصراعها فإنما هو الواقع المصفى والحقائق المتخيرة لاتخييل فيها ولا تخييل وإذا أدى إلى منها دورا في قصة أو اضطلع بعبء في صراع أو اشترك في جدال أو حوار .. كان ذلك واقعا مصفى وحقائق متخيرة لاخرافة فيها ولا أسطورة بها أو معها .. خاصة أن الله الخالق الذي سجل حديث النملة والهدهد مع سليمان في قصته وسجل استجابة الأرض والسماء في قصة الخلق .. سجل حديثه مع الملائكة في غزوة بدر كما سجل حديث الشيطان مع الكفار في هذه الغزوة وكل أولئك ـ كما قلت ـ واقع مصفى وحقائق متخيرة تقدم لحكمة ما أو تساق لغاية ما ، كما رأينا في امداد المؤمنين بالملائكة وكما سمعنا تغرير الشيطان بالكفار .

ولو أحسن كتاب الملاحم والقصص الحربية والخيالية استخدام مايسمى وراء الطبيعة أو وراء المنظور فقدموه معقولا ومقبولا ولم يزيفوه فيه ولم يجنحوا إلى التخريف والتنجيل لكانت قصصهم مقبولة ولكانت ملاحمهم معقولة تصدق أحداثها وتصادق أشخاصها وندرس معالمها ونستأنس بها فى تصويب التاريخ أو نستأنس بالتاريخ فى تصويبها وحينئذ لانملأ أيدينا بالخرافات والترهات ولانحشو أذهاننا بالخيالات والخبالات ولانجمع فى عقولنا بين الدرة والبعرة ولا بين الحقيقة وضدها ولا بين الصواب والخطأ فيختلط علينا الأمر ويستعصى علينا تمييز الحق من الباطل ومعرفة الخطأ من الصواب .

على أن الواقع التاريخى البعيد والمعاصر والواقع الغيبى الذى يغيب عن المؤرخين والواقع الغيبى الذى لم يقع بعد .. ثم الواقع النفسى للأفراد والجماعات كل هذا مدد للقاص أى مدد ومادة فى أيدى الكتاب والشعراء أية مادة يجدون فيها من الغريب العجيب ومن الطريف الظريف فالا يكاد يصدق أنه واقع ومالا يكاد يظن أنه حقيقة .

فما عليهم إلا أن يحققوا فى قصصهم وملاحمهم وأشعارهم هدفين : فائدة علمية أو فنية أو أدبية لاتصطدم بالحق والحقيقة — ومتعة نفسية وشعورية وعقلية تثرى النفس والعقل والخيال والوجدان . وليست أطالبهم أن يكتبوا قصصا جغرافية بحتة أو قصصا تاريخية محضة .. فلذلك طرقه ومناهجه وأسلوبه — إنما الذى أطالبهم به هو ألا يحشوا أذهان صبيتنا وشبابنا وأخيلتهم بالمعلومات الفاسدة وبالأماكن المزيفة والأزمنة المتوهمة وألا يبنوا جبالا من الاوهام على خبر قد يكون صادقا أو غير صادق أو على حادثة قد تكون حقيقية أو غير حقيقية أو على شخصية قد يكون لها كيان وعيان واسم ورسم وحياة ووجود وقد لايكون لها شىء من ذلك كله .. واذا اضطروا إلى شىء من هذا — فما عليهم الا أن يشيروا إلى ماهو حق وواقع من الأماكن والازمنة ومن الأخبار والحوادث ومن الأشخاص والمعلومات وما عليهم — كذلك — الا أن ينبهوا عن هذه الشخصية المبتكرة وهذا الحادث المخترع وهذا المكان المتخيل وهذا التاريخ الموضوع وهذه الأخبار المؤلفة ثم هذه المعلومات المبنية بناء فنيا والمسوقة سوقا أدبيا لاعلى أنها واقع مضى ولا على أنها حقائق متخيرة . وحينئذ نقرأ كل أولئك من الوجهة التى تستحق وللهدف الذى نحقق وبالوسيلة التى تصل بنا الى الفائدة العلمية أو الفنية أو الأدبية أو الى المتعة النفسية والذهنية والشعورية أو الى هذا وذاك وغير هذا وذاك إذ الاعمال الادبية الخالدة تشع من الآثار مايبقى على مدى الادهار وما يتجدد بترديد مابها من الأفكار والأسرار . واذا وصلنا مسيرتنا فى غزوة بدر بسورة الأنفال وجدنا أن للملائكة دورا ملموسا جاء فى لوحة عنيفة خفيفة تعتمد على الحركة العضوية والحركة الفكرية وتجمع بين عنف المغزى وخفة الحدث :

(ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) .

فالملائكة يتوفون الذين كفروا ـ وهم يضربون وجوههم وهذه هي اللطمة ثم يضربون أدبارهم وهذه هي خفة الحدث المخففة من إصر الواقعة أو تصوير الفاجعة .. بغض النظر عن أنهم كفار . ثم هنا قول مقدر قد حذف أو اختفى لتصوير السرعة المقصود إليها وادماج التوفي في ضرب الوجوه والأدبار في أمرهم بذوق عذاب الحريق كل هذا استدعى حذف كلمة (ويقولون لهم) (ذوقوا عذاب الحريق) .

ولدمج هذه الاشياء بعضها ببعض ـ دمج العذابان : عذاب الدنيا من ضرب الوجوه والأدبار وعذاب الآخرة وهو عذاب الحريق .

وكأن الزمان قد تتداخل وكأن العذابين قد اتصلا وكأن القيامة قد قامت بوفاتهم وإهلاكهم وقبض أرواحهم بأيدي ملائكة العذاب . ثم (ذلك بما قدمت أيديكم)

يكمن هنا مغزى هذه الأقصوصة أو هذا المنظر (وأن الله ليس بظلام للعبيد) هنا يكمن المغزى العام الذي خرج بالحادثة المحلية والموقوتة إلى معنى عام وهدف أرحب مما يضفي على الأقصوصة سمات الجدة والحيوية وصفات الخلود والاستمرار .

وهذا التفصيل في الآية الثانية بشقيها ـ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار ويحتمل أن الشق الاول منه من كلامهم والشق الثاني من كلام الله وقد عطف على مثيله في السورة من مثل : (وأن للكافرين عذاب النار) ومن مثل : (وأن الله موهن كيد الكافرين) ـ ومن مثل : (وأن الله مع المؤمنين) ـ وذلك لاتحاد النسق مبنى ومعنى ومغزى وجوا وشعورا .

ثم هنا تلميح بعد هذه الأقصوصة ـ بآل فرعون فيعدها :

(كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب) .

فدأب كفار بدر ـ كدأب آل فرعون ، والذين من قبلهم وهذا وصل للقصص التاريخي على اختلاف أزمنته وأمكنته مع اتحاد الفكرة فيه والعظة منه .

وهذا الدأب يذكرنا بفن المثل القصصي فهذا وذاك له ماللقصة من فصول أو مراحل وللدأب هنا فصلان أو مرحلتان :

١) كفروا بآيات الله

٢) فأخذهم الله بذنوبهم

والتعقيب : إن الله قوي شديد العقاب . والمغزى في (ذنوبهم) إذ هي السبب في انتقام الله منهم وكما كان تعقيب اللمحة السابقة باسم الإشارة في (ذلك بما قدمت أيديهم) .

فهنا في هذا الدأب تعقيب كذلك مبدوء بذلك :

(ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

وهى ظاهرة اجتماعية لها أهميتها فى علم الاجتماع وتلتقى مع ظاهرة سورة الرعد :
(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .
وآل فرعون كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم .. وكذلك الذين من قبلهم
ولكن التعقيب بهذا الدأب خرج بالمغزى الخاص لهذا التلميح ـ إلى مغزى أعم وهدف أبعد . ومن ثم ذهب مذهب الحكمة وضرب مضرب المثل ودرس على نواميس المجتمع كما درست عليه هذه النواميس .
وصار مادة لكثير من الأهداف فى كثير من القصص والمسرحيات .
بقيت (وأن للمسميح عليهم)
هذه متصلة بالحقائق التى تنحو هذا المنحى من نسق الأساليب .
ثم يأتى دأب آل فرعون ـ دأب التكذيب بعد ذلك الدأب : دأب الكفر !
فهنا هذا التلميح السابق لآل فرعون : (كدأب آل فرعون ، والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوى شديد العقاب) .

وهنا هذا التلميح الثانى ، لدأب آل فرعون :
(كدأب آل فرعون والذين من قبلهم !
١) كذبوا بآيات ربهم
٢) فأهلكناهم بذنوبهم !
٣) وأغرقنا آل فرعون !
وكل كانوا ظالمين .
وإذن فالدأب الاول ـ كما نرى ـ قائم على فكرة الفكر وحقيقتها ـ الكفر ـ كفروا فأخذهم الله .

أما الدأب الثانى فهو قائم على فكرة التكذيب بآيات الله وإهلاكهم بذنوبهم ! إلا أنه هنا فى هذا التلميح الثانى ـ فصل بين آل فرعون الذين أغرقهم الله .. وبين الذين من قبلهم ممن أهلكهم الله بذنوبهم والإغراق داخل فى الإهلاك أو أخذ الله ! ومن ثم اندمج فيه فى الدأب الأول كما أن الإغراق نوع من الإهلاك ومن ثم خصص به الإهلاك فى الدأب الثانى . وهذه دقة تاريخية روعت فى الفن القصصى مما يجعلنا نشترط الأمانة التاريخية فى القصص التاريخى .. وإن لم نشترط حرفية النص والتعبد به أو التقيد بقيوده فهذا يخنق الخلق الفنى وهذا يشل خيال الأديب . ولكن تكون الحبكة فى الدأب الثانى موجودة نرى أن آل فرعون اشتركوا مع الذين من قبلهم فى المقدمة أو الفصل الأول أو السبب : (كذبوا بآيات ربهم) كما اشتركوا معهم فى المغزى وهو الظلم المهلك : (وكل كانوا ظالمين) ..
ومن ثم اشتركا معا فى رسم .. كما ارتطما فى الفتن والمحن ..
وإذا تتبعت صدى غزوة بدر فى سورة الأنفال وجدت آيات تدور حول عتاب الله لنبيه محمد بشأن إطلاق الأسرى فى بدر بعد أخذ الفدية منهم .

وهذا العتاب يلتقى مع منطقية الحروب السائدة فى السورة فالقوة والعنف والضرب بالسيف وتقطيع الأعناق وتمزيق البنان وانزال الملائكة من السماء و تكليفهم بالقتل وضربهم القتلى على وجوههم وأدبارهم وأمر الله المسلمين أن يقاتلوا الكافرين حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ــ وخروج الذين كفروا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله .. كل أولئك كان يتطلب من النبى ــ وهو فى أولى المعارك ــ أن يجهز على من وقع فى يده من الأسرى وهم الذين أخرجوه وصحابته من ديارهم وتآمروا على قتله وعذبوا كثيرا من أتباعه .. حتى يهابه هؤلاء الأعداء وحتى لاتسول لمن خلفهم أنفسهم أن يعودوا لمثلها من الاشتباك والحروب مع الرسول أومع محمد .. وهذا فحوى العتاب وهذه آياته :

(ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم يأيها النبى قل : لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم) .

فالعتاب قد اتخذ صورة القاعدة المسلم بها أو صورة ماينبغى أن يكون هذا .. كما أنه صيغ فى قانون عام ينتظم كل الأنبياء فى كل زمان وفى كل معركة ينتصرون فيها ويقع فى أيديهم أسرى ..

وهذا القانون نصه :

(ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض) وإذن فلايليق بنبى ما من الأنبياء أن يبقى على أسارى فى يديه أحياء حتى يتغلب على كثير من الارض ويبالغ فى قتل الاعداء بهذا يستقر أمره ويدخل الكثير فى طاعته ويوفر على نفسه ودعوته جهدا جهيدا وأمدا بعيدا .

والعتاب كامن فى مفهوم هذا القانون يفهمه ذوو النفوس الرهيفة والقلوب البصيرة كالرسول ثم بقية الآية تحلل نفسيات المؤمنين فى الغزوة وتعلل الدافع لهم على إيثار المال على القتل ((تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) .

ثم يشتد العتاب إلى درجة التهديد : (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)

وهنا يخاف المسلمون ويجفلون .. ثم هنا يظنون أن الفدية التى افتدى بها الأسارى رقابهم ــ ليست حلالا لهم حتى يصح الانتفاع بها والأكل منها .

لكن الله ــ بعد أن أراهم ماينبغى ومالاينبغى وعرف صدق نواياهم وطواياهم أباح لهم الانتفاع بالفدية والاكل منها : (يسألونك عن الانفال) قل : (الانفال لله والرسول) وهناك فى الآية الأولى : (فاتقوا الله) وهنا (فاتقوا الله)

ثم لاتخافوا عذابا وراء العتاب ولا تخشوا عقابا ولا انتقاما بعد هذا الملام :

(إن الله غفور رحيم) . ولكن .. ماذا نصنع بهؤلاء الأسرى الذين مازالوا في أيدينا ؟ أنثخن فيهم القتل ؟ ولانبقي منهم صغيرا ولا كبيرا ؟ أم نطلق سراحهم ونمن عليهم بالفداء أو بالعفو ؟ أن نعرض عليهم الإسلام بالرفق واللين ونعطيهم مافقدوه وعوضهم عما خسروه وفي هذا كسب لهم باعتناق الإسلام وراحة لنا بإيثار السلام؟ إلى هذا الرأي الأخير وبهذا المقترح الكريم وجه هذا النداء :

(يأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى : إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) .

ولكن هؤلاء الكفار أهل غدر وخيانة وقد سبق أن خانوا الله فليس بعيدا أن يخونوا رسوله لعل هذا الهاجس وقر في صدر الرسول وشغله عن منحهم الأمان وعرضه عليهم الإيمان فطمأنه الله العليم الحكيم :

(وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم) .

وشبهة الخيانة هذه قد أثيرت قبل هذه الآيات : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء .. إن الله لايحب الخائنين) (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم) .

وماد امت الخيانة متوقعة من الكفار فعلى المؤمنين أن يستعدوا لهم أيما استعداد وأن يتأهبوا للدفاع والجهاد وأن يوطدوا أنفسهم على الجلاد والاستشهاد :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم . وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لاتظلمون) .

وليس معنى هذا أن نعتدي على الكفار وأن نبطش بهم أو نسيء إليهم دون أن يكيدوا لنا أو يتآمروا علينا ..

كلا .. إنما هو كما قلت استعداد وإعداد واتخاذ أهبة وانتظار دفاع وتخويف عدو وإرهاب له فاع وتخويف عدو وإرهاب فقط ثم حماية ثغور وحفاظ حدود .

وعلى هذا ومع هذا فليس من مانع أن نسالمهم إذا جنحوا إلى السلام وأن نعطيهم الامان متى رغبوا في الامان :

(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) .

وإذن فالاسلام إلى جانب كونه دين قوة وسلاح وإعداد لخوض كل كفاح فهو دين سلم وسلام كما أنه دين أمن وأمان .

٨١

أقصوصة الهجرة في الأنفال

وهي تشغل آية واحدة رقم (٣٠)

(وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

هذه أقصوصة تمهد للهجرة وتبين أسبابها وتصور مؤامرة الذين كفروا ضد الرسول ليحبسوه أو يقتلوه أو يطردوه ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

فالجزئية التي سلطت عليها أضواء القصة : جزئية المكر ومكر المشركين خبيث إذ يفكر في الإيذاء والاعتداء فهم يمكرون بالرسول ليحبسوه حتى يهلك أو يجتمعوا على قتله فيطل دمه أو يخرجوه من مكة وينفوه عنها .

ويمكرون ويمكر الله فمكر الله يحبط مكرهم ويخفق تدبيرهم وإذا كان مكرهم سيئا فالله خير الماكرين .

فهي أقصوصة تدور على فكرة المكر وهذه الفكرة تأخذ صورا شتى كإثبات الرسول ـ وحبسه وقتله وإراقة دمه دون أخذ بثأره وكإخراجه من ديار وتنفيه . فهي مظاهر معنوية تتخذ ظواهر مادية . وإذا كان من تأزيم للأزمة فهي هذه الغايات الثلاثة التي هي مضمون مكرهم والتي هي الغاية من مكرهم في وقت واحد وإذا كان من حل للأزمة وانفراج للعقدة فهو مكر الله الذي يحبط كيدهم ويبطل تآمرهم ثم إذا كان من هدف فهو أن الله خير الماكرين .

وإذا بحثنا عن عنصر الشخصية في الأقصوصة وجدناها ثلاث شخصيات :

١) الذين كفروا ٢) الرسول ٣) الله

كما أن عنصر الحادثة قد تطور فقد عرفنا بداية المكر ومظاهره وغاياته ثم عرفنا نهايته وختامه ورأينا عنصر القيم في آخر الآية (والله خير الماكرين) .

على أن تسليط الضوء في بداية الأقصوصة على فعل "يمكر" أو على "المكر" ـ المستفاد بجعل الأقصوصة : أقصوصة حدث أو أقصوصة فكرة .

وإذا أحببنا أن نصل أقصوصة الهجرة هذه أو أقصوصة المكر بسائر السور : سورة الأنفال وجدناها تتصل بجو الخيانة المترقبة وبروح الخديعة المحذورة كما رأينا في الآيات التي تدور حول هذا الروح وذاك الجو ـ يضاف إلى هذا معنى نقض العهود من الكافرين الذين هم كالبهائم أو أشد .. والذين يستحقون لنقضهم العهد ه كل تنكيل وتشريد كما تصوره هذه الآيات من السورة :

(إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) .

على أن مضمون المكر الدائر حول الحبس والقتل والطرد يبين تعنت الكفار وتضافرهم على محو الإسلام والقضاء على رسول الإسلام ـ وذلك التعنت توضحه هذه الآية العجيبة التي تذكرنا بتعنت الأمم السابقة مع الرسل السابقين :

(وإذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) .

كما أن تضافرهم على محو الإسلام ، والصد عن سبيل الله تصوره هذه الآية التي ذكرتها من قبل :

(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) .

وهكذا نجد روح التآمر تتخذ مظاهر متعددة وتنتهي آخر الأمر بانتصار الإسلام ورسوله وبانتصار الله خير الماكرين .

على أننا إذا نظرنا في كلمات هذه الأقصوصة وحروفها وجدنا حرف الكاف يسيطر على سائر الحروف فيها مما يحدث نغمة صوتية معينة تصل الأقصوصة الشخصية الرسول المخاطب والذي تدل عليه هذه الكاف : وهذه هي الكلمات التي بها الكاف :

وهذه هي الكلمات التي بها الكاف :

يمكر بك ـ كفروا ـ ليثبتوك ـ أو يقتلوك ـ أو يخرجوك ويمكرون ، ويمكر الماكرين . فقد ذكرت تسع مرات في تسع كلمات كما خلت منها خمس كلمات كذلك جعل الرسول موضع رعاية من الله واهتمام كما كان موضع تآمر الكفار ومكائدهم . ومن ثم مكر الله له وأحبط هذه المكائد، وتلك المؤامرات .

على أننا إذا نظرنا في غزوة بدر التي أحاطت بأقصوصة المكر هذه أو بأقصوصة الهجرة فسبقتها وأعقبتها لنرى حرف الكاف فيها .. وجدنا له السيادة في الغزوة والسيطرة عليها ـ ومن العجيب الذي يستحق التسجيل أن حرف الكاف قد سيطر على حروف القصة الحربية هذه ـ من أولها إلى آخرها على تعدد الفصول وتنوع المشاهد والقصص ومن ذلك ماجاء في القدر الأول الخاص بمدخل الغزوة ومناظرها الأربعة وتعليقها :

(كما أخرجك ربك من بيتك ـ لكارهون ـ يجادلونك كأنما ـ يعدكم أنها لكم ـ تكون لكم ـ لكلماته ـ الكافرين ـ ولو كره ـ ربكم ـ لكم ـ معكم ـ الملائكة قلوبكم ـ ذلكم للكافرين ـ كفروا ـ لكن ـ ولكن ـ ذلكم ـ كيد الكافرين ـ جاءكم ـ لكم ـ فئتكم ـ كثرت)

ومن القدر الثاني الخاص ببقية الغزوة ماجاء من الكلمات المحتوية على حرف الكاف وذلك مثل : (والركب منكم ـ لكن ـ كان ـ ليهلك من هلك ـ يريكهم ـ منامك ـ اراكهم كثيرا ـ لكن ـ أعينكم ـ كان ـ اذكروا ـ كثيرا ـ ريحكم .

ولا تكونوا كالذين ـ لكم ـ لكم ـ عنكم ـ منكم .

مما يجعل للكلمات حركة في النطق والأداء إلى جانب المكاشفة والمواجهة بهذه المخاطبة وبتلك المراقبة . ومما يربط بين قصة بدر هذه وأقصوصة المكر تلك ربط مبنى ومعنى وجو وإيقاع ومما يربط بين أجزاء السورة بعضها والبعض الآخر في هذا موسيقية واحدة — أو موحدة تتحقق في التنغيم الصوتي والتصميم الشكلي .

وإذا أجلنا النظر وأعملنا السمع في حروف الكلمات التي تتألف منها غزوة بدر مصورة في قصتها تلك وجدنا حرفا قريبا من الكاف مسيطرا على كثير من التعقيب على القصة والتعليل لأحداثها وأحكامها ، والتصوير لأماكنها وذلك الحرف هو القاف الذي نراه متناثرا في القصة أولا وأخيرا — مثل :

(كأنما يساقون إلى الموت — يحق الحق ، ويقطع = ليحق الحق — ألقى في قلوب — فاضربوا فوق الأعناق — شاقوا — ومن يشاقق — العقاب — فذوقوهم — إذا لقيتم — لقتال — فقد — تقتلوهم — فلم يهم —

هذا هو القدر الأول من القصة :

وفي القدر الثاني من القصة نرى : (القوى — ليقضي — إذا التقيتم — قليلا — ويقللكم — ليقضي — إذا لقيتم .

وشيوع حرف خاص في كلمات معينة يتألف منها نسق ما في أسلوب — يحقق هذا الشيوع موسيقية صوتية مخصوصة تحقق الجانب الخارجي للجرس الموسيقي والبناء الصوتي ، كما تسهم في خلق جو معين يضفي على الشعور والحس والعقل روحا خاصة تتصل بفكرة القصة أو روحا عامة تعكس موضوع السورة . وإذن فهي ليست ظاهرة " عشوائية " أو " صدفية " تأتي كما تأتي وتختفي كما تختفي دون سبب لهذا الاختفاء ودون سر لذلك الإتيان . إنما لها سر صوتي وسبب بلاغي ولغوي وبناء هندسي وموسيقي تشترك فيه السورة والنغم كما يشترك فيه النظم والنظام . على أن هندسية التوزيع لحروف الكلمة وبراعة التنويع في بناء القصة وبلاغة التعبير في سياق الأسلوب . كل أولئك يسهم في تحقيق ظاهرة النظم المعجز كما يسهم في تحقق النظام المطلوب والمحبوب والفريد البليغ .

وهذه الهندسة تختلف في قصة عنها في قصة أخرى كما تكون في أقصوصة بشكل يفترق عن شكلها في أقصوصة ثانية .. وهكذا .. فهي تخضع للفكرة خضوعها للحدث خضوعها للشخصية خضوعها للهدف خضوعها للتصميم خضوعها للتنغيم خضوعها للقيم خضوعها للنظم والنظام الخاص والعام . ثم هي تخضع كل أولئك لها إخضاعا تحقق به ومعه مالها من تصوير ذي تأثير ومن ترقيع وتنغيم فهي عملية أخذ ورد وتجاوب وتفاعل تتأثر بالمبنى وتؤثر فيه وتتأثر بالمعنى وتؤثر فيه ثم تتأثر بالمغزى وتؤثر فيه .. وهكذا ..

ومما يجدر ذكره وتذكره أن بعض النقاد الأقدمين قد فطنوا لهذا وأشاروا إليه وأشادوا به .

وإذن فسورة الأنفال ملحمة حربية مهد لها بتلك الملحمة الحربية التاريخية في

سورة البقرة التي نزلت قبل سورة الأنفال هذه .

وبهذه الغزوة في هذه السورة خطت الدعوة الإسلامية خطوة ذات أهمية ودخل المسلمون مع المشركين في معارك حربية انتصروا فيها عليهم وتمكنوا من رقابهم ثم غلبتهم أريحية الإسلام وسماحته فآثروا معهم السلم والسلام على منطق الحرب والصدام .

المهاجرون والأنصار
في المدينة كما صورتهم
سورة الأنفال

الدكتور محمد محمد الفقي

(إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا — أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا — مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير) .

أما الكافرون فتصورهم هذه الآية :

(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض . إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)

وثواب المهاجرين والأنصار تصوره هذه الآية :

(والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا — أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) .

بقي من آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا فلهم آية أخيرة في سورة الأنفال وهي :

(والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم — فأولئك منكم وأولو الأرحام — بعضهم أولى ببعض إن الله بكل شيء عليم) .

المسلمون كما صورتهم سورة الأنفال

وإذن فالمسلمون في المدينة يتكونون من :

١) المؤمنين المهاجرين الذين هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

٢) ومن الأنصار الذين آووا ونصروا وهؤلاء هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم .

٣) ومن الذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا مع المهاجرين والأنصار — وهؤلاء منهم . وهناك فريق لم يهاجر وبقي في مكة أو في بلده دون هجرة وهم :

٤) الذين آمنوا ولم يهاجروا — وهؤلاء ليس للمهاجرين والأنصار من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا .. وإن طلبوا نصرتهم في الدين فعليهم نصرهم إلا على قوم بينهم وبين المهاجرين والأنصار عهد وميثاق .

أما الكفار فكان بعضهم أولياء بعض .. وقد كانوا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ويمكرون بالرسول ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه .. وكان منهم المنافقون والذين في قلوبهم مرض الذين يقولون غر هؤلاء المسلمين دينهم .. وهذه حال الكفار في المدينة وتلك حال المسلمين بعد الهجرة . أما حال المسلمين قبل الهجرة - فتصورها هذه الأقصوصة التي جمعت تاريخ المسلمين قبل الهجرة وبعدها :

(واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) .

وهذه هي عناصرها ومراحلها :

١) أنتم قليل ٢) مستضعفون في الأرض

٣) تخافون أن يتخطفكم الناس

وهي تمثل حالة المسلمين الأولى قبل الهجرة أو قبل غزوة بدر وانتصارهم فيها .

ثم تأتي مراحل المسلمين وحلول الأقصوصة بمراحلها الثلاثة وحلولها :

١) فآواكم وهو في مقابلة الخوف من تخطف الناس .

٢) وأيدكم بنصره - وهو في مقابلة كونهم مستضعفين في الأرض

٣) ورزقكم من الطيبات - وهي في مقابلة قلة المؤمنين عددا وإقلالهم مالا وحرمانهم أو هي في مقابلة الحرمان المنتظم تاريخهم قديما الحرمان من الامان - ومن القوة - ومن الكثرة فهي تفيد الهدوء النفسي والرخاء الاجتماعي .

وهذه الأقصوصة - كما تجمع بين تاريخ المسلمين قبل الهجرة وتاريخهم بعدها - تحكي اضطهادهم على أيدي الكفار . فهم قليل بسبب تقييد الحريات في مكة وتعذيب من يرغب في الإسلام - وهم مستضعفون في الأرض - والكفار هم المستضعفون لهم . ثم هم يخافون أن يتخطفهم الناس والكفار هم هؤلاء الناس المخوفون .

وإذا حدث هذا قديما فلا يصح أن يحدث شيء منه حديثا ومن ثم يصدر هذا النداء : (قل : للذين كفروا : إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) . كما يصدر هذا الأمر للمؤمنين بقتالهم :

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير وإن تولوا فاعلموا بما يعملون بصير وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) . والحمد لله رب العالمين ..

الدكتور محمد محمد بدر

الأستاذ محمد محمد المدني

من القصص المدنـــــى

قصة سورة " آل عـــــــران "

توثيق القرآن وبيان أهميتـــــه :

(نزل عليك الكتاب بالحق ، مصدقا لما بين يديه) ، وبيان أهمية الكتـــب المقدسة : (وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس، وأنـــزل الفرقان آية (٣) ، وجزء من آية (٤) من سورة آل عمران .

جو الكشف في السورة : (ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) آية (٥)

روح قصص آل عمران : (وهو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء) من آية (٦)

تباين وضوح القرآن وعمقه ، واختلاف الراسخين في دراستهم تبعا لعمق ادراكهم :

(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنـــا ، وما يذكر الا أولوا الألباب) آية (٧) آل عمران .

شعار الراسخين في هذه السورة : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنـــا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) آية (٨) سورة آل عمران .

وصل السورة ، بسورة الأنفال فـــى :

لعنة دأب آل فـــرعـــون

(ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هـــم وقود النار ، كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ، كذبوا بآياتنا فأخذهم اللـــه بذنوبهم ، والله شديد العقاب) آيتا (١٠ ، ١١) آل عمران .

ويتصل بمضمون سورة الأنفال هذا التلقين المتضمن هذا التهديد :

(قل للذين كفروا : ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد .) آية (١٢)

وهذا ، وذاك يحقق النظم المحكم بين سور القرآن التي تعاصرت في النزول وتشابهت في المضمون وتلاقت في الأهداف . فكما أن هذه المعاني السابقة للمحة آل فرعون والمعقبة عليها — موجودة في سورة الأنفال التي تدور حول غزوة بدر فهي هنا في سورة آل عمران هذه تمهد لآية تدور حول غزوة بدر أيضا .

آية غزوة بدر

(قد كان لكم في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) آية (١٣) من سورة آل عمران .

ثم تلى هذه الآية آية الغرائز الانسانية هذه : " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) آية (١٤) آل عمران .

فغريزة التناسل أو الجنس تستفاد من حب الشهوات من النساء وغريزة البقاء أو حب البقاء وغريزة الخلود تستفاد من حب البنين . وغريزة الجمع والحرص والعدد تستفاد من حب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة . ثم غريزة التفاخر والسيطرة والتملك تستفاد من كل أولئك ومن حب الخيل المسومة والأنعام والحرث . ولأنها متصلة بالنفس وشهواتها ومتصلة بالدنيا ولذائذها — أشير إليها بأنها متاع الحياة الدنيا .

ولأن الإسلام يحلي الغرائز ويسمو بها ولا يعطلها جاء هذا التعقيب الذي يحتوي على التساؤل والتشويق : (والله عنده حسن المآب) .

ثم تجيء الآية التالية لآية الغرائز كهذه لتسمو بالغرائز الإنسانية — وترتفع بالدنيا إلى الأخرى : (قل : أؤنبئكم بخير من ذلكم؟ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) آية (١٥) آل عمران .

ولكن من هؤلاء المتقون الذين يستحقون هذا النعيم الدائم والمتعة الخالدة ؟

(الذين يقولون : ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) آيتا (١٦ ، ١٧) سورة آل عمران

وهؤلاء المؤمنون المتقون موجودون فيمن اصطفاهم الله من آل عمران على نحو ما سنرى . كما أنهم متصلون بأولي الألباب في أول السورة وفي آخرها فهم جميعا يلتقون في مضمون الدعاء كما يلتقون في جوهر العقيدة والإيمان وعقيدة التوحيد هنا صريحة واضحة شهد بها الله والملائكة ، وأولو العلم وهي لا إله إلا هو (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ثم هي متمثلة في الإسلام وهو دين الله : (إن الدين عند الله الإسلام) وهو عقيدة الرسول :

(فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله)

وهذا كله يصلنا بسورة البقرة وبقضايا الإيمان فيها • ومن ثم تتضح هذه العقيدة الإسلامية فى سورة آل عمران هذه بحيث لا يقبل غير الاسلام دينا فلا دين غيره ، ولا نجاة بدونه •

(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) •

ولذا كان التلقين العام يلتقى مع التلقين العام فى سورة البقرة الذى يدور حول توحيد الأديان وتوحيد الرسل كما تنادى به هذه الآية من سورة آل عمران :

(قل : آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى ، وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) (٨٤) آل عمران •

وإذا كان المضمون واحدا فى الآيتين المتشابهتين فى السورتين المتجاورتين فإن الآية الثانية التى أمامنا هنا تزيد المعنى وتؤكده وتقرره أكثر من تلك • فهنالك وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم — وفى هذا رقة وتلطف •

وهنا فى سورة آل عمران : وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم وفى هذا تمكن وهيمنة وقوة وسلطان وقهر والزام •

فالاسلام دين الجميع دين من فى السموات ودين من فى الارض • ينقاد له وبه من يدخل فى دين الله عن طواعية كما ينقاد له وبه من يدخل فى دين الله عن كراهية أو اكراه :

(أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون ؟ ( ) آية (٨٣) آل عمران •

وما فى ذلك لا يكون فطرة الله التى فطر الناس عليها ولكونه (صبغة الله) فليس هناك من أحسن من الله صبغة (

ومن ثم يدعو الرسول أهل الكتاب الى أن يأتوا ويجتمعوا مع المسلمين على كلمة سواء وعلى دين واحد فيه عدل ونصف :

(قل : ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون) •

وكما عاتبهم فى سورة البقرة من وصم ابراهيم بأنه من اليهود أو النصارى وبرأ ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط من كونهم هودا أو نصارى • عاتبهم هنا فى سورة آل عمران فى ذلك وناقشهم بأدلة عقلية تستند على الواقع التاريخى وعلى التاريخ الواقعى :

(ياأهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم ، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده

أفلا تعقلون ؟ هأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ؟ والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

ثم يبرئ ابراهيم صراحة من كونه يهوديا أو نصرانيا ويقرر أنه كان قد كف عما حرم ونال يعبد أبوه وقومه من الآلهة إلى عبادة الله عز وجل وصار مسلما مؤمنا ، ومن ثم كان — أولى بمن اتبعه وأولى به هذا النبي محمد ثم هؤلاء المؤمنون كما أن الله ولي المؤمنين

(ماكان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) آيتا (٦٧ و ٦٨) آل عمران .

ثم بعد ذلك كله يكشف القرآن عن نوايا طائفة من أهل الكتاب الذين يتمنون لو يضلون المؤمنين (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون) ثم يأخذ في مواجهة هذه الطائفة من أهل الكتاب ومناقشتها :

~~(يا أهل الكتاب لم يتمنون لو يضلون المؤمنين~~ (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلوكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون)

ثم يأخذ في مواجهة هذه الطائفة من أهل الكتاب ومناقشتها :

(ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ؟

ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ؟)

وواضح أن هاتين الآيتين متصلتان بآية (٤٢) من سورة البقرة :

(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)

وبآية (٤١) قبل هذه الآية من سورة البقرة :

(وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به) .

ثم ودت هذه الطائفة من أهل الكتاب لو يضلون المؤمنين يلتقي مع إرادة كثير من أهل الكتاب لو يردون المؤمنين من بعد إيمانهم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق كما رأينا من قبل في سورة البقرة .

وإذا كان نفر من النصارى قد ألهوا المسيح ، فإن القرآن يستبعد على نبي من البشر يطلب من قومه أن يعبدوه أو يؤلهوه بل يسمو بمقام الإنسانية إلى مرتبة الربانية بمعنى أن يترقى الإنسان في عبادة الله حتى يسمو عن الدنايا والصغائر ويعلو على الشهوات والشبهات إذ :

(ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس : كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) .

وإذن فلا يصح أن تتخذ الملائكة والنبيين أربابا فهذا كفر صراح لا يليق أن يتردى فيه مسلم من المسلمين . (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ؟)

وهذه المعانى تلتقى مع مثل عيسى عند الله الذى يشبه مثل آدم الذى خلقه اللمن تراب ، ثم قال له كن فيكون .

فكما أن آدم مخلوق بلا أب ولا أم
فعيسى قد خلق من أم بلا أب ؛
وكما أن آدم بشر من تراب
فعيسى كذلك بشر ومخلوق
لايصح أن يؤله أو يكون ابنا لله ؛

وهذا هو حصاد قصة عيسى فى سورة آل عمران تأتى بها بعد أن تذكر قصة آل عمران .

وقصة آل عمران تشغل مابين آية (٣٥) وآية (٦٣) من سورة آل عمران .
وقد مهد لمجموعة قصص آل عمران التى تشغل هذا القدر من الآيات ـ بآيتى (٣٣ ، ٣٤) من السورة نفسها .

قصة آل عمران

المدخل إلى القصة :

(إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) آيتا ٣٣ ، ٣٤

ثم هذه القصة هى مجموعة من القصص :

القصة الاولى : قصة ولادة مريم
من آية (٣٥) إلى آية (٣٧)
ثم إعداد مريم ـ فى آيتى ٤٢ ، ٤٣
ثم قصة ولادة عيسى عليه السلام
من آية (٤٥) إلى آية (٦١)

يليه شعار القصة والتعليق على هذا النوع من القصص وهو من آية (٦١) إلى آية (٦٣) من سورة آل عمران

أما المدخل إلى هذه المجموعة القصصية فيشير إلى شئ من أهداف هذه القصص وهو ظاهرة الاصطفاء لأناس معينين وأسر مخصوصين على اختلاف الدهور وتباعد العصور وفى هذا قضاء على الشعور بالعظمة والسيطرة أو الانفراد أو الامتياز فكأن هذه ظاهرة عادية أو طبيعية أن يصطفى الله أناسا معينين وأسرا مخصوصين على سائر العالمين فى زمانهم أو فى مكانهم ، فالله قد اصطفى آدم واصطفى ـ كذلك ـ نوحا ثم اصطفى آل إبراهيم واصطفى ـ أيضا ـ آل عمران وكل هؤلاء قد اصطفاهم على عالمى زمانهم .

وإذن فلامجال للشعور بالاختيار أو الاستعلاء ولادعى لاخراج هؤلاء وأمثال

هؤلاء من مرتبة العبودية الى مقام الألوهية . ولا يصح أن يعبد هؤلاء من دون الله .

هذا من ناحية المغزى .

ومن ناحية العنصر الواضح فى القصص كما بينه المدخل نجد أن تكوين الوراثة قد أثر فى البيئة (ذرية بعضها من بعض) ـ كما أن تأثير البيئة قد التقى مع أثر الوراثة وتجاوب معه . (والله سميع عليم) ـ سميع الدعاء يصطفى من يشاء لما يشاء ويصوركم فى الأرحام كيف يشاء ثم هو لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

ومن هنا كان لهاتين الآيتين اللتين مهد بهما إيحاء معين لهدف القصص وتلوين خاص لبيئتها . وإرهاصة مقربة لمنطقيتها وما بها من غرائب وعجائب وكرامات ومعجزات تخرج على المألوف من العادات .

مما يمكن لها فى النفس والشعور كما يقررها فى القلوب والعقول .

ثم أن هذا المدخل بمثابة الحقيقة المقررة وبمنزلة منطوق نظرية من النظريات تحتاج الى " برهنة " عليها أو تمثيل لها أو إجراء تجربة ما لإثباتها وتحقيقها .

ومن هنا جاءت القصص تقررها وتبرهن عليها وتحققها وتطبقها وتجعلها بداهة من البديهيات أكثر منها نظرية من النظريات وهذا مسلك نفسى وعقلى سلكه القرآن ويسلكه فى القصص الذى يحتوى على شىء من الغرابة أو شىء من العجب .

وفى هذا إزالة للغموض ولما يشبهه ويقرب منه عن القصص القرآنى . كما أن فيه تقريب البعيد وتعميق القريب من المعانى والأفكار ومن الأهداف والأسرار ومن البيئات والشخصيات ومن سرد القصص وقص الحكايات .. ثم ما أشبه هذه البداية فى المدخل بتلك البداية فى نهاية المجموعة من هذه القصص فقد بدئت باصطفاء الله آدم .

وقد ختمت بتشابه عيسى وآدم فى الخلق مما يحقق النظم الفنى فى بناء هذه المجموعة القصصية ويصل هذه البداية بتلك النهاية .

وسنرى صدق هذا كله فى اختيار الأحداث والأشخاص والحوار والمفاجأة والدعاء والعادات والمعجزات وما الى ذلك كله .

والذى يعنينى فى دراستى هذه هو الناحية القصصية ومن ثم أوثرها بالحديث وأغلبها على سواها من اتجاهات .

---

(١)

قصة ولادة مريم

(إذ قالت امرأة عمران : رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم) .

فهذا فصل أول يظهر وقد تجمعت فيه الفكرة كما تتجمع في الفصل الأول من المسرحية . فهي امرأة عمران تقول : رب إني نذرت لك ما في بطني عتيقا لله . فتقبل مني ما نذرت أو من نذرت . إنك أنت السميع لدعائي العليم باخلاصي لك .

فالأضواء مسلطة على القول : إذ قالت : وهذا القول يشع اشعاعات شتى نعرف منها وبها أمورا عديدة في عناصر القصة المتعددة : فقد عرفنا من إسناد القول لها أن المتحدثة امرأة — وأنها امرأة عمران . وهذه هي الشخصية ثم دعاؤها : رب — يفيد أنها مؤمنة بالله تناجيه ولا تشرك به شيئا ولا تشرك معه أحدا وفي هذا إظهار لأوصاف الشخصية التامية .

(إني نذرت لك) إشعاع بالعبادة والتبتل بالدين وإيثار لجانب الله على حب الشهوات من البنين وفيه سمو بغريزة الأمومة ووصل لهذا بتيار الحياة في السورة وفي الحياة . وقد عرفنا من هذا النذر ساحة امرأة عمران وتدينها —

(ما في بطني) .. عرفنا أنها حامل وأنها تحس بشيء ما من الأشياء لم تتبينه ولم تعينه .. ومن هنا نذرت ما في بطنها . ونذرها ما في بطنها ليس معناه أنها كارهة له تحاول التخلص منه .. وليس معناه أنها تنذره لله وقتا من الاوقات وتأخذه لها في سائر الاوقات .. فقد نذرته (محررا) عتيقا لله خالصا له . ومادامت نيتها سليمة ووجهتها مستقيمة فرجاؤها ان يتقبل الله منها وأملها أن يرضى الله عنها (فتقبل مني)

ثم أرادت أن تبرر هذا الدعاء وذاك النداء حتى لا تتهم بحس أو هوس قد ينسب إليها بحكم خلوتها أو تحدثها مع نفسها أو انشغالها بجنينها فختمت دعاءها بهذه الحقيقة : (إنك أنت السميع العليم) .

وهذا يلتقي مع منطوق المدخل العام وختامه الأخير (والله سميع عليم)

ورواية القصة هنا وما بها من مفاجأة ووحدة تستدعي وصف الله بصفتي السمع والعلم ليكون ذلك بمثابة التوثيق والتقريب لقص هذا اللون من القصص الذي يعتمد على الأسرار والاعتصار والغيبيات والكرامات والمعجزات ومن هنا ختمت الآيتان المتجاورتان بهاتين الصفتين وفي هذا من التقرير والتوكيد ما فيه .

(فلما وضعتها قالت : رب إني وضعتها أنثى — والله أعلم بما وضعت — وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) .

هذا هو الفصل الثانى ـ وبينه وبين الاول فاصل زمنى وهو مدة الحمل أو مدة بقية الحمل مع مدة الوضع ومن ثم استخدمت لغة السرد والقص للدلالة عليها وهى (فلما وضعتها) ..

وكما سلطت الاضواء على القول فى الفصل الاول سلطت الاضواء على القول فى الفصل الثانى .

(فلما وضعتها قالت) .. والجهة القول لها واحدة (رب) ثم إخبارها عن نفسها ذو صياغة متشابهة وهو تصدير كلامها بإنى .. فى كل من الفصلين الأول والثانى . ففى الأول : (إنى نذرت لك مافى بطنى محررا)

وفى الثانى : (إنى وضعتها انثى ـ وإنى سميتها مريم ، وإنى أعيذها بك) .

ولعلها قد نسيت ـ من روع المفاجأة ـ أنها كانت تتحدث قبل الوضع عن ذكر اذ هو الذى كان متخيلا لها حيث لم يكن ينذر لخدمة بيت المقدس الا الذكور اما الاناث فلا ذكر لهن ببالها اذ لاتصح خدمتهن لبيت الله ومن ثم لايكن مناط نذر ولا مجال وقف . ولهذه المفاجأة التى صدمت أملها فى النذر ، ووعدها مع الله ـ تحدثت حديث الانثى واستخدمت هاء التأنيث وضعتها ـ سميتها ـ أعيذها ، وذريتها ـ

ثم لهول المفاجأة أيضا أرادت أن تشهد الله على ماوضعت لا من وضعت .. مع أنها قررت منذ قليل أو منذ طويل أن الله عليم ـ فهو عليم بحالها تعتقد وكما تقرر . وسواء أكان المراد من الاخبار لازم الفائدة أو التحسر على فوات المأمول فان الله اشهد عليها هذه الفلتة أو هذه العجلة باعتراض بين كلامها بقوله : (والله أعلم بما وضعت)

ولسجل تداعى خواطرها ، وتسلسل مشاعرها وازدحام أفكارها ـ أتى بما صدر منها ولو كان فيه قلب للمعنى أو عكس للمبنى ـ اذ قالت : (وليس الذكر كالأنثى) .. فهى لم تلد ذكرا حتى تتحدث عنه وحتى تبتدئ به وتخبر عنه إنما وضعت أنثى ـ فكان السياق الظاهرى لا النفسى يقتضى أن تقول : وليست الانثى التى وضعتها مثل الذكر الذى نذرته فى خدمة بيت الله ـ لكنها ـ لتزاحم أفكارها أو لأسفها أو لتعجبها من ربها الذى تعتقد أنه يسمعها ويعلم بأسرارها ـ أو لتجسم مافى مخيلتها وظنته على ماترى عكست العبارة وقلبت المعنى وهذه بلاغة فى الحكاية ، كما مرانها بلاغة فى الصياغة فهى ـ كما قلت ـ وان خالفت المنطق اللغوى أو اللغة المنطقية ـ قد حققت المنطق النفسى والموقف الشعورى فى الواقع الحكى وفى السرد القصصى أو القص الحوارى .

هذا تعليل يعن لى . وقد أتانى تعليل آخر وهو أنها ـ حينما رأت ابنتها تتحرك بالحياة وبالحس وبالجمال الخلقى ـ آثرت مارأت على ماتخيلت أى فضلت ولادة الأنثى بحكم أنها أنثى ـ على ولادة الذكر حتى ولو لم يتحقق مطلبها الدينى فى خدمة بيت الله فهى مع ولادتها الانثى لم تخلف نذرها مع الله ولم تقصر فى جانب الله ومن ثم فضلت الانثى المقيس عليها اذ هى المشبه به الذى هو الأصل على الذكر المقيس

إذ هي المشبه الذى هو الفرع وعلى هذا فكلامها سليم لا اضطراب به وتشبيهها ـ فى نظر نفسها ومصلحتها ـ تشبيه مستقيم لاعوج معه .

ولعل إشارة القرآن المعترضة بين كلامها ـ تومئ إلى فرحتها المتتابعة المتوالية التى تسجل أمامها المفاجئة لها التى لم يكن بتوقعها ثم رأتها أمامها بلا مقدمات فجعلت تسترسل فى سرد آمالها ومن هنا وصلت حديثها بتسميتها لابنتها (وإنى سميتها مريم) وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) .

وإلى جانب فرحتها واسترسالها فى أمانيها تظهر آمال امرأة عمران فى مولودها وهى أن يعبد الله سواء فى بيته أم فى بيتها إذ أن مريم معناها ـ بالعبرية ـ العابدة وهنا ملامح البيئة الدينية الطاهرة الصالحة تظهر بجلاء ووضوح فى كل حركة ولفظة وإشارة مع الحفاظ على طبيعة الأنثى وغريزة الأم والبيئة هنا تتجلى فى المكان وفى الزمان وفى الشخص وفى الحدث وفى الكلام فهى بيئة بالمعنى الرحيب دون حصرها فى مكان أو قصرها على زمان كما قد يتبادر إلى ذهن السامع أو خيال القارئ .

والجملة الأخيرة تحمل مزاوجة بين البيئة الخارجية المؤثرة فى سلوك امرأة عمران وبين البيئة الداخلية فى نفسيتها الموجهة لحركاتها وتصرفاتها مما يجمع بين واقعية المحيط وفاعلية البطل وهذا ـ فى نظرى ـ يضفى على الشخصية حيوية كما يحيى بيئة الأحداث فى القصة وبيئة القصة فى الأحداث .

وهذا وذاك يضمن للقصة التأثير فى العقل والشعور ويكسبها سمات البقاء والاستمرار على اختلاف الأجيال وتوالى الأدهار (وإنى أعيذها بك وذريتها)

فهى تحصنها بالله وتحض ذريتها .. وما امت لها ذرية فهى ترجو لها عمرا مديدا حتى تنمو وتكبر وتتزوج وتنجب وتنمو أولادها ويكبرون ويتزوجوا ـ كذلك ـ وينجبوا حتى لتصبح ذرية أى أولاد وأولاد أولاد . وعلى هذا المنهج الحنون ومن حب البنين ما يضفى الواقعية على نفسية هذه الشخصية . وكأنها بهذه الإعادة ترقبها من العين وليس هناك من هو أحسد من الشيطان الرجيم ومن ثم تعيذها باللجوء كما تعيذ ذريتها من الشيطان الرجيم وهنا تكمن ملامح البيئة العقيدية كما تظهر سمات العادات .

فالقصة تصلح ـ بهذا ـ أن تكون قصة بيئة كما تصلح بالنظر إلى الشخصية ـ قصة شخصية . وهى بتسليط الافتتاحية بكلمة (إذ) على القول فى الفصل الاول وجعل (قالت) جواب لما أو بدله فى الفصل الثانى ـ وما دار بعد ذلك من حوار بين ابنتها مريم ومريم كافلها زكريا ـ هى بكل أولئك تصلح أن تكون قصة حوارية وان كان الحوار حقيقيا فى الفصل الثالث وتخيليا سمعت الدعاء والمناجاة فى الفصلين الأول والثانى .

على أن الآية الثالثة من آيات القصة وهى رقم (٣٢) فيها معنى الحوار أو الجواب

من قبل الله عز وجل وهذا الحوار الضمني توحي به هذه الكلمات السردية الثلاثة :

(فتقبلها ربها بقبول حسن) وهذه متصلة بالفصل الأول الذي فيه (فتقبل مني) (وأنبتها نباتا حسنا) وهذه متصلة بمحيط البيئة العام في القصة المستفاد من جو الوراثة أو الملتقى مع الوراثة (فطهرة بعضها من بعض كما أنها متصلة بالفصل الثاني من القصة وبجزئية الذكوى من أنها وضعت أنثى ومن أنها سمتها مريم أي العابدة ومن إعاذتها بالله من الشيطان الرجيم . ثم (وكفلها زكريا) هذه هي الصورة العملية البشرية التي تمثلت في ضم زكريا مريم وحضنها وجعلها في حضانته فهي مظهر لتنفيذ الإنبات الحسن وهي توجيه من العناية الإلهية إذ فاعل التكفيل هو الله والقائم بالكفالة زكريا وهو قريبها ثم هو نبي من أنبياء الله المصطفين الأخيار .

ثم هذا الفصل الثالث يتصل بالفصلين السابقين كما رأينا حيث قبول دعاء امرأة عمران وان اختلفت الشخصية — فشخصية مريم مناط الحديث في كل فصل من فصول القصة الثلاثة — كما هو واضح .

والقصة في الحقيقة قصة مريم قبل أن تكون قصة أمها . وعلى هذا فوحدة الشخصية التي أتمسك بها وخاصة في قصص الشخصيات محققة وموجودة ومامريم إلا امتداد لأمها وما أمها إلا ممهدة لها .

ثم وصل الفصول الثلاثة بالفاء يربط هذه الفصول بعضها ببعض — فقد بدئ الفصل الثاني بالفاء في : (فلما وضعتها) — كما بدئ الفصل الثالث بالفاء فهي : (فتقبلها ربها) بالإضافة إلى تسلسل الأحداث وتطورها ومنطقية الحوار وصداه أو استجابة الدعاء وقبوله . (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) هذه الجملة قصة متجددة وأحداث متعددة أفادتها كلمة (كلما) .. فقد دخل غرفتها المعدة للعبادة ووصل إلى محرابها وهو مقدم مجلسها وأشرفه ليطمئن عليها . مائة مرة .. وكلما رآها وجد عندها رزقا .. وكما تنوع دخوله وتعدد تنوع رزقها كذلك وتعدد .. ومن هنا حمله هذا على أن يسألها : (يامريم أنى لك هذا ؟) من أين لك هذا ؟ فتجيبه مريم : هو من عند الله — لامن عند مخلوق بالله يرزق من يشاء بغير حساب وهنا يظهر مغزى جديد في هذا التعقيب يتصل بسمع الله وعلمه كما يتصل بإنبات مريم نباتا حسنا وتقبلها بقبول حسن .

ثم تعدد زيارة زكريا لها صورة من كفالته إياها مما يشد أحداث القصة هذا وثيقا لاتحتاج معه الحكاية السردية إلى واو واصلة إذ ترابط المعنى وتماسك الفصل بالجمل أو الصورة العملية بالصورة النظرية وصدور القول من زكريا لمريم وإجابتها إياه — كل أولئك متماسك متشابك يأخذ بعضه بحجز بعض مما جرد (كلما) من الواو كما جرد (قال) منها .

ولعل هذا التجرد ساعد على الاتصال بين السياق والقص أحكم اتصال ..
ثم لعل ورود الكلام على هذا النسق وسرد الأحداث بهذه الطريقة أسهم في توالي الحوادث كما حقق عنصر الحركة العضوية المقابل لعنصر الحركة الذهنية أو الكلامية في الفصلين الأول والثاني مما يتحقق به ومعه قانون التعادل بين عناصر القصة . أو ما يمكن تسميته بوحدة الوحدات .

وهذا الفصل الثالث تصوره هذه الآية :

(فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) قال : يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله . إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

وبهذا الفصل تنتهي قصة ولادة مريم .

ومن هذا الفصل الأخير في هذه القصة ـ ومن كرامة الرزق عند مريم ـ وتكريم الله لها .. تتبع قصة أخرى تشبع القصة الأولى في جزئية الولادة التي تسود القصتين وهذه القصة الثانية هي :

(٢)

قصة ولادة يحيى عليه السلام

وتقع ما بين آية (٣٨) وآية (٤١) من سورة
آل عمران

(هنالك دعا زكريا ربه قال : رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين . قال : رب أنى يكون لي غلام؟ وقد بلغني الكبر ؟ وامرأتي عاقر ؟ قال : كذلك الله يفعل ما يشاء . قال : رب اجعل لي آية . قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) .

وهنالك هذه التي بدئت بها هذه القصة ـ هي التي وصلت ما بين القصتين قصة ولادة مريم وقصة ولادة يحيى . وهي تفيد السببية أكثر من إفادتها الظرفية المكانية أو الزمانية .. ولعله قد دعا ربه وهو في محرابها حيث رأى من إكرام الله لها ومن الكرامات التي خصها بها ما شجعه على أن يدعو ربه ليهب له من لدنه ذرية طيبة وهو نبي يعتقد أن الله سميع الدعاء . ولعل رؤيته مريم وهي ثمرة دعاء أبيها ومشاهدته لها وقد تقبلها الله بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا كل هذا أطلع

صدره بروحيتها بعبادتها وجعلته يتمنى ولدا تقرّ به عينه ويحفظ له اسمه وذكره وتمتد منه ذرية طيبة • فدعا ربه آنذاك • فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب (ولعله محرابه هو في غرفته الخاصة بعبادته): (إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) وهذه البشرى توضح صفات يحيى وسماته ويحيى هو مناط الحديث ومجال الاهتمام • فهو مصدق بكلمة من الله ولعلها قدرة الله المتجلية في خلق عيسى بالأمر التكويني • وسيد يسود قومه ويُوسّدهم في أمور الدنيا والدين •

وهو حصور يترفع عن الدنايا ويكتم الأسرار ثم هو نبي من أنبياء الله الصالحين •

وكل هذه الأوصاف توضح ـ كما قلت ـ شخصية يحيى ونفسيته • ولعل جو الفرحة الغامرة قد أدهشت زكريا وجعلته لايكاد يصدق هذه البشرى السارة فتساءل : إنى يكون لي غلام ؟ وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ؟

ولعله ـ بهذا ـ يسجل إحساسه الفرح الكبير الذي يملأ مشاعره وخواطره •

ولا يستبعد على قدرة الله شيئا فهي أقوى من كل سبب إذ لو أنكر على قدرة الله هذا لما سأله ولما رجاه ودعاه •

ولبعض المفسرين كالفخر الرازي ـ على وجيهة تجيب عن ذلك وإشارات نفسية تلتقي والمنطق النفسي الإنساني ـ وأرى مجال الإحاطة والإحاطة في جانب التصديق ومن ثم اكتفى بهذه الآية المتواضعة إلى سياق القرآن الحكيم •

أما المغزى في ولادة يحيى فيتجلى في هذا الرد على سؤال زكريا وعلى عجبه أو استعجابه : (قال : كذلك الله يفعل مايشاء) •

ولكن تخلق الولد أو خلقه لا يظهر فجأة إذ يتقلب عادة في مراحل متعددة وأوقات مختلفة متقاربة ومتباعدة ـ ومن ثم يحتاج إلى علامة تبين تاريخ علوقه وبدأ أمره •

ولذا : (قال : رب اجعل لي آية قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) فلا تخاطبهم إلا بالاشارة والحركة ولا تتكلم معهم في شئون الدنيا واذكر ربك ذكرا كثيرا وسبح وكثر من التسبيح وتنزيه الله في أطراف الليل والنهار • وعند هذا تنتهي قصة ولادة يحيى ـ وموقف زكريا من ربه في شأن إنجاب ذرية طيبة •

فهو موقف قصصي واحد ـ وهي قصة حوارية مكتملة وإن كانت إلى الأقصوصة أقرب منها إلى القصة ـ إذ تدور حول جزئية واحدة ثم هي كاملة وإن كانت خاتمتها مفتوحة تحمل على التشويق والتساؤل والترقب للمصير فقد أوفت بالغاية كما أظهرت الهدف •

ولمخالفتها في التصميم أدمجت في قصة ولادة مريم إذ أن شخصية زكريا موجودة في القصتين قصة مريم وقصة ولادة يحيى

ومن هنا لم تبدأ هذه القصة بما بدئت به القصة الأولى : قصة الولادة مريم

والقصة الثالثة قصة إعداد مريم وإنجابها المسيح فقد بدئت كل من هاتين القصتين الخاصتين بمريم مولودة ووالدة ـ بكلمة (اذ) فهناك (إذ قالت امرأة عمران) وهنا في القصة الثالثة (وإذ قالت الملائكة يامريم) .

ثم لعل القصة يحيى قد توسطت بين قصة مريم في مراحلها المتعددة وهي مولودة ثم وهي معدة وأخيرا وهي والدة .

فكأن هذه القصص قصة واحدة وكأن تلك الأقصوصة امتداد واستطراد للقصة الأولى ـ وتمهيد وتوطيد لولادة المسيح عيسى بن مريم .

وكل أولئك ينضوي تحت المجموعة القصصية الخاصة باصطفاء آل عمران على العالمين .

---

(٣)

إعداد مريم عليها السلام

(وإذ قالت الملائكة : يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين .

فهنا لمحة سريعة موجهة تصدر من الملائكة أو من ملك من الملائكة ـ وهي لمحة مبشرة تبشر مريم بأن الله قد اصطفاها بقوله سبحانه تحريرها مع كونها أنثى وتشريفها بالعبادة والطاعة ورزقها بما تشاء أنى تشاء وتكفل زكريا إياها وما إلى ذلك .

وبأنه سبحانه قد طهرها من الذنوب والعيوب ومن الكفر والمعاصي ومن اتهام اليهود ومن كل مايشينها ويستقبح . وبأنه قد اصطفاها على نساء العالمين بأمومتها لعيسى عليه السلام ونسبته اليها دون أب شهادة عيسى ببراءتها وطهارتها وعفتها ثم بجعلها وابنها آية للعالمين .

وكما أولاها الله هذا التشريف كلفها بهذا التكليف : (يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) فالله يأمرها بالعبادة على وجه العموم ثم يأمرها بالسجود وقت السجود وبالركوع إبان الركوع ولعل المراد بالسجود هنا الصلاة .

ثم لعل المقصود من ركوعها مع الراكعين أمرها بالصلاة جماعة . وعلى هذا فلا تقديم لركوع على سجود .

وكما أن الآية الأولى قد بدئت بالاصطفاء عامة ثم خصصت وضحت بمظاهر الاصطفاء فالآية الثانية قد بدئت بالقنوت وهو الأمر بالقيام بالعبادة على وجه العموم . ثم خصصت بأهم مافي العبادة وهو الركوع والسجود .

وإذا كانت الآية الأولى مبينة لمظاهر التبشير والتشريف .

فإن الآية الثانية متضمنة مظاهر التوجيه والتكليف .

وفى هذا من الفتوحات النفسية والشعورية مايشرح الصدور ويعين على مظالم الأمور .

(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم : أيهم يكفل مريم ؟ وما كنت لديهم إذ يختصمون) آية (٤٤) سورة آل عمران .

هنا إشارة إلى الإعجاز الغيبى فى القصص القرآنى إذ أن القصة تأتى من أنباء الغيب ومن أسرار الأسرار مما يوثق هذا القرآن ويؤكد أنه كتاب الله ثم هنا لمحة اجتماعية تاريخية تبين إعادة قديمة وهى مساهمة الأقوام عند التنازع على أمر فيطرحون من أقلامهم وسهامهم أو عصيهم أو أقلامهم مايكتبون عليه أسماءهم فمن خرج له السهم سلم له الامر واختص به من بينهم جميعا .

وفى هذا حسم للنزاع وفض للخلاف .

ونظير هذا الإعجاز الغيبى هنا فى هذا القصص القرآنى ماجاء فى قصص قرآنية أخرى مثل قصة موسى عليه السلام فى سورة القصص : (وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين) .

(وما كنت من الشاهدين) (وماكنت بجانب الطور إذ نادينا) .

وكقصة نوح عليه السلام فى سورة هود :

(تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا)

وكقصة يوسف عليه السلام فى سورة يوسف :

(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) .

فهذا أمور غيبية وأسرار خفية قد كشف الله عنها فى قصص قرآن وأطلع رسوله عليها مما يحقق ظاهرة الإعجاز الغيبى والتاريخى فى القصص القرآنى .

ولعل الجانب التحقيقى العلمى المتصدر الدقيق لخصوصه رسالتى " الجانب التحقيقى فى القصص القرآنى " .

أتناولها فى رسالتى هذه " نظام المجموعات فى القصص القرآنى " مهتما بالناحية الفنية التطبيقية قبل اهتمامى بالناحية التاريخية التحقيقية .

على أن كثيرا من التفاسير وكتب التاريخ قد قامت بركن كبير من الجانب التحقيقى .

فى حين أن الجانب التطبيقى لم يوفه أحد مثل ماوفيته حقه فى رسالتى هذه ولله أجزل الحمد على توفيقه .

وقبل أن أترك هذه اللمحة : لمحة إعداد جيل ينبغى أن ننبه إلى ناحيتين :

ناحية عقيدية وناحية جمالية أو ناحية علمية وناحية فنية .

والناحية الأولى هى أن اصطفاء الله مريم لا يعني أنها من الأنبياء — فمريم ماكانت من الأنبياء يشير إلى هذا ويدل عليه قول الله تعالى مخاطبا رسوله :

(وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) أما إرسال ملك لها كجبريل عليه السلام فهو كرامة لها ومريم بهذه الأوصاف — في عديد الأولياء الذين يستحقون الكرامات . وما خصها الله بها من إرسال فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء — كما قيل — من قبيل الكرامات الخاصة بالأولياء لا من قبيل المعجزات الخاصة بالرسل والأنبياء .

وقد عرضنا وجوه الاصطفاء الأول والثاني فلا معنى لأن يحمل فكرة نبوة أو رسالة على أن لمحة الإعداد هذه مقدمة لقصة عيسى عليه السلام الآتية بعد هذه اللمحة .

أما الناحية الفنية الجمالية فهي تتجلى في هذا التقسيم المحكم في الآيتين وفي هذا التقابل العددي بين الآيتين :

فتبشيرها بالاصطفاء العام وبالتطهير وباصطفائها على نساء العالمين يلتقي في التقسيم والتوزيع والتنغيم مع تكليفها بالقنوت على وجه العموم وبالسجود وبالركوع مع الراكعين .

ولاختصاصها بهذا التشريف — وبهذا التكليف " كانت مأمورة — كما قيل — بأن تصلي في بيت المقدس مع المجاورين فيه وان كانت لاتختلط بهم " .

ومن ثم لم يقل واركعي مع الراكعات " لأن الاقتداء بالرجال حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء " (١)

وبهذه الخصائص تظهر فضيلة هذه الاقصوصة التي تتألف من آيتين احداهما للتبشير والتشريف والأخرى للتوجيه والتكليف .

د. محمد محمد حسين د. محمد محمد الشاذلي

---

(١) الى هذا أشار الفخر في تفسيره — وما بين القوسين تعبيره وتعليله وقد ذكرته لتبيين معنى المقابلة .

(٤)

قصة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام

(إذ قالت الملائكة : يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت : رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر . قال : كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له : كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم . أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .

(فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين .

(إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون .

(فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) .

(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون الحق من ربك ، فلا تكونن من الممترين) .

وهذا قصة عيسى عليه السلام ـ جاءت في سياق البشارة ففي اللمحة السابقة تبشير مريم بالاصطفاء والتطهير وهنا تبشيرها بولادة المسيح عيسى بن مريم وهو مضمون كلمة التكوين ..

فاسمه عيسى ولقبه المسيح وصفته ابن مريم ومجموع هذه الأمور الثلاثة وهي الاسم واللقب والصفة يتضح هذا المولود ويعرف .

ولأن المراد إلقاء الاضواء عليه قدم لقبه على اسمه ليفيد سمو مكانته وعلو مقامه .

إذ أن عيسى عليه السلام لقب بالمسيح ـ كما ورد في تفسير الفخر لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا برىء من مرضه أو لأنه كان يمسح رؤوس اليتامى لله تعالى

لأنه مسح من الأوزار والآثام أو لأنه كان ممسوحا بدهن طاهر مبارك يمسح به الأنبياء خلصة أو لأنه مسحه جبريل بجناحه وقت ولادته لئلا يمسه الشيطان على أن المسيح يطلق على الملك وعلى الصديق .

وهذا كله يفيد تشريف عيسى وارتفاع شأنه ومن ثم تدعم اللقب الذى يفيد ذلك كله ولتسليط الأضواء على هذا المولود — وصفه الله بصفات لازمة له وتتجددة معه تدور حول التكريم له والتعظيم فى حدود كونه رسولا وعلى شرط الاعتقاد بأنه عبد الله وكلمته حتى لا يخرج التكريم عن حدوده وحتى لا يخرج التعظيم عن شروطه .

فهو وجيه ذو جاه ورفعة وذو شأن وشرف ووجاهته معه فى دنياه وفى آخرته إذ أنه من المقربين .. فهو من السابقين المقربين ولعل فى هذه الإشارة إلى أنه سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة تقربه قرب جاهه وارتفاعه ارتفاع وجاهة ولا مانع من أن يكون ارتفاعه بالروح والجسم معا . ثم هو يكلم الناس صغيرا وكهلا يكلمهم فى حجر أمه أو فى سريره أو يكلمهم فى وقت طفولته وإن لم يكن فى حجر أو سرير .

ثم هو يكلمهم عندما يكمل شبابه ويتناهى حسنه وكماله قبل رفعه إلى السماء أو بعد أن ينزل من السماء فى آخر الزمان .

وكما يكون كلامه وهو طفل صغير مبرئا لأمه مقررا لعبوديته لربه — يكون كلامه وهو كهل كبير موحدا للأديان مقررا للإسلام كما ورد أنه عليه السلام سينزل إلى الأرض فى آخر الزمان ويكلم الناس ويقتل الدجال (١)

ولعل السر فى إنكار بعض النصارى كلام المسيح عليه السلام فى المهد — مع إقرارهم فى محبته — أن مضمون كلامه عليه السلام يصادم عقيدة من ألوهيته منهم إذ : (قال : إنى عبد الله) كما عرفنا فى قصته بسورة مريم . والقرآن فى قصصه يصحح الأوضاع ويحق الحق ويزهق الباطل .

ثم يمنح هذا الوسام الرائع وهو أنه من الصالحين .

فهو — من الصالحين — مع كونه كلمة من الله تعالى وكونه وجيها فى الدنيا والآخرة وكونه من المقربين وكونه مكلما للناس فى الطفولة والكهولة . إذ لا رتبة أعظم من رتبة الصلاح فى أفعال العقائد وفى أفعال السلوك . ثم هو يتصف بصفات كثيرة وعظيمة فوق هذه الصفات بيد أن أمه وهى التى لم يمسها بشر تعجب أشد العجب وتسأل : أنى يكون لها ولد ولم يمسها بشر ؟ وسوف نرى لها هذا يقطع تيار الصفات التى تعدنها هذه البشارة .

---

(١) أشار إلى هذا وأشاد به — الفخر فى تفسيره

ثم سؤالها منتظر من مريم كما أنه منتظر من سامعي هذه القصة ..

ومن هنا شفع بجواب :

(قال : كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له : كن فيكون)

وهذا السؤال وهذا الجواب كلاهما يلتقي في جوهره بسؤال زكريا وبالإجابة عنه مما يحقق معنى النظم في سياق هذه المجموعة من قصص آل عمران في سورة آل عمران ثم بقية الجواب يشرح معنى كون عيسى كلمة من الله فهي كلمة كن فيكون . حتى إذا مر السؤال وجوابه ـ تأتي سائر الصفات : (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) فالله يعلمه الخط والكتابة ويعلمه العلوم وتهذيب الأخلاق ويحيط بأسرار توراته وإنجيله والله يبعثه رسولا إلى بني إسرائيل قائلا لهم : أني قد جئتكم بآية من ربكم . وكما أنه قد أرسل إلى كل بني إسرائيل فقد أوتي أنواعا من الآيات والمعجزات تتمثل في أنه يخلق لهم من الطين ما يقدره ويصوره على هيئة الطير وصورته فينفخ في ذلك الطين فيكون طيرا بإذن الله وتكوينه وتخليقه .

كما تتمثل هذه المعجزات في أنه يبرئ الأكمه الذي ولد أعمى أو الذي عمي بعد أن كان بصيرا أو الذي لا يبصر ليلا . ويبرئ الأبرص الذي به برص وهو داء خطير يصيب الجلد ويحيي الموتى فيعودون أحياء بإذن الله وقيد الإذنية هنا وهناك لتقرير الحقيقة ولرفع توهم من يعتقد فيه الإلهية ثم هي تبرئة المسيح نفسه لنفسه مما يسند إليه أو يلصق به أو يسأل عنه ـ كما يصوره موقفه من الله يوم القيامة أو آخر الزمان في سورة المائدة .

ثم تتمثل هذه المعجزات في إخباره عن الغيوب كإنبائه بما يأكل قومه وما يدخرون في بيوتهم وقد كان لهذا النبي ـ مغزى اقتصادي وتقدمي إلى جانب مغزاه الديني والإعجازي .

وإذن في هذه الآية الخمسة وهي خلق الطير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ثم إنباؤه بما يأكلون وما يحتكرون ـ في هذه الآيات آية لكم إن كنتم مؤمنين .

وكما يبعثه الله رسولا إلى بني إسرائيل يبعثه مصدقا لما بين يديه من التوراة يقررها ويزيل شبهات المكابرين وتحريفات الجاهلين ويبعثه ليحل لقومه بعض الذي حرم عليهم من الأشياء التي حرمت على اليهود عقوبة لهم على كما اقترفوه من الجنايات .

ولصورة التعبير في التشريع أكد لهم بأنه قد جاءهم بآية من ربهم ولعلها هنا آية التخفيف في التكليف وإذا كان الأمر كذلك فيجب عليهم أن يتقوا الله الذي بعثه إليهم وأن يطيعوه فيما أحل لهم وحرم عليهم ـ ثم يجمع هدف الأهداف من حياته فيقول : (إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) .

فقد قرر لهم أن الله ربه وأن الله ربهم وأن عبادته واجبة عليهم ومطلوبة منهم وأن هذه العبادة وفق هذه العقيدة هي الإسلام إذ أنها هي الصراط المستقيم .

فهذه قصة البشارة : بشارة مولد عيسى ومغزاها (كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له : كن فيكون) . وبشارة الرسول وحقيقته : (أن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .

وهي قصة من خلال بشارة قصة تلخص صفات رسول ووظيفته ومهمته وأهميته .

وهي قصة متداخلة متكاملة تخرج كلام الملائكة المبشرين بسؤال مريم وجوابها وصفات المسيح وكلامه كما تدمج صفات المسيح في ذلك السؤال وهذا الجواب ثم توضح المغزى من خلق عيسى بدون أب . ومن رسالة عيسى إلى بني اسرائيل .

وهي بهذا الوضع قصة تامة مفيدة شائقة . ثم هي بهذا التشويق تفتقر إلى تتمة فتكون فصلا من قصة محتاجا إلى فصل ثان لهذه القصة . ومن ثم اقترن هذا الفصل الثاني بالفاء لتأكيد الربط وتقوية السياق . (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصاري إلى الله ؟) قال الحواريون : نحن أنصار الله . آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) .

والفاء هنا تبين فصلا بين هذين الفصلين فصل البشارة وفصل إسلام الحواريين هذا وهذا الفصل الفاصل يحقق مضمون البشارة ويحكي حياة المسيح في بني اسرائيل وبقية معجزاته بينهم وآياته معهم . ثم فصل الحوار بين هذا - يبين " تطور " الأحداث وتأزم - العقيدة في القصة - تنبيه عن ذلك : (فلما أحس عيسى منهم الكفر - فقد أحس بوجدانه ووجد بحاسته - مظاهر كفرهم وعنتهم وملامح مكرهم وكيدهم - فرأى إصرارهم على كفرهم وعزمهم على قتله . وحينئذ بحث عن نصير له وظهير (قال من أنصاري إلى الله ؟) من أنصاري إلى أن أبلغ أمر الله وأظهر دينه وشريعته ؟ ومن يقف معي في شدتي إلى أن أبلغ رسالتي وإلى أن تكمل دعوتي ؟ ثم من (يحب أن يكون رفيقي في الجنة على أن يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ؟) (١)

فاحساسه الفكر منهم - وهم الطاغون فيه من أول أمره الطالبون قتله - يفيد هذه الاحتمالات كما أن هذه الاحتمالات تفيد تأزم الأزمة وتعقد العقدة في القصة - كما سبق أن أشرت إلى ذلك ومما يدل على هذا تطور هذه الأزمة وانفراجها وإيمان حل لها - كما في آية (٥٤) : (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) وهذه الآية نهاية فصل الحواريين وبداية النهاية لقصة عيسى - والذين مكروا هم بنو إسرائيل الذين بعث فيهم المسيح وهم الذين كادوا له وتآمروا عليه وعملوا على قتله أو صلبه - لكن الله نجاه منهم وألقى الشبه على من دلهم على مكانه فقتل بدلا منه .

---

(١) هذه الاحتمالات ذكرها الفخر في تفسيره وهي تفيد احساس عيسى بالخطر .

أو ألقى الشبه على من فداه بنفسه ليكون رفيقه في الجنة وهذه النجاة ـ صورها الفصل الاخير من قصة المسيح عليه‌السلام بن مريم .

ومضمون كلام الحواريين يلتقي مع كلام أنصار الرسول محمد في الدعوة الإسلامية . كما أن مبادئهم أو شعاراتهم تلتقي مع مبادئ الاسلام وشعارات المؤمنين .

(نحن أنصار الله ـ آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ـ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) .

فهم يقررون أنهم أنصار دين الله وأنصار أنبيائه ـ وأنهم آمنوا بالله فهم أنصار دين الله لانهم آمنوا بالله والإيمان بالله يوجب نصرة دينه والدفع عن أوليائه ومحاربة أعدائه .

ثم أشهدوا عيسى على أنفسهم بأنهم مسلمون متقون الله ومطيعوه وعابدوا الله معه وفي هذا اتباع للصراط المستقيم . والشهاد هم عيسى على أنفسهم ـ إشهاد لله تعالى . وبعد أن أشهدوه على إيمانهم وإسلامهم لجأوا الى الله تعالى وقالوا :

(ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) وإذا كانوا قد آمنوا بالله أولا فقد آمنوا بكتب الله وبرسوله ـ ومن ثم طلبوا الزلفة والثواب أن يكتبهم الله مع الشاهدين مع محمد وأمته لأنهم هم المخصصون بأداء الشهادة أو يكتبهم في زمرة الأنبياء إذ أن كل نبي شاهد لقومه وقد أجاب الله دعاء هؤلاء الحواريين وجعلهم أنبياء ورسلا وكان لهم معجزات كمعجزات عيسى ـ عليهم السلام .

ولعلهم دعوا أن يكتبوا في جملة من شهد لله بالتوحيد ولأنبيائه بالتصديق أو في جملة الشهود لله التي هي مرتبة الإحسان وهي أن تعبد الله كأنك تراه (١) وكل هذه المبادئ والشعارات كما قلت ـ تلتقي مع جوهر الإسلام وحقيقته .

ونهاية هذا الفصل هو آية المكر هذه :

(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)

وإذا كان المكرهون بالفساد في خفية وبداجاة فان مكر بني اسرائيل بعيسى هو همهم بقتله وصلبهم في صليبه .

أما مكر الله فهو إحباط مكرهم وإفساد تدبيرهم لأن الله خير الماكرين ـ ويتجلى مكره سبحانه في رفعة عيسى عليه السلام الى السماء وإنجاؤه منهم وعدم تمكينهم من إيصال الشر اليه .

ولما كان المكر عبارة عن الاحتيال في إيصال الشر فمكر الله تجلى في إبطال هذا الاحتيال .

والآية التي تلي هذه ـ توضح إنجاء عيسى عليه‌السلام وإحباط مكايد اليهود .

---

(١) كل هذه الاقوال أشار اليها الفخر في تفسيره

(إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) .

فهنا كما قلت ـ حل للأزمة وانفراج لعقدة القصة وتوضيح لمكر الله الذى أبطل سعى اليهود وضيع عليهم مقاصدهم ومكائدهم . وهذه الآية التى انتهت بها القصة أو ابتدأ بها الفصل الأخير منها ـ تحمل من البشارات ماتشبه به الآية الأولى التى بدىء بها الفصل الاول من هذه القصة ، مما يجعل روح البشارة سائدة فى القصة سارية فى مجموعة قصص آل عمران . وهذا وذاك يوحد روح التصميم ويحقق معنى النظم ومظهر التنظيم .

واذا كانت تلك البشارات موجهة لأم المسيح فالبشارات فى هذه الآية موجهة للمسيح نفسه والمسيح نفسه فى القصة هو البشارة وهو المبشر وهو المبشر به .

واذا كانت روح السورة مزيجا من الآيات المحكمات التى هى أم الكتاب ومن الآيات الأخر المتشابهات . فإن فى هذه الاية قدرا مما فى الآيات المتشابهات ومن ثم احتملت تأويلات متعددة ـ بعضها حقيقى قريب والبعض الآخر مجازى بعيد والبعض الأخير بين الواقع المادى والمعنى الروحى .

فقد قيل : " معنى قوله : إنى متوفيك أى متمم عمرك فحينئذ أتوفاك فعصمك أتركهم حتى يقتلوك بل أنا رافعك الى سمائى ومقربك بملائكتى وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك " وقيل : (متوفيك) أى مميتك ـ والمقصود أن لا يصل أعداؤه من اليهود إلى قتله ثم إنه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السماء . ثم قالوا : إنه توفى ثلاث ساعات ثم رفع أو سبع ساعات ثم أحياه الله ورفعه أو توفاه الله حين رفعه إلى السماء . وقيل : " إنى متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك ورافعك إلى وذلك لأن من لم يصر فانيا عما سوى الله لا يكون له وصول إلى مقام معرفة الله " وأيضا فعيسى لما رفع إلى السماء صار حاله كحال الملائكة فى زوال الشهوة والغضب والأخلاق الذميمة " .

ثم قالوا : إن التوفى أخذ الشىء وافيا ـ وعلى هذا فقد رفعه الله بتمامه إلى السماء بروحه وجسده . وقيل : إنى متوفيك أى أجعلك كالمتوفى . وقيل : إن التوفى عين الرفع اليه ـ فجمله (ورافعك الى) تعيين للنوع .

وقيل : متوفى عملك مستوفى عملك ورافعك إلى ـ أى ورافع عملك إلى علىين كأنهم قالوا : إن فى الآية تقديما وتأخيرا والمعنى أنى رافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالى إياك فى الدنيا .

وإذا رفعه الله إليه فمعناه أنه رفعه إلى محل كرامته أو إلى مكان لا يملك الحكم عليه فيه غير الله — وهذا المكان هو السماء • أو رافعك إلى محل ثوابك ومجازاته وذلك مراعاة لتنزيه الله وتقديسه •

وإذن فتأويل الآيات المتشابهات يتفرع ويتنوع ويجعل للعقل مجالا وللعلماء نظرا وتأملا ثم تصحيح هذا التأويل على ضوء الآيات المحكمات يضمن صحته وسلامته وصوابه • ولعل آية سورة النساء (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) قد ساعدت على هذه التأويلات وأسهمت في هذه التخريجات • فهي من الظهور والوضوح بحيث تدخل في الآيات المحكمات التي هن أم الكتاب والقرآن في أول سورة آل عمران قد لفت النظر إلى هذا ونبه المفسرين ومن إليهم إلى المحكم والمشابه من القرآن ووقف المؤمنين والذين في قلوبهم زيغ منه ومن تأويله • وفي هذا التنبيه توجيه للباحثين فيه وتحذير للمصيدين عن مشكلاته ومتشابهاته • ثم تحذير منهم ثم سياق القصة يؤيد هذه الاحتمالات وتلك التأويلات فآية (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) واتصالها بآية (إذ قال الله ياعيسى : إني متوفيك) تعضد هذه التخريجات وتسهم في تلك الوجوه والأقوال • ثم تقديس الله سبحانه وتنزيهه عن مشابهة الأحداث إذ ليس كمثله شيء — هو الذي جعل الرفع إلى محل الكرامة أو مستقل الحكم أو موضع الثواب والجازاة وكل هذا أدوات لا تعني لمفسر شيئا ، ولا يصح إهمالها أو التغاضي عنها أو الفرار منها •

وإذا حكمنا روح البشارات السائدة — على سائر هذه الآية — أو حكمنا فيها على ضوئها وسناها ألفينا جو البشارة مسيطرا على هذه القصة خاصة وعلى مجموعة آل عمران عامة فبعد : (إني متوفيك ورافعك إلي) هاتان البشارتان له ولمن اتبعه (ومطهرك من الذين كفروا) (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة)

فالله مخرجه من بين الكافرين ومنجيه من أقذارهم وأوضارهم ونقائصهم إذ ليس أثقل على نفس المؤمن الطاهر الطيب من وجوده بين أقوام كافرين مشركين خبثاء •

ثم الله مطهره من افتراءاتهم عليه أو طعونهم فيه أما بشارته لقومه — فهي أن الله جاعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة • فالذين اتبعوا المسيح عليه السلام وهم الذين كانوا يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله وهم المسلمون المؤمنون برسالته إيمانهم برسالة محمد عليهما السلام — هؤلاء الذين اتبعوه فوق اليهود الذين حاربوه وكادوا له ومكروا به وحاولوا قتله ++ وفوق الكافرين الذين ألهوه أو زعموا أنه ابن الله أو أشركوا به وبرسالته •

وهي فوقية كثرة وقوة وبأس وسلطة أو فوقية حق على باطل وإيمان على كفر وإسلام على شرك وتوحيد على وثنية أو هي — مع هذا وذاك — فوقية واجبة أو فوقية ينبغي أن تكون •

وإذا كان مولد عيسى وحياته ونجاته ورفعه إلى السماء قد أثار جدالا وخصومات وخلافات فإن الله يحكم بين المختلفين فيما هم فيه يختلفون .

(فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) .

ولعل عذاب الكفار في الدنيا يتمثل في قتلهم وسبيهم وما إليهما — في ما يلحقهم من العلل والبلايا فهو للكفار عقاب بينما يكون للمؤمن موضع ابتلاء وامتحان ويكون بمثابة الحدود التي تقام على التائبين .

وإذا كان تعذيب الله للذين كفروا عذيدا في الدنيا فإن تعذيبه لهم في الآخرة شديدا كذلك أو أشد وما لهم من ناصرين لأنهم ظالمون وما للظالمين من أنصار وهم مكروهون . إذ الله لا يحب الظالمين .

وإذن فليس لهم من ينصرهم يدفع ذلك العذاب عنهم (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم لأنهم عادلون والله عادل لا يرضى لنفسه الظلم ولا يحب الظالمين فهم آمنوا بالله وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر وبقضائه وقدره وهم عملوا الصالحات فاجتمعت لهم سلامة العقيدة وطهارة السلوك واستقامة الحال ومن ثم يوفيهم الله أجورهم، واستقامته ومن ثم يوفيهم الله أجورهم وثوابهم وهذه الآية ترشح معنى التوفي والتوفية لعمر عيسى وثوابه قبل رفعه إلى السماء فهي وتلك من واد واحد وإذا كانت تلك من آيات المتشابه فهذه من آيات المحكم وعلى هذا فلا لبس ولا خفاء . ولكن وضوح مع دقة وعمق يحتاج إلى بيان وجلاء .

وهاتان الآيتان آية تعذيب الذين كفروا وآية مجازاة الذين آمنوا وعملوا الصالحات هما تفريع وتوضيح لبقية الآية قبلهما التي ختمت بها قصة المسيح عيسى بن مريم وهذه البقية هي :

(ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) .

وإذن فقصة المسيح عيسى بن مريم قد انتهت بهذه البقية ثم امتدت إلى هاتين الآيتين للتفريعتين ولأخيرا ختمت هي وسائر قصص مجموعة آل عمران بهذه الآية :

(ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم)

فهذا اللون من القصص الذي يحتوي على نبأ عيسى ومريم ونبأ زكريا ويحيى ونبأ امرأة عمران — يتلوه الله ويقصه من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك يا محمد لأن هذه الأنباء والقصص تتضمن كثيراً من الأسرار والأخبار التي خص الله بها كتابه وقصها على رسوله .

" فهي من الآيات — ثم هي من الذكر الحكيم وهو القرآن إذ هو حاكم تستفاد منه الأحكام وهو ذو حكمة في تأليفه ونظمه وكثرة علومه وهو محكم قد أحكم عن تطرق وجوه الخلل إليه وهو ينطق بالحكمة .

كما أن الذكر الحكيم يدل على اللوح المحفوظ الذى نقلت منه جميع الكتب المنزلة على الرسل عليهم السلام ومن هنا أخبر الله أنه أنزل هذا القصص ما كتب هنالك (١)

مثل عيسى ـ عند الله

(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون) (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) .

وهذا المثل متعلق بولادة عيسى عليه السلام وتسهيلا لها فصفة عيسى كصفة آدم .. فآدم خلقه الله من تراب إذ قدره وسواه وفق علمه سبحانه بكيفية وقوعه وإرادته لإيقاعه على الوجه المخصوص .

ثم قال له : كن أى ادخل فى الوجود فكان بدخل فى الوجود .. وهذا الذى ذكرناه هو الحق من ربك وإذا كان كذلك فلا تكن من الممترين الشاكين .

فكما أن آدم خلقه الله بالأمر التكوينى فعيسى عليه السلام خلقه الله كلمة منه بأمر كن الذى هو الأمر التكوينى .

قصة المباهلة

(فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين .)

فإذا ثبت من هذا المثل سهولة الولادة من غير أب ولا أم كما ظهر فى خلق آدم وسهولة الولادة من غير أب كما عرف فى خلق عيسى ـ ثبت عبودية كل من آدم وعيسى لله وعدم جعل أى منهما ابنا لله . إذا ثبت كل هذا فلا ترهق نفسك مع المعاندين من المجادلين فالكلام معهم خسار والوقت الضائع معهم لا يستحقونه فمن جادلك فى شىء من هذا كولادة عيسى من غير أب من بعد ماجاءك من العلم بأن عيسى عبد الله ورسوله عليه السلام ـ ومن بعد ما اشتهر هذا وعرف فقل لهؤلاء المجادلين : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم . ثم نجتهد فى الدعاء ونجعل اللعنة على الكاذبين . وهذا امتحان لنفسية أهل الكتاب وكشف لنواياهم وتبيين لكونهم يعلمون الحق وينكرونه ويعرفون الحقيقة ويكذبونها ويرون الصواب ويتجاهلونه ومن هنا امتنعوا عن الابتهال خوف التلاعن والاستئصال وهذا موقف نفسى مؤثر اكثر من كل مقال وأجدى من كل برهان . فالإنسان يخاف على بنيه ونسائه وعلى نفسه وحياته ويحس كل أولئك يهددونه فاذا أحس تهديدا مصوبا لواحد من هؤلاء أجفل وخاف وأحجم وامتنع وتلعثم واضطرب وكذلك الشأن مع من جادل الرسول فى قصة عيسى وولادته وفى أصله ونشئه ـ فامتنع عن المباهلة وأحجم عن الملاعنة إيقانا بصدق القصص القرآنى

وإيمانا بصدق الرسول عليه السلام واحساسا بأن هذا كلام الله وتقريرا لحاسم الذى لا يقبل مرية ولا فرية ولا مراء ولا حوار . وهذا الموقف صورة عملية وحيوية تجسم تأثير القصة القرآنية فى محيط الدعوة الاسلامية مع أوليائها الهاتفين بها ، ومع أعدائها المناوئين لها . وهذا الموقف يلتقى مع مضمون آيتى التعقيب بعد آية المباهلة — وهذا المضمون توثيق وتحقيق لتلك المجموعة القصصية فى سورة آل عمران عامة ولقصة عيسى فيها بصفة خاصة . ومن اعترف بها كان من الصالحين ومن أعرض عنها عد من المفسدين . (إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فإن الله عليم بالمفسدين) .

فهو قصص حق .. فيه واقع تاريخى لا شبهة فيه وفيه حق دينى لا مرية معه ثم فيه حق واقع ملموس ظهر أثره فى نفوس الكفار كما ظهر أثره فى نفوس المؤمنين ومضمون هذا القصص تقرير " أنه لا إله إلا الله " .

ثم أن مجىء هذا البيان بهذه الصورة وتقرير قدرة الله فى الخلق وإجراء الكرامات والمعجزات وضرب المثل وسوق القصص كما رأينا يفيد أن الله هو العزيز الحكيم . وهذه أصبحت بهذا القصص وذاك البيان بدهية يسلم بها ويؤمن بها من كانت لديه ذرة من عقل ومن كان هدفه الإنصاف والإصلاح كما أن الذى يجارى فيها وينكرها ويتولى عنها ويهرب منها ضال مضل وفاسد مفسد والله عليم بالمفسدين وما دام الله عليما بالمفسدين فلا تتعب نفسك معهم ولا تضيع وقتك فى إقناعهم فقد جاءك من العلم ما يعتقدون فى قرارة أنفسهم حقه لصدقه وصوابه وقد انكروا عنادا وافسادا كما تعنتوا حسدا وحقدا .. ولا علاج لحسود حقود ولا رجاء من معاند مكابر ثم إذا أرادوا جدالا فأفحمهم أو ابتغوا حجاجا فحاجهم أو أظهروا الرغبة فى الإصلاح أو الإسلام فبادر الى جمعهم على كلمة سواء مما تردد آيات التلقين فى سورة آل عمران خاصة هذه التى جاءت بعد تلك المجموعة من قصص آل عمران وقد سبق أن أشرت إلى بعض هذه الآيات ولعلها مبتدئة من آية (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) إلى قوله سبحانه : (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون) آية (٩٩) من سورة آل عمران وهى آيات تلقين تحتوى على حجج وبراهين لا تدع لهم لبسا إلا وتزيله ولا كيدا إلا وتفضحه ولا شعارا صادقا إلا وتقرره وما على للتأمل فى السورة إلا أن يجيل بصره وفكره فى آياتها ليعثر على كنوز وكنوز تشغل عشرات الصفحات بل تملأ منها المئات وكتب التفاسير تمد الباحث والدارس على تنوع دراساته وبحوثه — بمدد أى مدد يبصره بالحق ويوصله الى الحقيقة متى توافرت له أسباب الإعداد وتملكت منه ملكة التحقق والتحقيق والتوثيق .

الدكتور محمد محمد أبو ليلة

الجانب الفلسفي
في قصص القرآن

د. محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ محمد محمد المدني

القسم الثانى من التخصص

الدكتور محمد محمد حمد

الباب السادس

(الفصل الأول) من أهداف القصص القرآني وخصائصه

" صورة مجملة "

من أهداف القصص القرآني
" العامة "

١) الإعجاز ٢) تقرير عقيدة التوحيد
٣) تثبيت قواعد الشريعة "التشريع"
٤) تلقين الرسول والمؤمنين مبادئ الدين .
٥) دحض الشبهات ، ورد المفتريات .
٦) خدمة الدعوة الإسلامية .
٧) إقناع العقول بالأدلة والبراهين .
٨) إشباع القلوب بنماذج من الأساليب .
٩) إمتاع النفوس بما في القصص ، من مزايا وخصائص .
١٠) التربية ١١) التعليم .
١٢) التثقيف ١٣) التهذيب .
١٤) التوجيه ١٥) الترفيه .
١٦) التأريخ ١٧) التحقيق التحقيق
١٨) التدقيق ١٩) التوثيق .
٢٠) التطبيق ٢١) التأثير .
٢٢) تكوين الفرد الصالح ٢٣) تكوين الأسرة السعيدة .
٢٤) تكوين المجتمع المثالي ٢٥) تكوين الأمة الإسلامية .
٢٦) تكوين العالم الإنساني ٢٧) تهيئة العقول للإقناع .
٢٨) إعداد النفوس لتقبل مبادئ الدعوة الإسلامية .
٢٩) إعلان وحدة الأديان ، في كل زمان ومكان .
٣٠) تأريخ مراحل الدعوة : مرحلة مرحلة .
٣١) تصحيح الأوضاع الأدبية ، المنحرفة .
٣٢) إتمام ما نقص من النواحي الأدبية .
٣٣) صون اللغة العربية من الضياع ، أو التحريف .
٣٤) سوق نماذج أساسية ، للاحتذاء ، والاقتداء .
٣٥) إعجاز غير العرب من الأمم التي اشتهرت بالفن القصصي .

الثانية

٣٦) الإعلاء بالواقعية إلى درجة المثالية وتثبيت الطاقة بدعائم الواقعية .

٣٧) القضاء على الجانب الخرافي في القصص .

٣٨) الإعلاء بالقصص الجنسي "التناسلي" .

٣٩) تنقية الملاحم من الأباطيل ، والتهاويل .

٤٠) تصوير التاريخ الديني ، والسياسي ، والاجتماعي ، تصويرا أدبيا .

٤١) تصحيح الأديان السابقة ، التي شاعت كتبها أو التي شابت بالتحريف ، والتزييف .

٤٢) الاستغناء بالقرآن عامة ، وبالقصص القرآني خاصة ، عما في العهدين : القديم والجديد ، من متناقضات ، وأباطيل .

٤٣) إعلان التحدي بالقرآن في كل زمان ومكان .

٤٤) التنبيه على قيمة القصة ، في التربية ، والتعليم ، وفي التهذيب ، والتأديب .

٤٥) مناهضة ألوان الأدب المكشوف ، وخاصة الشعر الخليع ، والاستعاضة عنه بنماذج الحب في القصص القرآني .

٤٦) تحدي البلغاء عامة ، والأدباء والشعراء والفلاسفة خاصة ، بما في القصص القرآني . من بيان ، ومعاني بديع — ومن صور ، وأفكار ، وعواطف .

٤٧) حفظ تاريخ الإنسانية للعام من الضياع بوساطة القصص القرآني التاريخي .

٤٨) حفظ تاريخ الأنبياء والرسل ، من التصحيف والتحريف .

٤٩) الحفاظ على تاريخ الأمة العربية ، وعلى تاريخ الدعوة الإسلامية ، والسيرة النبوية .

٥٠) الحد من غلو الشعراء ، وضلالاتهم الضالة ، الجموح .

٥١) إشباع غرائز الإنسان ، وعواطفه ، وانفعالاته وتوجيه سلوكه ، وتهذيب روحه ، وتثقيف عقله بالقصص القرآني . لخصائص

٥٢) استيعاب القصص القرآني ، الخصائص القصص العالمي ، والتفوق عليه فيها .

٥٣) اشتمال القصص القرآني على أنواع القصص العالمي ، وزيادته عليها .

٥٤) التصريف في القول بعرض الحدث الواحد ، في معارض بيانية مختلفة .

٥٥) احتواء القصص القرآني ، على فنون الأدب كلها .

٥٦) إعلان مكانة المرأة بذكرها في القصص القرآني والقضاء على النظرة ، التي حرمت ذكرها في كثير من الشعراء الجاهلي .

٥٧) احتواء القصص القرآني ، على كثير من مذاهب الأدب ، الحديثة .

٥٨) مراعاة الشخصيات المختلفة ، في المخاطبة بالقصص القرآني .

٥٩) في القصص القرآني مواقف كثيرة صالحة للتمثل والتمثيل .

٦٠) " الحوار القرآني قام بدور فعال ، في بسط قضايا الدعوة الإسلامية " .

٦١) الحوار القرآني قام بدور إيجابي ، في طي القلوب ، بالقوى الروحية ، وفي حفز الهمم إلى المثل العليا .

٦٢) الحوار الجدلي قام بأكبر دور في دحض المفتريات ودرء الشبهات ، وفي تلقين الرسول الردود الكافية على أباطيل المعاندين .

٦٣) في التصوير القصصي أسمى قواعد التصوير .

٦٤) وفي التوقيع الموسيقي ، أرقى ضروب الموسيقى .

٦٥) أسلوب القصص القرآني ، أسلوب طريف ومنطوق ، معا .

٦٦) أحداث القصص القرآني — اختيرت بدقة وعناية ، بحيث تتسلاءم وأحداث الدعوة الإسلامية المعاصرة .

٦٧) أسلوب القصص القرآني ، في الذروة العليا من الإعجاز البلاغي ، وهو — مع ذلك — مختلف في التصوير ، باختلاف السرد ، والحوار ، والجدل والحجاج ، والتمهيد ، والتعليق — وهو — في كل ذلك — في الغاية من الإعجـــاز .

٦٨) كذلك يختلف الأسلوب باختلاف الأنواع القصصية فالأقصوصة غير القصـــة القصيرة — وهذه غير الطويلة ، والقصة الطويلة غير الرواية ؟. وهـذه تختلف عن الحكاية — وهكذا . بيد أن الاسلوب في كل لون من هـذه الألوان يجمع بين الوضوح والقوة والجمال ، كما يحقق هدف الأهـداف وهو : الحق ، والخير ، والجمال .

٦٩) في القرآن — بوجه عام ، وفي قصصه بنوع خاص — مناهل فكر ، ومنابع فلسفة ، ورياض أدب وشآبيب معرفة — فيه شفاء غلة المفكريـــن ، والفلاسفة ، والأدباء ، وأهل المعرفة وغير هؤلاء ، وأولئك .

٧٠) مزايا القصص القرآني لا تنتهي — فباب البحث مفتوح ، وباطلي الباحثين إلا أن يواصلوا كشوفهم ، ودراساتهم ، ليعثروا دائما على جديـــد ، وكشف جديـــد .

رصيد

ما سلكته في هذا الباب ليس رصف عبارات ، ولا سوق مبالغات ، إنما هو الواقع المركز على أدلة وبراهين ، والحق المعتمد على شواهد وقرائن .

وليس معنى هذا أنه القول الفصل الذي لا يقبل مدارسة ، ولا مناقشة ؟. فما هو إلا رأي الذي وفقت إليه ، آونة عن طريق التحقق والتحليق ، وثانية عن طريق التأمل والتطبيق ، وثالثة عن طريق الإبداع والابتكار . . ؛

فإذا كنت موفقا — وما أحسبني إلا موفقا — فلله الحمد على توفيقه .

وإن كان غير ذلك ، فأستغفر الله من عثرة القلم ، وزلة القدم .

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيـــب .

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

الفصل

الباب الثانى

الدكتور محمد محمد حماد

قصة بعض القصص "صورة مصغرة"

(١)

قصة ذى القرنين

قصة ذى القرنين ـ نموذج للفتوحات العادلة التى تهدف إلى انتصار الحق ، ونشر العدالة ، والقضاء على الباطل ، ومحو المظالم . ولعله إرهاصة كريمة ، ـ كما قلت ـ ومقابلة للفتوحات الإسلامية ، والغزوات الحديثة .

(٢)

قصة أصحاب الفيل

نموذج للاستعمار الغاشم ، والغزو الظالم ومصيره لنهايته وحتمه ، وسوء حدث حى ، وواقعى ، للعظة والاعتبار . وفيه بيان بأن الناصر الحقيقى هو الله سبحانه .

(٣)

قصة سبأ

قصة المدينة المنعمة ، المترفة ، التى كفرت النعيم ، وعزفت على الهدوء والطمأنينة ، والاستقرار ، وحنت إلى الجهود والشرور ، ولم تشكر الله على نعمه وبذله ، فدمرها الله بالطوفان ، ومزقها شر ممزق ! وفعل هذا تحذير للمسلمين ، من أن ينسوا حق ربهم بعد انتشار الفتوحات الإسلامية ، ودعوة واضحة إلى حمد الله ، وشكره ، على آلائه ، ونعمائه .

(٤)

قصة فرعون

نموذج للحكم الطاغى الباغى ، وللحاكم الساخر من أمته ، والمستهتر لشعبه ورعيته ـ والقاهر من كلمة الحق تأتيه ، لترديه بدل أن تهديه ثم هى تصوير متجدد ، ومتعدد ، للفراعين فى كل عصر ومصر ، وللطواغيت فى كل زمان ومكان ، وللباطل المسلح الذى يهلك فى النهاية ، وينتحر ، أمام جحافل الحق ، الخالد ، وقوى الإيمان الصامد !

(٥)

قصة هامان

نموذج للحاشية الضالة ، المضلة ، الخادعة ، الخانعة ، المنافقة ، والتى تظهر كثيرا فى بلاط الأمراء ، والحكام ، فتهوى بهم ، وبهم ، فى العدم ، والندم ، والألم !

(٦)

قصة السحرة

هم طبقة أصلت الفكر بعد ما استكان لها السر وبرزت بين المعجزة

القوية ، القوية ، وبين السحر الوهمى ، الضعيف ، فشرح الله لها الصدور وملأها بالإيمان ، والهدى ، والنور — وسخرت من تهديد فرعون ، ووعيده فكتب لها الخلود الحق ، فى ضمير الدعوات الصادقة ، وكتبت لها الجنات فى اليوم العظيم .

(٧)

قصة قـــارون

وهذه قصة كاملة ، وآهلة ، وحافلة ، بشخصية مترفة ، متعة ، نسيت حق الله ، فأذاقها البلاء — كما أذعت كل الخير لنفسها ، ونسيت أن المنعم الحق ، إنما هو الله عز وجل . وهو نموذج للطبقية ، المترفعة ، المتعجرفة ، التى لا ترضخ لضمير ، والتى تتعالى على الفقراء والجماهير ، والتى تصطدم دائما بأصحاب المبادئ .

(٨)

قصة النمرود أو الذى

حاج إبراهيم فى ربه

نموذج للكفر المتعنت ، المتسلط ، المتلف ، المسلح ، معا وللعناد الجدلى المتحدى . ولعلها إشارة إلى ما يطرأ على البشرية ، من تيارات ضالة ، وأفكار سائدة ، ووساوس سلطانية ، أو شيطانية ؛ ثم هى تلقين واضح ، وقاطع للحجة الدامغة ، وللدليل القويم .

(٩)

قصة أصحاب الكهف

نموذج للاضطهاد الدينى ، ومقاومته مقاومة سلبية فى مظهرها ، إيجابية فى جوهرها ؛ ولعلها تمهيد للهجرة .

(١٠)

قصة أصحاب الأخـــدود

نموذج للصراع بين الإيمان والكفر ، بين التمسك بمبادئ الحق والتوحيد ، وبين الاضطهاد المتسلط العنيف ! — ثم هو تصوير لمقاومة المؤمنين قديما ، لهذا الاضطهاد ، مقاومة إيجابية ، فدائية . وهذه القصة تمهيد للاستشهاد فى الجهـــاد .

(١١)

موسى والعبد العالم أو موسى والخضر

هى قصة الصراع بين الشريعة والحقيقة ، بين الظاهر والباطن ، أو بين العلم الدينى ، وبين العلم اللدنى . ولعلها إيماءة إلى فلسفة التصوف ، أو إشارة الى ما يسمى باللامعقولية .

(١٢)

قصة ابني آدم أو قابيل وهابيل

هي قصة الصراع بين الخير والشر ، وبين الحق والحسد وبين الجريمة والعقاب ! وهي من القصص النفسي ، الجدلي ، الحواري ، المفاجئ ، ثم هي تمهيد لمنشأ الجريمة في التاريخ الإنساني ، وتوطئة للتشريع الجنائي ، وتأسيس لعلم النفس العقابي .

(١٣)

قصة عزير

هي نموذج حي ، وعملي ، للبعث في صورة فعلية وواقعية ، لتقرير عقيدة البعث في يوم القيامة وما يتبعها من نشور من القبور ، ووقوف في يوم مشهود وانتظار وترقب ، لساعة الفصل ولحظة الجزاء ! .. وما يترتب بعد هذا من ذهاب إلى دار النعيم ، أو انتكاس في قاع الجحيم ! — وهي تشبه في تقرير عقيدة البعث ، قصة : "أهل الكهف" وقصة "إبراهيم والطير" .

والإسلام — بهذا — يسوق كل الباحثين إلى التجريب ، لا التخريب ! .. وإلى الشك الموصل إلى اليقين ، وإلى التشكيك العضال الهدام !

(١٤)

" آزر "

نموذج لحقيقة الأصل والنسب ، وأنه نسب هكذا ، لا نسب دم ولا عصب ! .. فكما أن نوحا يتبرأ من ابنه عندما يتبين له أنه عدو لله ! ولعل هذا توجيه للرسول ، لئلا يتأثر بأقاربه ، أو يأس لعدم إيمانهم بالله ، أو لعدم موقفهم على الإسلام — وفي هذا حزم ، وحسم ، وجد ، تتطلبه الدعوات ، والرسالات ، في كثير من الأوقات !

(١٥)

ابن نوح

نموذج توضيحي ، وتشريعي ، يبين حقيقة الأهلية ، وأنها أهلية عمل ، لا أهلية وراثة وكسل !

(١٦ ، ١٧)

امرأة نوح ، وامرأة لوط

نموذجان للخيانات في كل زمان ومكان . وبيان بأن أعداء الإسلام يندسون في فراشه ، ليفسدوا خططه ، ويفشوا أسراره ، ويسيئوا لأهدافه ! وهذا درس عملي ، وتاريخي ، وواقعي ، لكل من يتصدى للزعامات والرئاسات والقيادات ، والدعوات ، ويتصدر للإصلاح والتوجيه — ولعله — أيضا — عملية للرسول ، بقصة السر في سورة التحريم .

قصة امرأة فرعون (٢)
مثل امرأة فرعون

تناول في الحراقة السابقة ، بأن الأمر كل الأمر للرجل ، أو للرجل (فالمرأة فرعون ، وقد يسبها ، في تصرفه كالذي حدثنا (وهي بطبيعة الحال الذي يعاني من الظلم .

— ١٩ —

مريم ابنة عمران

لم نستبعد ذلك أن تمثل أمر الربة ، أو تكون الرواية (كملا ٠٠٠ (٠٠٠ (نعم من بيئة طيبة وقد ، وإيمان وتقى (وهي لهذا جاءت بما يتطهر منها من طهر وطاف (ذرية بعضها من بعض (٣٤ .

وهذا أمر الرواية : (كلما دخل عليها زكريا المحراب ، وجد عندها رزقا) وهذا أمر البشرية والقربة ، بما ، من هذه الأرقة والأعمال من تلك الصنائع ، والاختصاص بخاصة لمثال ابن تيم ، وآزر ، وامرأة نوح ، وامرأة لوط ، ثم امرأة فرعون ، ومريم ، نجد أن للرواية والبشرية قوانين جارية ، تصلح أحيانا ، ولا تصلح دائما (

— ٢٠ —

مثل الرجلين في سورة الكهف

هذا المثل في مثل — وهو نموذج للحوار القصصي ، التفاعلي ، التوجيهي ، الذي يصور حقيقة الإيمان ، وأثرها في الإيمان بالله ، والقناعة بما قسم (وأن الصفاء في الفكر بالله ، والانغمار بفضائه والجحود آفاته (وفي هذا المثل فلسفة الغنى والفقر وفلسفة الإيمان والكفر ، وفلسفة التفكير والصبر .

وشكل هذا هو الأدب العالي ، في القصص القرآني فالبشارة ، وحدة والبطلان يتحاوران ، ويتجادلان .

والفكرة تصدر من البيئة ، ومن الشخصية ، ومن الموقف ثم تتفاعل وتتعقد ، ثم تتعقد تتضح (وأخيرا يأتي الختام الرهيب ، الذي يحس فيه الإنسان ، في كل زمان ومكان ، والذي يبين أن النصر دائما ، إنما هو للإيمان وأن الولاية لله الحق ، هو خير ثوابا ، وخير عقبى ((.

د. محمد البهي

قصة ابراهيم عليه السلام

من آية (٧٤) الى آية (٨٣) وبعض آية (٨٤) من سورة الأنعام

وهي من قصص الملاحظة ، والمشاهدة ، والاستقراء ، والنظر في ملكوت السموات ، والأرض ، وفيها مزج الطبيعة بالعقيدة ، وربط الكون بالله ، وهي من قصص البيئات الزراعية والأنهار الخصبة التي تأتي عن طريق التجريب .

والآية الأولى من القصة هي تسجيل الضمير الفطري ، الذي يصور استهجان تأليه الأصنام ، ومن هذا الضمير يبدأ البحث عن الحقيقة : حقيقة الخالق ، الأعظم .

ثم تأتي الآية الثانية (٧٥) ، وفيها غاية البحث ، الدائمة ، وغايته المتوقعة (وليكون من الموقنين) ، أما الآيات الثلاثة التي تلي هذه الآية من (٧٦) الى (٧٨) ، فهي طريقة البحث في ملكوت السموات والأرض وكيفية الكشف في كتاب الطبيعة ، الكبير ، الذي ينتهي بعقيدة التوحيد (اني بريء مما تشركون) والذي يبدأ بتوجيه الوجه للذي فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين ـ ٧٩/ الانعام ، ثم بعد ذلك تظهر الغاية المحققة من الكشف ، والبحث ، وهي " اليقين " ويتجلى هذا اليقين ، في الآية رقم (٨٠) ، وهي : " وحاجه قومه قال : أتحاجوني في الله ، وقد هدان ؟ ! ولا أخاف ما تشركون به ، الا أن يشاء ربي شيئا ؟ ، وسع ربي كل شيء علما .. أفلا تتذكرون ؟ " . وهو يأبى يتجاوزه الى دعوة الآخرين ، الى التذكر والتأمل ، والتبين ، والى البحث المقارن ، بين حالته الموقنة ، المطمئنة ، وبين حالتهم المشركة ، القلقة ؟ ! .

" وكيف أخاف ما أشركتم ؟ ! .. ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ؟ ! فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ؟ ! " .

ثم ينتهي هذا البحث ، المقارن ، أو الموازن ، الى الحكم اليقيني ، الذي لا لبس فيه ولا غموض : " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون " آية (٨٢) الأنعام .

* * *

وهذا الحكم هو الحجة التي آتاها الله ابراهيم على قومه ، وذلك راجع الى رفعة درجاته ، والى حكمة الله وعلمه . هذا العلم التجريبي ، والذوقي ، والتلقيني ، وتلك الحكمة التي تعصم الحكيم من الخطأ ، وتدلع عليه سمت الحجة . ثم هي حكمة ممتدة ، تصل ابراهيم بولده : اسحاق ويعقوب ، وقد هدى الله كلا منهما .

تصور هذه القصة ـ كما قلت ـ الآيات من رقم (٧٤) الى بعض آية (٨٤) من سورة الأنعام .

* * *

ثم تأتي ـ بعد ذلك ـ : تلميحات بالرسل والأنبياء عليهم السلام .

وفي بقية آية (٨٤) ، وفي آيتي (٨٥) و (٨٦) الأنعام ثم في آية (٨٧) تلميحات تفصيلية ، وأولئك من اجتباهم الله ، وهداهم . ثم في آية (٨٨) وآية (٨٩) وآية (٩٠) ـ أمثلة لهم ، ومن اقتدى بهم ، وهذه هي الآيات : " ووهبنا له من قبل ـ ومن ذريته داود ، وسليمان ، وأيوب ، ويوسف ، وموسى ، وهارون ـ وكذلك نجزي المحسنين ـ

زكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وإلياس — كل من الصالحين — وإسماعيل ، واليسع ، ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين — ومن آبائهم ، وذرياتهم ، وإخوانهم — واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم — ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده — ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون — أولئك الذين آتيناهم الكتاب ، والحكم ، والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء ، فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . — أولئك الذين هدى الله — فبهداهم اقتده — قل : لا أسألكم عليه أجرا — إن هو إلا ذكرى للعالمين " . من آية (٨٤) إلى آية (٩٠) من سورة الأنعام .

وفي أول السورة إشارة إلى دلائل التوحيد ، وأمارات الأكوان ، الموصلة إلى الإيمان : " الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون " .

وقد استفاد إبراهيم عليه السلام ، في قصته من ملكوت السموات ، والأرض ، كما رأيتا . كما استفاد من الظلمات والنور ، في الليل لما رأى كوكبا ، ولما رأى القمر بازغا . وفي الصبح لما رأى الشمس بازغة ، على نحو ما تبينه تلك القصة من سورة الأنعام ، هذه . وقد صرح أخيرا بالتوحيد ، إذ قال : " إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين " .

* * *

— على أن القصة تشير إلى روح الحجاج التي تسود ، القصة ، فيما بعد : " وحاجه قومه ، قال أتحاجوني في الله ، وقد هدان ؟ "

وهذا الحجاج ينتظم سورة الأنعام " من أولها ، إلى آخرها . ومن ثم كان فيها الجانب الخطابي — واضحا وبينا ، وهو المسيطر عليه أحيانا ، بـ " قل " . والذي جعل روح الحجاج ، هو المسيطر على السورة ، إعراض الكافرين المستمر ، واستهزاؤهم المتصل ، مما تؤيده هاتان الآيتان : " وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنه معرضين ، فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ، فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون " . آيتا (٤) ، (٥) من سورة الأنعام .

ومن ثم جاء عقب آيتي الإعراض ، والاستهزاء آية الذين كفروا — الأولى — :

لمحة إهلاك القرون المذنبة

وهي : " ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم ، من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ، وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ، فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ؟ " . آية (٦) من سورة الأنعام . ثم تصور اعتراضهم القوي ، هذه الآية : " ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم — لقال الذين كفروا : إن هذا إلا سحر مبين " آية (٧) — الأنعام .

كما تكشف استنكار الرسول رجلا ، لا ملكا ، عاطفة الآيتين : " وقالوا : لولا أنزل عليه ملك ؟ ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا ، لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون " ٨ ، ٩ / الأنعام .

* * *

وإذا كانت هذه الآيات تبين حجة الكفار ، وتسجل اعتراض المكذبين فالآية التاسعة تبين عاقبة المستهزئين السابقين : " ولقد استهزئ برسل من قبلك ، فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون " . ثم تأتي بعد ذلك الحلقات التي تصور روح السورة ، القسم على منطق الحجاج ، وعلى الحجج والبراهين ، وما يتصل بجوهر القصة : قصة إبراهيم ، وما يتصل بظهورها ، وأسلوبها . فمن ذلك هذا السؤال وهذا الجواب : " قل : لمن ما في السموات والأرض ؟ قل : لله . " ، وما يتصل به حجاج إبراهيم في قصته . هذا الحجاج الملقى من الرسول محمد ، وله عليهما السلام : " قل : أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض ؟ وهو يطعم ولا يطعم ؟ ! ، قل : إني أمرت أن أكون أول من أسلم ، ولا تكونن من المشركين " آية (١٤) / الأنعام .

* * *

ثم يتضح كل من عقيدة إبراهيم ، وعقيدة محمد - عليهما السلام ، في آخر السورة : " قل : إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ، دينا ، قيما ، ملة إبراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين ، قل : إن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي لله رب العالمين - لا شريك له ... ! وبذلك أمرت .. ! .. وأنا أول المسلمين . قل : أغير الله أبغي ربا ، وهو رب كل شيء " من آية (١٦١) إلى آية (١٦٤) سورة الأنعام .

* * *

كما تتصل برفع الله درجات من يشاء - هذه الآية الأخيرة ، من سورة الأنعام (١٦٥) : " وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم "

* * *

وإذن فروح الحجاج والمجادلة في السورة قد نضحت حجاجها وحججها على بقية القصة وأسلوبها ، وسياقها ، وما حقق جانبي التأثر ، والتأثير فيمن السورة وقصتها ، وما حققته الوحدات الفنية ، والأسلوبية والبيانية ، والفكرية والعقيدية فيمن القصة وسورتها التي احتوتها ، وما حقق ظاهرة النظم المعجز ، في القرآن عامة ، وفي قصصه خاصة .

* * *

وإذا كانت روح الحجاج ، هي المنظمة لآيات القصة والسورة فإن حالة الرسول في السورة وقصتها يغلب عليها الحزن بالذي يقولون : " قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون " . وإذا يأتي بعد هذه الآية الكريمة حزن الرسول ، آية تسلية مكررة تبين تكذيب الرسل ، قبل الرسول وتبشره بانتهائهم نصر الله بعد ما صبروا على ما كذبوا ، وأوذوا : " ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا ، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين " آية ٣٤ / الأنعام .

* * *

وهذا تلخيص يقتضي المرسلين ، وأنبيائهم ، التي مر ذكرها ، وعرف أمرها .

(٦)

ويدل هذا الفارق الكبير بين هذه الحكاية والتي تليها هذه الآية : "ولقد جاءك من نبأ المرسلين" ، يشير الى قصص ما قبل الدعوة الجهرية ، التي أنتهت في نهاية سورة الحجر التي سبقت سورة الأنعام هذه . كما يفيد دخول القصص القرآني ، في مرحلة جديدة ، تتطلب منا تفسيرا عمليا ومنهجيا في القصة قد يختلف عن المنهج السابق على قصص ما قبل الدعوة الجهرية .

* * *

ومن ثم نستطيع أن نقسم القصص القرآني - بحسب ترتيب نزوله - ما أمكن - الى قسمين رئيسيين : ١ - القسم القصصي المكي ، ٢ - القسم القصصي المدني .

وأن قسم القصص المكي تلك فترات : أ - فترة التمهيد للدعوة .

ب - فترة الدعوة السرية ، جـ - فترة الدعوة الجهرية .

* * *

وقد شملت فترة التمهيد للدعوة ، خمس سور ، وهي :

١ - سورة الفاتحة .
٢ - سورة العلق .
٣ - سورة القلم .
٤ - سورة المزمل .
٥ - سورة المدثر .

وقد حللت هذه الفترة ، بدقة في هذه السور الخمسة في رسالتي التحليلية : "علم القصص القرآني" ، التي تجاوزت ألف صفحة ، من القطع الكبير .

* * *

ثم في رسالتي هذه "نظام الجمل في القصص القرآني" ، قمت بحصر كل الجمل القصصية في القرآن ، من أوله الى آخره ، حتى قاربت صفحات الرسالة ألفي صفحة ، من القطع الكبير وقد جمعت في دراستي هذه ، بين أدب البلاغات ، وبين ظاهرة النظم البلاغي ، وبين التحليل النفسي ، والتحليل الفني ، والتصميم الفني . ما حققته بعد اعجاز القصص القرآني ، من الوجهة العلمية البلاغية ومن الوجهة الأدبية النظرية ، ومن الوجهة الفنية التطبيقية ، ثم من وجهة الوجهات : التحقيقية . وقد شملت فترة الدعوة السرية من السور التي بعد هذه السور الخمسة الى سورة الحجر التي جاءت قبل سورة الأنعام هذه - في النزول ، وان تأخرت عنها في الوجود القرآني ، أو الكتابي في المصحف الكريم .

ثم تشمل فترة الدعوة الجهرية من نهاية سورة الحجر من قوله سبحانه : "فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين" ، ومن بداية سورة الأنعام ، هذه ، الى آخر فترة القصص المكي ، وأول فترة القصص المدني . ويشمل المرحلتان : فترة الدعوة السرية ، وفترة الدعوة الجهرية ، جميعا الجزء الأكبر من القسم القصصي المدني الذي يتصل بنظام الجمل - قد اشتملت على هذه الفترات الثلاث أو الأقسام الثلاثة في هذه الرسالة : "نظام الجمل في القصص القرآني" على أن في - الى جانب هاتين الرسالتين - كتابا آخر من مجلد واحد أسميته "دليل الباحثين الى القصص القرآني" قد عرفت به بأنواع القصة القرآنية ، التي بلغت عشرين نوعا . كما عرفت بأهداف القصص القرآني ،

التي يلفت سيرون حدثا . وتحدثه باحصاء يكاد يكون علما . يشير الى الآيات القرآنية التي تتصل بتلك الأنواع السبعين .

* * *

وبعد هذه الفاصلة أصل ، وأساس الخاصة ، يتضح قصص الرسلين ، وأبائهم مكما سيرهم سورة الأنعام ، هذه . لنجد أن حوالي الرسل الذين كذبوا من قبل الرسول ، صبروا على ما كذبوا ، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، قد ذكرت أساوعهم ، في لمحات الأنبياء والمرسلين ، عقب قصة ابراهيم على نحو ما بينا ، في الآيات التي تقع بين آية (٨٤) ، (٩٠) من هذه السورة .

وقد رأينا أن أولئك هم الذين أتاهم الله الكتاب والحكم ، والنبوة ، وأن أولئك هم الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده " ، على أن منهج القرآن ، في سورة الأنعام ، وفي قصة إبراهيم فيها ـ عليه السلام ، قد اتخذ السمت الحجاجي ، الاستدلالي ، الفكري ، الكلامي ، الاستقرائي ، الطبيعي .

وقد رأينا ـ آخر السورة ـ كيف أن الدين الاسلامي هو الصراط المستقيم ، وهو الدين القيم وملة إبراهيم حنيفا ، مما يتبين آخر القصص القرآني ، في تكوين العقيدة الإسلامية ، وفي تأكيد المفارقات الدينية ، وفي وصل الآيات بعضها ببعض ، كما رأينا وصل الاسلام بملة إبراهيم عليه السلام ، وكما رأينا من قبل وصل الاسلام ، بدين نوح عليه السلام . ولعلنا ما زلنا نذكر أن نوحا كان يأمل لقومه ، كما جاء في نبئه بسورة يونس ـ " وأمرت أن أكون من المسلمين " .

وإذا كان نوح قد أمر أن يكون من المسلمين ، فان محمدا عليه السلام ـ وهو آخر الأنبياء والمرسلين ـ قد أعلن : " وأنا أول المسلمين " . ومن ثم فان هذا ، وفي السورة الآتية ، بعد سورة الأنعام مباشرة ـ مجالا خصبا للدراسة ، بين قصة ابراهيم عليه السلام ، في سورة الأنعام وبين قصصه في سور : هود ، وابراهيم والحجر ، والشعراء ، والصافات ، التي تأتي بعد هذه السورة : سورة الأنعام . والبقرة التي ترد في القصص المدني ، لصورة ابراهيم القرآن ، في كل قصة ، من هذه القصص التي اتجهت الشخصية نحوها ، وإن اختلفت كل واحدة منهن عن الأخرى في نظمها وفي جوها وفي أسلوبها ، وفي تكوينها وفي أهدافها وفي توقيعها الموسيقي ، وفي مدى تفاعلها مع أحداثها المتصلة بها ، ومع أشخاصها المتفاعلين معها ، ومع سياقها الذي وضعت فيه ، ثم مع سورتها التي ضمتها واحتوتها . مما نهتم به هذه الدراسات الموازنة ، وبما يحتل أهمية نظرية النظم المعجز ، في القصص القرآني ، وهذه الخطوة بما استوقتها به ، وبكتابها عليه ، من أهم النظريات العلمية ، والأدبية ، والفنية ، التي تتجه لإبراز القصة القرآنية .

* * *

على أنه يمكن أن نجمع خصائص السور التي وردت في قولنا : تمهيد السورة الاسلامية وخاتمة السورة ، وخصائص قصص الفاتحين ، الذين سبقوا سورة الأنعام هذه .

يمكن جمع هذا الخصائص ، في هذه الوصايا العشر التي جمعها هذا الخاتم للقول ، في سورة الأنعام ، التي تعد بداية الدعوة الجهرية : " قل : تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا

الفواحش ما ظهر منها وما بطن • ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق • ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون •

■ ■ ■

– ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن • حتى يبلغ أشدّه • وأوفوا الكيل والميزان بالقسط • لا نكلف نفساً إلا وسعها • وإذا قلتم فاعدلوا • ولو كان ذا قربى • وبعهد الله أوفوا • ذلكم وصّاكم به لعلكم تذكرون • وأن هذا صراطي مستقيماً • فاتبعوه • ولا تتبعوا السبل • فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون " • من آية (١٥١) إلى آية (١٥٣) من سورة الأنعام •

■ ■ ■

وهذه التوصيات والتلقينات • تحتاج إلى دراسة خاصة • مستقلة • وإلى مراسة طبق مواردها بعضها وبين شبائها من التوصيات والتلقينات في سور أخرى • كسورة الإسراء • وكسورة الفرقان وكسورة الشورى • وما إليها لمعرفة وجوه الاتفاق بين كل مجموعة من الوصايا في سورة أخرى • وهو موضوع طريف • يتصل بعلوم شتى • كعلم اللغة • وعلم التوجيه • وعلم التفسير • وعلم البلاغة • وفن الوصايا في الأدب • وعلم النفس المقارن • وما إلى ذلك كله • من مختلف الثقافات • وعديد العلوم والآداب ••

■ ■ ■

الدكتور محمد محمد بدير

ف ٤

سورة المؤمن "غافر"

جو هذه السورة ، الهدف :

" تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول ، لا إله إلا هو ، إليه المصير " .

* * *

جو الأسلوب في السورة :

" ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ، فلا يغررك تقلبهم في البلاد " ٤ / غافر

" إن الذين يجادلون في آيات الله ، بغير سلطان أتاهم ، إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه " ٥٦ / غافر

لهجة التكذيب للرسل :

" كذبت قبلهم قوم نوح ، والأحزاب من بعدهم ، وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فأخذتهم ! ... فكيف كان عقاب ؟

" وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار " ٦ من سورة غافر .

* * *

ففي هذه اللهجة جانب التكذيب ، وجانب الإيذاء والاعتداء ، ثم سمة الجدل "السفسطائي" المغرب بالباطل ، ليزلوا الحق .

ثم فيه جانب الانتقام من هؤلاء المكذبين المعتدين وهو انتقام في الدنيا وعذاب في الآخرة .

* * *

قصة موسى وآل فرعون

من آية (٢٣) إلى آية (٤٥) من سورة غافر ، ولهذه القصة مدخل ، وخاتمة موجبة من آية (٢٣) إلى آية (٢٧) :

(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ، وسلطان مبين إلى فرعون ، وهامان وقارون ، فقالوا : ساحر كذاب ، فلما جاءهم بالحق من عندنا ، قالوا : اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ، وما كيد الكافرين إلا في ضلال)

وهذه بداية عامة عرفت فيها الشخصيات : موسى الرسول — ثم فرعون وهامان ، وقارون كما تسمت فيها الأحداث ، والأشياء : إرسال الله موسى بآياته ، وسلطان مبين ، مجيئه بالحق من عند الله ، قول أولئك الطواغيت : فرعون ، وهامان ، وقارون : " اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه ، واستحيوا نساءهم " .

ثم هذه بداية لقصة مؤمن آل فرعون ، بداية خاصة : " وقال فرعون : ذروني أقتل موسى ، وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ، وقال موسى : إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب " .

* * *

ومن هذه البداية الخاصة ، تبدأ القصة الحقيقية : قصة مؤمن آل فرعون ، وأولها آية (٢٨)

(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه • أتقتلون رجلا أن يقول : ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ ! وإن يك كاذبا • فعليه كذبه ! وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) •

* * *

وهنا إثارة خطابية • تتضمن براهين منطقية وجدلية ثم هنا حكمة تصدق بها الحجج •

إن الله لا يهدي من هو مسرف في طغيانه وتكذيبه • لأنه لم يرد به استعداد للهداية والإرشاد • (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض ! فمن ينصرنا من بأس الله • إن جاءنا ؟) •

وهنا سؤال نابع من البيئة فهو يقدم لسؤاله هذا بتقرير أن الملك اليوم لهم • وأنهم ظاهرون ومنتصرون في الأرض • لكن من ينصرنا وإياهم من بأس الله • إن جاءنا ؟ •

وهنا تتكشف شخصية فرعون ويستخدي سلطانه وأمام منطق هذا المؤمن • القوي • قال فرعون : ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد " • فبعد أن كان يهدد ويتوعد : " فروني أقتل موسى • وليدع ربه " • بعد أن كان يقول • ويتوعد : (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) أصبح يظهر في ثوب الناصح الأمين • قائلا : (ما أريكم إلا ما أرى • وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) •

* * *

وهنا يظهر الوصل المحكم بين جملته هذه وجملته التي قبلها • وكأنهما جملة واحدة • تبدو الثانية بديعة للأولى • أو مكملة • أو موكدة • ولم ينتصبوا بعضهما ويعتبر الا كلام مؤمن آل فرعون هنا مظهر عنصرية المؤمن • التي كشفت عن شخصية فرعون • (وقال الذي آمن : يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب • مثل دأب قوم نوح • وعاد • وثمود والذين من بعدهم • وما الله يريد ظلما للعباد) •

* * *

وهنا تظهر حكمة المؤمن وعلمه وثقافته التاريخية • وقد بدأ يستغل الأحداث التاريخية والنكبات الكبرى والمهلكات الخطيرة • في التحذير منها • وفي الابتعاد عنها • وهذه الثقافة — وهذا — لمحة تصدق قوية تكشفها في سياق هذه القصة هذا الرجل المؤمن • وتبدو يد الله تستغل المؤمن الواعي • في إظهار مخاوفه لقومه • وخوفه عليهم وحرصه على مصلحتهم ومنفعتهم •

كما أنه — بعد — ألمام بالتاريخ • وبالأحداث والأنباء • يستغل بعضها في موعظة قومه في صورة تهديدهم هنا :

(يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد • يوم تولون مدبرين • ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله • فما له من هاد) •

وهناك أسلوب الرجل • المؤمن يتجلى في نهاية الفكر والاعتبار بما يأخذ منه التحليل أو التعليل • أو التذليل • (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب • وما الله يريد ظلما للعباد • ومن يضلل الله • فما له من هاد) • فيوجه الرجل لمحة يوسف الذي جاءكم بالبينات • وقد حذروا أن لن يبعث الله من بعده رسولا • (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك

ما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم : لن يبعث الله من بعده رسولا) .

* * *

ثم يأتي التعليل ، أو التدليل : (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ، الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله ، وعند الذين آمنوا) . وعلل المعتدي ختم الآية : (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) .

* * *

ويظهر التكبر والجبار في وهو فرعون : (وقال فرعون : يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب : أسباب السموات ، فأطلع إلى إله موسى ، وإني لأظنه كاذبا) .

ثم يأتي التعقيب الإلهي ، على قرار ختام الكلام الذي قاله مؤمن آل فرعون : (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ، وما كيد فرعون إلا في تباب) .

* * *

وتأتي مؤمن آل فرعون تحدى فرعون مرتعدة وجد آل آله وسياراتهم وسلك سبيل الراشدين بالحسنى ، المؤثرين جانب الحكمة والعقل ، على الغلظة والجهالة : (وقال الذي آمن : يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هي دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن .. فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) . ثم يطرح عليهم أسئلة المواجهة بين موقفه منهم ، وبين موقفهم منه ، وبين دعوته إياهم ، وبين دعوتهم إياه : (يا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ؟ تدعونني لأكفر بالله ، وأشرك به ما ليس لي به علم ؟ وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ؟ لا جرم أنما تدعونني إليه ، ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ، وأن مردنا إلى الله ، وأن المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمري إلى الله ، إن الله بصير بالعباد) .

وحتى هنا انتهى كلام مؤمن آل فرعون والذي يشبه الخطبة الواعظة الناصحة طويلا ومرتجلا ارتجالا ، وأحسب أن آل فرعون هموا به ليأخذوه بعد أن جاء لهم بالحجج ، وبدلوه بالباطل ليمحضوا به الحق ، ولكن الله ذا الطول قد نجاه منهم ومكائدهم ، وقد أحاط آل فرعون خبلا وأجلا ، (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب) .

* * *

ثم يظهر سوء العذاب ، وهو : (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) ، ويعلل هذا هو عذاب القبر ، الذي أعد لهم ، كما أعد لأمثالهم بدليل ما بعده : (ويوم تقوم الساعة : أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) .

وهنا تنتهي قصة " مؤمن آل فرعون " التي جاءت بين : " إرسال موسى بآيات الله وسلطان مبين " ، وبين إتيان موسى الهدى وإيراث بني إسرائيل الكتاب ، فقصة " مؤمن آل فرعون " ذاتها — قصة مستقلة ، تنتهي بهذه الآية (٤٦) ، وهي : " ويوم تقوم الساعة : أدخلوا آل فرعون أشد العذاب " .

ثم هي — بالنظر لقصة موسى ، في آية (٢٣) ، وقصة موسى في آية (٥٢) — جاءت بين بدء آية القصة هناك ، وبين نهاية القصة ، هنا .

قصة

— على أن نهاية قصة " مؤمن آل فرعون " في آية (٤٦) فيام الساعة — كانت بداية وتمهيداً لقصة حجاج آل فرعون في النار " من آية (٤٧) إلى آية (٥٢) من سورة المؤمن " غافر " وهذه هي : قصة حجاج آل فرعون في النار " وإذ يتحاجون في النار ، فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً ، فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ؟ ! ، قال الذين استكبروا : إنا كل فيها ، إن الله قد حكم بين العباد ، وقال الذين في النار لخزنة جهنم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ، قالوا : أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ، قالوا : بلى ! قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) .

ثم يظهر المخرج ، بعد قصة الحجاج ، هذه : (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء الدار) .

— وقصة " حجاج أهل النار " في سورة المؤمن " غافر " بقصة " أقوال المستضعفين والمستكبرين في النار " تلك التي مرت في سورة سبأ : كما تذكرنا بـ " قصة تخاصم أهل النار " في سورة ص . وقصة " تحاور أصحاب النار " في الأعراف . وبقصة " يوم الفصل " في سورة المرسلات . وهذه القصص الخمسة — كما سبق أن أشرت — جديرة بالموازنات التحليلية ، والتحليلات الموازنية بما يظهر معه خصائص كل قصة ، وملامحها ، ومميزاتها ، وفروقها اللغوية ، والبلاغية ، والفنية والجمالية التي دقت ولطفت ، وكادت لا ترى أو تحس ، للطفها ، وخفائها ، وبعدها عن النظرة العجلى ، والفكرة اليسيرة ! .

ثم بعد ظهور المخرج من انتصار مؤمن آل فرعون ، ونجاته منهم — كما أشارت إليه آية النصر في ختام قصة الحجاج — تأتي نهاية قصة موسى ، أو حكايته التي حصرت قصة مؤمن آل فرعون ، بين بدئها هناك ، وبين ختامها هنا .

ثم هذه هي النهاية : (ولقد آتينا موسى الهدى ، وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب) .

ثم يبدو حصاد القصة كلها ، أو حصاد هذه القصص الثلاثة : قصة موسى ، وقصة المؤمن ، وقصة الحجاج ، في هذه الآية (فاصبر إن وعد الله حق ، واستغفر لذنبك ، وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار) .

وهذه الوصية الرسول من الصبر ، والاستغفار ، والتسبيح والتحميد — عقب كل قصة ، في كثير من السور — وهذه كثير ، ومستفيض وشهير !

وإذا عرفنا أن روح السورة الأساسي هو الجدال والحجاج ، كما بدا في قصة مؤمن آل فرعون ، فإن الآية التي تلت آية الحصاد ، هذه — تبين أي نوع من الجدل السفطي لاجأ إليه أولئك الذين استكبروا ، فهو جدل — في آيات الله — بغير حجة أو بيان ، وبغير دليل أو سلطان ، وبغير الكبر الذي ملأ صدورهم والشر الذي أضمرته خطاطيفهم : (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ، إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) فماذا كان الأمر كذلك ؟ : (فاستعذ بالله ، إنه هو السميع البصير) .

وهؤلاء المجادلون في آيات الله ، هم الذين استكبروا عن عبادة الله ، سيدخلهم جهنم داخرين ، أذلاء صاغرين : (إن الذين يستكبرون عن عبادتي ، سيدخلون جهنم داخرين) آية (٦٠) من سورة المؤمن " غافر " .

ثم بعد هذه الآية التي تليها آيات قبلها تبين علة هؤلاء المستكبرين : " ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله : أنى يصرفون ؟ الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ، إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون " . وفي المقابل : (كذلك يضل الله الكافرين ! ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ! ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين " .

ثم تأتي لمحة القصص مرة أخرى ، في سورة أخرى : (فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون " .

ثم تأتي " لمحة قصص الرسل .. : " ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ، وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ، فإذا جاء أمر الله قضي بالحق ، وخسر هنالك المبطلون " .

وهذه اللمحة مكملة للمحة الرسل والأنبياء ، في سورة الأنعام ، كما تكمل لمحة الرسل والأنبياء ، في سورة النساء . ثم من حيث خسران المبطلين ـ تأتي الآيات في ختام السورة توضح مراحل هذا الخسران ، بعد ذكر آية " السير " أو لمحة الرحلات ، التي ذكرت في آيتي ٢١ ، ٢٢ من سورة المؤمن " غافر " ، كما ذكرت قبل ختام السورة ، من آية (٨٢) ، وما بعدها " لماذا

ـ وهاأنذا أكتبها وفق ترتيبها في السورة تحت عنوان :

" لمحة الرحلات "

(أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ؟ كانوا هم أشد منهم قوة ، وأثاروا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق ، ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ، فكفروا ، فأخذهم الله ، إنه قوي شديد العقاب "

آيتا (٢١) ، (٢٢) من سورة المؤمن " غافر " .

ثم توضحها " لمحة الرحلات " في آخر السورة مع شيء من التفصيل والتعليل ، بعد لمحة الرحلات التي ذكرتها الآن معتمدة على التركيز والتعليل : (أفلم يسيروا في الأرض ، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ ! كانوا أكثر منهم ، وأشد قوة وآثارا في الأرض ، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ! (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات ، فرحوا بما عندهم من العلم ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) . (فلما رأوا بأسنا قالوا : آمنا بالله وحده ، وكفرنا بما كنا به مشركين ، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده ، وخسر هنالك الكافرون) .

وهذه اللمحة تفصيلية وتحليلية ، بالنسبة الى تلك اللمحة الموجزة ، التحليلية وهما جديران بالموازنة .

في مطلع السورة اشارة الى قصة فرعون ، وقوله ، في سورة يونس ، مورد الله ايـاه وهم قومه منه ، وهي من سنة الله التي قد خلت في عباده ، على أن في سورة المؤمن " غافر " لمحة الخلق والموت .

(هو الذي خلقكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ثم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون) .

(هو الذي يحيي ويميت ، فاذا قضى أمرا ، فانما يقول له : كن " فيكون ") .

* * *

ولعل من أهم ما تهدف اليه قصص ولمحات سورة المؤمن " غافر " — تقرير هذه الحقائق ، وتحقيق هذه التلقينات :

(هو الحي لا اله الا هو ، فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين) .

(قل : اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي ، وأمرت أن أسلم لرب العالمين) .

(الشيخ محمد الغزالي)

الفصل الخامس

الدكتور محمد محمد أبو الغار

(١) نماذج قرآنية

دراسة تحليلية

يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم :

(ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز ، مشاء بنميم ، مناع للخير ، معتد ، أثيم عتل ، بعد ذلك زنيم ، أن كان ذا مال وبنين ، اذا تتلى عليه آياتنا قال : أساطير الأولين) من آية (١٠) الى آية (١٥) من سورة القلم

هذه النماذج تبين سمات بعض الأشرار ، الكاذبين من الكفار ، بل انه تتكون أمام أعيننا وأسماعنا صور كثير من الملاحدة ، والطاعنين فى القرآن الحكيم ، فى نسبته الى الله ، أو فى حقيته وفحواه ، أو فى حقيقته ، ومغزاه ، سواء بالطعن الأهوج الذى لا يقوم على أساس ، أم بالتجريح الأحمق الذى لا يسانده مقياس ، أم بالتشكيك فيه ، والسخرية منه ، والشك فى نسبته الى الله رب العالمين .

وصور هؤلاء الأشرار من الملاحدة والكفار ، تجمعت كلها فى هذا النموذج الحافل الآهل .. الحافل بالنقائص الخلقية ، الآهل بالعيوب الخلقية ، تشاهد من هذه النماذج سلبية هذا الحلاف المهين ، فى منعه الخير ، وايجابيته فى الشر ، المتمثلة فى اعتدائه ، وآثامه ، ثم نسمع سخريته من القرآن ، وشكه ، أو تشكيكه فيه .

وأخيرا يأتى هذا التعقيب المهين : (سنسمه على الخرطوم)

وهو ختام حاسم قاطع ، فى صورة ساخرة زاجرة ، تسمه بالخزى ، وتدفعه بالهوان .

فهذه النماذج قد رسمت سمات المجرمين فى كل زمان ومكان ، وكأنها صورت ملامحهم ، بحيث تعرف سماتهم وصفاتهم ، وتبصر شياتهم وهيئاتهم ، حتى لا تخدع بهم ، ولا نصدق يمينهم ولا أقسامهم ، وكى لا نغتر بأموالهم ولا أولادهم .

ثم هذه الصورة عكست صورة أخرى مضادة لها ، هذه الصورة الأخرى هى صورة خلق الرسول الكريم ، حين يخاطبه الله جل شأنه :

(وانك لعلى خلق عظيم)

— ٢ —

وحين نتأمل قصة ذلك الحلاف المهين ، نجدها جمعت من الصفات الرذيلة والسمات القبيحة ، صفات لها دلالات نفسية ، وعقد طبيعية ، فقد وصفته بأنه : حلاف ، مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير ، معتد ، أثيم ، عتل ، بعد ذلك زنيم ، يدعى أن القرآن أساطير الأولين .

فهو كثير الحلف ، لأنه لا يثق بنفسه ، أو لا يعتقد أن أحدا يثق به ، ولعل مرجع هذا إلى ما يمكن تسميته " بعقدة فقد الثقة " .

وهو مهين ، حقير ، يتصرف تصرفات وضيعة ، ويأتى أشياء خسية ، شعورا منه بوضاعة أصله ، ورذالة منبته ، ولعل مرد هذا إلى ما يسمى : " عقدة الضعة " .

وهو — مع ذلك — همّاز ، كثير الهمز ، واللمز ، عياب ، ساخر ، يستخف بالناس ، ويسخر منهم ، يتهكم بالشرفاء ، ويسخر من الأحرار ، ويقذف هذا بفرية ، ويرمى ذاك بانتقاص ، تحركه فى ذلك " عقدة الإسقاط " ثم هو مشاء بنميم ، ينقل الأخبار على وجه الإفساد بين العباد ، ويسعر الفتن والإحن ، فى العشائر والبلاد ، ويقطع ما بين الناس من مودات وصلات ، لفساد جبلته ، وسوء طويته ، وسفاهة نيته ، وحبه الشر ، وميله إلى الكفر ، تصرفه فى ذلك كله " نزعة التخريب " و " شهوة الإفساد " و " لذة الانتقام " .

وهو — إلى ذلك — مناع للخير ، يمنع الغير من فعل الخير ، وينهى نفسه عن تقديم العون ، وتيسير البر ، لأنه ذو طبيعة شحيحة ، وغريزة ، حريصة ، تتحكم فيه " نزعة البخل " أو " غريزة الخوف " الخوف من فقر مقدر ، أو عسر متصور — وهذه سلبية مقيتة فى الخير ، تقابل إيجابيته الكريهة فى الشر .

* * *

وليته يقف عند هذا ، فيكف أذاه عن الآخرين .. إذن لهان الخطب ، وخف المصاب ، ولكنه — مع ذلك كله — معتد ، يعتدى على الأبرياء ، كما يعتدى على الأقوياء ، وينتهك الحرمات ويقترف المحرمات ، لأن غريزته قائمة على الظلم — وهذا سلوك ذميم ، وخلق ذميم !

ثم إنه أثيم ، كثير الآثام ، فكما أن علاقته بالناس ، قائمة على الإفساد والاعتداء — نجد علاقته بالله قائمة على الآثام ، واقتراف الحرام ، وكأن الإثم قطعة منه ، لا ينفك عنه ، وكأنه طبيعة فيه ، تتحكم فى كل ما يأتيه !

وهو عتل ، فظ ، غليظ ، كافر بالله ، شديد على عباد الله ، لا يستمع إلى نصح ، ولا يصيخ إلى وعظ ، ولا يأتمر بأمر ، ولا ينتهى عن نهى . وهيئته الخلقية لا تنم عن خير وتركيبه الجسمى لا ينبىء عن نبل ، فكأنه قد سمن من كثرة الاعتداء ، وقد ضخم من أكله حقوق الضعفاء وهو جدير بتحليله على ضوء " علم وظائف الأعضاء " .

— ٣ —

واليكم هذه الشخصيات ، وسأبدأ بشخصية الحلاف ، ثم بسائر الشخصيات فى الأحاديث القادمة .

الدكتور محمد محمد لقمة

١ — شخصية الحلاف :

وشخصية الحلاف شخصية توضع موضع دراسة متنوعة ، اجتماعية كشخصية المزواج المطلاق اقتصادية كشخصية التاجر الغاش ، أو التاجر الجشع أو التاجر الكاذب أو التاجر المفلس وكشخصية السمسار المضلل ، وشخصية العاطل أو المعطل ...

أو دراسة نفسية ، كشخصية الحلاف الذى يقسم بداع ، وبدون داع .. !

والذى يشهد زورا دون أن يطلب أجرا نظير زوره وتضليله !

والذى يقسم فى التافه والحقير ، ولا يقسم فى الجليل والخطير .. !

والذى يقسم حين لا يطلب منه إقسام ، ويهرب من اليمين حين تطلب منه اليمين .

والذى يحلف على أن لا يصدق فى قسم ، ليهرب من نار ، أو كفارة ، أو صوم ، أو ما إلى ذلك .

والذى يجامل الناس بالصدق الكاذب ، ويحارب الله بالكذب المقنع .

والذى يصدر كلامه الخاطىء ، أو رأيه المخطىء ، بيمين يكذب فيها ويمين .

والذى يوهمك أنه يقسم ، فلا يقسم .

والذى يحلف بالله كذبا ، ولا يحلف بالنعمة كذبا .

والذى يحلف بالله كذبا ، ثم لا يحلف بالطلاق أبدا .

والذى يحلف بما لا ينبغى أن يحلف به من أشياء ، وأشخاص .

والذى يأتى بالمقسم به ، ويترك المقسم عليه .

والذى يحلف بيمين الظهار مثلا ، وهو يعرف خطورته ، وتبعته وصعوبته .. وهكذا .. !

كل هذا ، وغير هذا ، قد أثارته كلمة (كل) ، فى قوله سبحانه : (كل حلاف) .

وكلمة (حلاف) بصيغة المبالغة ، هذه — أثارت فى ذهنى ، وخاطرى كل تلك الصور ، — ولعلنا بعد التروى ، والتأنى — نستطيع أن نأتى بأكثر من هذه الصور والألوان ، فى الأقسام والأيمان .

ففى كل صورة من تلك الصور التى أربت على العشرين — فكرة لقصة كاملة ، أو شخصية لرواية مستقلة ، أو نموذج لمسرحية كبيرة ، ذات فصول وفصول ...

وهذا من إيحاء لفظة (حلاف) الدالة على المبالغة فى المظهر ، والجوهر .

وهى إيماءة لغوية من إيماءات الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم ...

(٢) نماذج قرآنية

حول قوله سبحانه : (ولا تطع كل حلاف مهين)

دراسة تحليلية ، اجتماعية ، ونفسية

الدكتور محمد محمد بقاري

ولا تطع ـ هنا وصل لجملة ،لاتطع ـ بما قبلها (فلاتطع المكذبين) ، والأداة التي قامت بهذا الوصل : الواو العاطفة التي ربطت هذه الجملة بما قبلها ثم بين الجملتين من الترابط المعنوى ،والتشابه الهدفي فيما يؤيد هذا الوصل ، ويعضد ذلك العطف ، فهناك نهى عن اطاعة المكذبين ،وهنا نهى عن اطاعة كل حلاف مهين ـ وهناك تعليل وتحليل للنهى عن اطاعتهم بأنهم ودوا لو تدهن ، فيدهنون فهم ودوا أن ينافق الرسول مثلهم ، فهم مشركون منافقون ، فالادهان يدور حول النفاق ،وترك المناصحة ، واجتناب الصدق ، والجنوح الى التكذيب ـ على أن الادهان يعطينا عليةكبيرة من تغطية المستور ، بالمرئى المنظور ، ومن اخفاء ما في الصدور ، واظهار غير ما بالنفوس على الوجوه ، فهذه صور في كلمة ، ومناظر في لفظة ،وايجاز ومجاز ، فيه تحليل ،وفيه تدليل ، وفيه تعليل ،مما يسوغ نهى هؤلاء المكذبين ،من الكافرين ، أو من المنافقين ـ وفي هذا التسويغ تثبيت وتأييد وتقوية وتأكيد ،

ثم تأتي الجملة التي بدأت بها القصة ، وهي :

(ولا تطع كل حلاف مهين) .

فالواو ـ هنا ـ ربطت النموذج بتمهيده ـ ثم ـ وهذه الواو ـ على بساطتها أو كونها حرفا واحدا ، بمثابة المسمار الذى يربط مابين أجزاء آلة ضخمة ، مكونة من أجزاء ،وأجزاء لولا هذا المسمار لتفرقت أجزاؤها ،وتبعثرت ،وعطلت هذه الآلة عن العمل والحركة .

وكذلك الواو حين يطلبها الوصل المطلوب ،فانها ضرورة لا يستغنى عنها ـ ومكانة الواو في النحو ،وفي البلاغة ـ مكانة لها قدرها ،ولها موضعها الخاص بها .

ثم (كل حلاف مهين) تتصل بالمكذبين ،وكأنها تبيين ،وتوضيح لهم ، وكأنها تعداد لأنواعهم ،وصفاتهم ، ثم هنا يظهر الهدف واضحا ،وهو أنه : " لاطاعة لمكذب " فالمكذب الذى لا يصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،والمكذب للقرآن ،الشاك في نسبته الى الله عز وجل ،والمشكك غيره فيه .. هؤلاء من الحقارة والمهانة ، ومن التفاهة والهوان ،بحيث لا يصدقون اذا أخبروا ،وبحيث لا يطاعون اذا أمروا ، ولأن هؤلاء هم أولئك ، اتصلوا بهم ، وتفرعوا منهم ، وكانوا واياهم في ركن واحد ،يجرى

على هؤلاء ما يجرى على أولئك .

ولفظة " كل " لفظة خرجت بالنموذج الواحد ، ذى الشخصية الواحدة ، والحدث الواحد ، إلى نماذج عديدة ، ومتنوعة ، ذوات أشخاص كثيرين ، وذوات أحداث متعددة وصفات متجددة — لأنها خرجت بالحدث الشخصى ، أو بالشخص الفردى ، من نطاق محدود فى مكان ، موقوت فى زمان ، إلى محيط أرحب ، وإلى مجال أعم ، وأتم .

وفى هذا سمة من سمات الخلود الذى يصل الماضى بالحاضر ، ويربط الحاضر بالمستقبل ويجعل الحياة كلها متماسكة ، متشابكة ، متحدة وإن تعددت صورها ، مستمرة وإن توقف عرضها .

ففى العطى الخالد سمات البقاء ، وأمارات الخلود — والخروج بالأحداث الفردية إلى ميدان إنسانى عام ، يضمن لها ذلك البقاء ، وهذا الخلود .

ومن هنا عددت هذه القصة قصة نماذج — ففى كل وصف من الأوصاف العشرة التى تنضم تحت هذه النماذج ، نموذج مستقل يشغل قصة مستقلة ، ويملأ فراغا كبيرا .

وستعرف أن فى هذه " النماذج " العامة ملامح إنسانية ، شاملة ، كاملة فيها عموم وشمول ، وفيها تعميم وتعميق ، تجعل كل كلمة من الكلمات التى احتواها هذا الإطار العام بنماذجه الكثيرة التى بلغت العشرة عند الدقة والتحقيق — تلك الملامح الإنسانية وذلك العموم المستفاد من كلمة " كل " يجعل من كل وصف تحتوى عليه كل كلمة من كلمات النماذج — قصة قائمة بنفسها ، وفكرة مستقلة بذاتها ، وشخصية يمكن أن تنفرد فى نموذج ونموذجا يحتوى على شخصية — فهى مجموعات شخصيات — وهذه الشخصيات تضامت ، وتآلفت وتماسكت ، حتى استحالت آخر الأمر شخصية تعد نهاية النهايات ، فى الشرور والعقد والأزمات .

* * *

ولو حاول قاص أدبى ، أو كاتب مسرحى أن يؤلف بينها فى فصول متعددة لصعب عليه أن يؤلف بينها فى مسرحية واحدة أو موحدة — وهو إن استطاع وكان موفقا — لأتى بنموذج بشرى خالد ، تستقر ملامحه فى خلد القارئ للقصة ، أو الرواية التى تتكون من أقسام ومجلدات ، كما تستقر صوره ، ومشاهده ، وصراعه وحواره ، فى ذهن المشاهد ، وفى وجدانه على مدى الأزمان والآباد .

على أننى حين قرأت هذا النموذج الحافل ، وجدت أن الأقرب للفهم والتيسير وأن الأدنى من جو التحليل ، والتعليل ، والتفصيل ، أن أبين كل لمحة من هذه اللمحات أو كل شخصية من تلك الشخصيات ، فى صورة منفردة ومستقلة ، لنرى ما أوحته كلمة " كل " هذه " من العموم ، والشمول ، ومن البقاء والخلود .

ثم تأتى - بعد ذلك - داهية الدواهى ، وعلة العلل ، وهى أنه زنيم دخيل ، غير أصيل ، معلق بالقوم وليس منهم !

واذا كان دخيلا غير أصيل ، فانه ينزع الى أصل دنىء ، والى منبت خسيس ردىء ، وهنا يظهر " أثر الوراثة " كما يظهر الشعور " بذنب الآباء " أو " عار الأمهات " - فتنحط همته ، وتذوب شخصيته ثم هو يجد نفسه ذا مال وبنين ، فيغتر ، ويعتز ، ويتجبر ، ويتكبر ويتيه ، ويزهى ، ويستعلى ، ويحسد ، ويكيد ، ويحقد ، ويشكك فى القرآن مدعيا أنه أساطير الأولين ، ليبث فى الناس " فتنة التشكيك " حتى ينصرفوا عن كتاب الله ، فلا يستفيدوا منه ، ولا ينتفعوا به ، ومرد ذلك غريزة الشر المتأصلة فيه ، المسيرة له !

من أجل ذلك كله ، أهدر القرآن كرامته الأدبية ، ووسمه بميسم الهوان والامتهان (سنسمه على الخرطوم) - وهذا حكم دنيوى ، وأخروى معا ، اذ يحتمل أن يجعل عليه الله سمة أهل النار ، فيسود وجهه ، أو يضع علامة على أنفه ، ليعلم فى الدنيا كما يفضح فى الأخرى ، وهذه عقوبة أدبية ، ومادية معا ، تهدر كرامته ، وتنقص آدميته ، مما ميزه عن سواه ، من عباد الله ، فخصته بأحكام تفقده هيبته ، كما ميزه بسمات أفقدته هيئته !

فهذه النماذج متعددة المناحى ، متجددة الأهداف .

فالأشخاص عديدون ، وان ضمهم نموذج ، والنموذج واحد ، وان حل فى أشخاص .

وهؤلاء الأشخاص لهم صفات راسخة ، متمكنة ، موروثة ، نابعة من البيئة ، والوسط ، متأثرة ، وموثرة فى آن !

وهى تفاسق - مع احتوائها على نواحى الشرور ، والعيوب - للعظة المتعددة وللذكرى المتجددة ، وللحياة التى تتكشف عن متناقضات ومعارضات ، وقد اتضحت معالم الشخصيات فيها ، ونمت نفسياتها ، وتصرفاتها ، وهيئاتها ، نموا دائما ، واطردت اطرادا متصلا ، واستقرت فى ضمير الزمان ، والمكان ، وفى كثير من الناس ، وعديد من الأجناس حتى ملأت الوجدان ، والأذهان ، والآذان ، بما تشع من أفكار وأسرار ، وبما تبعث من أهداف وتحتوى من معان ""

محمد محمد لقمه

(٣) نمـــاذج قـرآنيـــــة

الدكتور محمد محمد أبو الفتوح

شخصيـــة " مهـــين "

دراسة تحليلية : نفسيـــة ، واجتماعيـــة

=======

والمهين هو الحقير الذى يحس بعقدة الضعة ، أو الذى يشعر بعقدة الاهمال ، أو الذى يساء اليه كثيرا ، فيتجلد ، ثم يتلبد ، فيتحجر ، ولا يحس باساءة ولا اهانـــــة ، كما لا يشعر باحترام ولا تقدير ، أو لا يكاد يميز بين من يضربه ، ومن يطربه أو بين مـــــن يصادقه ، ومن يعاديه أو ينافقه ، أو يختلط عليه الأمر ، فيحسب الاهانة تكريما ، والتكريم اهانة ، والذى ترفع يدك لمصافحته ، فيظن أنك تهم بصفعه ، والذى تؤذيـــــه ، فيحبك ، والذى توالية ، فيهرب منك ، والذى ماتت كرامته من كثرة الاهانات ، والذى ذابت شخصيته لكثرة الاساءات ، والذى عضه الجوع ، فنهنع من كبريائه ، وغالط سادئه ومعتقداته وباع ذمته للشيطان .

والذى أثقلته تكاليف الحياة ، فناء بحملها ، فقبل أن يعمل فى غير وسطه وتخصصـــه ضاعت مواهبه ، وتاه فى التراب ، والضباب .

والذى وصل الى منصب أعلى من " مستواه " فحسب احترام من دونه من المرءوسيـــن له احتقارا ، وامتهانا .

والذى لا يحترم نفسه حين يحترمه النـــاس .

والذى يحترم نفسه لدرجة الغرور والكبر حين ينتقصه الناس .

والذى اضطربت لديه المقاييس ، فتضيع فى وقت الاعتداد بالنفس ويحتقر فى موضـــع الاحترام والتوقير .

والذى تعظمه بالتحية ، فيتفرس فيك ، ليرى مدى صدقك أو كذبك .

والذى لا تعظمه فيعظمك — والذى تعظمه فلا يعظمـــك .

والذى تعالجه برفع معنويته ، فيرتفع على حســـاب كرامتـــك .

والذى يبيعك لمداعبة منك بريئـــة معـــــه .

والذى يحبك حين تشتمه ، والذى يذكر الاساءة ، وينسى الاحسان .

والذى يتألم ولا يتكلم — والذى يتكلم لئلا يتألـــم .

والذى تنهيه فيحترمك ، والذى تحترمه فيهينك ، والذى يظن كل شتيمة موجهة اليه والذى يحسب كل همس ينتقص منه ، والذى ينزوى فى مجلس من المجالس ، دون أن ينبس بحرف ، أو يهم بكلمـــــــة .

والذى تدعوه للطعام فلا يلبى — والذى يدعوك للطعام ، فيطيب له أن تطعم معه ، أو عنده ، ليمتن عليك !

والذى يحب أن يزار ، ولا يزور — والذى يحب أن يزور ، ولا يزار .

والذى لا يحب أن يزور وأن يزار

والذى يعطيك عنوانه خطأ دون أن تطلب منه ذلك .

والذى يعطيك رقم " تليفونه " مسرته خطأ ، دون سبب لذلك .

والذى يعطيك عنوان غيره ، أو رقم غيره .

والذى يدعوك لطعامه ، ليمتن عليك — والذى يحتفى بك وهو يقتلك .

والذى يبتسم لك وهو يلعنك — والذى يتجهم لك وهو يحبك .

والذى يحترم كل الناس ما عداه — والذى يحترم نفسه ، ولا يحترم الناس .

والذى يهان فى مكان ، فيتركه لآخر ، ليهين من فيه .

والذى تعاونه فيرفض — والذى يعاونك ولا يعاون نفسه .

والذى يعذب نفسه ، ويخدم غيره ، والذى يعذب غيره ، بجعله خادما له .

والذى لا ينام لأنه معذب ، والذى لا ينام لأنه يعذب .

والذى لا ينام إلا إذا عذب ، والذى لا يستريح إلا إذا أهانك .

والذى يقتلك بجرح كبريائك — والذى يقتلك بتشويه سمعتك .

والذى يذبحك بتنغيص صفوك — والذى يطلب الرئاسة لينتقم .

والذى يهرب من الرئاسة ليذل — والذى يسمن بالسخرة .

والذى لا يحيا إلا فى الفتن — والذى يتعب إذا استرحت .

والذى يستريح فيتعب ، والذى يهان فيسكت — والذى يشتم دون أن يهان .

والذى أسىء إليه فى تربيته وهو صغير ، فظلت الإساءة عالقة به ، حتى وهو صاحب أسرة ، فعذب أولاده ، وأقرب الناس اليه .

والذى عاش مع زوج أمه ، على الإهانات ، فكان لأبنائه زوج أم ، لا أبا .

والتى عاشت مع ضرة أمها ، فأذلتها ، فأذلت هى أولادها فى بيتها .

والذى يحرم نفسه من ماله ، فيهينها بالجوع ، والعرى ، والتعذيب .

والذى يحرم أولاده من ماله ، فيعقده بالتجويع ، والتخويف ، والتأديب .

والذى يشيع بين أولاده الخوف ، لأنه خائف ، فينشأون مثله على الجبن والمخاوف .

والذى يكون هزا ذليلا فى العمل ، ويستأسد متوحشا فى البيت .

والذى يكون نعجة ، ومطية لزوجته ، فيستأسد فى العمل .

والذى — لطول هوانه — ألف الهوان ، وهرب من التقدير .

والذى — لطول احترام الناس له — توهمه الإشارة المشيرة .

والذى يحاول المجتمع أن يعرف له عيوبا ، أو أسرارا ، فينغصه بها ، كلما علا وارتفع — والذى يعيش ليميت غيره بالإذلال

والذى يموت لكثرة ما وقع عليه من إذلال أو إهمال .

والذى يجيعك ليهينك — والذى يشبعك ليهينك .

والذى يحاول إهانتك ، فيعزك بالرغم منه — والذى يتألم لأنك مهين

والذى يتألم لأنك عزيز — والذى يذبحه تقدير الناس لك .

والذى يسوءه ألا تكون لك معايب ، أو مآخذ ، أو عورات ، أو أسرار .

والذى يصادقك ليعرف سرك ، ومتى عرف مغمزا باعه لأعدائك ، ليطعنوك به

والذى يهينك لأنه يحبك — والذى يحبك لأنه يهينك .

والذى يحصر أعمالك عنده ، لينتقم منك فيها .

والذى يقضى أعمالك التى عنده ، وهو يكرهك من أجلها ، ثم يحاربك فى أعمالك التى عند غيره ، لئلا تظن به الظنون ، ولتظن بالآخر أسوأ الظنون !

والذى يحترمك دون سبب ، ويحتقرك من غير سبب .

والذى لا يطمئن إلا إذا عقدك — والذى يعقدك ليكون وصيا عليك .

والذى يغضبه احترام زوجتك لك — والذى يلهبه ثناء زوجته عليك .

والذى يهينك أمام أولادك — والذى يهينك أمام زوجتك .

والذى يهينك أمام زملائك — والذى يهينك أمام طلابك .

والذى يحترمك أمامك ، ويطعنك فى غيابك ، والذى يحتقرك أمام الناس ، ويحترمك وحدك — والذى يحترمك أمام الناس ، ويحتقرك منفردا .

والذى يتألم لأنك كريم — والذى يتألم لأنك لئيم .

والذى يعودك الفساد والانحلال ، لتضيع بالفساد والانحلال .

والذى يحاربك بخصالك ، ويموه عليك خصاله .

والذى يضيق بالتكريم ، فيهفو إلى السخرية منه .

والذى لا يحترم نفسه لحقارته ، ويتألم إذا احترمه الآخرون .

والذى لا يحس به الناس ، لا بإهانة ولا بتوقير .

والذى يحس به كل الناس ، مع أنه لا يحس بنفسه .

والذى تطغيه كلمة المديح ، فيعيش على هذا المديح ، فيعيش على هذا المديح ولو كان زائفا ، ويقنع نفسه بأنه صحيح — والذى يترك ما يعتقده فى نفسه ، إلى ما يظنه الناس فيه ولو خالف حقيقته — والذى رفع سريعا ، ليهبط سريعا .

والذى صار مديرا ، فوجد حاجبه أقوى منه شخصية ، ففار منه ، وحسده على قروشه التى يأخذها ، وطرده !

والذى صار رئيس مصلحة دون استعداد منه ، أو إعداد له فاستعان بموظف صغير عنده يجيد ما لا يجيد ، فتمكن منه الموظف الصغير ، وأصبح فى النفوذ هو الرئيس الكبير .

والذى عين مدرسا ليجد بعض طلابه أقوى منه شخصية وعلما .

والذى أصبح مفتشا وهو دون من يفتش عليهم من المدرسين ، فغطى عجزه بتملقهم على حساب الدقة أو العدالة ، أو بطعنهم عن طريق التقارير السرية التى لا تعلل ولا تفهم أو بتملقهم له مع احتقارهم إياه .

فهذه أكثر من مائة وخمس عشرة قصة أو حث بها كلمة (مهين) من نماذج سورة القلم - وكل قصة من هذه القصص تأخذ حجم رواية كبيرة ، أو مسرحية كاملة - مما يدل على إشعاعات الكلمة القرآنية ، وما توحى به من موضوعات وفلسفات ، وما تنبى به من توجيهات وتنبيهات ،،،

محمد محمد لقمه

(٤) نماذج قرآنية

شخصية "هماز"

دراسة تحليلية : نفسية ، واجتماعية ، ونقدية

وهذه شخصية ثالثة وردت في نماذج سورة القلم ، من القرآن الحكيم ، وهي نماذج الفاسدين ، المفسدين ، الأشقياء ، المنحرفين .

وهذه النماذج ينبغي أن ندرسها نفسيا ، واجتماعيا ، وأدبيا ، حتى نخرج من دراستنا لها - كما رأينا - في أحاديثنا السابقة - بالعظة البليغة ، وبالهدف الأسمى ، فلا نقع فيما وقع فيه أولئك الآثمون ، من أخطاء ، وخطايا ومفاسد وضار ، بل نسمو على نقائص المجتمع ونقائضه ، ونطهر أنفسنا من العيوب ، ونحرر ذواتنا من الرغبات الباطلة ، والعابثة ، ونستبدل بهذه النقائص وبتلك النقائص ، صفات كاملة ، وأخلاقا قويمة ، وسليمة ومستقيمة .

ولكن .. من هو ذلك الهماز الذي لا رأي له ، ولا كرامة ؟

انه العياب

أهو كثير الخوض في حق الآخرين ؟

أهو الزاري العائب الذي ينتقص هذا بمغمز ، ويجرح ذاك باتهام سخرا من كل الناس في شتى الأجناس ؟

أهو صاحب المعائب والنوائب التي عرفت به ، وعرف بها ؟

أهو الناقد الهدام الذي يجيد هدم غيره ، بالتشكيك أو بالتضليل أو بالمدح الكاذب ؟

أهو الناقد الهدام الذي آلى على نفسه ألا ينظر الا الى المساوئ ، وأن يتعامى عن المحاسن .

أهو الناقد الفاشل في حياته الخاصة ، والعامة ، وفي تخصصه فعاش لينضح عقده وفشله ، على حياة الآخرين ، وفي تخصصاتهم ؟

أهو الذي لا يتكلم بخير ، ولا بمدح ، واذا تكلم فبشر وبقبح ؟

أو الذي يعيب لأنه معيب ؟

أهو الذي يهمز ويغمز ، ويسخر ، ويهزأ ، دون قصد الا الى الانتقاص من أقدار الناس ؟

أهو الذي يؤلف المباذل والمساخر ، التي تحمل من التهريج ، والتشهير ، ما يفسد أذواق الجماهير ؟

أهو الذي يحاول النصح الخالص ، فلا تسعفه مؤهلاته ، وثقافاته وخبراته ، ليسمو بمضمونه وأفكاره ، فيسف ويتبذل ، من حيث يريد السمو والارتفاع ؟

— ٢ —

أهو الذى يجيد الهجاء لأنه حاسد حاقد ؟

ولا يحسن المديح لأنه همّاز ، عيّاب ؟ !

أهو الذى يتناول الأعراض بالقذف والسب ، حتى وهو فى المسجد يستمع إلى الخطيب؟

أهو الذى يعادى العظيم لا لشىء ، إلا لأنه عظيم ؟

أهو الذى يرى نعم الله على عباده ، فيحاول تنغيص حياتهم ، بتجريحهم ، وبغيبتهم ، وبتشويه سمعتهم ؟ !

أهو الذى يحسد ، ويحقد ، ويكيد ، ويحاول أن ينتقم من ذوى الجاه ، والحظوظ ، أو ذوى الحكم والسلطان ، فلا يستطيع ، فيلجأ إلى " التنكيت " عليهم ، والسخرية منهم ، وتشويه سيرهم ، والصاق التهم بهم ، ليجد فى ذلك متنفسا له ، وتعويضا ؟ !

أهو الذى عقد ، وتأزم ، فتسوءه المكاسب ، والانتصارات ، للأفراد ، والجماعات ، فيبث سمومه الخبيثة ، ويبسط لسانه السليط ، مشككا فى تلك المكاسب ، هادما لهذه الانتصارات ؟ !

أهو الذى يحسّ بوضاعته ، وضآلته ، وفشله ، فى حياته وعمله فيعكس كل أولئك ، على أصالة الآخرين ، وعظمتهم ، ونجاحهم ؟ !

أهو السفيه الذى يتطاول بانتقاص المؤدبين المهذبين ، من العقلاء والمتسامحين لأنه يأمن لسانهم ، ويضمن مسامحتهم ؟

أهو الوضيع الذى يتسامى إلى الشرفاء الأصلاء ، عن طريق التشبه بهم فلا يصل الى درجاتهم ، فيحاول أن يهبطهم من عليائهم ، لينزلوا إلى مستواه ؟ !

أهو العائب لأنه عائب ؟ أم هو العائب لأنه معيب ؟

أهو الذى تحركه " عقدة الاسقاط " فيلصق عيوبه ، ومساوئه ، للأبرياء والأتقياء ؟

أهو الذى يفهم النقد على أنه شتائم وسفاهات ، لا على أنه توجيهات وملاحظات ؟ —

أهوالذى يفهم الأدب على أنه ترويج شائعات ؟ أو تهريج " بالنكت " و "القفشات " ؟ !

أهو الذى عاش فى بيئة هابطة ، فهبطت كلماته ، لأنه حفظ معجمه من غوغاء ، وسفهاء ؟

أهو الذى ربى فى بيت دنىء ، فارتضع " قباحة " أمه " ، ولقن سفاهة أبيه وتغذى بسفالة إخوته ، فاعتاد ذلك ، وتمرس به ، ولم يعد يحس بالمعائب ، أو يتورع عن شتائم ، وظهر أثره معه حتى فى عمله ، وفى مناصبه الكبرى ، مما جعله فى حرج من نفسه ، ومما جعل غيره منه فى ضيق ؟ !

أهو الذى لم يجد ما يعاب ، ومن يعاب ، من الأعداء ، أو فى الأصحاب فلجأ إلى نفسه يهجوها ، وإلى أهله يفضحهم ؟ !

أهو الذى احترف مهنة التدريس ، فاختلط كثيرا بالفاسدين ، والرقعاء من شتى البيئات فلقنوه البذاءات ، والسفاهات ، والجهالات ، قبل أن يلقنهم المعارف والآداب ، وتهذيب الأخلاق والعادات ؟ !

أهو التاجر الذى تعامل مع السماسرة ، وأرباب السوء ، وأهل الذمم الخربة ، وأصحاب

- ٣ -

الألسن البذيئة ، ومع اللصوص ،والدجالين ، والشحاذين ،والمرتزقة ،والمحتالين ، ومع غير هؤلاء ، وأولئك فسرت عداوتهم إليه ، وظهر ذلك كله ، على لسانه ،وفي وجهه وفي عينيه ، وأصبح غير من كان : طبعا ،وخلقا ،وقولا ، وعادة ؟ !

أهو الزوج المحترم المؤدب المثقف ، الذي ساقته الظروف ، إلى أن يتزوج زوجة جاهلة ،صاخبة ، من بيئة لئيمة ،وشتيمة ، فبدل أن يرتفع بها ، وبهم ،إلى أدبه وثقافته ، وبيئته ،جروه معهم ، وجرفته هو وأولاده إلى السفح ،والدرك ،والحضيض؟ !

أهي الزوجة الرقيقة ، الوديعة ، التي أهلت ، لتكون زوجة عظيم ، أو موظفة ناجحة في المجتمع ،فساقتها الظروف أو الصروف إلى أن تتزوج رجل شارع ،عاطلا ، جاهلا ،منحرفا غويا ، شقيا ،بذيء القول ، دنيء الفعل ، فتسربت إليها والى أولادها منه دناءته،وبذاءته وشقاوته ، وغوايته ،وجهالته ، وسوء نشأته ،وفساد تربيته ؟ !

فهذه شخصيات تدور حول شخصية الهمّاز ، الذي يعيش ليسخر ،ويستخف ،ويهدم ويجرح ، ويشوه ، ويعمل على إشاعة الفاحشة الكلامية ، في أي وسط يحل به ، وفي أية بيئة ينزل فيها ... !

مثل هذه الشخصية يقوّم ،ويهذب ، ويؤدب ،ويعلم ،ويوجه ويرقى فكرا ، وعلما وعملا ،ليحيا عنصرا طيبا ،ويعيش مواطنا صالحا ""

محمد محمد لقمه

الدكتور محمد محمد لقمه

(٥) نماذج قرآنية

شخصية "مشاء بنميم"

دراسة تحليلية : اجتماعية ، ونفسية

هذا المشاء الذي يسعى في افساد العلاقات ،واشاعة الصداقات، واذابة القرابات بما يدس بينها من احن ،وبما يبث فيها من فتن ،وبما يشعل فيها من محن ..

هذا المشاء بنميم ،شخصية معقدة ، غاية التعقيد مبددة كل التبديد ، تحركها نزعة التخريب،كما تسيرها شهوة الافساد ،وكما تصرفها لذة الانتقام .

وهذا المشاء بنميم شخصية غوية ،فاسدة ،حاسدة ،حاقدة ، معقدة ،ومعقدة ، وهي شخصية خطيرة ،لما تأتي من أنباء مثيرة ،ومفتريات قد تعتمد على ظل من الواقع وقد تستند على لفظ من الصدق ،ولكنها ـ لفساد جبلتها ولسوء طويتها ، ونيتها ولحبها للشر وميلها الى الشر ،تضيف على الحق اطلا ،وتضفي على الوهم جبالا من الأكاذيب ، وتجيد التلاعب بالألفاظ ، كما تجيد اخفاء النوايا والأسرار ،وتحمل الخبر البسيط الذي قد يكون تهنئة بنجاح ،أو "زفاف" أو تعزية في فقيد ،أو تأييدا لمشروع أو ولاء لزعيم ،عن طريق سفيه ،أو على لسان صديق غير صدوق ،أو في رسالة تغير وتكدر ، أو في خطاب يقطع ويمزع ، أو في برقية تحرف وتزيف ، أو بامضاء يزور ويغير ، أو بطريق حسود مدخول ، أو بشتى هذه الأساليب ،وتلك الألاعيب ،وبمختلف الحيل والأكاذيب مما يقطع مودات كانت قائمة ،ومما يحيي فتنا كانت من قبل نائمة ، ومما تفقد بسببه مناصب وتضيع من أجله حقوق ،كما تطلق من جرائه نساء ، وتراق له دماء ،ويهلك بوساطته ضحايا أبرياء .

وكل فقرة من هذه ،تحتوي على فكرة ، وكل فكرة محتواة ،موضوع لقصة مبتغاة ،أو رواية مستقاة ،أو ملهاة أو مأساة ،وهذه الشخصية شخصية المشاء بنميم ـ بعقدها وتعقيدها مجال خصيب ،لكل محلل ،وكاتب،وعالم ، وأديب يفسرها وفق ثقافاته ويحللها طبق نظراته ونظرياته ،ويتناولها على ضوء دراساته وخبراته ، في بحث علمي مركز ،أو في مشروع نفسي منظم ،أو في تفسير موضوعي مقنن ،أو في تحليل أدبي مفصل ومعلل .

وبهذا نكسب تجارب وخبرات ،وتكتسب ثقافات ومشاهدات ،ونستفيد قصصا وروايات ، ونصائح ومسرحيات ، ومشروعات وموضوعات تضيف للانسانية معارف جديدة وتضفي على البشرية معاني مفيدة ،وتقدم للأجيال حصاد السنين ،وثمار الادهار ،فتأمن الانتكاس والارتكاس وتسلم من المفاسد والأضرار .

على أن اللفظة القرآنية التى معنا تبين أن ذلك الفاسد المفسد الذى ينقل الأخبار على جهة الافساد ، بين العباد ، فى البلاد ذلك الفاسد عاش من أجل هذا الإفساد ، فهو لم يسع فى الشر مرة ، ولكن مرات ، وهو لم يقطع بالنميمة علاقة ولكن علاقات فهو مشاء دائم المشى ، كثيرة ، وهو — لمشيه هذا — مفسد إيجابى غير سلبى — يسعى فى بث الفرقة والفتنة ، برجله ، وقدمه ، وبنفسه وذاته ، ثم هو لا يمشى ويقعد ، ولكنه مشاء دائم السعى متجدد المشى ! .. ثم حشية هذا يكون ملتصقا بالنميمة ، التى تدس السم فى الهناءات ، والمسرات ، والكلمات ، أو هو مصطحب لرجل نميم يرافقه فى شروره ، ويصادقه فى مسيره ، ويصحبه فى مغداه ومراحه ، وفى مسراه وصباحه ، يرتب معه الدسائس ، وينفذ به المكائد ، والمفاسد والمضرات !

ومثل هذه الشخصيات كالمشاء بنميم ، والهماز العياب ، وكالخلاف والمهين مثل هؤلاء لا يطاعون ، ولا يستراح اليهم ، ولا يعول عليهم ، ولا يصدقون فى قسم أو خلق ، أو قول ، أو خبر — فهم أشرار بطبعهم وطبيعتهم ، وهم فجار فى أقوالهم وأحوالهم وخصالهم ، وذممهم !

وهم معقدون لوجه التعقيد ! ... وهم مفسدون لوجه الإفساد ! ، وهم — لذلك كله ، وغير ذلك كله — لا يعتد بهم ، ولا يوثق ثم لا يطاع لهم أمر ، ولا يسمع لهم قول ! .

وقد فضحهم الله فى صفاتهم ، وسماتهم ، وكشفهم فى حركاتهم ، وسكناتهم ، حتى نقف على خباياهم ، ونواياهم ، وخفاياهم ، فنحذر شرهم ، ونأمن مكرهم ، ونتجو من مفاسدهم ومكائدهم .

* * *

والقرآن بوضعه هذه الأوصاف والأمارات — يوجهنا ، ويحررنا ويطهرنا " ويطورنا " ويصقلنا صقلا قرآنيا ، ويؤدبنا أدبا ربانيا ، يوجهنا إلى ما ينبغى أن يكون ، فنطلبه ، ونتحلى به ، من ترك الآثام المزجاة الملقاة ، ومن العمل على تقوية نفوسنا ، وعقولنا وأجسامنا ، وشخصياتنا ، بالتهذيب ، والتعليم ، وبالرياضة ، والخلق العظيم ، والدين القويم .

ومن ترك العيوب والمثالب ، فى اللفظ والقول ، وفى السر والعلن وذلك بالتخلى عن النقائص ، والتحلى بالكمالات .

ثم من حمل الأنباء بدون إضافة اليها ، أو انتقاص منها ، على وجه الإصلاح ، لا على سبيل الإفساد ، وفى ذلك صدق فى القول ومراعاة للأمانات .

وهذا هو التوجيه المستفاد من سوق تلك النماذج الأربعة ، التي تجمعها هـــاتان الآيتـــان : (لاتطع كل حلاف ،مهـين ،همّـاز ،مشـآء بنميم) .

وفي هذا التوجيـه تحـرير من الشرور والعيوب ، والآثام والحرام .

وفي هذا التحرير تطهير لنا من كل تلك الخطايا والأخطاء ،والأوزار والأضرار !

ثم في كل أولئك " تطوير " لأنفسنا بالتهذيب ، ولعقولنا بالتعليم والتثقيـف . ولأجسامنا بالرياضة والتمرين ولشخصياتنا بالتقوية ، والتربية ،والتنقية ،والتزكية . وبالاعـــلاء والاعـــزاز .

وهذا هو الصقل القـرآني ، والأدب الربـاني .

ومع هذه الأهداف الإيجابية أهداف أخرى سلبية إيجابية معا . هذه الأهـــــداف الأخرى تتجلى في جانب التنبيه ،والتحذير ،والتخويف التنبيه لهؤلاء الفاسدين المفسدين ،ليقلعوا عن فسادهم وإفسادهم والتحذير للمسلمين والمؤمنين ،لئلا يصدقوا أولئك الحلافين ،المهينين الهمازين ، المشائين بنميم ، والتخويف من إطاعتهم ،والاستماع لهم ، أو الوثوق بهم ، والركون إليهـــم .

وفي ذلك كله ـ إلى جانب السلبية ـ معان أخر إيجابية ، تجعل هؤلاء في واد ، وتجعل أولئك في واد آخر .

وهذه من وحدة الإعجاز الهدفية في القرآن الكريم ـ فهي تستمد من كل نص على حـدة كما تستمد من كل النصـوص مجتمعـة .

وليس في إبراز الهدف من النص الواحد تعارض ، أو تناقض مع الأهداف المستخلصـة من النصـوص منفـردة ، أو مجتمعة .

وفي هذه الوحـدة ، وذلك الاتحـاد ، ملامح قـوة ،وسـمات عظمة ، ودلائل إعجاز ،،

محمد محمد لقمه

٤٠٢

(٦) نمـــاذج قرآنيـــــة

شخصيـــة " منـــاع للخير "

دراســة تحليلية : نفسيـــة ، اجتماعيـــــة

هذه شخصية حريصة ، شحيحة ، تمنع الغير الخير ، كما تمنع الخير أن يصل الى الغير ، وتمنع نفسها عن فعل الخيرات ، وسوق المعونات والمبرات ، للغير سبب ، وبدون علة ، موجهها في ذلك حرص حريص ، وشح شحيح ، يسوقها الى ذلك خوف من فقر ، أو خشية من جـــوع كما يسوقها اليه طبع بخيل ، ونفس قتور ..

وكما يدفعها أيضا غرائز شتى ، منها " غريزة جمع المال " التي تجعلهم يعدون أموالهم الموجودة ، والمفقودة ، والمرتقبة ، في اليقظة والمنام ، وفي الخلوة والأحلام ، فيتحدثـــون بصوت عال ، ويتكلمون مع أنفسهم بصورة تأسى لها ، أو تضحك .

وهذه الشخصية المناعة للخير ، قاسية ، ظلوم ، تقسو على ذويها ، وبنيها ، وأهليهـا فتحرمهم الخيرات ، وتحرم عليهم الطيبات ، وتحاسبهم على الصغير والكبير ، والعظيم والحقير وتنغص عليهم معايشهم ، وتفسد عليهم حياتهم ...

بل انها كثيرا ما تقسو حتى على نفسها ، فتمنعها القوت الضروري الذي يحفـــظ الحياة ، والماء الروى ، الذي يروى الكبد ، والمسكن الهادئ ، الذي يحمل السكينـــة والهدوء ، والملبس المناسب ، الذي يقيهم صروف الزمان ، والعلاج الشافي ، الـــذي يدرأ عنهم الأسقـام ..

ولو كان الهواء مما يشترى بمال لبخلوا أن يشتروه بدرهم حقير ، ولو كان في ذلـــك هلاك لهم وفناء .

ولو كانت الشمس ترسل أشعتها الذهبية لقاء قروش يسيرة ، لما قدموا " مليمـــا " واحدا نظير ما لها من شعاع وأضواء ، انهم مناعون ، وانهم ممنوعون ، وانهم متنعـــون ، وانهم — بمنعهم هذا — يقتلون أنفسهم ، ومع غيرهم يقتتلون ، ويحتربون .

وان الأب يخاف ولده ، وفلذة كبده ، حين يعلم أنه سيرث ، أمواله من بعده .

وان الأم تحاول التخلص من بنتها ، عندما ترى أنها ستأخذ من ميراثها شيئا تعطيـــه زوجها ، أو أولادهـــا .

وان الأخ يتخلص من أخيه ، بشتى الوسائل ، حين يعرف أنه سيرثه ، أو سيخلفه في بيته ، أو سيعيش - وهو الأصغر ، أو الأقوى - بعد ما يموت ، ويوسد التراب !

وان الزوج يتخلص من زوجته ، اذ يحس دنو أجله ، ويتيقن أنها سترثه ، وتتمتع بماله وعقاره من بعده ، ويتوهم أنها على موعد مع آخر ، تمنيه ، وتهنيه !

وان الزوجة تتخلص من زوجها ، حين تعتقد أنه وارثها في تركتها ، أو منزلها متخيلة أنه سيعيش مع أخرى ، يستمتع بها ، وتستمتع به .. !

وليست هذه أحوال كل الناس ، أو أحوال المؤمنين ، الصادقين المسلمين ... كما أنها ليست طباع العقلاء ، الأذكياء ، أو أخلاق الكرماء الفضلاء .. !

كلا .. ! .. ! انما هي طباع البخلاء الأشحاء ، الذين أفسدت عقولهم الأموال ، والذين لوثت نفوسهم نزعة الحرص الحريص ! والذين أساءوا الظن بالله وبالناس !

والذين لم يخلصوا حتى لأنفسهم ، فكيف يطلب منهم أن يخلصوا لغيرهم .. !

والذين جعلوا من المال إلها يعبدونه ، بل شيطانا يستمعون اليه ، ويقدسونه !

والذين جمعوا هذه الأموال من طريق الحرام ، ولم يتحروا في جمعها سبل الحلال . !

أو الذين شذوا عن كل مقياس ، وعموا عن كل نبراس ، وضلوا عن نهج الأسوياء من الناس .. !

ولذلك كانت شخصية مناع الخير ، شخصية معقدة ، وشخصية معقدة في آن .. !

تشيع من حولها على من حولها : شكا ، وتربصا ، وحذرا ، وقلقا ، وأرقا ، وجنونا ومخاوف ، ومجاعات ، وحرمانا ، ومذلات ، ومساءات .. !

واذا قاسوا شيئا فبالمال ، وبالكسب ، وبمنطق الربح والخسارة ، وبمعيار المهارة والشطارة ، وبفلسفة النفع والضر ، وبشهوة الأخذ لا الاعطاء .. !

ويطلب الواحد منهم من طفله الذى لم يبلغ الخامسة من عمره ، أن يعمل ، ليكسب قوته .

وتطلب الواحدة منهن من طفلتها التى فارقت تديها من عام واحد أن تذهب هنا وهناك ، لتأخذ من هذا مليما ، ومن ذلك قرشا ، ولو خسرت مالا تعرف له وزنا ولا قيمة .. !

ذلك أن المال بالنسبة لهؤلاء وأولئك ، هو كل شيء ، ولا شيء الا المال .. !

وانه فوق الشرف ، والكرامة ، والذمة ، والضمير ، والحب ، والنسب ، والأدب ، والدين والعقيدة ، والخلق ، والقوانين ، والعادات ، والعبادات ، والمصطلحات .

* * *

ومن ثم كانت هذه الشخصيات مصابة فى عقلها ، وفى دينها ، وفى نفسها ، وفى ثقتها بالله ، وفى علاقتها بالناس ، وهى شخصية تبكى من أجلها ، وتضحك لتصرفاتها مع نفسها ، ومع خاصتها .. !

ولها نوادر غريبة ، ومآسى عنيفة !

تبكيك وأنت تضحك ، وتضحكك وأنت تبكى .. !

* * *

وهى — لهذا ، وغير هذا — موضع دراسات ، ومجال اختبارات ، وهى مدد كبير لكتاب القصص ، ومؤلفى المسرحيات . يستمدون منها ما يسوقونه مساق العظة ، ويقدمون ذلك فى مقام الاعتبار والادكار .

محمد محمد لقمه

(٧) نمـــاذج قـرآنيـــــــة

شخصيـــة " المعتـــــدى "

دراسة تحليليـة : اجتماعيـــة ، ونفسيـــــة

=======

وهذا المعتدى الذى تمرس الاعتداء حتى ألفه ، أو حتى امتهنه ، واحترفـــه ... يعيش على الاعتداء ... الاعتداء على الضعفاء ، والأبرياء ، وعلى الرجال والنســـاء على حد سواء .. الاعتداء على الأموال بالسرقة ، أو بالغصب ، أو بقطع الطريق ... الاعتداء على الأعراض بالسطو ، والفتك ، والهتك ، خفية أو علانيـــة ....

الاعتداء على الأرواح بالقتل ، والتهديد ، وبالارهاب والوعيد ، بصورة ظاهرة ، أو غير ظاهرة ، وبطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة ، فقد يكون هذا المعتدى نمرا غادرا ، أو ذئبا مفترسا ، أو وحشا فى صورة انسان ، أو لص أموال ، أو قاطع طريق ، أو صاحب أطماع ، أو آكل أعراض ، أو خفاش ظـلام ...

وقد يكون الدافع له الى هذا الاعتداء ، أو ذلك الايذاء ، شهوة تخريب ، ونزعـــة تدمير ، ورغبة ابادة ، وحب سيطرة وسيادة ... أو كراهية للناس ، أو بغضا لنفســـه ، وحياته ، أو تنفيسا عن رغبات مكبوتة أو مجنونة ، أو غير هذا وذاك ..

وقد يكون الحامل له على هذا الايذاء ، وذلك الاعتداء ، رد فعل لاعتداء وقـــع عليه وهو صغير ، أو لايذاء أصابه وهو ضعيف ، أو لاهانة لحقت به وهو عاجز قاصر بـــلا نصير ، ولا ظهير .. ، ومن ثم ينتظر الى أن يقوى أمره ، ويشتد أسره ، وأزره ، وحينئـذ يرد الاهانة اهانات ، ويلحق الاعتداء اعتداءات ولا ينجو منه برىء ولا مسىء ..

ولعله يقف عند هذا القدر ، فيرعوى ويكتفى ، بما أدرك من ثأر ، وبما أصاب من انتقام ولكنه كثيرا ما يستمرىء الشر ، ويستعذب التعذيب ، ويستطيب التخويف والتهديد ، فيزداد شرا ، ويمتلىء غدرا ، ويطفح نكرا ووزرا ، وتفسد عاطفته الانسانية ، وتسوء حالته العقليـة فيصبح مجرد شبح ، خال من قلب مؤمن ، أو عقل عاقل ، ويصبح وحشا أو أشد ، يحتـــال ان استطاع الاحتيال ، فيبتز الأموال ، ويغتصب النساء ، ويستلب الرجال ..

فاذا عز عليه الاحتيال ، لجأ الى الاغتيال ، فيفتك ، ويهتك ، ويخرب ، ويدمر ، ويقلق ، راحة الآمنين ، ويسرق لذة الآخرين ..

بل إن أذاه أحيانا يمتد إلى السلطة الحاكمة ، فيهدد رجال الأمن ، ويقضى على السلطان ، ويفرض اتاوات ، ويعزل حكومات ، ويقتطع " وسايا " ، ويختطف " تكايا " ، ويهدد حتى من بيدهم السطوة والسلطان .. !

وأمثال هذه الاعتداءات تظهر والسلطة الحكومية ضعيفة ، والعدالة ضائعة ، والأمور غير مستقرة ، والاحتلال مقيم بالبلاد وقانون الغاب هو السائد ، وهو المسيطر على العباد .

أما والأمن مستقر ، والحكم ثابت ، والحاكم قوى ، والعدالة محققة والحرية مكفولة ، والمحتل لا وجود له ، والمجتمع بلا عقد ولا أزمات وكل انسان يعرف قدره ، فلا يتجاوزه .

فإنه — والحالة هذه — لا توجد اعتداءات ، ولا إيذاءات ، ولا مساءات ، ولا جرائم فى الأموال ، ولا فى الأعراض ، ولا فى الأرواح ، ولا مخاوف ، ولا مذلات .. ! .. بل إنه الأمن الآمن ، والسلم المستقر ، والعدالة المكفولة للجميع ، والمحبة التى تسود ، وتقود هذا الوجود الى مجالى العزة ، والكرامة ، والى مواطن الرفعة والسلامة ، والى مظاهر القوة الحقيقية ، والعظمة الحضارية ، والسلطتين : الرسمية ، والشعبية .

وقد يكون هذا المعتدى معقدا ، له أمانى فى الحياة لم تتحقق ! وله مطالب معقولة وشرعية ، وميسرة ، إلا أنها لم تنفذ ! وله حقوق فى الأمة ، أو فى الدولة ، أو فى المجتمع وقد سلب هذه الحقوق ، وحيل بينه وبينها .. !

عندئذ يصبر فلا يستطيع ، ويتصبر فلا يقدر ، ويتجلد فلا يتمكن ! فتخونه قواه ، ويهتز كيانه ، تحت الحاح الحاجة ، وقسوة العيش ، فيتمرد ، ويقسو ، وينشق على وطنه ، وعلى دينه ، وعلى نفسه ! فيخون فى سبيل أن يعيش ، ويعيش ليخون ويخون ، ويسرق ويغدر ويفجر ، ويكذب ، ويسلم نفسه للأعداء ، ويضيق بانتصارات قومه ، وأفراح بلاده ، وينتاظ كلما رأى عمارة تقام ، أو مصنعا يشيد ، أو مشروعا ينجح ، أو أناسا يضحكون .

ويتمنى أن ينزل صواعق تدمر شعبه ، وأمته ، ورعيته ، وقومه ، وأهله وأن تمحى الحضارات ، وتنقضى المدنيات ، وتنتهى الحياة . وسيان لديه أن يكون فى عديد الهالكين ، أو فى عديد الباقين !

مثل هذه الشخصية تعالج بإعطائها حقوقها ، وبتحقيق مآربها المعقولة الميسرة ، المستطاعة ، حتى نضمن سلامة وطنيته ، وغيرة دينه ، وصدق لقائه ، وإخلاص عمله وتكسب الأمة عنصرا قويا ، أو موجها ، أو مثقفا ، يقفون معها فى الشدائد والأزمات ، ويقدمون أرواحهم وأموالهم وأنفسهم وأهليهم فداء لبلادهم ، ودينهم ، وقوميتهم ، ولا يفكرون فى اعتداء ولا إيذاء ، ولا يوالون أعداء أو أشقياء .

وبهذا توفر الأمة آلاف الجهود ، ومئات الوسائل ، التى تنفق فى حراسة منشآت ، أو فى رقابة أفراد أو جماعات ، يعرفون أزماتهم لأنهم أزموهم ، ويحسون عقدهم لأنهم هم

الذين عقدوهم ويلبون لهم مطالبهم التى منوهم بها ، وعذبوهم من أجلها .. !

وحينئذ لا يندس بيننا دخيل ، ولا يعيش فى بلدنا جائع ، ولا جاهل ، ولا مريض ولا خائف ، ولا ذليل .

ومتى انتفت العقد فى البلد ، وأمحت الأزمات بين الأفراد والجماعات أعطى كل ذى حق حقه ، فإنه لا يوجد عدوان من إنسان على إنسان ، وإن الجميع يعيشون فى صفاء وحب ، وإخلاص ، وأمان .

وقد يكون المعتدون مجموعات منظمة ، أو جماعات مخربة ، يعملون لحساب دولة معادية ، أو يندسون من شعوب معادية ، ليناوئوا حاكما معينا ، أو يحاربوا أمة خاصة أو يناهضوا مدنية ناهضة ، أو دولة صاعدة .. وحينئذ ينتظمون فى هيئات ، ويلتقون فى جماعات أو مجموعات ، ينشرون الشائعات ، ويروجون المفتريات ، ويشوهون الحقائق ويمزقون الوثائق ، ويبثون روح الهزائم ، وشيع الجرائم ، ويعطلون الأعمال ، ويبددون الأوقات والأموال ، ويخلقون الشكوك ، والأوجال ، والأهوال .

وتتكون من هذه الهيئات ، وتلك الجماعات ، سرقة ، فسقة ، ومخربون ، مضللون وهدامون ، سفاحون ومناهضون لدعوات الاصلاح ، وصيحات السلام ، وأفاقون ، وأفاكون ومردة ، وشياطين ، وجباة ، ومرتشون ، وأدعياء ، ودخلاء ، وجواسيس ، وخونة وما إلى ذلك كله ، ممن يحاربون الأخيار والأطهار والأحرار ، والثوار ، ومن يبتغون لوطنهم نصرة ، ولعروبتهم عزة ورفعة ، ولإسلامهم مجدا وانتصارا .

ومثل هذه الفئات ، والهيئات ، والجماعات ، والمجموعات ، يجب محاولة علاجهم بالحسنى ، وبحل أزماتهم وعقدهم ، وباعطائهم الفرصة الكافية ، لعودهم إلى الصراط السليم ، أو الطريق المستقيم ، حتى يصبحوا عناصر صالحة ، وطيبة ، وخيرة ، ومخلصة ، وأمينة ، وحسرة ، وكى تضمهم إلى صفوفنا النقية ، البرة ، القوية ، السديدة ، الرشيدة الوطنية ، القومية ، المؤمنة ، المتمكنة . بهذا نكسب عناصر ، وننضم إلينا فئات ، أن تكون معنا متعاونة خير لنا ولهم ، وإن لم ينفع العلاج فعلى الدولة أن تضربهم بيد من حديد وأن تحوطهم بأسلاك وأشواك ، وأن تعرف أسرارهم وأخبارهم ، ولمن يعملون ؟ وبمن يتعاونون ؟ وإلى أى غرض يهدفون ؟ !

بهذا تصبح الأمة قوية برجالها المخلصين ، غنية بأنصارها الصادقين ، تسود وتقود ، هذا الوجود ، للحق ، والخير ، والجمال ، والكمال ، وللمحبة ، والعدالة والسلام ...

محمد محمد لقمه

(٨) نماذج قرآنية

شخصية " الأثيم "

دراسة تحليلية : نفسية ، واجتماعية

وشخصية الأثيم ، شخصية تحركها عقدة الشعور بالذنب ، أو عقدة مطاردة الاثم ، أو ينغص هناءته شبح جريمة ، أو ضمير تيقظ أو دعوة مظلوم ، أو أنه محروم ، أو زفرة مكلوم ، فيحرمه ذلك كله أمن الراحة ، وطمأنينة الاستقرار .

وقد يألف - لطول تمرسه بالجرائم ، ولكثرة ممارسته للخطايا ، جو الآثام وبؤر الفساد ورائحة المعاصي ، ومصارع القتلى ، وأنات الجرحى ، وصرخات الموتورين ، ودعوات المظلومين فيمضي في طريق الشر والغدر ، ويسترسل في مسالك الاثم ، والمهر ، غير آبه لشاك ، ولا حافل بباك ، ولا متألم لقتيل ، ولا راث ليتيم ..

بل انه يستمع الى شكاواهم وهو باسم الثغر ، منشرح الصدر ، متهلل الأسارير ، وكأنه يسمع لحنا سارا ، أو يسمع نبأ سعيدا ، أو يرى منظرا بهيجا ..

مثل هذا لا يفيق الا بصدمة ، أو لطمة ، أو أزمة ، كأن يفقد وحيده ، أو يحرم أمله أو يصاب في نفسه ، ببتر عضو منه ، أو بحرمانه أغلى شيء لديه ، وقد يصطدم في هواه ، اذ يخونه من يهواه ، أو تتمرد عليه زوجته ، أو تتخلى عنه خليلته ، أو ينشق عليه أولاده ، أو يفسق عن طاعته مرءوسيه ، أو يطعنه من الظهر ، أو يضربه في الصدر شقيقه ، أو صديقه فيحس وقع الجريمة ، ويدرك أثر المصاب ، ويكون مصيره أحد أمرين :

اما أن يثوب الى رشاده ، ويرجع عن عناده ، واستبداده ، واستعباده ، ويصلح ما أفسد ويسهل ما صعب ، ويعالج من عقد ، يرد الحقوق الى أصحابها ، ويتعويض الضحايا والمنكوبين والموتورين والمحرومين عما فقدوا من أجزاء ، وآباء ، وأبناء ، وأموال ، تعويضا يمسح الألم ، والسقم ، والندم .

وحينئذ يعود انسانا سويا ، ومخلوقا هادئا ، آمنا رضيا سعيدا .

واما أن يعالج الجرم بالجرم ، ويقابل الاثم بالاثم ، ويشفي القتل بالقتل ، ويمحو الاساءة بالاساءة ، ويشرب الدماء في جماجم القتلى ، وينام على صيحات الصرعى ، والجوعى والجرحى ، والمرضى ، والزمنى ، ويصحو على صرخات الضحايا والمطايا ، ومن جرعهم الرزايا ، والبلايا ، وعرضهم للدواهي ، والمنايا فينتشي بالمظالم ، ويرتوي بالدماء

ويشتفى بالتشفى ، ويكتفى بالانتقام ، ويعيش جبار حروب ، وقهار شعوب ، وسفاح أرواح ، ومصاص دماء ، ونهاب أموال ، وسلاب حقوق !

ويكون عاقبة أمره ، فقد جاهه ، ومناصبه ، أو سلب ملكه وعرشه ، أو عزله عن الحكم ، أو نفيه إلى غابة ، أو اغتياله فى المنام ، أو فى الظلام ، أو محاكمته أمام الأنام ، من العلية والعوام .. !

أو قد يسلط الله عليه نفسه فيصرع ، أو ينتحر فيندحر ... !

وقد يسلط الله عليه ولى عهده ، فيقضى عليه ، ويريح الشعب منه ، ويسدل ستار حياته على نهاية حزى ، مؤلمة ، وعلى ختام رهيب عجيب .. !

* * *

وشخصية الأثيم شخصية ظالمة ، آثمة ، نادمة ، تلوثت نفسها بالخطيئة ، كما فسد عقلها بالخطأ ، وسرى الإثم منها مسرى الدماء فى العروق ، فعاشت بالحرام وفى الحرام ، وللحرام لا ترى صوابا تقصده ، ولا تسمع نداء تستهديه ، ولا تلمح نورا تسترشده ، ولا تبصر هدى تستوحيه . لأن الضلالة أصمت منها السمع ، ولأن الغواية طمست على عينها بالغى ، ولأن الجريرة ختمت على قلبها بالصدأ .. ! فهيهات أن تفيق ، وهيهات أن تبصر أنوار الطريق !

* * *

على أن للأثيم لحظات افاقة ، ووميضات انتباه ، وساعات ندامة ، ومحاولات للرجوع إلى الله ، وطلب صفحه ، وغفره ، ورضاه .

إنه انسان من لحم ودم ، وعصب وكيان ، يحسن ، ويبكى ، ويضحك ، ويرغب فى النشوة ، أو فى الشهوة ، أو فى الجريمة ، ثم يرغب عن ذلك كله ، بعد ما يتعب من كثرة ذنوبه ، وبعد ما يلهث من طول عصيانه ، فيهوى مرهقا ، قلقا ، أرقا ، هالكا أو شبه هالك ، ويرى لذاته وخلطاءه ، وعشراءه ، وأصدقاءه ، قد أصيبوا بالجنون أو منوا بالفقر أو هددوا بالإفلاس ، أو شكوا فى زوجاتهم ، وأولادهم ، أو طردوا من أعمالهم ، أو حرموا من احترام الناس لهم ، أو ماتوا مخمورين ، أو غير تائبين فاستمعوا الى لعنات المشيعين لهم ، وشتائم أقرب الناس منهم .. !

حينئذ يتعظ بهم إذا كان عاقلا .

وعندئذ يعود من القبور ، ليتطهر من الذنوب ، ويتجرد من المخازى والعيوب ويقف بين يدى ربه ، كيوم ولدته أمه يتمتم بالتوبة من كل حوبة ، ويبهمهم بالدعاء

والرجاء نحو السماء ، فيشعر ببرد الراحة ، ويحس بطمأنينة السكينة ، ويخرج الى المسجد ليدخل فى صفوف المصلين لله رب العالمين .

* * *

ومن الشخصيات الأثيمة شخصيات لئيمة لا تتوب من ذنوب ، ولا تعترف بمعاز أو عيوب ، ولا ترجع إلى مسجد ، أو معبد ، لأنها لا تقر بجريمة ، لتتنصل منها ، وهى لا تعترف بإله ، لتلجأ اليه ، طالبة صفحه ورضاه ، كما أنها لا تؤمن بجنة ولا نار ، ولا تقر ببعث ولا نشور ، ولا جزاء ولا حساب .

فمثل هذه الشخصية الكافرة ، مثل البهائم والسوائم ، تعيش كالخفافيش ، ولا تفكر فى دين أو ديان .

وهذه لا علاج لها إلا الدخول فى الإسلام ، واللجوء والاحتماء بالملك العلام ، فنطقها بالشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله — هذا النطق عن عقيدة سليمة واقتناع صادق ، يكفر كل خطيئة ، ويمحو كل إثم ، ويجعل ذلك المسلم الجديد ، وهذا المؤمن الوليد ، كيوم ولدته أمه ، بلا ذنوب ، وبلا عيوب .

* * *

ومن الشخصيات الأثيمة الدول الباغية على الدول الآمنة ، والدول المستعمرة للدول المستعمرة .

إن الدول الأثيمة والمعتدية لا تشعر بقرار ، فى بلاد الاستعمار ولا يطيب لها عيش ولا منام ، ولا يصفو لها جو ولا سلام ، لأنها آثمة ، ولأنها عالمة بأنها آثمة ! ثم لأنها ظالمة ، وتعرف أنها ظالمة !

وهى — لإثمها ، ولظلمها ، ولجرمها — تقضى ليلها فى القلق والأرق ، وتقضى نهارها فى الحذر والرهق ، متربصة انقضاض شعب سيثور ، متى سنحت الفرصة ، وأمكنته الظروف ، ومرتقبة غضبة الجماهير ، والجيوش ، التى تزحف كالطوفان والوحوش فتقتص لكبريائها الجريح ، وتثأر لشهدائها الهالكين .

* * *

وهذه هى عقدة " الشعور بالذنب " أو " الإحساس بالإثم " أو هتاف الضمير " أو " صياح الجماهير " "

محمد محمد لقمه

الدكتور محمد محمد البهي

(٩) نماذج قرآنية

الدكتور محمد محمد البهي

شخصية " عتل "

دراسة تحليلية : علمية ، ونفسية

هذه شخصية — فيما أتصورها — ضاحكة مضحكة ، وقد رسمت من الخارج اذ أن هذه اللفظة بهذه الهيئة تنبئ عن منظر انسان ساخر هازل ، أو مسخور منه ، أو مضحوك من سمته وهيئته أو جسامته ، وضخامته ولعل هذا هو بذرة الرسم الساخر ، الذى يسمونه حديثا بفن " الكاريكاتير " ، وهذه الصورة مستوحاة من وزن الكلمة الموسيقى ، ودلالتها الطبيعية ، والوصفية ، على أن لفظة عتل بمعناها اللغوى — كما أشارت كتب اللغة — تفيد " الفظ الغليظ " والمراد منه هنا " الكافر " .

على أن العتل " الشديد من كل شيء ، وهو المجافى عن الموعظة " وليس بمانع هنا أن يلتقى المعنى الطبيعى للكلمة ، ومعناها اللغوى ، والتفسيرى ، على النحو الذى سمعنا ليس بمانع أن يكون ضخم الجثة ، بصورة يسخر منها الرائى ، ويضحك لها المشاهد ، وأن يكون فظا لجهالته ، أو ضخامته ، وأن يكون غليظ العقل ، غليظ القلب ، غليظ العنق لا يفهم الا بعسر ، ولا يحس الا بعنف ، ولا يتحرك الا بصعوبة .

ولا مانع من أن يكون لهذه الأسباب الجسمية ، أو لهذه المعوقات المادية ، والصحية والنفسية ، كافرا بالله ، ساخرا من الناس ، أو من نفسه ، كما خلقه الله لا على ما يشتهى ، وكما سخر منه الناس لأنه لا يعجبهم الا أن يهزءوا به — وهو — لكفره هذا ، وطبيعته تلك — يصم أذنه عن النصح ، فلا يرعوى عن غى ، ولا يتعظ بموعظة ، ولا يلين مع أحد ، وهو — مع هذا ، وذاك ، وذلك — ضاحك فى نفسه ، مضحك لغيره ، ومن ثم أدخلته فى الفن الساخر " الكاريكاتير "

والقرآن — برسمه هذه الصورة الساخرة ، بأبعادها النفسية ، وأوصافها الجسمية ، ودلالتها المتنوعة يتخير لهذا اللون موطنه الأنسب ، والأحكم . ويحقق هذا الفن بأوجز لفظ ، وأحكم وصف ، فلفظة " عتل " لفظة جامعة محيطة بانسان طويل ، عريض ، عميق ساخر ، كافر ، عنيد ، شديد ، جاف ، مستبد كل هذه الأوصاف ، وكل هذه الصفات ، وكل هذه الهيئات ، اجتمعت فى شخص — وهذا الشخص بشحمه ولحمه ، وبطوله وعرضه ، وبكفره وعناده ، وبشدته وجفائه ، وباستبداده وفظاظته ، محشور فى لفظة ، ومحشو فى كلمة ، هذه الكلمة هى " عتل " وكما أن حروف الكلمة تكدست ، وركبت متضامة ، ملتصقة ، وقد ضم منها الحرفان : الاول والثانى ، كما أدغمت اللامان — هذه الكلمة بهيئتها الراهنة تدل أبلغ دلالة على تلك الشخصية العجيبة الغريبة .

(٢)

وانى المستريح حين اضعها فى اطار هزلى ، خفيف ، حتى ابعد عنها جانب الجفوة ، والغلظة ، والغظاظة ، والعناد ، او اخفف من هذه الجوانب ، اذ اجعلها تضحك من نفسها ، وتضحك بتصرفها غيرها ، ممن يخالطونها ، او يتحدثون معها ، او ينتقدون تصرفها .

وهى — مع ذلك كله — من الشخصية التى تنبئ عن مرض جسمى معين ، او عن تصرف صارخ ، وغنى باذع — وهى تفكرنا فى ايامنا هذه برجل " الاقطاع " السابق ، الذى اثرى على حساب الاجراء ، والفلاحين ، والمسخرين ، والذى كان يمرح ، ويرتع مع خيوله ، فى حقوله ومع بهائمه وسوائمه فى " وساياه " وفى " تكاياه " او يعبث ، ويلهو فى حواشى الملاهى ، وصالات المراقص ، وقد تذكرنا بشخصية مريضة ، فيها داء يجعلها تشذ عن القاعدة ، وتخرج على المألوف المعروف ، وتزيد فى سمنتها وضخامتها ، وتفوق سنها ووزنها ، كما تفوق لداتها واترابها بسبب اهتزاز فى حاسة ، او بسبب فساد فى غدة ، او من اجل افراط فى خمور او اسراف فى فجور او انكباب فى ملاذ ، او اكثار من مواد غذائية معينة ، مما اثقل جسمه وضخم شحمه ولحمه ، وبلد عقله ، وقسى قلبه ، ونفخ عنقه ، واخل باعصابه .

قد يكون كل هذا — كما اتخيله — صحيحا — وقد تكون هذه السمنة المفرطة من فرط الغنى والترف ، وقلة الحركة ، وفقد النشاط وعدم السعى على العمل ، والاخلاد الى البطالة والكسل او للاعتماد على جهود المسخرين ، من الاجراء والخفراء والفلاحين ، ومن غيرهم من الفعلة والعملة ومن اليهم من المذللين المستضعفين .

هذا وغيره صحيح ، وليس هناك ما يصطدم به ، او يستبعده ، او يستنكره ...

ثم هذه السمنة قد تكون سببا فى تعقده ، وفى تعقيده ، او فى تأزمه وتأزيمه ، وقد تكون علة فى ضعفه الجنسى ، او فى عجزه الجنسى ، مما يحرمه هذه المتعة الميسرة له ماديا ، المحرمة عليه عمليا ، الموزنة له نفسيا .

الى آخر هذه التعللات والمعاذير ، مما يكون تبريرا لانحرافه ، او عدم تبرير ...

مثل هذه الشخصية مجال خصيب رحيب لدراسات شتى : جسمية ونفسية ، وطبية ، وعقلية وجنسية ، واجتماعية .

لترى مدى تفاعل هذه العوامل كلها فى تكوين الشخصية ، وفى تلوينها ، وفى دفعها الى سلوك معين ، او فى توجيهها توجيها (خاصا) وهى مع هذا وذاك شخصية خفيفة عنيفة — شديدة عنيدة

(٣)

ضخمةَ فخمةَ • فظه غليـــظةَ ـ مريضـــةَ معقدةَ ـ جافيـــةَ نابيـــةَ •

وهى ـ بهذه الأوصاف ـ كافرةَ جاحـــدةَ •

والقرآن قد عرضها ضمن إطار عام • ينتظم هذه الصفةَ • كما ينتظم صفـــــــــــات مضـــت • وصفـات أخـرى تأتـى • ...

محمد محمد لقمـــه

الدكتور محمد محمد لقمه

(١٠) نماذج قرآنية

شخصية " زنيم "

دراسة تحليلية : اجتماعية ، نفسية

هذه الشخصية قد تكون معقدة ، وقد لا تكون ،

قد تكون معقدة اذا كشفت أنها نابتة من حرام ، منسوبة الى غير أبيها الأصلي ، وحينئذ تكون أحد شخصين :-

اما أن تستسلم الى تهكم الناس ، والى سخريتهم وتتحمل أذاهم ، وتعليقاتهم وسخافاتهم فيطامن في ذلك من كبريائها ، وينال من شخصيتها ، ويذيب من همتها ، ويقتل احساسها بالحياة وبالأمل ، وبالنجاح في العمل ، فتذوى ، وتبلى ، وتفنى ، وتندثر ، وتندحر ، وتضيع في الزحام ، وتحت الركام .

وهي تعيش ما تعيش تحت " عقدة الضعة " .. أو " الاحساس بالاهانات " أو الشعور بالنقص ، أو " الانتقاص " .

ومثل هذه الشخصية يكون مجنيا عليها لا جانية ، وتكون ضحية آباء مجهولين ، أوجد وها في خضم الحياة ، لتعاني آلام الحياة ...

واما أن تكون شخصية قوية ، مؤثرة لا متأثرة ، تسخر من الناس ، قبل أن يسخروا منها ، أو تقابل سخريتهم بمثلها أو تعوض نقصها باكتساب المكارم ، وتشدان العظائم وطلب المعالي والأمجاد ، حتى تقف على قدميها ، وحتى تسترد هيبتها ، وتستعيد مكانتها ، وحتى تصبح ذات نفوذ خطير ، فتحكم ولا تحكم ، أو تتحكم بدل أن تتأزم ، أو تعقد قبل أن تتعقد ..

وتقسر الناس قسرا على قبول آرائها ، حتى تنسب الى نفسها ، وحتى تفتخر بمجدها ولتستعيض عن النسب ما أفادته من حسب ، أو كسبته من أدب ، أو ادخرته من مال ونسب .

وحتى تعيش في هذه الحياة حاكمة لا محكومة ، مالكة لا مملوكة ، وكي تفرض شخصيتها ، وتملي ارادتها ومشيئتها على الآخرين .. وحينئذ تستطيع أن تحيا ، وأن تسود ، كما تستطيع أن تستمر ، وأن تستقر ، وان أحست بين الحين والحين ، بعقدة خفية ، وأزمة نفسية أو رأت اشارات ، أو سمعت عبارات ، تشير من بعيد أو تلوح من قريب ، بدناءة أصلها ، وخسة منبتها ..

مثل هذه الشخصية القوية تتجبر ، وتتكبر ، أو تطغى ، وتبغي وتستعلي ، وتتحكم ، وتنتقم

(٢)

وتفجر ، وتعتدى على الأعراض ، كما اعتدى على من لفظته إلى خضم المجتمع .

ومثله أيضا قد يحاول أن يعوض خطأ الوالدين بصوابه ، وفسادهم بصلاحه وإصلاحه ، فيكتسب المفاخر ، ويهتم بالمحامد والمآثر ، ويعنى بالتعمير بدل التدمير ، ويحاول جاهدا أن ينسى الناس أصله البعيد ، بماله من أعمال صالحات ، وآثار باقيات .

ومثل هذه الشخصية قد يعرف آباءه الأولى ، فيجده ذا نباهة ووجاهة ، فيعتز بالانتساب إليه ، ويفتخر باللحاق به ، ويخطى برعايته الخفية ، وعنايته المادية والأدبية .

وقد يكون في نسبته إلى غيره ، أو انتمائه إلى سواه - بعد عن شبهة ، أو هروبه من مسؤلية ، أو خضوع لعادات وتقاليد .

ومثل هذه الشخصية قد يكشف أباً وضيع الأصل ، خسيس الاسم ، تافه السمعة ، وحينئذ لا يسعى في التعرف إليه ، أو في الاعتماد عليه ، أو حتى في الاتصال به ، وقد اكتفى بمن عاش في كنفه ، واستمتع بعطفه - هذا إذا علم سره ، وعرف أمره .

أما إذا لم يعرف الشخص سره ، ولم يدرك أمره ، فانه يعيش كسائر الناس لا يخس تنغيصا ولا يرى تكديرا .

خاصة إذا لم يعلم الناس من سره الدفين شيئا

وحينئذ يتصرف الشخص تصرفا عاديا .

غير أن دم الوراثة قد يجعله غريبا في بيئته ، عجيبا في تصرفه ومسلكه ، فيكون كالورد وسط الأشواك ، أو يكون كالشوك حول الورود .

ومثل هذه الشخصية - في كل أحوالها - لها أبعادها ، وأعماقها ، ودلالتها ، وتصرفاتها وأخلاقها ، وظروفها ، وأعمالها الصادرة عنها ، وآثارها الراجعة إليها .

والشخصية التي تحتوى ضمن الشخصيات النموذجية في السورة التي تضمها آيات سورة القلم - هذه الشخصية لم تعرف من سرها شيئا ، ولم تدرك عن أصلها سرا ، حتى نزلت هذه الآيات - حينئذ شك في نسبه ، ومحتده ، ومنبته ، وكشف آخر الأمر أنه منتم - بالرغم منه - إلى أصل خسيس ، وأب هو - في الحقيقة - عبد أجير ! ! !

وكانت هذه بالنسبة إليه - وهو الشامخ ، الباذخ ، المتعالى ، المتكبر ، المتجبر ، صدمة ، ولطمة ، وأزمة . أثرت - فيما أظن - في نفسيته ، وفي شخصيته - ولعلها أصابته بالتعقد ، والتأزم ، وجعلته يحاول هدم القرآن الذى تنزل بهذه الصدمة التي هتكت ستر أمه ، وكشفت حقيقة أبيه - مما يظهر في موقفه من القرآن ساعة تتلى عليه آيات منه ، كما تصوره الصورة الأخيرة من صور هذه النماذج العشرة .

ثم لعله هو صاحب قصة المدثر الذى جعله الله وحيدا ، وجعل له مالا ممدودا ، وبنين -

(٣)

شهودا و ومهد له تمهيدا ثم يطمع أن يزيـــد .

أن له موقفا فى ســـوره المدثر مع القرآن ســـنعرض له أو نشـــير اليـــه حينما نتحدث عن النموذج العاشر من نماذج سورة القلم ، هذه فى الحديث القـــادم إن شـــاء الله . ...

محمد محمد لقمه

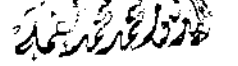

(١١) نماذج قرآنية

تقولات بعض الكفار عن القرآن

الدكتور محمد محمد حماد

دراسة تحليلية : نفسية ، وفلسفية

" شخصية ذى المال والبنين ، وقوله عن القرآن :

انه أساطير الأولين

يقول الله سبحانه وتعالى :

(أن كان ذا مال وبنين ، اذا تتلى عليه آياتنا

قال : أساطير الأولين)

ثم يقول : (سنسمه على الخرطوم)

وشخصية صاحب المال الكثير ، والبنين الشهود ، والجاه الطائر ، والذكر السيار مع خدش كبريائه ، والقطامن من عليائه ، لما لحقه من مهانات ، أو أصابه من اهانات .

مثل هذه الشخصية الغنية ، العتية ، القوية ، ذات النفوذ ، والكلمة ، والاسم ، وذات السطوة ، والسلطة ، والاقتدار تكون أحد شخصين :

١) اما أن تحفظ جاهها ، وتحافظ على مكانتها ، وتتقدم بالشكر لما لها من مال ممدود وبنين وشهود ، فتعمل لكسب المكارم وتجتهد لاكتساب المغانم ، لتضيف الى مكانتها المادية مكانة أخرى أدبية ، تحمل اسمها فى الآفاق ، وتضمن لها ولأولادها ذكرا لا يبلى ومجدا لا ينسى .

حتى اذا صادفت فكرة جديدة كفكرة الاسلام ، ورأت ظاهرة عظيمة كظاهرة القرآن وصادفت انسانا كاملا ، عظيم الخلق ، مثل محمد عليه السلام .

كان الأولى بعقلها أن يفكر

وكان الأجدر بقلبها أن يصدق

وكان الانسب بلسانها أن يعظم القرآن ، ويستمتع بما فيه من بيان ، وما احتوى من معان لا أن تهزأ به ، أو تسخر منه ، أو تشكك فيه ، بادعائها : انه من أساطير الأولين .

ولعل الدافع له على ذلك أنه يجد القرآن على سمت غاير لسائر الكلام ، وانه يتضمن من المعانى والافكار ما لا يراه فى كلام العرب .

ولكنه ـ فى قرارة نفسه ـ كان يحس أن هذا القرآن ليس كسائر الكلام ، وانه من مصدر علوى ، سماوى ، لم يستطعه بشر ..

بيد أنه لجأ الى الشك ، أو جنح الى التشكيك ، فسخر الله منه ، وهزأ به ، وتوعده ،

(٢)

بأنه سيسمه على الخرطوم لعله يستحق هذا لأنه يدس أنفه فيما لا طاقه له به ، وفيما لا علم له به فكان الأحق به أن يفكر بعقله ، وأن يؤمن بقلبه ، وأن يسلم بلسانه .

لا يشك ، ولا يشكك ، حتى يوفر لنفسه سمعته ، ويأمن بذلك كيد الله ، ومكره .

ولكنه لم يفعل ذلك للمقدمات التي مهدت لموقفه هذا ، وللصفات التي يتصف بها هو وأشاله

فما حسب هذه الصفات العشرة ، التي تمثلها نماذج سورة القلم مجموعة رذائل مجسمة كل رذيلة منها تهز أمة ، وتحدث أزمة ، وتخلق ردوسا ، وتدك معاقل .

فما بالك بتلك الصفات مجتمعة فوق رأس واحد ، ومتراكمة داخل شخصية واحدة ؟ !

هذا الذي ذكرته من هو الأنسب ، في رأيي ، وهو الأولى ، والأجدر ، أي ما ينبغي أن يكون .

٢) وإما أن يكون رمز شر مجسم ، أو صاحب نماذج شريرة وخطيرة — ومن ثم نلتقي فيه كل الصفات التي تضمها النماذج العشرة في سورة القلم .

فهو وأشاله :

أ — كثير الحلف ، لأنه لا يثق بنفسه ، وقد يعتقد أن أحدا لا يثق به — مما يرى فيه فقد الثقة ..

ب — وهو مهين حقير ، يتصرف تصرفات وضيعة ، ويأتي بأشياء خسيسة ، شعورا منه بدم هابط ، ونبت مسف ، تحركه في ذلك عقدة الضعة ، وقانون الوراثة .

جـ — وهو — مع ذلك — عماز ، عياب ، كثير الهمز ، واللمز يتهكم بالشرفاء ، والكرام ، ويهزأ بالسادة والأحرار ، فضلا عن العبيد والاجراء ، ويقذف هذا باتهام ، ويرمي ذلك بانتقاص — ولعقدة الإسقاط دخل في سلوكه هذا .

د — ثم هو مشاء بنميم ، ينقل الأنباء على جهة السعاية والإفساد ، ويثير الإحن ، والمحن ، والفتن ويقطع العلاقات ، والصداقات ، والموداة ، لتمكن الشر منه ، وصدور الفساد عنه ، تحركه في ذلك نزعة التخريب .

هـ — وهو — إلى ذلك — مناع للخير ينع الغير فعل الخير ، وينهى نفسه عن تقديم العون ، وتيسير البر .

وهذه سلبية مقيتة في الخير ، تقابل إيجابيته الهدامة في الشر ، تدفعه إلى ذلك نزعتا الجبن والخوف .

و — وليته يقف عند هذا الحد ، فيكف أذاه عن الناس إذن يهون الخطب ، ويخف وقع المصاب ولكنه معتد : يعتدي على الأبرياء والضعفاء ، كما يعتدي على الأقوياء والأشقياء وينتهك الحرمات ، ويقترف المحرمات .

وهذا منه سلوك ذميم ، وخلق لئيم — تحركه في ذلك عقدة الشعور بالثأر أو الانتقام .

ز — ولطول تمرسه بالاعتداء ، ولكثرة مزاولته الإيذاء اتصف بأنه أثيم ، كثير الآثام .

(٣)

فكما ان علاقته بالناس قائمة على الافساد ، والايذاء ، والاعتداء ـ نجد علاقته بالله قائمة على الآثام ، وارتكاب الحرام ـ فكأن الاثم قطعة منه ، لا ينفك عنه وكأنه طبيعة فيه ـ تتصرف في كل ما يأتيه .

ولعله يحس أحيانا بمرارة الوزر ، ويعقد الشعور بالذنب .

ج ـ وهو عقل ، فظ ، غليظ ، هيئته الخلقية لا تنم عن خير ، وتركيبه الجسمي لا يفصح عن نبل ولهذا تأثير ، في علم وظائف الأعضاء .

ط ـ ثم تأتي الواهية الدواهي ، ومصدر العلل ، وهي انه زنيم ، دخيل غير أصيل ، ينزع الى أصل دني ، ويرجع الى منبت خسيس ردي ـ وهنا يظهر أثر الوراثة ، والبيئة .

ي ـ فهو يجده ذا مال وبنين ، فيغتر ، ويتجبر ، ويتكبر ، ويقيه ، ويزهى ، ويستعلي ، ويحسد ويحقد ، ويكيد للرسول ، ويشكك في القرآن ، ويدعي انه أساطير الأولين متبعا سلاح التشكيك ، وصرام التضليل .

من أجل ذلك كله ، ولا تصافه بذلك كله ، عارض هذه المعارضة ، وعاند تلك المعاندة وادعى ذلك الادعاء ومن أجل معارضته ، ومعاندته ، وادعائه ، وسمه القرآن بميسم الهوان ، ووصمه بوصمة الامتهان : ـ

(سنسمه على الخرطوم)

ثم هذه الصفات مجتمعة في شخصية ، جديرة بأن تجعل من هذه الشخصية " نموذج " شر ، وأشار فتنة ، وأمارة لعنة ، وسمت عذاب !

وكل وصف من تلك الأوصاف متصل بما قبله ، ومرتبط بما بعده ، يتفرع منه ، أو يتبين له ، أو يتعلل . مع احتفاظ كل بسمته الخاص به ، وهيئته الدالة عليه .

ولفظة كل في أول النماذج ـ منصبة على جميع الشخصيات ، بمختلف السمات ، وشتى الصفات مما يجعل من هذه الشخصيات نماذج تتجدد ، وأنماطا تتعدد ، ومخلوقات تظهر في كل عصر ، وفي كل مصر .

الأمر الذي يطبعها بطابع الاستمرار ، والإمكان ، ويطابع البقاء والخلود ، لما فيها من شيات العموم والشمول ، ولما لها من صيغ الموقوع والمبالغات .

فهنا فالشخصية التي هي محور اللفظة والاذكار ـ خلاف ، لانه مهين وهماز ، لأنه مهين ـ ومشاء بنميم ، ومناع للخير ، ومعتد ، أثيم ، لانه محتل ، ولانه زنيم .

ولكونه ذا مال وبنين ـ إذا تتلى عليه آيات من القرآن يقول عنها انها أساطير الأولين !!

فهي إذن صفات متساندة ، مترابطة ، متماسكة ، متشابكة .

(٤)

والجامعة التي تسودها جامعة مهانة ، وأزمات !

هي معقدة بعيوب جسيمة !! وهي متأزمة لأسرار وراثية ! وهي مهينة ، في وضعها الاجتماعي — وهي — من جراء ذلك كله — غيابة ، نمامة ، مناعة للخير ، معتدية أثيم ، مشككة في القرآن الحكيم !!

وإذن فلا تعارض بين الصفات ، ولا تناقض !

وإذن فقد اتضح النموذج فكرة ، كما اتضح المغزى منه والهدف !

على أن هذه الصفات منفردة ، يستقل بها شخص ، أو شخصية ، أو يتسم بها شعب أو جتمع ، تضمها وحدة فكرية متقاربة ، أو متماثلة !! وكل نقيصة منها كفيلة بأن ينهار لها مجد أو تهبط بسببها أمة !!

ثم هدف الأهداف من سرد هذه النماذج بهذه السمات ، وتلك الصفات — هو : — التخلي عما لا ينبغي ، والتحلي بما ينبغي أن يكون ...

محمد محمد محمد لقمه

الدكتور محمد محمد لقمه

نماذج قرآنية

الدكتور محمد محمد لقمان

دراسة تحليلية

يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم :

(ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز ، مشاء بنميم ، مناع للخير ، معتد ، أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ، أن كان ذا مال وبنين ، اذا تتلى عليه آياتنا قال : أساطير الأولين من آية (١٠) الى آية (١٥) من سورة القلم .

هذه النماذج تبين سمات بعض الأشرار ، الكاذبين من الكفار بل انه تتكون أمام أعيننا وأسماعنا صور كثيرة من الملاحدة ، والطاغين فى القرآن ، فى نسبته الى الله ، أو فى حقيقته وفحواه ، أو فى حقيقته ومغزاه ، سواء بالطعن الأهوج الذى لا يقوم على أساس أم بالتجريح الأحمق الذى لا يساند ، مقياس ، أم بالتشكيك فيه والسخرية منه والشك فى نسبته الى الله رب العالمين .

وصور هؤلاء الأشرار من الملاحدة والكفار ، تجمعت كلها فى هذا النموذج الحافل الآهل ... الحافل بالنقائص الخلقية ، الآهل بالعيوب الخلقية نشاهد من هذه النماذج سلبية هذا الخلاف المهين فى منعه الخير وايجابيته فى الشر ، الممثلة فى اعتدائه وآثامه ثم نسمع سخريته من القرآن ، وشكه أو تشكيكه فيه ..

وأخيرا يأتى هذا التعقيب المهين : (سنسمه على الخرطوم)

وهو ختام حاسم قاطع فى صورة ساخرة زاجرة ، تستمد بالخزى وتدفعه بالهوان .

فهذه النماذج قد رسمت سمات المجرمين فى كل زمان ومكان وأنها صورت ملامحهم بحيث تعرف سماتهم وصفاتهم ، وتبصر شياتهم وهيئاتهم حتى لا تخدع بهم ولا نصدق يمينهم ، ولا أقسامهم ، وكى نغير بأموالهم ولا أولادهم .

ثم هذه الصورة عكست صورة أخرى مضادة لها هذه الصورة الأخرى هى صورة خلق الرسول الكريم حين يخاطبه الله جل شأنه (وانك لعلى خلق عظيم) .

وحين نتأمل قصة ذلك الحلاف المهين ،نجد ها جمعت من الصفات الرذيلة والسمات القبيحة — ، صفات لها ولالات نفسية ،وعقد طبيعية ،فقد وصفته بأنه : حلاف ،مهين ،هماز ،مشاء بنميم ،مناع للخير ،معتد أثيم ،عتل ،بعد ذلك زنيم ،يدعى أن القران أساطير الاولين .

فهو كثيرالحلف ،لانه لايثق بنفسه أو لايعتقد أن أحدا يثق به ولعل مرجع هذا الى مايمكن تسميته (بعقدة فقد الثقة)

وهو مهين ،حقير ،يتصرف تصرفات وضيعة ،ويأتى أشياء خسية ،شعوراً من بوضاعة أصله ،ورذالة منبثة ، ولعل مرد هذا الى مايسمى (عقدة الضعة)

وهو — مع ذلك — هماز ،كثير الهمز واللمز ،عياب ،ساخر ،يستخف بالناس ،ويسخر منهم يتهكم بالشرفاء ،ويسخر من الاحرار ويقذف هذا بغريه ،ويرمى ذالك بالحقاص ،تحركه فى ذلك (عقد الاسقاط) ثم هو مشاء بنميم ،ينقل الاخبار على وجه الافساد بين العباد ،ويشعر الفتن والاحن فى العشائر والبلاد ،ويقطع مابين الناس ويشعر الفتن من مودات وصلات ،لفساد جبلته ،وسوء طويته ، — وسفاهته ينته وحب الشر ،وميله الى الكفر ،تصرفه فى ذلك كله (نزعة التخريب) وشهوة الافساد ولذ الانتقام)

وهو الى ذلك شاع للخير ،يمنع الغير من فعل الخير ،وينهى نفسه عن تقديم العون وتيسير لبر ،لانه ذو طبيعة شحيحة ،وغريزه حريصة ،تتحكم فيه نزعة البخل) (أو) غريزة الخوف) الخوف ن فقر مقدر أوعسر منصور — وهذه سلبية مقيته فى الخير ،تقابل ايجابيته الكريهة فى الش وليته يقف عند هذا فيكف أذاه عن الاخرين ... اذن لهامن الخطب وخف المصاب ،ولكنه — مع ذلك كل عتد ،يعتدى على الابرياء كما يعتدى على الاقوياء ، وينتهك الحرمات ،ويعترف المحرمات ،لامد غريزته قائمة على الظلم — وهذا سلوك زنيم ،وخلق دميم —

ثم انه اثيم كثير الاثام فكما أنه علاقته بالناس ،قائمة على الافساد والاعتداء نجد علاقته بالله قائم ى الاثام ،واقتراف الحرام وكأن الاثم قطعة منه ،لاينفك عنه وكانه طبيعة فيه تتحكم فى كل مايأتيه —

وهو عتل ،فظ ،غليظ ،كافر بالله ،شديد على عباد الله ،لايستمع الى نصح ولايصيح الى عظ ،ولا يأتمر بأمر ،وينتهى عن نهى — وهيئته الخلقية لاتنم عن خير ،وتركيبه الجسمى لاينبئى عن نبل أنه قد سمن من كثيرة الاعتداء ،وقد ضخم من أكله حقوق الضعفاء وهو جدير بتحليله على ضوء على وظائف لاعضاء

ثم تأتى -بعد ذلك داهيته لدواهى ،وعله العلل العلل ،وهى أنه زنيم دخيل غير صيل ،معلق بالقوم وليس منهم — واذا كان دخيلا غير أصيل ،فانه ينزع الى أصل دنى ،والى منبت ميس ردىء ،وهنا يظهر أثر الوراثة كما يظهر الشعور بذنب الاباء أو (عار الامهات) فتنحط هقته ذوب شخصيتهم هو يجد نفسه ذا مال وبنين فيعز ،ويعتز ،ويتجبر ويتكبر ،ويتيه ،ويزهى ،ويستعلى حسد ويكيد ،ويحقد ،ويشكك فى القرآن مدعيا أنه أساطير الاولين ليبث فى الناس (فتنة التشكيك

حتى ينصرفوا عن كتاب الله ، فلا يستفيدوا منه ولا ينتفعوا به ، ومرد ذلك تحيزه الشر المتأصلة فيه المسيرة له .

من أجل ذلك كله أهدر القران كرامته الادبية ، ووسمه بميسم الهوان والامتهان (سنسن على الخرطوم) - وهذا حكم دنيوى وأخروى معا - اذ يحتمل أن يجعل الله سمته أهل النار فيسود وجهه .

أو يضع علامة على أنفه ليعلم فى الدنيا كما يفصح فى الاخرى وهذه عقوبة أدبية ، ومادية معا تهدر كرامته وتنقص أوميته نما ميزاته غمن سواه ، من عبد الله فخصته بأحكام تفقده هيبته كما تيزه بسمات أفقدته هيئته .

فهذه النماذج متعددة المناحى ، متجددة الاهداف .

فالاشخاص عديدون وان ضمهم نموذج

والنموذج واحد ، وان حل فى أشخاص

وهؤلاء الاشخاص لهم صفات راسخة ، متمكنة موروثة نابعة من البيئة والوسط متأثرة ومؤثرة فى آن - وهى تساق - مع احتوائها على نواحى الشرور ، والعيوب - للفطة المتعددة وللذكرى المتجددة ، وللحياه التى تتكشف عن متناقضات ومعارضات .

وقد اتضحت معالم الشخصيات فيها ونمت نفسيتها وتصرفاتها وهيئاتها ، نموا دائما واطردت اطرارا متصلا ، واستقرت فى ضمير الزمان ، والمكان وفى كثيرة من الناس وعديد من الاجناس حتى ملأت الوجدان والاذهان والاذان بماتشع من أفكار وأسرار وبماتبعث من أهداف وتحتوى من معان .

محمد محمد لقمة

الدكتور محمد محمد لقمة

الدكتور محمد محمد أبو موسى

نماذج قرآنية

حول قوله سبحانه " ولا تطع كل حلاف مهين "

دراسة تحليلية : اجتماعية ، ونفسية

ولا تطع ،هنا وصل لجملة لا تطع ـ بما فيها (فلاتطع المكذبين)
والأداة التى قامت بهذا الوصل : الواو العاطفة التى ربطت هذه الجملة بما قبلها ثم بين الجملتين من الترابط المعنوى والمتشابه الهدف فى ما يؤيد هذا الوصل ويعضد ذلك العطف فهناك نهى عن اطاعة المكذبين ،وهنا نهى عن اطاعة كل حلاف مهين ـ وهناك تعليل وتحليل عن اطاعتهم بأنهم ودوا لو تدهن فيدهنون ،فهم ودوا أن ينافق الرسول مثلهم فهم مشركون منافقون .

فالادهان يدور حول النفاق ،وترك المناصحة واجتناب الصدق والجنوح الى التكذيب ـ على أن ـ الادهان يعطينا علمية كبيرة من تغطية المستور بالمرئى المنظور ،ومن اخفاء مافى الصدور ،واظهار غير ما بالنفوس على الوجوه ، فهذه صور فى كلمة ومناظر فى الفظة وايجاز ومجاز ، فيه تحليل وفيه تدليل ،وفيه تعليل مما يسوغ نهى هؤلاء المكذبين من الكافرين أو من المنافقين ، وفى هذا التسويغ تثبيت وتأييد وتقوية وتأكيد ـ ثم تأتى الجملة التى بدأت بها القصة وهى (ولاتطع كل حلاف مهين)

فالواو ـ هنا ربطت النموذج بتمهيد ـ ثم وهذه الواو على بساطتها ، أو كونها حرفا واحدا بشابة المسمار الذى يربط ما بين أجزاء آلة ضخمة مكونة من أجزاء ،وأجزاء لولا هذا المسمار لتفرقت أجزاؤها وتبعثرت وعطلت هذه الآلة عن العمل والحركة .

وكذلك الواو حين يطلبها الوصل المطلوب فانها ضرورة لا يستغنى عنها ومكانة الواو فى النحو وفى البلاغة ـ مكانة لها قدرها ولها موضعها الخاص بها .

(ثم كل (: حلاف مهين) تتصل بالمكذبين وكأنها تبين وتوضح لهم وكأنها تعداد لأنواعهم وصفاتهم ـ ثم هنا يظهر الهدف واضحا وهو أنه لا طاعة لمكذب ـ بالمكذب الذى لا يصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمكذب للقرآن الشاك فى نسبته الى الله عز وجل والمشكك غيره فيه هؤلاء من الحقارة والمهانة ومن التفاهة والهوان ـ بحيث لا يصدقون اذا أخبروا وبحيث لا يطاعون اذا أمروا .

ولأن هؤلاء هم أولئك اتصلوا بهم وتفرعوا منهم ـ وكانوا واياهم فى رشن واحد يجرى على هؤلاء ما يجرى على أولئك .

ولفظة (كل) لفظة خرجت بالنموذج الواحد وذى الشخصية الواحدة والحدث الواحد الى نماذج عديدة ، ومتنوعة ذوات أشخاص كثيرين وذوات أحداث متعددة وصفات متجددة لانها خرجت بالحدث الشخصى أو بالشخص الفردى من نطاق محدد فى مكان موقت فى زمان الى محيط أرحب والى مجال أعم وأشمل .

(٢)

وفى هذه سمة من سمات الخلود الذى يصل الماضى بالحاضر ويربط الحاضر بالمستقبل ويجعل الحايكلها متماسكة متشابكة متحدة وان تعددت صورها مستمرة وان توقفت عرضهـا •

ففى العمل الخالد سمات البقاء وامارات الخلود والخروج بالاحداث الفردية الى ميدان انسانى عام يضمن لها ذلك البقاء وهذا الخلود •

ومن هنا عددت هذه القصة نماذج — ففى كل وصف من الاوصاف العشرة التى تنضم تحت هذه النماذج ، نموذج مستقل يشغل قصة مستقلة ويملا فراغا كبيرا •

وسنعرف أن فى هذه النماذج (العامةملامح انسانية شاملة كاملة فيها عموم وشمول) وفيهـا تعميم وتعميق تجعل كل كلمة من الكلمات التى احتواها الاطار العام بمناذجه الكثيرة التى بلغت العشرة عند الدقة والتحقيق — تلك الملاح الانسانية وذلك العموم المستفاد من كلمة (كل) يجعل من كـل وصف تحتوى علية كل كلمة من كلمات النماذج قصة قائمة بنفسها وفكرة مستقلة بذاتها — وشخصيتة يمكـن أن تنفرد فى نموذج ونموذجا يحتوى على شخصيتة — فى مجموعات شخصيات — وهذه الشـخصيات تضامت وتألفت وتماسكت حتى أستحالت أخر الامر شخصيتة تعد نهاية النهايات فى الشرور والعقد والازمات ولو حاول قاض ادبى أو كاتب مسرحى أن يولف ببنهـا فى فصوله متعددة لصعب علية أن يولف بينهـا فـى مسرحية واحدة موحدة — وهو ان استطاع وكان موفقا لاتى بنموذج بشرى خالد تستقر ملامحة فى خـلد القارىء للقصة أو الرواية التى تتكون من أقسام ومجلدات كما تستقر صورة ومشـاهدة وصراعة وحواره فـى ذهن المساهد وفى وجدانة على مدى الازمان والاباد •

على أننى حين قرات هذا النموذج الحافل وجدت أن الاقرب للفهم والتيسير وأن الادنى من جو التحليل والتعليل والتفضيل أن ابين كل لمحة من هذه المحات أو كل شخصة من تلك الشخصيات فى صورة منفردة ومستقلة لنرى مدى ما أوحتة كلمة (كل) هذه كم العمـوم والشمول ومن البقاء والخلود

واليكم هذه الشخصيات وسأبدا بالشخصية الحلاف ثم بسائر الشخصيات فى الاحاديث القـادمة

١ — شـخصية الخلاف

وشخصية الخلاف شخصية توضع موضع دراسة متنوعة اجتماعية كشخصية المزواج المطلاق — اقتصادية كشخصية التاجر الفاش أو التاجر الجشع أو التاجر الكاذب أو التاجر المفلس وكشخصية السمسـار الضليل وشخصية العاطل أو المعطل

أو دراسة نفسية — كشخصية الخلاف الذى يقم بداع وبدون داع والذى يتعهد زوارا دون أن يطلب أجرا نظير زوره وتضليلة والذى يقسم فى التافة والحقير ولايقم فى الجليل والخطير

والذى يحلف على أن لايصدق فى قسم ليهرب من نار أو كفارة أو صوم او الى ذلك •

(٣)

والذى يجامل الناس بالصدق الكاذب ويحارب الله بالكذب المقنع والذى يصدر كلامة الخاطىء أو
اية المخطىء بيمين يكذب يكذب فيها ويمين والذى يوهمك أنه يقسم فلايقسم
والذى يحلف بالله كذبا ولا يحلف بالنعمة كذبـــا
الذى يحلف بالله كذبا ثم لا يحلف بالطـلاق أبدا
والذى يحلف بما لاينبغى أنه يحلف به من أشياء واشخاص
الذى يأتى بالمقسم به ويترك المقســـم عليه .
الذى يحلف بيمين الظهر مثلا وهو يعرف خطورتة وتبعيتة وصعوبتة وهكذا ...

كل هذا وغير هذا قد أثارته كلمة (كل) فى قولة سبحانة (كل حـــلاف)

وكلمة (حلاف) بصيغة المبالغة وهذه أثارت فى ذهنى وخاطرى كل تلك الصور ـ ولعلنـــا
بعد التروى والتانى نستيطيع أن تأتى بأكثر من هذه الصور والالوان فى الاقسام والايمـــان

ففى كل صورة من تلك الصور التى أربت على العشرين ـ فكرة لقصة كاملة أو شخصية لرواية مستقلة ـ أو
موذج لمســـرحية كبيرة ـ ذات فصول وفصـــول ..

وهذا من ايحاء لفظة (حـــلاف) الدالة على المبالغة فى المظهر والجوهر وهى ايماءة لغويـة
ن ايماءات الاعجاز البيانى فى القـــــران الكـــــريم

محمـد محمـد القمـــــــة

الدكتور محمد محمد القمة

نظـــــام المجمـــوعات

فى قصـــــص القـــــرآن

الدكتور محمد محمد بغدادى

(٤٦)

نظام المجموعات في سورة الذاريات

سورة الذاريات

د. أحمد محمد الضبع — د. محمد محمد داود

ـ ١ ـ
لمحة " المتقين "

(إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) من آية (١٥) إلى آية (١٩) من سورة الذاريات

وهي لمحة تكريمية وتقديرية تتسم بسمات اشتراكية فهم محسنون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ثم هم عابدون قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ومن ثم كانوا في جنات وعيون .

ثم بعد هذه اللمحة يأتي :

ـ ٢ ـ
حديث ضيف إبراهيم المكرمين
من آية (٢٤) الى آية (٣٧) من سورة الذاريات

(هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا : سلاما قال : سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم ، قال : ألا تأكلون ؟ فأوجس منهم خيفة قالوا : لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت : عجوز عقيم قالوا : كذلك قال ربك : إنه هو الحكيم العليم) قال : فما خطبكم أيها المرسلون قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم) .

فهذه قصة حوارية ذات مرتكزين أو نطاقين الموقف الأول أو الفصل الأول ـ فيه تلطف وتعطف وتحنن وإكرام وبشرى وهو الخاص بضيف إبراهيم المكرمين وهو من آية (٢٤) إلى آية (٣٠) . والموقف الثاني أو الفصل الثاني ـ فيه عرض مسرع ولماح لانتقام الله من القوم المجرمين فالقوم لم يسموا بأسماء وإنما وصفوا وصفا موجبا للعقوبة . ثم طويت السافات وتمت العقوبات واستخدمت الضمائر الدالة على الإسراع والحركات (فأخرجنا فما وجدنا) . ويقع هذا الفصل الثاني من كآية (٣١) إلى (٣٧) .

على أن القصة هذه : (قصة ضيف إبراهيم) تعد قصة من فصل واحد أو موقف واحد إلى جانب كونها من فصلين أو صحة كونها من فصلين على أنها تصلح أن تكون من ثلاثة فصول : الفصل الأول ـ كما هو من آية (٢٤) إلى آية (٣٠)

والفصل الثاني ـ من آية (٣١) الى آية (٣٤)

والفصل الثالث ـ من آية (٣٥) الى آية (٣٧)

٤٧

ـ ٣ ـ

القصة موسى عليه السلام

(وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال : ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم) .

من آية (٣٨) إلى آية (٤٠) من سورة الذاريات

وهذه القصة هي قصة موسى أو قصة فرعون أو قصة موسى وفرعون ، وهي مكونة من ثلاث آيات أو ثلاثة فصول .

فالفصل الأول هو إرسال موسى إلى فرعون بسلطان مبين . والفصل الثاني : إعراض فرعون بجانبه وقوله عن موسى : إنه ساحر أو مجنون . والفصل الثالث أخذه وجنوده ونبذه في اليم وهو مليم .

وهي ـ من حيث البناء والتصميم ومن حيث الأحداث والأشخاص ومن حيث التسلسل والاطراد تصلح قصة موسى أو تصلح أرضية قصة طويلة أو رواية كبيرة . لكنني عددتها أقصوصة بالنظر إلى حجمها وكمها لا بالنظر إلى جوهرها وبنائها . وهي تصلح قصة أشخاص قصة موسى وقصة فرعون وجنوده . كما أنها تصلح قصة أحداث لتواليها في الفصول الثلاثة أرسلناه ـ فتولى بركنه ـ وقال ـ فأخذناه وجنوده ـ فنبذناهم .

كما أنها تصلح قصة فكرة هي انتصار السلطان المبين والبرهان القوي والدعوة الدينية على باطلها فقد أبطلها ادعاءات فرعون واتهاماته موسى بأنه ساحر أو مجنون ـ وبما ظهرت على تولي فرعون بركنه وإعراضه وجنوده وبما انتقم الله من أمر أنها بأخذهم ونبذهم في اليم وهم داخلون في الملام .

ـ ٤ ـ

القصة عاد

آيتا (٤١) ، (٤٢) من سورة الذاريات

(وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم) .

أما هذه الأقصوصة القصيرة أقصوصة عاد ، أو أقصوصة الريح العقيم أو أقصوصة الانتقام .. فهي مكونة من آيتين لهما جزئية واحدة هي جزئية عاد ـ فهي أقصوصة شخصية أو أقصوصة الريح العقيم فهي أقصوصة حدث أو فكرة .

ثم هي من الأقاصيص القصار التي تعتمد على التركيز والضغط والعنف والقوة وهي من حيث الأسلوب ـ أقصوصة سردية تشبه في الشعر ـ القطوعة القصيرة .

ـ ٥ ـ

القصة ثمود

من آية (٤٣) إلى آية (٤٥) من سورة الذاريات

(وفي ثمود إذ قيل لهم : تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم

ينظرون فما استطاعوا من قيام ، وما كانوا منتصرين) .

وهذه أقصوصة طويلة ذات فصول ثلاثة أو هي قصة قصيرة ذات مناظر ثلاثة كما أنها بفترتيها أو زمنيها الطويل تصلح أرضية رواية كبيرة .

فالفصل الأول : إمطارهم فرصة التمتع حتى حين .

والفصل الثاني : عتوهم عن أمر ربهم .

والفصل الثالث : أخذهم بالصاعقة وهم ينظرون وعدم استطاعتهم القيام وعدم كونهم منتصرين .

وهي - أيضا - تعتمد على السرعة ، والتوهج والتدفق يدل على ذلك الفعل المبني للمجهول (قيل) إذ حذف الفاعل - هنا - للإسراع وللعلم به ، أو لصعوبته من السياق أو لعدم تعلق فائدة به - وتدل - على الإسراع كذلك - الفاءات المتلاحقة نعتوا فأخذتهم فما استطاعوا . وهذا على التوهج والتدفق المبالغة ، والتصميم في (من قبل) والإصرار والتصميم في (وما كانوا منتصرين) .

على أن الآية الأخيرة من الأقصوصة - امتداد واستطراد للفصل الثالث الأخير في الآية الثانية . وفي هذا الاستطراد استقصاء للفكرة فكرة الأخذ بالصاعقة . وتعقيب بإيراد المفعول في جملة (وماكانوا منتصرين) . فمثل هؤلاء الذين تمتعوا حتى حين ولم يحمدوا الله ولم يشكروه ولم يعترفوا الله في رخائهم وهنائهم بل عتوا عن أمر ربهم ..

مثل هؤلاء لا يجدون نصيرا ولا ظهيرا .

وهنا يكمن المغزى كما يكمن في ترتب الانتقام (فأخذتهم الصاعقة) على الذنب : (عتوا عن أمر ربهم) .

- ٦ -

(وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين) آية (٤٦) الذاريات .

وهذه اللمحة الخاطفة أو البضة السريعة ذات الآية الواحدة ، وذات الجنبات المتعددة أو الجهة الواحدة - هي أسرع الأقاصيص التي مرت في سورة الذاريات وإن أثارت عدة استفهامات وتعليقات فعلام عطف قوم نوح ؟ ولم عطف قوم نوح بالنصب ؟ هل عطف على ضمير (فأخذتهم) فيكون التقدير فأخذتهم الصاعقة كما أخذ الطوفان قوم نوح من قبل ؟ أو يكون قوم نوح - مفعولا - لفعل محذوف أو مقدر أي وعاقب الله قوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين ؟ !

وهذه اللمحة على قصرها وصغرها - ذات شقين : شق انتقام وشق تبرير وتعليل للانتقام ثم فيها تعميق للأقاصيص التي سبقتها في الذكر وإن كانت - هذه - تسبقها في الوجود التاريخي تدل على هذه الكلمة (من قبل) .

والتاريخ - هنا - ليقصد إليه كما أنه لم يهمل .. بل أشير إليه ودل عليه ليأمن السامع العثار والوقوع في الأخطار .

ونخلص من هذه المجموعة القصصية في سورة الذاريات أنها ست قصص ما بين لمحة أو أقصوصة طويلة وقصة وأقصوصة قصيرة وبضة سريعة وهي أي المجموعة - على هذا النحو :

١) لمحة المقبرين " ـ وهي لمحة شخصية أو فكرية .
٢) حديث " ضيف إبراهيم المكرمين ـ والمرسلين . وهي قصة طويلة .
٣) القصة " موسى وفرعون " ـ وهي القصة طويلة أو قصيرة .
٤) القصة " عاد " والقصة " الريح العقيم " أو القصة " الانتقام " ـ وهي القصة قصيرة .
٥) القصة " ثمود " ـ وهي القصة ذات فصول ثلاثة من الاقاصيص الطوال .
٦) وقصة " قوم نوح " ـ هي لمحة سريعة وخاطفة أو القصة أكثر إسراعا .

على أن مجموعة قصص القرآن ـ كما نرى ـ محصورة بين لمحتين : لمحة بطيئة ولمحة سريعة . ثم مجموعة الأقاصيص الأربعة الأخيرة . وهي : القصة موسى وفرعون والقصة عاد . والقصة ثمود . والقصة قوم نوح ـ يمكن جعلها في مجموعة واحدة . تحت عنوان

﴿ مجموعة الأقاصيص ﴾

بما جعل حديث " ضيف إبراهيم " قصة مستقلة قائمة بذاتها وبرمتها .

---

(٧٦)

الدكتور محمد محمد بدير

قصة سورة ابراهيم
لنعمك موسى وقومه

.....

من آية رقم (٥) إلى آية رقم (١٤) من سورة ابراهيم والتمهيد بآية (٤) : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) .

أما تمهيد النعمات فهو آية رقم (٥) :

(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور ، وذكرهم بأيام الله . إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) .

هذا التمهيد يحمل فلسفة القصة وفكرتها ، ويصلها بجو السورة العام :

(كتاب أنزلناه إليك ، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) آية (١) .

وكذلك تذكيرهم بنعم الله ، وأيامه : (اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) . يتذكر هذه النعم : (لئن شكرتم لأزيدنكم) آية (٧) .

ثم تذكيرهم بأيام الله : (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد ، وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) آية (٩) ثم تحذيرهم من كفر النعم (ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) (٧) ـ (وقال موسى : إن تكفروا أنتم ، ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد) (٨) .

وروح السورة يسير على هذا المنوال : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) (٣٤) .

وفي خلال هذه اللمحات تتشابك قضية معروفة ، وهي بشرية الرسول :

(قالوا : إن أنتم إلا بشر مثلنا) آية (١٠) ـ (إن نحن إلا بشر مثلكم ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) آية (١١) .

وهذه الشبهة لعبت دورا كبيرا في العهود على تعدد الأزمان وكانت إحدى عقبات الدعوة الإسلامية . ثم إن هذه اللمحات تهديد بطرد الرسل ، والمؤمنين : (ولنخرجنكم من أرضنا ، أو لتعودن في ملتنا) ١٣ / إبراهيم كما أن فيها تهديدا حقيقيا من الله للظالمين ، وتبشيرا صادقا للرسل والمؤمنين :

(وأوحى إليهم ربهم : لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامي ، وخاف وعيد) .. ١٣ ، ١٤ / إبراهيم .

وتعمل في هذا تمهيدات عنيفة ، وشديدة لتقرير تربص الرسل ، والمؤمنين ، وإخراجهم السالمين منتصرين إلى الحياة ، وتعمل فيه إرهاصة بتدمير الكفار على الرسل

بالطرد ، أو بالقتل ، كما حدث في ظروف الهجرة إلى المدينة .

وهذا الوعد الصادق : وعد بانتصار الرسول عليه السلام وأتباعه والمهاجرين ، في نهاية الأمر . مما يحمل السكينة ، والطمأنينة إلى قلب الرسول والمؤمنين .

أنسودة الشيطان

آية (٢٢) من سورة ابراهيم

(وقال الشيطان لما قضي الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم ، فأخلفتكم . وما كان لي عليكم من سلطان ، إلا أن دعوتكم ، فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم ، وما أنتم بمصرخي . إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) .

وهذه الأنشودة جاءت تأكيدا مرئيا ، ومسموعا ، ومحسا ، لظلال الوحشة من أرجاء القيامة التي سبقت هذه الأنشودة :

(وبرزوا لله جميعا ، فقال الضعفاء للذين استكبروا : إنا كنا لكم تبعا ، فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله ، من شيء ، قالوا : لو هدانا الله لهديناكم ، سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ، ما لنا من محيص) آية (٢١) ابراهيم .

قصة ابراهيم عليه السلام

من آية (٣٥) إلى آية (٤١)

(وإذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس . فمن تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم) إلى قوله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم : (ربنا اغفر لي ولوالدي ، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) آية (٤١) سورة إبراهيم .

هذه القصة تشبه قصة نوح في سورة نوح ، إذ كل من القصتين يعتمد على الدعاء لله سبحانه . كما أن بعض معاني أو شكوى إبراهيم ، تلتقي مع معاني وشكاوى نوح : فإبراهيم يشكو قومه " رب إنهن أضللن كثيرا من الناس " . ونوح يشكو (وقد أضلوا كثيرا) — (يضلوا عبادك) وإذا كان لفظ (قال) هو الرابط بين أجزاء قصة نوح في سورة نوح . فإن قصة إبراهيم في سورة إبراهيم ، تعتمد على كلمة " الرب " (رب اجعل) — (رب إنهن) — (ربنا إني) — (ربنا إنك) — (رب اجعلني) — (ربنا اغفر لي) حتى المتكلم يكاد يكون واحدا ، فهناك : (رب اغفر لي ولوالدي ، ولمن دخل بيتي مؤمنا ، وللمؤمنين ، وللمؤمنات ، ولا تزد الظالمين إلا تبارا) هذا في قصة إبراهيم .

(ربنا اغفر لي ، ولوالدي ، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) .

غير أن الشخصيتين مختلفتان بالنظر إلى موقفه من قومهما الذي عليه السلام يختم دعاءه وشفاعته بهذا الدعاء على الظالمين (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) ثم هو يدعو على الكفار (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) ـ (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) ثم يختم دعاءه عليهم بالاستئصال ، إذ يقول : (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) . أما إبراهيم عليه السلام ، فشخصية رحيمة ، إذ يخرج يقوله مرحبا بمن تبعه ، غافرا لمن عصاه .

(فمن تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم) . ولا عجب ! ... فموقف القومين مختلف ! فجو نبي الإنذار : (أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) وجو إبراهيم (وأنذرهم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ومن هنا تعددت دعوات إبراهيم ، بإنزال نعم الله : (ربنا إني أسكنت من ذريتي) ـ (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ، وارزقهم من الثمرات ، لعلهم يشكرون) . والمقام ـ هناك ـ كما قلنا ـ مقام إنذار ، وهنا ـ مقام شكر (لعلهم يشكرون) .

"وجوه التعبير والأسلوب"

في سورة الأنبياء

الدكتور محمد محمد أبو موسى

قصة إبراهيم عليه السلام

وهي قصة حوارية رائعة ، وصلح مثلا يسرحها إذا لم يذكر فيها كلمة " قال " أو " قالوا " . والقصة في الآية الأولى رقم (٥١) :

(ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) ـ وفي هذه المقدمة تقديم الشخصية ، والتعريف بها ، وتصوير صفاتها ، وتؤدي هذه المقدمة الحكيمة أو هذه الحكاية القدم بها . فهو إبراهيم ، وهو راشد بهته ، والله آتاه رشده من قبل ، وهذا الإيتاء يستحق هو من الله ، إذ هو أهل له ، وإذ الله عالم به ثم هذه الحكاية ، في هذه الآية ، صادرة من لم يلقوه لا عن حدس وتخمين . ثم تأتي بعد ذلك مواقف هذه القصة الرائعة : موقفه من أبيه وقومه : (إذ قال لأبيه ، وقومه : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين .. قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين .. قالوا : أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ؟ .. قال : بل ربكم رب السموات ، والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) وهذا هو الموقف الأول من هذه القصة .

ثم تأتي قاصمة وبيئة حديثة يلقنها إبراهيم وبنيه وقومه ، حيث يحطم الأصنام (فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون) وهذه الحادثة تغير مجرى الحوار في الموقف الثاني وفي الموقف الثالث . (قالوا : من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا : سمعنا فتى يذكرهم ، يقال له إبراهيم . (قالوا : فأتوا به على أعين الناس ، لعلهم يشهدون . (قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ (قال : بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون) . وتأتي هنا فاصلة وفي خاتمة بأوثقة الأقوام يعتمد على الوصف والحوار معا . تصوره حالتان الأولى . (فرجعوا إلى أنفسهم ، فقالوا : إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم : لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) .

ثم يأتي الموقف الثاني بهذا الحوار ، الذي يصل إلى نهايته بهداية الموقف الأخير : (قال : أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟ أف لكم ، ولما تعبدون من دون الله ؟ أفلا تعقلون ؟ قالوا : حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) وأخيرا يأتي الموقف الثالث الأخير الرهيب ، موقف الاستسلام والإحراق ، إذ يلقى إبراهيم في النار ليصدر النداء من الله للنار : (قلنا : يا نار كوني بردا ، وسلاما على إبراهيم) ويصف القرآن حالة الكائدين من عبدة الأصنام : (وأرادوا به كيدا ، فجعلناهم الأخسرين) ثم يخرج في النتيجة لإبراهيم ، وبين نعم الله عليه (ونجيناه ، ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة ، وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) .

الآيات في القصة من رقم (٥١) إلى رقم (٧٣) من سورة الأنبياء .

وإذا وصلنا هذه القصة بالسياق العام للسورة ، وجدنا جو السورة ، ووجهها العام ، هو السخرية والهزء ، واللعب ، واللهو ، وما إلى ذلك كله . (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ، إلا استمعوه وهم يلعبون (٢) . لاهية قلوبهم) (٣) الأنبياء . (يباغتها السماء والأرض وما بينهما لاعبين (٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه (١٧) تعالى بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون (٤١) وهكذا .

وفي هذا الإطار تدرس جولة قصة العلم ، إبراهيم آتاه الله رشده ، قال لقومه معاتبا وهو الراشد فيهم ، والعليم عليهم ، وهو يشفق وإلى أمرهم ، وبين لم تشرح روح السخرية في حوار القصة ليصطبغ بالفكاهة والدعابة حينا ، وبالتحدي والتهكم حينا آخر ، على عهد عبادة الأصنام :

(ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ (٥٢)) ـ (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين (٥٤)) ـ (أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ؟) (٥٥)) .

(فعلوا به علي أعين الناس لعلهم يشهدون) (٦١) ـ (بل لعلهم كبيرهم هذا ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون) (ثم نكسوا على رؤوسهم) (قالوا بردا وسلاما على إبراهيم) حتى النار سخرت منهم إ .. ثم تأخذ القصة ، وما يليها من القصص روحا أخرى هي روح الإسلام ، والتفضل ، والرحمة . فروح الرحمة تشيع في سائر القصص الخاصة بالأنبياء ، وكذلك روح الهداة ، والعطاء . فيها ـ في خاتم قصة إبراهيم ـ : (ووهبنا له إسحق ، ويعقوب نافلة) (ووهبنا لهم من رحمتنا) .

ثم تأتي بعد ذلك مجموعة الأقاصيص في سورة الأنبياء مثل : قصة لوط في آيتي ٧٤ ، ٧٥ ـ الأنبياء وفيها : (ولوطا آتيناه حكما وعلما ، ونجيناه من القرية) (وأدخلناه في رحمتنا) .

ومثل : قصة نوح في آيتي ٧٦ ، ٧٧ / الأنبياء (ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له ، فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ، ونصرناه) .

ومثل : قصة داود ، وسليمان في آية وصف آية : (وكلا آتينا حكما وعلما) (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) وهذه خصوصية (٧٨ ، ٧٩) الأنبياء .

ومثل : قصة سليمان ، في آيتي ٨١ ، ٨٢ / الأنبياء (ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره) (ومن الشياطين من يغوصون له ، ويعملون عملا دون ذلك) .

ومثل : قصة أيوب ، في آيتي ٨٣ ، ٨٤ / الأنبياء (فاستجبنا له ، فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) .

ومثل : قصة إسماعيل ، وإدريس ، وذي الكفل ، في آيتي ٨٥ ، ٨٦ / الأنبياء (وأدخلناهم في رحمتنا) .

ومثل : قصة ذي النون ، في آيتي ٨٧ ، ٨٨ / الأنبياء (نادى في الظلمات) (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) .

ومثل : قصة زكريا ، في آيتي ٨٩ ، ٩٠ / الأنبياء (إذ نادى ربه) (فاستجبنا له ، ووهبنا له يحيى ، وأصلحنا له زوجه) .

ومثل : قصة التي أحصنت فرجها ، في آية (٩١) (أحصنت) (فنفخنا فيها من روحنا) (وجعلناها وابنها آية للعالمين) .

ثم يشير هدف الأهداف ، وهو الوحدة الإنسانية والعالمية والدينية ، التي تؤرخ هذه الآية :

(إن هذه أمتكم أمة واحدة) .

٤٢٧
٤٩٧

القصص الملى

سورة العنكبوت

• • •

ومجموعتها القصصية

• • •

١) أقصوصة " نوح " عليه السلام • آيتا (١٤ ، ١٥) سورة العنكبوت •

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون • فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين)

في هذه الأقصوصة :

١) ارسال نوح الى قومه
٢) لبثه فيهم تسعمائة وخمسون عاما
٣) ظلم قومه المستمر ، المستقر
٤) أخذهم الطوفان
٥) انجاء الله نوحا وأصحاب السفينة
٦) جعل الله هذه الحادثة آية للعالمين

٢) قصة ابراهيم عليه السلام • من آية (١٦) الى آية (٢٧) سورة العنكبوت •

هذه القصة موزعة توزيعا مرادا منه العظة والاعتبار فهي من آية (١٦) الى آية (١٨) تسجل كلام ابراهيم عليه السلام ، الذي يوجهه الى قومه وهو :

(وابراهيم اذ قال لقومه : اعبدوا الله ، واتقوه ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • انما تعبدون من دون الله أوثانا ، وتخلقون افكا ، ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق ، واعبدوه ، واشكروا له اليه ترجعون •

وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم ، وما على الرسول الا البلاغ المبين)

فهو يأمرهم بعبادة الله ، وبالتقوى في العبادة ، وهاتان هما الغايتان من الوجدات الانسانية ، والعالمية ، والدينية ، كما قررتهما سورتا : الأنبياء ، والمؤمنون • ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون •

ثم ينعى عليهم بأن عبادتهم للأوثان ليست بعبادة ، انما هي وثنية وشرك ، وانهم — بهذا — يخلقون افكا ، ويبتدعون شركا •

وان عبادتهم لن تعود لهم بالخير في الدنيا ، ولا في الآخرة • فالأصنام التي يعبدونها من دون الله ، لا تملك لهم رزقا وما دام الأمر كذلك ، فابتغوا عند الله الرزق ، واعبدوه ، واشكروا له — اليه ترجعون في الدنيا ، وفي يوم القيامة •

وان تكذبوا فلا غرو في هذا ، ولا عجب • اذ ظالما كذبت أمم من قبلكم ، فلم يضروا الا بأنفسهم ، ولم يضروا رسلهم الأولين المكذبين)

وما على الرسول الا البلاغ المبين ﴿ ، وقد بلغتكم أبين بلاغ ، وأبنتم لكم أنهم تبينون ﴾

وبعد هذه الآيات التي سجلت كلام ابراهيم ، لقومه ـ يأتي تعليق القرآن على كلامه ، متمما له ان كان في حاجة الى تتميم ، ومتفرعا منه اذا صح هذا التعبير ، وهذا التعليق يشغل ما بين آية (١٩) الى آية (٢٣) :

أي من قوله تعالى :

(أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ، ثم يعيده ، ؟ ان ذلك على الله يسير ؟ ﴿) الى قوله تعالى :

(والذين كفروا بآيات الله ، ولقائه ، أولئك يئسوا من رحمتي ، وأولئك لهم عذاب أليم)

والقصص هنا في هذه السورة سوق للعظة المباشرة ، فلا عجب أن جاءت هذه العظات ، في هذه الآيات ﴿ وليس في هذا عيب فني ، ولا حشو بلاغي ﴾ اذ أن هذا قصص ديني ، سوق ـ هنا لا في كل موطن ـ للاذكار ، والاعتبار ،

والقرآن يفتن في هذه المجموعة أيما افتنان ، فالقصة التي قبل هذه ـ في غاية التركيز ، لا كلام فيها ، ولا حوار ، على الرغم من أنه قد لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ، فهي مثال للايجاز ، ومن هنا أطلقت عليهم اسم الأقصوصة ،

أما قصة ابراهيم ، فهي ذات صبغة وعظية ، تبليغية ، تبيينية ، ومن ثم قامت على الارشاد من قبله لقومه ، فأطنب وأسهب ، وبين وفصل ، وأتى باعتراضات ، وقضى على اعتراضات ، وكان في هذا فرصة للقرآن أن يضيف الى عظة ابراهيم لقومه ، عظة جدلية ، وعاطفية ، وتجريبية ، تناسب كل الأقوام ، من لدن ابراهيم الى محمد عليهما السلام ، فكانت هذه الآيات ، المتضمنة تلك العظات والمثلات ،

والذي يدعو الى هذا التبليغ المبين ، التي تطلب من كل رسول لقومه (وما على الرسول الا البلاغ المبين)

ولعل هذا التعليق يمثل الموقف الذي يطلب من صاحب القصة أو الرواية أو المسرحية ، كما يطلب مؤلف البحث ، والرسالة أو الكتاب ،

ليستبين رأيه ، ويتضح فكره ، ويظهر دوره في الارشاد والاصلاح والتوجيه ، أو يظهر أثره في التزييف ، والتخريف ، وفي التضليل ، والتمويه ، وبهذا تأمن شر الدس والكيد في التأليف ، وتضمن خير الدرس ، والفكر ، في التصنيف ، وان للكلمة خطرا أي خطر وللفكرة أثرا أي أثر في بناء الأمم ، وفي خلق الأفراد والجماعات ، وفي توجيه العقائد والشرائع ، والأخلاق ، والعادات ، خاصة اذا صدرت من زعيم ، أو عظيم ، فضلا عن نبي ، أو رسول ، فضلا عن اله العالمين ،

وهذا التعقيب على كلام ابراهيم ، يمثل التعليق في القصص الملحمي — وليس في هذا عيب ولا نقص .

ثم في هذا تشويق للقارئ ، والسامع ، وحث له على البحث عن الجواب ، والتطلع الى الختام .

كما أن فيه حفزا لهمة الباحث ، وعزيمة الدارس ، الى أن يفرق بين نسق العظمة في قول ابراهيم ، والحجج في سياق القرآن ، مع تعدد درجات البلاغة ، وتجدد صور الصياغة ، وكلها في الذروة العليا من البلاغ المبين ، والبيان الرصين ، والقول المتين والقرآن قد وضع في آخر آية من التعقيب ، اشارة دالة على أنه من تعقيب الله على كلام رسوله ابراهيم ، وهي : (أولئك يئسوا من رحمتي) .

فلولا هذه الشارة المميزة للكلامين — لصح أن يكون هذا التعقيب ، تتمة قول ابراهيم مع التسليم بأن كلامه قد استوفى مداه ، وبلغ أقصاه ومنتهاه ، ولم ينقص في معناه ما يفتقر تمامه الى كلام !

ثم يأتي — بعد هذا التعقيب — تمام القصة ، وجواب قوم ابراهيم ، وهذا في آية (٢٤) :

(فما كان جواب قومه الا أن قالوا : اقتلوه ، أو حرقوه !)

وبهذا يتم الفصل الأول ، أو الموقف الأول بشطريه ، ومشهديه أو منظريه .

ثم يأتي الفصل الثاني ، فصل الانجاء : (فأنجاه الله من النار)
ثم يأتي التعقيب على هذا الانجاء : (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

وكان المنتظر أن تنتهي القصة بهذا ، وأن تقف عند هذا اذ استوفت فصليها : فصل التبليغ والتكذيب ، وفصل الانجاء ، والتعليق .

الا أن القرآن قد سجل قول ابراهيم لقومه ، بعد أن أنجاه الله من النار :

(وقال : انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ، ويلعن بعضكم بعضا ، ومأواكم النار ، وما لكم من ناصرين)

فبعد انجائه من النار ، استبانت له وثنية أخرى ، هي وثنية المجاملة ، والمودة ، والألقاب المزجاة ، التي لا مدلول لها الا الهوى ، والتزييف !

المجاملة على حساب الحق ، والمودة ، على حساب الحقيقة ، والالقاب على حساب القيم ، والهوى على حساب العدالة !

وهذه وثنية تهدم أمما ، وتنقض قيما ، وتبدل معالم ، وتهد حضارات ، وتقلب الحق باطلا ، والباطل حقا ، وفي هذا خطورته ، وضرته .

ولعل هذا الفهم قد عرفها من تجربة محاكمته ، ومن مهزلة مخاصمته ، ومن حادثة احراقه ، أو محاولة احراقه ، ومن مفاجأة انجائه ، ومن حقيقة دينه ، وقوة يقينه .. اذ تراءى له بعد كل أولئك حقيقة هؤلاء ، وانكشف له موقفهم في النار يوم القيامة ، يكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضا ، وقد تيقن أن مأواهم النار ، وهي أشد من نارهم هذه ، التي نجا منها ، اذ أن الله ينصره وما لهم من ناصرين .

واذن فالمقصود ابراز قوة ابراهيم ، وصلابته في الحق ، وثباته مع ابتلائه ، وصدقه مع ربه في دعوته ، وتسجيل موقفه بعد انجائه ، دليل على تحقق ذلك المقصود ، اذ هو مصر على دعوته ، لا يفتر عنها ، ولا ينى فيها ، ولا يخاف عقابا يعاد ، ولا يخشى بأسا يكرر ، أو يجدد ...

ومن هنا أخذ جل القصة بكلامه أولا قبل محاولة احراقه ، وأخيرا بعد انجائه من النار .

بل ان شخصيته القوية ، قد وضحت بعد أن مر بتجربة الاحراق ، ولعل الله قد كشف عن بصيرته ، فأراه مآل هؤلاء الكائدين وهم في النار ، يكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضا .

ولعله قد حكم عليهم بذلك ، كما حكموا هم عليه من قبل بالقتل ، أو بالتحريق ..

فهم أحق بأن يقتلوا ، ويحرقوا ... وهذا درس الفتنة ، قد انتفع به ، ثم هذا صوت المحنة ، قد أصاخ اليه ، وروح الفتنة ، والمحنة تسيطر على السورة من أولها :

(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا : آمنا ، وهم لا يفتنون ؟ ( )
(ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين)
آيتا ٢ ، ٣ / العنكبوت .

وهذه الفتن ، وتلك المحن تحتاج الى الجهاد ، للتغلب عليها .
(ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ، ان الله لغني عن العالمين) آية (٦) العنكبوت .

على أن من أعظم ألوان الجهاد الثبات على العقيدة الحق والايمان بالله ، وعدم الاشراك به ، ومخالفة أي انسان يزين للانسان الشرك بالله حتى ولو كان ذلك الانسان أبا أو أما ، لمن يزين له وهذا مدار هذه التوصية :
(ووصينا الانسان بوالدين حسنا ، وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علما فلا تطعهما الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) ٨/ العنكبوت .

على أن هناك بعض الناس الذين لا يصمدون للفتن ، ولا للمحن ، ويكون مذبذبا مضطربا ، لا يقر له قرار ، مثل هذا يكون الى النفاق أقرب ، وبالمنافقين أشبه ؛

(ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فاذا أوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن : انا كنا معكم ، أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ؟ .

وليعلمن الله الذين آمنوا ، وليعلمن المنافقين) آيتا (١٠) ، (١١) سورة العنكبوت .

ومن سبيل الفتنة التضليل ، والتغرير ، وازجاء الوعود الكاذبة ، والأماني الباطلة :

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا : اتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم ، وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ؛ .. انهم لكاذبون ، وليحملن أثقالهم ، وأثقالا مع أثقالهم ، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) آيتا (١٢ ، ١٣) سورة العنكبوت

على أن القصة : قصة ابراهيم لم تنته بعد كلامه الذي قاله عقب انجائه .. بل وصلها القرآن بشخصيات أخرى تتصل بشخصية ابراهيم ، اتصال قرابة ، واتصال ايمان .

(فآمن له لوط ، وقال : اني مهاجر الى ربي ، انه هو العزيز الحكيم) ٢٥ / العنكبوت

وكما وصلها بمن أنجب ، من ذرية جعل الله فيها النبوة والكتاب ، وجمع الله لابراهيم بين أجره في الدنيا ، وكونه من الصالحين في الآخرة .. كل هذا في الآية الأخيرة من قصة ابراهيم ، وهي رقم (٢٦) من سورة العنكبوت :

(ووهبنا له اسحق ، ويعقوب ، وجعلنا في ذريته النبوة ، والكتاب ، وآتيناه أجره في الدنيا ، وانه في الآخرة لمن الصالحين)

وهذا نصيبه في الدنيا ، ثم هذا وسامه في الآخرة .

٢) قصة لوط عليه السلام

(ولوطا اذ قال لقومه : انكم لتأتون الفاحشة ، ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، انكم لتأتون الرجال ، وتقطعون السبيل ، وتأتون في ناديكم المنكر ؟ .

فما كان جواب قومه الا أن قالوا : ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ، قال : رب انصرني على القوم المفسدين)

وهذا هو الفصل الأول من قصة لوط .

وفيه يواجه قومه بمساوئهم ، ويجسم لهم عيب العيوب ، وهو اتيانهم الفاحشة ما سبقهم بها

من أحد من العالمين ، فيفسرها بأنهم يأتون الرجال ، ويقطعون السبيل ، ويأتون في ناديهم المنكر ، ثم لا يكون جواب قومه الا قولهم له : ائتنا بعذاب الله ، ان كنت من الصادقين ، فينادي : رب انصرني على القوم المفسدين)

فهو هنا لم يهمه نفسه ، اذ هم ليكذبوه صراحة ، حتى يدعو : رب انصرني بما كذبون ، انما الذي يقلقه ، ويفزعه افسادهم ، وسوء خلقهم ، وسلوكهم ..

وبعد ذلك يأتي الفصل الثاني :

وهو يعود بأصوله الى قصة ابراهيم ، أو الى شخصية ابراهيم ، حيث يجيئه رسل الله - وهم ملائكة العذاب - ليقولوا له " انا مهلكو قرية الظالمين ، ما عدا لوطا وأهله الا امرأته - ثم يجيئون لوطا ، فيخاف عليهم ، من قومه المفسدين ، فيطمئنونه ، ويطلعونه على انتقامهم من أهل قريته بما كانوا يفسقون ..

تصور هذا الفصل الثاني من قصة لوط ، هذه الآيات :

(ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا : انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا من الظالمين .

قال : ان فيها لوطا ، قالوا : نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين .

ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ، وضاق بهم ذرعا ، وقالوا : لا تخف ، ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك : كانت من الغابرين .

انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون .)

ثم يأتي التعقيب :

(ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون)

قصة لوط من آية (٢٨) الى آية (٣٥) من سورة العنكبوت

٤) أقصوصة شعيب عليه السلام . آيتا ٣٦ ، ٣٧ / العنكبوت

(والى مدين أخاهم شعيبا ، فقال : ياقوم اعبدوا الله ، وارجو اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، فكذبوه ، فأخذتهم الرجفة ، فأصبحوا في دارهم جاثمين)

وإذا كان لوط قد انتقد قومه ، فان شعيبا قد نصح لهم ثلاث نصائح :

أن يعبدوا الله ، وأن يرجو اليوم الآخر ، وألا يعيثوا فى الأرض مفسدين .

وهذه النصائح الثلاثة قامت بها الآية الأولى ، من الأقصوصة ، وهى تصور الفصل الأول منها .

ثم تأتى الآية الثانية ، فتصور الفصلين : الثانى ، والثالث منها . اذ كلمة (فكذبوه) فصل ثان ، وبقية الآية (فأخذتهم الرجفة ، فأصبحوا فى دارهم جاثمين) فصل ثالث وأخير .

٥) أقاصيص : عاد ، وثمود ، وقارون ، وفرعون ، وهامان

من آية (٢٨) الى (٣٠) من سورة العنكبوت

وهى فى الحقيقة ـ أقصوصتان متصلتان ، أو قصة ذات فصلين :

الأقصوصة الأولى : أقصوصة عاد ، وثمود .

والاقصوصة الثانية : أقصوصة قارون ، وفرعون ، وهامان ،

والأولى تصورها آية رقم ٢٨ ، والثانية تصورها آية رقم ٣٩ ، ونهاية الأقصوصتين تصورها آية (٣٠) العنكبوت ، وهاتان هما الأقصوصتان ، متصلتين ، غير منفصلتين بما لهما من نهاية فى العذاب ، واحدة ، وان تعددت ألوان العذاب لكل قوم فى أقصوصة ، ولكل شخص فيها .

(وعادا ، وثمود ، وقد تبين لكم من مساكنهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ، فصدهم عن السبيل ، وكانوا مستبصرين) (٢٨)

(وقارون وفرعون ، وهامان ، ولقد جاءهم موسى بالبينات ، فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين) (٣٩)

(فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا .. ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ..)

والتعقيب فى نهاية هذه الآية : (وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) آية (٣٠) العنكبوت .

واذا عددناها قصة ، كانت ذات فصول ثلاثة :

الفصل الأول : عاد ، وثمود

والفصل الثانى : قارون ، وفرعون ، وهامان .
والفصل الثالث : انتقام الله منهـــم .

غير أنى أميل الى جعلهما أقصوصتين ، متصلتين ، من حيث المصير والختـــام بما تصلهما الآية الأخيرة : آية الانتقام .

وسورة العنكبوت بما يشيع فيها من روح ابتلاء ، واختبار ، وفتن ، ومحن . تعكس الجو الرهيب الذى تعيشه الدعوة الاسلامية ، فى زمن الرسول محمد عليه السلام بما تقص من هذا القصص ، من قصة نوح ، أو أقصوصته ، ومن قصة ابراهيم ، ومواقفه ، ومن قصـــة لوط وقصته ، ثم من أقاصيص عاد ، وثمود ، وقارون ، وفرعون ، وهامان ...

ولعل السورة قد نزلت فى ظروف الهجرة ، هجرة الرسول والمسلمين من مكة الـــى المدينة ، مما تشير اليه هجرة ابراهيم (وقال انى مهاجر الى ربى) ـ ولعـــل تسمية السورة باسم العنكبوت ، اشارة الى عنكبوت الغار ، الذى آوى الرسول وصاحبه فى أثناء هجرتهما .. وان كان فى السورة : (مثل الذين اتخذوا من دون اللـــه أولياء ، كمثل العنكبوت ، اتخذت بيتا .. وان أوهن البيوت ، لبيت العنكبوت .. لو كانوا يعلمون) آية (٤١) العنكبوت .

ومما يعكس ظروف الهجرة فى السورة ما نراه فى قصة ابراهيم من جو المحاكمـــة والمخاصمة : (اقتلوه ، أو حرقوه)

ويقذفون به فى النار ، وان لم يصرح بهذا خوفا على شعور الرسول ، وان صـــرح بالنتيجة السارة التى تحمل البشرى للرسول ، والأمان للصحابة من المهاجرين :
(فأنجاه الله من النار) ، وكذلك نرى جو البشرى والطمأنة ، فى قصة لوط على لسان رسل الله : (وقالوا لا تخف ، ولا تحزن ... انا منجوك وأهلك الا امرأتك)

وقبل هذا نرى خوف ابراهيم ، على لوط ، حينما علم من الرسل اهلاكهم القريـــة التى بها لوط : (قال : ان فيها لوطا .)

ولعل سورة العنكبوت ـ هذه ـ آخر سورة مكية ، فيها مجموعة قصصية ـ ومن ثـــم حرصت على تسجيل مخاوف المسلمين بمكة على مصير الدعوة الاسلامية الجديدة ، التـــى لم يمض عليها سوى ثلاث عشرة سنة ، وهى تتعرض لشتى الاعتداءات والاهانات وضروب التنكيل والتعذيب ، وكما أن القرآن قد ساق قصص هذه السورة ليطمئن بها المسلمون علـــى مصائرهم ، وليشاركهم فى محنتهم ، وفتنتهم . فقد ساق أيضا هذه الأقاصيص الأخيـــرة وتلك القصص القصيرة والكبيرة ، التى تشتمل عليها السورة ـ للكفار حتى يحرفوا مصائرهـــم التى تنتظرهم ، والتى تشبه أولئك الكفار من قوم نوح ، وقوم ابراهيم ، وقوم لوط ، ومدين

ثم عاد ، وثمود ، وقارون ، وفرعون ، وهامان — ممن أخذوا بذنوبهم .. فيرجعوا آنئذ عن رغبتهم ، وتعذيبهم ، كما يرجعون عن تعنتهم وتكذيبهم ..

ومن ثم تخللت بعض القصص تعقيبات تتصل بأولئك الكافرين مثل ما جاء في ثنايا قصة ابراهيم :

(وما أنتم بمعجزين في الأرض ، ولا في السماء ، وما لكم من دون الله ، من ولي ولا نصير)

(والذين كفروا بآيات الله ، ولقائه ، أولئك يئسوا من رحمتي ، وأولئك لهم عذاب أليم)

كما أن المثل المسوق عقب هذه المجموعة القصصية — مسوق للمشركين الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، اذ مثلهم كمثل العنكبوت ، اتخذت بيتا ، وأن أوهن البيوت ، لبيت العنكبوت ، لو كانوا يعلمون .

والقرآن في سورة العنكبوت ، هذه — يعالج المنكرات بالطاعات ، فيقضي عليها قبل وقوعها :

(اتل ما أوحي اليك من الكتاب ، وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون) ٤٥/العنكبوت .

ثم يسجل حماقة الكفار من مكة ، الذين يستعجلون الرسول بالعذاب ، كما طلب من لوط قومه أن يأتيهم بعذاب الله ، ويرد على هذه الحماقة برد أنكى ، وبصور تأفظع :

(ويستعجلونك بالعذاب ، ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ، ولياتينهم بغتة وهم لا يشعرون — يستعجلونك بالعذاب ، وان جهنم لمحيطة بالكافرين ، يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم ، ويقول : ذوقوا ما كنتم تعملون)

واذا كان الجو جو ارهاب وتنكيل ، وجو مخاوف ومخاطر ، وعزمتم هجرة ابراهيم الى ربه ، فهاجروا أيها المسلمون الى أي مكان من أرض الله :

(يا عبادي الذين آمنوا ، ان أرضي واسعة ، فاياي فاعبدون)

واذا كان الخوف من الموت ، فاطمئنوا ، اذ : (كل نفس ذائقة الموت ، ثم الينا ترجعون)

واذا كان الخوف على الرزق ، والعيش ، فاطمئنوا كذلك ، (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم ، وهو السميع العليم)

واذن فلهاجروا .. ولا يخافوا موتا ، ولا فوتا ، أو لا يخافوا اهلاكا ، ولا اضاعة .

وهم اذا هاجروا فسيجدون أهل الكتاب بالمدينة ، وعليهم أن يجادلوهم بالتي هي أحسن ، الا الذين ظلموا منهم ..

ثم عليهم أن يدعوهم الى وحدة الأديان ، المتمثلة في دين الاسلام ، والتي رددها الأنبياء ، ودعا اليها الرسل ، على تعدد الأزمان ، وتتابع الأعوام :

(ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ، الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا ، وأنزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون)

ثم عرّف الرسول بأهل الكتاب ، حتى يعامل من يستحق الحسنى بالتي هي أحسن ، وحتى يعرف الذين ظلموا منهم فيعامله بما يليق به :

(وكذلك أنزلنا اليك الكتاب ، فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ، ومن هؤلاء من يؤمن به ، وما يجحد بآياتنا الا الكافرون)

واذا كان القرآن ـ في سورة المؤمنون ـ قد بين للرسول والمؤمنين ـ سبيل المناقشة التوحيدية الحرة المنطقية ، النفسية ـ فانه في سورة العنكبوت ، هذه ، بين للرسول ، وللمؤمنين ـ طريق الجدال بالتي هي أحسن ليقنع من يقنع عن بينة وبصيرة ، ويردع من يردع عن تعريض وتنبيه :

(ولئن سألتهم من خلق السموات ، والأرض وسخر الشمس والقمر ، ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ؟
الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، ان الله بكل شيء عليم ، ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء ، فأحيا به الأرض من بعد موتها ، ليقولن الله ، قل : الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعقلون)

واذا كانت الفتنة ـ كما عرفنا ـ تحتاج الى جهاد وجلاد ، بالصبر عليها ، والمقاومة لها ، والهجرة من أجلها ، والجدال الأحسن في سبيلها .. فان المجاهدين مهديون ، ومحسنون ، وان الله ينصرهم ويؤيدهم :

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين)

ولعل هذه الآية الأخيرة ، التي ختمت بها سورة العنكبوت ، تتصل بآية الجهاد في أوائل السورة :

(ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ، ان الله لغني عن العالمين)

وهذا هو جهاد المحنة ، والفتنة .. أما الذين يجاهدون في الله ، وفي سبيل الله ، فيهديهم الله سبيله ، وهم بلغوا درجة الاحسان ، التي هي أسمى درجات الايمان ،

وان الله لمع المحسنين .

ولعل هذه أرهاصة بدور الجهاد ، الذى سيخوضه المسلمون ، بعد هجرتهم الى المدينة ، فقد تركوا كفارا متمنتين ، يستعجلون العذاب ، وأكثرهم لا يعقلون .

كما أنه سيواجه فى المدينة من يجحد بآيات الله من الكافرين ومن يجعل فتنة الناس كعذاب الله ، من المنافقين وهؤلاء ، وأولئك ، لن يقنعهم بالتى هى أحسن ، انما يقنعهم أو يردعهم ، بالسنان والطعان ، لا بالكلام ولا باللسان .

وحصر السورة — كما رأينا — بآيتى الجهاد — وصل جزئياتها وصلا فكريا ، وفلسفيا كما وصلها وصلا لغويا ، وفنيا ، مما حقق لها النظم المعجز ، أو الاعجاز النظمى الى جانب ما سنرى من وحدات ، وصيلات ، وهذه الوحدات منها وحدات فكرية عامة ، ومنها صلات لغوية ، لازمة ، ثم منها فواصل موسيقية موقعة .

والرابطة الفكرية فى قصص هذه السورة ، فهى مستمدة من السياق العام ، المصاحب لجوهر السورة . وهى تدور — فى القصص — حول اهلاك المكذبين ، وانجاء المرسلين ، والمؤمنين .

(فأخذهم الطوفان — فأنجيناه وأصحاب السفينة)
(انا منجوك وأهلك الا امرأتك ، انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا)
(فكذبوه ، فأخذتهم الرجفة ، فكلا أخذنا بذنبه) .. وهكذا ..

أما الصلة اللغوية ، فتتمثل فى لفظة خاصة ، أو فى حرف معين ، وذلك مثل : الفاءات فى قصة نوح ، وكالتعقيب ، والتذييل ، فى كلام ابراهيم .

(ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) (اليه ترجعون) (وما على الرسول الا البلاغ المبين) .

ثم فى التعليق :

(ان ذلك على الله يسير) (ان الله على كل شىء قدير) (واليه تقلبون)
(وما لكم من دون الله ، من ولى ولا نصير) (وما لكم من ناصرين)
(انه هو العزيز الحكيم) (وانه فى الآخرة لمن الصالحين)

وفى لوط : استخدام لفظة (ولما) — فى :
(ولما جاءت) (ولما أن جاءت) ثم لفظ (انكم) أو (ان) — وذلك مثل :
(انكم لتأتون الفاحشة) (انكم لتأتون الرجال) (انا مهلكو أهل هذه القرية)
(ان أهلها كانوا ظالمين) (ان فيها لوطا) (انا منجوك) (انا منزلون)

وكذلك الفاءات ، في قصة شعيب : (فقال ـ فكذبوه ـ فأخذتهم ـ فأصبحوا)

أما الفواصل الموسيقية أو الوحدات الموسيقية التنغيمية فتتصل بكل الوحدات اللغوية والفكرية ، والتصميمية ، وقد عرفنا الاولين ـ وبقيت الوحدات التصميمية .. في هـذه المجموعة القصصية :

فهذه المجموعة بدئت بأقصوصة نوح ، وختمت بأقصوصتي عاد ، وثمود ، وقارون ، وفرعون وهامان ، ثم توسطت هذه الاقاصيص ، التي حصرت البداية ، والنهاية ـ قصص ثلاثة :

قصة ابراهيم ، وقصة لوط ، ثم قصة شعيب ، وكما أن الاقصوصتين الاخيرتين ، في هذه المجموعة متداخلتان ـ ومتصلتان ، بالنهاية في آخر آية .

فقصة ابراهيم ، وقصة لوط ـ متداخلتان ، بمجيء الرسل أولا ، الى ابراهيم ، ثم مجيئهم ثانيا الى لوط ، وكما خلت قصة نوح أو أقصوصته من التداخل ، والتفرع ، خلت قصة شعيب ، أو أقصوصته من التفرع والتداخل .

وهذا حقق لجانب البناء التصميمي في قصص هذه المجموعة ، كما حقق هذا الجانب التصميمي ، جانب التوقيع الموسيقي ، والتنغيمي ، الذي ساد جنبات القصص ، ووصل نظمها وصلا محكما ، رتقنا ، بصورة رائعة ومتعة .

يضاف الى هذا البناء التصميمي ، والتوقيع التنغيمي ـ وحدات الحروف الصوتية ، التي أسهمت في الوحدة الموسيقية وأعني بها سيادة بعض الحروف في نسق السلوبي ، معين .

ففي قصة نوح ـ نجد حروفا خاصة لها الغالبية ، والاكثرية ، بصورة ملحوظة ، مثل حرف "الفاء" ومثل حروف : السين ، والنون ، والهاء ، واللام ، وذلك واضح في آيتي القصة بالسورة .

وفي قصة ابراهيم ـ نرى حروفا شائعة مثل : القاف ، والكاف ، والعين ، والواو .. الخ وفي قصة لوط ـ نسمع القاف ـ والكاف ، والتاء ، والواو ، والهاء ، والنون ، والعين ، والسين . ثم في قصتي عاد ، وثمود نرى السين ، والصاد ، والهاء ، واضحة ظاهرة . أما باقي القصة فتغلب فيها حروف السين ، والخاء ، والصاد .

واذن فاستخدام هذه الحروف السائدة ، في الكلمات بمثابة الوحدة ، أو النغمة ، أو الجزئية التي ينبني عليها النغم الصوتي ، والموسيقى الظاهرة ، فيحدث ايقاعا ويحقق وقعا وأثرا وطربا .

واذن فالبناء التصميمي يسهم في تحقيق التوقيع الموسيقي التنغيمي ـ وهو ما يمكن تسميته بالموسيقى الداخلية ، واستخدام حروف خاصة ، في كلمات الآيات ، وفي آيات القصص ـ يسهم في تحقيق الموسيقى الخارجية ، وهذا وذاك ، أو هذه وتلك ـ تجعل من المجموعة القصصية وحدة واحدة ، وملحمة قصصية متماسكة ، متشابكة ، تطرب لها ، وتعجب بها ، وتحس ما بينها من نظم بيانية ، ووحدة عضوية ، ووجدانية ، وسيمفونية ، موسيقية .

سورة مريم

المجموعة القصصية الأولى

الدكتور محمد محمد بدري

- ١ -

قصة زكريا ويحيى عليهما السلام

من آية (١) إلى آية (١٥) سورة مريم

وهي قصتان داخل قصة :

القصة الأولى خاصة بزكريا عليه السلام .

من الآية الأولى أو الثانية من السورة الآية الحادية عشر أي من قوله سبحانه وتعالى : (كهيعص (١) ذكر رحمة ربك عبده زكريا (٢)) إلى قوله عز وجل : (فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) (١١) سورة مريم .

والقصة الثانية متصلة بالأولى ومقترنة بها . وهي من قوله سبحانه : (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) من آية (١٢) إلى قوله تعالى : (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) (١٥) .

- ٢ -

قصة مريم وولادة عيسى عليه السلام

من آية (١٦) إلى آية (٣٦) سورة مريم

أي من قوله جل ذكره :

(واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) آية (١٦)

إلى قوله عز شأنه : (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

وهي - على وجه التحقيق والتدقيق - من آية (١٦) إلى (٢٩) : (فأشارت إليه) - وهذا القدر من الآيات خاص بمريم أم عيسى عليه السلام .

ثم من آية (٣٠) : (قال : إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) - إلى آخر آية (٣٦) : (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) .

فيها قصتان في قصة

قصة مريم العابدة الحامل الوالدة الطاهرة .. وقصة عيسى النبي المبارك الزكي بالصلاة والزكاة ما دام حيا . أو هي قصة ولادة عيسى عليه السلام عند إتمامه لكلمات ربه إلى قوله : (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) .

- ٣ -

قصة ابراهيم عليه السلام
وموقفه من أبيه

من آية (٤١) إلى آية (٥٠) سورة مريم

أي من قوله سبحانه : (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) آية (٤١) إلى قوله جل ذكره : (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب) من آية (٤٩) .

ثم من بقية آية (٤٩) (وكلا جعلنا نبيا) - إلى آخر آية (٥٠) :

(ووهبنا لهم من رحمتنا ، وجعلنا لهم لسان صدق عليا) .

خاص بلحمة إسحق ويعقوب .

وقصة زكريا - عليه السلام - من أدب المناجاة والدعاء .

وقصة يحيى - عليه السلام - من أدب الترجمة الشخصية والتحليل الخارجي والنفسي وهي مقدمة لقصة زكريا كما أن قصة زكريا تمهيد لمولد يحيى وتعريف بظروف ولادته .

أما قصة مريم فهي من القصص التحليلي وهي قصص الشخصيات والبيئات .. ثم هي تعتمد على عدة فصول وشاطر كمكوثها على العبادة وموقفها من جبريل عليه السلام وهذا فصل أول ثم حملها ومجيء المخاض لها وحزنها وبشارتها فصل ثان . ثم إتيانها بولدها قومها تحمله وحوارهم معها ، وتكليم الصبي لهم وكشفه عن شخصيته ونبوته وصفاته وبيان فلسفة ولادته فصل ثالث وأخير .

أما قصة إبراهيم - عليه السلام - فهي من أدب المواقف وهو - هنا - يعاتب أباه وينهاه عن عبادة الأصنام واتباع الشيطان ثم حواره مع أبيه وعنف أبيه معه وتهديده إياه وختام القصة بهجر إبراهيم أباه وما يعبدون من دون الله .

والمجموعة القصصية هذه - تجمعها فكرة الرحمة ، بين الأب وابنه كما في قصة زكريا ويحيى عليهما السلام وبين الأم وصبيها كما في قصة مريم وعيسى عليه السلام وبين الابن بأبيه كهذه القصة وهي قصة إبراهيم عليه السلام .

مجموعة اللمحات القصصية

- ١ -

" لمحة موسى عليه السلام "

من آية (٥١) إلى آية (٥٣) سورة مريم

وهي قوله تعالى : (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) .

وقد أتى بذكر هارون عليه السلام تبعا لا استقلالا ضمن لمحة موسى عليه السلام .

— ٢ —

لمحة إسماعيل عليه السلام

آيتا (٥٤) ، (٥٥) سورة مريم

(واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) .

وقد ذكر أهله عرضا ضمن لمحته أو لوحته مما يطلبها بمعنى الرحمة الذي يوشك يون مجموعتي السورة .

فهي لمحة كاشفة تبين شخصية إسماعيل وصفاته وأنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ! وهي من قصص التراجم الذاتية أو التراجم الشخصية لإظهار العبرة المثالي الذي يجب أن يحتذى ويعمل من أجله .

— ٣ —

لمحة إدريس عليه السلام

آيتا (٥٦) ، (٥٧) سورة مريم

(واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) .

وهذه اللمحة أو اللوحة أسرع وأوجز من لمحة إسماعيل الوسطى ولمحة موسى الكبرى . فلمحة إدريس — بالنسبة إليهما — هي الصغرى .

ولعل هذا البناء في التصميم هو الذي قدم ذكر موسى على إسماعيل وحال بين قصة إبراهيم وبين لمحة إسماعيل . فإذا كان التسلسل التاريخي مطلبا فإن البناء القصصي لا يقل عنه أهمية بل يزيد . وخاصة إذا لم يكن القصة من القصص إلى التاريخ — كما هنا — فالتاريخ هنا وترتيبه غير مقصود .

التعقيب على الأنبياء السابقين

وهم : زكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وإبراهيم ، وإسحق ، ويعقوب ، وموسى ، وإسماعيل ، وإدريس — عليهم السلام .

وذلك بآية رقم (٥٨) وهي : (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) .

وهي لمحات إشارية سريعة لملامحات قصصية قد رأيناها من قبل مثل :
ذرية آدم ، ومن حملنا مع نوح ، ومثل : ذرية إبراهيم وإسرائيل
ومثل : لمحة المهتدين الهداة في : (ومن خلقنا أمة يهدون) .
ومثل : " من اجتباهم الله " كموسى عليه السلام إذ يقول الله لهم : (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) سورة الأعراف من آية (١٤٤) .

ثم الفكرة الجامعة لهؤلاء وأولئك من النبيين والهداة المهتدين هذه الفكرة : (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن ، خروا سجدا وبكيا) آية (٥٨) سورة مريم .

فآية التعقيب على المجموعتين السابقتين : مجموعة القصص الأولى الموحدة من ثلاث قصص أو أربع : وهي قصة زكريا وقصة يحيى أو قصة ولادة يحيى وحكمه وقصة مريم وقصة عيسى أو قصة ولادة عيسى وقصتها . ثم قصة إبراهيم أو مرقده مع أبيه ومجموعة الأقاصيص الثانية المكونة من ثلاثة لمحات لمحة موسى ، ولمحة إسماعيل ، ولمحة إدريس عليهم السلام .

آية التعقيب على لمحات هؤلاء وقصص أولئك تصديق لصلاحية الذين أنعم الله عليهم من النبيين للنبوة والرسالة والنجوى مع الله ولمواركتهم وتوجيههم بالصلاة والزكاة والبر ، والرحمة والتوحيد والتمجيد والصدق والموعظة الحسنة والإخلاص والتكليم والتقريب وصدق الوعد وأمر الأهل بالصلاة والزكاة وبرفعة المكان والمكانة . ذلك أن هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبينا وكلهم مؤمن بآيات الله طائع لها : (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) .

وهذه اللمحات القصصية الثلاثة من أدب الندب وقد روى فيها ـ كما عرفنا ـ الجانب القرآني والتعليمي والتأثيري ليثبت المغزى الثالي والهدف الخلقي بطريق غير مباشر وبأسلوب القرآن لا القرآني جاء عن طريق السرد والتقرير ولم يجيء بصيغ الأمر أو النهي . إذا استثنينا أمر إسماعيل أهله بالصلاة والزكاة الذي صيغ في صورة حكاية تحكي على أن هذه اللمحات تصلح بحكم سياقها السردية أن تكون حكايات هذا بالنسبة إلى مجموعة اللمحات القصصية الثانية .

أما المجموعة القصصية الأولى ـ بقصصها الثلاثة :
(١) قصة زكريا ويحيى . (٢) قصة مريم وعيسى . (٣) قصة إبراهيم وأبيه .
فهي من القصص الاجتماعي إذ هي من قصص الأسر ثم هي من القصص الديني وهي من القصص التحليلي وهي من قصص البطولات وأدب المواقف . هذا بالنظر إلى تقسيمها وفق أفكارها وأهدافها أما بالنظر إلى أسلوبها فقصة زكريا ويحيى من أدب الدعاء والرجاء والنجوى ومن القصص الحواري الذي يصلح أن يكون مسرحية وقصة مريم تعتمد على السرد الوصفي الذي يعتمد التحليل والتواصل المكاني والزماني للسير فيها بالوقائع . كما تعتمد على السرد الواقع الوصفي وعلى الجمل الدالة على الدعاء الخفي أو الجلي الموجه إليها

والتوجيه لها تلمح على المفاجأة المتمثلة في قول عيسى الصبي وهو مازال في المهد صبيا والأهداف مبثوثة من خلال القصة وفي ثناياها وضمن حوارها مثل : (كذلك قال ربك هو علي هين) (ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) ـ ومثل إقرار عيسى بعبوديته لله ونبوته وصفاته ومثل التعقيب على القصة : (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ـ إذا قضى أمرا فإنما يقول له : كن فيكون) وهذا يتصل بمثل الانسان الخصيم في آخر سورة يس ومثل : (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) .

وقريب من هذا فلسفة زكريا طلبه الولد من ربه مثل : (إني وهن العظم مني) الآية (وإني خفت الموالي من ورائي) الآية ومثل (كذلك قال ربك : هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) ومثل : أيضا يجيء الحكم صبيا واتصافه بالأخلاق السوية .

أما قصة إبراهيم وأبيه فهي تمثل الصراع بين الإنسان والبيئة التي هو فيها .

وإبراهيم ـ وإن كان قوي الحجة والشخصية مقيد بنبوته لهذا الأب القاسي الذي يهدده بالرجم والهجر . وهي تشبه بموقف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من عمه أبي طالب .

ووحدة المجموعة هي الأسرة وما يتصل بها من أبوة وبنوة وأمومة وبنو .

ومعلوم أن البيئة تلون السلوك والعبادات والعادات والتقاليد والشخصيات والحوار والكلمات والتعبيرات .

(الدكتور محمد محمد [illegible])

٤٥٤
٤٤٤

سورة مريم

(٣) مجموعة الوحدات

الدكتور محمد محمد رضا

(١)

لمحة :

(الذي كفر بآياتنا)

(أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال : لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب ؟ أم اتخذ عند الرحمن عهدا ؟ كلا .. سنكتب ما يقول .. ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا) .

وهذه اللمحة تذكرنا بقضايا سورة القلم من آية (٤٠) إلى آية (٤٠) التي أطلقت قصة " أصحاب الجنة " في السورة .

كما أن الردع الزاجرة بـ (كلا) ـ تصل هذه اللمحات بلمحة (الذي ينهى عبدا إذا صلى) في سورة العلق .

لمحة :

من (اتخذوا من دون الله آلهة)

أو

لمحة (الشياطين والكافرين)

(واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا .. سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ـ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) .

وقد رأينا في سورة الأعراف لمحات الأمر الذالية من الجن والإنس إلى النار كما رأينا صور الحشر وسوق المجرمين في سقر في سور كثيرة كالمدثر والمزمل والقيامة والمرسلات والنبأ والقمر ، والحاقة .. الخ

ادعاؤهم باتخاذ الولد

(وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) .

وإذن فمن قال باتخاذ الله ولدا قد جاء شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق له الأرض وتخر من أجله الجبال هدا وتهد له هدا وذلك مثل اليهود الذين قالوا : عزيز ابن الله .. ومثل النصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله .

فهذه الجريمة عقدية تصادم جوهر الأديان كلها هذا الجوهر الذي اتضح واستقر واستقر في الدين الاسلامي .

والله رد على هذه الفرية الوثنية : نافية اتخاذ الله ولدا (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا) .

وهذه اللمحة تتصل أوثق الاتصال بقصة ولادة عيسى وقوله في المهد : (إني عبد الله) كما وضحت من قبل مما يسوغ لي إتمام القصص بوصلها بهذه اللمحات أو بهذه الأفكار في هذه الآيات لنرى مدى ما بينها من ترابط ومدى ما فيها من وحدات فيها صلات وإذا كان جبريل عليه السلام هو لا يتنزل بالوحي أو بالقرآن إلا بأمر ربك يا محمد إذ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا فإنما يسر الله هذا القرآن بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين الذين يحشرون إلى الرحمن وفدا وتنذر به قوما لدا يساقون إلى جهنم عطاشا ، يردونها وردا .

والذي نراه : (فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا) آية (٩٧)

تتصل بآية : (وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) آية (٦٤) .

وكيف ينسى ؟ وهو : (رب السموات والأرض وما بينهما) وإذا كان كذلك فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ؟)

وإذا كان بين آية (٩٧) وآية (٦٤) صلات تامة بين آيتي الإهلاك للقرون (٩٨) ، (٧٤) صلات قد بينتها وضحتها . مما يقوي بين وحدات القصص واللمحات وبين سائر الآيات ومما يحقق ظاهرة النظم في ثنايا السورات على أن الله الذي لا يعلم له سمي يحمل اسمه قد اختار " الرحمن " من بين أسمائه الحسنى يشرح بالرحمة في جنبات السورة .

فمريم العابدة الطاهرة تتخوف من رسول ربها " جبريل " الذي لا تعرفه والذي تمثل لها بشرا سويا " تقول له : (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) تدعي في محرابها وتركن لمخافي نفسي تعتصم بالرحمن الذي يملأ قلبها بالتقوى والعفة والطهارة والعفاف والإباء كما يملأ قلبه بالرحمة والشفقة والوفاء له والولاء لذلك إذا كان تقيا لا عصيا تتقواه تعصمه من الزلل والخطل . كما أن رحمة ربه تنهاه عن هتك الستور وكشح الخدور . وهذه لمحة نفسية وخفية أخرى من قولها : إني أعوذ بالجبار إذا كنت تقيا إذ ذكر الجبروت يدعو إلى التقوى ويحرك في قلبه بذور الخطيئة .

والذي نذكر الرحمن ساعة على كشف الشر السوء على شخصه وبيته إذ : (قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) .

وقال هذا أو قريب من هذا قول إبراهيم لأبيه : (يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) فلا تخضع بتمرد الشيطان على الرحمن ولا تفتقر برحمة الرحمن لأني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن .

وهذه رحمة في قلب إبراهيم لابن على أبيه الذي يعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئا فهو يخاف عليه أن يمسه فضلا عن أن يصيبه أو يغشاه كعذاب من المنتقم الجبار إذ يخاف عليه أن يمسه عذاب يسير من مقدر الرحمة لأن إبراهيم ابن بار لأب ضال : فمن باب أولى يخاف عليه أن يصيبه عذاب عسير من المنتقم الجبار وفي هذا من التخويف اللطيف لذي الحس الرهيف مالا يوجد في التعنيف العنيف .

وفي هذه اللحظة الهادية الهادئة الباكية ـ حتى بالغ رحب صادق وبر متصل ثم في هذا بلاغة بليغة وأداء نفسي حكيم .

بإيثار اسم الرحمن فيه تحذير من عصيانه ..

وإيثار اسم الرحمن في مقام العنف فيه تجسيم للرحمة التي دعت إبراهيم الابن إلى وعظ أبيه الضال وترفيق والد بالجاني وتخويف أبيه المغتر .

وكذلك نجد (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) الذين (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) فهم عرفاء في الخير أصلاء في التقوى لأنهم من أنعم الله عليهم من النبيين ولأنهم من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبينا " .

وليبدو الأصالة في الاجتباء والهداية وفي الانتماء إلى أصحاب الرسالات وأهل الولاية .. (إذا تتلى عليه آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) فهم يسجدون لها خاشعون باكون مع أنها من آيات الرحمن ومع ما فيها من آيات الغفران . فما بالهم لو تليت عليهم آيات التخويف والتعنيف بالعذاب في يوم الحساب من الجبار القهار؟ فهنا تجسيد لطاعة من أنعم الله عليهم من النبيين بالطريق الأولى وبالدليل الأجدر والأقوى .

وكذلك نجد (من تاب وآمن وعمل صالحا) يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا .. جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) فهي جنات أعدها الرحمن لعباده لأنهم عباد الرحمن الذين اتصفوا بالأخلاق العالية كما عرفنا في سورة الفرقان : فهم عباده على رحمته . وهم عباده لرحمته ورحمته تتجلى عمليا في جنته وقد وعدهم إياها وكان وعده آتيا لا خلف فيه ولا تأخر .

وهذا بالرحمن من الرحمن عظيم حتى في الأهوال والأوجال في جهنم التي يدعى

منهاة الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا .

ثم رحمة الرحمن بالتخذ سبة الاستدراج والإملاء في بعض الأحيان إذ (من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) .

وهذا يتصل بتحدي إبراهيم عليه السلام لأبيه الذي اتخذ للشيطان والأوثان .

أما مجموعة الوحدات فقد ذكر اسم " الرحمن " في آيات متفرقات فكان مواقعه مثل : (أطلع الغيب ؟ أم اتخذ عند الرحمن عهدا ؟)

(يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) ـ وقال : (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) (وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا) (أن دعوا للرحمن ولدا) (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا) (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) .

وهذا الود وهذه المحبة في تلك الرحمة التي تشيع بين مجموعة القصص ومجموعة الأقاصيص واللمحات في سورة مريم وما يتصل بها اتصال بناء واتحاد أو اتصال خلف وتصاد فيما يتصل بهذه اللمحات وتلك القصص والأقاصيص في تعريفات هنا وفي تعليقات أو تعقيبات هناك .

الود

من مظاهر الود المنبثق من الرحمة : قول الله لزكريا :

(يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا)

وقوله ليحيى :

(يا يحيى خذ الكتاب بقوة) ثم إخباره عنه وإطرائه له :

(وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا) . ومن مظاهر الود المنبثق من الرحمة قول جبريل لمريم : (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) وناداه الله لها ـ كما قيل : (ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا)

وقول عيسى وهو في المهد صبي : (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا) .

ومن مظاهر الود المنبثق من الرحمة قول إبراهيم لأبيه : (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا) .

ووعده إياه : (قال : سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا) .

وقوله للجميع : (ووهبنا له إسحق ويعقوب) .

وقول الله عنهم :

(وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا)

وقوله عن إسماعيل : (إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) .

ومن مظاهر الود المشترك من الرحمة : قوله تعالى عن موسى : (إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) .

وقوله عن إدريس : (إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا)

وثناؤه على هؤلاء جميعا :

(أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين) .

ومن مظاهر الود المشترك من الرحمة : إنه كان وعده مأتيا

(جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) .

(ثم ننجي الذين اتقوا) (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) .

وأنعم بالود والحب والرحمة من ختام في كلام كهذا الكلام لمقام مثل هذا المقام .

نظام المجموعات في سورة هود

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

سورة هود

جو السورة القرآني أو البياني : (الر . كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (١) سورة هود .

مغزاها العقدي : (ألا تعبدوا إلا الله) مهمة الرسول فيها ، ومهمة الرسل في القصص التي تحتويها (إنني لكم منه نذير ، وبشير)

الطريق إلى الوصول : (وأن استغفروا ربكم ، ثم توبوا إليه ، يمتعكم متاعا حسنا ، إلى أجل مسمى ، ويؤت كل ذي فضل فضله)

حقيقة نفوس الكفار : (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم ، يعلم ما يسرون ، وما يعلنون — إنه عليم بذات الصدور)

منهج الرسول في التبشير والإنذار : (فإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير إلى الله مرجعكم ، وهو على كل شيء قدير) .

الجو النفسي ، والشعور للرسول : (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا : لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك — إنما أنت نذير ، والله على كل شيء وكيل) .

مجموعة قصص سورة هود

من آية (٢٥) إلى آية (١٠٠) من سورة هود

وتحتوي على :

١) رواية نوح عليه السلام — من آية (٢٥) إلى آية (٤٩)

٢) قصة هود عليه السلام — من آية (٥٠) إلى آية (٦٠)

٣) قصة صالح عليه السلام — من آية (٦١) إلى آية (٦٨)

٤) قصة ابراهيم عليه السلام — من آية (٦٩) إلى آية (٧٦)

٥) قصة لوط عليه السلام — من آية (٧٧) إلى آية (٨٣)

٦) قصة شعيب عليه السلام — من آية (٨٤) إلى آية (٩٥)

٧) أقصوصة موسى عليه السلام — من آية (٩٦) إلى آية (١٠٠) من سورة هود

التعليق — من آية (١٠١) إلى آخر السورة (١٢٣) هود

من التعليق على أنباء القرى :

(ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد) آية (١٠٠) سورة هود

ومن التعليق على هذه المجموعة القصصية :

(وكلا نقص عليك ، من أنباء الرسل ، ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق ، وموعظة وذكرى للمؤمنين) آية (١٢٠) من سورة هود .

على هدى من هذه الآية الأخيرة ، تدرس هذه المجموعة القصصية مع سائر المجموعات التي وردت في سور مختلفة ، فتدرس مع مجموعة سورة القمر ، ومع مجموعة سورة الشعراء ، ومع مجموعة سورة الأعراف . وكل هذه المجموعات قد درستها ، وحللتها ، وبينت ما فيها .

كما حللت منذ قليل قصص سورة طه ، وقصص سورة النمل ، وقصص سورة القصص ولم أغفل قصصا ، ولا قصص الإسراء . وإن كنت قد ذكرتها مجملين !

وإني هنا أقترح دراسات جديدة وجهة لنظام المجموعات في القصص القرآني ، على ضوء الموازنات ، وعلى ضوء ظاهرة النظم الإعجازي في القصص القرآني .

وهذه الدراسات المقترحة قد تلتقي مع منهجي الذي سلكته في رسالتي هذه ، وقد تتخذ مناهج أخرى أتم وأعم ، وأهم .

وذلك لمن يوفقه الله ، فيدرس القرآن وقصصه دراسة موازنة ، أو مقارنة ، أو موضوعية أو تذوقية ، كما وفقت في رسالتي هذه ، وفي رسالتي للماجستير (كتابي الأول) "علم النفس التحليلي في القرآن" .

وهذا هو تخطيطي لمناهج الدراسات القرآنية ، الموازنة :

١) معرفة مدى الاتفاق بين نظام المجموعات في سورة ونظام المجموعات في سور أخرى في الأحداث ، والأشخاص ، والأفكار ، أو مدى الاختلاف بين بعضها ، والبعض الآخر .

٢) تأثر وتأثير القصة القرآنية ، بالدعوة الإسلامية ، وبها .

٣) تأثر وتأثير القصة القرآنية ببيئاتها الزمانية ، والمكانية ، والبشرية ، وفي هذه البيئات .

٤) تأثر وتأثير المجموعة القصصية ، من هذه المجموعات ، بالسورة التي ضمتها ، وفي هذه السورة .

٥) ظهور أثر التأثرية ، والتأثيرية في دراسة الموازنات ، وذلك في أمور كثيرة من أهمها .

٦) الاتفاق ، أو الاختلاف بين المجموعات ، في :

أ ـ الحبكة ، البناء ، والتصميم .

ب ـ الأنواع القصصية التي تضمها كل مجموعة ، من أقصوصة ، ومن قصة قصيرة ، ومن قصة طويلة ، ومن رواية ، ومن حكاية ، أو لمحة ، أو مجموعة الخ

٧) الاتفاق ، أو الاختلاف بين هذه المجموعات في :

أ ـ الأسلوب بأنواعه : السردي ، الحواري ، الوصفي التصويري ، الإخباري التقريري ، التعليق الفلسفي الخ

ب ـ وما يتصل بأسلوب المجموعات ، قبلها ، وفيها ، وبعدها ، وذلك مثل : الأسلوب التمهيدي ، الأسلوب القصصي ، الأسلوب التفصيلي ، التوضيحي التعليلي ، والتعليق ، التوثيق ، والأسلوب الإجمالي ، والختامي ، والحواري ، والنفسي ، والعقلي ، ثم الأسلوب التعليمي ، والتعليق .

٨) الاتفاق ، أو الاختلاف بين هذه المجموعات ، في : المعاني والأفكار ، والفلسفات .

٩) الاتفاق ، أو الاختلاف بين هذه المجموعة في : الإسراد ، والمراحل ، والأهداف ، والنتائج .

١٠) الاتفاق ، أو الاختلاف بين هذه المجموعات في : التنويع بالتنويع التضخيم.

وقد حققت هذه المناهج كلها مجملة ، ومفصلة في رسالتي هذه " نظام المجموعات في القصص القرآني " ، وفي رسالتي " علم النفس القرآني " .

كما جمعت أكثر من مائة بحث في كتابي : " دليل الباحثين في القصص القرآني " والذي يدرس الرسائل العلمية في القصص القرآني ، وتحقق من صدق ما أقول ، وإن احتاج هذا التحقيق من دراسة وتدريس لمعرفة دقة المناهج التي اتبعتها — على تعددها وتجددها — في كل مجموعة قصصية ، ضمتها سورة من السور القرآنية .

فلله أعظم الحمد ، وأطيب الثناء .

أما مجموعة قصص سورة هود ، هذه — فقد درس — كما قلت — على أساس آية التعليق ، التي أعقبت مجموعة القصص في سورة هود ، وهذه الآية هي :

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ، ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة ، وذكرى للمؤمنين) . فهي حق لغوي ، وفكري ، وهدفي ، وموسيقي وجمالي ، ووجداني ، وتاريخي ، ودبني ! ثم هي موعظة هادئة ، وقوية ، ومصورة ومقنعة ، ومتعة . وهي ذكرى للمؤمنين ، وتعليم للمرسلين ، وذكرى للمتقين وتبصرة للمهتدين .

وهذه المجموعة القصصية تصلح أن تدرس على أنها :

١) قصص بيئات — تشير إلى ذلك : (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد) آية (١٠٠) سورة هود .

٢) قصص أحداث — تشير إلى هذا — آية : (وكلا نقص عليك من أنباء)

٣) قصص أشخاص — تدل على ذلك بقية هذه الآيات : (كلا نقص عليك من أنباء الرسل)

٤، ٥) قصص نفسيات ، أو قصص أفكار — تشير إلى ذلك سائر الآيات : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ، ما نثبت به فؤادك) .

٦، ٧، ٨) قصص تاريخ ، أو قصص دعوات ، أو قصص ذكريات — يدل عليه الجانب الأخير من الآية : (وجاءك في هذه الحق ، وموعظة ، وذكرى للمؤمنين)

أما نظام المجموعات في هذه السورة فيمكن أن أتناوله بالتفصيل القصصي ، المركز هداية للدارسين ، ورعاية للباحثين ، وأداء لواجب العلم ، وأداء لذمة الدراسات ، ووفاء بحق الرسالات .

(١)

على رواية نوح ، أو قصة نوح عليه السلام التي تشغل ما بين آية (٢٥) إلى آية (٤٩) من سورة هود — فيها فصول :

الفصل الاول ، وهو فصل تبليغ الرسالة ، من آية (٢٥) إلى آية (٣٥)

والفصل الثاني ، فصل الإيحاء ، وصنع الفلك من آية (٣٦) إلى آية (٣٩) هود

والفصل الثالث ، فصل الطوفان ، من آية (٤٠) إلى آية (٤٤) سورة هود

والفصل الرابع ، فصل العتاب والتعليم ، من آية (٤٥) إلى آية (٤٧) هود

والفصل الخامس ، فصل السلام ، والبركات ، آية (٤٨)

التعقيب والتعليق ، آية (٤٩) من سورة هود .

وآية التعليق تشير إلى الإخبار الغيبي التاريخي ، كما تشير إلى المغـــزى التشهيدي ، والتبشيري ، والنقدي — فإلى جانب الإخبار الغيبي : (تلك مـن أنباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) . وإلى جانب المغزى بقية الآية : (فاصبر ، إن العاقبة للمتقين)

((٢))

قصة هود عليه السلام — من آية (٥٠) إلى آية (٦٠) سورة هود وهي ثلاثة أقسام ، أو فصول :

الفصل الاول — خاص بتبليغ الرسالة ، من آية (٥٠) إلى آية (٥٧)

والفصل الثاني — خاص بمجادلة هود ، والذين آمنوا معه آية (٥٨)

والفصل الثالث — خاص بهلاك عاد ، ولعنتهم آية (٥٩ ، ٦٠) من سورة هود .

والفصل الاول يعتمد على الاسلوب الحواري .

والفصل الثاني يستند على الاسلوب الوصفي ، النقدي التقريري ، التوبيخي ، التهديدي .

والفصل الثالث يعتمد على الأسلوب النوعي — الاسلوب التصويري ، والاسلـــوب الخطابي ، والتعليقـــي .

((٣))

قصة صالح عليه السلام ، من آية (٦١) إلى آية (٦٨) سورة هود .

الفصل الاول — فصل التبليغ ، والتحذير ، من آية (٦١) إلى آية (٦٤) يعتمد على الاسلوب الحواري ، والإنذاري .

الفصل الثاني — فصل المخالفة ، والإنذار ، آية (٦٥) وهو من الاسلوب النوعي : السردي ، القولي ، الإنذاري .

الفصل الثالث — فصل الإنجاء لصالح ، والذين آمنوا معه ، وأخذ الذين ظلمـوا بالصيحة — والتعليق على الإنجاء والانتقام من آية (٦٦) إلى آية (٦٨) هود وأسلوبه نوعي ، سردي ، توضيحي ، تصويري ، تعليلي ، تقريري ، تعليلي تقريـــي .

((٤))

قصة إبراهيم عليه السلام ، وهي قصة قصيرة ـ من آية (٦٩) إلى آية (٧٦) من سورة هود .

وهي مواقف ، ومشاهد متنوعة ، وهي من القصص التصويري ، الكامن ، النفسي ، وفيها فرائز الخوف ، والسرور ، والعجب . وفيها أساليب متعددة وتعابير تدل على الحالات النفسية ، والمشاعر الخفية ، والغرائز الإنسانية ، ممثلة في إبراهيم رجلا ، وشيخا ، وفي امرأته ـ أنثى ، عجوزا .

ثم هي ـ مع ذلك كله ـ من قصص المفاجأة ومن القصص التحليلي ، النفسي ، المنطلق .

((٥))

قصة لوط عليه السلام ، وهي قصة تعتمد على الحركة ، والمشاهد المتنقلة ، وهي ذات مشاهد متنوعة :

١) مجيء الرسل لوطا .

٢) مجيء قومه يهرعون إليه .

٣) تهديد الرسل لوطا ، ونصحه بالرحيل .

٤) وقوع العذاب بقوم لوط ، وتدميرهم .

والمشاهد الثلاثة الأولى يضمها منظر واحد ، أو فصل واحد ـ والمشهد الرابع هو فصل ثان .

وهي تعتمد على الحوار ، والحركة ، والمفاجأة ، تشغل من آية (٧٧) إلى آية (٨٣) من سورة هود .

((٦))

قصة شعيب عليه السلام ، من آية (٨٤) إلى آية (٩٥) من سورة هود وهي فصلان :

فصل حواري كبير ، ذو أسلوب وعظي ، فلسفي ، تأملي ، خطابي ، نفسي ، تعليمي ، توجيهي ، تشريعي ، تهكمي ، هزلي ـ وذلك بين شعيب وقومه وهو من آية (٨٤) إلى (٩٣) .

ثم فصل سردي ، تعليقي ، تعليلي ، تلويحي ، آية (٩٤، ٩٥) من سورة هود

((٧))

أقصوصة موسى عليه السلام ، من آية (٩٦) إلى آية (٩٩) من سورة هود

وهذه الأقصوصة تعتمد على أسلوب الحكاية ، كما اعتمدت رواية نوح عليه السلام ، على اختلاف في البناء ، والنوع والأسلوب .

وآية التعليق رقم (١٠٠) تنصب على " أنباء القرى " ـ وهذه المجموعة من آية (٢٥) إلى آية (١٠٠) ـ تتنوع بناء ، وتصميما .

فمنها رواية ، كرواية نوح عليه السلام .
ومنها قصة قصيرة ، كقصة إبراهيم عليه السلام .
ومنها أقصوصة ، كأقصوصة موسى عليه السلام .
ثم منها قصص طوال ، كسائر القصص الأربعة الباقية ، وهى قصص : هود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب عليهم السلام .

ثم هى تختلف فيما لاختلاف الحبكة فى البناء والتصميم ، فى فروق دقيقة ، تتبع اختلاف الأشخاص ، والأقوام ، والبيئات ، والأحداث .

وما يتصل بذلك كله ، من أفكار ، وأسرار ، وأهداف ، تتجلى فى الأساليب ، والتعابير الحوارية ، والوصفية ، والنقدية ، وما إليها ، على نحو ما أشرت وعلى غرار ما بينت .

ثم هذه المجموعة القصصية ذات القصص السبعة تمثل وحدة واحدة ، تلتقى فى هذه الآية السابقة عليها ، والآتية عقبها ، رقم (١٠٠) : (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد) .

كما أنها — كما قلت — تحقق هذه المحتويات ، وتلك الأهداف ، فى آية (١٢٠) من سورة هود : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق ، وموعظة وذكرى للمؤمنين) .

على أن فى آيات التعقيب على مصارع الأقوام ، الهالكين ، فى القرى المندثرة ، أو الغائبة — فلسفات تسوغ مهلك أولئك الأقوام ، مثل : (وما ظلمناهم ، ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك ، وما زادوهم غير تتبيب) آية (١٠١) سورة هود .

كما أن فيها لمحات تهديد : (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد) آية (١٠٢) .

وفيها صدى القصص فى المؤمنين : (إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة) كما أن فيها لمحات ، وبوادئ ، وظواهر قدرية ، تلتقى مع مطالع سورة يونس التى وقعت قبل سورة هود ، هذه .

من ذلك لمحة موسى والكتاب ، فى آية (١١٠) : (ولقد آتينا موسى الكتاب ، فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وإنهم لفى شك منه مريب) فإنها تتصل بآية " نجوة بنى إسرائيل " آية (٩٢) من سورة يونس ، كما تتصل بآية (١٩) من السورة نفسها ، وهى :

(وما كان الناس إلا أمة واحدة ، فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون) .

ولعل هذه الكلمة ، هي : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟) .

أو لعل هذه الكلمة التي سبقت في علم الله ، وإن تأخرت في كتابه ، وهي : (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون) آية (٦١) من سورة النحل .

أو هي آية يونس رقم (١١) : (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير ، لقضي إليهم أجلهم ، فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) .

وجزئية التعقيب على إهلاك القرى ، في سورة هود (وما ظلمناهم ، ولكن ظلموا أنفسهم) تتفق مع آية (٤٤) من سورة يونس : (إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) .

ثم تذكرنا بنصحة قوم يونس ، في سورة يونس هذه الآيات من سورة هود :

(فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض ، إلا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) آيتا (١١٦ ، ١١٧) من سورة هود .

كما تتفق مع مشيئة الله ، في توحيد الناس أمة واحدة ، تلك المشيئة التي رأيناها في سورة يونس — تتفق معها هاتان الآيتان من سورة هود ، رقم (١١٨) و(١١٩) : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) . ولعلها هي الكلمة التي سبقت ، تضاف إلى تلك الكلمات السابقات .

وشبيه بأمر الله رسوله : موسى وهارون ، في سورة يونس ، بأن يستقيما ، في قوله سبحانه (فاستقيما ، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) . هذا الأمر من الله عز وجل ، لرسوله محمد ، ولمن معه ، بالاستقامة ، والاعتدال ، والبعد عن الذين ظلموا ، في هذه الآيات من سورة هود : (فاستقم كما أمرت ، ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ، فتمسكم النار ، وما لكم من دون الله من أولياء ، ثم لا تنصرون) .

ويتصل بآخر آية في سورة يونس ، وهي : (واتبع ما يوحى إليك ، واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) آية الصبر ، هذه في سورة هود : (واصبر ، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) .

وهذه الوحدة الفكرية ، والأسلوبية ، والتصميمية وسائر الوحدات التي تحقق ظاهرة النظم المعجز — تصل القرآن كله ببعضه ، من أقصاه إلى أقصاه ، ومن مبدئه إلى منتهاه ، بحيث يحقق معنى التفصيل في الآيات ، والتصريف في الأقوال والأمثال ، والتنويع في القصص والأنباء ، في غاية من الإعجاز ، وفي روعة من التبيان .

من قصص السور المدنية

مجموعات الأمثال والقصص والحكايات والأمثال في

سورة البقرة

سورة البقرة ومجموعاتها القصصية (الدكتور محمد عبد القادر)

(١) جو السورة : التذكير بنعم الله سبحانه :

(يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) من سورة البقرة . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (٢٢) .

(٢) جو القرآن / التوثيق والهدى :

(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) .

(٣) الدعوة إلى وحدة الأديان : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله)

من آية (٢٨٥) البقرة . (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (١٣٦) البقرة)

(٤) طوائف الناس ومواقفهم من الإسلام

أ ـ طائفة المتقين ـ من آية (٢) إلى آية (٥) البقرة وهم :

(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤))

(أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (٥) من سورة البقرة

ب ـ طائفة الكافرين : (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) آيتا (٦ ، ٧) من سورة البقرة .

جـ ـ طائفة المنافقين ـ من آية (٨) إلى آية (٢٠) من سورة البقرة

د ـ مراتب الخلق والموت والبعث (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ١٢) آية (٢٨) من سورة البقرة .

(٦) قصة خلافة آدم

أ ـ مدخل قصة " خلافة آدم " : (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شىء عليم) آية (٢٩) البقرة

ب ـ قصة خلافة آدم : من آية (٣٠) إلى آية (٣٩) البقرة

فالمدخل إلى القصة هو تمهيد لخلق الإنسان ، وتكريمه بالعلم (وهو بكل شيء عليم) ومن هنا جعل في الأرض خليفة ، وهذه هي أفكار آيات القصة بإيجاز واختصار : آية (٣٠) : تفضيل الله الإنسان ، على الملائكة ، مع بعد ما بينهما ، لحكمة لا يعلمها إلا الله .

آية (٣١) : أساس المفاضلة على الاختبار والامتحان .

آية (٣٢) : وقوف كل عند حده ، والاعتراف بعلم الله ، وحكمته .

آية (٣٣) : تكريم فضيلة العلم ، وتوسيع مفهومها .

من آية (٣٤) إلى آية (٣٩) : قصة تكريم الإنسان في صورة عملية ، بسجود الملائكة له وهاهي ذي مفصلة في إيجاز :

آية (٣٥) تكريم الإنسان بمكانه الجنة ، والحرية المشروطة بالمسئولية أو بالتكليف

آية (٣٦) استقرار الإنسان ، وتمتيعه في الأرض .

آيتا (٣٨ ، ٣٩) استقلال القصتين : قصة الاستخلاف ، وقصة الهبوط في الدعوة الإسلامية .

آية (٤٠) بيان إنعام الله على بني إسرائيل ـ ملامح السورة مدنية ـ والوفاء بالعهد هو الهدف وكذا الخوف من الله سبحانه .

آية (٤١) : بيان المغزى ، وإيضاحه ، من كفر هذه النعم ـ وهو يشتري بين كل نعمة ، ـ وهذا المغزى كله يدور في فلك الدعوة الإسلامية ، ورأس ذلك كله هو الإيمان : بما أنزلت مصدقا لما معكم ـ ومن النواهي تعلم صفات بني إسرائيل وسلوكهم .

وإذا أحببنا أن ندرس المظاهر القرآنية ، ومجموعة أقاصيص سورة البقرة ، لنعلم الوحدة القصصية أو الحبكة القصصية ، أو النظم الفني في القصص القرآني وإننا أن روح الامتنان والتذكير بنعمة الله ، والعتاب على مخالفة أوامر الله ـ هو سر الوحدة وهو أس الحبكة ، وهو جوهر النظم .

ومنهج القرآن في أقاصيص سورة البقرة ، منهج رائع بليغ ـ يتمثل في الإجمال ثم في التفصيل .

(٢) مجموعة أقاصيص بني إسرائيل

في سورة البقرة

وهي من قوله سبحانه : (يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأني فضلتكم على العالمين (٤٧) البقرة واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها شفاعة ، ولا يؤخذ منها عدل ، ولا هم ينصرون (٤٨) من سورة البقرة)

إلى قوله تعالى : (يابني إسرائيل : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأني فضلتكم على العالمين

واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها عدل ، ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون (١٢٣) من سورة البقرة .

وهى مجموعة أقاصيص تصف أخلاق بنى اسرائيل ، وتصور عقيدتهم ، وسلوكهم وما كان من نعمة الله عليهم ، وكاكان من مخالفاتهم أوامره ، وماكان من مغفرته لهم وابتلاه اياهم . وهى كما ترى محصورة بين هذه الايات المتشابهات ، التى تجمع بين مجموعة الاقاصيص ، هذه ، فى وحدة واحدة وفى " حكمة " رائعة ، وفى نظام محكم ، وفى نظم بليغ .

وهى أى هذه المجموعة — أشبه بالعرض المسرحى أو السرد القصصى ، أو التصوير " السينمائى " أو القص التاريخى ، الذى يجمع بين الحقائق المقررة ، والوثائق المحررة ، وبين التصوير المؤثر ، والتصوير الخلاق . مع جلب الشيع البصرية ، والسمعية والعقلية ، والقلبية ، والنفسية ، والشعورية ... فى تلاحق فذ ، وفى تتابع حسى وفى موسيقية موقعة ، تطرب السمع والطبع بما لها من نغم ورقيع ....!

وهذه المجموعة يمكن جعلها ملحمة قصصية تاريخية أدبية ، طيبة ، فنية ، جمعت فوعت ، ووعت فأبدعت ، وأبدعت فامتعت ، وأمتعت فأقنعت ، وأقنعت فأثرت وأثرت إذ صورتك وفورتك ، وعبرت ، فى حياة حافلة من المعانى والافكار ، زاخرة بالاهداف والأسرار .

وهذه الملحمة ذات مشاهد متنوعة ، أشبه ما تكون "باستعراضات" . لكن الاقرب والانسب فى رأى ، أن هذه المجموعة التى تقع بين آيتى ٤٧ ، ٤٨ ، وبين آيتى ١٢٢ ، ١٢٣ من سورة البقرة ، مجموعة أقاصيص ، تربطها بينها هذه الآيات قبلها وبعدها . — ذلك أنها بمثابة تعداد للنعم على بنى اسرائيل وقد صدرت كل أقصوصة فيها بكلمة " اذ " وكل أقصوصة منها لها فكرتها الكاشفة فيها ، وبناؤها المستقل بها ، وبوسيقيتها الخاصة بها ، وهدفها الذى منها ، وإطارها الجامع لها . على أن الآيتين السابقتين لهذه المجموعة من الاقاصيص والآيتين اللاحقتين عليها . بمثابة المقدمة والنتيجة معا . وبمثابة البداية والنهاية جميعا .

على أن هنا فى سورة البقرة ، آيات سبقت آيتى التمهيد اللتين ذكرتهما وهذه الآيات تقع من آية (٤٠) إلى آية (٤٦) أى من قوله سبحانه : (يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم . وإياى فارهبون) . إلى قوله عز شأنه : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ، وأنهم إليه راجعون) وهى آيات تتصل بالمقدمة وبالنتيجة معا فكأنها تحتوى على المغزى الذى من أجله سبقت هذه الاقاصيص ، إذ يخاطب القرآن فيها بنى إسرائيل المعاصرين للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فى المدينة وذلك حاثا لهؤلاء الاحفاد من أهل الكتاب على أن يشكروا ولا يكفروا ويصبروا ولا يضجروا ويحمدوا ما وقع فيه أسلافهم من خطايا وأخطاء .

وتعلم الرسول والمؤمنون وسائر المسلمين أخلاق بني إسرائيل وطباعهم • وعقائدهم وطباعهم وعاداتهم • وماكان منهم مع موسى ليحذروا أخلاق أهل الكتاب • المنتسبين إلى بني إسرائيل والمتحدثين من سلالاتهم • والمتصلين بأنبيائهم وكتابهم وهم المعروفون لديهم بأهل الكتاب •

ليجادلوهم بالتي هي أحسن ويدعوا من آمن بالقرآن • واتبع الرسول محمداً عليه السلام ويحذروا الذين ظلموا منهم • فيعاملوهم بما يستحقون • ويجادلوهم بما يستأهلون • وإذا نظرنا نظرة سريعة في هذه الآيات السابقة لآية التدخل والتمهيد وجدناها ذات أفكار عديدة متفقة والشريعة الإسلامية • ويمكن حصرها في هذه النقاط :-

- الأمر بأن يذكروا نعمة الله •
- الأمر بأن يوفوا بعهد الله • وبأن يخافوا من الله •
- الإيمان بكتاب الله • والمحافظة على آياته لئلا يحيبها تحريف • ولا تصحف ولا يبيعوها لقاء أجر ما • أو لقاء عطاء معين •
- الأمر بتقوى الله •
- عدم لبسهم الحق بالباطل • وعدم كتمان الحق •
- الأمر بإقامة الصلاة • وإيتاء الزكاة والدخول في جماعة المصلين •
- التروي والتعقل •
- الاستعانة بالصبر والصلاة •
- الاعتقاد باليوم الآخر •

وهذا هو الفكر العلمي بشتى مظاهره • وهذا هو الوفاء بالعهد • ولعل ذلك هو الدافع الرئيسي إلى تعداد هذه النعم التي تحتوي عليها هذه المجموعة من الآيات من آية (٤٧) إلى آية (١٢٣) من سورة البقرة •

أقاصيص بني إسرائيل

الدكتور محمد الصادق

من آية (٤٧) إلى آية (١٢٣) من سورة البقرة

وهي — كما ذكرت — عدة أقاصيص يمكن عرضها عرضا سريعا • في هذه السطور

(١) تنجية بني إسرائيل • من آل فرعون • الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب • يذبحون أبناءهم • ويستحيون نساءهم • آية رقم (٤٩) البقرة •

(٢) فرق البحر بهم • وإنجاؤهم • وإغراق آل فرعون وهم ينظرون إلى مصارعهم • آية (٥٠) البقرة •

(٣) مواعدة موسى أربعين ليلة • واتخاذ بني إسرائيل العجل من بعده • تحكيم عفو الله عنهم من بعد ذلك • ورجاء أن يشكروه آيتا (٥١ ، ٥٢) البقرة

(٤) ليتلو موسى الكتاب والفرقان لعلهم يهتدون • آية (٥٣) البقرة •

(٥) توبة الله على بنى إسرائيل بعد اتخاذهم العجل معبودا وذكرها معللة بمغفرة ذنوبهم بعد أن جاءت فى الآية الثالثة تابعة • مجملة • (٥٤) البقرة

(٦) تعنتهم مع موسى • وإصرارهم على رؤية الله جهرة • وأخذهم بالصاعقة ثم بعثهم من بعد موتهم آيتا (٥٥ ، ٥٦) البقرة

(٧) مجموعة خاصة ببنى إسرائيل • كتظليل الغمام عليهم • وإنزال المن عليهم وهو شئ حلو كان يسقط فى الحر على شجرهم • فيجتنونه ويأكلونه والسلوى وهو طائر يشبه السمانى • وإباحة الطيبات لهم من الرزق • آية ٥٧ البقرة

(٨) إباحة الأكل من القرية حيث شاءوا رغدا ودخول الباب سجدا وتكليفهم بقول : لا إله إلا الله • أو بالاستغناء من الذنوب • ليغفر الله لهم خطاياهم • ويزيد المحسنين — ثم تبديل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم • وانتقام الله منهم فسقهم وتبديلهم إ

آيتا (٥٨ ، ٥٩) من سورة البقرة •

(٩) استسقاء موسى لقومه • وضربه الحجر بعصاه • وانفجار اثنتى عشرة عينا من الحجر • وعلم الناس مشربهم • وإباحة الأكل والشرب من رزق الله ونهيهم عن العثو وهو أشد الفساد • والإفساد إ آية (٦٠) البقرة •

(١٠) ضجرهم من الصبر على طعام واحد • واستبدالهم الذى هو أدنى بالذى هو خير • ونزولهم مصرا وسوء أحوالهم بعد ذلك • وانصرافهم بغضب من الله • بسبب كفرهم بآيات الله • وقتلهم النبيين بغير الحق • وبسبب عصيانهم • واعتداءاتهم إ آية (٦١) البقرة

التعقيب بآية التوحيد رقم (٦٢)

(١١) أخذ ميثاقهم • ورفع جبل الطور • وأمرهم بأن يأخذوا ما آتاهم الله بقوة • وذكر ما فيه • ورجاء أن يتقوا ثم توليهم من بعد ذلك • وعفو الله عنهم بفضل الله • ورحمته • آيتا (٦٣ ، ٦٤) من البقرة •

(١٢) القصة داخل القصة السابقة • وهى الحكاية الذين اعتدوا من بنى إسرائيل فى يوم السبت • ومسخهم الله قردة خاسئين • مبعدين بمكروه إ وجعل الله هذه الحادثة عقوبة لمن يقترف مثل ذلك الذنب ثم جعل الله قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى • وما خلفها ليتعظوا بهم • آيتا (٦٥ ، ٦٦) من سورة البقرة •

(١٣) القصة البقرة • وأمرهم بذبح بقرة • وتردادهم فى تصديق ذلك • وتحديد أوصافها وسنها • وأنها بقرة لا فارض حسنة • ولا بكر • وإنما هى عوان بين ذلك بين الصغيرة والمسنة • ثم هى صفراء فاقع لونها • سوداء ناصع لونها (١)

---

(١) تهذيب القرآن — للسجستانى — بتصرف •

أو صفراء الصفرة المعهودة • التي تسر الناظرين • ثم هي بقرة ذلـــــول قد ذللت للحرث • لا عيب فيها • ولا لون لها سوى لون جميع جلدها •

استغلال هذه البقرة في حادثة القتل • لمعرفة القاتل بواسطة القتيـــل الذي حي حين ضرب بجزء البقرة وإظهار إمكان البحث من هذه المعجزة •

ثم قسوة بني إسرائيل من بعد ذلك • وعدم انتفاعهم بقصة البقرة • ومعجزة إحياء القتيل بسببها • وهي تصلح قصة ذات فصلين ولكل مناظر وفصول •

وقع من آية (٦٧) إلى آية (٧٤)

تعليقات القرآن على قسوة قلوب بني إسرائيل • من آية (٧٥) إلى آيـــة (٨٢) من سورة البقـــرة •

(١٤) أخذ الله ميثاق بني إسرائيل • ألا يعبدوا إلا الله • وأن يحسنوا بالوالدين إحسانا وبذي القربى • واليتامى والمساكين • وأن يقولوا للناس حسنـــا • وأن يقيموا الصلاة • ويؤتوا الزكاة • ثم تولوهم إلا قليلا منهم • آية ٨٣ البقرة •

(١٥) أخـذ الله ميثاق بني اسرائيل • ألا يسفكوا دماءهم وألا يخرجوا أنفسهـــم من ديارهم • وإقرارهم بذلك ثم خروجهم على هذا الوثق • إذ يقتلـــون أنفسهم • ويخرجون فريقا منهم من ديارهم • يتظاهرون عليهم بالإثـــم والعدوان وبفادائهم الأسارى وهو محرم عليهم إخراجهم • وتنديد القـــرآن بذلك • من آيـة (٨٤) إلى آيـة (٨٦) البقرة •

(١٦) إيتاء موسى الكتاب • وإيتاء عيسى البينات • وتأييده بروح القدس • واستكبار بني إسرائيل عند اتباع الرسـل • وتكذيبهم فريقا • وقتلهم فريقـا • آيـة (٨٧) البقـرة •

تعليقات على قلوب بني إسرائيل الغلف المحجوبة عن آيات الله ــ وكفرهـــم بما أنزل الله • بغيا وانصرافهم بغضب على غضب • وادعائهم الايمـــان مع قتلهم أنبياء الله إ من آيـة (٨٨) إلى آية (٩١) البقرة •

(١٧) قصة اتخاذهم العجل • في صورة حكاية وقسم • آيـة (٩٢) •

(١٨) قصة أخذ ميثاقهم • ورفع الطور فوقهم • وعصيانهم أوامر الله • تمكـــن عبادة العجل منهم • آيـة (٩٣)

• تعليقات للرسـول • ليقتدي بها اليهود • مع فضح خلائقهم ورســـل الأقاصيص بتيار الدعوة الإسلامية في عصر الرسول محمد عليه الصلاة

من آيـة (٩٤) إلى آيـة (١٠١) من سورة البقرة •

(١٩) قصة السحر والسحرة • وفيها قصة الملكين هاروت وماروت • آيتا (١٠٢) • (١٠٣) سورة البقرة •

• تعليقات تفضح حسدا كبيرا من أهل الكتاب • من آية ١٠٤ إلى ١١٠ البقرة •

(٢٠) ادعاؤهم أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا او نصارى ــ ورد القرآن على ذلك • آيتا (١١١ ، ١١٢)

(٢١) اتهام اليهود النصارى بأنهم ليسوا على شيء واتهام النصارى اليهود بأنهم ليسوا على شيء • آية (١١٣)

(٢٢) نموذج من سعي في خراب المساجد • آيتا (١١٤ ، ١١٥)

(٢٣) دعواهم اتخاذ الله ولدا ، وتنزيه الله من ذلك • آيتا (١١٦ ، ١١٧)

(٢٤) تمني الذين لا يعلمون لو يكلمهم الله ، أو تأتيهم آية • آية (١١٨)

(٢٥) مهمة الرسول — وموقف اليهود والنصارى منه وتثبيت الرسول — ومدح من يتلو الكتاب حق تلاوته • آيات (١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١) البقرة)

* التعقيب الأخير الذي ختمت به هذه المجموعة من الأقاصيص التي بلغت خمسا وعشرين أقصوصة وهذا التعقيب مكون من آيتي (١٢٢ ، ١٢٣) وهو متصل بآيتي التمهيد رقم (٤٧ ، ٤٨) من سورة البقرة •

مما حقق النظم المعجز لهذه المجموعة الأقصوصية على طولها ، وتعددها ، وعلى ما في ثناياها من تعقيبات ، وتعليقات ، ومن تلقينات ، وتوجيهات • وتحن نحس الفارق الجوي ، والنفسي ، والشعوري والأسلوبي ، في هذا القصص الديني ، وغيره من ذلك القصص الفني •

وفي هذه المجموعة من الأقاصيص ، مواجهة صريحة مع بني إسرائيل ، وكشف أستارهم ، وأستارهم ، وذلك ليعلموا أن الذي يخاطبهم ، ويصارحهم ، ويكاشفهم — هو الله عز وجل ، الذي أرسل لهم موسى من قبل بالتوراة ، وأرسل لهم الآن محمدا بالقرآن فيعلموا أنه الحق ، ويعلنوا إيمانهم به ، دون نفاق ، ولا شقاق !

ومما يجدر تسجيله أن :

(١) الأقصوصة تقع أحيانا في آية واحدة ، مثل أقاصيص رقم ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ — ٠٠٠٠ الخ •

(٢) كما أنها تقع أحيانا في آيتين مثل أقاصيص رقم : ٥١ ، ٥٢ — رقم ٥٥ ، ٥٦ •

(٣) كما أنها تقع تارة في ثلاث آيات ، مثل أقصوصة رقم : ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ •

(٤) وتقع أيضا في أربع آيات ، مثل أقصوصة رقم ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ •

وهما أقصوصتان متداخلتان : أقصوصة رفع الطور وأقصوصة الاهداء في السبت •

(٥) وتقع كذلك في خمس آيات ، مثل أقصوصة رقم : ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١

وكما أن الأقصوصتين يتداخلان أحيانا فان الأقصوصة الواحدة تنقسم أقصوصتين بالحكمة ، وذلك ، مثل قصة البقرة ، وقصة القتل — فهما أقصوصة واحدة ، فصل بينهما بـ (إذ) ومن ثم تغير نظام السياق ، لسر بلاغي رائع •

بعض الأقاصيص ينطوي على المغزى فيه ، مثل رقم ٥١ ، ٥٢ : (لعلكم تفكرون) ، ومثل ٥٣ (لعلكم تهتدون) ومثل رقم ٥٥ ، ٥٦ (لعلكم تشكرون) ومثل ٦١ : (ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون) — ومثل ٦٣ ، ٦٤ :

(لعلكم تفلحون) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) ـ وقال رقم ٧٢ ، ٧٣ : (كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) وهكذا ..

ـ ح ـ

بعض الآيات لا تعليق عليها ، وتعقيب بعدها مثل رقم ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

ـ د ـ

بعض الآيات فيها تعليق ، مثل رقم ٤٧ تعقيبها : (واتقوا يوما) الآية رقم ٤٨ وكذلك رقم ٦١ تعقيبها بعدها : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) آية (٦٢) . وكذلك رقم ٧٢ ، ٧٣ ـ تعقيبها بعدها : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) آية (٧٤) وكذلك رقم ٨٤ ، وصف آية (٨٥) تعقيبها نصف آية (٨٥) وآية (٨٦)

ـ هـ ـ

أحيانا يكون التعقيب على التعقيب ، كما في آيات ٧٥ ـ ٨٢ التي بدأت بقوله سبحانه (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ؟) إلى قوله تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

فإن هذه الآيات تعقيب على آية (ثم قست) التي هي تعقيب على قصة القتل فيها وبقرة التي فيها رقم ٧٢ ، ٧٣ .

ـ و ـ

أحيانا ينتقل القرآن من بيئة لبيئة ، ومن عصر إلى عصر ولكنه يحافظ على بيئة القصة أو وجوها ، مثل آيات ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ التي في آية ٨٧ ـ انتقلة من عصر موسى إلى عصر عيسى وفي ٨٩ ـ انتقلة أخرى إلى عصر محمد الرسول .

كل ذلك في ظلال الدعوة الإسلامية ، التي من أجلها تساق هذه الجموعة القصصية .

ولهذا نجده أن تذكر القصة ، وتكرر ـ تستغل في إفحامهم بالحجة الدامغة :

(قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ، إن كنتم مؤمنين ؟) ٩١

أحيانا تذكر القصة الواحدة مرتين في سياق واحد ولكن لهدفين مختلفين ، مثل رقم ٩٢ ، ٩٣ لقد ذكرت هذا الهدف ، وهو تسجيل عصيان بني إسرائيل (سمعنا وعصينا) وهناك رقم ٦٣ ، ٦٤ ذكرت لتسجيل نعمة الله عليهم (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) ـ وعلى هذا فلا تكرار

ـ ز ـ

أحيانا ينتقل من جو القصة إلى جو السورة تارة واحدة ، تارة التقاية بين الحالتين وآنذاك تتعدد ، وهي تلتفت (قل) النبي لشخصية الرسول ، الشاهدة وراء الأحداث تتجه به أن (قالوا : سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) (قل : بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين) ثم يخرج من ذلك تارة أخرى ، وهي :

(قل : إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) (قل / من كان عدوا لجبريل ، فإنه نزله على قلبك بإذن الله ، مصدقا لما بين يديه ، وهدى وبشرى للمؤمنين)

— ط —

أحيانا يطول التعليق ، حتى يصل إلى ثماني آيات : من رقم ٧٥ إلى ٨٢ .
وأحيانا أخرى يطول أكثر وأكثر حتى يصل إلى تسع عشرة آية من رقم (١٠٣) إلى (١٢١) من سورة البقرة .

— ى —

كما تستغل الاقتباسات القرآنية للعظة والهداية ، وتهذيب السلوك ، تستخدم أحيانا للتصريح كما في آية (٨٥) : (أفتؤمنون ببعض الكتاب ، وتكفرون ببعض ؟) (يأيها الذين آمنوا ، لا تقولوا راعنا ، وقولوا : انظرنا واسمعوا .) آية) ١٠٤)
وكذلك لإظهار حكمة التشريع : (ما ننسخ من آية ، أو ننسها ، نأت بخير منها ، أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ؟) آية (١٠٦) .
(وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) (١١٠) (ولله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم) (١١٥)

— ك —

وكما تستخدم الاقتباسة في التصريح وحكمة تستخدم في تصحيح الأوضاع الفاسدة ، أو الآراء الخطئة والمغالطة ، التي تخطئ من عند ، أو عند وذلك مثل :
(وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين بلى ، من أسلم وجهه لله ، وهو محسن ، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١١١ ، ١١٢) البقرة .
(وقالت اليهود : ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون الكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ، فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) تقولهم هذا من غير علم ، إذ اشتركهم معهم في الجهل أولئك الذين لا يعلمون) . (وقال الذين لا يعلمون : لولا يكلمنا الله ، أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون) (١١٨)
وتشابه قلوبهم في القساوة ، والحجاب ، والجهالة ، والفساد فعموا وتعاموا ، وتوحشوا وتوحشوا . (وقالوا : اتخذ الله ولدا ، سبحانه ، بل له ما في السموات والأرض ، كل له قانتون ، بديع السموات والأرض ، وإذا قضى أمرا فإنما يقول له : كن فيكون)
(١١٦ ، ١١٧) من سورة البقرة .

— ل —

كذلك تستخدم الاقتباسات في كشف المخبآت ، وهتك الأستار التي لا يحيط بها إلا خالق النفس والقلوب ، (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ، والله عليم بالظالمين)

(وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) آية ٤٩ البقرة

(ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) آية (١٠٥) البقرة

(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق إن الله على كل شيء قدير) آية (١٠٩)

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير) آية (١٢٠) من سورة البقرة .

IIIIIIIIIII

رابطة هذه الأقاصيص

في سورة البقرة

للدكتور محمد محمد بدران

يبقى بعد هذا أن نعرف سر الرابطة التي تربط بين هذه المجموعة من الأقاصيص إذا عرفنا جو السورة العام ، أمكننا أن نلم بالرابطة التي تصل ما بين هذه المجموعة الأقصوصية ، وهي : " نعماء نعم الله على بني إسرائيل " ويتضح من هذا هو نعماء تفضل الله ، وكرمه على الإنسان أيا كان هذا الإنسان من آدم إلى آخر الزمان ، (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ، والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (٢١ ، ٢٢) من سورة البقرة

من أعظم تكريم من الله للإنسان استخلافه في الأرض بشهادة الملائكة ، وأمر الملائكة بأن يسجدوا لآدم أبي البشرية ، وتعليم الإنسان في الجنة ، بعد تعليمه الأسماء كلها وإنجاحه في الامتحان المعقد بينه وبين الملائكة ، باعتراف الله عز وجل . — ثم تتابع الله على آدم بعد مخالفته بنعمه الكثيرة من الاصطفاء ، وإلهامه من كلمات التوبة ، وكل هذا تمهيد لقصة آدم قبل هذه المجموعة الأقصوصية والقصة الأولى ، قصة استخلاف آدم من آية (٣٠) إلى آية (٣٣) ويصح أن تكون أقصوصة مستقلة ، وإن صلحت لتكون قصة كبيرة ، تم بفصلها الثاني . والقصة الثانية ، قصة تكريم آدم ، وتعليمه والسجود له وإسكانه الأرض . من آية (٣٤) إلى آية (٣٩) بما فيها من تعقيب ، وتعليق ، واستطراد وكما صححنا القصة الأولى لتكون من قصة كبيرة ، تصح القصة الثانية لتكون إحداهما هذه القصة الكبيرة : قصة آدم . وقصة آدم هي قصة الإنسان أيا كان في كل مكان وزمان . لتكريمه تكريم للإنسانية ، وتحطيمه تحطيم للبشرية ومن ثم كان هذا هو الأصل ، ثم جاءت أقاصيص التكريم لبني إسرائيل ، متفرعة من هذا الأصل ، ومتابعة استطراد واستقصاء .

والذي يتأمل مجموعة الأقاصيص ، التي تخاطب بني إسرائيل يرى من أول آية مبتدأ لها وفي آخر آية مستقبلة عليها ، وفي ثنايا المجموعة من الأقاصيص يلمح عناصر أقصوصة يرى فيها التعميم والتكريم ، والتفاضل يسيطر على أكثار هذه المجموعة بتقدمها ، وتأخرها وتفاضلها ، ويرى بعض الرابطين بين أولئك الأجداد من بني إسرائيل وبين أحفادهم المعاصرين

للرسول في الجزيرة العربية ، وخاصة في المدينة ومعاصري المسلمين كما يرى هدى الصلاة الدينية والوجدانية والدنيوية بين أتباع موسى ، وبين اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية في عصر الرسول محمد عليه السلام ، مما يثير أثر هذه الأقاصيص ، ويمنحها الحياة والإيجابية والتأثير والتوجيه ، لدى بني إسرائيل الأحياء ، ولدى المسلمين الذين يتلون القرآن ولدى الرسول الذي يقف على خلائق أولئك اليهود في عصره ، فيعاملهم وفق ما يجب أو يجاء لهم بالتي هي أحسن ، ثم لدى المتلقين المسلمين من بني إسرائيل الذين يتلون الكتاب حق تلاوته ، ليعتبروا بمن مضى ، ويتناصحوا بالدين الجديد .

ومن ثم صدرت المجموعة بنداء بني إسرائيل : يابني إسرائيل وجاءت الفقرة الأولى بعد نداء لهم مقاصة بين إسرائيل المعاصرين للرسول وللدعوة الإسلامية وتوجيه لهم توجيهات صريحة بأن يذكروا نعمة الله التي أنعمها عليهم ، وبأن يوفوا بعهده ليوفي بعهدهم ، وبأن يخصوه بالرهبة والرهبة وبأن يؤمنوا بما أنزل من قرآن ، جاء مصدقا لما معهم من التوراة والإنجيل والزبور وألا يكونوا أول كافر به فهم أدرى الناس بصحته وصوابه ، وألا يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا أو كثيرا إذ هي فوق التقييم والتقدير وأن يخصوه بالتقوى ، وألا يلبسوا الحق بالباطل ، وأن يقيموا الصلاة وأن يؤتوا الزكاة ، وبركعوا مع الراكعين !

ثم تعدد بهم وأنكر عليهم أن يأمروا الناس بالبر وينسوا أنفسهم وهم يتلون الكتاب ، وبهذا تعمل العقلاء وأخيرا أمرهم بأن يستعينوا بالصبر والصلاة ، وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوربهم ، وأنهم إليه راجعون ، كل هذا تتضمنه النداء لبني إسرائيل المعاصرين للرسول وللقرآن فهو توجيه صريح ، وأوامر هادية وضاءة مهيبة .

توجيههم نحو ما ينبغي أن يكون منهم ، أو نحو ما يجب أن يكون . ثم يجيء النداء الثاني لبني إسرائيل السابقين ، وكأنهم أحياء إذ أن أحفادهم موجودون يقرأون ويسمعون .

بعد هذا النداء يدور الشريط المصور والسجل لعرض حلقات من تاريخ بني إسرائيل في زمن موسى ، ثم في أيام عيسى ، عرضا مبسطا بسيطا ، موجزا في آن ، لما كان يدعو في حاجة إلى تعيين أو تمثيل أو تحليل ، فيه عرض بصورة أخرى ، وبصوت جديد ، بما كان الإيجاز خيرا له وزيه ، جاء مركزا وموجزا وحاسما بالانفعالات والظلال — وهكذا .

بعد الانتهاء من عرض هذا الشريط المصور والسجل يعود النداء الأخير لبني إسرائيل السابقين ، وهو مماثل كثيرا لنداءهم السابق ، قبل بداية العرض ، وبعد ذلك النداء المعاصر الباقي ، لبني إسرائيل المعاصرين .

وإذن فالتأمل في هذه المجموعة المتصلة في سورة البقرة ، والتدبر لها ولمراميها يدرك رابطة التكريم والتعميم والتفضيل ، والتذكير بنعم الله على بني إسرائيل — يدرك هذه الرابطة كامنة باطنة ، وظاهرة مباشرة ، في التصوير وفي عرض الأقاصيص ، وفي التعليق عليها ، وذلك من أول نداء إلى آخر نداء كما مرنا .

في أول نداء : (يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) (وأني فضلتكم على العالمين) آية (٤٧) : من البقرة

وفي آخرها " يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين آية (١٢٢) البقرة نفس الشيء تكريم لهذه الأمة المختارة من سائر الناس في زمانهم كما يقول المفسرون — واختصاصهم بهذه المجموعة الكبيرة من الأقاصيص ، اهتمام بهم وتكريم لهم وإشارة إلى نعم الله عليهم ، وتفضيله إياهم على عالمي زمانهم .

ثم ذكرهم في أول سورة وضعت في القرآن بعد الفاتحة وشغلهم هذا الفراغ من كتاب الله الخالد الذي يتعبد به في المحاريب ، كل يوم خمس مرات ، تخليد لهذه الأمة من الناس وتسجيل لهم أمام كل الأجناس — وفي هذا التخليد ، تمجيد وتجديد ، لذكرى هذا الجنس المختار ، ووراء ذلك كله تكريم لهم أي تكريم !

ثم تكرار ذكر النعمة مرات مجملة ، وأخرى مفصلة تقدير لشأنهم واهتمام بتاريخهم وتعظيم ! وتفضيل هذه النعمة واضح من تفضيلهم على العالمين ، مع إطلاق التفضيل وتعميمه ، ومع إطلاق العالمين ، دون تقييد ، ودون تحديد !

وكذلك نجيناكم من آل فرعون ، فرق البحر بهم وإغراق عدوهم وهو الله منهم حينما اتخذوا العجل من بعد موسى وإيتاء رسولهم الكتاب والفرقان لهدايتهم ، وتوبة الله عليهم بعد اتخاذهم العجل كما مرتنا ، ثم بعثهم من بعد موتهم ثم تظليلهم بالغمام ، وإنزال المن والسلوى عليهم ودخول القرية ، وتفجير العيون من الحجر وإطاقهم سؤالهم — كل هذه الأشياء نعم لا تكاد تحصى ولا تستقصى .

هذا إذا عرفنا أنها إنعام من جانب وجحود وكفر وتقلب من جانب آخر ، إنعام من جانب الله ، وجحود من جانب بني إسرائيل بهذه المفارقة تتبين آثار هذه النعم ، وقيمتها ، ومن هنا كانت روح الإنعام والامتنان ساكنة تحتي في استغلال هذه الأقاصيص لصالح الدعوة الإسلامية ويتجلى هذا في تعقيب القرآن وتعليقه على تلك الأقاصيص :

(إن الذين آمنوا والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئون ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون) ، آية ٦٢

وهذه الآية تفتح باب الأمل والاجتهاد لأهل الأديان فالذين هادوا وصاروا يهودا وأيضا قد عطفوا على الذين آمنوا والنصارى قد عطفوا على الذين تهودوا والصابئون — هم الخارجون من دين إلى دين — قد عطفوا كذلك على النصارى (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) هذه جملة مستقلة تحتاج إلى وصلها بجملة إن الذين آمنوا — وتصل هذه الجملة الواصلة — هي منهم فيكون الكلام : من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل عملا صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم بكامل الأسلوب ومستقيم .

وبهذا التقدير يتفتح باب الاجتهاد ، الذي يتطلب كد خاطر وإعمال ذهن وإطالة نظر ثم في هذا العطف على الذين آمنوا تفتح لباب الأمل ، لأهل الأديان الأخرى ، من اليهود والنصارى ، والصابئين حتى يؤمنوا بالله ، واليوم الآخر ، ويعملوا عملا صالحا ، وحينئذ يكون لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون .

وكما أن الذين آمنوا في (٦٢) تفتح باب الأمل لأهل الأديان ، ففي آية (١٠٣) تفتح لباب الأمل لنعمة الله التي هي خير ، لو كانوا يعلمون كل شيء على حقيقته ، دون انخداع

بمثير من جوهر ، وهذه هي الآية : (ولو أنهم آمنوا واتقوا ، لمثوبة من عند الله خير ، لو كانوا يعلمون) . وعلى الرغم من وداد الكثير من أهل الكتاب لو يردون المؤمنين بالله من بعد إيمانهم كفارا ، حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ... فنحن معاشر المؤمنين قد بينا ، وحذرنا ـ مطالبون بأن نعفو عنهم ونصفح ، حتى يأتي أمر الله . وإلى أن يأذنا الله بجهادهم ، وحربهم وقتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، كما جاء في آية (١٩٣) من هذه السورة .

وكما جاء في سورة الأنفال بعد هذه السورة . أو إلى يوم القيامة فالله قادر على أن يحول حسدهم غيظة ، وغيظهم إعجابا وإعجابهم بالمؤمنين اعتقادا قد يهديهم وإياهم بهم . (إن الله على كل شيء قدير) . ثم يفتح الأمل في المرد على زعمهم أن دخول الجنة مقصور على من كان هودا أو نصارى . وهذا الرد الحاسم تقرره آية (١١٢) بعد آية وصم ذلك : (بلى ، من أسلم وجهه لله وهو محسن ، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . وتفتح بابا الأمل ـ كذلك ـ يتجلى في التوسعة العبادية ، بجعل المشرق والمغرب لله أينما تولوا فثم وجه الله . وهذا من سعة الله وجلاله وسماحة شريعته ودينه ـ تقرر هذا كله ، هذه الآية رقم (١١٥) :

(ولله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم) .

وهنا في باب الاجتهاد والبحث عن المراد بوجه الله ما يليق بمقام الألوهية ، التي لا يشبهها شيء ولا أحد . وكذلك من باب الأمل إرسال الرسول بالحق بشيرا ونذيرا ، لا ولا وقبرا عنهما ... وهكذا ....

كل هذا يوحي بما ذهبت إليه من أن روح التفضل والإنعام قد سادت ، وطغت على جو الآيات كلها ، بل في جو السورة جميعها . ولعل هذه الرابطة هي " رابطة فكرية " أو " نفسية " إلى جانب هذه الرابطة النفسية أو الفكرية روابط أخرى لفظية بحتة من الروابط اللفظية المحافظة على ربط الآيات للأحداث التعبدية ، بحيث تأخذ فكرة واضحة عن سلوك بني إسرائيل وأخلاقهم وعقائدهم ، حتى يحذروا مثلا من سلك مسلكهم وعقائدهم .

فهم قوم لا يؤمنون بغيب ، كفورون ، جاحدون أنعم الله متقلبون ، يعتقدون أن الذي هو أدنى بالذي هو خير ـ كثير الطالب في غير حق ، متعنتون فيهم جدل يتعلق بقبلة ، قساة القلوب ، قتلة الأنبياء ، ظالمون ، يتاجرون في كتاب الله ، وبعهد الله ، وبأيمانهم ، لا أمل فيهم ! ... ولا أمل منهم !

والقرآن ـ من هذا الجانب قد صور بؤسهم وتعصبهم على حقائقهم أمام العالمين .

وهذه الآيات تضاف إلى جانب الإنعام من الله تعالى جانب جحود بني إسرائيل ... ولا يستوي المحسنون والمسيئون !

من الروابط اللفظية التي نلحظ لا يبدأ السورة الأصلي وجود كلمة مباركة في الآيات بالمعنى الذي جرى عليه أول كل قصة ، وجرى الأمر بالمثل (قل) ليبدأ الحديث بالقصة التالية .

والكلمة الثانية في السورة الأنموذج • الكلمة (قل) • يذكرني • (قولوا — قولي — يستقيم — قولكم — قولكم — قل أأنتم أعلم) وهكذا

والكلمة المكية في الاستعانة بالحكايات • هي (قلنا) • يذكرني • (وقلنا ادخلوا الذين اتقوا منكم في السبت) ومثل (وقلنا أنجيا موسى الكتاب) ومثل (وقلنا جاكم موسى) ومثل (وقلنا أنزلنا) ومثل (وقلنا طوبا لمن اعتبر بما في الآخرين خلق)

والتعبير الذي أول كل القصة هو (إذ) • وذلك مثل (إذ) في :

(إذ نجاكم) (إذ فرقنا) (إذ واعدنا) (إذ آتينا) (وإذ قال موسى) (إذ تقتلون يا موسى) (إذ استسقى) (إذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) (إذ قال موسى لقومه) (إذ تقتلون) (إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) (إذ أخذنا ميثاقكم) ..

أما الكلمة الكبرى (قل) التي • هي من أجل ربط القاصيص والحكايات • والقولات • بحياة الدعوة الإسلامية • وذلك لتصحيح الأوضاع • والأحوال • والأقوال • والأعمال • والآراء • والمقال — فهو كلمة (قل) التي تجدها في التعليقات • لهذا الفصل (قل) يربط القصص بالدعوة الإسلامية ربطا مباشرا وظاهرا وسببا ويظهر شخصية الرسول محمد • أو شخصية كل مسلم يقرأ القرآن أو كل عامل بما في القرآن •

ومن ذلك : (قل : أتخذتم عند الله عهدا • فلن يخلف الله عهده ؟ أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟) آية (٨٠)

(قل : فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) (٩١) (قل : بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين) (٩٣) (قل : إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس • فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) (٩٤) (قل : من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه • وهدى • وبشرى للمؤمنين) آية ٩٧

(قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) (١١١) (قل : إن الهدى هدى الله) (١٢٠) من سورة البقرة •

وإلى جانب هذه الرابطة الفنية • وتلك الرابطة الفكرية والفلسفية • ورابطة أخرى فنية تتمثل في الإيقاع والتصميم (الهيكل) أو ما يسمونه حسن التوزيع • أو الهيكلة " القصصية •

فمجموعة القاصيص في سورة البقرة هذه — محصورة بين قصتين • وتتعقب متماثلين ومتماسكين • مما يقوي الإيجاز الفني في البناء القصصي • وهي أي مجموعة القاصيص • بقصتيها وتعقيبها محصورة بين قصتين • أو تكوين :

" قصة خلافة الإنسان " و" قصة إمامة إبراهيم " وهما أي القصتان تدوران حول تكوين متماثلين • يتضمنان فكرة الخلافة • وفكرة الإمامة •

فالقصتان تدوران حول محور تواصي • أو رأس • واحد هما أقرب الإمامة من الخلافة ؟ وما أقرب الخلافة بالإمامة ؟

وكذلك تجد حسن التوزيع بين هذه القاصيص : فالتوزيع مجموعات متماثلة • إذ يحتوي القاصيص أحيانا على قصتين في آية واحدة • وبعضها يكون من آيتين • وبعضها من ثلاث آيات وبعضها من أربع • والبعض الآخر من خمس آيات •

وبعض الآيات تتحدث عن قصة أخرى لآدم وبنى إسرائيل ، ورفعه جبل الطور فوقهم مع إعطاء كتابة الأحداث في البيت ، وسمع اليهود قصة عاشوراء وبعض الآيات ، موزعة قصتين ، وهي - في الحقيقة - قصة ذات مرحلتين ، أو قصتين ، أو أكثر من ذلك مثل قصة آدم ومثل قصة البقرة .

وهذا يعطينا تنوعا في الواحدة والبناء والتعبير كما يعطينا هذا التنوع قصدا وتوجيها في التوقيع والتعبير وهذا وذاك يحدث من الأثر والتأثير في خاطر النبي ، والتصور والتفكير ، القدر الكبير ، والخطر الخطير ولو ذهبت أستقصي ما تتضمن قصص القرآن ، من خصائص وسمات ، لطال الكلام ، واتسع مجال الكلام .

ولكن حسبنا هذه الإشارة ، في مثل هذه الحالة .

0000000000000

د. محمد محمد أبو شهبة

الآية الواحدة والعشرون من سورة إبراهيم " آية واحدة " ١٢٤ " من سورة البقرة

(وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ، فأتمهن قال : إني جاعلك للناس إماما ، قال : ومن ذريتي ؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين) . هذه لمحة موجزة تربطنا بقصة آدم ، عليه السلام ، حتى العبارة إن لم تكن واحدة - إلى حد كبير ، فهناك (تلقى آدم من ربه كلمات ، فتاب عليه ،) وهنا (وإذ ابتلى إبراهيم ربه ، بكلمات فأتمهن)

وهناك أمر بالهبوط : (قلنا اهبطوا منها جميعا ، فإما يأتينكم مني هدى ، فمن تبع هداي ، فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون) ، وهنا : (قال : ومن ذريتي ، قال : لا ينال عهدي الظالمين ؟ فالصلة إذن ظاهرة .

الآية " البيت " آية واحدة رقم (١٢٥)

من سورة البقرة

كذلك نجد الصلة واضحة بين الآية الإمامة ، وبين الآية البيت وهي :

(وإذ جعلنا البيت مثابة للناس ، وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ، أن طهرا بيتي للطائفين ، والعاكفين ، والركع السجود)

فكما أن الإمامة نعمة ، فالبيت نعمة ، لأنه مثابة للناس وأمن ، ولأن مقام إبراهيم مصلى وبهذا البيت اتصل مصلى الإمامة الحق ، ومن ثم اتصل بالإمامة وجاءت الآية البيت ، عقب الآية الإمامة .

الآية أهل البيت ، أهل مكة

آية واحدة رقم ١٢٦ من سورة البقرة

(وإذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا البلد آمنا ، وارزق أهله من الثمرات ، من آمن منهم بالله ، واليوم الآخر .

قال : ومن كفر فأمتعه قليلا ، ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير)

فهذا دعوة إبراهيم للبلد الذي فيه البيت ، فالصلة واضحة ، والفكرة متصلة .

فالأمن نعمة ، والثمرات نعمة وهي ليست مقصورة على من دعا لهم إبراهيم عليه السلام .

إنما هي ملة تحمل الظالمين من أهل البلد ، كما يتبع بها الكافرون وقتا قليلا ، قبل أن يعذب في النار . والفرق بين مقام الإمامة الذي لا ينال الظالمين وبين الرزق الذي يعطى للمؤمنين والكافرين .

أتصور بناء البيت من آية ١٢٧ إلى ١٣٢ الدكتور محمد محمد رشاد

من سورة البقرة

(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ، وإسماعيل ، ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم)

(ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وإنه في الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه : أسلم ، قال : أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ، ويعقوب ، يا بني إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)

فهذا أتصور بناء البيت ، والأضواء فيها مسلطة على الطائفة المميزة وهنا رابطة " العلم " في (إنك أنت السميع العليم) وهي متصلة بحقيقة العلم في قصة آدم ، الأولى ثم فيها تمهيدات لدعوة الإسلام ، وشعائره ، ورسوله إذ (ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وهذا تمهيد لدعوة الإسلام .

(وأرنا مناسكنا) وهذا تمهيد لشعيرة الحج . (وتب علينا) وهذه متصلة بقصة آدم ، وقصة بني إسرائيل وإن كانت الأولى تسبق هذه الدعوة هنا ، ووضعها في القرآن والقصة الثانية تسبقها وضعا ، لا زمنا .

(إنك أنت التواب الرحيم) يتسق مع (إنك أنت السميع العليم) قبلها ، كما يتفق مع (إنك أنت العزيز الحكيم) وآيات الدعاء على قلتها هنا — أشد على الله بتقرير مطلقه سبحانه فهو التواب لمن تاب ، ورحيم بمن لم يتب ، سميع لكل المسموعات ، عليم بكل المعلومات عزيز دون غلاب ، قهار ، حكيم لطيف ، أواب وغفار وإذا نظرنا في تقارير الدعاء ، أعظم آيات الدعاء ، وجدنا كل اسمين من أسماء الله ، متفقين أيما اتفاق فالتواب مع الرحيم والسميع مع العليم ، والعزيز الحكيم إذ العزة من الرحمة ، والعلم مع السمع ، والعزة تصيبها الحكمة ، كما أن الرحمة في قبول التوبة ، والعلم بها ، والسمع من أدوات العلم والآلة ، والحكمة تظهر توجيهاتها مع العزة .. وهكذا ..

ثم يضاف إلى هذا النغم الموسيقي الذي تحققه هذه الفواصل المتسقة وتا ومعنى ، ومبنى ومعنى ، ما يطرب لها السمع ، ويعجب بها الطبع .

وأدب الدعاء والمناجاة ، له نسقه الفني ، والصوتي ولإيقاعاته وموجاته ، ما يهز المشاعر والضمائر ويؤثر في الطباع والأسماع ، بما في من عبارة وقوة ، وبما له من إسماع وإسجاع ، (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم)

وهذا الدعاء تمهيد للرسول محمد ، ودين الله ووظيفته وبيته .

فالرسول محمد مبعوث في العرب ، وهو من العرب ، يتلو عليهم آيات الله ، ويعلمهم كتاب الله ، والحكمة التي هدى إليها الله ، ثم يزكيهم ويطهرهم ، بعقد ما يحررهم ويطهرهم . فهو رسول مبعوث حين كان ، معلم حكيم ، مثقف مزك ، مطهر ، صلوات الله عليه وتسليماته . ومن ثم كان الرسول محمد ، دعوة إبراهيم وذرع إسماعيل عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليمات . هذا في جانب النسب الخاص بهذا البيت ، وبأصحابه من قط وإلى الأبد .

ثم في بقية الآية ، أو القصة نسبة للإسلام ، وهو ملة إبراهيم . هذه الملة التي رغب عنها ، فقد سفه نفسه أهلكها ، ورشحها للذل ، وقد احتقر عقله ، وأذله ، ولم ينتفع به ثم إن إبراهيم اصطفاه الله في الدنيا ، وإنه لمن الصالحين في الآخرة ، وهذا هو الإسلام الذي جاء به محمد وسلم ، لا يعطاه إلا الرسل عليهم السلام .

والله قد اصطفاه ، وكتبه في ديوان الصالحين ، (إذ قال له : أسلم ، قال : أسلمت لرب العالمين) . وهذه لحظة رائعة ، وخاطرة ، وفكرة ، وطلب واستجابة وحوار بين الله وبين عبده ، فلما جاء محمد حوار بين إبراهيم ، أسلم ، أسلمت ، وهو ليس به فقط ، إنما الله رب العالمين ، فيجب الإسلام له من العالمين . ومن ثم وصى بهذه الملة ، وبهذه العقيدة الإسلامية ، إبراهيم ... ووصى بها كذلك ، كما وصى بها يعقوب بنيه إذ قال لهم (يا بني إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)

وأصل هذه هي وصية إبراهيم ، ولبنيها وصية يعقوب لبنيها وبنيها معا .

ثم تأتي الآية التي بعد هذه ، تقرر استجابة أبناء يعقوب لوصيته ، وتسلكهم بالإسلام :

(أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا : نعبد إلهك ، وإله آبائك إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ، إلها واحدا ، ونحن مسلمون)

فهو استمرار للوصية ، من إلى ، إلى وصول ، ومن وصول ، إلى ذريته ، ومن سبط إلى سبط ومن أب إلى ابن ، ومن ابن إلى حفيد ، وهكذا - حتى يستقر الإسلام ، ويستقر قلوبهم يؤمنون بالله إلها واحدا ، لا شريك له ولا عديل له (ونحن له مسلمون)

وإذن فقد رأينا جذور البداية الدينية ، وفي قصة آدم (لمن تبع هداي ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) كما رأيناها ممتدة متناثرة في مجموعة الأنبياء ، الخاصة ببني إسرائيل ، وإن اختلفت كلها في فكرة الإيمان بالله ، وصرحت كلها بالإسلام .

(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله ، واليوم الآخر ، وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة ، هم فيها خالدون)

(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ، لا تعبدون إلا الله) (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون)

(بلى من أسلم وجهه لله ، وهو محسن ، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون)

(قل : إن هدى الله هو الهدى)

(الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ، أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون)

كما ليتنا تأسيسها • وتسميتها بي ملة ابراهيم • (إذ قال له ربه أسلم • قال أسلمت لرب العالمين) ثم جاء بني وصاية • ووصايا يعقوب • (إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (نعبد إلهك وإله آبائك : إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون)

ثم تجلى أروع وأظهر • قوية • متماسكة • صريحة • موصولة دون انقطاع • تصحح أوضاعا • وتقيم حجبا وتصورات : بعد أن تلقد • دعاوى اليهود والنصارى • تلعب بتقاليدهم وأباطيلهم • وصلته بنبوتهم • وبعدما تسجلها عليهم :

(وقالوا : كونوا هودا • أو نصارى • تهتدوا قل : بل ملة إبراهيم حنيفا • وما كان من المشركين (١٣٥) (قولوا : آمنا بالله • وما أنزل إلينا • وما أنزل إلى إبراهيم • وإسماعيل • وإسحق ويعقوب • والأسباط • وما أوتي موسى • وعيسى • وما أوتي النبيون من ربهم • لا نفرق بين أحد منهم • ونحن له مسلمون) (١٣٦) البقرة •

ثم تمضي كما مرتنا إلى آخر السورة البقرة وهو تقطع الدعوى الإسلامية أكثر وأكثر • وتطهر صف الإيمان أوضح وأوضح • في صورة هادئة • لا صخب فيه • ولا ضجيج • إذ استقر الإسلام حتى آمن به آخر الرسل محمد عليه السلام •

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه • والمؤمنون كل آمن بالله • وملائكته • وكتبه • ورسله لا نفرق بين أحد من رسله • وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك • ربنا وإليك المصير) ٢٨٥ البقرة ثم يقرر الإسلام حتى لا يقبل عملا • ولا كلاما ولا جدالا • إذ تقرر سورة آل عمران هذه الحقيقة : (إن الدين عند الله الإسلام) (١٩) آل عمران •

ومن دقائق البناء القرآني أنه أتبع تلك الوصايا من إبراهيم • ويعقوب • بهذا الاقرار على لسان أبناء يعقوب حين حضره الموت : (ونحن له مسلمون)

ثم أتبع هذه الجولة التصحيحية في بنائها العقدي التي ابتدأت بخلافة آدم • وانتهت إلى إمامة إبراهيم وتناولت تواريخ من حياة موسى • وعيسى وبني إسرائيل ثم انتهت بوصية يعقوب بين يديه وهم يلتقطون بأنهم مسلمون •

أقول : إن القرآن قد أتبع هذه الجولة بهذه الآية الحاسمة :

(تلك أمة قد خلت • لها ما كسبت • ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) آية ١٣٤ البقرة • وبعد هذا الختام الحاسم على مزاعم اليهود • والنصارى في أن دينهم هو دين البداية :

ومن ثم يلقن القرآن الرسول الإجابة الصحيحة • والصريحة : (قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) ثم يخط القرآن خطوطا إيجابية • إذ يوحد كل الأديان • التي نادت كل الرسل • في الدين الإسلامي • ويطلب إلينا وبنا أن نؤمن بما أوتي النبيون من ربهم دون التفرقة بين أحد منهم • وأن نردد بأننا مسلمون • وهذه هي الآية التي تسبق هذه الآية إلى الأذن والى القلب لا تعني من انتمائي الإسلام أي امتهان ولا جناية :

(قولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم • وإسماعيل • وإسحق • ويعقوب

والأسباط ، وما أوتي موسى ، وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) ، وهذا هو الاهتداء الحقيقي ، لا كما زعم اليهود ، والنصارى : (لئن آمنوا بمثل ما آمنتم به ، فقد اهتدوا) فإن تولوا فإنما هم في شقاق ، فسيكفيكهم الله ، وهو السميع العليم ، صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون) ، وقد قلنا أننا مسلمون ، وأوضحنا أن نحن لله عابدون ، وإذن فلا مجال لحجاج ولا جدال ، فيه ، به وجها مخرجا منها ، والإسلام بقرر لا خلاف فيه ولا غموض حتى (قل : أتحاجوننا في الله ، وهو ربنا وربكم ؟ (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ؟ (ونحن له مخلصون) وهذه معنى سلام ، فسلموا أمر سلام (الله رب العالمين ، يهود ، ونصارى ، وصابئين ، ومسلمين ولكل علم [...] يجازى به ، أو علم (ونحن أولى بها بالإسلام عها العباد ، فإلى درجة الإخلاص وقد قرونا هذه الشعارات الثلاثة في قوله تعالى : (ونحن له مسلمون) (ونحن له عابدون) (ونحن له مخلصون) .

ثم لا يمكنه القرآن على من زعموا في الأديان ، وفي تواريخ الأنبياء ، وحقائق الرسل ، فيعصي منهم ، ويقول لهم : كيف تدعون أن إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ويعقوب ، والأسباط كانوا هودا أو نصارى ؟ وقد رأيتم وسمعتم وعرفتم ، وعلمتم ، وسألتموهم ، وأقررتموهم بالإسلام ؟ (والذي نقل هذا عنهم وإليهم إنما هو الله عز وجل (فهل أنتم أعلم بأحوال هؤلاء الرسل والأنبياء أم الله ؟ وإذا كان قد حكم هؤلاء الأنبياء وأتباعهم أولئك الرسل ، وأسباطهم فشهدوا ولا تكتموا الشهادة ، ولا تفرقوا فيها ، فقد ليس هناك أظلم ممن كتم الشهادة عنده من الله (ومن ثم يخلع قلوب المؤمنين للقراءة ، والتحليل بهذه الأسئلة ، الحاسمة ، الحاسمة ، في هذه الآية التي تتصل بقصة إبراهيم وبقوله :

(أم تقولون إن إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ، ويعقوب ، والأسباط كانوا هودا ، أو نصارى ؟ قل : أأنتم أعلم ؟ أم الله ؟ (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ؟ (وما الله بغافل عما تعملون (آية (١٤٠) سورة البقرة .

ثم يحسم هذه الفقرة الخاصة بتوجيه الأديان وتوجيه دعوات الرسل ، بهذه الآية الحاسمة مع تلك الآية التي عقبت تلك البحوث المفصلة في معناها ، ومغزاها ، ونكرارها وهي :

(تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون) آية (١٤١) من سورة البقرة فبهذه الفقرة الخاصة بتوجيه الأديان ، وتوجيه دعوات الرسل محسومة بين هذه الآية هنا ، وبين ما جاء هناك رقم (١٣٤) مما حكى الله عن اليهود ، والنصارى في قولهم ، وعيهم والنصارى .

وواضح أن هذه كلمة الفاصل ، البت به (قل) .. موجه ، وواضح ، وصريح ، وحاسم في تصويب الأخطاء ، وفي تصحيح الأوضاع ، وفي تقرير الحقائق ، وفي نفي الشبهات :

(وقالوا : كونوا هودا أو نصارى ، تهتدوا قل : بل ملة إبراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين) (قولوا : آمنا بالله) (قل : أتحاجوننا في الله ؟) (قل : أأنتم أعلم ؟ أم الله ؟)

وإلى جانب هذا الدور التشريعي - دور لغوي مهم ، يحتل القاسم المشترك ، والوسيط بين التراكيب ، وفي الأساليب يعلم أن لهذا كله حديثه وأطنابه في تحقيق النظم وسياقه النظام ، في هذا القدر من البيان ، وفي هذه الفترة في القرآن .

ثم هنا ظاهرة جديرة بالإشارة إليها ، والإعادة بها وهي كلمة (أم) التي بدئت بها آخر آية في المجموعة القصصية رقم ( ) كما بدئت بها آخر آية في فترة توجيه الأديان وهي متصلة بها ، ومتفرعة منها ، ومتوقفة عليها .

ما يصل بين هذه الفترة ، ببدء الآية ، على هذه الصورة وبين تلك المجموعة ، بتلك الآية ، على تلك الصورة وصلا حميما ، وأسلوبا رصينا ، وموسيقا رهيبا ، وتسبيبا ثم الآية التي لفتت تلك الآية في مجموعة الأقاصيص هي نفسها الآية التي لفتت هذه الآية في مجموعة توجيه الأديان .

وهي صياغة ذات بلاغة ، ونظم ذو نظام ، وقوة تصميم ، في رقة تنغيم ، جديرة بالتنبيه إليها والتنويه بها .

0000000000000000

حكايات " يسألونك " في سورة البقرة

(١)

(يسألونك عن الأهلة ، قل : هي مواقيت للناس والحج ، وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ، ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

(٢)

(يسألونك : ماذا ينفقون ؟ قل : ما أنفقتم من خير فللوالدين ، والأقربين ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير ، فإن الله به عليم)

(٣)

(يسألونك عن الشهر الحرام ، قتال فيه ، قل : قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه ، أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم ، حتى يردوكم عن دينكم ، إن استطاعوا ... !

ومن يرتدد منكم عن دينه ، فيمت وهو كافر ، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا ، والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، إن الذين آمنوا ، والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم)

(٤)

(يسألونك عن الخمر ، والميسر ، قل : فيهما إثم كبير ، ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ؟)

(٥)

(يسألونك : ماذا ينفقون ؟ قل : العفو كذلك يبين الله لكم الآيات ، لعلكم تتفكرون ، في الدنيا والآخرة)

(٦)

(ويسألونك عن اليتامى . قل إصلاح لهم خير . وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح . ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم)

(٧)

(ويسألونك عن المحيض . قل : هو أذى . فاعتزلوا النساء في المحيض . ولا تقربوهن حتى يطهرن . فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله . إن الله يحب التوابين . ويحب المتطهرين . نساؤكم حرث لكم . فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله . واعلموا أنكم ملاقوه . وبشر المؤمنين)

*** *** ***

(١)

لهذه سبع حكايات في سورة البقرة . بدئت كل واحدة منها بفعل واحد مضارع على حالة تصوير الفجاءة . دال على التجدد . والاستمرار على قول البلاغيين . فكأن السؤال يستمر ويستمر وهو استمرار يتجدد . وهو استمرار يتعدد فأهلة الناس — على اختلاف الدهور والأماكن — عقولهم وأفكارهم متماثلة . فما يعن لبيذا . قد يعن لذاك .

وما يفكر فيه فلان . قد يفكر مثله آخر .. وهكذا .. من هنا عبر بالفعل المضارع الذي مادة السؤال . ولأنه يحمل معنى حكاية وقعت . أطلقت على هذا النوع اسم الحكايات (١) وهذه الحكايات السبعة . تدور حول مسائل متعددة . فالحكاية الأولى سؤال عن الأهلة وما هيتها .... والحكاية الثانية سؤال عما ينفقون ؟ والحكاية الثالثة سؤال عن الخمر والميسر والحكاية الرابعة سؤال عما ذا ينفقون ؟ والحكاية الخامسة سؤال عن اليتامى . والحكاية السادسة سؤال عن المحيض . والحكاية السابعة سؤال عن الشهر الحرام ؛ قال لبيك (٢)

في هذه الحكايات تتجلى حكمة القرآن البليغة وبلاغته الحكيمة فالسؤال يطلب معنى معينا . لكن القرآن لحكمة ما — يعدل عن الإجابة المنتظرة . إلى إجابة أخرى لا يطلب وهو — في عدوله هذا — يسلك مسلك الحكمة . والبلاغة معا . فمثلا السؤال عن الأهلة . وماهيتها وحقيقتها وأوصافها وشكلها وحجمها وبداية سيرها ونهاية سيرها ... وهل تختفي ؟ أو لا تختفي ؟

كل هذا هو الذي كان يريده السائلون !

غير أن هذه أشياء تتصل بعلم الفلك . أو الجغرافيا . وتحتاج إلى تحليل وتدليل . وتمثيل وتجريب . وإلى موسوعات تفي بما القرآن من هذه الرسم ونهجه الحدد .

---

(١) انظر إلى كتابي " دليل الباحثين إلى القسم القرآني من الحكايات " الوقف ... م ... ل

(٢) هذه الحكاية السابعة هي — في الحقيقة — الحكاية الثالثة كما هي موجودة في القرآن وكما نظمها برقم (٣) ضمن الحكايات لكني أخرتها إلى الآخر لطولها . ولكثرة الكلام فيها ... م — ل

ومن ثم فصل القرآن من هذا السؤال ، وما معه آخر ، سما بالسؤال وارتقى ، وأجاب بما يفيد ذا الأهلية ، ويطلبها ، وهذه الإجابة هي التي تهم الرجل الصالح خاصة ، والإنسان في أي مكان ، بصفة عامة .

فلقن الرسول الإجابة التالية : (قل : هي مواقيت للناس والحج) والحكاية بسؤالها وجوابها عند هذا ... وقد كفت سائر الآية تتمة لها ، وتكملة .. وليس إلا .

(٢)

والسؤال في الحكاية الثانية : ماذا ينفقون ؟ فيحتمل أن يكون مراد السائلين من سؤالهم هذا ، أي نوع من الأنواع ينفقون ، وأي قدر من الأموال ينفقون ؟ لكن عدل عن هذا كله - إذ له محل خاص به ، أعني المصارف - إذ لدينا موطن آخر من القرآن أنسب من هذا وأوجب عدل عن هذا إلى الجهات التي ينفق عليها ، فأجيب : (قل : ما أنفقتم من خير فللوالدين ، والأقربين ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل)

ثم بين أن الله عليم بما يفعلون من خير أو شر ، حتى يطمئنوا إلى مثوبة ربهم :

(وما تفعلوا من خير ، فإن الله به عليم)

(٣)

والسؤال في الحكاية الثالثة التي هي بدل الشهر الحرام عن الخمر والميسر ، بحكم الشرع فيهما ؟ [.. هل هما يحلان ؟ أو يحرمان ؟ فأجيب : (قل : فيهما إثم كبير ، ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) .. وإذا إثمهما أكبر من نفعهما فيهما محرمان] .. وهذا أحد أدلة التحريم ، في علم أصول الفقه ، ثم لعله أساس لشكل من الأشكال ، في علم المنطق]

هذا هو السؤال ... ثم هذا هو الجواب ولم يأخذ إلا نصف آية .. فمن هذه الحكاية .

(٤)

أما نصف الآية الأخير ، مع جزء من الآية التي تليها .. فيحتوي على سؤال هو غير السؤال الذي نحن بصدده : ماذا ينفقون ؟ وكأنهم لم يكتفوا بتلك الإجابة التي بينت وجوه الإنفاق كالوالدين والأقربين ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل وأرادوا أن يعرفوا القدر الذي ينفقونه على هؤلاء ، أي في هذه الوجوه من البر والإنفاق - فأجيب بما يرشدهم ، وبما يطمئنون إليه : (قل : العفو) فالذي تنفقونه هو العفو الزائد عن حاجاتكم ، وضرورياتكم من غذاء وكساء ومسكن ومركب ، وما إلى ذلك . وفي هذا تيسير ما بعده تيسير ..

ولعل السر في تقديم وجوه البر على ما ينفقون هو التأكيد أولا من الجهات التي تكون فيها النفقة ، وهو الأولى والأحرى من سواها ، وبعدها ، وبعدها ..

ولعلهم لو سئلوا بصيغة ما ينفقون عن الجهات التي فيها ينفقون لتصدوا إلى الإنفاق بصورة أو أخرى من الوجوه الخسيسة ، ومن الجهات الرديئة ، ولنسوا الحق الطبيعي ، والواجب الضروري كالوالدين والأقربين ولأهملوا اليتامى والمساكين ولأغفلوا ابن السبيل ولتفننوا في التعبير والتفسير ، الذين لم يعرفوا حكمة إلا أخيرا .. بعد أن بينت لهم معالمه

الصدقات ، وبيانات البراءات (كذلك يبين الله لكم الآيات ، لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) ولعل هذا التفكر الذي وكل الله إليه الآن في هذه السطور ، هو ما توجه الآيات البينات ، مرة اثر مرة لحكمة بعد حكمة ، ولسر وراء سر مما يتضح أكثر وأكثر في مجموع أمثال الإنفاق — في هذه السورة .

(٥)

والسؤال هنا في هذه الحكاية عن المحيض ؟ والإجابة — هنا — من جزئية (.. (قل : هو أذى) وإذن فالمراد من المحيض — فيه مصدر ميمي وإذا كان المحيض اذى أو مكان المحيض أذى ، أو زمان المحيض أذى ، لاحتمال أن يكون المحيض اسم زمان ، واسم مكان فاعتزلوا النساء في المحيض ، اعتزلوهن في المحيض ، أو وقته أو اعتزلوا مكان المحيض) ولا تقربوهن للاتصال حتى يطهرن ، وتنقطع عنهن الدم ... فإذا تطهرن واغتسلن بالماء فأتوهن من حيث أمركم الله ، من الجهة المعهودة التي كانت موضع الأذى ويوطن الضرر (.. إن الله يحب التوابين ، كثيري المتاب وإن قلت ذنوبهم والذين يتوبون وإن لم يذنبوا ، ويحب المتطهرين ، البالغين في النظافة ، المحسنين الطهارة ، والمستقيم توجيهات القرآن والعدول عن عادات الجاهلية لين من القوية ، ولين من التطهر .

وإذن فنساؤكم حرث لكم ، وكما أن الزارع لا يضع بذرة إلا في الحقل المخصب ، بعد أن ينقيه ويهذبه ويشذبه بمختلف التقنية ، وشتى التهذيب ، وبعد التشذيب فالزوج لا يصل بزوجته ، ولا يضع فيها مادة الحياة ، وسرها إلا إذا تيقن من طهرها وطهارتها ، ونقاء موضعها ، وطهرها .. بهذا يأمن الأذى ، وينأى عن القذى ، وبهذا يضع كنوزه في مواطنها ، دون ضياع ودون ضرار .

وبادئة نساؤكم حرث لكم ، تظللت حرثكم أني شئتم ، ونحن أحرار أتقياء ، نأتيهن في مكانهن الذي للتناسل والإنجاب ، كيف شئتم ، ومتى شئتم ، وحيث شئتم .. فالمهم هو مجرى النظافة ، وتطهير الظرف المناسب ...

(٦)

ولعل هذه النكتة : حكاية المحيض حكاية اليتامى (يسألونك عن اليتامى ؟) (قل : إصلاح لهم خير) ولعلهم يريدون أن يعرفوا من هو اليتيم ؟ (.. هل هو الذي فقد أباه ؟ أو هو الذي فقد أمه ؟ .. وهل هو الذي فقد أحدهما صغيرا ؟ أو كبيرا ؟ (.. أو ماذا بعد ذلك ؟ ويوطن هذا التحديد في مكان آخر ، من سورة أخرى تتصل بالتشريع وهي سورة النساء ، ومن ثم انتفى معرفة اليتامى لأنهم مشهورون معلومون وسما ، أو عرفا .. أو وكلا لا عرفا .. فأجيب عن أهمية إصلاحهم ، وضرورة أخوتهم فإصلاحهم خير لهم ولنا وللمجتمع ، وإن تخالطوهم فهم إخوانكم ... فعاملوهم معاملة الإخوة والإخوان ، من سيادة عليهم ودون استغلالهم ودون استهان .

(والله يعلم المفسد من المصلح) فتصوروا الولاية والوصاية من منطلق إلى الإصلاح دون الإفساد ، ومن يصلح من الظلم ممتلئ من الإثم ، ومن الله والضمير في رعايته

(ولوجدوا الله تواباً) .. فتاكم ما يوقفكم ويمنعكم .. (إن الله عزيز) لا يقهر (حكيم) في تكليفه .. واحذروا حربه وغيره . واتقوا بحكمه وعزه وعلمه ورحمته في الثواب . واجعلوا أهم اهتمامكم لا عيدكم ولا خدمكم . وكونوا مصلحين لا مفسدين واحذروا الخطيئة واتقوا بربكم ..

(٧)

في هذه الحكاية التي بقيت سؤال عن القتال في الشهر الحرام . وهو سؤال دليل إذ الشهر الحرام يحرم فيه القتال فلماذا يجيب : (قل : قتال فيه كبير فالقتال جريمة في الشهر الحرام .. (بيد أن صد الكفار عن سبيل المؤمنين عن سبيل الله . وكفر به وبالمسجد الحرام . وصدهم المؤمنين عن المسجد الحرام . مع إخراجهم أهله منه — كل هذا أكبر جرماً عند الله من القتال في الشهر الحرام لأنها فتنة وحشية تؤدي المؤمنين وتؤدي بالدين والفتنة أكبر من القتل . فضلاً عن القتال)

(ولا يزال الكفار لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا فلا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ثم على إيمانكم . يطمعون ويحدثون وكيدون وإيذاء حتى في الشهر الحرام لأنهم يريدون أن يصدوكم عن سبيل الله . وعن المسجد الحرام ويريدون أن يردوكم عن دينكم كفاراً بأية وسيلة وبكل حيلة) .. وهذه هي الفتنة التي هي أكبر من القتل) وهذه هي النكتة التي وجبها القتال)

واحذروا أن تخطفوا بهم . أو تخالوهم . أو تجبنوا عن لقائهم أو تخشوا قتالهم) ... ثم حذار أن يفتنوكم عن دينكم إذ من يرتدد منكم عن دينه . فيمت وهو كافر . فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا . والآخرة)

وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وليس بعد الضياع في الدنيا . والعذاب الدائم في الآخرة ضياع . ولا هلاك))

وإذن لمن يسلم لهم ومن يعتصم بدينه . ومن يقاتلهم ولو في الشهر الحرام دفاعاً عن دينه . وإبقاء عليه . وحماية لقرآنه . وصيانة للمسجد الحرام . ورعاية لمن فيه . وجهاداً في سبيل الله . فكان من الذين آمنوا . والذين هاجروا . وجاهدوا في سبيل الله . أولئك يرجون رحمة الله . والله غفور رحيم .

وهنا يشير القرآن بين آمن وهاجر وجاهد في سبيل الله والهجرة والجهاد — قد ذكر صراحة هنا في سورة التوبة وفي هذا اللون من الحكايات . لأنها من القصص المدني . والدعوة الإسلامية اتخذت تحولاً جديداً واتخذت سياسة الجهاد . والقتال . ومنطق الاستشهاد في سبيل الله

من قصص الجهاد والاستشهاد وفضل الموت والبعث

(١)

قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

من آية (٢٤٣) الى آية (٢٤٥)

هى قصة تتصل بالمهاجرين وإعدادهم للجهاد ، وتصوير حياة الشهداء ، وهى من القصص القرآنية ، البتدىء بالاستفهام التقريرى : (ألم) — ولها خمس حلقات :

(١) خروجهم من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

(٢) موتهم (٣) إحياؤهم

البيان : قدرة الله على البعث ، وحياة الشهداء وفضل الله على الناس ، وقلة شكرهم وهذه هى آية (٢٤٣) المحتوية على هذه القصة ، بفصولها الثلاثة ومغزاها وتعليقها :

(ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله : موتوا ، ثم أحياهم (.. إن الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون)

وإذن فهذه الآية محتوية على هذه القصة .. ثم الآيتان بعدها يتصلان بالقصة من قريب وبعيد فالآية الاولى منها حث على القتال فى سبيل الله : (وقاتلوا فى سبيل الله ، واعلموا أن الله سميع عليم) والآية الثانية منها حض على الصدق الحسن ، مع وعد الله أن يضاعف ثوابه ، وهو جهاد بالمال ، يتصل بالجهاد بالنفس : (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ، فيضاعفه له أضعافا كثيرة ، والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ؟)

إذن فهذا نموذج قصص أو قصة نموذجية تقريرية سيقت للمجاهدين ، على أنها مثل واقعى من التاريخ ، يبين لهم قدرة الله على الإماتة (فقال لهم الله : موتوا ...) فماتوا .. وقدرته على الإحياء (ثم أحياهم) فصاروا أحياء . — وذلك ليطمئن المجاهدون على مصيرهم الذى يقدر لهم ، فيما كتب لهم الاستشهاد فى سبيل الله .

ومن ثم ناسب ذكر الجهاد بالنفس ، والجهاد بالمال بعد عرض هذه القصة النموذجية الواقعية ، التقريرية التى وجه فيها الخطاب والحديث إلى الرسول : (ألم تر ؟) كما كانت مخصوصة عليه السلام هى التى تتولى الإجابة فى كل حكاية من الحكايات السبع السابقة ، عن كل سؤال من الأسئلة . ثم يعد هذه القصة بسورة البقرة — وتبع مجزئية الإنعام ، والإكرام والإفضال — تسود هذه السورة على نحو ما بينا سواء أكان هذا عن طريق التعميم أم عن طريق الخصوص . (ولكن الله ذو فضل على العالمين)

(وأنى فضلتكم على العالمين) (فلولا فضل الله عليكم ، ورحمته ، لكنتم من الخاسرين)

وهنا فى هذه القصة : (إن الله ذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون)

ثم حصر الجهاد ، وبين الاستشهاد قد سبق بهما من قبل ومن ثم جاءت هذه الجزئية القصصية الواقعية :

(١) قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت .
(٢) قصة الملأ من بني إسرائيل مع نبيهم .
أ ـ طالوت ملكا ب ـ طالوت قائدا جـ ـ داود وجالوت
(٣) القصة الذي حاج إبراهيم في ربه .
(٤) قصة الذي مر على قرية .
(٥) قصة إبراهيم والطير .

جاءت هذه المجموعة القصصية متصلة بالجهاد ، والاستشهاد وبالأحياء ، والإماتة والبعث ، وإلى ذلك . ثم جاءت بعد هذه المجموعة ـ مجموعة أمثال أخرى ـ تدور حول الإنفاق في سبيل الله ، وفلسفة الإنفاق وقيمه ، وآثاره ، وبقاءه ، ... الخ

مما يتصل كذلك ـ بالجهاد بالأموال بعد الجهاد بالنفس في سياق القتال .

وما يؤلف بين هاتين المجموعتين ، تأليفا فنيا ، وأدبيا ، وفكريا ، وتنظيما ، ويحقق بهذا كله وحدة الوحدات ، التي أشرنا : ظاهرة النظم في قصص القرآن .

(٢)

قصة الملأ من بني إسرائيل من آية ٢٤٦ ـ ٢٥٢

من سورة البقرة

وهذه قصة لإعداد المهاجرين للقتال في سبيل الله ، والتحذير من الخوف أو الفرار وهذه نقاط الأفكار الآيات فيها :ـ

فآية (٢٤٢) تحتوي على فلسفة القيادة ، وبيان أهلية القائد ، أو الحاكم . وفي آية (٢٤٨) الجانب الروحي في المعارك . ثم في آية (٢٤٩) اختبار للجند ، ليبين نواياهم ومدى تحملهم ، وطاعتهم . ليتعكس ذلك فيما بعد على غزوة بدر .
ثم في آية (٢٥٠) أسباب النصر : (١) الصبر (٢) القوة المعنوية (٣) الالتجاء إلى الله (٤) الإعداد للمعركة .

وفي آية (٢٥١) حكمة مشروعية القتال ، وأن الصراع هو أساس الحياة ، والجهاد أساس العدالة . وفي آخر آية في القصة رقم (٢٥٢) : توثيق القصة وصلتها برسالة الرسول ، الحق . وهذه القصة حوارية سردية تحليلية ، فكرية ، فلسفية تصور الحوار ويسودها ذلك مثل : (قالوا لنبي لهم : ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ، قال : هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟ قالوا : وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله ، وقد أخرجنا من ديارنا ، وأبنائنا ؟)

فهذه الحاجة إلى مشروعية القتال ، تلح في تعيين قائد يلم الشمل ويقود الجموع ... ثم هذه أسباب تعطي إلى الجهاد المشروع ، تعود أسباب الجهاد في الدعوة الإسلامية عليهم الرسول ... ! ما يضفي على القصة حيوية ، وواقعية ، ومعاصرة وإن ضربت أحداثها في أعماق الماضي وأغوار التاريخ . والدرس الذي نأخذه من هذا الفصل الأول بالإضافة إلى حكمة الجهاد ، ومشروعيته ، وأسبابه هو نكسة هؤلاء الخائفين ، وتخاذلهم عن القتال ؛

(فلما كتب عليهم القتال ، تولوا إلا قليلا منهم) والله عليم بالظالمين) وهؤلاء الآخرون الجبناء الفارون — هم الظالمون ... الظالمون لأنفسهم ، ولديارهم ولأبنائهم — لأنهم خانوا وأخافوا ...!

وهو درس انتكاسي ، يحتاج إلى دروس شهور الموت ، وتقرب البعث ، وتقرر الإحياء ، مما استدعى بقية النماذج من قصص هذه المجموعة ، الخاصة بالجهاد والاستشهاد ، والتي تدور حول الموت ، والبعث ، والإحياء .

وهذا الفصل ذاته — أطروحة مستقلة ، لأن له فكرة خاصة به ومغزى واضحا ليس بعيد أن فيه طلبهم لبعث ملك يقودهم للتحرر والانتصار ! مما يصل هذا الفصل بالفصل الذي يليه ، ومما يجعلها قصة ذات فصول .

وكما شاع الحوار في الفصل الأول ظهر جليا في الفصل الثاني وتضمن فلسفات كبرى تدور حول تحكم وأهلية الحاكم وحول صفات المترفين ، في مقابل " البسطاء " من الناس حكاما ، أو قادة ، أو رؤساء ، مع تبيين الأهلية المثلى للقيادات ، وهي الجمع بين القوتين المعنوية ، والمادية (زاده بسطة في العلم والجسم)

وهذا هو الحوار الذي يثير كل هذه القضايا ، وتلك الفلسفات (وقال لهم نبيهم ، إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا : أنى يكون له الملك علينا ، ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ؟ ، قال : إن الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم)

وهذا الفصل تمهيد لبعث طالوت ملكا .. وتعريف به وتقديم له ، ولقد كان تريهم آية ملكه وهي إتيان التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ثم يجيء طالوت .. كما يجيء الفصل الثالث من القصة ، وفيه يفصل طالوت بالجنود ، ويختبر صبرهم ، وطاعتهم ، فلا ينجح منهم إلا القليل ، ولا يثبت منهم إلا هذا القليل .. وهنا يظهر بطل شجاع لم يقدم له في القصة ، وهذه مفاجأة رائعة على خلاف المألوف المعروف .

هذا البطل هو داود ، الذي قتل جالوت ، والذي آتاه الله الملك ، والحكمة وعلمه مما يشاء ويظهر هنا المغزى في هذه التعليقات :

(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين) .

كما يظهر في هذا الدعاء : (قالوا : ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين) — ثم في هذه النتيجة : (فهزموهم بإذن الله)

وإلى جانب الحوار الساند في هذه القصة ، في فصولها تجد عنصر الأحداث يقوم بها السرد — وذلك مثل : (فلما كتب عليهم القتال ، تولوا إلا قليلا منهم فلما فصل طالوت بالجنود — فلما جاوزه وما بزروا لجالوت وجنوده ، فهزموهم بإذن الله ، وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك ، والحكمة ، وعلمه مما يشاء)

نلاحظ أن القصة — وإن كانت قصة حوارية — فيها السرد يؤازر الحوار أو يكمله من ذلك (فلما فصل .. قال — فلما جاوزه .. قال ولما برزوا .. قالوا) .. وهكذا والحوار — هنا — كما رأينا — قد أتى به لشرح وجهات النظر ، والتحقيق والقصة كل النفسيات وخلقية الأحداث وفلسفة المواقف .

فالذين (قالوا) فيه وجهات نظر السادة والمترفين ، والمترفين المتطلعين لمصالحهم والوقاحات أو للكثرة الكاثرة من الدهماء أو الجهلاء .. أو للجند الذين لا يصلحون لغير القتال ، ولا تحمل السلاح بينما الكلام الذي هو معقول لمن (قال) بين رأي نبي ، أو ملك ، أو قائد وهو ذو فكرة وجيهة ومنظر سديد . ثم إن القصة تمثل كما عرفنا في فلسفتها ، وحكمتها ومغازيها ، بسير الدعوة الإسلامية ، ومغازيها وهي تعكس آراء كثير من المعاصرين للرسول عن الرسول كما تعكس آراء كثير من المهاجرين والأنصار ثم المنافقين ، في كثير من الغزوات والحروب وكما قلنا إن شخصية الرسول كانت وراء القصص في نهاياتها ، مقدرة حينا وظاهرة حينا آخر فهي ظاهرة في مجموعة الحكايا ت السبعة ثم هي ظاهرة في نهايا الإيمان والتوحيد والتثبيت للفصل فيها ، والحسم .

ثم هي ظاهرة في التعليقات ، والتوجيهات وهي مقدرة كامنة في هذه المجموعة من القصص كما كانت كامنة وباطنة في تلك المجموعة من الأقاصيص في تلك المجموعة الأصيلة تصدير كل أقصوصة بكلمة (إذ) وقد عرفنا موقعها الإعرابي ، وتقدير الكلام أنت : اذكر إذ — وفعل اذكر مستتر تقديره أنت يا محمد — أو أنت أيها المخاطب .. ثم إلى جانب الأقاصيص المصدرة بإذ — حكايات مصدرة بـ (ولقد) سواء أكانت مستقلة منفردة ، أو كانت داخلة في تلك الأقاصيص ، مندمجة فيها وهذا النوع من الحكايات تتخلله أحيانا تقريرات أو تعليقات ، يشترك فيها الرسول ، ويطلب منه أن يدلي بما يعلم ، أو يواجه فيها بالنكير والسخرى أو بالتشريح والحجة ، أو بالتعليل والحكم .

وفي هذه المجموعة من القصص والنماذج القرآنية يقرر الرسول في مطلع كل قصة ، وفي بداية كل نموذج أن قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت : ألم تر إلى الذين خرجوا ؟ وفي قصة الملأ من بني اسرائيل : ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل ؟

وفي مطلع هاتين القصتين ، هذا الخطاب لتشريف الرسول بتكليفه بالرسالة :

(تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين) ثم في قصة الذي حاج إبراهيم في ربه : (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ؟)

وسطف عليها : أو كالذي مر على قرية ، ثم تختم هذه المجموعة بما بدئت به أول قصة في هذه السورة ، وهي قصة آدم — التي بدئت بـ (وإذ)

فبدأ قصة إبراهيم والطير — بـ (وإذ قال إبراهيم ربي) من " الحكاية " " القصيرة بين قصص السورة ، من الطائفة المسيد ، إلى الطائفة المسيد .

إذ ان قصة آدم في آية (٣٠) البقرة وقصة إبراهيم هنا في آية ( ) من السورة تفصلها وتطول أن إذ ظرف لا ذكر — وهذا فصل أمر فاطر مقدر وهو أنت يا محمد كما ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين .

(٣)

قصة الذي حاج إبراهيم في ربه

آية واحدة رقم (٢٥٨) من سورة البقرة

(ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ، أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال : أنا أحيي ، وأميت ، قال إبراهيم : فإن الله يأتي بالشمس من الشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين)

وهنا أيضا — نجد الحوار يتخلل هذه القصة ، أو هذه القصيدة — إذ هي جنس واحد ، ذو فكرة واحدة — وهدف واحد فإبراهيم عليه السلام — يقرر : بأن الذي يحيي ويميت والوجود ، الذي حاجه في ربه يدعي أنه يحيي ويميت فيحتج إبراهيم : بأن الله يأتي بالشمس من الشرق فأت بها من المغرب (فبهت الذي كفر) ..

ثم لا يهتدي لأنه ظالم ، متجاوز بشريته وآدميته ، متطلع إلى الربوبية ، والألوهية .. وهيهات هيهات !! (والله لا يهدي القوم الظالمين)

وفي مقدمة القصة مخاطبة الرسول ومحاجته وتقريره وفي هذه المقدمة تقديم الذي حاج إبراهيم في ربه ، وتعليل لهذه المحاجة (أن آتاه الله الملك) ثم في ضمن هذه الأقصوصة القرآنية البديعة ، بالاستفهام التقريري : (ألم) .. اللفظة العجيبة التي تفتتح بها كل أقصوصة ، وهي (إذ) .. وذلك في : (إذ قال إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت) والحوار الذي يتخلل هذه الأقصوصة حوار مركز ، فيه بساطة أولا ثم فيه اعتساء ثانيا ، ثم فيه تحد وإفحام أخيرا .

وفي النظم ظاهر هذا الإفحام — وهو بهت الذي كفر ، وهنا إعجاز بتوسط صلة الموصول ، فهو أولا في المقدمة معرفة بالشخصية : الذي حاج إبراهيم في ربه ...

وإذن فهو شخص عنيد ، وذو حجاج ، وذو خصومة مع إبراهيم في ربه !

وإذن فالذي يقوله ضرب من ضروب الجدال ، أو الحجاج ، القائم على التحدي أو التصدي

ومن ثم لم تستبعد عنه ادعاء الإحياء والإماتة ! ولكننا أعجبنا من إبراهيم تحديه المفحم الباهر ، ثم صلة الموصول أخيرا في نهاية القصة ، وفي فصلها الأخير قد تفوت ، فهو الذي كفر .. وقد بهت وانقطع وذهبت حجته لأنه كفر .. والكفر ظلم ..

والله لا يهدي الظالمين ! .. وإذن فالله الذي هدى إبراهيم خليله ومصطفاه قد تخلى عن هداية الذي تطاول على مقام الله ، وهنا يكمن المغزى : (أن آتاه الله الملك) فالملك نعمة الملك وهو لا يستحق ادعى ما ادعى ، وكفر كما كفر ..

ولكفره بالله ومحاجته في ربه إبراهيم ، وادعائه دعواه — كان من الظالمين — والله يقول : (لا ينال عهدي الظالمين) وهذه فلسفة الحكم ، تضاف إلى فلسفة الملك في بعث طالوت ملكا ، كما تضاف إلى أمانة إبراهيم الذي أتم كلمات ربه كما تضاف إلى خلافة آدم الذي نبأ في سابقته ، مما يوحد بين هذه الفكرة من أول قصة في السورة إلى هذه القصة في السورة ثم يكمن المغزى في هذه النتيجة (فبهت الذي كفر) فقد بهت لأنه كفر ! وقد بهت وكفر !

ثم كفروا من الظلم ، وكما لا ينال عهد الله الظالمين فالله لا يهدى القوم الظالمين .
وإذن فالمقام المستقيم على السرد المتسلسل في اختلاف حيثية الضمير ، والمنزع شائع في القصة : أولها وآخرها ثم هو ظاهر في هذا التفصيل ، أو هذا التحليل :

(والله لا يهدى القوم الظالمين)

(٤)

للأستاذ محمد محمد المقدم — قصة الذي مر على قرية

آية (٢٥٩) سورة البقرة

(أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، قال : أنى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ، ثم بعثه ، قال : كم لبثت ؟ ، قال : لبثت يوما أو بعض يوم ، قال : بل لبثت مائة عام ، فانظر إلى طعامك وشرابك ، لم يتسنه ، وانظر إلى حمارك ، ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ، فلما تبين له قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير)

هي نموذج قصصي ، وقصة نموذجية للبحث في صورة عملية وقد استخدم في شخصية القصة أو بطل النموذج ، اسم الموصول كما حدث في قصة " الذي حاج إبراهيم في ربه " فهذا الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، تطرأ على ذهنه فكرة البحث ، والإحياء ، وإعادة الهالك أو المفقود ، من جديد — فيبحث هذا السؤال من تلك القرية وهي خاوية على عروشها : أنى يحيي هذه الله بعد موتها ؟

فهو قد رأى تلك القرية خالية سقوفها قد سقطت هذه السقوف ، ثم سقطت عليها الحيطان فأصبح جلوسا من إعادتها ، أو هو يائس ، ومن هنا طرح على نفسه وفي نفسه : هذا السؤال ؟ كيف يحيي الله هذه القرية ، يا لها من أحياء هلكوا ، ويا بها من أحياء تفوت ؟ ! .. ومتى ؟ .. وأين ؟ ! .

خاطرة عجت ، وسؤال دار في الحس في العقل فأجراه عزير في جنانه ، أو على لسانه ... فإذا به يغيب عن وجه فجأة ، وإذا به يموت حقا وإذا بالحياة تسلب منه مائة عام ... ! ثم يبعثه الله بعد هذه الأعوام المائة ! ثم يدور حينئذ هذا الحوار بينه وبين ربه ، الذي أماته والذي بعثه وأحياه ! (قال : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما ، أو بعض يوم ! قال : بل لبثت مائة عام ! فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر إلى حمارك ! ولقد أبقاه الله مائة عام ، ثم بعثه ، لترى كيف يحيي الله تلك القرية الخاوية على عروشها ، ولنجعلك آية للناس ومعجزة للقدرة الإلهية ، ودليلا على البعث ، وعظة ودرسا لهم بعيد .

وإن شئت أن ترى بعينك طريقة البعث وكيفية الإحياء فانظر إلى العظام التي أماتك كيف ننشزها ونرفعها إلى مواضعها وكيف نكسوها ونحييها ..

ثم كيف نكسوها لحما ، فإذا بها تصبح خلقا سويا ، كاملا لا نقص فيه ، ولا اختلال ! فلما تبين له ذلك ، ورأى كل أولئك (قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير)

وهنا يكمن السؤال من القصة ، وتظهر الفلسفة فيها وهي إثبات قدرة الله على الإحياء بعد الإماتة ! وهذه القصة تعتمد على التصوير في الوصف ، (وهي عامة على وجهها فهي صفة أو جملة حالية ، فيها تخيل وتداخل في المناظر ، الذ سقف السقوف فيها هم سقطت عليها البيوت وفيها الحوار الذي يصف وهنا صادفنا مع كل احتمال فالطعام لم يتسنه لم يتغير ، والشراب لم يتسنه لم يتغير ..) وفيها التعليل المستتر الذي تظهر واو العطف ـ ثم ، وتسمى آية الشاهد ، فيها تعليل آخر سبق هذا التعليل ثم تعود من القصر وهو " المكان المرتفع العالي " أي تعلى بعض السقوف على بعض " أو تتساقط أي تحيلها (لها)

ثم فيها أي القصة الاكتفاء بما يفهم ، والاختصار ، في موطن يستدعي هذا الاكتفاء والاختصار ـ وذلك بقول : (فلما تبين له) التبين أوضح من الرؤية ، فهو قد الكثير بالرؤية دون انتظار ، أو إعمال فكر أو إضافة وقت ، لقد تبين غير كاثر والله يصدق فيما يقول به والله يعلم حقيقة الموت ، وحقيقة البعث ، لقد كان يهدف إلى معرفة الكيفية في الإحياء والبعث .. وقد رأى بعينه هذه الكيفية في البعث والإحياء ، فاكتفى بما رأى ، ولم ينتظر تأمل التبين ـ بدليل قوله :

(أعلم أن الله على كل شيء قدير)

ثم تظهر الدقة في حروف العطف ، فتعقب سؤاله من كيفية إحياء القرية ، جاءت الإماتة له بدون تراخ ، وتأسيسا على ذلك أتى " وانظر إلى حمار البيت الذي مات " عطف البعث على الإماتة بثم الدالة على التراخي والإمهال وترتيب الحوار على البعث ، ووصله به لم تصله بين الواو دقة بلاغية رائعة ، تستند عليها القواعد في التصوير ، وتؤخذ منها الأصول في الأساليب وترتيب النظر على إجابة الله ، بالفاء .. سرعة مادية ملموسة ، تتمثل حواسه لينظر بفمه ، ويوازن ويقارن ويعمل فكره هنا ، ويجعل بصره هناك ... وهكذا ..

ثم تصوير بالفعل المضارع : (أعلم أن الله على كل شيء قدير) يدل على تجدد علمه واستمراره لأنه يجدد أدلته ، وبراهينه ، وإن كانت يدرك هذا العلم بالمشاهدة ، فالفاء بعد ، ولعل هذه القصة تشبه القصة الآتية : قصة إبراهيم والطير ..

والفرق بينهما أن الله سبحانه هو الذي قام بعملية الإماتة ، والإحياء ، مباشرة ، وتوسط أحدا في قصة إبراهيم والطير فقد علم إبراهيم كيفية البعث ، وأراه طريقة الإحياء ، حتى يزيد قدرته ، ويقينه ، وحكمته ، ويطمئن قلب إبراهيم ، وهذه هي :ـ

(٥)

قصة إبراهيم والطير

الأستاذ محمد محمد بغدادي

آية رقم (٢٦٠) سورة البقرة :

(وإذ قال إبراهيم : رب أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال : أولم تؤمن ؟ ـ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .. قال فخذ أربعة من الطير ، فصرهن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم)

فهنا يسأل إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ؟ فيجيبه الله بهذا السؤال ..
يبدو الرؤية . أما وقد تحققت في نفسه هذه الرؤية وقام على أساسها هذا السؤال
دون طلب من الله . أو دعاء منه وقد جعل الله إبراهيم يقوم بنفسه بعملية إحياء
الموتى تحت إشرافه سبحانه . وتوجيهاته وقبل القيام بهذه العملية أراد سبحانه
أن يظهر للناس حقيقة إبراهيم وحقيقته . وأن يبين لهم منهج إبراهيم في إيمانه
وطريقته وأنه يؤمن بالتجربة . كما آمن من قبل بالمشاهدة والاستقراء . في قصة سورة
الأنعام ومن هنا سأله . وهو أدرى بحاله :

(قال : أولم تؤمن ؟) (قال : بلى . ولكن ليطمئن قلبي !)

(قال : فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك وقطعهن صوراً واجعل على
كل جبل منهن جزءاً .. ثم ادعهن يأتينك سعياً . واعلم أن الله عزيز حكيم)

وهكذا في تجربة حية . ويحس إليك كما . ولكن ليطمئن بأن الله عزيز قادر
حكيم خبير وقد عرفنا السر في إتيان هذه القصة مصدرة بـ (إذ) — في آخر قصة في
مجموعة القصص . بسورة البقرة . تتصل بهذا التصدير " إذ " — بقصة آدم " التي
بدئت بها مجموعة القصص بهذه السورة . وبأنها مكملة بقصة إبراهيم التي تلت مجموعة
الآيات تلك القصة التي بدأت (وإذ ابتلى إبراهيم ربه " بكلمات فأتمهن) ..
وبأنها الكلمات التي أسلما عليه في عملية البعث والإحياء . في هذه القصة .
وبأنها كلمات أخرى تتصل بالفطرة الإسلامية . وبالعبادات والأخلاق الإسلامية . مما
يناسب ومناسك الحج . وما يتلى مع تكبيرة الصلاة .

وسواء أكان هذا أم ذاك فإن مجموعة القصص الخمسة الأخيرة تتصل بعضها ببعض
اتصال حلقي بحلقي وحلقي واتصال نظم دائم . ونظام رائع جميل .

في مثل القصص القرآنية المصدرة بالاستفهام التقريري : (ألم) وفي تجعل
الرسول يسهم في العلم . وفي الرؤية القلبية . أو البصرية .. والقصص الثلاثة على وجه
التحديد — قد صدرت بالاستفهام التقريري — أما قصة هذه الرابعة — فهي معطوفة
على قصة إبراهيم والنمرود — فاشتركت معها في التقرير . بهذا التقدير .

بقيه القصة الخامسة الأخيرة . وبأنها بتصديرها بكلمة (وإذ) معطوفة أيضاً على
(إذ) التي بداخل قصة إبراهيم الثالثة . من قبيل عطف الأقوال على الأقوال . فكأن
التقدير كذلك : " إذ قال إبراهيم : رب الذي يحيي ويميت . وإذ قال إبراهيم : رب
أرني كيف تحيي الموتى ؟ إلا أن الوقتين مختلفان . وإن كانا متفقين من حيث النوع
والفكرة . إذ الحديث حول قضايا الإحياء والإماتة أو الإحياء للأمة !

وعلى هذا تكون قصة واحدة ذات فصلين . فصل إبراهيم والنمرود وفصل إبراهيم مع
بعد أربع الطير . في حالة التصدير . أو لحظة — بين هذين الفصلين . كما كانت
الحكايات تتداخل القصص في بعض الأحيان مما يؤدي أسوأ الأثر بين هذه القصص الثلاثة

الأخيرة من جهة ـ لها روابطها حول الإحياء والإماتة والمعيشة وبين هذه القصص الثلاث وقصص الصالحين قبلها لأن هاتين القصتين تدوران حول الموت والبعث والجهاد والاستشهاد مما جعلتها بسبيه مجموعة واحدة ذات خمس قصص ، تتقارب مظهرا ، وتتلاقى في نكرة وجوهرا وإن تجددت خصائص كل قصة فيها ، واستقل كل نموذج عنها .. وهذه بعض بيانية ، للقصة القرآنية ، تراها معجبين بها ، ونحسبها محالين لها ومصيبين .

وإذا أردنا وصل هذه المجموعة الوقائية من القصص الخمسة من حيث المغزى ، والمعنى والمعنى ، والتعليق رأينا أن قوة الله سبحانه وصفاته ـ جل شأنه ـ تدبير الأحداث ، وتحليل الأشخاص ، وتعميق الفكرة ، وتوضيح الهدف .

في قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت : (الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون) (وقاتلوا في سبيل الله ، واعلموا أن الله سميع عليم) وفي قصة الملأ من بني إسرائيل : (والله عليم بالظالمين) (والله يؤتي ملكه من يشاء ، والله واسع عليم) (والله مع الصابرين) (ولولا يدفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين)

ثم في قصة الذي حاج إبراهيم في ربه : (والله لا يهدي القوم الظالمين) وفي قصة عزير : (قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير) وفي قصة إبراهيم والطير : (واعلم أن الله عزيز حكيم)

والمناسبة واضحة في ربط كل وحدة من هذه الآثار والأهداف ، بقصتها الخاصة بها أو بالقصص القائمة بها أو بفصلها البحتي لها ، أو بمطلقها المشتمل عليها ، الجامعة لها فالقصة الأولى يناسبها هداية الله له ، إذ بهت وانقطعت حجته ، لأنه ظالم لنفسه بعناده ، واستكباره ، وضلاله ، وتحديه ، وكفره ، وإعناته . والله لا يهدي القوم الظالمين . ولأنه من الذين كفروا .. والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات .

أما إبراهيم في هذه القصة فحجته مستمدة من الله وولايته ، داخلة في ولاية الله . والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور فولاية الله ظاهرة مع إبراهيم عليه السلام وولاية الشيطان واضحة مع الذي حاجه في ربه ..!

ومن هنا جاءت هذه القصة بعد آية الولاية التي قبلها : وهي :

(الله ولي الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون) آية ٢٥٧

أما القصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فمناسبتها ظاهرة : أعلم أن الله على كل شيء قدير فالقدرة ـ هنا ـ مناسبة ، وهذه تتفق مع طبيعته ، وعلمه ، واستيلاء هذا العلم ، وتجدده ، وشمول سعة إحاطة القدير ، وملابسته للحال

ثم القدرة هنا • والاعتراف بها — تتفق مع الصدق الواقعي في القصة • ومع العلم الحديث في العصر • فالواقع يقرر أن الله أعلم وأعز وأعظم • ثم يجعله وحده دليل القدرة •

والواقع يقرر أن طعامه وشرابه • ثم يجعله (وهذا دليل القدرة أيضا) ثم الواقع يقرر أن استمرار القرية الله • ثم بقاءها نضرة وهذا دليل القدرة كذلك • وهذه المظاهر الثلاثة • والسورة والصورة •• والتأكيد إحدى ظواهر القدرة • التي تتدخل في الاعتقاد • والعلم بأن الله على كل شيء قدير • فهو قدير على كل شيء • وهو على كل شيء قدير وهذه الحقائق الثلاثة • التي تقررها الواقع الصادق للقصة إحدى هذه الأشياء التي تتجلى وتتكرر • وتتجاوز الاستقصاء وحده • ثم الصورة إبراهيم • وهي الصورة إحياء الله الموتى • في صورة حية — وهو قانون التجريب والمشاهدة •

وهي — مع قياسها على القدرة — قائمة على العزة والحكمة وهي العزة قدرة عاقلة هي التي وجهت تلك العزة أو القدرة • ذلك أن القدرة — هنا — لم تكن عابثة كما في قصة نمرود • يعني أن عزيرا لم يمت • ولم يكن ميتا • إلا بقاء على إخبار الله له • وهذا الإخبار مع قوته • وصحته • وثبوته — نظري ••

إنما هذه القدرة أجراها الله بيسر وسهولة • في ذلك العمل الذي كلف إبراهيم • تلقي به • نراه بعينه • وتسريحه • وأحيائها • وشاهد عملية • وهي عملية تجريب • وصل بها إلى تقرير حقيقة البعث • وأيقن عزة الله • وحكمته •

فالفرق بين إبراهيم • وعزير — هو أن إبراهيم طلب أن يريه الله كيفية إحياء الموتى • ومن ثم أشرك الله في العملية بنفسه • إذ قال له : (فخذ أربعة من الطير — ثم (فصرهن إليك — ثم اجعل ••• ثم ادعهن •• واعلم) فهو أي إبراهيم فاعل •• أي فخذ أنت فصرهن أنت ثم اجعل أنت — ثم ادعهن أنت — واعلم أنت ••

أما عزير — فهو كما عرفنا — لم يطلب أن يريه الكيفية للبعث أو الإحياء — وإن كان هذا في نفسه ولم يرد على أن ملك على تلك القرية الخاوية على عروشها : أنى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ ثم يطلب أن يرى بعينه أو بنفسه كيفية إحياء الله الموتى • أو القرية • ومن ثم استقل الله بعملية الإماتة والإحياء • ووضع الموت والحياة • على يديه • وحماره • ليجعله موضع تجريب • بينما جعل إبراهيم هو المجرب •

ومن هنا أسند عملية الإماتة • والإحياء • وما يتصل بهما إليه سبحانه • كما أوقع العمل على يديه وحماره ••• حيث (أماته الله) (فجعلك) أي نحن) (ننشزها) أي نحن (نكسوها) أي نحن •

ولم يأمره أن يعلم أو يشهد على ذلك • كما أمر إبراهيم إنما أمره هو — لتكون التجربة عليه • ومنه إليها • إلى أن (قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير)

وبهذا يتبين هذا هو الفارق بين موسى وإبراهيم (كلا ...) ... فما إلى هذا قصد ، إنما هي الإشارة إلى نوع السؤال الخاص في تقرير عقيدة البعث ، والإعادة بالصورة الأولى ، والبداية ، في هذا الموضع ، وفي ذلك الظرف .

على أن الله سبحانه برأ إبراهيم من الشك ، أو الريب ، إن كان يريب ، وهو يعلم ، وخليله ، أنه الموقن ، والمخبت ، بل أكثر العالمين ، حينما سأله من الداعي إلى سؤاله ، مع علمه - سبحانه - بحاله :

(أولم تؤمن ؟) (قال : بلى) ... وبالذي يعلمه من السؤال إذن ؟ أولم تسأل ؟ (ولكن ليطمئن قلبي) وهذا التعليل ذاته هدف كامن في القصة ، أو في تعقيبها بالذي يوح (أن آتاه الله الملك) في قصة النمرود ، وذلك توجيه في تصميم القصص القرآني أو هو توجيه كما تلقى معها البيئة العالمية في تصوير (وهي خاضعة على توجيها) ... ما يوجه بقايا النظم ويجدد مظاهر النظام .

ومن الممكن - إلى جانب هذا أن نتلمس وجها آخر للنظم والنظام وهو أن يوم الأيام والتجارب العملية - هي التي تعود هذه المجموعة الوثيقة من عشر قصص ، في سورة البقرة هذه التي قصة الذين خرجوا من ديارهم ألوف - حذر الموت فجعلهم الله أحياء : (إذ قال لهم الله : موتوا) ... فماتوا (ثم أحياهم) ... فحيوا ...

والداعي إلى خروجهم من ديارهم ، وهم ألوف - إنما خوفهم من الموت الذي وقعوا فيه ، وجعلهم على الحياة التي سلبوها أولا ، وعدموها بعد الحياة ، وهذه الخلفية ، وهذه الأهداف ، هي تتجمع الجنود والقادة ، وهي حبس على الجهاد ، وتدريبهم على الاستشهاد ، وهي تهون الموت ، وتصور البعث والإحياء ، وواضح أن قيد القصة الأولى بكلمة (حذر الموت) تتعلق بها وتصبها على الوجه الخاص في مجموعة القصص كلها ، الأخيرة ، من هذه المجموعة القصصية الكبيرة ، التي تتوجه عقيدة وأحكام ، إلى جانب كونها مظاهر نظم ونظام ، في قصة الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى ، وظهور بوادر الانهيار والانحلال ، والابتلاء الذي يقيم نظام المقاومة والتحرير ، عندما قالوا (لنبي لهم : ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله (قال : هل عسيتم - إن كتب عليكم القتال - ألا تقاتلوا ؟) وقد صدقت ظنونه فيهم ، فلم يجتمع منهم إلى الجهاد إلا القليل : (فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم) هذا في الفصل الأول من القصة .

وفي الفصل الثاني أجرى لهم طالوت هذا الاختبار ، الماء (قال : إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني ، إلا من اغترف غرفة بيده ، فشربوا منه إلا قليلا منهم) وخارت عزائمهم ، وانهارت قواهم ، وقالوا قبل الصدام :

(لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده)

(قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين) (فهزموهم بإذن الله)

وأنه لقد ترجمت الآية الثانية من هذه السورة الكريمة هذه الحقائق الكبرى أبلغ الترجمة وأدقها . وهي التي تقرر أن الله سبحانه وتعالى هو الحكيم الخبير . أما تلك الكثرة التي تعيش في الأرض ، ولم تعرف الله ولم تؤمن به ، ولم تتبع توجيهه أو تتدبره ، وبدلا من ذلك تقول الجهل وتقول : لا حاكم لنا إلا بهائمها وشهواتها .

وهذا الإنسان — بتكوينه الخاص ، والظروف التي أحاطت به من قبل الميلاد والتكوين ، وما يعمل هذه اللحظة ، بذلك ، كما يحدثنا بقية القصص القرآني الآتية ، الذي يعلم التكوين ، والشاهد :

إذ أن في قصة الذي حاج إبراهيم في ربه ، هذا الجدل من إبراهيم ، (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) — لكن الشرط يجيء بهذه اللطمة ، وتخرج بهذه الصفعة ، إذ يبهت الذي كفر ويعود بخسرة !

وفي قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، يتم الاعتبار العملي على درس تاريخي للزمن ، وتكذيب الحياة ، بالموت !

ثم يتم على يد الاعتبار ، درس الموت جديد ! ويدور أمام عينيه هذه المناظر التي هي نهاية الحياة ، أو التي هي بداية للملاحظة أو المشاهدة :

الطعام الذي لم يتسنه ! .. والشراب الذي لم يتغير ! والحمار .. ! .. والعظام التي يحييها الله ، ثم يكسوها لحما ... !

وبعد هذا ، يتعين له هذا .. ويتم بالملاحظة والمشاهدة ، ويدرج في الاستنباط والاستنتاج ، ويقدر بعدهن الظنون ، أو النتيجة ، أن :

(قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير)

ثم في قصة إبراهيم والطير — تظهر الدوافع الفطرية التي جبلت (ليطمئن قلبي) ثم يأمر بقصد في أحياء الطير فتصيح ، التي تمر إليكن أيتهن ، وتفعل .. ! .. إذن فرق الاعتبار ، والاطمئنان ، والإيمان يتلقى المشاهدة ، ويتم التجريب والملاحظة ، بعد هذه الجولة القصيرة الوقائع القصص الخمسة ما يحق لنا مقابلة الظلم ، وتكذيبا ظاهر الظلم .

وإذا أحببنا أن نعرف السر في ربط هذه القصص الخمسة الأخيرة من هذه المجموعة الكبيرة لسابقتها — إلى جانب ما ذكرنا — وللرد على تزييف يعمد — كما أصل لقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، بقصة الذي حاج إبراهيم في ربه وإبراهيم — بقصة الذي أتاه الله ، فصار يعد — من حيث المبنى والمعنى — بقصة أوديب عن الأم والأب ، والصدأ في نفس نمرود الذي ، حسبما ادعى أنه يحيي ويميت ، أصدأ الذي في نفس ، وبدون قياس !

جاءت هذه القصة الثانية بقصة إحياء الطير ، والقصة على إنسان ، وحيوان كما جاءت القصة الثالثة : قصة إبراهيم والطير ، بقصة كيفية إحياء الطير ، والقصة على الطير هي التي في القصة الثالثة ، اتصال فكرة وموضوع ، مما يجعلها — بهذا وبهذا في فترة القصة الواحدة ، ذات الفصول الثلاثة ...

وإن لم تتحقق فيها وحدتا الزمان والمكان فالتي في قرابة الفصل القصصي ، أو المسرحي إنما هو تحقق وحدة الفكرة ، أو الموضوع .

والفكرة هنا هو تقرير قدرة الله ، في صورة نظرية في الحوار الدائر بين إبراهيم والنمرود أو في صورة عملية على الإنسان والحيوان في قصة الطير وحمارة .

أو في صورة عملية على الطير في قصة إبراهيم والطير . وإن تعددت الفصول : الأولى والثانية أو الفصلين : الأول والثاني — فصل كان بينهما — تظهر فيه شخصية غير شخصية إبراهيم ، الأساسية التي تظهر أولا ، وأخيرا وصل ما بين القصتين بدايتها مع النمرود ، إلى نهايتها مع الطير وفي هذا تتحطم وحدة أخرى وهي وحدة الشخصية فتنال إلى تحطيم الوحدتين : الزمانية ، والمكانية فتكون — بهذا كله — القصة القرآنية قد تحللت من القيود التي اخترعها نقاد القصة ، والمسرحية قديما ، وتحللوا منها كلها أو جلها حديثا ..

وبهذا التحلل من الوحدات الزمانية ، والمكانية والشخصية — أثار القرآن في قصة الخليل الخليل عزير ، وحماره — إلى هذا التحلل ، وهذه الخلية ، أو إلى ذلك التحور ، وهذه بحرف " أو " في بداية هذا الفصل الثاني الواقع بين قصتي إبراهيم ، أو في بدء هذه القصة الثانية الواقعة بين قصتي إبراهيم حاتم في طرق العرض ، أو تنوع في الفكرة الأساسية .

هذا وفي قصة المنكرين من بني إسرائيل نجد الفصل الأول منه — كما قلت — ذا فكرة مستقلة ، وذا هدف خاص به مما يجعله قصة أو أقصوصة قائمة بذاتها .

بيد أنها اتصلت بما بعدها ، لقول نبي لهم : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا — كما طلبوا منه أن يبعث لهم ملكا ، ليقاتلوا في سبيل الله .

وهذا الخبر هو الذي وصل هذا الفصل بالفصل الأول وجعلها جزءا من أجزاء قصة كبيرة متزايدة وهؤلاء المنكرون من بني إسرائيل هم الأبطال الحقيقيون في هذه القصة النموذجية — إذ هم الذين وصلوا أجزاءها ، وأحداثها ، وحوارها .. بعضه ببعض مما تحقق به وحدة الشخصيات ، التي أهمها من أهم الوحدات ، في قصص الشخصيات والمذاهب كما أنه وحدة الأحداث ، من أهم الوحدات في قصص الحوادث .

وكما أنه وحدة الفكرة والموضوع ، من أهم الوحدات في قصص الأفكار ، وفي كل القصص على حد سواء .

وكما أنه وحدة البنية ، ولو صدقت ، من أهم الوحدات ، في قصص الشخصيات . وكما أنه وحدة الحبكة أو التصميم ، من أهم الوحدات ، في قصص الحوادث والوحدات . وكما أنه وحدة الشكل الفني أو البنائي ، من أهم الوحدات ، في جميع القصص وفي كل الأنواع القصصية .. والأشكال الأدبية ، والفنية على قدر سواء .

وأقول مثل هذا في الفنون المسرحية ، فيما في ذلك كله - تلتقي مع الأنواع القصصية ، وإن ظهرت فيها عناصر أخرى مثل : الحوار ، والصراع ، والحركة .

والظاهرة التي أريد تسجيلها في قصة السلاّ من بني إسرائيل ، هي ظاهرة المفاجأة : المفاجأة في إخفاء شخصيات مهد لها ، كشخصية طالوت .. التي لم تظهر في ساحات القتال والمفاجأة في إظهار شخصيات لم يمهد لها ، ولم يعرف عنها قليل أو كثير ، ولم تذكر لها أسماء ، ولا صفات مؤثرة مثل : داود ، وجالوت وقد أحسست وأنا أسجل إحساسي بهذه القصة أنني أشاهد " حصار طروادة " وما جرى فيه من عياك ، وعراك وهلاك !

وظهور أبطال توجتنا بها ، واصطدام فرسان عجمان ، هزنا بعنفهم !..

ولعلها عالمية القرآن ، أثرت في ذلك التصوير كما أثر القصص الديني في كل كتاب ، يشق الطريق في كل الأوقات . وهذه الظاهرة ليست فيما في بناء هذه القصة الحربية أو هذه الملحمة التاريخية الأدبية .

إذ المفاجأة هي الفن القصصي والعمل المسرحي خاصة في القصص الحربي ، والعمل البطولي . إذ منطق الحرب يعتمد على المفاجأة ، في العدد وفي العدد ، في الأشخاص وفي الأبطال فاختفاء شخصية مهد لها بعد أن ظهرت في تنظيم الجنود وقيادة الجيوش وتوجيه السير وإعطاء الأوامر ، والنواهي ، وتبين ما ينبغي وما لا ينبغي ، ثم إدماج الشخصية في إطار الحركة ووصل الأحداث ، ومتابعة الوقائع ، حتى كسب النصر - وتحقيق الهزيمة على الأعداء ...

هذا الاختفاء في هذه الآونة - ليس ابتعاداً ولا انتصاراً ، ولا كبراً .. إنما هي الحرب وظروفها الواقعية ، والفنية ، لها منطقها ولها جناياتها ، ولها بدايتها ونهايتها . أنا بحثنا عن طالوت ، وافتقدناه لنا في ساحات القتال وبحثنا عنه آخر المعركة دون أن نراه أو أن نسمع عنه خبراً ولا أثراً .. فنرده إلى أننا أحببناه ولأنه شخصية مثالية جمعت بين قوة الجسم ، وبسطة العلم ولأنه شخصية مخطوطة اختارها العناية الإلهية حيث اصطفاها الله عليهم ، وحيث آتاه الله الملك ولم يؤت سعة من المال ...

مثل هذه الشخصية القصصية تكون محببة ومطلوبة الكل يهفو إليها والكل يحنو عليها والكل يفتقد أثرها ، ويتم غيبتها .. لا سيما في المعارك التي هي كظمة المهالك .

على أن السلاّ - كما قلت - هم الأبطال الحقيقيون فهم يمثلون الشعب أو الطبقة المثقفة ، أو النخبة وهم الذين طلبوه ، وهم الذين عانوه .

وهم الذين تخلفوا عن الاستباك ، أو تثاقلوا في تهيئتها ، ثم خرجوا من أمره ، فسي ظروف الحروب ، حيث لا تجوز المخالفات !

أو هم الذين وجدوا مع الأحداث وبدوا بالأحداث وصلوا مع طالوت ، وبرزوا لجالوت ، وجنوده ، وهم القلة الفئة ، المقاتلة التي هزمت الأعداء بإذن الله .

وإذن نحن التي تضيفنا في بناء هذه القصة البطولية أو القومية أو الدينية قد ظهرنا فسي كل تفاصيلها ، وتعاملنا بحوادثها ، وطلبوا القتال ، وألحوا فيه وهم من قوي ، وهيبتهم من صحته . هذا جانب أما ظهور الأشخاص لم يمهد لها كجالوت ، وجنوده ، فلم يمهد لهؤلاء في الذهن ، وفي الذكر ، تلك آية معركة بصوف المقاتلين كثيرا من أعدائهم بالسهام ، والمجانيق والأسهاء ، وبالأعلام وبالأصوات ، لجالوت ، وجنوده محروسون لطالوت وجنوده — وحسبهم هذا ...

وتصوير القصة الحقيقي ، يكون من الواقع النفسي للأشخاص ، وللأحداث والبيئة ، لا من الواقع الخارجي ، أو يكون معروفا لذلك الواقع النفسي أكثر وأظهر وأقدر من تصويره للواقع الخارجي هذا في الذهن .

أما في الذكر فقد صور القرآن بجالوت وجنوده ، كما صور بطالوت وجنوده — إذ ذكر قبل أن يقتل داود جالوت هذا التمهيد ، قبل آية القتل مباشرة :

(ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا :) وكان يمكن أن تحيط بتاريخ جالوت ، وجنوده ، لتعرف نزعتهم ، ودينهم ، وعدتهم من الحرب وهل هم على حق حتى تقف معهم تدعو لهم وتهتف بهم وتفرح لانتصاراتهم وتأسى لانكساراتهم ، أو على باطل ، تقف إلى جانب أعدائهم ترجو لهم الانتصار ، ولا تصدق ما يصيبهم من انهزام .

وتعجب ببطولاتهم ، وتهش لشخصياتهم ، وتتبع أعينا بالفرحة إذا أحرزوا نصرا ، وتغرق أعينا بالدمع إن هوا بهزيمة أو فقدوا بطلا أو عزيزا ، وهكذا ما نحسه في متابعة الملاحم وشاهد البطولات ...

أقول .. كان يمكن أن نلم بتاريخ جالوت ، وجنوده ، إذا كانت القصة عن جالوت وجنوده ! إنما القصة كما قلت — قصة الملأ من بني إسرائيل ، والفكرة هي البحث عن زعيم ، أو قائد ، أو ملك شجاع للقتال معه ، وهو في سبيل الله .

وإذن فالحق مع الملأ من بني إسرائيل .. والحق مع طالوت الذي زاده الله بسطة في العلم والجسم . وإذن فالحق مع هذه القلة المؤمنة التي هتفت بالدعاء في ساحة الحرب وفي ساعة الصدام : (ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين) ومن هذا كله نعرف صفات الأعداء ، وأي دور يقوم به جالوت وجنوده !

ومن هم يشارك الأنبياء من الناس ، هذه القلة المؤمنة ، المجاهدة في سبيل الله المتوكلون على ربهم وإلههم ، ورجاؤهم الخير لهم والانتصار . أما أصحاب الميول الفاسدة والقلوب الحاقدة والأهواء الضالة ، والنفوس المدنسة فهم قد فسدت ضمائرهم ، كما خبثت

عناصرهم فأصبحوا غير مناسبين لأن الله عاقبهم الأشقياء والأسباء من الناس .
وإذن فلي سيرتنا البطل من بني إسرائيل ، وطالوت وجنوده — بحرفة خفية لأعداء الله وجالوت وجنوده . وإذن فقد سبق الجانب الفني من الشخصيات من طريق الذهن ومن طريق الذكر . وهي هذا فلا مغالاة ولكن مبادأة والمبادأة تتطلبها الحرب النفسية كما تتطلبها الحرب العسكرية .

وتصوير هذه الحروب كما قلنا من الواقع النفسي للأبطال أفضل من تصويرها من الواقع الخارجي في ساحات القتال .

على أن جانب الاختيار يظهر من القصة الركن الذي تنهض عليه الفكرة ، أو يسلط عليه الضوء أو تبرز به الشخصية ، أو يعمق به الحدث ...
وليس المراد كل الأركان إذا لم يكن لها دور أو إذا استغنى بركن منها عن ركن ...

بقيت شخصية داود .. وهي التي لم يسبقه لها لا بقليل ولا بكثير .. اللهم إلا أن يقال : إن صلته بطالوت وقرابته منه — كما يقول المؤرخون — تعد تمهيدا له ، وتمريناً به وفي الميدان ، وفي الأذهان أو أن صلته بالوالد ، على جملة (فهزموهم بإذن الله) قد يبين أنه شهم ، وأنه قد تلمذ ، كما تلمذنا ...

ولعل تأثير هذا الموقف الذي قام به داود النبي قد ظهر في ذلك الدور البطولي الذي قام به علي بن أبي طالب ، وهو صبي ، في أحداث غزوات الإسلام .

على أن التمهيد بقتل داود جالوت ، والتخصيص له بعد إعلان الفريضة أو سببا إلقاء للأضواء على شخصية جديدة ، بدأت تقوم بمهام الرياسة وتنهض بحمل القيادة ، وتسهم بأعباء الرسالة .. وبين لم أعلم القرآن بهذه الخصائص ، وأولاه الله بهذا الفرض ؟ (وآتاه الله الملك والحكمة ، وعلمه مما يشاء) وهذا التخصيص بشيء مما تراه الآن في ساحات الملاعب ، حيث تعلن الشاشة بالخطوط والأرقام ، وحيث يعلق المعلقون ، ويسجلون الانتصارات وأسبابها ويشيرون إلى البواعث والتكتيك ...

وهذا هو حساب المعركة : (فهزموهم بإذن الله ، وقتل داود جالوت) ولعل جالوت أو حاسدا حاقدا من ذوي النفوس المريضة ، والأهواء المنحرفة — قد ضاق ذرعا وغصا بانتصار أنصار الله ، وبقتل داود جالوت لسبب لمن ، وشتم وطعن وشاغل ، بالحرب ؟ وبالتهديد والدفاع ؟ وبالهجوم ؟ .. ولعله كان من المحبين بجالوت وجنوده ، أو كان في ملكهم وفي جيشهم أو طبقتهم أو على شاكلتهم ...

لهذا القرآن معنيا على هذه المعركة البطولية الدامية أو الدنيوية ذات الغرض الأسمى وذات النتائج النظرية وهذا يعنيه بيانا سر الصراع والدفاع ، بعد أن كان في آخر الزمان (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) (ولكن الله ذو فضل على العالمين) فمن لهم الجهاد والتدريب على الاستشهاد وكتب الصبر للمجاهدين في سبيل الله .

٥٠٦ ٤٩٤

كما هزم أعداء الله بإذن الله .

وإذن نهاية هذه القصة ، هي بداية أمر داود وهي فاتحة في خاتمة بداية في نهاية . تحدث من التأثير ، والشوق الكثير ، الشيء الكثير وهذا تصميم قصصي رائع ، وتشويق نفسي كبير .

IIIIIIIIIII

الدكتور محمد محمد القماح

٥٠٧ ٤٩٥

(٦)

آيات الختام في سورة البقـــرة

الدكتور محمد محمد بدير

(لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير (٢٨٤)

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (٢٨٥)

(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (٢٨٦) البقرة .

وفي ختام سورة البقرة هذه ـ هذه الملكية المطلقة لله سبحانه إذ له ما في السموات وما في الأرض ، ثم هذه القوة العلمية والغيبية والجزائية له سبحانه فما تبدي أو تخفيه يحاسبنا به ثوابا لمن يشاء وعقابا لمن يشاء والله على كل شيء قدير .

وهذه الآية تمهيد لآية الإيمان التي تليها والتي تدعو إلى وحدة الأديان ووحدة الرسل والتي تبين مظاهر الإيمان وشعبه كما يفهم منها موطن الإيمان وهو القلب والنفس التي يطلع عليها الله ويعلم ما تبدي فيها وما تخفيه . وآية الإيمان هذه سبق أن ذكرتها وهي تتصل بوحدة الإيمان ووحدة الأديان . وهاهي هذه :

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) وتتمتها : (وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) .

وآية الإيمان هذه ـ تصل ختام هذه السورة على بعده ـ بآيات الإيمان والأديان في الثلث الأول من هذه السورة الكبيرة وصل معنى ومعنى ومغزى ووصل نظم ونظام .

ثم تتمتها تتصل بآيات السمع والعصيان في أقصوصة الميثاق من أقاصيص بني إسرائيل بهذه السورة رقم (٩٣) . وبآية النظر والسمع من الذين آمنوا بعد هذه الأقصوصة رقم (١٠٤) من سورة البقرة هذه .

ثم نجد في آية الإيمان التي معنا هنا في ختام السورة شعب الإيمان وأنه إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله دون تفرقة بين رسول ورسول . مما يثبت كل قضايا التوحيد والإسلام والإيمان وما يتصل بها من بعيد أو قريب . ومما يجعلها حقائق معترفا بها رسول الله كما اعترف بها المؤمنون وبها صار هؤلاء مؤمنون .. ومتقين مستغفرين مؤمنون برجوعهم إلى الله في اليوم الآخر :

(وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ٠

ثم هذه التكاليف في طاقة كل إنسان وفي وسع كل نفس ٠٠ ومن هنا لها ما كسبت من ثواب وعليها ما اكتسبت من عقاب ٠٠ ومن ثم كان شعار المؤمنين والمسلمين هذا يردد ويتغنى في حياتهم وفي صلاتهم وفي تلاوتهم وكلما حزبهم أمر أو أدلهم بهم خطب:

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ٠ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وما أشبه بذلك الدعاء في ساحة الحرب من تلك القصة : قصة الجهاد في سبيل الله :

(ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) ٠

وكما استجاب الله هذا الدعاء بالنصر قديما نسأله سبحانه أن يستجيب لنا هذا الدعاء في كل معارك الحق والحقيقة والشرف والعلم والكرامة والحرية والعيش والدنيا والدين ٠

والحمد لله رب العالمين ٠٠

الدكتور محمد محمد بدير

القصة فى سورة ص

...

(١)

المدخل إلى القصة :

من آية (١) إلى آية (١١)

...

(٢)

ثم .. لمحة الأقوام المكذبين ..

من آية (١٢) إلى آية (١٤)

(٣)

...

ثم " تتمة المدخل إلى قصة داود "

من آية (١٥) الى (١٦)

أى أن هذه الآيات كلها من أول السورة ، إلى قوله تعالى : (اصبر على ما يقولون) مدخل ، وتمهيد مفصل ، لقصة " داود "

...

(٤)

ثم " قصة " داود ، ذى الأيد "

من آية (١٧) الى آية (٢٠)

أى من قوله تعالى :

(واذكر عبدنا داود ذا الأيد ، إنه أواب)

الى قوله سبحانه :

(وشددنا ملكه ، وآتيناه الحكمة ، وفصل الخطاب)

...

---

(٥)

ثم " قصة نبأ الخصم ، وداود "

أو تمثيلية الصيدة "

من آية (٢١) إلى آية (٢٥)

...

---

(٦)

ثم " قصة خلافة داود "

آية (٢٦)

ومن آية (٢٧) الى آية (٢٩)

تعقيب على هذه القصة ، وعلى القصة التى قبلها ، وعلى اللمحة السابقة .

وهذا التعقيب متصل بفكرة السورة ، ومغزاها كما يصوره المدخل كله . فى آياته التى بلغت ست عشرة آية .

. . .

(٧)

شـــم

" قصة سليمان الأواب

من آية (٣٠) الى آية (٤٠)

. . .

(٨)

شـــم

قصة " أيـــوب "

من آية (٤١) الى آية (٤٤)

. . .

(٩)

شـــم

" لمحة الأنبياء " المصطفين

من آية (٤٥) الى آية (٤٩)

أى من قوله سبحانه :

(واذكر عبادنا ابراهيم ، واسحق ، ويعقوب)

الى قوله عز وجل :

(هذا ذكـــر)

. . .

(١٠)

شـــم :

" لمحـــة المتقيـــن "

من آية (٤٩) الى آية (٥٤)

أى من قوله عز ذكره :

(وان للمتقين لحسن مآب)

الى قوله سبحانـــه :

(ان هذا لرزقنا ، ماله من نفاد)

فهذه ترويحة بين التحليل والتفصيل ، أو ترويحة بمنهجي التفصيل والتحليل .

ولعلها فنية تأليف وتصنيف ، وفلسفة تبويب وترتيب ، تتصل بما أسميه :

" علم النفس التأليفي "

الذي أراعي فيه مشاعر القراء ، والنقاد ، والجماهير ، كما أراعي فيه قدراتهم ، وطاقاتهم على الاطلاع ، والتذوق ، والاستيعاب .

. . .

على أنني لم أهمل قصص داود ، وسليمان ، فقد عالجتها من قبل معالجة أدبية ، وفنية ، تتفق مع هذه الدراسة العلمية .

فقد ألفت مسرحية عنوانها " بلقيس ملكة سبأ " فيها لمحات من هدى القرآن ، في قصص كل من بلقيس ، وداود ، وسليمان .

. . .

أما قصة " تخاصم أهل النار " فسأوازن بينها وبين تحاور أصحاب النار ، في سورة الأعراف الآتية بعد هذه السورة .

. . .

ومن هنا نكتفي بهذا التفصيل ، الذي هو أساس كل تحليل ، وتعليل ، وتدليل .

ولنستعد معا على رحلة علمية كبرى ، نقطعها في تحليلي لسورة الأعراف . واللهالمستعان

. . .

الدكتور محمد محمد رفاعة

الباب الثامن

الدكتور محمد محمد بقاتة

الفصل الأول

• الأمثال في القرآن •

الدكتور محمد محمد بقاتة

٥١٢

مجموعة أمثال
سورة النحل

الدكتور محمد محمد غمام

١) المثل الأول :

(ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ، ومن رزقناه منا رزقا حسنا ، فهو ينفق منه سرا وجهرا .. هل يستوون ؟ .. الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعلمون)
آية رقم (٧٥)

٢) المثل الثاني :

(وضرب الله مثلا رجلين : أحدهما أبكم ، لا يقدر على شئ ، وهو كل على مولاه ، أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل ، وهو على صراط مستقيم)
آية رقم (٧٦).

٣) المثل الثالث :

(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع ، والخوف ، بما كانوا يصنعون) آية رقم (١١٢)

من سورة النحل

والمثلان الأولان يعتمدان على الموازنة داخل كل مثل . فالمثل الأول نوازن فيه بين عبد مملوك لا يقدر على شئ ، وبين من رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا ، وجهرا وهما لا يستويان ، أو لا يتساويان . والحمد لله على هذه النتيجة التي فرقت بين العجز والقدرة ، وبين العبودية والحرية ، وبين الحرمان والإعطاء ، وبين المنع والبذل . وإن كان أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقيقة ولا يعرفون بين مدلولي هذين المثلين في الرجلين .

والمثل الثاني ، نوازن فيه بين رجل أبكم لا يتكلم ، عاجز لا يقدر على شئ ، كل على سيده ومولاه ، أينما يوجهه لا يأت بخير ، وبين رجل عادل يأمر بالعدل ، مستقيم على صراط مستقيم . وأنهما كذلك لا يستويان ، ولا يتساويان ، فهذا بين ، عادل ، مستقيم ، وقادر ، آمر بعدل ، صالح . وذاك غبي ، عاجز ، قاصر ، مشوه الطبائع ، الفرق بين هذا ، وذاك ، وفرق ما بين الذي هنا والذي هناك .

أما المثل الأخير فهو قصة كاملة في مثل ، أو رواية في آية ، وهي - على تركيبها - تقع في ثلاثة فصول :

١) الفصل الأول : القرية حينما كانت آمنة الأرجاء ، مطمئنة الأنفاس ، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، لا تخشى أي نقصان ، ولا تتوجس من أي حرمان .

٢) والفصل الثاني : القرية حينما كفرت بأنعم الله فكذبت ، وجحدت ، وعتت ،

٧٢

وطغت ، ولم تعرف شكرا ، ولم تعترف بنعمة ، وأصبحت على حافة العقاب .

٣) الفصل الثالث .. تمثل الاستسلام والعقاب إذ أذاقها الله طعم الجوع ، وألبسها لباس الخوف ، بسبب كفرها بالنعمة ، وبئس جزاء ما كانوا يصنعون !

فهذه رواية في آية ، أو قصة كبيرة في أقل من ثلاثة أسطر . وهي توضح بأن قصص رائع ، يمثل روائي وسرحي كبيرين .

الدكتور محمد محمد بسمار

- ٢ -

مثل الرجلين
في
سورة الكهف

الدكتور محمد محمد حماد

مثل الرجلين

وهذا المثل قصة حوارية يدور حول الصراع بين الإيمان والكفر بين القناعة والطمع بين الوثوق والغرور بين الرضا والكنز .

وهو من القصص الحواري والصراعي وبين قصص البيئات . ثم هو يمثل الحوار الجدلي حينا والمناظرة الفاصحة حينا آخر . ولعل في هذا مطابقة لهذه الآية من سورة الكهف (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا) آية (٥٤) الكهف

ولعل هذا المثل القصصي من أهم الأمثال التي تحتوي على عناصر القصة وفنياتها :

ففيه البيئة المكانية :

(واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر) .

فهذا عنصر البيئة التي لها توجيه كبير وتأثير واضح في سلوك الأشخاص وفي تكييف الأحداث وفي تكوين الحوار وفي أخلاق الأشخاص وطبيعة إيحاء البيئات .

ثم يأتي - بعد ذلك - الصراع الذي يجسمه الحوار : (فقال لصاحبه وهو يحاوره : أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا . (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال : ما أظن أن تبيد هذه أبدا (وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) . وهذه نفسيته وطبيعته وهذا شركه وغروره تكشف عن كل أولئك هذه البيئات الداخلية التي يردها وبين نفسه ..

(فقال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذي خلقك من تراب ، ثم من نطفة ثم سواك رجلا ؟ لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت : ماشاء الله لا قوة إلا بالله إن ترني أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا) .

وهذا هو الفصل الأول من هذا المثل القصصي .

ثم يأتي الفصل الثاني :

(وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ، ويقول : يالليتني لم أشرك بربي أحدا . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا) .

ثم تنتهي القصة المثلية بهذه الآية وبأتي التعقيب بالآية الثانية وفيه يكمن كنز من المعنى :

(هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبى) .

وبيئة هذا المثل تتفق مع خصبة البيئة في أول السورة :

(إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) آية ٧ ، ٨ من سورة الكهف فيقرب من هذه البيئة بيئة المثل الذي معنا من مثل : (

(وكفلناها بعقل) (وجعلنا بعضها رتقا) (ولولا إذ دخلت جنتك قلت : ماشاء الله لا يرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا) إذ معنى الجرز في آية البقرة للسورة هو غير الأرض العليظة اليابسة التي لا نبات فيها كما يقال : الأرض الجرز هي التي تحرق ما فيها من النبات وجفاه ـ وكذلك السنة الجرز (١) .

وهذه المعاني تلتقي مع (ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا) كما يتفق مع بداية الفصل الثاني المشار عليها (وأحيط بثمره) .

وإذن فهذا المثل قصة في مثل اجتمعت فيه عناصر القصة .

فيه كما عرفنا ـ عنصر البيئة وفيه عنصر الأشخاص (الرجلين) وفيه عنصر الصراع : (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) وفيه عنصر الحوار : (تقال لصاحبه وهو يحاوره قال له صاحبه وهو يحاوره) ثم فيه عنصر الفكرة المحركة للصراع الذي يجسده الحوار والنابعة من البيئة كالمواجهة للشخصيات والمواجهة بالشخصيات . وتتجلى الفكرة في هذه المقارنة بين كفر الكافر وإيمان المؤمن : (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ؟ لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا) ثم فيه عنصر القيم أو الهدف : هذا الهدف المبثوث داخل المثل وتلك القيم المنثورة على لسان الرجل المؤمن وإن اتسم أحيانا بطابع الواقعية النفسية التي تتأثر في بيئة الفقر كلما اصطدمت بالطبقية أو العنصرية الغنية والغنية والغنية وهذه قيمة نفسية تربوية تخدم تربية واقعية وإن جانبت بعض المثالية . ففيها صورة حقيقية لنفسية الفقير المحروم الذي يرى أغنياء الغني الغني الكافر يتبختر في الحياة ويتكبر عليه ويتعالى عليه ويعطي بدل الجنة جنتين ويبارك له في الجنتين إذ تأتي أكلها وإن تظلم منه شيئا . بينما يجد نفسه ـ وهو المؤمن الصابر المسالم ـ محروما من الثقة تقيم عليه وعلى الحرفة تعثر جسمه ومن المأوى يختفي فيه ليتوارى ـ حينئذ ـ عن وجه الناس ـ نفسه ـ يتألم ـ بالرغم منه ـ جسمه وجهده مما يبدد على فلتات لسانه واسترسال خياله (إن ترني أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا) .

فهذه واقعية نفسية وإن خالفت الرجل المثالية والواقعية النفسية قيمة كبرى وهدف عظيم في عالم النفس وفي عالم المادة . وهي ـ بحدها هذا وأوصافها تلك ـ أدنى كثيرا من أن تتفق مع الوسط المثالي الذي لا تراه في دنيا البشر والذي لا تسمعه من أفواه الناس وهو ـ بهذه الأطعمة الأدبية وبهذا الصدى الواقعي والنفسي ـ أبلغ من الخطابات المجردة ومن الكلمات المجردة التي لا تصحب تجربة أو التي لا تترجم نفس صاحبها أو صدى واقعية .

ولعلنا مازلنا نذكر توصية الإنسان بوالديه إحسانا " في سورة الأحقاف وهذا هذا الإنسان الوالد به بعد أن حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة دعا هذا الدعاء وقال : (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت

(١) غريب القرآن للسجستاني ـ بتصرف

للسجستاني

على وفي والدي وان أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي) فهو دعاء صادق وحار جاء بعد تجارب متعددة استمرت أربعين سنة . ومن ثم كانت له واقعيته وخاطرته وصدقه وحرارته وتأثيره وتأثيره .

وأين تالصدق الأدبي والفني والنفسي والبلاغي والعقلي والواقعي ـ وهيه ـ من عالم القيم وكشف جوانبه في دنيا النفس والشعور . ثم يضاف إلى هذه القيم المقترحات التالية من القيم الموازنة للفني الكثير : (ولولا إذ دخلت جنتك قلت : ماشاء الله لا قوة إلا بالله) .

ثم هذا التعليق الرهيب : (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا) وهو يذكرنا بمصرع قارون في سورة القصص كما أشرت إلى ذلك من قبل ثم يضاف إلى هذا التعقيب الرهيب هذه الحكمة الخالدة التي هي حصاد القصة ونتيجة المثل (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبى) .

وفي هذا القيم يكمن المغزى ويتجلى الهدف .

والحوار الذي سمعناه هو إلى الجدل أقرب منه إلى غير الحوار .

ويضاف إلى عنصر الأسلوب الحواري عنصر الأسلوب السردي أو الوصفي أو التقريري أو التصويري . وكل لون من هذه الأساليب موجود بصورة ما في هذا المثل :

من الأسلوب السردي : (جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب)

ومن الأسلوب الوصفي : (وحففناهما بنخل)

ومن الأسلوب التقريري : (وجعلنا بينهما زرعا) ثم من الأسلوب التصويري .

(وأحيط بثمره ـ فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها) .

إذن نأخذ من هذا كله عناصر العمل القصصي :

١) عنصر الفكرة ٢) عنصر الصراع ٣) عنصر الأشخاص ٤) عنصر الأحداث ٥) عنصر البيئة ٦) عنصر القيم ٧) عنصر الأسلوب بألوانه من أسلوب سردي أو وصفي أو تقريري أو حواري أو جدلي .

ما جعل هذا اللون من الأمثال داخلا في الفن القصصي قبل أن يكون من لون الأمثال وهذا المثل درس مجسم نابض بالحياة والعظة وهو اعتراكي الضمون والهدف وانتمى الأسلوب مثالي التوجيه وفي الختام وعقب هذا المثل القصصي نرى مثلا آخر

هو : مثل الحياة الدنيا .

الدكتور محمد محمد حماد

- ٣ -

مثل الحياة الدنيا
في سورة الكهف

مثل الحياة الدنيا

(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا) آية (٤٥) من سورة الكهف .

وهذا المثل يصور مراحل الحياة فهي كمثل ماء أنزله الله من السماء فاختلط به نبات الأرض فاخضر النبات وأينع ثم صوحته الأيام ولوحته الأعوام فأصبح متكسرا متفتتا تفرقه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا .

فهنا مراحل أربع :

١) نزول الماء من السماء . ٢) اختلاطه بنبات الأرض .

٣) اخضرار النبات وإثماره . ٤) تهشم النبات وتكسره .

وهذه هي الصورة المقيسة عليها الحياة فهو من التشبيهات المركبة التمثيلية . وإذا كان من مغزى كامن في المثل . فهو : عدم الانخداع بالحياة ، وهو : الدلالة القوية على قدرة الله .

على أن الآية التي على إثر هذا المثل تحتوي على حكمة واقعة أي تصوير ما هو كائن . كما تقرر حكمة مثلي لإيثار ما ينبغي أن يكون وهذه هي الآية : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) آية رقم (٤٦) من سورة الكهف .

وواضح آية ختام هذه الآية المعقبة على مثل الحياة الدنيا - قريب من ختام تلك الآية التي أعقبت مثل الرجلين .

على أن آية المال والبنون والباقيات الصالحات يصح أن تكون حكمة واقعة وحكمة مثلي يصح أن تكون حكمة واقعة وحكمة مثلي تابعة من فلسفة " مثل الرجلين " . فقد رأينا كيف كان الكافر من أخيه مالا وجاها وأعز نفرا وأنصارا وهذه زينة الحياة كما شاهدنا كيف أحيط بثمره فالمسكين يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول : (يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) . وكيف تخلى عنه أولاده وأنصاره ونفره إذ لم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا .

وهذا كله معنى الحكمة واقعة المصورة لما هو كائن وهي : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا " ثم ختام مثل الرجلين (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبى) - يلتقي مع هذه الحكمة المثلي المقررة لما ينبغي أن يكون : (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) .

ثم مثل الحياة الدنيا - نفسه - قد نبع من مثل الرجلين أو من قصة الرجل الكافر المغتر المفتون بماله الكثير وأنصاره المعدودين . وقد رأينا صورة الحياة الدنيا في الجنتين اللتين كانت كل منهما عروشا لأشجارها ولم تظلم منه شيئا وكيف أصبحت خاوية على عروشها . ساقطة

الوحدات الفكرية والبنائية والأسلوبية والموسيقية بين مثل الحياة الدنيا وتمثيله وبين مثل الرجلين وتمثيله .

وكما أن قصة أصحاب الكهف قد ذكرت ـ كما رأينا ـ مرتين : مرة قصيرة ذات ثلاثة فصول ومرة أخرى قصة طويلة ذات خمسة فصول . فقصة الحياة قد ذكرت ـ كذلك ـ مرتين ـ من خلال مثل الرجلين في صورة مطولة ثم من خلال مثل الحياة الدنيا في صورة مركزة . مما يوجد مابين البناء القصصي والمثلي في السورة الواحدة وما يتحقق معه من النظم البلاغي في الأسلوب .

وكما أن آيات التخليقات والتقريرات والتصويرات جاءت عقب قصتي " أصحاب الكهف " . فقد جاءت آيات القيامة والحشر ، والعرض ، والحساب والعدالة ـ عقب مثلي ـ الحياة الدنيا مما يقوي مابين التقسيم النظمي من في تعقيبات القصتين وتعليقات المثلين .

وبما يحقق نظرية النظم في كل نقر القرآن عامة وفي كل أفكار القصص القرآني بصفة خاصة الأمر الذي يتحقق به كل الوحدات على خير وجه وأتم مثال .

الدكتور محمد محمد أبو موسى

٥٠٥ ٥٢٩

أمثال الانفاق
في سورة البقرة

الدكتور محمد محمد بدير

(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم (٢٦١) الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢٦٢) قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم (٢٦٣) يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين (٢٦٤)

(ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير (٦٥) أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ؟ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) (٢٦٦) .

من آية (٢٦١) الى آية (٢٦٦)
من سورة البقرة

والتعليق من آية (٢٦٧) الى آية (٢٧٤)
سورة البقرة

هذه مجموعة أمثال تدور حول الإنفاق في سبيل الله وحول التصدق على خلق الله ثم حول الإنفاق بالأموال ابتغاء مرضاة الله ..

والآية الأخيرة من هذه الطائفة من الآيات فيها فكرة القصة المتكاملة المتفاعلة مع تصويرها وتطويرها ومع شخصيتها وتأزمها ومصيرها . كذلك هذه الأمثال الثلاثة قبل هذه الآية الأخيرة فيها تداع في الفكرة وفيها استرسال في الخيال ثم فيها استطراد في التشبيه والتمثيل والتعليل والتذييل فالذين ينفقون أموالهم في سبيل الله مثلهم كمثل حبة طيبة وضعت في أرض طيبة في وقت طيب فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة طيبة مباركة . وليس الثواب هو لهؤلاء المنفقين أموالهم في سبيل الله سبعمائة حسنة فحسب .. إنما هذا الثواب قابل للزيادة والنماء (والله يضاعف لمن يشاء) .

والله واسع كريم يسع سؤال السائلين جواد يعطي كل السائلين وهو عليم يعلم أحوال المنفقين وأموال المتصدقين قد (وسع كل شيء علما) وقابل إنفاق المنفق بأضعاف الأضعاف سعة وكرما . ففي هذا المثل الأول نجد في بذرة الفكرة وامضاءه لعناصر القصة واستمرار لجزئياتها الأصيلة فالحبة توضع في الأرض ثم يعتني عليها وقت ثم تنبت سبع سنابل . ثم توجد في كل سنبلة مائة حبة فكأنه ليها مائة حبة وإذا بنا نأخذ حبة من هذه المائة التي تحتويها

سنبلة من هذه السنابل السبعة لتضعها في الأرض من جديد ولتنبت هذه الحبة سبع سنابل أخرى في كل سنبلة منها مائة حبة أخرى ... وهكذا .. مما لانهاية له وإن كانت له بداية .

وهذا التخيل في هذا التمثيل بهذا التحليل وذلك التطويل .. يعيش فيه التجار الماديون وأهل المهارات حين يوازنون بين الأرباح والخسارات .

وهو إغراء يثيره علم النفس التجاري - كما يدركه علم النفس الاقتصادي . ولهذا الاستمرار في التخيل أشار القرآن هاتين الإشارتين (والله يضاعف لمن يشاء) (والله واسع عليم) وذلك من قبيل التقريب والتحقيق لهذا الثواب الذي يظنه بعضهم مجرد إغراء للإعطاء وإن لم يكن له حقيقة مقابلة للجزاء . للجود .

وهذه علة فيها الضاعفة .. وضاعفة ذيلت بعلة أخرى ثابتة وثابتة من الوقف ومن بيئة المثل وهي مقررة يسلم بها تسليما لله بديهيات واعترافا بالحقائق الشاهدات .

ومن ثم ارتفع التخيل بهذا التدليل إلى سماء الواقع الحق وإلى آفاق الحقيقة الثابتة وحينئذ يستقر المعنى ويستمر الخيال ليثبت نتائج باهرة ويولد أربحا مضاعفة لأن البذرة موجودة ولأن الحبة تزيد كلما وضعت في الأرض وهيئات لها أن تحيى أو تنتهي .

فالتذييل هنا في آخر الآية التي تحتوي على هذا المثل بمثابة التعليل الذي يقرر فيه المثل ويحقق وبمثابة الركيزة التي يبنى عليها المثل ويطبق .. إذ هو - بمضمونه وواقعيته - موجود قبل وجود الأمثال وثابت هنا في هذا المقام وفي كل مجال . ومن ثم كانت له فاعليته وإيجابيته كما كانت له حقيقته وواقعيته .

وإذا كان للإنفاق في سبيل الله قد عرفنا من وجوه الإنفاق في مجموعة الحكايات بهذه السورة - شيئا من هذه الوجوه كالإنفاق للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل .

وإذا كان للإنفاق هذا القدر من الثواب الذي بلغ سبعين ثم هذا القدر الزائد على هذه السبعين .. فإن للإنفاق آدابا وعلى المنفقين أن يحترموها ويراعوها وهذه الآداب هي ترك المن والأذى في الإنفاق حتى لا يمنوا على من ينفقون عليهم وحتى لا يأتوا لهم بما ينفقون به ويكرهون . إذ القول المعروف والكلمة الطيبة والعفو خير أساء والمغفرة لمن ساء خير من هذه الخيرات وأفضل في منطق الصدقات من صدقة يتبعها أذى أو نفقة يتلوها امتنان .. فهذا اللون من الصدقة وذاك اللون من الإنفاق يريق من ماء الكرامات ويأتي بشتى الإهانات ما يبعث بالقياس عليه وبالنسبة له - كل جزع وكل ضياع ..

إذ الحق الأدبي لا يقل عن الحق المادي ولا خير في صدقة يتبعها أذى ثم لا خير في مال يريق كرامة ويبقى ذلا . والله غني عن قبول هذا النوع من الصدقات التي تصحبها إهانات أو تتبعها إيذاءات .. وهو - مع هذا كله - حليم بمن ساء دون قصد ورد بمن

أساء الى خلقه من عند أو غير عمد وإذا وقع منهم فيما مضى من أو أذى .. فعليهم ألا يتبعوا الآن ومن الآن ما أنفقوا منا ولا أذى .. وحينئذ يكون لهم أجرهم عند ربهم وقد عرفنا هذا الأجر الجزيل ولا يكون ثمت خوف عليهم وفي هذا تأمين لهم وتسكين ثم هم لا يحزنون لأنهم مسحوا دموع الباكين واستجابوا لأنات الشاكين ..

وإذن يصدر النداء من الله للذين آمنوا :

(يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى)

وفي هذا من التهديد المثل النطقي والترابط الفكري والتماسك النفسي ما نخشع له ونخضع وما لا يدع فرصة لعاقل تضوع عليه إلا واستمسك بها وانتفع لقلا يدركه نقص ولا حرمان بسبب أذى أو امتنان .

ثم يأتي المثل الثاني من أمثال الإنفاق وهذا المثل خاص بإنفاق المرائين الذي يراءون الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فمثلهم كمثل الصفوان وهو الحجر الأملس الذي عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا يابسا أملس كما كان .. وهؤلاء المرائين لا يقدرون على شيء مما كسبوا لأن إيمانهم بالله مختل وتصديقهم باليوم الآخر معطل أو لأنهم لا إيمان لهم بالله ولا باليوم الآخر وإذن فهم لا يعاملون مع الله ولا ينفقون في سبيل الله ولا يرتقبون آخرة لأنهم لا يؤمنون بالآخرة وإذن فليس لهم من الله شيء لا قليل ولا ضعف ولا أقل من القليل أو الضعف ذلك أنهم أنفقوا مالهم رئاء الناس فليتركهم رب الناس للناس والإنسان لا يضر ولا ينفع حتى يتقصهم ثناؤه أو يزيدهم تقريره أو تقديره . فكل ما أنفقوا ولو كان كل أموالهم - بمثابة التراب فوق الحجر الأملس والحجر الأملس لا يبقى عليه شيئا لأنه أملس ثم لا يحس شيئا خيرا أو شرا لأنه حجر .

وهو إذا أبقى قدرا من التراب فإلى أن تهب ريح أو ينزل مطر فوق التراب أو على الحجر فلا يبقى منه ولا يذر ..

وإذن نفى قلوبهم رياء وفي عقولهم صدأ وعلى كواهلهم أعباء وأوزاء من خوف الناس أو لتضليل الناس مما حملهم إلى أن يراءوهم وينسوا الله الخالق وما دفعهم إلى أن يجاملوهم وينغلوا الله الرازق .

وفي هذا الرياء سوء ظن بالله وعدم إيمان به ثم في هذا الرياء عدم إيمان باليوم الآخر لأن المرائي جاهل وقاصر .. فلو كان صادق النظر لآمن بالله إيمانه بالناس أو أكثر ولو كان بعيد النظر لآمن بالآخرة إيمانه بالدنيا أو أكثر .

لكنه - لجهالته وقلة وسوء عقيدته - كافر بالله وباليوم الآخر أو في حكم الكافر (والله لا يهدي القوم الكافرين) .

وهذا المثل الثاني الخاص بإنفاق المرائي قد اشتمل مشاهد سرع أخذ بعضه بحجز بعض وهو يشتمل مراحل قد اقتضت تعدد فصول القصة الثلاثة فهذا :

١) صفوان عليه تراب ٠
٢) فأصابه وابل ٠
٣) فتركه صلدا ٠

مما يجعل المثل هنا فى قوة القصة له مالها من فصول ومراحل ٠
والذى أسهم فى التماسك والتداخل والعظم والإسراع هاتان الفاءان : فأصابه فتركه ثم بداية المثل الخاص بالمراءى ـ يتصل بما وراء المثل فالذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الاخر ـ لا يقدرون على شىء مما كسبوا وهم فى حكم الكافرين ـ والله لا يهدى القوم الكافرين ٠

فهو ـ وإن كان مثل فرد واحد ـ يصلح مثلا لكل فرد ومن ثم يصلح للمرائين أجمعين ـ ولذا قيل : لا يقدرون على شىء مما كسبوا ٠٠ أو لعلهم الناس العاجزون الذين لا يستطيعون أن يجاوزوا هؤلاء المتصدقين رياء إلا بالثناء الذى كذهب فى الريح أو يمحوه الكفر وثناؤهم هذا كإنفاقهم الذى يشبه التراب ومن ثم استقام الأسلوب صدرا وعجزا كما استقامت القصة فى المثل : بدءا وتوسطا وختاما صفوان عليه تراب هذا هو البدء ـ فأصابه وابل ـ هذا هو التوسط ـ أو الوسط فتركه صلدا ـ هذا هو الختام ٠

ثم يأتى المثل الثالث : مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل فالفرق كبير بين من ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وبين من ينفقون أموالهم رئاء الناس وفرق كبير بين الذين ينفقون أموالهم تثبيتا من أنفسهم وبين الذى ينفق ماله وهو لا يؤمن بالله واليوم الآخر ٠ وقد عرفنا مثل المرائى الكافر وبقى أن نعرف مثل المتصدق رضاء الله والمثابت الإيمان بالله واليوم الآخر ٠٠

فمثله كمثل الجنة بربوة من الربوات تسطع عليها الشمس وتحمل لها الدفء والحياة كما يأتى إليها الهواء فيوجد لها الثمار والأزهار وهذا هو الفصل الاول المقابل للفصل الاول لمثل المرائى وهو : صفوان عليه تراب وهذه الجنة أصابها وابل كما أصاب الصفوان وابل وهذا هو الفصل الثانى فى كل من المثلين ٠

غير أن الوابل الذى يصيب الجنة يترك أثرا طيبا غير الوابل الذى يصيب الصفوان فيودى بما يكون ٠ ومن هنا اختلف الفصل الثالث المترتب على إصابة الوابل فى المثلين ٠٠ لاختلاف الفصل الأول فى كل منهما ٠٠ والفصل الثالث : فآتت أكلها ضعفين هذا فى مثلنا هذا ٠ أما الفصل الثالث فى مثل المرائى : فتركه صلدا ٠

وأثر المطر النازل على الجنة يختلف قوة وضعفا ويفترق كثرة وقلة تبعا لاختلاف المنفقين : ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم ٠ إذ المؤمنون مختلفون فى هذا التثبيت وفى ذلك الابتغاء لذلك كله اختلف على الجنة بالربوة الوابل الكثير من المطر

والطل الضعيف منه أو القليل والجنة تثمر بهذا وتزهو كما أنها تزهر بذاك وتثمر ٠

أما الصفوان فإنه يحيد كما كان بالوابل القائل عليه في الحال ـ به ليل الفاء ـ يابسا أملس وحينئذ لا يفيده طل قليل ولا وابل كثير إذ أن ما علاه من تراب أذرى به المطر أو ذهبت به الريح ٠

ومن هنا لم تدخل الفاء في الفصل الثاني من الجنة فلم يقل فأصابها وابل كما قيل في الصفوان المقرب فأصابه وابل ـ

لأن الخير ـ هنا ـ في مثل المبتغى رضاء الله ـ متصل ومستمر دائم وإن كثر كثيرا وقل قليلا (فإن لم يصبها وابل فطل) وهذا مرده إلى مقياس الله الواقع للإنفاق من ابتغاء مرضاة وللتثبيت ـ وما يتصل بهما من قريب أو بعيد ـ (والله بما تعملون بصير) ٠

هذه هي الأمثال الثلاثة متداخلة مختلطة بعضها ببعض وحدثا وتعليقا وتعليلا ٠

فالآية التالية للمثل الأول متصلة به شارحة له إذ هي صفات المنفقين في سبيل الله لهم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى وهي تبين مثوبتهم إذ : لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ـ والآية التي بعد هذه الآية متصلة بهذه إذ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى " وصدر الآية التي بعدها ـ نهي الموقنين عن أبطال صدقاتهم بالمن والأذى ٠ وبهذا يكمل المثل الأول بما يشرحه ويفسره وبين أجزاءه وعناصره وأحكامه وحيثياته ٠

ثم يتوصل بصدر آية النهي إلى بداية المثل الثاني الخاص بالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ـ فيتوصل إليه بكاف التشبيه بما يلحق الأبطال والإضاعة بالإنفاق المراعي فيه بالإنفاق المصحوب بالمن والأذى ٠٠ فتدخل هذه الأنواع الثلاثة في حكم واحد ٠

وبهذه الكاف التي اشتركت المثلين في حكم واحد وهو البطلان وعدم القبول ـ اتصل المثلان : الأول والثاني بعضهما ببعض كما اتصل من ينفق ماله ثم يتبع ما أنفق منا وأذى بمن ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر اتصال بطلان وعدم قبول ٠

وكما جاء مثل المرائي الكافر موضحا بالضدية والبطلان وعدم القبول : مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى إذ : لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ـ وهذا الأجر يوضحه مثلهم ٠ فهو كجنة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ـ والله يضاعف لمن يشاء ٠

كما جاء مثل المرائي الكافر موضحا المثل الأول يجيء المثل الثالث : مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم ـ موضحا للمثل الثاني : مثل الذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ٠

في البواعث الدافعة على الانفاق في كل من المثلين وان اختلفت هذه البواعث واختلفت توجها لها شهوة المنفق فيها أو عليه أو شحه الجزاء أو حرمانه .

ونجد في هذه الامثال الثلاثة هيمنة الله سبحانه بصفاته وسيطرته على المثلين المتصدق والمتصدق عليه في تحليل نفسياتهم وشخصياتهم وتحليل سلوكهم وأعمالهم وتقييم أحوالهم وأعمالهم وفقا لهذا التحليل وطبقا لذلك التحليل .

ففي المثل الأول : (والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) .

وفيما يتصل بالمثل الاول من توافر شروط الإنفاق المقبول عند (لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وفيما يتصل بالمثل الاول (والله غني حليم) .

وفي المثل الثاني : (والله لا يهدي القوم الكافرين)

وفي المثل الثالث : (والله بما تعملون بصير) .

وكما كان لكل من المثلين : الأول والثاني معان تفريعية وظلال نفسية ومعارف بيانية توضح كلا منهما وتفسره وتكمله .

كان للمثل الثالث الاخير تكملة وتتمة توضحه كذلك وتقرره وهذه التكملة تقوم بها الآية التالية لهذا المثل الثالث الأخير وهي :

(أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ؟ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) .

وهذه الآية - وحدها - قصة كاملة آهلة حافلة فيها الهيئة واضحة وظاهرة وفيها الشخصيات معلومة ومرسومة وفيها الاحداث " متسلسلة " " متطورة " وفيها الفكرة كاملة ومستنتجة ثم فيها العبرة واضح ومستنتج .

وأخيرا - تنتهي الآية بفقرة التبيين الداعية إلى التفكر والتدبر والتأمل فالهيئة في هذه القصة بهذه الآية : جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار لصاحبها فيها من كل الثمرات .

والشخصيات في القصة : أحدكم من العقلاء الموقنين وذريته الضعفاء .

والأحداث مأخوذة من وجود هؤلاء الأشخاص في تلك الهيئة ثم أخذ هذه الهيئة إلى التدمير والتطوير : (فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت) إذن فقد تغيرت الجنة ذات النخيل والأعناب والتي تجري من تحتها الأنهار والتي فيها من كل الثمرات .. تغيرت إذ هبت عليها " ريح عاصف ترتفع دواليها إلى السماء كالعمود نار " فاحترقت بذلك وصوحت بسبب ذلك

فأصبح صاحبها وذريته الضعفاء ضحيتين مشردين بعد الهناءة السابغة وبعد النعيم الكريم . كذلك هذه حال من أساء بعد الإحسان ومن أساء في الإحسان ومن أساء بالمن والأذى والرياء وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر ..

وهذه الفكرة كامنة في هذه القصة وقد أشير إليها بهذا الاستفهام الصدر به هذه الآية : (أيود أحدكم ؟) ـ هذا الاستفهام الذي يحمل على التفكر والتأمل والموازنات والمقابلات والاستنباطات والاستنتاجات وفيه جوابه وصوابه .

فلا يود أحد منا عاقل أن يشرد هو وأولاده الضعاف ولا أن يضيع.

وفي هذه الفكرة يكمن المغزى والهدف ولكل منا أن يتخيل هذه الحياة الهانئة التي يحياها هو وذويه ثم يتخيل هذه الحياة وقد أصبحت طي العدم ..

وكل منا يجيب عن هذه الرواد وفق شعوره الخاص ووفق حبه لنفسه وحبه لأولاده وحبه لسكناه وجنته .

وكل منا يجيب إن استطاع جوابا أو يهز رأسه مستفهما مستفسرا حينما يرى جنته قد احترقت ويصير نفسه مشردا وذريته ضحيتين . كل هذا وأكثر من هذا توحي به هذه الآية في هذه النهاية .

ولهذا النظم المعجز دخل في هذه الأشكال الثلاثة في لهذه التعبيرات الضخمة هذه الآيات .. أشار القرآن إلى ما يهدف إليه بمنهجه في تعيين الآيات من رجاء التفكر والتأمل والتصور والتخيل ومن أجل النفع والانتفاع والبعد عن البطلان والخسران والضياع.

ومن ثم جاءت مجموعة من التعليمات في آيات تلي هذه الآيات .. تتصل بالإنفاق وفلسفته وموازينه المفوحة وثوابه المادي الملموس وطرق القصد في العلنية والخفية وثواب كل وهدى الإنفاق وبدى عوده على المنفق عاجلا أو آجلا وتبين أحوال الفقراء الشرفاء الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف كما تبين سرية الإنفاق وعلانيته .

كل أولئك تحتوي عليه الآيات من رقم (٢٦٢) إلى آية (٢٧٤) من سورة البقرة كما أوضحت إلى ذلك من قبل .

الدكتور محمد محمد بدير

مثل أصحاب القريـــة

قصة في مثـــل

الدكتور محمد محمد أبو ليلة

الدكتور محمد محمد أبو ليلة

ما بين آية (١٣) وآية (٢٧) سورة يس

هذه قصة في مثل وقد مهد لها بآيات بأنه قد : (حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) و (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) .

(انا نحن نحيي الموتى ، ونكتب ما قدموا وآثارهم ، وكل شيء أحصيناه في امام مبين)

أي من أول السورة الى آية (١٣) ثم يأتي التعقيب من آية (٢٨) الى (٣٠) .

وهذا المثل قصة حوارية مثلية تمثيلية ، تصلح مسرحية .

وهي من قصص الدعوات التي تعتمد عليها الرسالات ففيها اشارة الى شبهات الكفار في كل عصر ومصر ومع كل رسالة ورسول .

مثـل : قضية البشرية والرسالة : هل تتفقان أو تفترقان ؟

ومثل شبهة التكذيب . ومثل : دعوى التطير والتشاؤم بمقدم الرسل .. ومثل نغمة التهديد ، والتخويف ، والتقاعس الرسل عن تبليغ رسالاتهم .

ثم هو مثل يحتوي على أهداف كبرى ، تضرب للدعاة الذين يضطلعون بأمانة الدعوة وللهداة الذين يقومون باصلاح المجتمعات ، مثل تثبيت لهؤلاء ، وقصة تأكيد لأولئك ، وحوار تلقين ، وتمهيد تعريف ، وتعقيب توضيح لهم جميعا .

(واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ، اذ جاءها المرسلون)

فأصحاب القرية موجودون ، ثم هم مذكورون ، وقد جاءهم المرسلون . فالهيئة القصصية ماثلة في القرية ، وأشخاصها الثابتون فيها ، وبها ، ثم أشخاصها الوافدون جاءوها في مفتتح القصـــة .

(اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهمـــا)

فهاتان مرحلتان متفرعتان من مجيء المرسلين ، ارسال رسولين ، وتكذيب من أصحاب القرية لهذين الرسولين .

(فعززنا بثالث) ، وهذا بدء المرحلة الثالثة ، تقوية الاثنين المكذبين برسول ثالث

وهذا هو جانب السرد الوصفي ، أو الوصف السردي ، ثم يتكفل الحوار بتبيين مبادئ الدعاة والهداة ، وتوضيح عقبات الرسالات ومعوقاتها .. والحوار يدور بين الرسل ، وبين أصحاب القرية :

(فقالوا : انا اليكم مرسلون ، قالوا : ما أنتم الا بشر مثلنا ، وما أنزل الرحمن من شيء ، ان أنتم الا تكذبون) .

(قالوا : ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ، وما علينا الا البلاغ المبين)

وهنا حوار بليغ قوى ،واضح ، مؤثر ،يأتى الكلام فيه مطابقا لمقتضى الأحوال ، فالرسل يوضحون مهمتهم فى جملة : (انا اليكم مرسلون)

فأصحاب القرية يقابلون اخبارهم هذا الذى يتضمن طلبا انشائيا ،مثل : آمنوا وصدقوا ،أو كونوا معنا ، أو ما الى ذلك كله .

يقابلون هؤلاء الرسل بالتكذيب المكرر ، ثلاث مرات ، متتاليات :
(ما أنتم الا بشر مثلنا ، وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون .)

ومن هنا قابلهم الرسل بثلاث مؤكدات ، تزيل هذه الشبهات ،وتلك الاتهامات :
(ربنا يعلم ،انا اليكم لمرسلون ، وما علينا الا البلاغ المبين) فهناتوكيد بالقسم فى (ربنا يعلم)

وفى الآية الثانية عدة توكيدات : باسمية الجملة لمن يراها مؤكدة ،وبان ،وبتقديم الجار والمجرور ،وباللام الواقعة فى خبر ان .
ثم فى الآية الأخيرة : توكيد بالقصر ،ومن ثم انقطعت حجج القوم ،وأمحت شبهاتهم فلم يستمروا فى الحجاج ،أو فى الحوار بل هربوا الى السفاسف يتذرعون بها ،وعمدوا الى التوافه يرددونها :

(قالوا : انا تطيرنا بكم .. لئن لم تنتهوا لنرجمنكم .. وليمسنكم منا عذاب أليم)

(قالوا : طائركم معكم ،أان ذكرتم ؟ بل أنتم قوم مسرفون)

قحة ،وسوء خلق ، وجهالة ، وقلة أدب ،متمثلت فى شتائم أصحاب القرية ،تقابلها : حكمة رائعة ،وايجاز لماح ،واضراب عن السفاهات والمهاترات ،الى وصف الأحوال ،وتحليل النفسيات والشخصيات ،كل هذا على لسان الرسل :

(انا تطيرنا بكم) (طائركم معكم) (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم)
(أان ذكرتم) ترجمونا ؟ (وليمسنكم منا عذاب أليم)
لستم معتدلين ،ولا عادلين ، (بل أنتم قوم مسرفون) .

بلاغة حوارية ،وحوار بلاغى ،فى قصة مقلين ،وفى مثل قصصى .

كلام لا تزيد فيه ولا نقص ـ يؤكد فى موطن التأكيد ويوجز فى موضع الايجاز ،ويطنب فى مقام الاطناب ويطابق مقتضيات الأحوال النفسية ، والذهنية ،والأدبية ،والبلاغية ، والموسيقية .

فيجمع بين عناصر الأسلوب الأدبى البليغ ،وهى : الوضوح المبين ،والقوة المؤثرة والجمال المتع .

وهذا هو الفصل الأول من القصة

تمهيد أ الفصل الثاني :

اذ يجيء من أقصى المدينة ـ رجل يسعى ، وهو في هذا الفصل يستقل بالحوار الذي ينبيء عن دفعات دينية ، وشعورية ، ومنطقية ، وفلسفية ، وتأثرية ، وتأثيرية .

كما يوحي بحوار من القوم للاستضاح منه ، وللتعليل :

(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى)

وهذا هو الوصف السردي ، الذي يتصل بالوصف السابق في أول الفصل الأول . وهنا شخصية جديدة ظهرت ، وهنا حركة عضوية بدت . فقد جاء من أقصى المدينة ، وفي هذا مجهود واهتمام ، تنبيء عنه الهيئة ، والسمات ، والعرق ، واللهجات .

كما يدل عليه الحوار المتقطع ، والدلالات الشعورية والنفسية ، والدينية ، والتأملية المختلفة ، والقوم يقفون لهذا الذي جاء يسعى من أقصى المدينة ـ ليعزز هؤلاء الرسل الوافدين ، ومن هنا تغلب تعليقاتهم ، ولا تسمع ، ولا تكاد .

وهو رجل ، لأن هذه مهمة الرجال ، الحقيقية ، ولأن هذا موقف الأبطال ، الحق : أن يجهر الانسان بفكرته ، وأن يجأر بعقيدته ، أمام الملأ ، في صلابة وعلانية ، وفي تحد ، وقوة ، ثم في اصرار وايمان .

هذا هو مقياس الرجولة الحق ، الذي يعرف به الرجال وقت المخاوف ، والمخاطر ، والأهوال .

فهو ليس رسولا يضم الى الرسل الثلاثة ، ولكنه رجل ، ورجولته هذه هي التي دفعته الى أن يسعى من أقصى المدينة ، ليدلي بشهادته ، ويجهر بعقيدته ، مع هؤلاء الرسل وأمام أصحاب القرية ، الذين يهددونه ، ويتوعدونه .

(قال : ياقوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسألكم أجرا ، وهم مهتدون ، ومالي لا أعبد الذي فطرني ، واليه ترجعون)

(أأتخذ من دونه آلهة ، ان يردن الرحمن بضر ، لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ـ اني اذن لفي ضلال مبين ، اني آمنت بربكم ، فاسمعون)

فهو ينادي فيهم : ياقوم ، فيذكرهم برجولتهم ، حتى يكونوا رجالا حقيقيين ؟ ، وحتى يتبعوا المرسلين ، ما داموا مرسلين ، مخلصين ، ليسوا بطامعين ، ولا انتفاعيين ، لا يسألونكم أجرا ، كفاء مجيئهم من أجلكم أو نظير اصطبارهم معكم ، ولا يطلبون منكم شكرا ، لقاء هدايتهم اياكم ، ثم هم مهتدون ، الى جانب كونهم مرسلين ، وهادين ، وداعين .

فاتبعوا المرسلين ، لأنهم مرسلون ، واتبعوا من لا يسألكم أجرا ، لأنهم لم يسألوكم أجرا ، ثم اتبعوا المهتدين ، لأنهم مهتدون .

وهذا هو الجانب الأول ، يحمل نصح ذلك الرجل الجرىء .

ثم هنا مجال لسؤال ، وكأنه قد قيل في الزحام ، ولم يسجل ضمن الكلام ، اما للاكتفاء بالاشارة اليه ، أو بالدلالة عليه ، واما لمعرفته دون تصريح به ، واما لأن الحوار يطوى اجابته ، واما لبهوانه واستهانه ، وتفاهته ، واما لوصل كلام الرجل ، دون قطع له أو تشويه وليدل على أن اخلاص الرجل ، جعله يلقى الكلام متنقلا من معنى الى معنى ، ومن فكرة الى فكرة ، ومن حالة عامة ، الى حالة خاصة ، ومن فكرة دينية ، الى مشاعر شخصية وشعورية ، أو ليدل على آثار متابعه ، في سعيه من أقصى المدينة ، الى أقصاها .

وهذا السؤال المقدر الذى يمكن أن يقع ، كما يمكن أن يتصور :

وهل اتبعت هؤلاء المرسلين ؟ وهل عرفت الله عن طريقهم ؟ ثم هل عبدت الله مثلهم ؟ أكثر من سؤال ، يتحمله هذا المجال ، ويمكن أن يثار ، لتم به هذا الحوار ، كما يمكن أن يتصور وقوعه على ألسنة رجلين أو ثلاثة من أصحاب القرية ، الذين يوجه الرجل اليهم الكلام ، يدل على هذه الأسئلة ، هذا القول :

(ومالى لا أعبد الذى فطرنى ؟)

وهذا هو الدليل الخاص ، أو الدليل الشعورى ، والمادى ، الذى يقنع به نفسه ويقطع شبهات هؤلاء المكذبين ، المتمنعين ، المتوعدين ، ثم يترقى فى الدليل ، ليشملهم معه : (واليه ترجعون)

اذن فأنت تعبده حقا مثلهم ؟ ، واذن فأنت لا تتخذ من دونه آلهة كما نفعل ؟ أتتخذ من دونه آلهة ؟ ولم لا ؟

(ان يردن الرحمن بضر ، لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ، ولا ينقذون ؟)

ثم انى — اذ فعلت ذلك — لا قدر الله — لفى ضلال مبين — وكأنهم لا يكادون يصدقون لانهم فقدوا رجلا قويا ، جريئا ، ذا شخصية ، وذا لسن ، ونطق ، وحجة ، وبيان ، وخطابة ، وذا جدل ، وحوار ، وصراحة .

ثم هم لا يكادون يسمعون — من الزحام ، أو من تراكم الكلام ، أو لسماعهم ما لم يألفوا أو لعدم فهمهم من لم يحرفوا ، أو لغضبهم الشديد ، أو لصخبهم العنيد ، أو لانشغالهم فى الانتقام منه ، كى يخرسوه اذ يقتلوه .

ومن هنا يجار بأعلى صوته ، مؤكدا ايمانه بربه :

(انى آمنت بربكم ، فاسمعون)

وهذا هو نهاية الفصل الثانى

اذ يشبهى ـ كما يقال ـ بقتله «واستشهاده» ، والقرآن لا يذكر موته «لأنه ـ وان استشهد «لم يمت «بل هو حى » فى ضمير الدعوات ، وهو حى بكلماته الخالدات «وهو حى فى الجنة التى يحيا فيها » والتى يرزق فيها شعوره» وموقفه البطولى » الرجولى الانسانى «حتى وهو فى الجنة » ثم موته ـ هنا ـ هو نقله القصة من مشهد الى مشهد » ومن موقف الى موقف » فهو يشغل الفصل الثالث فى الجنة » كما شغل الفصل الثانى فى الدنيا • ثم موته تكريم » أو فرصة للتكريم » من الله الذى اشتراه منهم » واصطفاه •

ويبدأ الفصل الثالث » بهذا التكريم : (قيل : ادخل الجنة • قال : ياليت قومى يعلمون «بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) •

فنفسيته هنا ـ لم تتغير ـ هو يتمنى لقومه الخير » حتى ولو قتلوه «وهو لم يكن لهم البغض «حتى ولو أهلكوه » ثم تشبعه بنزعة الاصلاح والارشاد «قد يبعث معه » بل لم يمت «لأنه لم يمت «اذ لم يصرح بكلمة واحدة عند موته •

ثم هؤلاء القوم القتلة قومه » فلم يتبرأ منهم وان قتلوه «بل ضمهم الى نفسه «وأضافهم الى شخصه » وتمنى لهم أن يدركوا سر تضحيته «ومغزى استشهاده » «فينتفعوا بها قبل أن تضيع الفرصة «ثم يؤمنوا بالرسل قبل فوات الأوان • ثم يأتى التعقيب » أو التعليق الذى يحمل وجهة النظر «أو رأى القرآن » كما يبين المغزى الخاص » أو الهدف العام :

(وما أنزلنا على قومه من بعده » من جند من السماء «وما كنا منزلين » ان كانت الا صيحة واحدة «فاذا هم خامدون » ياحسرة على العباد » ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون •

فالمتتبع لقصص القرآن «وقصص القرى فيه «يجد أن القرآن لا يسكت عن أمثال هؤلاء الأقوام «ولا يرحم أمثال تلك القرى :

(ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون ؟)

واذن فكان السياق المنتظر ـ كما هو المعروف المألوف ـ أن تحل بالقوم صاعقة أو صيحة «أو مطر مهلك «وعذاب مستأصل «أو ما الى ذلك «جزاء قتلهم رجلا آمن بربه» وصدقه ايمانه » ودافع عن عقيدته «وأيد رسله •

فاذا كان الله قد انتقم من ثمود بسبب الناقة «اذ أخذهم بالرجفة «فأصبحوا فى ديارهم جاثمين » فالأولى أن ينتقم من هؤلاء القتلة المعتدين «الذين قتلوا رجلا جاء من أقصى المدينة يسعى » ليدلى بشهادته «وليتوكد ايمانه وعقيدته •

ثم مضمون القصة منشور في قصص المرسلين ،وفي ملحمة الجن ،الدينية . فتكذيب أصحاب القرية هؤلاء الرسل ،وتفهيم بين البشرية والرسالة ، سبق أن أثاره أقوام الرسل ،المكذبون .

وقصة نوح ، وهود ،في جملة واحدة : (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم ،على رجل منكم ،لينذركم ؟)

وادعاء التطير والتشاؤم بسبب مقدم هؤلاء الرسل له مثيل ونظير على ألسنة آل فرعون في رواية الانتقام ،اذ تطيروا بموسى ومن معه ،ألا انما طائرهم عند الله ، ولكن أكثرهم لا يعلمون) سورة الأعراف .

وتهديد أصحاب القرية هؤلاء الرسل ،بالرجم ،وبالعذاب الأليم ،يلتقي به من بعيد أو قريب ـ مع وعيد فرعون قوم موسى : (قال : سنقتل أبناءهم ،ونستحيي نساءهم ، وانا فوقهم قاهرون) الأعراف ، ويقرب منه تهديد مدين شعيبا : (لنخرجنك ـ ياشعيب ـ والذين آمنوا معك ،من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) .

كما يقرب منه قول قوم لوط ،في آل لوط : (أخرجوهم من قريتكم ،انهم أناس يتطهرون)

ثم قول الرجل المؤمن ، في قصة أصحاب القرية : (أأتخذ من دونه آلهة ،ان يردن الرحمن بضر ،لا تغن عني شفاعتهم شيئا ،ولا ينقذون)

يلتقي مع تلقين الله رسوله هذه الحقائق الكبرى في سورة الجن : (قل : انما أدعو ربي ،ولا أشرك به أحدا ، قل : اني لا أملك لكم ضرا ،ولا رشدا ، قل : اني لن يجيرني من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحدا) .

كما يلتقي مع لمحة الأصنام في سورة الأعراف : (أيشركون ما لا يخلق شيئا ،وهم يخلقون ؟ ولا يستطيعون لهم نصرا ،ولا أنفسهم ينصرون ،وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم ،سواء عليهم أدعوتموهم ؟ أم أنتم صامتون ؟ .)

فهذا المثل ـ كما رأينا ـ قد صور في قصة ، فهو من قبيل " المثل القصصي " أو من قبيل : " القصص المثلي " أو " القصص التمثيلي " ،اذ يقع في ثلاثة فصول كما بينت ، وله بداية ينطلق بها ،ومنها : (اذ جاءها المرسلون) فوله بينة مكانية وهي : (القرية) ، وبينة زمانية (اذ جاءها) ، وأشخاص مقيمون (أصحاب القرية) ثم أشخاص طارئون ،وان كانوا أصلاء في القصة ،وأبطالا فيها حقيقيين : (رسولان ، ثم ثالث ،وهم المرسلون) .

والفصل الأول قائم على هؤلاء : أصحاب القرية ، والمرسلين .
ثم يعتمد على السرد الوصفي ، كما يعتمد على الحوار البلاغي ، أو الفني الدقيق .

لكن هذه الصيحة المنتظرة لم يحن وقتها بعد :

(وما أنزلنا) (وما كنا منزلين) (ان كانت الا صيحة واحدة) ـ اذا جاء أوانها ، واذا جاءت ـ فهم خامدون . ولا مجال لتعجل ، فكأنها جاءت ... وكأنهم هلكوا ، وكأنهم خامدون . . وكأنك تقف على أطلالهم ، وأشلائهم تردد : (ياحسرة على العباد ، ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون)

وهذا المغزى موجود في بداية السورة ، التي هي بمثابة المدخل الى القصة ، أو بمثابة الفكرة الأساسية للسورة .

والقصة قد جاءت في ثوب مثل ، ليساق لتعزيز هذه الفكرة ، وتأكيد معاني ، وأهداف السورة ، شأن كثير من القصص ، في كثير من السور .

وقد أشرت الى كثير من هذه الأفكار في الآيات التي مهدت لهذه القصة ، وضاف اليها :

(يس ، والقرآن الحكيم ، انك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم ، لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ، فهم غافلون)

ثم تبين هذه الآية من يستفيد من دعوة الرسول ، وانذاره : (انما تنذر من اتبع الذكر ، وخشي الرحمن بالغيب ، فبشره بمغفرة ، وأجر كريم)

تماما كما انتفع بانذار أولئك الرسل ، هذا الرجل المؤمن ، الذي يخشى الرحمن على رحمته ، يخشاه في غيبته ، أو رخائه ، فضلا عن شدته أو عذابه ، ومن ثم كانت له البشارة بالمغفرة ، وبالأجر الكريم .

ولنضع أمثال هؤلاء المجاهدين بالرأي ، وبالكلمة ، فالله يحيي الموتى ، ويكتب ما قدموا ، وآثارهم ، وكل شيء أحصاه في كتاب مبين) .

ولنضع أمثال هؤلاء

وهذه المعاني : (انك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم) تلتقي مع شهادة ذلك الرجل ، في أولئك المرسلين : (اتبعوا المرسلين ـ اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون)

ثم رأينا تكريم الرجل الشهيد في الجنة ، وهذا تلتقي مع آية البعث ، هذه :

(انا نحن نحيي الموتى ، ونكتب ما قدموا ، وآثارهم ، وكل شيء أحصيناه في امام مبين)

ثم هذه المعاني مبثوثة في السور التي مر ذكرها ، مثل : (انا نحن نحيي ونميت ، واليها المصير) ومثل : (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) في سورة ق ، ومثل : (ولقد أهلكنا أشياعكم ، فهل من مدكر ؟ وكل شيء فعلوه في الزبر ، وكل صغير ، وكبير مستطر) في سورة القمر .

أما الفصل الثانى ـ فيبدأ بمجئ « رجل يسعى من أقصى المدينة ـ وهذا هو الزمن والمكان الذى انطلق منه الرجل ، ووصل اليه ، وفيه حادثة المجئ ، وكيفية المجئ » .

ثم هذه هى الشخصية الوافدة ، أو المنمية للأحداث ويقوم هذا الفصل على أشخاص الفصل الأول ، وان لم يتكلموا صراحة ، كما يقوم على هذا الرجل المؤمن الشجاع .

وقد صور الفصل الثانى على الوصف السريع البليغ فى : (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) .

كما صور فى الحوار الفردى ، الذى يقوم على « تطوير » الأحداث ، وتوضيح الشخصية ونموها ، والذى يحمل معانى ثانوية ، تشقها المعانى الأولية ، أو الأساسية .

كما يوحى بحوار ضمنى ، يقدر وان لم يذكر ، لتتسق الدفقات ، والأفكار ، والمشاعر التى تنتقل من فقرة الى فقرة فى وضة خاطفة ، أو فى لمحة عجلى .

أما الفصل الثالث ، فيقوم على شخصية تسمع ، اذ تقول : (ادخل الجنة) ، كما يقوم على ذلك الرجل المؤمن الشهيد الذى دخل الجنة ، بحيث يسمع قوله ورجاؤه ، وعظته من الدار الأخرى ، للدار الدنيا :

(ياليت قومى يعلمون ، بما غفر لى ربى ، وجعلنى من المكرمين) .

ولأن القصة قصة انتصار المؤمنين على الكفار المكذبين فقد طوى فيها ذكر الموت ، وسجلت فيها كلمات الاستبشار ، واستحال الموت فيها خلودا ، فى دار التنزيم والخلود ، بحيث صار موت هذا الشهيد موتا لأولئك الأقوام ، الذين تنتظرهم الصيحة الواحدة ، فاذا هم خامدون وترتقبهم المرثية الفاجعة : ياحسرة على العباد ..

وذكر القوم فى الجنة ـ ربط بين الفصول الثلاثة بعضها ببعض ، مما ألف ما بين وحدات القصة العضوية ، والنباتية ، فى قوة ، وفى دقة واحكام ، فالقصة بدأت بمشاهدة أصحاب القرية ، وانتهت بذكر ، أو تذكير أصحاب القرية . ثم نهاية التعليق :

(ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) فيه اشارة الى المرسلين فى القصة ، وفى غيرها ، بل فيه اشادة بهم من خلال الهزء ، أو من خلال الانتقام لهم ..

فهى قصة انتصار : انتصار فى المعانى والأفكار ، وانتصار فى السرائر والأسرار ، من خلال التمهيد والتعقيب ، وما بينهما من قص ، وسرد ، وحوار .

والقصة ـ بجوارها هذا ـ تلقين قرآنى للرسول عليه السلام ـ أن يجيب عن شبه الكفار والمكذبين فى قضايا البشرية والرسالة ، وفى اتهام الأدعاء والتكذيب ، وفى دعوى التطير والانتفاعية ، وفى قضية العبودية الحق ، والوثنية الآثمة .

٥٢٥ ٥٢٤

كما أن القصة مسوقة بأسلوب مثل «ليضرب لهؤلاء الكفار «الذى جعل الله فى أعناقهم أغلالا «فهى الى الأذقان «فهم مقمحون «وجعل من بين أيديهم سدا «ومن خلفهم سدا فأغشاهم «فهم لا يبصرون .. وسواء عليهم أأنذرتهم «أم لم تنذرهم لا يؤمنون .

وذلك ليروا بأعينهم «ويسمعوا بآذانهم «شبهاتهم الواهية «وتعنتهم السليط «وتكذيبهم العنيد «وليسمعوا حجج القرآن القوية «على لسان المرسلين «وعلى لسان هذا المؤمن الشهيد فينزجروا اذا كان لديهم عقل «ويقصروا اذا كان لهم صواب .

كما أن القصة مسوقة — قبل سوقها لأولئك المتعنتين الى من ينتفع بالذكر «فيتبعه «ويخشى الرحمن بالغيب — وحينئذ تكون له البشرى بالمغفرة «وبالأجر الكريم «كما غفر الله لذلك المؤمن الشهيد «وجعله من المكرمين .

ثم هى تصوير حى «للبعث الذى تثيره آية : (انا نحن نحيى الموتى) وللجزاء المستفاد «من : (ونكتب ما قدموا) «كما أنها اعتراف برهانى «وبلاغى «وفلسفى «بأن القرآن محكم «يضع كل لفظة «بل كل حرف فى لفظة «بميزان دقيق «ولسبب متين .

فعندما كذب أصحاب القرية «الرسولين الاثنين «عزز الله رسالته ورسوليه «برجل ثالث وقد صوت هذا كله :

(اذ أرسلنا اليهم اثنين «فكذبوهما «فعززنا بثالث)

فهنا البنية الزمانية : تدل عليها لفظة " اذ " أرسلنا اليهم — نعرف منها وجهة الرسولين الاثنين — أى رسولين اثنين «مستفادين من مادة أرسلنا «فكذبوهما — دلت على سرعة التكذيب «فعززنا دلت على تعاقب التعزيز بلاتراخ .

ثم حذف الفعول للتعميم «والاحاطة «والايجاز فعززنا الرسالة «أو أمرنا «أو قضينا أو قضايا الرسالات كلها «أو عززنا الرسولين «أو عززنا الفكرة الاسلامية «التى هى خلاصة كل الرسالات «فى جميع الأزمنة «والأمكنة «وعلى لسان الأنبياء والمرسلين .

(بثالث) — برسول ثالث — وهكذا .

ثم هذا الوصف السردى «أو السرد الوصفى «يعتمد — كما نرى — على التسلسل المنطقى والزمنى «والحدثى : (أرسلنا — فكذبوهما — فعززنا — فقالوا) .

سرعة منظمة «ودقيقة «لا تختل «ولا تهتز . ثم الى جانب هذه السرعة «فرصة للمتحاورين من أصحاب القرية «ومن المرسلين .

فلكل من هؤلاء «ولأولئك فرصة ليعرض شبهاته واتهاماته «وليؤكد حقائقه ومقرراته .

فأصحاب القرية يتهمون ثلاثتهم «كما عرفنا : (ما أنتم الا بشر مثلنا «وما أنزل الرحمن من شىء «ان أنتم الا تكذبون) .

وكلها في دفعة واحدة ، أو دفعات متتالية متوالية ، والمرسلون يسكتون عنهم ، ولهم يستمعون .

ثم هم يسكتون ، ولهم ينصتون ، ليجيبوهم ، ويؤكدوا لهم بما يزيل انكارهم ، وتكذيبهم وشبهاتهم : (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ، وما علينا الا البلاغ المبين) .

فهنا كما نرى ـ دقة في التعبير ، تظهر في زيادة توكيد باضافة حرف اللام في المرسلين فالآية الرابعة عشر : (انا اليكم مرسلون) ، والآية السادسة عشر : (انا اليكم لمرسلون)

وذلك لتتوافق المعارضة البيانية ، مع الحالات النفسية والذهنية ، وتصاحب تطورات القصة القرآنية ، واطراد الأحداث الداخلية ، في محيط الشخصية ، والأحداث الخارجية في الوجود الواقعي .

كل هذا يبرر القسم بالقرآن الحكيم ، على أنه قرآن حكيم ، وهذا اعجاز داخل اعجاز .

ثم مضمون القصة في الفصل الثاني :

(اتبعوا المرسلين ـ اتبعوا من لا يسألكم أجرا ، وهم مهتدون)

تعزيز للمقسم عليه بالقرآن الحكيم ، وهو : (انك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم)

ثم لطف الله بهؤلاء القتلة المكذبين ، المعاندين الذين لا يصدقون بقسم ، ولا توكيد ولا براهين ، والذين يقتلون رجلا يسعى ليهديهم ، لا ليردهم .. هذا اللطف بهؤلاء الأقوام ، تحقيق لاسم الله الرحيم .

كما أن تعزيز الرسولين بالثالث ، بعد هؤلاء بالحجج ، ثم تأييدهم برجل رابع تحقيق لاسم الله العزيز ، وهذان الاسمان ، من تنزيل العزيز الرحيم ، لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون .

واذا كان هذا المثل من قبيل المثل القصصي ، أو القصص المثلي ، أو التمثيلي ، فان في آخر سورة يس هذه ـ مثلا آخر ، من نوع آخر ، نعطيه وصف الملائم ، بعد أن ندرسه سريعا ، لنأمن شر العثار ، وعبث الارتجال .

وها هو ذا مثل : " الانسان الخصيم "

ب ـ مثل الانسان الخصيم

من آية (٧٧) الى آية (٨٣) ، سورة يس

(أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة ، فاذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ، ونسي خلقه ، قال : من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون)

أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى ، وهو الخلاق العليم ، انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون) من آية (٧٧) الى (٨٣) سورة يس .

هذا مثل الانسان المنكر للبعث ، خلقة الله من نطفة ، عرفنا من قبل مستقرها ومجراها تخرج من بين الصلب والترائب ..

وكان فى الامكان أن يرجعها الى مستقرها هذاك ، فلا تصبح ماء دافقا ، ينطلق فى سرعة ، ويعرق فى قوة ، فلا تتصل برحم المرأة ، حتى لا تحمل حملا خفيفا تمر به ، وحتى لا يتطور هذا الجنين وليدا يخرج الى الوجود ، فينمو ، ويكبر ، ويشب ، ويقوى ، ويستغنى ويستعلى ، ثم يحارب الله فى رسله ، وفى أنبيائه وفى حزبه ، وأنصاره ، وأوليائه ، وفى دعاة دينه ، وهداة شرعه .

ثم يمتد خصامه وعناده الى الله ، فينكره أو يكفره ، أو يجحد خلقه وعلمه ، وقدرته ، وقوته ، على بعث الانسان من جديد ، واعادة الحياة فيه كما كان ، قبل أن يتجرع غصص الممات

ثم انه يستطيع اذا ابتغى الدلائل الحسية ، والبصرية ، والسمعية ، والأولية أن يصل بها الى حقية البعث ، وحقيقته .

فقد جعل الله له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهداه النجدين ، ليبصر بعينيه هاتين الى كتاب الطبيعة الرحيب ، فيرى كون الله القائم ، على علم الله ، والمنبىء عن قدرته فى ملكوته وعظموته .

ويكشف أستاره عن السفارات العقيمة ، وينطق بالحجج القويمة ، ويأتى بالبراهين المحسة والأدلة الشاهدة ، التى توصله الى الآراء السديدة الرشيدة ، كما توصله الى من بيده ملكوت كل شىء ، ومن يقول للشىء : كن ، فيكون .

فهذا الانسان لو نظر الى أصله ومنشئه ، لعلم أن الله خلقه من نطفة ، هى سر حياته أو وجوده ، ثم هى سبب حياة الآخرين ، ووجودهم ، الى يوم القيامة ، لكنه يمارى ويشك ويضرب لله ولرسوله مثلا علميا اذ يأتى بعظم رميم ، قد بلى ، وتهشم ، وتكسر ، فيسأل الرسول : أترى الله يحيى هذا بعد مارم ؟ وينفخه فى وجه الرسول ، مستهزئا به ، ساخرا منه ، فيجيب الرسول : (نعم ، ويبعثك ، ويدخلك جهنم) .

ثم تأتى الأدلة القوية ، والبراهين الساطعة لتجيب هذا الذى ضرب مثلا ، ونسى خلقه وقال : (من يحيى العظام وهى رميم ؟) قل (يحييها الذى أنشأها أول مرة) فالذى ينشىء ويبدىء ، اذ الاعادة أسهل من الانشاء والبناء .

والذى يبعث الانسان ثانية ،هو الذى أنشأه أول مرة ، ثم ان الله بكل خلق عليم ،

ومسألة الخلق ،والاحياء ،والاماتة ، والبعث من جديد ،ترتكز على دعائم من القدرة العلمية ومن العلم القدير ، (وهو بكل شىء عليم)

ثم يأتى دليل أقوى وأقهر ،يراه هذا الانسان الخصيم ،بعينيه ،وبسمعه ،أو يسمع عنه بأذنيه ويردده بلسانه ،فى كل شجر نار ،المرخ والعفار ، وهو : انقداح النار من الشجر الاخضر ، فان انقداح النار مع الماء ،مهما بينهما من تضاد أصعب كثيرا من التعاقب بين الحياة والموت ،اذ أن من يقدر على الجمع بين الضدين أقدر على ايجادهما متعاقبين

وهذا دليل أقوى من الدليل الاول ، وأقهر ،وهو : (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ، فاذا أنتم منه توقدون)

ثم يأتى دليل آخر باعتبار الاولى والأجدر ليس محسا بالنسبة للعرب فحسب ،ولا لأمثالهم انما هو دليل أعم ،وأتم .. وهو قدرة الله على خلق السموات والأرض ،

وهذه السموات وتلك الارض ،يراها كل انسان ،فى كل زمان ومكان ،

ووجه الانتفاع بهذا الكون السماوى ، وهذا الكون الأرضى ،هو أن الذى يقدر على خلق السموات ،والارض ،مع عظم شأنهما ــ قادر على خلق ضعاف مثلنا .. بل ان خلق الانسان أهون ،وأيسر ..

يقرر هذا الدليل الأقوى ،والأظهر ،أو الأولى والأجدر ، هذه الآية من آيات المثل :

(أوليس الذى خلق السموات والأرض ،بقادر على أن يخلق مثلهم ؟)

والجواب : (بلى) أى ان الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وذلك لأنه (الخلاق العليم) ثم هو القوى القدير : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن ، فيكون .)

وهذه أدلة سمعية ،تعزز الأدلة البصرية ، والقدرية ، والعلمية ،والمثلية ،السابقة ، فالقرآن حكيم .. ومن مظاهر حكمته هذه الأدلة المتنوعة ،القوية ،المقنعة ،التى تعتمد على حقائق متعددة ،كالتناسليات ، فى النطفة ،وكالأشال التى تقابل الأشال ، فى استخراج النار ، من الشجر الأخضر الذى يقطر الماء ،كما يشير اليه المثل الجاهلى القديم . فالقرآن يستغل هذا المثل ، فى الرد على ذاك المثل ،وهذه بلاغة حكيمة ،وحكمة بليغة .

وحكمة القرآن هى بلاغته ،ووضع كل شىء موضعه ،ثم حكمة القرآن تتجلى فى قصصه وأمثاله ، المتضمنة فلسفات وتوجيهات ،وأدلة تقنع العقول ،والقلوب ،وبراهين تخاطب الأبصار ،والاسماع ،وسائر الجوارح والجوانح .

ثم بجانب استدلال القرآن مثل العرب في كل شجر نار أو حكمتهم هذه ـ نجده يضرب مثلا اسلاميا «واقعيا» يقرب قدرة الله وقوته وارادته «ويجعل في المثل كلاما تكوينيا» تنفيذيا «ليتميز بالحركة والحياة وليتسق مع نظم المثل هنا «وسياق القصة هناك» ثم ليتفق بهذا وذاك «مع حكمة القرآن عامة «وفكرة السورة خاصة»

وهذا المثل التكويني «الذي كسبة كل مؤمن بل كل عاقل «وكل كائن في هذه الأكوان :

(انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له : كن «فيكون)

واذا كان ذلك صحيحا «وهو ـ دائما ـ صحيح (فسبحان الذي بيده «ملكوت كل شيء «واليه ترجعون)

وهذه نتيجة عامة «وهامة «هي جماع السورة «وخلاصتها «فهي تنزيه لله الذي لا شريك له وتنويه بالله الذي بيده «ملكوت كل شيء «واليه ترجع «واليه المصير»

وملكوت الله «هذا «أرضي «وسماوي «وآيات الله بين المثلين هنا «وهناك «في سورة يس توضح مظاهر القدرة الالهية «ودلائل العلم القدير «من ذلك :

(وآية لهم الأرض الميتة أحييناها «وأخرجنا منها حبا «فمنه يأكلون) (وجعلنا فيها جنات من نخيل «وأعناب «وفجرنا فيها من العيون «ليأكلوا من ثمره «وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ؟)

وهذه الآيات الكونية الأرضية «تنتهي بهذه النتيجة العلمية «العقيدية «بما فيها من براهين نباتية «ونفسية «وغيبية :

(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض «ومن أنفسهم «ومما لا يعلمون)

ثم يأتي دليل زماني «يعقبه «ويتصل به «دليل كوني «سماوي «بقمر ذي منازل وشمس ذات مدار :

(وآية لهم الليل «نسلخ منه النهار «فاذا هم مظلمون «والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم)

وهذه هي مظاهر الآيتين «الزمانية والكونية الفلكية «ثم تأتي فلسفة هاتين الآيتين والمعجزتين «وسر العظمة الالهية «والقوة العلمية «فيهما «وبهما :

(لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر «ولا الليل سابق النهار «وكل في فلك يسبحون)

وهذه القدرة العلمية «وهذا النظام الدقيق الماثل في الشمس التي لا ينبغي لها أن تدرك القمر «وفي الليل الذي لا يسبق النهار «تمدنا بمعاني القدرة العلمية «المنظمة

السيطرة على الأكوان السماوية ، والمهيمنة — كما عرفنا — على الأكوان الأرضية .
ثم — (كل في فلك) قدرة تعبيرية ، تومئ الى معجزة كونية ، ونظامية ، وهندسية وتشير الى هدف الأهداف ، وهو : (واليه ترجعون) في الشطرين : الأول ، والثاني اذ (كل في فلك) تقرأ من اليمين الى اليسار ، كما تقرأ من اليسار الى اليمين .

وهذه براعة جمالية ، وبديعية ، ونظمية ، تهدف الى تلك المعجزات الهندسية ، من الآيات الكونية ، والهندسية ، والنظامية ، التي تلتقي مع : (واليه ترجعون) .

وتكملة هذه الظاهرة النظمية ، والنظامية ، تتم بتمام الفقرة : (وكل في فلك يسبحون) وهذا دليل يعتمد على الحركة الكونية الكبرى ، القائمة على نظام لا يختل ، وباحكام دقيق .

وأخيرا يأتي دليل يجري مجرى الدليل على رحمة الله ، ولطفه بخلقه ، هذه الرحمة متصلة بجانب العزة والقدرة في أول السورة ، وفي ثناياها ، وفي ختامها .. تدل على هذه الرحمة المتصلة بالعزة ، آية (٥) :

(تنزيل العزيز الرحيم)

وتبرهن على ذلك كل الفقر والفكر ، المبثوثة في السورة ، فانها لا تعدوا — على وجه الدقة ، أو التقريب — هذين المعنيين ، أو الجانبين : العزة ، والرحمة .

هذا الدليل الثالث الذي أتى عقب الدليلين السابقين ، أو الأدلة السابقات / هو المحقق جانبي القدرة ، والرحمة — وهو ما أسميه المعجزة الماثلة .

وتتمثل في هذه الآيات من سورة يس من آية رقم (٤١) الى آية رقم (٤٤) .

(وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ، وان نشأ نغرقهم ، فلا صريخ لهم ، ولا هم ينقذون ، الا رحمة منا ، ومتاعا الى حين)

وهذا الدليل متصل بمادة السبح في آخر الدليل السابق (وكل في فلك يسبحون)

والدليل — هنا — هو حمل ذريتهم في الفلك المملوء ، وقد خلق الله لهم من مثله ما يركبونه ، وهذه هي بداية الرحلة ، وهم في فلكهم المملوء ، بين الرجاء والخوف ، بل هم الى الهلاك أقرب منهم الى النجاة . وان يشأ الله اغراقهم يغرقهم ، وحينئذ لا ينفعهم صراخ ينبعث منهم ، ولا صريخ يخف الى نجدتهم ، ولا هم ينقذون من الاهلاك ، أو من أعماق البحار .

على أنهم اذا أنقذوا من الاغراق ، أو من السقوط في الأعماق ، فلأجل رحمة الله ، ولطفه

ولاعطائهم فرصة يعودون فيها الى صوابهم ، وعقولهم ،التى توصلهم الى ربهم ،والـــى ما ينبغى أن يكون من الايمان بالقرآن الحكيم ،ومن التصديق برسول الله الكريم ،ذى الخلق العظيم ،الذى هو على صراط مستقيم ، وهو صراط الاسلام القويم .

فهنا فى هذه الآية المائية ، أو البحرية ، تتجلى مظاهر القدرة الالهية ،وملامـــح الرحمة اللدنية .

على أن المثل الأخير ، مثل الانسان الخصيم ، قد استفاد من هذه الأدلة ،وخاصة الدليلين السابقين . اذ أن الذى خلق السموات ، بما فيها من شمس وقمر ،ونجوم ، وأفلاك ، والذى خلق الأرض ، فأحياها ، وأخرج منها حبا نأكل منه ،وجعل فيها جنـــات من نخيل ،وأعناب ، وفجر فيها من العيون .

هذا الله الذى خلق السموات والأرض بقدرته ، قادر على أن يخلق مثل هذا الانسان الخصيم ،وأمثال أمثاله ،لأنه بكل خلق عليم ،ولأنه هو الخلاق العليم .

ثم هذا الذى ان يشأ يغرق من فى الفلك المشحون ،بحيث لا منقذ ينقذهم ولا هم ينقذون ،الا رحمة منه سبحانه ، ومتاعا لهم الى حين .

هذا القوى القاهر ، والرحيم الحكيم ، هو الذى (أمره اذا أراد شيئا أن يقول لـــه كن ، فيكون) ، ثم سيطرته على تلك الأكوان والأزمان ،فى البر ، والجو ،والبحر ،وفـــى الليل ،والنهار ،تجعل كل كائن حى ،يردد بلسان الحال أو المقال :

(فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء ، واليه ترجعون)

ومثل الانسان الخصيم ــ يعتمد على المنطق الحكيم ، وعلى الأدلة المتنوعة ،كما بينت ــ ثم ان بناءه يختلف عن بناء المثل السابق ، وهو (مثل أصحاب القرية) ــ اذ ان هذا المثل ــ كما عرفنا ــ هو من قبيل المثل القصصى ،بل من قبيل القصص المثلى . فله بداية وتوسط ــ ونهاية ،وله تمهيد يوطىء له ،وتعقيب يتولد منه ، ثم فيه من عناصر العمل القصصى كما وضحت :

١) البيئة المكانية ،والبيئة الزمانية . فأحداثه تجرى فى القرية ،كما تجرى فى الجنة .

وبداية الأحداث عبر عنها بكلمة (اذ) ، وهذا هو ما أريده من البيئة الزمانية .

٢) الأشخاص ،وهم أصحاب القرية (١) والمرسلون ثم الرجل المؤمن ،ثم قائل : (ادخل الجنة)

---

(١) يرى بعض المفسرين أن القرية هى أنطاكية بالشام ،وأن هؤلاء المرسلين هم أتباع عيسى عليه السلام ولعلهم هم الحواريون ــ الذين يشبههم أنصار الرسول محمد عليه السلام أو لعلهم الهداة للحق ،كما جاء فى سورة الأعراف .

المؤلف د ٠م ٠ ل

وفي توزيع الأسلوب ،بين السرد الوصفي ، والحوار البلاغي " الفني " ،بما يحتوى من مضمون حي ، وهدف حيوى ،وتحليل نفسي ،وتعليل عقلي .

٥) الاسلوب ـ وهو هنا يبين الوصف عن طريق الاسلوب السردى ، والحوار الذى يتضمن فكرة القصة ،وينمى أحداثها ،ويطور أشخاصها ،ويجسم لقطاتها ،ويوضح مراميها .

٦) الفكرة ـ وهى تشيع فى كل لفظة ،وخاطرة ،وخلجة ،ونجوى ، كما تتضح بالرجوع الى التمهيد ،وبالوقوف على أفكار السورة العامة ، وأهداف قصصها الخاصة .

كما تتضح الفكرة بالنظر الصادق ، الواعى ، الذى تلا القصة من تعليق يندد ، وتعقيب يمجد ، ومن خلال القصة ذاتها كأدلة ايمان الرجل ،الذى جاء من أقصى المدينة يسعى .

وهو ـ هنا ـ يذكرنا بلمحة الهداة ، والدعاة ،فى كل أمة (ومن خلقنا أمة يهدون بالحق ،وبه يعدلون) فى سورة الاعراف .

على أن كلا من التمهيدات ، والتعقيبات ، داخل القصة ، وخارجها ،وبعدها ـ تحمل رأى القاص ،الأعظم وتبين ، فكرته ،كما توضح هدفه .

وهذه الفكرة تختلط ، وتمتزج ،وتشيع فى المقدمة ،وفى الأزمة ،وفى الحل والخاتمة كما يشار اليها بالمدخل التمهيدى ، وبالتعقيب النهائى .

ثم تسوى فى كيان القصة ، وعناصرها ، من أحداث تقع ،وأشخاص تقوم بالأحداث ومن بناء يربط ما بين الحوادث والأشخاص ، وأسلوب يبرز الخفايا ، وينطق بالنوايا ويخلق الحياة . وبيئة زمانية ، ومكانية ،تجرى فيها وبها ،ومعها ، الحوادث والشخصيات ويخضع لها البناء والتصميم ،ويتعدد ، أو يتجدد بسببها الأسلوب ،بأنواعه : من تمهيد ووصف ، وحوار ، وتعقيب،ومن تعدد فى الحوار ،ما بين أخذ ورد ـ كما رأينا فى الفصل الأول من قصة أصحاب القرية ، وحسبما دار بينهم وبين المرسلين ،وما بين حلم من أحلام اليقظة كما سمعنا ـ فى الفصل الثالث والأخير ، على لسان الرجل الشهيد ، أو الرجل السعيد .

هذا هو المثل الأول ، وهو : قصة أصحاب القرية ومن معانى المثل بالتحريك : القصة العجيبة الشأن .

أما المثل الثانى ،أو الثالث ـ بالنظر الى مثل أصحاب القرية ،فى أول سورة يس) فهو : " مثل الانسان الخصيم)

وهذا المثل تلميحي ، يشير الى من[1] التقط عظما ففته ، وجاء به الى الرسول ، وناداه : يا محمد : أترى الله يحيي هذا بعدما رم ؟ — ثم نفخه تجاه الرسول ، بين السخرية والاستهزاء ، فأجابه الرسول : نعم ، ويبعثك ويدخلك جهنم ، فهو — اذن — من قبيل التلميح القصصي ، الدال عليه بآية (وضرب لنا مثلا ، ونسي خلقه)

والقرآن بهذا — جعل من المثل لمحة قصصية ، أو حكاية اشارية .

وقد أخذ المثل هنا في تصوير القرآن له ، وتقريره اياه — صيغة سؤال وجواب ، فالسؤال : من يحيي العظام وهي رميم ؟ قاله صاحب المثل ، للرسول ، والجواب تكفلت به الآيات الباقيات من آية (٧٩) الى (٨٣) سورة يس — مع شيء من التجوز والاستطراد .

وقد لقنه القرآن لرسول الله ، ليجيب به ، وليعلمه هذا السائل ، ومن على شاكلته ، أو من عداه ، من الداخلين في الاسلام ، أو المتأبين على الاسلام .

ومن ثم كان الجواب يتسم بسمات العموم والشمول أكثر مما يتسم بصفات البيئة والخصوص ، ليلتقي على فهمه ، وتدبره الانسان ، في كل زمان ومكان .

على أن الاجابة قد أخذت سمات المنطق والاستدلال كما أفادت من بعض الأمثال وكما ابتكرت بعض الأمثال ، لتنتقل دائما في كل حال ، على لسان كل تال للقرآن على اختلاف البيئات وتتابع الأزمان .

الدكتور محمد محمد حمدان

---

(١) يذهب بعض المفسرين الى أن صاحب هذا المثل هو أبي بن خلف .

علم النفس القرآني

د/ أنور محمد الجندي

أعني بعلم النفس القرآني (القرآني) : هذا التفسير النفسي التحليلي ، التفصيلي ، التحليلي ، الذي سلكته في رسالتي هذه "علم النفس القرآني" ... والذي أقيمت فيه منهج التطبيق للوصول إلى التحقيق : هذا المنهج الذي يعنى بالنص القرآني فيفسره ويوضحه ، ويفصله ويعضده ، ويحلله ويعلله ، ويصل به ، وبه ، وفيه ، إلى أدق الأفكار ، وأعمق الأسرار فيجمع ما حول الآية القرآنية ، فضلاً عن النص ، فضلاً عن السورة : ظلالاً من التجارب والخبرات ، وأضواءً من الحقائق والمعلومات ، وأصداءً من المناقشات والمناقشات حول النص بغية النفس ، ويربط الآية بمشاعر الحس ، وحول الفكرة بنظم المجتمع ، كما تصحح بالسورة أوضاع الحياة ، وكما يعنى هذا المنهج الذي سلكته بالأسلوب القرآني ، يضع نصب عينيه ، الهدف الخاص من النص ، والهدف العام من السورة ، فلا يحيد عن هذا الهدف في خصوصه ، وعمومه ، ولا يبعد سبباً شيئاً ويتوع ، وأطنب واستوعب - عن تحقيقه ، وتحقيقه ، وعن تحقيقه وتطبيقه .

ومن ثم اهتممت في رسالتي هذه التي تتصل بعلم النفس التحليلي ، وتتصل بعلوم البلاغة الثلاثة ، من بيان ، ومعان ، وبديع ، وتتصل بشتى العلوم اللغوية ، والشرعية ، والفلسفية والجمالية كعلم النحو ، وعلم الصرف ، وعلم الاشتقاق وعلم المعاجم اللغوية ، وعلم فقه اللغة ، ومثل علوم الفقه ، والتوحيد ، والتفسير ، والأصول ، ومثل علم المنطق ، والفلسفة وتاريخ الأديان ، ومقارنات الأديان ، وحكمة الحكمة ، وضرب المثل ، وتسجيل الملاحظات والتقدمات الخاصة بالنفس ، وبالغير ، وبالمجتمع ، ثم كفنون الجمال ، والموسيقا ، والتصوير وفنون القصة ، والمسرحية ، والشعر ، ثم لمحات من علوم الأخلاق والسلوك ، والتصوف ... وما إلى ذلك كله ، إلى جانب ما أدين الله به ، من مواهب وفتوحات .

ومن ثم اهتممت في رسالتي هذه بالدراسة الكاملة أو التكاملية ، التي أنظر فيها إلى السورة القرآنية كلها ، من أولها ، إلى آخرها ، والتي أحقق بها عديد الوحدات ، مثل : الوحدات النفسية والشعورية ، والوحدات الفكرية والعقلية ، والوحدات اللغوية ، والنحوية ، والصرفية والوحدات البلاغية ، بيانية ، ومعنوية ، وبديعية ، والوحدات الجمالية ، تصويرية ، وموسيقية والوحدات الفنية فنائية وقصصية ، والوحدات الفلسفية ، منطقية ، وجدلية ، والوحدات الاجتماعية ، الأدبية ، قصصية ، ومسرحية ، وشعرية ، والوحدات الروحية ، عقدية ، وسلوكية وتصوفية ، والوحدات الإلهامية ، فيوضات ، وإمدادات .

فنهجي هذا الذي سلكته ، ليخرجني هذا الذي ابتكرته - منهاج يعد جماع الدراسات وصفوة التحليلات ، يتصل - كما رأينا - بشتى العلوم ، والفنون ، والآداب ، وتعمل دراستي هذه تحقق للقرآن وفي القرآن بما أدرس القرآن ، تحقق إعجاز متعددة : كالإعجاز النفسي ، والإعجاز العقلي ، والإعجاز العلمي ، والإعجاز الفني ، والإعجاز الأدبي .

وفي كل إطار من هذه الأطر ، بناء خاص به ، وخصائص مميزة له ، ولغة تحليلية فيه ، ومغزى قائم به ، وهدف مسوق من أجله ، ثم جو شعوري يميزه ، ونغمة موسيقية تلائمه ، وإيحاء فني يتأثر منه ، وتعقيب عليه يعدده ، ويحدده ويجدده .

قد رأينا فيما مضى من هذه الرسالة ، كل هذا كما رأينا في تحليلي للصور التي احتوت تلك القصص والنماذج واللمحات ـ مدى تحقق الوحدات بين القصص وسورها ، من وحدة لغوية ، ومعنوية ، وهدفية ، وجمالية ، وتصميمية ، وتنغيمية ونفسية ، وشعورية ، بين كل قصة وسورتها ، وأدركنا مدى التفاعل التام بين سياق القرآن العام ، ثم بين القصص القرآني ، وسورة التي احتوته ، واشتملت عليه .

مما يقوي ويؤكد ما وصلت إليه ، من أنه " لا تكرار في القرآن . ولا تكرار في قصص القرآن " .

* * *

قد شاهدنا في الأبواب السابقة هذا كله ، ورأينا أن تلك القصص ـ على اختلاف أسمائها ، من لمحات ولوحات ، ونماذج وأقاصيص قد اختلفت شكلا ، وبناء ، وتصميما ، وتقريرا ، وتصويرا ، وتنغيما ، وفكرة خاصة ، ومغزى معينا ، وإن تشابهت في الهدف العام ، أو اتحدت في الأشخاص أو الأحداث .

* * *

وقد رأينا أن الحدث الواحد ، أو المتقارب تتناولها معارض قصصية مختلفة لفظا ، ومعنى وهدفا ، ووحدة ، وجوا ، وشعورا ، وبناء ، وتوقيعا .

* * *

كما شاهدنا الشخصية الواحدة ، أو المتشابهة تتناولها أكثر من قصة ، وبأسلوب يختلف تماما عن أسلوبها الأول أو الأخير لها : في المبنى ، والمعنى ، والمغزى ثم في الخصائص ، والسمات ، ثم في الطبائع والصفات ، من طريق التعدد في أطر العرض أو السرد ، أو البدء ، أو الختام ، أو التمهيد ، أو التعقيب ، ومن طريق التجسيد في التقسيم ، والتصميم ، والتنغيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

خصائص القصص القرآني

الأستاذ محمد محمد شعبان

ان الذي يتلو أو يسمع آيات من القرآن الحكيم ، يحس سريعا مع استماعه لها وتلاوته اياه ، أن هذا الذي يقرأه بلسانه ، أو يصيخ اليه بوجدانه ، فينضط له به ، ويطرب من أجله قلبه ، وتصحو عليه غريزته الدينية ، وتتيقظ فيه فطرته النقية وتسمو به انفعالاته واحساساته النابعة منه ، الصادرة عنه . هذا الذي يقرأه ويحس كلام فوق طاقات البشر ، بل فوق كل القوى والقدر وانك لتجد فيه ما يعلو على آداب الأدباء ، وبلاغة البلغاء ، وخطب الخطباء ، وقصائد الشعراء ، وقصص القاصين وتأملات المفكرين ، ومقالات الكاتبين وأحاديث المحدثين ، وفلسفة الفلاسفة ، ومعرفة أهل المعرفة ، ومن الى هؤلاء وأولئك من رجال البيان وأرباب اللسان وأهل الحديث وقادة الفكر ومنشئ النثر تبرا ، ومنشدي الشعر حكمة .

ذلك أنك تشعر حين ترددة في تأن وتأمل ، وترتله بتفكر وتدبر وتستمع الى قارئه في خشوع وخضوع ، أن هذا كلام علوي سماوي ، أرسله الله لهداية الأرض ، واصلاح الخلق ، واسعاد الدنيا وأنزله — سبحانه — نورا يضيء وماء يروي ، وحقا يهدي وحقيقة تسري ، ودواء يشفي ، وأمانا من كل خوف ودليلا من كل حيرة ، وحياة من كل ممات ...

وأنت — حينما تنعم النظر فيه وتحسن الأصغاء لما يحتويه — تتنقل بين رياض أدب ، ومغاني قصص ، وميادين فكر ، ومجالي بيان .. تشم فيها أزهار الأفكار وتكرع من رحيقها أسرار الأسرار ، وتسمع فيها الى أنغام البديع ، وبآلها فن ترجيع وتوشيع ، ثم تبصر فيها ألوانا من التعبير ، وأفنانا من التصوير واطيافا من التأثير .

فمن صور ممتعة ، الى مناظر رائعة ، ومن حجج قاطعة ، الى براهين ساطعة ، ومنطق جبار ، الى دليل قهار ، ومن تحليل كاف ، الى تعليل شاف ، ومن قصص هاد ، الى وعظ باد ، ومن حكم سافرة ، الى أمثال سائرة ... ومن تشريع خالد ، الى تحقيق رائد ، ومن واقعية مثالية ، الى مثالية واقعية ، ومن علوم وعرفان ، الى بحث وبيان ، ومن فلسفات وآداب ، الى تواريخ أجيال وأحقاب ، ومن فكر حر ، الى آيات كالدر ، ومن سوق بشارات ، الى ضرب مثلات ... ومن لطف اشارات الى شرح عبارات ، ومن رأى ناهض وناهض ، الى فكر حي وقوي ، ثم تبحث فيه فتجد مواقف خالدات ، ومشاهد باقيات ، وقصصا ماثلات .

وتجد فيه كنوزا علمية ، ومعارف انسانية ، ومعالم بشرية ، وتحاليل نفسية ومذاهب أدبية ، وملامح نقدية ، ومعارض بيانية ، وتيارات فكرية ، ولمحات تاريخية ، ومسائل دينية ، ومشاكل دنيوية ، وظواهر طبيعية ، وخواطر حضارية ، وقضايا اجتماعية ، وسياسية واقتصادية ...

كل هذا في أساليب شتى ، تختلف باختلاف المعنى والمغزى ، الا أنها في الذروة العليا وفي القمة المثلى ، من البلاغة والصياغة ، ومن التحليل والتعليل ومن التمثيل والتدليل ومن التعبير المقرر عالي التصوير المؤثر ، ومن روعة العرض الى تبيين الاشخاص ومن تجسيم الصراع ، الى تجسيد الحوار ومن تعمق الأسباب ، الى تطبيق الأهداف ومن صحة المقدمات الى سلامة النتائج والغايات ، وهكذا تتنقل في رياضه ، وتتهدل من حياضه ، وتلم بمعانيه وتقف على شتى من معانيه ، وتفيد مما يحتويه ، من اهدافه ومراميه ...

فاذا بك تخرج بفكر واع ، وقلب يقظ ، وعقل مؤمن ، وايمان عاقل وعاطفة متفتحة وشعور رهيف ، واذا بالقرآن يفجر فيك عيون الأدب ، ويحرك منك جوانب الموهبة ، ويربي فيك ملكة التذوق ، ويكمل لك حاسة البيان ...

ثم ينمي فيك ذاتيته ، ويقوي فيك شخصيته ، ويهذب لك سلوكا ، ويقوم فيك غريزة ، ويرقي بجوانحك وجوارحك ، ويسمو بخواطرك ومشاعرك ...

واذا حفك الله برعايته وعنايته ، وأفاض عليك من بيانه وقرآنه ، جعل منك انسانا قرآنيا ، ومؤمنا ربانيا ، وأديبا حقا ، ومخطيا صدقا ، وألمعيا بعيد النظر ، وعبقريا خالد الفكر والأثر .

ثم هيأك لتصبح كاتبا رائعا ، وقاصا مبدعا ، ومصورا بالتعابير ، ومعبرا بالتصاوير ، ومحللا لنفسية الانسان ، في كل مكان وآن ...

وحينئذ تستفيد من الأدب القرآني ، الذي ينبغي أن يكون مثالا يحتذى ، وقصصا يحكى ، وحقا يفرض ، وحقيقة تشاهد ، وفكرا يوحي بالافكار وسرا يكشف عن خفايا الأسرار .

وهذا الأدب القرآني يطلب منك ان تبحث فيه عن مبانيه ، ومعانيه ، ومراميه ..

علك تهتدي الى الألمام بعض من أسرار اعجازه وطرف من اطراف حقيقته ومجازه ومثل من ساواته ، وأطنابه ، وايجازه ..

ثم بأسباب تأثيره النفسي ، والعقلي ، والقلبي ، وما لأسلوبه من وضوح ، وقوة ، وجمال وما لأنواعه الأدبية ، من جلال ، وكمال ، ، وما يحقق من أهداف انسانية كبرى ، تتمثل في الحق ، والخير ، والجمال ... معالدكتور محمد محمد بقاعد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

الدكتور محمد محمد بقاعد الدكتور محمد محمد بقاعد الدكتور محمد محمد بقاعد الدكتور محمد محمد بقاعد

الباب الثامن

الفصل الرابع

مراجـــــــع

د. محمد محمد البقوم

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الدكتور محمد محمد لقمة الدكتور محمد محمد لقمة الدكتور محمد محمد لقمة

صدر رسالة الدكتوراه

الجوانب الأدبية والبلاغية للقصة القرآنية

تأليف : محمد محمد محمد لقمة

الدكتور محمد محمد لقمة

---

(١) القرآن الكريم .

مراجع الرسالة

(٢) أثر القرآن في تطور النقد العربي حتى آخر القرن الرابع الهجري - تأليف الدكتور محمد زغلول سلام الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر ١٩٦١ م

(٣) أسرار البلاغة في علم البيان - تأليف الامام عبد القاهر الجرجاني - وقف على تصحيحه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا - الطبعة الثانية في سنة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م مطبعة المنار بمصر .

(٤) أسئلة في علم البيان - ألفها محمد محمد محمد لقمة .

(٥) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي .

(٦) أساس البلاغة - للزمخشري .

(٧) الأخبار الطوال - تأليف أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري - الطبعة الأولى سنة ١٣٣٠ هـ - مطبعة السعادة بمصر .

(٨) الأمالي للزجاجي - املاء الامام أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي النحوي البغدادي المتوفى في سنة ٣٣٧ هـ يشرح العلامة النحوي أحمد بن الأمين الشنقيطي - الطبعة الأولى سنة ١٣٢٤ هـ .

(٩) أدبيات اللغة العربية - تأليف حضرات محمد عاطف والشيخين محمد نصار وأحمد ابراهيم ، وعبد الجواد عبد المتعال - الجزء الأول - الطبعة الثانية بالمطبعة الأدبية ، بمصر ١٩٠١ م .

(١٠) الأدب وفنونه ـ دراسة ونقد ـ تأليف عز الدين اسماعيل ـ الطبعة الاولى ١٩٥٥ م ـ الناشر دار النشر المصرية .

(١١) الأميرات العاجية ـ ا ـ الدوار حليم ـ ١٩٥٤ م

(١٢) الأغانى : أبو الفرج الأصفهانى

(١٣) أمالى الشريف المرتضى .

(١٤) أمالى القالى .

(١٥) الله ـ تأليف عباس محمود العقاد .

(١٦) الأصوات اللغوية ـ د . ابراهيم أنيس .

(١٧) أمل ونصل ـ ديوان شعر ـ محمد محمد حسن نصة .

(١٨) أسباب النزول ـ على بن احمد الواحدى النيسابورى .

(١٩) أصول التشريع الاسلامى ـ على حسب الله .

(٢٠) الألف الخامسة من صحيح البخارى حـ ٤ ـ تحقيق عبد السلام هارون .

(٢١) أبو بكر الصديق ـ تأليف د . محمد حسين هيكل .

(٢٢) الأنصار والاسلام ـ د . عبد الدايم البقرى .

(٢٣) الأعلام فى القرآن الكريم ـ فتوى بقلم .

(٢٤) أشهر المذاهب السياسية ـ تأليف دريني خشبة .

(٢٥) الأحكام السلطانية لأبى يعلى .

(٢٦) الأحكام السلطانية ـ للماوردى .

(٢٧) الاحكام فى أصول الأحكام ـ لابن حزم .

(٢٨) الاحكام فى أصول الأحكام ـ للآمدى .

(٢٩) الأدب المقارن ـ د . محمد غنيمى هلال .

(٣٠) الأدب المهاجر ـ محمود تيمور .

(٣١) الأدب النبوى ـ محمد الخولى .

(٣٢) الاسلام دين علم خالد ـ محمد فريد وجدى .

(٣٣) الاسلام دين الحضارة الفاضلة فى الانسانية ـ د . محمد البهى

(٣٤) الأدب والدين عند قدماء المصريين ـ أنطون ذكرى .

(٣٥) الأدب ومذاهبه ـ للدكتور محمد مندور .

(٣٦) أعلام الموقعين عن رب العالمين ـ ٤ أجزاء ـ تأليف محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية ـ حققه وضبط غرائبه وعلق على حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٣٧) أدب الشيعة الى نهاية القرن الثاني الهجرى ـ عبد الحسيب طه حميده .

(٣٨) الأدب العربي في المهجر ـ حسن جاد حسن .

(٣٩) أبو هلال العسكرى ـ بدوى طبانـــة

(٤٠) أساليب التفكير ـ الاستاذ عبد المنعم الميليجى

(٤١) الأسلوب الابتنارى ـ الدكتور حمدى خميس .

(٤٢) أسس التربية الحديثة ـ سعد عبد السلام حبيب .

(٤٣) الأسس النفسية للابداع الفنى ـ الدكتور مصطفى سويف .

(٤٤) أرنست هنجواى ـ دراسة فى فنه القصصى .ـ تاليف كارلوس بيكر ،ترجمـــة د . احسان عباس .

(٤٥) الاسلام في عصر العلم ـ محمد فريد وجدى .

(٤٦) الاسلام في المجتمع العربي ـ على وافى .

(٤٧) الاسلام لا شيوعية ،ولا رأسمالية ـ البهى الخولى .

(٤٨) الاسلام مع الحياة ـ محمد جواد مغنية .

(٤٩) أثر القرآن في تطور البلاغة العربية ـ كامل الخولى .

(٥٠) الأسس الجمالية في النقد العربي ـ د . عز الدين اسماعيل .

(٥١) الاسلام والحيـاة ـ محمد يوسف موسى .

(٥٢) أحوال النفس ، رسائله في النفس ،وبقائها ،ومعادها ـ للشيخ ابن سينـــا بتحقيق وتقديم أحمد فؤاد الأهوانى .

(٥٣) أصول النقد الأدبي ـ للأستاذ احمد الشايب .

(٥٤) أسس النقد الأدبي عند العرب ـ للدكتور احمد احمد بدوى .

(٥٥) الأسلـوب ـ أحمد الشايب .

(٥٦) امیل ـ لجان جاك روسو ـ ترجمة عادل زعيتر .

(٥٧) اقرار الايمان ـ لجان جاك روسو ـ ترجمة جودت عثمان السكاوى

(٥٨) الاتقان فى علوم القرآن ـ للسيوطى .

(٥٩) الاشارات والتنبيهات ـ على بن سينا ـ بشرح نصير الدين الطوسى وتحقيق سليمان دنيا ـ ٣ أجزاء (ذخائر العرب ٢٢)

(٦٠) أعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام ـ عمر رضا كحالة ـ خمسة أجزاء .

(٦١) الأخلاق ـ أحمد أمين .

(٦٢) أرثان الفصة ـ ميخائيل .

(٦٣) أيام العرب فى الجاهلية والاسلام ـ محمد جاد المولى ـ وآخرون .

(٦٤) الانسان فى القرآن الكريم ـ عباس محمود العقاد .

(٦٥) الأم ـ تأليف مكسيم غوركى .

(٦٦) اخوان الصفا ـ بدر عبد النور .

(٦٧) أهل الكهف ـ توفيق الحكيم .

(٦٨) الاسلام حافظ الدم فيما بين الأمم ـ عبد الوفا بسليم .

(٦٩) الاسلام أم الشيوعية ؟ ـ محمد عرفه .

(٧٠) أمثال القرآن للماوردى (مخطوط بجامعة الدول العربية نقلا عن نسخة بباريس)

(٧١) بحوث وآراء فى البلاغة ـ الرافعى .

(٧٢) البلاغة العربية ـ للأستاذ على الجندى .

(٧٣) بنو اسرائيل " مخطوط " للاستاذ الشيخ بدير

(٧٤) بعض اشارات الكتابة التى أثرت فى دراسة الأدب ـ المجلد الأول من مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٤٣ م للدكتور محمد خلف الله .

(٧٥) بناة النهضة العربية ـ جورجى زيدان .

(٧٦) البيان العربى ـ بدوى طبانة .

(٧٧) بين الأدب والنقد ـ محمد نايل .

(٧٨) بحوث فى الأدب الجاهلى ـ ابراهيم ابو الخشب .

(٧٩) البلاغة الواضحة ـ علي الجارم .

(٨٠) بين الفلسفة والأدب ـ الاستاذ علي أدهم .

(٨١) البداية والنهاية ـ ابن كثير .

(٨٢) البديع ـ عبد الله بن المعتز .

(٨٣) البديع ـ تأليف أسامة بن منقذ . المتوفى سنة ٥٨٤ هـ

(٨٤) البرهان في علوم القرآن ـ للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . الطبعة الاولى ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م ـ دار احياء الكتب العربية .

(٨٥) بديع القرآن ـ لابن أبي الاصبع المصري ٥٨٥ ـ ٦٥٤ هـ تقديم وتحقيق حفني محمد شرف ـ الطبعة الاولى ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م مكتبة نهضة مصر بالفجالة .

(٨٦) البيان والتبيين ـ تأليف الامام ابي عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء البصري . المتوفى بالبصرة في المحرم سنة ٢٥٥ هـ ـ الطبعة الاولى بالمطبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ .

(٨٧) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ـ للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي .

(٨٨) بيان البرهان في اعجاز القرآن ـ ابن أبي الاصبع .

(٨٩) بحوث في البلاغة والتفسير . والبلاغة وعلم النفس لأمين الخولي .

(٩٠) البخيلة : قصة اجتماعية بقلم محمد محمد محمد لقمة .

(٩١) بلقيس ملكة سبأ ـ مسرحية من تأليف محمد محمد محمد لقمة .

(٩٢) التربية لعالم حائر ـ ترجمة وديع الضبع .

(٩٣) التربية الجنسية ـ لسول بيلي ـ ترجمة محمد رفعت . ونجيب اسكندر .

(٩٤) تطور الشعور الديني عند الفرد ـ الدكتور عبد السلام المنجي .

(٩٥) التوجيه النفسي والتربوي والمهني ـ الدكتور سعد جلال .

(٩٦) تجديد التفكير الديني في الاسلام لاقبال ـ ترجمة عباس محمود .

(٩٧) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ـ مصطفى عبد الرازق .

(٩٨) تذكرة الدعاة ـ البهي الخولي .

(٩٩) تنزيه القرآن عن المطاعن ـ أبو الحسن عبد الجبار (الهمداني)

(١٠٠) التحفة الغراء في أنساب الأنبياء ـ عبد الباقي حسين محمود •

(١٠١) تيارات أدبية ـ للدكتور محمد مندور •

(١٠٢) التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب•

(١٠٣) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن ـ للمعتصم بالله طاهر بن صالح بن احمد الجزائري •

(١٠٤) ترتيب نصوص آي الذكر الحكيم على أبواب الدين القويم ـ سلامه محمد •

(١٠٥) تأويل مشكل القرآن ـ ابن قتيبة محمد عبد الله بن مسلم •

(١٠٦) تاريخ الأدب في عصره الذهبي ـ عبد الرحمن شهبان •

(١٠٧) تاريخ الطبري ـ مجلدان ـ تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم•

(١٠٨) تاريخ الحضارة الاسلامية لبارتولد ـ ترجمة حمزة طاهر •

(١٠٩) تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ـ د • السيد عبد العزيز سالم•

(١١٠) تاريخ اليهود في بلاد العرب ـ اسرائيل ولفنسن•

(١١١) تاريخ ابن خلدون•

(١١٢) تاريخ ابن اياس•

(١١٣) تاريخ الكامل لابن الأثير •

(١١٤) تاريخ ابي الفدا •

(١١٥) التاريخ العربي القديم ـ ترجمة د • فؤاد حسنين •

(١١٦) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي جلال الدين ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد •

(١١٧) التبيان في علم المطلع على اعجاز القرآن ـ عبد الواحد الزملكاني •

(١١٨) تاريخ نشر اعجاز القرآن ـ تأليف نعيم الحمصي • دمشق ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م

(١١٩) تاريخ آداب اللغة العربية ـ جورجي زيدان •

(١٢٠) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ـ للأستاذ طه احمد ابراهيم•

(١٢١) التعريفات : السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني •

(١٢٢) التفكير الفلسفي في الاسلام ـ الجزء الأول ـ تأليف الدكتور عبد الحليم محمود •

(١٢٣) تاريخ الاسلام السياسى ـ تأليف حسن ابراهيم

(١٢٤) تاريخ آداب العرب ـ تأليف مصطفى صادق الرافعى •

(١٢٥) تاريخ الأدب العربى • فى صدر الاسلام • والعصر الأموى تأليف الاستاذ انيباس بيوس •

(١٢٦) تطور الشعر العربى الحديث فى مصر ـ ١٨٠٠ ـ ١٩٥٠ • الدكتور طاهر حمد مكى •

(١٢٧) اتجاهات الأدبية بين التحقيق والتعبير ـ محاضرة ألقاها محمد محمد حسين فى رابطة الأدب الحديث بالقاهرة عام ١٩٤٧ •

(١٢٨) تفسير القرآن الكريم ٣٠ جزء ـ محمود حمزة بالاشتراك ـ دار المعارف بمصر •

(١٢٩) التفسير الداخلى للآيات الكونية فى القرآن ـ حفنى أحمد •

(١٣٠) تفسير الطبرى جـ١٥ ـ تحقيق محمود محمد شاكر •

(١٣١) تفسير أبو السعود •

(١٣٢) تفسير الألوسى •

(١٣٣) تفسير المنار •

(١٣٤) تفسير الجواهر ـ طنطاوى جوهرى •

(١٣٥) تفسير الراغب الاصفهانى •

(١٣٦) تفسير الزمخشرى •

(١٣٧) تفسير ابن كمال باشا •

(١٣٨) تفسير الرازى •

(١٣٩) تفسير البحر المحيط ـ لأبى حيان •

(١٤٠) تفسير الخازن •

(١٤١) تفسير الجلالين •

(١٤٢) تفسير غريب القرآن ـ لابن قتيبة •

(١٤٣) تفسير القرآن الحكيم ـ محمد عبد المنعم خفاجى •

(١٤٤) التفسير النفسى للأدب ـ د • عز الدين اسماعيل •

(١٤٥) التفسير البيانى للقرآن الكريم ـ د • بنت الشاطئ •

(١٤٦) تفسير النسفي .

(١٤٧) تفسير البيضاوي .

(١٤٨) تفسير ابن كثير .

(١٤٩) التبيان في أقسام القرآن " للجوزي "

(١٥٠) التشريع الاسلامي لغير المسلمين ـ عبد الله العرافي .

(١٥١) التصوف الاسلامي وأعلام الشعراني ـ طه عبد القادر سرور .

(١٥٢) التصوف المقارن ـ د . محمد غلاب .

(١٥٣) تيسير الوصول «الى جامع الأصول» من أحاديث الرسول .

(١٥٤) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ـ للرماني ، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية في النقد الأدبي ـ حققها ، وعلق عليها ـ محمد خلف الله محمد زغلول سلام دار المعارف بمصر .

(١٥٥) ثقافة الناقد الأدبي ـ د . محمد الشريف .

(١٥٦) الثقافة والتربية في العصور القديمة ـ الدكتور وهيب سمعان .

(١٥٧) الجوانب التشفيعية للقصص القرآني ـ من ملامح رسالة الدكتوراه «وآثارها» تأليف محمد محمد محمد لقمة .

(١٥٨) جحا وتيمور لنك ـ مسرحية من تأليف محمد محمد محمد لقمة .

(١٥٩) جمهرة أشعار العرب ـ لأبي زيد .

(١٦٠) جمهرة اللغة ـ لابن دريد .

(١٦١) جامع أحكام القرآن ـ للقرطبي .

(١٦٢) الجامع الصغير للسيوطي .

(١٦٣) الجانب الالهي من التفكير الاسلامي ـ د . محمد البهي .

(١٦٤) جمع الجوامع ـ للسبكي .

(١٦٥) جنة المعلم «أو أدب المقالة ـ د . زكي نجيب محمود .

(١٦٦) الجحيم للشاعر الايطالي دانتي ـ ترجمة د . حسن عثمان .

(١٦٧) جوامع السيرة ـ علي بن احمد سعيد بن حزم ، وخمس رسائل أخرى لابن حزم تحقيق احسان عباس وآخرين .

(١٦٨) جمهرة أنساب العرب ـ محمد علي بن احمد الأندلسي •

(١٦٩) جمهرة رسائل العرب ـ احمد زكي صفوت •

(١٧٠) حسن التوسل الى صناعة الترسل ـ تأليف الامام شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي الحنفي صاحب ديوان الانشاء بدمشق الشرقي سنة ٧٢٥ هـ طبع سنة ١٣١٥ هـ •

(١٧١) حادثة دنشواي بين شرقي وحافظ ومصطفى كامل من النقد الموازن ـ تأليف محمد محمد محمد لقمة •

(١٧٢) حب وحرب ـ مجموعات من القصص والقصائد والمسرحيات تأليف : محمد محمد محمد لقمة •

(١٧٣) حماسة البحتري •

(١٧٤) حماسة أبي تمام •

(١٧٥) حماسة ابن الشجري •

(١٧٦) الحياة الفكرية والادبية في مصر • د • محمد حسين هيكل •

(١٧٧) حسن المحاضرة ـ للسيوطي •

(١٧٨) الحروب الصليبية والآثار السريانية ـ اسحق رمة •

(١٧٩) حي بن يقظان ـ لابن سينا وابن الطفيل المعروف بتحقيق وتعليق أحمد أمين

(١٨٠) حلية الفرسان وشعار الشجعان ـ للدلجي بن عبد الرحمن بن عديل الأندلسي ـ تحقيق وتعليق محمد عبد الغني حسن •

(١٨١) حوار الصابئة ـ لبابيل رنست ـ ترجمة د • بديع شريف •

(١٨٢) حديقة أبيقور لأناتول فرانس ـ ترجمة عادل زعيتر •

(١٨٣) الحكم والأمثال ـ حنا الفاخوري •

(١٨٤) حياة محمد لأرفنج ـ ترجمة د • علي حسني الخربوطلي •

(١٨٥) خواطر وملحقات محمد محمد محمد لقمة ـ ٣ أجزاء تأليف محمد محمد محمد لقمة

(١٨٦) خزانة الأدب لابن حجة الحموي •

(١٨٧) خزانة الأدب ـ لعبد القادر البغدادي •

(١٨٨) الخواطر الحسان ، في الصاني والبيان ـ تأليف جبر ضومط ،

(١٨٩) الخصائص لابن جني ،

(١٩٠) خاص الخاص ـ للثعالبي ،

(١٩١) الخطابة ـ أرسطو طاليس ـ حققه وقدم له وعلق عليه عبد الرحمن بدوي ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ م ،

(١٩٢) الخطابة لأرسطاطاليس ـ ترجمة الدكتور ابراهيم سلامه ،

(١٩٣) الخطط للمقريزي ،

(١٩٤) الخطب والمواعظ ـ محمد عبد الغني حسن ،

(١٩٥) دائرة المعارف القرآنية ـ حصر كل بحوث القرآن في خمسمائة وأربعين بحثا ـ ألفها محمد محمد محمد لقمة ،

(١٩٦) دليل الباحثين في القصص القرآني ـ هو بمثابة المدخل الى القصص القرآني ـ تأليف : محمد محمد محمد لقمة

(١٩٧) دليل الباحثين والدارسين ـ مراجع أدبية وبلاغية ، ونقدية ، ولغوية ـ جمعها محمد محمد محمد لقمة ،

(١٩٨) دلائل الاعجاز ـ للامام عبد القاهر الجرجاني ،

(١٩٩) دفاع عن الأدب ـ جون ديبياسيل ـ ترجمة محمد غنيمي ،

(٢٠٠) دائرة المعارف الاسلامية ،

(٢٠١) دائرة معارف الشعب ،

(٢٠٢) الدرر الكامنة ـ لابن حجر ،

(٢٠٣) دراسات في القصة والمسرح ـ محمود تيمور ،

(٢٠٤) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه ـ عبد الهادي الحمدي ،

(٢٠٥) دلالة القرآن ـ لمحمد عبد الباقي سرور ،

(٢٠٦) درة التنزيل ، وغرة التأويل ـ الخطيب الاسكافي ،

(٢٠٧) دراسات في التاريخ الاسلامي ـ جاد رمضان ،

(٢٠٨) دراسات في نقد الأدب العربي ـ د ، بدوي أحمد طبانة ،

(٢٠٩) دراسات في علم النفس الأدبي ـ تأليف الاستاذ حامد عبد القادر ـ النهضة المصرية .

(٢١٠) الدعوة الى الاسلام ـ تأليف سير توماس . و . أرنولد . ترجمه الى العربية وعلق عليه الدكتور حسن ابراهيم حسن . والدكتور عبد المجيد عابدين . واسماعيل النجراوي . الطبعة الثانية ١٩٥٧ م ـ مكتبة النهضة المصرية .

(٢١١) الدراما ـ تأليف أغلى ـ بركس . ترجمة محمد خيري ـ مراجعة الدكتور عبد الحميد يونس .

(٢١٢) دراسات في الأدب الاسلامي ـ تأليف الاستاذ محمد خلف الله .

(٢١٣) دفاع عن البلاغة ـ الاستاذ احمد حسن الزيات (١٩٤٥)

(٢١٤ ـ ٢١٦) دواوين للشعراء : طرفة . المثقب العبدي . المفضليات . المعلقات .

(٢١٧ ـ ٢٤٥) دواوين للشعراء : امرئ القيس . أمية بن أبي الصلت . البحتري . ابي تمام . جرير . جميل بثينة . حسان بن ثابت . الحطيئة . الفرزدق . النابغة الذبياني . كعب بن زهير . عنترة بن شداد . زهير بن أبي سلمى . أبي العتاهية . عمر بن أبي ربيعة . ابن المعتز . أبي نواس . ابن دريد . الأعشى . ابن الرومي . المتنبي . ابي فراس . ابراهيم زهير . ابن حمدون . البارودي . حافظ . اسماعيل صبري . الجارم . المنفلوطي .

(٢٤٦) دلائل النبوة ـ الاصبهاني احمد عبد الله .

دراسات أدبية للاستاذ عمر الدسوقي .

(٢٤٧) الدين الأدبي ترجمة الاستاذ علي الجندي .

(٢٤٨) ديل الأمالي .

(٢٤٩) رغبة الآمل من كتاب الكامل ـ سعيد بن علي المرصفي .

(٢٥٠) رسالة الشيخ محيسن ـ في الكناية في القرآن التي عدم بها ليلة بنار العشاء .

(٢٥١) الرومانتيكية ـ تأليف الدكتور محمد غنيمي هلال .

(٢٥٢) روايات شكسبير ـ ترجمة أمين الخوري .

(٢٥٣) الراعي العاشق ـ مسرحية شعرية غنائية تأليف محمد محمد حسن .

(٢٥٤) رسائل اخوان الصفا .

(٢٥٥) رسالة التوحيد ـ تأليف الشيخ محمد عبده . نشرها وحققه السيد محمد رشيد رضا .

(٢٥٦) رد معاني الآيات المتشابهات الى معاني الآيات المحكمات (مخطوط) تأليف ابن العربي المتوفى ١٣٨ هـ

ـ الرمزية في الأدب العربي ـ للدكتور درويش الجندي .

(٢٥٧) زهر الآداب للحصري .

(٢٥٨) زهر الربيع ـ للعسكري .

(٢٥٩) الزمان الوجودي ـ د . عبد الرحمن بدوي .

(٢٦٠) السنن النفسية لتطور الأمم ـ لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر .

(٢٦١) السيرة النبوية ـ ابن هشام .

(٢٦٢) سيكولوجية المرشي وذوي العاهات ـ الدكتور مختار حمزة .

(٢٦٣) سر الفصاحة ـ ابن سنان الخفاجي .

(٢٦٤) سر المعمون ـ شرح رسالة ابن زيدون .

(٢٦٥) سنن ابي داود السجستاني .

(٢٦٦) سنن النسائي بشرح السيوطي .

(٢٦٧) سنن ابن ماجه بتعليق السندي .

(٢٦٨) سكان هذه الكواكب ـ د . محمد عوض محمد .

(٢٦٩) السيرة الحلبية

(٢٧٠) سيرة صلاح الدين ـ ابن شداد .

(٢٧١) سيرة صلاح الدين ـ أبو شامة .

(٢٧٢) شرح الحماسة للتبريزي

(٢٧٣) شرح الحماسة للمرزوقي .

(٢٧٤) شرح شواهد الشافية للبغدادي .

(٢٧٥) شرح شواهد المغني للسيوطي .

(٢٧٦) شرح القصائد العشر للتبريزي .

(٢٧٧) شرح المعلقات للزوزني .

(٢٧٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .

(٢٧٩) شرح أدب الكاتب للجواليقي .

(٢٨٠) شرح البخاري للقسطلاني . والنووي على مسلم .

(٢٨١) الشعر والشعراء لابن قتيبة .

(٢٨٢) شروح التلخيص .

(٢٨٣) شعراء النصرانية ـ للأب لويس شيخو .

(٢٨٤) شعراء الهذليين .

(٢٨٥) شعراء اليهود .

(٢٨٦) الاشتقاق والتعريب ـ عبد القادر المغربي .

(٢٨٧) شوقي وفلسفته في الحياة ـ بحث نقدي تحليلي من تأليف محمد محمد حسين .

(٢٨٨) الشعر العربي بين الجمود والتطور للأستاذ محمد عبد العزيز الكفراوي .

(٢٨٩) شخصية الحيوان ـ سيزوفتش ـ ترجمة أحمد حسن .

(٢٩٠) صبح الأعشى في صناعة الانشا ـ القلقشندي .

(٢٩١) الصناعتين : أبو هلال العسكري .

(٢٩٢) صحيح البخاري بشرح ابن حجر .

(٢٩٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٥ ، ١٧ ، ١٨ .

(٢٩٤) صحيح الترمذي بشرح ابن العربي .

(٢٩٥) صهاريج اللؤلؤ ـ للبكري .

(٢٩٦) الصليبيون وصلاح الدين ـ للدكتور محمد الحبيب النجار .

(٢٩٧) صحيح مسلم ـ القشيري مسلم بن الحجاج ـ ١٨ جزءاً في ٦ مجلدات ـ القاهرة .

(٢٩٨) الصيام وفلسفاته وحكمه وتشريعاته ، مقالات صحفية ، بقلم محمد محمد حسين .

(٢٩٩) صور من حياة الرسول ـ أمين دويدار .

(٣٠٠) صحوة بحث ـ مقال بقلم محمد محمد حسين نشر في مجلة كلية اللغة العربية .

(٣٠١) ضحى الاسلام ـ تأليف الاستاذ احمد أمين :

الجزء الأول ـ الطبعة الثانية ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤ م

الجزء الثاني ـ الطبعة الاولى ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٥ م

الجزء الثالث ـ الطبعة الاولى ١٩٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م

(٣٠٢) الضياع والعودة ـ أوبرا شعرية تأليف محمد محمد محمد لقمة •

(٣٠٣) الاضداد ـ لابن الأنباري •

(٣٠٤) طبقات الشعراء ـ محمد بن سلام الجمحي •

(٣٠٥) طبقات الشعراء ـ لابن المعتز •

(٣٠٦) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد

(٣٠٧) طبقات الشافعية ـ للسبكي

(٣٠٨) طبقات المعتزلة للمرتضى (طبع بالهند)

(٣٠٩) طريق الخلاص مسرحية بقلم محمد محمد محمد لقمة •

(٣١٠) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة • وعلوم حقائق الاعجاز يحيى بن حمزة العلوي •

(٣١١) الظاهرة القرآنية ـ مالك بن نبي ـ ترجمة عبد الصبور شاهين الناشر مكتبة دار العلوم •

(٣١٢) عيون الاخبار ـ لابن قتيبة •

(٣١٣) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه •

(٣١٤) علم التاريخ عند العرب ـ بقلم محمد عبد الغني حسن •

(٣١٥) عصر النبي عليه السلام • وبيئته قبل البعثة ـ تأليف محمد عزة دروزة ـ ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م •

(٣١٦) عادات العرب في جاهليتهم ـ السيد محمود شكري الالوسي ١٣٤٢ هـ ١٩٢٤ م

(٣١٧) العمدة لابن رشيق •

(٣١٨) علم النفس القرآني ـ نظرية جديدة متكاملة أكثر من ثمانمائة صفحة ـ تأليف محمد محمد محمد لقمة •

(٣١٩) عصر سلاطين المماليك ـ للاستاذ محمود رزق سليم •

(٣٢٠) علم النفس التربوي ص٢ ـ الدكتور احمد زكي صالح •

(٣٢١) علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية ـ الدكتور عبد العزيز القوصي •

(٣٢٢) علم النفس الجنائي (أول) الاستاذ احمد محمد فتحي •

(٣٢٣) علم النفس العقابي ـ الدكتور كمال دسوقي •

(٣٢٤) علم الطباع ـ الدكتور سامي الدروبي •

(٣٢٥) علم النفس الحربي ـ الدكتور محمد عثمان نجاتي

(٣٢٦) علم النفس الاجتماعي من الاسلام والعالم الحديث ـ الدكتور محمد مظهر سعيد

(٣٢٧) عبقرية شكسبير ـ جرويس

(٣٢٨) العقد الاجتماعي لجان جاك روسو ـ ترجمة عادل زعيتر .

(٣٢٩) العدالة الاجتماعية ـ صالح ميخائيل .

(٣٣٠) العقل الحي ـ تأليف هاري وجارو وفرستريت ـ ترجمة د . عبد العزيز القوصي .

(٣٣١) عبقرية محمد ـ تأليف عباس محمود العقاد

(٣٣٢) عبقرية الصديق ـ " " "

(٣٣٣) عبقرية عمر " " "

(٣٣٩) عبقرية خالد " " "

(٣٣٥) عبقرية الاسلام " " "

(٣٣٦) عبقرية المسيح " " "

(٣٣٧) علم الجريمة ـ د . حسن شحاته سفان .

(٣٣٨) على هامش الغفران ـ كامل كيلاني .

(٣٣٩) علم الغيب في العالم القديم ـ د . توفيق الطويل .

(٣٤٠) عرض تاريخي للفلسفة والعلم ـ تأليف ا . ويلف ـ ترجمة محمد عبد الواحد خلاف .

(٣٤١) عصر الرواية الذي نعيش فيه ـ تأليف جستاف لنسون حققه وترجمه أبو درة محمد خليل

(٣٤٢) علم البيان ـ بدوي طبانة .

(٣٤٣) غريب القرآن ـ تأليف ابي بكر محمد بن عزيز السجستاني . المتوفى سنة ٣٣٠ هـ .

(٣٤٤) غير الخصائص الواضحة ـ للوطواط .

(٣٤٥) الغفران ـ د . بنت الشاطئ .

(٣٤٦) الغربال ـ ميخائيل نعيمة .

(٣٤٧) غروب الاستعمار (الكتاب ١٧ كتب سياسية) للاستاذ عبد المنعم خلاف .

(٣٤٨) فقه اللغة ـ ه ـ ب ـ تشارلتن ترجمة ا . د . زكي نجيب محمود .

(٣٤٩) فن القول ـ للاستاذ أمين الخولي .

(٣٥٠) في الأدب والنقد ـ د . محمد مندور .

(٣٥١) في موكب الشعراء ـ دراسة نقدية تحليلية بقلم محمد محمد حسين لقمة .

(٣٥٢) في عالم النقد الأدبي والفني بقلم محمد محمد حسين لقمة .

(٣٥٣) الفن المسرحي في الأدب الغربي الحديث د . محمود حامد شوكت .

(٣٥٤) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي .

(٣٥٥) فن الجناس ـ علي الجندي ـ نهضة الاقطار .

(٣٥٦) فلسفة المحدثين والمعاصرين ـ تأليف أ . رولف ترجمة د . ابو العلا عفيفي .

(٣٥٧) الفن والتربية الاجتماعية ـ الاستاذ محمد الخادم .

(٣٥٨) في الميزان الجديد ـ د . محمد مندور .

(٣٥٩) فن الخطابة د . احمد محمد الحوفي .

(٣٦٠) فن التشبيه ـ ٣ أجزاء ـ علي الجندي

(٣٦١) فن الأدب ـ توفيق الحكيم .

(٣٦٢) في علم فلسفة النفس ـ د . احمد الاهواني .

(٣٦٣) فلسفة اللذة والألم ـ اسماعيل مظهر .

(٣٦٤) الفلسفة والمجتمع الاسلامي ـ د . ابراهيم اللبان .

(٣٦٥) فصول في الفلسفة ومذاهبها ـ للفيلسوف جود ترجمة د . عثمان امين

(٣٦٦) في التصوف الاسلامي ـ رينولد . د نيكلسون ترجمة د . ابو العلا عفيفي

(٣٦٧) في الأدب الجاهلي ـ للدكتور طه حسين .

(٣٦٨) فلسفة التاريخ لهوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر .

(٣٦٩) فتوح البلدان ـ البلاذري .

(٣٧٠) في الفلسفة الاسلامية ـ د . ابراهيم مدكور .

(٣٧١) فصول في النقد ـ د . طه حسين .

(٣٧٢) في ظلال القرآن ـ سيد قطب .

(٣٧٣) فقه اللغة وسر العربية ـ تأليف ابي منصور عبد الملك محمد الثعالبي ـ المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

(٣٧٤) فن القصة تأليف الدكتور محمد يوسف نجم .

(٣٧٥) فن كتابة المسرحية — تأليف لاجوس اجرى قدم له جلبوت طر — ترجمة د. رياض عثمان .

(٣٧٦) الفن القصصي في الأدب المصري الحديث ١٨٠٠ — ١٩٥٦ م تأليف الدكتور محمد حامد شوكت .

(٣٧٧) الفن القصصي في القرآن الكريم للدكتور محمد احمد خلف الله .

الفردوس — تأليف دانتي — ترجمة د . حسن عثمان

(٣٧٨) فاوست — جيته — ترجمة د . محمد عوض محمد .

(٣٧٩) فن القصص — محمد تيمور .

(٣٨٠) فن الأهرا — تأليف محمد وشاد بدران .

(٣٨١) فن البالية — تأليف الدكتور محمود احمد حفني .

(٣٨٢) فجر القصة المصرية — يحيى حقي — المكتبة ٦

(٣٨٣) فجر الاسلام — تأليف احمد أمين . ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م

(٣٨٤) فن الشعر — الدكتور احسان عباس .

(٣٨٥) في علم النفس — تأليف الاستاذين : علي الجارم ومصطفى أمين .

(٣٨٦) الفن ومذاهبه في الشعر العربي د . شوقي ضيف .

(٣٨٧) فلسفة الجمال — أ . س . جارنيت ترجمة الأساتذة : عبد الحميد يونس ومنير بشر وحسان توفيه .

(٣٨٨) الفهرست لابن النديم — طبعة ١٣٤٨ هـ

(٣٨٩) الفصل في الملل والنحل — لابن حزم .

(٣٩٠) الفرق بين الفرق — للبغدادي .

(٣٩١) الفتوحات الالهية — سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل .

(٣٩٢) فكر وبحث — علي الخطاوي .

(٣٩٣) فقه اللغة العربية — ابراهيم محمد نجا .

(٣٩٤) فن الخطابة

(٣٩٥) في موكب الشمس — تأليف د . احمد بدوي .

(٣٩٦) فتح العرب لمصر ـ ا ج تيلر ـ ترجمة محمد فريد أبو حديد •

(٣٩٧) قصص القرآن محمد أحمد جاد المولى وآخرين •

(٣٩٨) قصص الأنبياء ـ الشيخ عبد الوهاب النجار •

(٣٩٩) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه تأليف عبد الكريم الخطيب •

(٤٠٠) قصة الأدب في العالم ٤ أجزاء •

(٤٠١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة د • توفيق الطويل •

(٤٠٢) قضية الأدب بين اللفظ والمعنى أحمد محمد عنبر •

(٤٠٣) قواعد النقد الأدبي ـ لاسل آبركرمبي ترجمة د • محمد عوض محمد •

(٤٠٤) قضايا الانسان في الأدب المسرحي المعاصر تأليف الدكتور عز الدين اسماعيل •

(٤٠٥) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي دكتور بدوي طبانة •

(٤٠٦) قصة الحضارة ـ ول ديورانت ـ ترجمة محمد بدران

(٤٠٧) القاموس المحيط ـ للفيروزابادي •

(٤٠٨) قضايا الانسان في القرآن تأليف محمد محمد محمد لقمة •

(٤٠٩) القصة في التربية ـ الدكتور عبد العزيز عبد المجيد •

(٤١٠) القصة السيكولوجية ـ ت لبون ايدل ترجمة محمود السيرة •

(٤١١) قصص الأنبياء ـ للكسائي (مخطوط بجامعة الدول العربية)

(٤١٢) قابيل وهابيل مسرحية من تأليف محمد محمد محمد لقمة •

(٤١٣) الكامل للمبرد ـ تأليف أبي العباس محمد بن يزيد المبرد •

(٤١٤) الكامل لابن الأثير •

(٤١٥) كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني • محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
(٢ أجزاء في مجلدين) •

(٤١٦) كتاب النفس ـ ارسطو طاليس ـ نقله الى العربية أحمد فؤاد الاهواني •

(٤١٧) كتاب الجرح والتعديل • محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ـ ١ مجلدات •

(٤١٨) كيف تكتب بحثا أو رسالة ؟ الدكتور أحمد شلبي •

(٤١٩) كتاب الأساطير في الأمم السامية ولغاتها ـ على العناني وآخرون •

(٤٢٠) كتاب علم التاريخ ـ ألفه بالانجليزية هرنشو ترجمة العبادي .

(٤٢١) كشف أسرار التوراة . وتعريبها (٣٩) (مخطوط بجامعة الدول العربية)

(٤٢٢) لسان العرب ـ لابن منظور الافريقي .

(٤٢٣) اللطائف والظرائف للأديب أبي نصر القدسي .

(٤٢٤) لطائف الأسرار ـ محيي الدين بن عربي .

(٤٢٥) اللغة العربية ـ عبد العزيز عبد المجيد .

(٤٢٦) لماذا أنا مسلم ؟ ـ عبد الشمالي الصعيدي .

(٤٢٧) المنهاج العربية ـ ابراهيم أنيس .

(٤٢٨) مذكرة في النقد الأدبي ـ تأليف محمد محمد محمد لقمة .

(٤٢٩) مذكرة في البلاغة العربية ـ تأليف محمد محمد محمد لقمة .

(٤٣٠) المدخل الى القصص القرآني تأليف محمد محمد محمد لقمة .

(٤٣١) مسرحيات من فصل واحد تأليف محمد محمد محمد لقمة .

(٤٣٢) محاورات في الأدب دراسة ومناقشة محمد محمد محمد لقمة .

(٤٣٣) مختاراتي من حكمة المتنبي ـ اختيار محمد محمد محمد لقمة .

(٤٣٤) مختاراتي من حكمشوقي ـ اختيار محمد محمد محمد لقمة .

(٤٣٥) محاضرات في عصر الصدر في الأدب . ألقاها الدكتور محمد النويهي على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ١٩٥٦ م .
(555)

(٤٣٦) معالم النقد الأدبي ـ عبد الرحمن عثمان . الجزء الأول ـ مطبعة المدني ـ المؤسسة السعودية بمصر .

(٤٣٧) الملل والنحل ـ للشهرستاني .

(٤٣٨) مجتمعات اسلامية ـ الجزء الاول ـ بقلم الدكتور محمود محمد زيادة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ م المطبعة الاولى .

(٤٣٩) مفتاح العلوم ـ للامام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ـ طبع بالمطبعة الميمنية بمصر ١٣١٨ هـ

(٤٤٠) من تلخيص المفتاح ـ للعلامة القزويني الخطيب .

(٤٤١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ للشيخ الامام ضياء الدين ابي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الشافعي . مطبعة حجازي بالقاهرة الطبعة الاولى ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م

(٤٤٢) من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ـ للأستاذ محمد خلف الله أحمد .

(٤٤٣) من بلاغة القرآن ـ تأليف الدكتور أحمد أحمد بدوي ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة نهضة مصر بالفجالة .

(٤٤٤) مناهج تجديد ـ في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ـ دار المعرفة ـ الطبعة الأولى سبتمبر ١٩٦١ م . للأستاذ أمين الخولي .

(٤٤٥) منهج الفن الاسلامي ـ محمد قطب ـ دار القلم .

(٤٤٦) مناهل العرفان في علوم القرآن ـ بقلم محمد عبد العظيم الزرقاني ـ الجزء الثاني ـ الطبعة الثالثة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م .

(٤٤٧) ميادئ الفلسفة ـ ألفرد بين . رابيورت دكتور في الفلسفة ـ ترجمة أحمد أمين ـ مكتبة الخانجي بمصر .

(٤٤٨) من الأدب التمثيلي اليوناني ـ سوفوكليس ـ تعريب طه حسين .

(٤٤٩) الميسر الديني في العصر الوسطى ـ تأليف جان فرايه ـ ا م . جوتشالر ترجمة الدكتور محمد القصاص ـ مراجعة الدكتور محمد بدير . ملتزم الطبع والنشر . مكتبة النهضة المصرية .

(٤٥٠) مع القرآن ـ د . عبد الحسيب طه حميده .

(٤٥١) المجازات النبوية للشريف الرضي .

(٤٥٢) مفردات غريب القرآن ـ للراغب الأصفهاني .

(٤٥٣) معجم الأدباء لياقوت .

(٤٥٤) الموازنة بين أبي تمام والبحتري ـ للآمدي .

(٤٥٥) الممتع ـ محمد عدير .

(٤٥٦) مغني اللبيب ـ جمال الدين بن هشام الأنصاري .

(٤٥٧) الموافقات للشاطبي .

(٤٥٨) مقدمة ابن خلدون .

(٤٥٩) مشاهد القيامة في القرآن ـ سيد قطب .

(٤٦٠) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ـ ناصر الدين الأسد .

(٤٦١) منهج الزمخشري في تفسير القرآن ـ مصطفى الجويني .

(٤٦٢) مقارنة الأديان (٢) المسيحية (٣) الاسلام ـ تأليف احمد شلبي .

(٤٦٣) موسى والتوحيد ـ فرويد .

(٤٦٤) من الأدب المقارن ـ نجيب العقيقي

(٤٦٥) منطق تهافت الفلاسفة ـ المسمى معيار العلم الغزالي ـ تحقيق سليمان دنيا .
(ذخائر العرب ـ ٣٢)

(٤٦٦) المسرحية ـ عمر الدسوقي .

(٤٦٧) محاضرات في الأدب في العصر الجاهلي ـ عبد الحميد السلوت .

(٤٦٨) مبادىء التربية الاسلامية ـ أسماء حسن فهمي

(٤٦٩) مصر والشرق الأدنى القديم (مصر) (سورية) (حضارة العراق القديمة)
د . نجيب ميخائيل .

(٤٧٠) محاورات أفلاطون ـ د . زكي نجيب محمود .

(٤٧١) النقد ـ الدكتور شوقي ضيف .

(٤٧٢) النقد الأدبي (جزءان) تأليف ستانلي هايمن ترجمة حسان عباس ومحمد يوسف نجم .

(٤٧٣) النقد الأدبي ـ تأليف وليم فان أركوتوت ـ ترجمة صلاح الحمد ابراهيم .

(٤٧٤) النظم الفني في القرآن ـ عبد المتعال الصعيدي .

(٤٧٥) نظرة في الأدب في عصر صدر الاسلام ـ محمود فرج العقدة .

(٤٧٦) نماذج بشرية ـ بقلم الدكتور محمد مندور .

(٤٧٧) نماذج بشرية من العصر الوسطى تأليف ايلين نور ـ ترجمة صلاح ابراهيم .

(٤٧٨) النجوم الزاهرة ـ لابن تغرى بردى .

(٤٧٩) النجوم في مسالكها تأليف السير جيمس جينز تعريب احمد عبد السلام الكرداني .

(٤٨٠) نظرات في القرآن ـ محمد الغزالي .

(٤٨١) النقد المنهجي عند العرب ـ د . محمد مندور .

(٤٨٢) النقد الأدبي ج٢ ـ أحمد أمين .

(٤٨٣) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ـ الفخر الرازي .

(٤٨٤) النقد التحليلي لكتاب " في الأدب الجاهلي " بقلم محمد احمد الغمراوي .

(٤٨٥) نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر .

(٤٨٦) نقد النثر ـ المنسوب لقدامة بن جعفر .

(٤٨٧) النقد الأدبي ـ أصوله ومناهجه ـ سيد قطب .

(٤٨٨) نهاية الأرب وفنون الأدب ـ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري .

(٤٨٩) هولاكو والمستعصم ـ مسرحية من تأليف محمد محمد محمد لقمة .

(٤٩٠) هذه هي الموسيقى في النقد والتاريخ .

(٤٩١) هيرودوت في مصر ـ د . وهيب كامل .

(٤٩٢) وحدة المعرفة ـ د . محمد كامل حسين .

(٤٩٣) الوحدات الأدبية والبلاغية في القصة القرآنية تأليف محمد محمد محمد لقمة .

(٤٩٤) الورقة ـ عبد الله محمد بن داود بن الجراح (ذخائر العرب ٩) .

(٤٩٥) الوحي المحمدي ـ تأليف السيد محمد رشيد رضا . مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م

(٤٩٦) وحدة الدين والفلسفة والعلم ـ تأليف السيد محمود ابو الفيض المنوفي المجلد الأول ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م .

(٤٩٧) الوفاء الحر ـ مجموعة قصص ومسرحيات من تأليف محمد محمد محمد لقمة

(٤٩٨) الوساطة . للقاضي الجرجاني .

(٤٩٩) وفيات الأعيان ـ ابن خلكان .

(٥٠٠) الوجود والعدم ـ سارتر .

(٥٠١) الوعي الاسلامي " مجلة عربية "

(٥٠٢) يسألونك ـ عباس محمود العقاد .

كتب في سلاسل ، وترجمات ، وصحف ومجلات

(٥٠٣) سلسلة " اقرأ " .

(٥٠٤) سلسلة " أعلام العرب "

(٥٠٥) " " المكتبة الثقافية "

(٥٠٦) " " روائع المسرح العالمي "

(٥٠٧) " الروايات العالمية"

(٥٠٨) " " روايات الهلال " .

(٥٠٩) " مجلة الأزهر "

(٥١٠) " مجلة منبر الاسلام "

(٥١١) مجلة " مجمع اللغة العربية "

(٥١٢) مجلة الرسالة .

(٥١٣) مجلة الثقافة .

(٥١٤) مجلة " المسرح "

(٥١٥) مجلة " القصة " .

(٥١٦) مجلة " الأدب "

(٥١٧) مجلة الآداب "

(٥١٨) مجلة " الأديب "

(٥١٩) مجلة " المجلة " .

(٥٢٠) مجلة " الدكتور "

(٥٢١) صحيفة الأهرام .

(٥٢٢) صحيفة الأخبار .

(٥٢٣) صحيفة الجمهورية .

(٥٢٤) صحيفة المساء .

تمت المراجع ، ولله الحمد والمنة .

فهـــــارس

" بسم الله الرحمن الرحيم "

— (أ) —

فهارس رسالة الدكتوراه

الجوانب الأدبية والبلاغية في القصة القرآنية

تأليف : محمد محمد محمد لقمة

اسم الموضوع	الصفحة من الى
عنوان الرسالة واسم صاحبها — شكر وتنويه — مقدمة وتمهيد	
(الباب الأول)	
المدخل الى القصص القرآني (دليل الباحثين الى القصص القرآني)	١ ٧٤
محتوى هذا الباب .	٧٥ ٧٦
(الباب الثاني)	
الجانب التصميمي في قصص القرآن — محتويات هذا الباب	٧٧ ١١٠
قصص سورة الحجر	٧٧ ٧٨
سورة الصافات	٧٩ ٨١
قصة لقمان في سورة لقمان	٨٢ ٨٣
سورة سبأ وما بها من قصص	٨٤ ٩٠
سورة فصلت	٩١ ٩٢
سورة الشورى	٩٣ ٩٤
قصص سورة الزخرف	٩٥ ٩٩
قصة فتنة قوم فرعون في سورة الدخان	١٠٠ ١٠٢
سورة الجاثية وما بها من لمحات	١٠٣ ١٠٤
سورة الأحقاف .	١٠٥ ١٠٩

- (ب) -

اسم الموضوع	الصفحة من	الى
سورة الغاشية ، ومجموعاتها التصميمية والتنغيمية	١١٠	
(الباب الثالث)		
الجانب التطبيقى فى قصص القرآن ـ محتوى هذا الباب	١١١	١٩٦
سورة الأعراف	١١١	
سورة ق	١٣٨	
سورة القمر	١٦٠	
(الباب الرابع)		
الجانب التحليلى فى قصص القرآن	١٩٧	٣٠٧
سورة الكهف ومجموعاتها القصصية والمثلية	١٩٧	٢١٢
سورة الكهف	١٩٧	
قصة أصحاب الكهف	١٩٧	
حصاد قصة أصحاب الكهف	٢٠٣	
لمحة ابليس فى سورة الكهف	٢٠٥	
قصة موسى والخضر عليهما السلام	٢٠٧	
قصة ذى القرنين	٢٠٩	
قصة نوح فى سورتين	٢١٣	
الرواية والحكاية فى سورة طه	٢١٥	٢٢٩
رواية موسى عليه السلام ،	٢١٥	
قصة آدم فى سورة طه	٢٢٩	
نظام المجموعات القصصية فى سورة الشعراء	٢٣٠	٢٤٢
(١) قصة موسى	٢٣٠	
(٢) قصة نبأ ابراهيم	٢٣٢	

اسم الموضوع	الصفحة من السورة	
(٣) مجموعة التكذيب في سورة الشعراء ، وتحتوى على :	٢٣٤	
أ ـ قصة قوم نوح		
ب ـ قصة عاد		
حـ ـ قصة ثمود		
د ـ قصة قوم لوط		
هـ ـ قصة أصحاب الأيكة		
من حصاد القصص السبعة الماضية	٢٣٩	
القصص في سورة النمل	٢٤٢	٢٦١
(١) قصة موسى عليه السلام	٢٤٢	
(٢) لمحة داود وسليمان	٢٥١	
(٣) رواية سليمان عليه السلام	٢٥١	
(٤) قصة صالح عليه السلام	٢٥٥	
(٥) قصة لوط عليه السلام	٢٥٧	
القصص في سورة القصص	٢٦١	٢٨٣
رواية موسى عليه السلام	٢٦٣	
التعقيب على نبأ موسى وفرعون	٢٧٥	
مفتاح بعض الصور	٢٧٨	
قصة قارون	٢٨٠	
قصص سورة يونس	٢٨٤	
أ ـ نبأ نوح		
ب ـ اهلاك القرون	٢٨٦	
حـ ـ قصة الانسان	٢٨٧	
د ـ لمحة بعثة الرسل	٢٨٨	

اسم الموضوع	الصفحة من السور	
هـ - بعثة موسى وهارون	٢٩٠	
و - لمحة يونس	٣٠٠	
أحسن القصص في سورة يوسف - رواية يوسف عليه السلام	٣٠٢	
(الباب الخامس)	٣٠٨	٣٦٧
الجانب التحقيقي في القصص القرآني	٣٠٨	٣٦٧
(١) قصة " المؤمنون " في سورة المؤمنون .	٣٠٨	
(٢) قصة خلق الانسان .	٣٠٩	
(٣) قصة خلق السماء والأرض	٣١٠	
(٤) قصة نوح عليه السلام	٣١١	
(٥) قصة ارسال رسول .	٣١٣	
(٦) لمحة الرسل	٣١٤	
(٧) قصة ارسال موسى وهارون	٣١٥	
(٨) تكريم المسيح وأمه	٣١٥	
(٩) لمحة نداء الرسل	٣١٨	
(١٠) نموذج المتقين .	٣١٨	
غزوة بدر ، وقصة الهجرة في سورة الأنفال	٣٢٠	٣٤١
جو سورة الأنفال	٣٢٠	
غزوة بدر	٣٢٢	
أقصوصة الهجرة في الأنفال	٣٣٨	
المهاجرون والأنصار في المدينة ، كما صورتهم سورة الأنفال	٣٤١	
المسلمون كما صورتهم سورة الأنفال	٣٤١	
أقصوصة (اذ أنتم قليل)	٣٤٢	

اسم الموضوع	الصفحة من	الصفحة الى
من القصص المدنى ـ قصة سورة آل عمران	٣٤٣	
توثيق القرآن وبيان أهميته	٣٤٣	
لمحة د أب آل فرعون	٣٤٣	
آية غزوة بدر	٣٤٤	
آية الغرائز الانسانية	٣٤٤	
من مضمون سورة آل عمران	٣٤٥	
حجاج القرآن لأهل الكتاب	٣٤٥	
حصاد قصة عيسى فى السورة	٣٤٧	
قصة آل عمران	٣٤٧	
قصة ولادة مريم	٣٤٩	
قصة ولادة يحيى عليه السلام	٣٥٣	
اعداد مريم عليها السلام	٣٥٥	
قصة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام	٣٥٨	
مثل عيسى عليه السلام	٣٦٦	
قصة المباهلة	٣٦٦	
(الباب السادس)	٣٦٨	٤٢٧
الجانب الفلسفى فى قصص القرآن ـ الفصل الأول :	٣٦٨	٤٢٧
من أهداف القصص القرآنى وفلسفاته ، صورة مجملة	٣٦٨	
الفصل الثانى :		
فلسفة بعض القصص صورة مفصلة ، ويحتوى على :	٣٧١	
(١) قصة ذى القرنين	٣٧١	
(٢) قصة أصحاب الفيل	٣٧١	
(٣) قصة سبأ	٣٧١	
(٤) قصة فرعون	٣٧١	
(٥) قصة هامان	٣٧١	
(٦) قصة السحرة	٣٧١	

اسم الموضوع	الصفحة من الى
(٧) قصة قارون	٣٧٢
(٨) قصة الدمرون	٣٧٢
(٩) قصة أصحاب الكهف	٣٧٢
(١٠) قصة أصحاب الاخدود	٣٧٢
(١١) موسى والعبد العالم	٣٧٢
(١٢) نبأ ابنى آدم	٣٧٣
(١٣) قصة عزير	٣٧٣
(١٤) آزر	٣٧٣
(١٥) ابن نوح	٣٧٣
(١٦) ١٧ - امرأة نوح ، وامرأة لوط	٣٧٣
(١٨) مثل امرأة فرعون	٣٧٤
(١٩) مريم ابنة عمران	٣٧٤
(٢٠) مثل الرجلين فى سورة الكهف .	٣٧٤
سورة الأنعام ف ٣	٣٧٥ ٣٨٠
قصة ابراهيم عليه السلام	٣٧٥
تلميحات بالرسل والأنبياء عليهم السلام	٣٧٥
لمحة اهلاك القرون المذنبة	٣٧٦
عاقبة المستهزئين الساخرين	٣٧٧
عقيدة ابراهيم ومحمد عليهما السلام .	٣٧٧
روح الحجاج فى السورة	٣٧٧
روح الحزن وتسلية الله لرسوله	٣٧٧
تلميح بقصص المرسلين وأبنائهم	٣٧٧
تقسيم القصص القرآنى بحسب ترتيب نزوله الى قسمين رئيسيين :	٣٧٨
القسم القصصى المكى	٣٧٨
القسم القصصى المدنى	٣٧٨
تقسيم القصص المكى ثلاث فترات :	
أ - فترة التمهيد للدعوة	٣٧٨
ب - فترة الدعوة السرية	٣٧٨
حـ - فترة الدعوة الجهرية	٣٧٨

اسم الموضوع	الصفحة من السور
شغل فترة التمهيد للسورة	٣٧٨
خمس سور ، وهي :	
١ـ سورة الفاتحة	٣٧٨
٢ـ « العلق	٣٧٨
٣ـ « القلم	٣٧٨
٤ـ « المزمل	٣٧٨
٥ـ « المدثر	٣٧٨
الاشارة الى كتابي على التفسير القرآني الذي حلل هذه السور الخمسة	٣٧٨
عود الى سورة الأنعام وما بها من تقرير أن الدين الاسلامي هو الصراط المستقيم وهو الدين القيم ، وهو ملة ابراهيم حنيفا	٣٧٩
فتح باب الموازنة في الدراسة النقدية لقصة ابراهيم عليه السلام .	٣٧٩
الوصايا العشر في سورة الأنعام .	٣٧٩
ف ٤	
سورة المؤمن « غافر »	٣٨١ ٣٨٦
جو السورة والهدف فيها	٣٨١
قصة مؤمن آل فرعون	٣٨١
لمحة الرحلات وسمتها	٣٨٥
الاشارة الى قصة فرعون وغرقه	٣٨٦
أهم أهداف القصص واللمحات في سورة المؤمن « غافر »	٣٨٦
ف ٥	
نماذج قرآنية من سورة القلم ، دراسة تحليلية	٣٨٧ ٤٢٧
(١) دراسة مجملة لآيات النماذج	٣٨٧
(٢) حول قوله سبحانه : (ولا تطع كل حلاف مهين)	٣٩٠
(٣) تحليل شخصية « حلاف » « مهين »	٣٩٣
(٤) تحليل شخصية « همـاز »	٣٩٧
(٥) تحليل شخصية « مشاء بنميم »	٤٠٠
(٦) تحليل شخصية « مناع للخير »	٤٠٣

اسم الموضوع	الصفحة من	الى
(٧) تحليل شخصية " المعتدى "	٤٠٦	
(٨) تحليل شخصية " الأثيم "	٤٠٩	
(٩) تحليل شخصية " عتل "	٤١٢	
(١٠) تحليل شخصية " زنيم "	٤١٥	
(١١) تعقولات بعض الكفار عن القرآن	٤١٨	
(١٢) النماذج السابقة مجتمعة	٤٢٢	
(١٣) دراسة علمية لقول سبحانه : (ولا تطع كل حلاف مهين)	٤٢٥	
(الباب السابع)	٤٢٨	٥١٢
نظام المجموعات في قصص القرآن	٤٢٨	٥١٢
سورة الذاريات	٤٢٨	
(١) لمحة المتقين	٤٢٨	
(٢) حديث ضيف ابراهيم المكرمين	٤٢٨	
(٣) أقصوصة موسى عليه السلام	٤٢٩	
(٤) أقصوصة عاد	٤٢٩	
(٥) أقصوصة ثمود	٤٢٩	
(٦) قوم نوح	٤٣٠	
حصر بقصص السورة	٤٣١	
قصة سورة ابراهيم	٤٣٢	
لمحات موسى وقومه	٤٣٣	
أقصوصة الشيطان	٤٣٣	
قصة ابراهيم عليه السلام	٤٣٣	
مجموعة القصص والأقاصيص في سورة الأنبياء	٤٣٤	
قصة ابراهيم عليه السلام	٤٣٤	
وصل القصة بالسياق العام للسورة	٤٣٥	
مجموعة الأقاصيص في سورة الأنبياء	٤٣٦	
أقصوصة نوح عليه السلام	٤٣٦	

اسم الموضوع	الصفحة من	الى
أقصوصة داود وسليمان عليهما السلام	٤٣٦	
أقصوصة سليمان	٤٣٦	
أقصوصة أيوب	٤٣٦	
أقصوصة اسماعيل ، وادريس وذى الكفل	٤٣٦	
أقصوصة ذى النون	٤٣٦	
أقصوصة زكريا	٤٣٦	
أقصوصة التى أحصنت فرجها	٤٣٦	
هدف الأهداف الوحدة الانسانية والعالمية ، والدينية	٤٣٦	
سورة العنكبوت ومجموعتها القصصية .	٤٣٧	٤٤٨
(١) أقصوصة نوح عليه السلام	٤٣٧	
(٢) قصة ابراهيم عليه السلام ، موازنة بين القصتين ، فلسفة التعقيب على كلام ابراهيم ، تسجيل قول ابراهيم لقومه وفلسفته له .	٤٣٨	
(٣) قصة لوط عليه السلام	٤٤١	
(٤) أقصوصة شعيب عليه السلام	٤٤٢	
(٥) أقاصيص عاد ، وثمود ، وقارون ، وفرعون ، وهامان	٤٤٣	
نزول السورة فى ظروف الهجرة ، وتأثير ذلك فى قصة ابراهيم	٤٤٤	
السر فى سوق قصص العنكبوت ،	٤٤٤	
الوحدات الفلسفية واللغوية والفنية فى السورة وأقاصيصها	٤٤٨	
سورة مريم ومجموعاتها القصصية والتلميحية	٤٤٩	٤٥٣
المجموعة الاولى :		
(١) قصة زكريا ويحيى عليهما السلام	٤٤٩	
(٢) قصة مريم ، وولادة عيسى عليه السلام	٤٤٩	
(٣) قصة ابراهيم عليه السلام ، وموقفه من أبيه .	٤٥٠	

الموضوع	الصفحة من	الى
مجموعة اللمحات القصصية :		
١) لمحة موسى عليه السلام	٤٥٠	
٢) لمحة اسمعيل عليه السلام	٤٥١	
٣) لمحة ادريس عليه السلام	٤٥١	
التعقيب على الأنبياء السابقين	٤٥١	
اللمحات القصصية من أدب المدح	٤٥٢	
المجموعة القصصية الاولى من القصص الاجتماعي	٤٥٢	
(٣) مجموعة الوحدات ٥٥٥ - ٥٥٥	٤٥٤	٤٥٨
١) لمحة : الذى كفر بآيات الله	٤٥٤	
٢) لمحة من اتخذوا من دون الله آلهة	٤٥٤	
٣) ادعاؤهم باتخاذ اللمولدا	٤٥٤	
اتصال اللمحات بالقصص فى السورة	٤٥٥	
تحقق النظم فى السورة وبيانه	٤٥٥	
نظام المجموعات فى سورة هود	٤٥٩	٤٦٥
جو سورة هود	٤٥٩	
مجموعة قصص سورة هود ، وتحتوى على :	٤٥٩	
١) رواية نوح عليه السلام		
٢) قصة هود " "		
٣) قصة صالح " "		
٤) قصة ابراهيم " "		
٥) قصة لوط " "		
٦) قصة شعيب " "		
٧) أتصوصة موسى " "		
مفتاح دراسة هذه المجموعة	٤٥٩	

اسم الموضوع	الصفحة من العدد	
اقتراح دراسات جديدة وقويمة لنظام المجموعات في القصص القرآني .	٤٦٠	
أسرار الاعجاز القصصي في هذه المجموعة : دراستها من عديد الوجهات .	٤٦١	
توضيح لتعدد هذه الدراسات	٤٦٢	
تحقق الوحدات الفكرية ، والأسلوبية والتصميمية في هذه المجموعة	٤٦٥	
من قصص السور المدنية ، مجموعات الأقاصيص والقصص والحكايات والأمثال في سورة البقرة .	٤٦٦	٥٠٨
سورة البقرة ومجموعاتها القصصية :		
١) جو السورة : التذكير بنعم الله سبحانه	٤٦٦	
٢) جو القرآن	٤٦٦	
٣) الدعوة الى وحدة الأديان	٤٦٦	
٤) طوائف الناس ومواقفهم من الاسلام	٤٦٦	
أ ـ طائفة المتقين	٤٦٦	
ب ـ « الكافرين	٤٦٦	
حـ ـ « المنافقين	٤٦٦	
٥) مراتب الخلق ، والموت ، والبعث	٤٦٦	
٦) قصة خلافة آدم	٤٦٦	
٧) مجموعة أقاصيص بني اسرائيل في سورة البقرة	٤٦٧	
مضمون الاقاصيص ، سماتهـا ، مدى صلاحيتها للملحمة	٤٦٨	
دراسة لتمهيدات المجموعـة	٤٦٩	
أقاصيص بني اسرائيل	٤٦٩	٤٧٢
منهج قصص سورة البقرة	٤٧٢	
رابطة هذه الاقاصيص في سورة البقرة	٤٧٥	
أقصوصة امامة ابراهيم	٤٨٠	
أقصوصة البيـت	٤٨٠	

اسم الموضوع	الصفحة من	الى
أقصوصة أهل البيت	٤٨٠	
أقصوصة بناء البيت	٤٨١	
الرسول من خلال الأقصوصة	٤٨٢	
الاسلام دين كل الأديان	٤٨٢	
التلقينات فى التعقيبات	٤٨٤	
حكايات "يسألونك" فى سورة البقرة	٤٨٥	
من قصص الجهاد والاستشهاد ونماذج الموت والبعث (١)	٤٩٠	
قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت (٢)	٤٩٠	
قصة الملأ من بنى اسرائيل فى سورة البقرة (٣)	٤٩١	
قصة الذى حاج ابراهيم فى ربه (٤)	٤٩٤	
قصة الذى مر على قرية (٥)	٤٩٥	
قصة ابراهيم والطير	٤٩٦	
القرآن والوحدات الزمانية والمكانية والشخصية	٥٠٢	
آيات الختام فى سورة البقرة	٥٠٧	
القصة فى سورة ص (١)	٥٠٩	
المدخل الى القصة (٢)	٥٠٩	
لمحة الأقوام المكذبين (٣)	٥٠٩	
تتمة المدخل الى قصة داود (٤)	٥٠٩	
قصة داود ذى الأيد (٥)	٥٠٩	
قصة نبأ الخصم وداود وأو تمثيلية الصيدة	٥٠٩	

- (م) -

اسم الموضوع	الصفحة من	الى
(٦)		
قصة خلافة داود	٥٠٩	
(٧)		
قصة سليمان الأواب	٥١٠	
(٨)		
قصة أيوب	٥١٠	
(٩)		
لمحة الانبياء المصطفين	٥١٠	
(١٠)		
لمحة المتقين	٥١٠	
(١١)		
لمحة الطاغين	٥١١	
(١٢)		
قصة خاصم أهل النار	٥١١	
(١٣)		
قصة اختصام الملأ الأعلى	٥١١	
(١٤)		
قيمة هذا القصص العالمي	٥١١	
سر التركيز في هذه الدراسة لهذه المجموعة	٥١٢	
(الباب الثامن)		
الفصل الأول :		
الأمثال وقصص القرآن	٥١٣	٥٤٣
مجموعة أمثال سورة النحل	٥١٣	
مثل الرجلين في سورة الكهف	٥١٥	
مثل الحياة الدنيا في سورة الكهف	٥١٨	
أمثال الانفاق في سورة البقرة	٥٢٠	
مثل أصحاب القرية	٥٢٧	
الفصل الثاني :		
علم النفس القرآني	٥٤٤	
المراد بعلم النفس القرآني	٥٤٤	

اسم الموضوع	الصفحة من	السن
منهج التفسير النفسي التحليلي	٥٤٤	
دعائم هذا المنهج	٥٤٤	
الدراسة الكاملة هي الأساس	٥٤٤	
أس ظاهرة النظم الوحدات	٥٤٤	
أهمية ذلك المنهج	٥٤٤	
كيف وصلنا الى أنه : لا تكرار في القرآن ، ولا في قصصه ؟	٥٤٥	
مدى تعدد القصص المتشابه .	٥٤٥	
للقرآن معارض قصصية مختلفة ، قد يتناول الشخصية الواحدة أكثر من قصة بدون تكرار .	٥٤٥	
من منهج القصص القرآني .	٥٤٦	
الفصل الثالث :		
خصائص القصص القرآني	٥٤٧	
الاحساس بشبتدوثيق القرآن	٥٤٧	
تفوق القرآن على كل الأساليب	٥٤٧	
مهمة القرآن ووظيفته	٥٤٧	
احتواء القرآن على شتى الفنون الأدبية	٥٤٧	
خصائص أسلوب القرآن ومحتواه	٥٤٧	
اشتمال القرآن على عديد المعارف	٥٤٧	
سمو القرآن على كل الأساليب وخصائص بيانه	٥٤٨	
تأثير القرآن في قارئيه	٥٤٨	
الانسان القرآني	٥٤٨	
القرآن مثال يحتذى وان كان لا يماثل	٥٤٨	
الأدب القرآني متجدد الاعجاز	٥٤٨	
القرآن اكتمل أسلوبا ، وأنواعا ، وأهدافا ، وهذه هي نهاية الامتياز في البلاغة والاعجاز .	٥٤٨	
الفصل الرابع :		
مراجع الرسالة	٥٤٩	

الدكتور محمد محمد بقاعة الدكتور محمد محمد بقاعة الدكتور محمد محمد بقاعة الدكتور محمد محمد بقاعة

الدكتور محمد محمد بقاعة الدكتور محمد محمد بقاعة الدكتور محمد محمد بقاعة